

سلسلة الرسائل الجامعية

④

إعجاز القرآن الكريم

بين الإمام السيوطي والعلماء

دراسة نقدية ومقارنة

تأليف

د. محمد موسى الشريف

دار الأناضول للطباعة والنشر

للسفر والسفر
جدة

المَقَدِّمَةُ

المقدمة

الحمد لله الذي هدانا للإيمان ، ومنّ علينا بدين الإسلام ، وجعل كتابنا أحسن الكتب المنزلة ، كما جعل رسولنا أعظم الرسل المرسله ، وأيده بمعجزة القرآن ، الباقية على مر الزمان ، لأنها تخاطب الإنسان في كل مكان ، وتجاوز العقول والقلوب في كل آن ، وتتجلى للأسماع والأبصار على تعاقب الليالي والأيام .

أحمده سبحانه أبلغ الحمد وأزكاه ، وأشمله وأتمناه ، وأصلي وأسلم على المبعوث رحمة للعالمين ، والمهدي دليلاً للحائرين ، سيدنا محمد خير ولد آدم أجمعين ، صلاة وسلاماً كاملين تامين عطرين يليقان بسيد المرسلين ، وعلى آله الأطهار ، وصحبه الأبرار ، ومن تبعهم من الأخيار ماتعاقب الليل والنهار .

وبعد :

فإن كتاب الله نور وضياء ، وهدى وشفاء ، فتح الله - تعالى - به أعيناً عمياً ، وآذاناً صمماً ، وقلوباً غلفاً ، وهدى به من الضلالة ، وبصر به من الجهالة ، جعله إماماً للمتقين ، وحجة على الكافرين والضالين ، من تمسك بأحكامه فله الحسنی وزيادة ، ومن جعله وراء ظهره فقد خسر الريادة ، وفقد السعادة ، فلينتظر عاقبة أمره ، وليحذر من غضب الله ومكره .

ولما كان القرآن كذلك فقد اعتنى به الصحابة والسلف ، وتناقله الناس خلفاً عن سلف ، همة أحدهم حفظ حروفه وإقامة حدوده ، وتفهم معانيه ومعرفة مراميّه ، وأقبل عليه العلماء والدارسون ، فاستنبطوا منه شتى العلوم والفنون ، وعظّمه العابدون الزاهدون فأحيوا به ليلهم والناس نائمون ، وشغلهم بالنهار والخلق عنه غافلون ، وعلم قدره المجاهدون فانطلقوا به يغزون

ويفتحون ، كي يعرف الناسُ منه ما يعرفه المسلمون ، ويَزُولَ عنهم الظلم الذي أرهقهم به الظالمون ، والغشاوةُ التي نسجها على أبصارهم الجاهلون .

ولما نظر الله إلى قلوب السلف فوجدها متعلقة بالقرآن ، مملوءةً بالإيمان مكن لهم في الأرض وهزم أعداءهم ، وأورثهم الكافرين : أرضهم وديارهم وأموالهم ، فخضعت لهم الدنيا وانقادت ، وسلمت لهم مقاليدها بأمر ربها فرحاً وازدانت ، فصارت مبادئ القرآن هي السائدة في العالمين ، واستُبدل حكم الله - تعالى - بحكم الشياطين ، وسُعد المسلمون والناس بذلك أزمانا متطاولة ، ثم وسوس لهم الشيطان فتركوا حكم القرآن ، فمضت فيهم سنة الله التي لا تتبدل ، وصار يتحكم فيهم الأقل الأَرذل ، وكان الذي خاف الصالحون أن يكون ، فإننا لله وإنا إليه راجعون .

وإنه لارجعة إلى العز والتمكين إلا بتحكيم هذا الكتاب المبين ، ونبذِ قوانين الكفرة والجاهلين ، عسى الله أن يضيء بنا مرة أخرى العالمين ، ويمكنَ لنا في الأرض ويجعلنا أئمةً ويجعلنا الوارثين ، إنه سبحانه أعظم مأمول وأكرم مسؤول .

وإذا كان القرآنُ العظيم في المحل الأقدس ، والمكان الأرفع الأظهر عندنا - معشر المسلمين - لِمَا وقر في قلوبنا من أنه كلام رب العالمين ؛ فإن الكافرين والمعاندين قد لا يتبينون له هذه المنزلة ، جحداً منهم أن يكون كلامُ الله - تعالى - وتنزيله الأخير ، السالمُ من التحريف والتغيير ؛ لذا فقد جعل الله - تبارك وتعالى - في القرآن دليلاً على صحته ، وبرهاناً على عظمته ، وذلك بما أودعه ، تعالى ، فيه من صنوف الإعجاز الدالِّ على أنه من عنده - سبحانه وتعالى - وأنه لا يُسامى ولا يجارى .

ومع أن الناس في العصور السالفة كانوا أحسن إسلاماً وأعمقَ إيماناً منا - في الجملة - فقد حرص العلماء على بيان الإعجاز القرآني لهم ، وأن هذا

الكتاب تنزيل من الله العزيز الحكيم ، حتى تمتلئ قلوبهم يقيناً بهذا الكتاب العظيم فيهدوه إلى العالمين .

ولما كان هذا العصرُ عصرَ إيمانٍ مطلقٍ بالمحسوس ، وإعراضٍ - عند كثير من الناس - عن الغيب ورسالات الرسل كان من الواجب على المسلمين إبرازُ عظمة الإسلام ، وأنه الدين الذي ارتضاه الخالق - سبحانه - لعباده ، وإظهارُ عظمة كتابهم وما فيه من صنوف الإعجاز المبرهن على أنه من عند عليم خبير ، سبحانه وتعالى ، فإذا ظهر للناس أن القرآن معجز وأنه من عند الله قامت عليهم الحجة ، وظهرت لهم المحجة ، فدخل السعداء منهم في دين الله أفواجاً ، واطمأنت نفوسهم لهذا الدين ، ومن هنا تظهر أهمية البحوث الموضوعية لإظهار الإعجاز وبيان تفرد هذا الكتاب بالحفظ الإلهي .

وأدلف من هنا إلى بيان أهمية هذا الموضوع :

معرفة الإعجاز القرآني ، وإدراك عظمة الكلام الرباني من أهم المعارف وأشرفها ، ومن أجل العلوم وأعظمها ، فمن نظر في إعجاز هذا الكتاب المبين وتضلع من معانيه ظهر له قدره ، ووضحت عنده أهميته وفضله ، وقد يما قيل : شرف العلم يتعلق بشرف العلوم ، والمعلوم هنا هو كتاب الله - تعالى - وكلامه ، ووحيه وبيانه ، الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ، وهو الذي لم يسمع بمثله بشر ، ولا يصل إلى عظمة تشريعه مذهب أو قانون .

فإظهار الإعجاز في هذا الكتاب العظيم وبيان العظمة في مبانيه ومعانيه من الأمور الواجبات والمهام المطلوبة في كل زمان ، وفي هذا الزمان خاصة ؛ لأمر منها :

أولاً : تثبت الإيمان في قلوب المؤمنين بهذا الدين ، ليزدادوا إيماناً مع إيمانهم بهذا الكتاب المبين ، فيحملوه للناس شريعةً ومنهاجاً ، ودعوةً وبياناً ، فلا تستطيع مناهج الضلال المزخرفة أن تفتنهم عن هذا الحق الذي يعلمون جلاله وعظمته ، ولعل هذا هو ما يشير إليه قوله تعالى :

﴿ وَإِذَا مَا أَنْزَلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَن يَقُولُ أَيُّكُمْ زَادَتْهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزادتهم إيماناً وهم يستبشرون ﴾ (١) .

فليس كإيضاح الإعجاز للناس مثيلٌ في زيادة يقينهم بالله - تعالى - وبأن هذا الكتاب لا بد أن يكون من عنده ، سبحانه وتعالى ؛ وأشهد أنني قد عرفتُ من هذا الكتاب العظيم - في نفسي - بعد دراستي لبعض جوانب إعجازه مثل هذا الأثر الجليل ، وفهمت لماذا اقشعرت لسماع آياته جلودُ الصحابة ثم لانت ، وبكروا عند سماعه وفاضت عبراتهم وسالت ، وتيقنت قلوبهم من صدقه وعظمته ، فبدلوا من أحله النفس والنفس ، رضي الله عنهم أجمعين .

فنحن - اليوم - في حاجة إلى إظهار هذا الإعجاز للمسلمين وبيانِهِ ، حتى يخضعوا لأحكامه ، وينافحوا عن حدوده ، ويرغبوا فيه كما رغب أسلافهم .

ثانياً : إظهار إعجاز القرآن وبيانُ أنه قطعاً كلام الله - تعالى - سببٌ عظيم من أسباب هداية الكافرين وجذبهم لهذا الدين ، والأمثلة على هذا - في عالمنا اليوم - كثيرة ؛ خاصة في مجالات الإعجاز العلمي والتشريعي (٢) .

ثالثاً : إظهار الإعجاز القرآني في جوانبه المختلفة - خاصة الإعجاز العلمي والتشريعي والبياني - هدايةً وتبصرةً لهذا الخلف من أبناء جلدتنا المنكود ،

١- سورة التوبة : آية ١٢٤ .

٢- انظر - مثلاً - كتاب ((المعجزة القرآنية : الإعجاز العلمي والغيبى)) : للدكتور محمد حسن هيتو :

٢١٩-١٤٥ ، وانظر - أيضاً - ((دراسة الكتب المقدسة في ضوء المعارف الحديثة)) لموريس بوكاي .

الذين كانوا ضحية الفكر الوافد الكافر فردوا ماجاء به القرآن من شرايع وحدود ،
تحت دعاوى زائفة لاحصر لها ، فإذا ظهرت لهم أنوار الحق ، وأدركوا الفرق بينه
وبين ظلمات قوانين الغرب والشرق ، أرجعوا إلى كتاب الله - تعالى - مدعنين
راغبين مصدقين .

هذه بعض جوانب أهمية إظهار إعجاز القرآن الكريم في هذا الزمان .

وقد يقول قائل :

ما أهمية تناول الإعجاز البياني للقرآن الكريم ، ودراسة كتب الأقدمين فيه والحال
إن غالب الناس اليوم لا يتذوقون اللغة العربية الفصحى ولا يفهمون مراميها
وأسرارها ؟

والجواب من ثلاثة جوانب :

أما الجانب الأول فهو أن هذا الموضوع ذو طبيعة تخصصية وعلمية منهجية ، فهو
يهم الباحثين بالدرجة الأولى ؛ إذ هم الحريصون على جمع شتات ومتفرقات
الموضوع المطروق في أزمنته المختلفة .

وأما الجانب الثاني من الجواب فصحيح أن الناس في زماننا قد ضعفت عندهم ملكة
تذوق الفصحى ضعفاً عظيماً ، وأصبحوا لا يفهمون أسرار بلاغتها ، ولا يدركون
جوانب جمالها - إلا القلة القليلة - لكن إذا عرف أبناء العصر أن أسلافهم ،
مالكي أزمّة البلاغة والفصاحة ، قد عجزوا أمام هذا القرآن العظيم ولم يستطيعوا
معارضته ، وأدرك أهل زماننا العجز التام الذي كان مستولياً على الأوائل حيال
ما جاءهم به النبي - صلى الله عليه وسلم - إذا أدركوا ذلك وعرفوه سلّموا بما
سلّم به أسلافهم ، وكانوا لِمَا عجز عنه أوائلهم أعجز ، ولما ضعفوا عنه أضعف ،
فيعظم يقينهم بهذا الكلام الإلهي المجيد فتصفو نفوسهم من الشبهات ، وترقّ
أفئدتهم ويعظم إيمانهم وتصديقهم .

ولا ريب أن إظهار الإعجاز التشريعي والعلمي مما يناسب أهل زماننا ، وهم أخرج إليهما من غيرهما ، ولكن مقصودي تعريفهم بما عجز عنه أسلافهم وأنهم هم أعجز إزاءه وأضعف ، فيظهر للناس أن هذا الكتاب العظيم معجز في كل عصر وليس في الزمان الماضي فقط .

الجانب الثالث : قد بقيت في الأمة بقية تمسكت بلغتها ، واطّلت على أسرار بلاغتها ، وعلمت فضلها وأهميتها ، يسرها الاطلاع على مثل هذه المباحث اللغوية البيانية ، ويُتلج صدرها كلُّ بحث يكشف عن عظمة القرآن وسمو إعجازه ، وهؤلاء ينقلون إلى الناس ما استشعروه من جلال البيان القرآني ، تأليفًا وحديثًا ، ومحاضرة وتدريسًا ، فيشيع في الناس علمهم ، وينتفعون بآثارهم ، كما رأينا من بعض الدعاة المعاصرين الآن .

هذا وهناك جوانب أخرى في بيان أهمية تناول هذا الموضوع ستأتي في الفقرة التالية : **سبب اختيار الموضوع :**

كان لاختياري هذا الموضوعَ سببان :
أولهما متعلق بي ، والآخر متعلق بالموضوع وبالكتاب الذي أدرسه :

أما الأول : فقد منّ الله - تبارك وتعالى - عليّ بحفظ القرآن ، ودراسة قراءاته العشر ، ومنّ عليّ - سبحانه - بأن يسر لي الالتحاق بقسم الكتاب والسنة في الدراسات العليا لأنهل من معين القرآن العظيم ، ولما كانت رسالتي في (الماجستير) متعلقة بالقرآن العظيم وقراءاته - أحببت أن تكون رسالتي في (الدكتوراه) متصلة بالقرآن الكريم أيضاً ، لأزداد معرفة به وفهماً له ، ورجاء أن أفوز بالخيرية التي أخبر عنها رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله :
((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))^(١) .

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه بسنده إلى عثمان بن عفان - رضي الله عنه - : باب خيركم من تعلم القرآن وعلمه : ٢٣٦/٦ .

أما السبب الآخر : فهو متعلق بالموضوع وبالكتاب ، فالأهمية الموضوع - كما بينت سابقاً - ولأهمية الكتاب اخترت هذا البحث ، وتكمن أهمية الكتاب في الآتي :

أولاً : لم يُدرس هذا الكتاب : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) دراسة علمية تبين منهج الإمام السيوطي في طرُق موضوع الإعجاز ؛ إذ اشتهرت عند أهل العلم مناهج المتقدمين ممن ألف في الإعجاز كالباقلاني والرُّماني والجُرْجاني ، وغيرهم ، رحمهم الله تعالى ، لكن لم يتضح - عند الكثيرين - منهجُ المتأخرين في تأليفهم في الإعجاز ، فأردت توضيح ذلك حتى تظهر جهود المتأخرين في دراسة إعجاز كتاب الله تبارك وتعالى .

ثانياً : كتاب ((معترك الأقران)) كتاب جامع مبسوط ، أحاط فيه الإمام السيوطي - تقريباً - بما وصل إليه علم المسلمين في إعجاز القرآن حتى زمانه ، فصار من المهم دراسة مثل هذا الكتاب الحاوي لمناهج كثير من المتقدمين والمتأخرين .

ثالثاً : الكتاب مملوء بالأحاديث والآثار مما يعطيه أهمية خاصة بين كتب الإعجاز ويثري مباحثه .

رابعاً : دَلَّل السيوطي - رحمه الله تعالى - على إعجاز القرآن بأمر لم تطرق من قبل إلا قليلاً ، أو طرقت بإيجاز واقتضاب فتوسع فيها وأبرزها جلية واضحة .

خامساً : أتى السيوطي - رحمه الله تعالى - بعدة وجوه للإعجاز اختلف في عدّها معجزاً عددٌ من العلماء ، وأتى بوجوه ليست من الإعجاز قطعاً ، فلما صنع

ذلك صار من المهم أن تُدرس تلك الأوجه كلها ، ويظهر تعلقها بالإعجاز القرآني
من عدمه .

لهذه الأسباب مجتمعةً اخترت هذا الموضوع وهذا الكتاب للبحث
والدراسة ، راجيا الله أن أنال به الثوابَ والجزاء الحسن في الدنيا والآخرة بفضله
ومنه .

وقد جعلت عنوان بحثي هذا هو :

إِعْجَازُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ

بَيْنَ الْإِمَامِ السِّيُوطِيِّ وَالْعُلَمَاءِ

خطة البحث وعملي فيه

وقد قسمت البحث فيه إلى : مقدمة وأربعة أبواب وخاتمة :

أما المقدمة فتحتوي :

١. أهمية الموضوع .

٢. سبب اختياره .

٣. خطة البحث .

٤. عملي في هذا البحث .

و أما الأبواب فقد قسمتها إلى فصول تتفرع منها مباحث ومطالب ، وذلك

على النحو الآتي :

الباب الأول :

الإعجاز القرآني

وأوجه دراسته عند العلماء قبل الإمام السيوطي .

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الإعجاز القرآني مفهوماً وتاريخاً

وفيه ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : معنى مصطلح الإعجاز القرآني .

المبحث الثاني : نشأة علم الإعجاز وتدوينه وجهود العلماء في دراسته .

المبحث الثالث : القول بـ (الصرْفَة) والرد عليه .

الفصل الثاني : طرائق التدوين في الإعجاز القرآني

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : التدوين المبثوث في الكتب :

أ. كتب التفسير .

ب. كتب علوم القرآن .

ج. كتب العقائد .

.. كتب السيرة الشريفة .

المبحث الثاني : التدوين في الكتب المستقلة بالإعجاز .

أ. ((النكت في إعجاز القرآن)) للشيخ أبي الحسن الرمانيّ .

ب. ((إعجاز القرآن)) للقاضي الباقلانيّ .

ج. ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)) لفخر الدين الرازيّ .

د. ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى بن حمزة العلويّ .

الباب الثاني :

الإمام السيوطيّ ودراسة كتابه

((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإمام السيوطي : حياته وآثاره

وفيه تمهيد و مباحث :

المبحث الأول : مولده ، واسمه وكنيته ولقبه .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه العلم ، ومشايخه وتلاميذه .

المبحث الثالث : آثاره العلمية في الإعجاز .

المبحث الرابع : منزلته العلمية ، وأقوال العلماء فيه ، وتحقيق ذلك .

المبحث الخامس : اعتزاله الفتيا والتدريس ، ووفاته .

الفصل الثاني : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

ونسبته ، ونسخه .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : معنى العنوان وما أثير حوله .

المبحث الثاني : تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام السيوطي .

المبحث الثالث : مخطوطات الكتاب ومطبوعته ، والجهود التي بذلت لخدمته .

الفصل الثالث : محتويات الكتاب ومنزلته العلمية .

وفيه مبحثان :

المبحث الأول : مضمون الكتاب وأبحاثه .

المبحث الثاني : منزلة الكتاب العلمية ، وأثره .

وفيه مطلبان :

المطلب الأول : منزلة الكتاب العلمية .

المطلب الثاني : أثر الكتاب .

الباب الثالث

منهج المؤلف في كتابه

(دراسة تفصيلية)

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : وجوه الإعجاز التي ذكرها : عرض ومناقشة .

الفصل الثاني : منهجه في عرض وجوه الإعجاز .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : منهجه في تصنيف المادة العلمية وتقسيمها .

المبحث الثاني : منهجه في استعمال المصادر والمراجع ، والاستفادة من أقوال العلماء .

المبحث الثالث : منهجه الاستدلالي .

المبحث الرابع : منهجه اللغوي .

المبحث الخامس : منهجه في تأصيل القضايا الشرعية .

وفيه مطالب :

المطلب الأول : منهجه في العقيدة .

المطلب الثاني : منهجه في التفسير .

المطلب الثالث : منهجه في القراءات .

المطلب الرابع : منهجه في بيان الوقف والابتداء .

المطلب الخامس : منهجه الفقهيّ .

المطلب السادس : منهجه في أصول الفقه .

المبحث السادس : منهجه في ذكر القصص والمواظظ والرقائق .

المبحث السابع : منهجه في ذكر القضايا العلمية المادية .

الفصل الثالث : دراسة أهم القضايا العلمية في ((معتزك الأقران)) .

القضية الأولى : قضية الرسم العثماني ، وما جاء عنها في كتاب ((المعتزك)) .

القضية الثانية : قضية الفاصلة القرآنية .

القضية الثالثة : قضية الذبيح ، إسماعيل هو أم إسحاق .

الباب الرابع

المقارنة بين كتاب السيوطي وكتب غيره

وفيه فصلان :

الفصل الأول : المقارنة بين كتابه وكتب المؤلفين السابقين عليه .

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المقارنة من حيث المنهج في التأليف .

المبحث الثاني : المقارنة من حيث وجوه الإعجاز وحكمه .

- المبحث الثالث : المقارنة من حيث الاستدلال .
المبحث الرابع : المقارنة من حيث المصادر والمراجع .

الفصل الثاني : المقارنة بين كتابه وكتب المؤلفين بعده .

- وفيه مبحثان :
المبحث الأول : المؤلفات التي سارت على غط الكتب السابقة .
المبحث الثاني : المؤلفات التي جاءت بأمور جديدة تناسب العصر .

الخاتمة :

وتحوي خلاصة البحث ، والنتائج التي توصلت إليها ، وبعض المقترحات .

الفهارس :

وقد ختمت الرسالة - بفضل الله تعالى - بحملة من الفهارس الكاشفة مع بيان طريقة ترتيب كل فهرس منها ، وهذه الفهارس هي :

١. فهرس الآيات الكريمة .
٢. فهرس القراءات الشاذة .
٣. فهرس الأحاديث الشريفة .
٤. فهرس الآثار .
٥. فهرس وجوه الإعجاز .
٦. فهرس المصطلحات الأصولية .
٧. فهرس المصطلحات العلمية .
٨. فهرس المصطلحات البلاغية .

٩. فهرس الشواهد الشعرية .
١٠. فهرس القبائل .
١١. فهرس الطوائف والأمم .
١٢. فهرس الفرق والجماعات .
١٣. فهرس الأماكن والبلدان .
١٤. فهرس الأعلام .
١٥. فهرس مصادر ومراجع الإمام السيوطي .
١٦. فهرس مصادر ومراجع البحث .
١٧. فهرس الموضوعات .

عملي في هذا البحث

قد كان عملي في هذا البحث - بفضل الله تعالى - على حسب الخطة الموضوعية لدراسة كتاب الإمام السيوطي : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) دراسة نقدية شاملة لاستخراج منهجه ومقارنته بأهم مناهج السابقين واللاحقين ، مراعيًا الآتي :

١. تحدثت عن الإمام السيوطي بإيجاز لكثرة ما كتب فيه ، وتوسعت فيما يتعلق بموضوعي فقط .

٢. وثقت النصوص المنقولة من كتاب ((معترك الأقران)) أو غيره من كتب السيوطي - رحمه الله تعالى - في هذا البحث وبينت مواضعها ، وكذلك وثقت جميع النصوص المنقولة من أي كتاب قديم أو حديث على قدر الوسع والطاقة .

٣. عزوت الآيات القرآنية إلى سورها مع ترقيمها ، والتقيد بالرسم العثماني .

٤. خرجت الأحاديث والآثار التي يرد ذكرها في الرسالة وحكمت عليها .
٥. ضبطت الأماكن والأعلام وما يحتاج إلى ضبط من الكلمات .
٦. ضبطت وشرحت الكلمات المبهمة والمشكلة ، وشرحت المصطلحات التي قد تصعب على القارئ .
٧. ترجمت الأعلام الواردة في الرسالة ، ومنهجي فيها هو الآتي :
- أ. الترجمة لكل الأعلام عدا المشهورة منها كالخلفاء الراشدين ومن يماثلهم شهرةً ، وربما اكتفيت في بعض التراجم بذكر الاسم كاملاً ومكان وتاريخ الوفاة .
- ب. الأعلام التي لم تبلغ المرتبة المذكورة آنفاً في شهرتها فإني أترجم لكل منها بحسب الحاجة طويلاً وقصراً .
- ج. الترجمة ستكون في أول موضع يرد ذكر العلم فيه في صلب الرسالة ، ثم إنني أترك الإشارة إلى أنه قد سبقترجمته محيلاً القارئ إلى الفهرس .
٨. زودت الرسالة بجملة من الفهارس الوافية المتعددة - كما جاء في الخطة - التي تخدم البحث وتقربه إلى القراء .
- هذا وقد واجهت بعض الصعوبات في البحث تتمثل في الآتي :
- أ - لم تكن هناك دراسة لمنهج المتأخرين عامة في الإعجاز ، والسيوطي خاصة ، فكان ابتداء مثل هذه الدراسة فيه بعض الصعوبة .

ب - كبر حجم الرسالة واحتواؤها على علوم متنوعة كان الإعجاز واحداً منها ،
كما سيأتي بيانه في صلب الرسالة .

ج - ضمّ كتاب ((معترك الأقران)) مباحث متنوعة كثيرة في علمي البلاغة
وأصول الفقه ، فكان لزاماً عليّ أن أبذل جهداً في دراسة هذين العلمين - خاصة
علم البلاغة - وذلك لاستيعاب وفهم المباحث المتعلقة بهما الواردة في الكتاب .

د - في الكتاب عدّة مسائل تحتاج إلى تحقيق وبيان ، وفيه بعض الشبهات المرسلّة
بغير تفنيد ، وقد تطلب بيان كلّ ذلك جهداً كبيراً ، أسأل الله - تعالى - أن
يثيب كاتبه وقارئه عليه خير الثواب .

وهناك بعض المصاعب المتعلقة ببعض المباحث الجزئية في الرسالة سيُعرف
كيفية تناولها أثناء قراءة البحث .

هذا ولا يسعني إلا شكرُ الله - تعالى - المنعم المتفضل ، ثم شكر المشرف
الكريم الأستاذ الدكتور عبدالستار سعيد الذي بذل لي من جهده ووقته ما أرجو أن
يكون في صحيفة أعماله يوم يلقي الله - تبارك وتعالى - ولقد نفعتني الله بعلمه
وخلقه ، ورأيت من صبره وتحمله ، وعلمت من عزمه وفضله ما أسأل الله -
تبارك وتعالى - أن يسلكه بذلك كله في سلك العلماء العاملين .

وأشكر كذلك الأستاذين الكريمين الدكتورين المناقشين الفاضلين الذين تكبدا
مشاقّ قراءة الرسالة لإرشادي لما حصل فيها من خطأ أو تقصير ، جعل الله ذلك في
موازين أعمالهما ، وأجزل لهما الأجر ، وأعظم لهما المثوبة ، آمين .

وأشكر الجامعة العريقة - جامعة أم القرى - على ما تبذله من جهد لخدمة كتاب الله ، تبارك وتعالى ، وسنة نبيه صلى الله عليه وسلم ، مما يجعلها في مصاف الجامعات الإسلامية الرائدة .

وأشكر - كذلك - قسم الكتاب والسنة على كريم عنايته بكتاب الله وسنة رسوله - صلى الله عليه وسلم - وعلى متابعتة طلابه بالعناية والإرشاد .

وهذا وقد بذلت غاية جهدي في هذه الرسالة ، فما فيها من خير وصواب فهو من الله تعالى ، وما فيها من خطأ أوتقصير فهو مني ومن الشيطان ، وأستغفر الله منه ، ولا حول ولا قوة إلا بالله .

هذا والحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للعالمين ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

البَابُ الْأَوَّلُ

الإعجاز القرآني وأوجه دراسته عند العلماء قبل
الإمام السيوطي

وفيه فصلان :

الفصل الأول : الإعجاز القرآني مفهوماً وتاريخاً .

الفصل الثاني : طرائق التدوين في الإعجاز القرآني .

الفصل الأول : الإعجاز القرآني مفهومًا وتاريخاً .

المبحث الأول : معنى مصطلح الإعجاز القرآني . (ص : ٢٥-٥٧)

المبحث الثاني : نشأة علم الإعجاز وتدوينه ، وجهود العلماء في دراسته . (ص : ٥٨-٩١)

المبحث الثالث : الإعجاز عند أهل السنة والرد على المخالفين . (ص : ٩٢-١١٩)

المبحث الأول : معنى مصطلح الإعجاز القرآنيّ

الكلام على التعريف سيكون منصباً على الإعجاز والمعجزة وتحقيق معناه لغاً واصطلاحاً ؛ وذلك لأن الموضوع في الإعجاز ، وتحقيق معناه ومعنى المعجزة من صلب الموضوع ، وأيضاً قد اختلفت أنظار العلماء في تحديد تعريف جامع مانع للإعجاز والمعجزة اختلافاً بيناً ، فكان من المهم التوسع في الكلام عليهما .

أما الكلام على القرآن العظيم ، وذكر تعريفه ، وكلام العلماء فيه فسيكون موجزاً ؛ لوضوحه وشهرته .

وسأتكلم - إن شاء الله تعالى - على الإعجاز في اللغة والاصطلاح ، ثم أردفه ببيان المعجزة وتفصيل الكلام على حدّها ، وبعد ذلك أوجز الكلام على تعريف القرآن الكريم ، ثم أذكر معنى مصطلح (الإعجاز القرآني) .

الإعجاز في اللغة :

جاء في ((معجم مقاييس اللغة)) :

فالإعجاز - على هذا - هو القُوَّة والسبق^(١) بالنظر إلى حال المُعْجِز ، وهو الضعف بالنظر إلى حال العاجز .

وقد يُجمع بين أصليَّ معنى الإعجاز فيقال :
((العجز أصله التأخر عن الشيء وحصوله عند عَجْز الأمر أي مؤخِّره ... وصار في التعارف اسماً للقصور عن فعل الشيء ، وهو ضد القدرة ، قال :
﴿ أَعْجَزْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾^(٢) .

وأعجزتُ فلاناً وعَجَزْتُهُ وعاجزته : جعلته عاجزاً ، قال :
﴿ وَأَعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾^(٣) ، ﴿ وَمَا أَنْشُرِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ ﴾^(٤) ،
﴿ وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ ﴾^(٥) ((^(٦) .

وقال صاحب ((تاج العروس)) :
((أعجزه : صيِّره عاجزاً ، أي عن إدراكه والحق به))^(٧) .
والتعجيز : النسبة إلى العَجْز^(٨) .

فمعاني العجز في اللغة تدور على الضعف والانقطاع وعدم القدرة على تحصيل الشيء .

-
- ١- ((لسان العرب)) : ع ج ز .
 - ٢- سورة المائدة : آية ٣١ .
 - ٣- سورة التوبة : آية ٢ .
 - ٤- سورة العنكبوت : آية ٢٢ .
 - ٥- سورة سبأ : آية ٥ .
 - ٦- ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصبهاني : ع ج ز .
وسبأني - إن شاء الله تعالى - تفصيل استعمال تصاريف فعل (عجز) في كتاب الله - تعالى - وأحاديث رسوله صلى الله عليه وسلم ، وفي بعض الآثار ، انظر ص ٤٣ وما بعدها .
 - ٧- ((تاج العروس)) : ع ج ز .
 - ٨- ((لسان العرب)) : ع ج ز .

((والإعجاز : إفعالٌ من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير))^(١) .

المعنى الاصطلاحي للإعجاز :

((والإعجاز في الكلام هو أن يؤدي المعنى بطريق هو أبلغ من جميع ما عداه من الطرق))^(٢) ، فيعجز عن الإتيان بمثله كلُّ من يحاوله ، فيصير هذا الكلام معجزاً للناس كلهم .

فهذا الذي سُمِّته هو معنى الإعجاز مطلقاً سواء الإعجاز الوارد بتصاريفه اللغوية في كلام الله تعالى أو الإعجاز الوارد في كلام البشر ، أما معنى الإعجاز القرآني خاصة فسيأتي قريباً ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

والمناسب الآن إيراد معنى المعجزة في اللغة والاصطلاح لقوة تعلقها بموضوع البحث ، وسوف أتناول تعريفها بشيء من التفصيل لاختلاف أنظار العلماء في تحديدها ، وضبط شروطها .

١ - ((بصائر ذوي التمييز)) : ٦٥/١ .

٢ - ((التعريفات)) : ٤٧ .

٣ - انظر ص ٥٣ .

المعجزة في اللغة :

المعجزة : اسم فاعل من الإعجاز ، وهي للأنبياء خاصة^(١) ، واهاء فيها للمبالغة ، والجمع معجزات^(٢) .

((واعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزةً هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها))^(٣) .

المعجزة في الاصطلاح :

أما المعنى الاصطلاحي للفظ المعجزة ففيه تفصيل ومناقشة قد تطول لكثرة كلام العلماء عليه واختلافهم فيه ، ولكني سأتي بالتعريف الذي ارتضاه الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - ثم آتي بما تدعو إليه الحاجة من كلام العلماء عليه وضبطهم له .

وإنما صنعت هذا لشهرة التعريف الذي ارتضاه الإمام السيوطي ، ولأن هذا البحث إنما وضع لدراسة منهج السيوطي في الإعجاز ، فكان الإتيان بالتعريف الذي ارتضاه - وإن كان من كتاب له آخر - أولى من غيره .

هذا وإن التعريف الذي ارتضاه جامع مانع - في تقديري - برغم الاعتراضات التي تُورد عليه والتي لا تؤثر في كونه جامعاً مانعاً كما سيأتي ، إن شاء الله تعالى .

١- كما استقر عليه الاصطلاح في القرون المتأخرة ، وسيأتي تفصيل الكلام على هذا ، إن شاء الله تعالى ،

انظر ص ٤٠ وما بعدها .

٢- ((تاج العروس)) ع ج ز .

٣- ((الشفا)) للقاضي عياض : ٣٤٩ / ١ .

وقد حدّد الإمام السيوطي المعجزة بأنها :
((أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة))^(١) .
وقد جرى على هذا التعريف كثير من العلماء^(٢) .

فأركان التعريف إذاً ثلاثة :

- ١- خرّق العادة .
- ٢- التحدي .
- ٣- السلامة من المعارضة .

أما الركن الأول - وهو خرّق العادة - فالكلام عليه من جوانب :

أحدها : معنى خرّق العادة ، فالعادة هي ما اعتاده الناس وألفوه ، وخرّقها معناه نقض هذه العادة ، وبجيء الأمر بخلاف ما اعتاده الناس فيها .

ثانيها : المعجزة إحدى الخوارق الستة :

وباقى الخوارق :

الإرهاص^(٣) : وهو ما يأتي من الدلائل قبل ظهور النبي .

والكرامة : وهي للأولياء .

١- ((الإيقان)) : ١١٦/٢ ، وسيأتي شرح المراد بالتفصيل ، إن شاء الله تعالى .

٢- نسبة الشيخ عبد الوهاب الشعراني إلى جمهور الأصوليين ، انظر ((البواقيت والجواهر)) : ١٥٧ .
واعتمده كذلك الشيخ إبراهيم البنيجوري في حاشيته : ((تحفة المريد على جوهرة التوحيد)) : ٩١ .

وارتضاه الشيخ القمطلاني في ((المواهب اللدنية)) : ٤٩٥ / ٢ ، وارتضاه غيرهم .

٣- مشتق من رَهَضَ الجدار وهو أساسه .

والإرهاص : الإنبات . ((لسان العرب)) : (ر ه ص) ، فكان الخوارق التي تظهر قبل بعثة النبي مؤسسة وداعمة لنبوته .

والمعوننة : وهي لتخليص العوام من الشدائد .

والاستدراج : للفاجر ، ويكون على طبق دعواه كما يحصل للدجال^(١) .

والإهانة : للفاجر أيضاً ، ولكنها على خلاف دعواه^(٢) .

أما السحر والشعوذة : فالصحيح أن هذا ليس خارقاً لأنه يُعتاد إذا عُرفت أسبابه وطرقه^(٣) .

وقد تُخلط المعجزة والكرامة فإن ((السلف - كأحمد^(٤) وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا^(٥) معجزاً ، ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات إذا لم يكن في اللفظ ما يقتضي اختصاص الأنبياء بذلك ، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فإن هذا يجب اختصاصه^(٦)))^(٧) .

ولكن الذي استقر عليه الاصطلاح هو أن المعجزة للأنبياء والكرامة للأولياء : قال شيخ الإسلام ابن تيمية^(٨) رحمه الله تعالى :

- ١- أي في ادعائه الألوهية ، وتسخير الله - تعالى - بعض مخلوقاته له استدراجاً ، والعياذ بالله .
- ٢- كما حصل لمسيلمة لما نقل في بئر فذهب ماؤها ، انظر ((البداية والنهاية)) : ٣٢٧/٤ ، فقد ورد فيها جملة مما جرى له من الإهانة .
- ٣- انظر ((حجة الله على العالمين)) : ١٢ - ١٣ .
- وسياتي في الصفحة القادمة - إن شاء الله تعالى - بيان أنه ليس السحر والشعوذة من الخوارق .
- ٤- هو إمام أهل السنة والجماعة : أبو عبد الله أحمد بن محمد بن حنبل الشيباني . ولد سنة ١٦٤ ، وتوفي سنة ٢٤١ ، ودفن ببغداد . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧٧/١١ - ٣٥٨ .
- ٥- أي المعجزة والكرامة .
- ٦- أي اختصاصه بالأنبياء .
- ٧- ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)) : ٤١٩/٥ .
- وانظر الفرق بين المعجزة والكرامة بالتفصيل في ((اليواقيت والجواهر)) : ١٦١ .
- ٨- هو أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ، أحد أئمة المسلمين المجتهدين . توفي سنة ٧٢٨ بدمشق مسجوناً . انظر ((الدرر الكامنة)) : ١٥٤/١ - ١٧٠ .

((وإن كان اسم المعجزة يعم كلَّ خارق للعادة في اللغة وعرف المتقدمين ، كالإمام أحمد بن حنبل وغيره ، ويسمونها (الآيات) ، لكن كثير من المتأخرين يفرق في اللفظ بينهما فيجعل المعجزة للنبي والكرامة للولي ، وجماعهما الأمر الخارق للعادة))^(١) .

الجنب الثالث من الكلام على (خرق العادة) هو :

مدى انضباط هذا الوصف على معجزات الأنبياء ؛ بمعنى : هل يكفي أن يقال إن المعجزة هي (أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ...) أم لابد من تقييد الخارق بقولنا مثلاً : أمر خارق للعادة يظهر على يد نبي ، مقرون بالتحدي ... ؟

يرى شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - وجوب ضبط الوصف وتقييده بجريان الخارق على يد نبي لأن ((الكهانة والسحر هو معتاد للسحرة والكهّان وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم^(٢) ، كما أن ما يعرفه أهل الطب والنجوم

١- ((مجموع الفتاوى)) : ٣١١/١١ - ٣١٢ .

٢- هناك فروق بين المعجزة وبين عمل السحرة تلخص في أن المعجزة تبقى هي أو أثرها بعد النبي زماناً ، والسحر سريع الزوال ، والمعجزة يظهرها الله على رؤوس الأشهاد وعظماء البلاد ، والسحر إما يروج أمره على الصغار وضعفاء العقول وجهلة الناس .

أما الفرق بين المعجزة والكهانة فهو أن المعجزة فعل خارق للعادة يقوم مقام تصديق الله - تعالى - النبي بالقول ، أما الكهانة فهي كلمات تجري على لسان الكاهن ربما توافق وربما تخالف ، وهناك فرق أيضاً في أن النبي لا يكون إلا كامل الخلق أما الكاهن فيكون مختل العقل ناقص الخلق ، مزوراً - غالباً - وأيضاً فإن الكاهن إذا ادعى النبوة بكهنته ربما قابله بدعواها كاهن آخر فلا يوجد فرق بينهما ، أما النبي إذا تحدى بمعجزة وقابله مدع كاذب فإنه لا يجوز أن يظهر على يده معجزة مثل معجزة الصادق فالله لا يصدق الكاذب .

((البواقيت والجواهر)) : ١٦١ - ١٦٢ بتصرف .

وقد ين أحد الباحثين - وهو الدكتور مصطفى مسلم - أن ((السحر والأعمال الدقيقة التي يمارسها بعض أهل الرياضات البدنية أو الروحية لا يدخل تحت اسم الخارق لأن لكل من تلك الأمور أساليب ووسائل يمكن لأي إنسان أن يتعلمها ويتقنها ويمارسها ، فإذا اتبع الأسباب والأساليب المؤدية إلى نتائجها أمكن بواسطة الجهد الشخصي والمران والممارسة أن يتوصل إلى تلك النتائج ، أما الأمور الخارقة فلا تدخل تحت طاقة البشر ، وليست لها أسباب تؤدي إليها)) : ((مباحث في إعجاز القرآن)) : ١٥٠ ، وانظر ((حجة الله على العالمين)) : ١٣ .

والفقه والنحو هو معتاد لنظرائهم وهو خارق بالنسبة إلى غيرهم))^(١).

وقال - أيضاً - رحمه الله :

((ليس مجرد كونه خارقاً للعادة كافياً لوجهين :

أحدهما : أن كون الشيء معتاداً وغير معتاد أمر نسبي إضافي ، ليس بوصف مضبوط تتميز به الآية^(٢) ، بل يعتاد هؤلاء ما لم يعتد هؤلاء ...

الثاني : أن مجرد ذلك مشترك بين الأنبياء وغيرهم ، وإذا خُصَّ ذلك بعدم المعارضة فقد يأتي الرجل بما لا يقدر الحاضرون على معارضته ويكون معتاداً لغيرهم كالكهانة والسحر ، وقد يأتي بما لا يمكن معارضته وليس بآية لشيء لكونه لم يختص بالأنبياء ، وقد يقال في طب أبقراط^(٣) ونحو سيبويه^(٤) أنه لا نظير له ... وإذا خُصَّ الله طبيباً أو نحوياً أو فقيهاً بما ميزه به على نظرائه لم يكن ذلك دليلاً على نبوته وإن كان خارقاً للعادة))^(٥).

ثم إن من اعتراضات شيخ الإسلام ، رحمه الله تعالى ، على هذا الوصف - أي خرق العادة - أنه ((وصف لم يصفه القرآن والحديث ، ولا السلف))^(٦).

١- ((النبوات)) : ١٩ - ٢٠ .

٢- أي آية النبي وعلامة صدقه ، وهي المعجزة في الاصطلاح الحادث .

٣- هو بقرط - ويقال أبقراط - بن أبرقليس ، من كبار أطباء اليونان ، وتوفي سنة ٤٣٦ قبل الميلاد . له كتب عديدة في الطب . مات وله خمس وتسعون سنة عاش منها صبيهاً ومتعلماً ١٦ سنة وعالمها ٦٩ سنة . انظر ((نزهة الأرواح وروضة الأفراح)) : ١٩٦ - ٢٠٢ ، و ((الفهرست)) : ٥٧٥ ، ٥٧٧ .

٤- إمام النحو ، حجة العرب ، أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر ، الفارسي ثم البصري . طلب الفقه والحديث مدة ، ثم أقبل على العربية فبرع وساد أهل العصر . كان فيه مع قُرْط ذكاته حُبْسَةٌ في عبارته وانطلاق في قلبه . وسمي (سبويه) - وهي كلمة فارسية - لأن وحتيته كانتا كالفاحتين . عاش اثنتين وثلاثين سنة وقيل أربعين ، ومات سنة ثمانين ومائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٨ / ٣٥١ - ٣٥٢ .

٥- ((النبوات)) : ٢٣ .

٦- المصدر السابق : ١٩ .

وليس الاعتراض لكونه وصفاً حادثاً ؛ إذ جُلَّ أوصاف العلوم حادثة ، لكن
الاعتراض لعدم انضباط الحادث ، كما انضبط وصف الآية ونحوها .

وقد جعل ابن تيمية - رحمه الله - التمسك بهذا الوصف سبباً ضلال
المعتزلة^(١) في هذا الباب إذ ((ظنوا أن مجرد كون الفعل خارقاً للعادة هو الآية على
صدق الرسول فلا يجوز ظهور خارق إلا لني ، والتزموا - طرداً لهذا - إنكار أن
يكون للسحر تأثير خارج عن العادة^(٢) مثل أن يموت ويمرض^(٣) بلا مباشرة شيء ،
وأنكروا الكهانة ، وأن تكون الجن تخبر ببعض الغيبات ، وأنكروا كرامات
الأولياء))^(٤) .

ثم يصل شيخ الإسلام إلى الوصف الذي يرتضيه في (خارق العادة) فيقول :
((فالذين سمو هذه الآيات خوارق للعوادات وعجائب ومعجزات إذا جعلوا ذلك
شرطاً فيها وصفة لازمة لها بحيث لا تكون الآيات إلا كذلك فهذا صحيح ... وأما
إذا جعلوا ذلك حداً لها وضابطاً فلا بد أن يقيّدوا كلامهم مثل أن يقولوا : خوارق
للعادات التي تختص الأنبياء^(٥) ، أو يقولوا : خوارق عادات الناس كلهم غير
الأنبياء ، فإن آياتهم لا بد أن تخرق عادة كل أمة من الأمم وكل طائفة من
الطوائف))^(٦) ، وهذه الأمم المذكورة يدخل فيها طوائف الجن^(٧) .

١- المعتزلة فرقة من فرق الضلال نشأت في أواخر القرن الأول ، ولهم أصول في الاعتقاد يقولون بها منها خلق العباد
لأفعالهم ، ومنها نفي رؤية الله في الآخرة ، ومنها نفي الصفات ويسمون ذلك توحيداً ، ومنها ثبوت المنزلة بين
المنزلتين لمرتكب الكبيرة وغير ذلك ، انظر في تفصيل أقوالهم : ((لواع الأنوار البهية)) : ٧٦/١ وما بعدها .

٢- أي خارق للعادة .

٣- أي المسحور..

٤- ((النبوات)) : ١٥٠ .

٥- أي خوارق حارية على يد الأنبياء .

٦- ((النبوات)) : ٣٢٠ .

٧- المصدر السابق : ٣٢٧ .

وخلاصة اعتراض شيخ الإسلام على إطلاق خرق العادة على الآية والمعجزة أنه يجب تقييدها إذا أطلقت بأنها خرق العادات على يد الأنبياء ، وبأن خرق العادة شرط في كل معجزة ولا يصلح أن يكون حدًّا لها .

ولكنني أرى والله أعلم - ردًّا على الاعتراض الأول - أنه لا منافاة بين ما أراده شيخ الإسلام من تقييد ، وبين ما أطلقه من حدِّ المعجزة بأنها (أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة) ، وذلك لأن السائل عن حد معجزة النبي يقال له مثلاً : معجزة النبي هي أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم من المعارضة .

وإنما وضع العلماء ذلك التعريف لبيان معجزات الأنبياء لا خوارق غيرهم ؛ فذكر النبي في حد المعجزة لا بد منه حقيقة أو حكماً ، والله أعلم .

أما اعتراضه الآخر على من حد المعجزة بأنها خرق عادة فقط فإني لم أجد من حدَّ المعجزة بأنها خرق عادة فقط إلا مانسبه شيخ الإسلام إلى المعتزلة^(١) ، لكن غالب من حدَّ المعجزة أضاف إلى خرق العادة كونها مقرونةً بالتحدي سالمة من المعارضة وتكون على يد نبي أو رسول ، وبهذا يندفع الاعتراض على ركن خرق العادة من حد المعجزة المذكور في هذا البحث ، والله أعلم .

الركن الثاني من أركان تعريف المعجزة : التحدي :

أي أن يتحدى الرسول الناس أن يأتوا بمثل ما أتى به من آيات .
وفي هذا القيد كلامٌ طويل ألخصه فيما يأتي :

أولاً : اشتراط التحدي ليس عليه دليل .^(١)

ثانياً : أكثر معجزات رسول الله - صلى الله عليه وسلم - كانت بلا تحد ، بل لعله - صلى الله عليه وسلم - لم يتحد بغير القرآن ، إذ لم ينقل عنه أنه تحدى بغيره^(٢) .

ثالثاً : قد سمى الله طلب الكفار من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - معجزة تدل على صدقه آية^(٣) ولم يشترط - سبحانه - تحدياً ، فقال : ﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾^(٤) .

وقال تعالى : ﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَتْهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ ﴾^(٥) .^(٦)

رابعاً : مما يلزم القائلين بشرط التحدي ((أن ما كان يظهر على يد النبي - صلى الله عليه وسلم - في كل وقت من الأوقات ليست دليلاً على نبوته ؛ لأنه لم يكن كلما ظهر شيء من ذلك احتج به وتحدى الناس بالإتيان بمثله ، بل لم ينقل عنه التحدي إلا في القرآن خاصة^(٧) ، ولانقل التحدي عن غيره من الأنبياء مثل موسى والمسيح وصالح ، ولكن السحرة لما عارضوا موسى أبطل معارضتهم))^(٨) .

١- ((المواهب اللدنية)) : ٤٩٧/٢ .

٢- ((النبوات)) : ١٧٨ ، و ((المواهب اللدنية)) : ٤٩٨/٢ .

٣- أي سماها الله تعالى آية .

٤- سورة الإسراء : آية ٥٩ .

٥- سورة الأنعام : آية ١٠٩ .

٦- ((المواهب اللدنية)) : ٤٩٨/٢ .

٧- وذلك لأن الله تحداهم بالقرآن في قوله تعالى : ﴿ فَأَتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ ﴾ البقرة : ٢٣ ، وفيما سبق نزولها من آيات التحدي ، ويقرر شيخ الإسلام أن القرآن إنما تحداهم لما قالوا إنه افتراه ، ولم يتحدّهم به ابتداءً ، انظر ((النبوات)) : ٢٩٣ .

٨- ((النبوات)) : ١٧٧ - ١٧٨ .

هذه خلاصة الأقوال في رد اشتراط التحدي في المعجزة .

لكن قد بين علماء آخرون أن المراد من التحدي أمر آخر غير المتبادر إلى الذهن وهو طلب المعارضة ، فقد قال الشيخ عبد الوهاب الشعراني^(١) ، رحمه الله تعالى :

((المراد بالتحدي هو الدعوى للرسالة^(٢) ، وفيما قلنا تنبيه على أنه ليس الشرط الاقتران بالتحدي . بمعنى طلب الإتيان بالمثل الذي هو المعنى الحقيقي للتحدي وإنما المراد أنه يكفي دعواه الرسالة ، فكل من قيل له : إن كنت رسولاً فاتنا بمعجزة فأظهر الله - تعالى - على يديه معجزاً كان ذلك دليلاً على صدقه نازلاً بمنزلة التصريح بالتحدي))^(٣) .

وكذلك بين الشيخ إبراهيم البيهقي^(٤) - رحمه الله تعالى - أن التحدي هو مجرد دعوى الرسالة أو النبوة^(٥) .

ويقارب هذا ما قاله إمام الحرمين^(٦) رحمه الله تعالى :

١- هو الشيخ عبد الوهاب بن أحمد الشعراوي والشعراني الشافعي ، محدث ، فقيه ، أصولي . من كبار متصوفة عصره . من كلامه : دوروا مع الشرع حيث دار لامع الكشف فإنه قد يخطيء . توفي سنة ٩٧٣ في القاهرة بعد أن عُمر . انظر ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٣٧٢ - ٣٧٤ .

٢- ذكر ذلك ابن تيمية لكنه - فيما يبدو من سياق الكلام - لم يرتضه ، انظر ((الجواب الصحيح)) : ٤٢٣/٥ .
٣- ((البواقيت والجواهر)) : ١٥٧ .

٤- هو الشيخ إبراهيم بن محمد البيهقي . ولد سنة ١١٩٨ بـ (بيجور) قرية من قرى مصر . نشأ في حجر والده وقرأ عليه القرآن ، ثم قدم إلى الأزهر لأجل تحصيل العلوم سنة ١٢١٢ ، واشتغل واجتهد حتى صار عمدة في العلوم . وله تأليف عديدة . تولى مئبخة الجامع الأزهر سنة ١٢٦٣ . توفي في القاهرة سنة ١٢٧٦ ، رحمه الله تعالى . انظر ((حلية البشر)) : ١١-٧/١ .

٥- ((تحفة المريد)) : ٩١ .

٦- هو الشيخ الإمام أبو المعالي عبد الملك بن الإمام أبي محمد عبد الله بن يوسف الجويني ثم النيسابوري ضياء الدين الشافعي ، صاحب التصانيف . ولد سنة ٤١٩ . تفقه وشاع ذكره ، ودرس بالمدرسة النظامية بنيسابور .

وتفقه به أئمة . رجع آخر عمره مذهب السلف في الصفات وأقره . توفي سنة ٤٧٨ بنيسابور .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٤٦٨ - ٤٧٧ .

((ثم يكفي في التحدي أن يقول : آية صدقي أن يحيي الله هذا الميت ، وليس من شرط المتحدي أن يقول : هذه آيتي ولا يأتي أحد بمثلها ، فإن الغرض من التحدي ربط الدعوى بالمعجزة وذلك يحصل دون أن يقول : ولا يأتي أحد بمثلها))^(١) .

وقوله ((ثم يكفي في التحدي أن يقول : آية صدقي أن يحيي الله هذا الميت)) لا يشترط فيه قوله بلسان المقال بل يكفي لسان الحال ؛ إذ أن معظم معجزات الأنبياء لم ينقل عنهم أنهم صرحوا فيها بمثل هذا ، والذي انقده في أذهان مشاهديها هو أن ذلك آية على صدق الأنبياء والرسل .

ويمكن تقسيم ما يظهر على يد أي نبي من الخوارق المعجزة إلى نوعين :

الأول : ما يراد به إثبات الرسالة ، وشرطه التحدي الصريح أو على الوجه الذي ذكرته ، أو التصريح بأن هذا الخارق المعجز هو دليل الرسالة ؛ كالقرآن العظيم وبعض معجزات الأنبياء للأول ، وهو التحدي ، والثاني كقول نبي الله صالح - عليه الصلاة والسلام :

﴿ هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةٌ ۖ ﴾^(٢) .

النوع الآخر : أن يظهر الخارق على يديه بلا اقتزان بدعوى الرسالة ، وهذا لا يشترط فيه التحدي ، بل قد لا يعلمه الكفار أصلاً فيقع بين المؤمنين فقط كنبع الماء من بين أصابع النبي - صلى الله عليه وسلم - الشريفة ، وغيره .

ويندفع بهذا التقسيم الاعتراض على اشتراط التحدي في المعجزة ، أما التوجيه السابق للتحدي فإنه على اعتبار أن كل ماجاء به الأنبياء متحدياً به ، والله أعلم .

١- ((الإرشاد)) : ٢٦٥ .

٢- سورة الأعراف : آية ٧٣ .

وبهذا يستقيم - إن شاء الله - قيد التحدي في المعجزة ولا ينحرم باعتراض مَنْ ذكرتهم ، والله أعلم .

الركن الثالث من أركان تعريف المعجزة : عدم المعارضة :

هي ألا يأتي أحد بمثل ما أتى به المتحدي على وجه المعارضة^(١) . أو ألا يظهر بين المرسل إليهم ذلك الخارق^(٢) المعجز على يد غير نبي .

ولشيخ الإسلام ابن تيمية رأي في مسألة المعارضة هذه إذ يصفها بعدم الانضباط ؛ وذلك لأن السحرة والكهان أتوا بأمور لم تعارض^(٣) .

((والعنسي^(٤) ومُسَيْلَمَة^(٥) لم يعارضا في مكانهم ووقت إغوائهم^(٦) ، وإن قال^(٧) : لا يعارض ألبتة فمن أين يُعلم هذا عدم ؟))^(٨) .

ولكن ظهر لي - والله أعلم - أنه ليس هناك تناقض بين ما قرره الجمهور وهو اشتراط عدم المعارضة في المعجزة وبين كلام شيخ الإسلام ؛ وذلك لأنه يقرر

١- ((حجة الله على العالمين)) : ١١ .

٢- ((البواقيت والجواهر)) : ١٥٧ .

٣- انظر في الفرق بين المعجزة وعمل السحرة والكهان صفحة ٣١ .

٤- عُبَيْلَة بن كعب بن غوث ، ظهرت دعوته في اليمن سنة عشر من الهجرة آخر حياة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وتنبأ ، وحجرت له معارك صفا له بعدها اليمن بتمامه ، وارتد خلق من أهل اليمن ، ثم قتل بعد أربعة أشهر من عروجه تقريباً وذلك في ربيع الأول سنة ١١ هـ .

انظر ((البداية والنهاية)) : ٦ / ٣٠٧ - ٣١١ ، ٣٤٠ .

٥- مسيلمة بن حبيب اليمامي ، وفد إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم مع قومه بني حنيفة ، ثم تنبأ وكان له شأن في أيام الردة حتى قتله المسلمون بعد حروب عظيمة . وكان يدعي أنه يوحى إليه ، وما أتى به كلام في غاية السخف . انظر ((البداية والنهاية)) : ٦ / ٣٢٣ - ٣٢٧ ، ٣٤١ - ٣٤٢ .

٦- كذا في الأصل ، والصحيح : في مكانهما ووقت إغوائهما .

٧- أي المشترط للمعارضة .

٨- ((النبوات)) : ٢٨٣ .

أن عدم المعارضة من جملة صفات المعجزة لا أن هذا وحده كاف فيها^(١) ، وهذا ما يقرره الجمهور أيضاً . وبهذا يظهر أنه لاختلاف حقيقي في اشتراط عدم المعارضة للمعجز ، والله أعلم .

ومما سبق كله يظهر أن تعريف المعجزة الذي ساقه السيوطي جامع مانع ، إن شاء الله تعالى .

شروط المعجزة :

قد اعتبر كثير من المحققين عدة شروط في المعجزة ، منها :
١- أن تكون خارقة للعادة .

٢- أن تكون على يد الجائي بالنبوة أو الرسالة ، فخرج بذلك الكرامة والمعونة والاستدراج والإهانة^(٢) .

٣- أن تكون مقرونة بدعوى النبوة أو الرسالة حقيقة أو حكماً بأن تأخرت بزمن يسير ، وخرج بذلك الإرهاص ؛ وهو ما كان قبل الرسالة والنبوة تأسيساً لها .

٤- موافقتها للدعوى ، وخرج بذلك كما إذا قال : آية صدقي انفلاق البحر فانفلق الجبل .

٥- ألا تكون مكذبة لمدعيها كما إذا قال : آية صدقي نطق هذا الجماد فنطق بأنه مفتر كذاب .

١- أي على سبيل الحد والتعريف ، وانظر المصدر السابق .

٢- سبق بيان ضوابط هذه المصطلحات الأربعة ، انظر ص ٢٩ ، ٣٠ .

٦- عدم المعارضة .

٧- ألا تكون زمن نقض العادة كزمن طلوع الشمس من مغربها^(١) .

إطلاق المعجزة على آيات الأنبياء :

كان السلف من صحابة وتابعين ومن تبعهم من أهل القرون المفضلة يسمون ما جاءت به الأنبياء دلالةً على صدقهم : آياتٍ وبراهين ودلائل ، وذلك اقتفاء لطريقة القرآن في تسميتها كذلك ، ثم نشأ مصطلح المعجزة وفشا استعماله بين الناس^(٢) .

فهل هذا المصطلح : (المعجزة) كاف للدلالة على آيات الأنبياء ؟

يرى عدد من الأئمة أنه غير كاف والأولى استعمال المصطلحات القرآنية كالآية والبرهان^(٣) ، وذلك للأسباب التالية :

أولاً : لأن الله - تعالى - سماها كذلك فلم تتجاوز التسمية الإلهية لها وهي خير وبركة ؟

ثانياً : الآية والبرهان وما يماثلهما من التسمية القرآنية مطابق لمسامه مطّرد لا ينتقض^(٤) ، والآية مستلزمة لصدق النبي فلا يُتصور أن توجد مع انتفاء صدق من أخبر أن الله أرسله^(٥) بخلاف مدعي المعجزة كذباً فإن ما يأتي به شاهد على كذبه .

١- ((تحفة المريد على جوهره التوحيد)) : ٩١ بتصرف .

٢- سيأتي في المبحث القادم - إن شاء الله تعالى - بيان ذلك بالتفصيل ، انظر ص ٦٩ وما بعدها .

٣- سيأتي - إن شاء الله تعالى - بيان الألفاظ القرآنية الدالة على معنى الإعجاز بالتفصيل ، انظر ص ٤٧ .

٤- ((النبوات)) : ٢٨٩ .

٥- المصدر السابق : ٢٨٧ .

ثالثاً : ((المعجزة لا تستلزم ثبوت النبوة إلا بشرط ، أما الآيات فهي شهادة بالنبوة وتصديق للمخبر ، فهي تستلزم ثبوت النبوة في نفسها ، وأن صاحب الآيات قد نبأه الله وأوحى إليه كما أوحى إلى غيره من الأنبياء ، وتستلزم أيضاً صدق الإخبار بأنه نبي ، فهو إذا قال : إني نبي ، كان صادقاً ، وكذلك كل من أخبر بنبوته فإنه يكون صادقاً))^(١) .

((ولهذا لم يسمها الله في كتابه إلا آيات وبراهين ، فإن ذلك اسم يدل على مقصودها ، ويختص بها لا يقع على غيرها لم يسمها معجزة ولا خرق عادة وإن كان ذلك من بعض صفاتها ، فهي لا تكون آية وبرهاناً حتى تكون قد خرقت العادة وعَجَزَ الناسُ عن الإتيان بمثلها ، لكن هذا بعض صفاتها وشرط فيها ، وهو من لوازمها ، لكن شرط الشيء ولازمه قد يكون أعم منه ، وهؤلاء جعلوا مسمى المعجزة وخرق العادة هو الحد المطابق لها طرداً وعكساً))^(٢) .

رابعاً : المعجزة قد تطلق على غير آيات الأنبياء :

كان كثير من أهل الكلام لا يسمي الخارق معجزةً إلا ما كان للأنبياء - عليهم الصلاة والسلام - فقط ، ومن أثبت للأولياء خوارق عادات - وهم الجمهور - سماها كرامات ، والسلف كانوا يسمون ما وقع للأنبياء وما وقع للأولياء من خوارق معجزةً كالإمام أحمد وغيره ، بخلاف ما كان آية وبرهاناً على نبوة النبي فإن هذا يجب اختصاصه به^(٣) .

١- ((النبوات)) : ٢٩٩ .

٢- المصدر السابق : ٣١٠ - ٣١١ .

وقد سبق الكلام على رأي شيخ الإسلام في كون المعجزة خرقاً للعادة والاكتفاء في حدها بذلك ، انظر ص ٢٩ وما بعلمها .

٣- شرح الزرقاني على المواهب : ٨١/٥ ، وكأن القسطلاني نقله عن ((الجواب الصحيح)) : ٤١٩/٥ لشدة تقارب ألفاظ الكاتين ، والله أعلم .

وقد حاول بعض المتكلمين - فيما نقله عنهم الفاسي^(١) في شرح ((الدلائل)) - أن يوفقوا بين مصطلحي الآية والمعجزة في تعريف ما جاءت به الرسل من خوارق فقالوا :

((إن ما يظهر على يديه^(٢) من ذلك مما لا يُتحدى به يسمى آية فقط ودليلاً ، لكن مجموع الآيات في حق الأنبياء معجزة لانضمامه للمعجزة وكثرته))^(٣) .

لكن الله - تعالى - سمى كل ذلك آيات فبطل ما حاولوه من توفيق ، والله أعلم .

١- هو الشيخ محمد المهدي بن أحمد بن علي الفاسي الفهري ، أبو عيسى . مؤرخ محدث . ولد بفاس سنة ١٠٣٣ . كان لا يأكل إلا من عمل يده بالنسخ ، ولا ينسخ لمن في ماله شبهة . له عدة مصنفات . توفي بفاس سنة ١١٠٩ . انظر ((الأعلام)) : ١١٢/٧ - ١١٣ .

والشرح المذكور هو ((مطالع المسرات بجلاء دلائل الخيرات)) ، وهو مطبوع كما في ((الأعلام)) : ١١٣/٧ .

٢- أي الرسول .

٣- ((حجة الله على العالمين)) : ١٢ .

ورود ألفاظ الإعجاز والمعجزة وتصاريফهما في كتاب الله تعالى ، وفي الأحاديث والآثار :

أما مصطلحا : (الإعجاز) و (المعجزة) فلم يأتيا بلفظهما هذا في كتاب الله - تعالى - ولا في أحاديث سيد المرسلين - صلى الله عليه وسلم - بهذا المعنى لهذا القصد ، وإنما وردا لمعانٍ آخرَ قريبةٍ من المعنى المقصود في هذا البحث .
فمما جاء في كتاب الله - تعالى - من تصاريف لمادة (ع ج ز)^(١) :

١. ﴿عَجَزْتُ﴾ من قوله تعالى :
﴿أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَذَا الْفَرَابِ﴾^(٢) ومعنى ﴿أَعَجَزْتُ﴾ - هنا - :
أضعف إدراكي وعقلي ، وجهلت ، وهو استفهام إنكاري^(٣) .

٢. ﴿نُعْجِزُ﴾ من قوله تعالى :
﴿وَأَنَا ظَنُّنَا أَنَّ لَنْ نُعْجِزَ اللَّهَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْ نُعْجِزَهُ هَرَبًا﴾^(٤)
ومعنى ﴿نُعْجِزُ﴾ - هنا - نفوت ونغلب ، أي ((نعلم أن قدرة الله حاکمة علينا ، وأنا لانعجزه في الأرض ولو أمعنا في الهرب ، فإنه علينا قادر لا يعجزه أحد منا))^(٥) .

٣. ﴿لِيُعْجِزَ﴾ من قوله تعالى :
﴿وَمَا كَانَتْ لِّلَّهِ لِيُعْجِزَهُ مِن شَيْءٍ﴾^(٦) ، وهو مضارع أعجزَ .

١- انظر تفصيل ذلك في ((المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)) : ع ج ز .

٢- سورة المائدة : آية ٣١ .

٣- انظر ((البحر المحيط)) : ٤٦٦/٣ .

٤- سورة الجن : آية ١٢ .

٥- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢٦٩/٨ . وانظر ((روح المعاني)) ١١٠/١٠ .

٦- سورة فاطر : آية ٤٤ .

٤. ﴿يُعْجِرُونَ﴾ من قوله تعالى :

﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِرُونَ﴾^(١) والمعنى - هنا وفيما قبله - مأخوذ من أعجز : أي غلب وفات ، أي لا يفوت الله شيء ولا يغلبه شيء ، سبحانه وتعالى^(٢) .

٥. ﴿مُعْجِرِينَ﴾ من قوله تعالى :

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِرِينَ﴾^(٣)

ومعنى ﴿مُعْجِرِينَ﴾ - هنا - ((ظانين ومقدرين أنهم يعجزوننا لأنهم حسبوا ألا بعث ولا نشور فيكون ثواب وعقاب))^(٤) .

٦. ﴿مُعْجِرٍ﴾ من قوله تعالى :

﴿وَمَنْ لَا يُحِبَّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِرٍ فِي الْأَرْضِ﴾^(٥) ، ومعجز اسم فاعل من أعجز .

٧. ﴿مُعْجِرِينَ﴾ من قوله تعالى :

﴿وَمَا أَنشُرِ بِمُعْجِرِينَ﴾^(٦) .

ومعناه - هنا ((فائتين : أعجزني الشيء فائتي ، أي لا يفوتنا عما أردنا بكم))^(٧) . أما استعمال فعل (عجز) وتصاريفه في الأحاديث والآثار فكثير ، وأكتفي بطائفة منها :

١- سورة الأنفال : آية ٥٩ .

٢- ((البحر المحيط)) : ٤ / ٥١٠ .

٣- سورة الحج : آية ٥١ .

٤- ((مفردات ألفاظ القرآن)) : ٣٣٤ ، وهناك أقوال في معنى ﴿مُعْجِرِينَ﴾ انظرها في ((تاج العروس)) :

ع ج ز .

٥- سورة الأحقاف : آية ٣٢ .

٦- سورة الأنعام : آية ١٣٤ .

٧- ((البحر المحيط)) : ٤ / ٢٢٦ .

١. (عَجَزَ) ، قال صلى الله عليه وسلم :

((التمسوها^(١) في العشر الأواخر ، فإن ضعف أحدكم أو عجز فلا يُغلبن على السبع البواقي^(٢))) .

ومعنى (عَجَزَ) - هنا - تأخر عن تحرّرها والتماسها ، إذ أن من معاني العجز التأخر عن الشيء^(٣) .

ويمكن أن يرادف العجز هنا الضعف ، وهو ضد القدرة ، فيكون اجتماعهما في الحديث من باب التفتن والتنوع في الألفاظ ، وذلك لأنني لم أجد - بعد البحث - من ذكر بأن (أو) هنا للشك من الرواة ، والله أعلم .

٢. (عَجَزَ) ، من قول الرسول - صلى الله عليه وسلم - :

((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس^(٤))) .

والعجز - هنا - معناه الضعف والانقطاع وعدم القدرة على التصرف في الأمور النازلة^(٥) .

٣. (عَجَزَ) ، من قول عمر - رضي الله عنه :

((رأيت أنه لو رعى الجذبة وترك الخصبه أكنت مُعَجَزَه ؟ قال : نعم))^(٦)

١- أي اطلبوا ليلة القدر .

٢- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصيام : باب فضل ليلة القدر ، والحث على طلبها ، وبيان محلها ، وأرجى أوقات طلبها : ٢٤٠/٨ .

٣- انظر ((مفردات ألفاظ القرآن)) : (ع ج ز) ، و ((تاج العروس)) : ع ج ز .

٤- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر : باب : كل شيء بقدر : ٢٠٤/١٦ .

وقال الإمام النووي ، رحمه الله تعالى :

((والكيس ضد العجز ، وهو النشاط والحدق بالأمور ، ومعناه أن العاجز قد قُدر عجزه ، والكيس قد قُدر كَيْسُهُ)) : ((شرح صحيح مسلم)) : ٢٠٥/١٦ .

٥- أخذت هذا المعنى من سياق الحديث ، ومن شرح النووي له الوارد في الهامش السابق .

٦- أخرجه الإمام مسلم في كتاب السلام : باب الطاعون والطيرة والكهانة ونحوها : ٢١١/١٥ .

وهذا مثل ضربه عمر لأبي عبيدة - رضي الله عنهما - حين عاب على عمر قراره بعدم دخول الجيش إلى الشام ، وكان على مقربة منها ، حين بلغه أن بها الطاعون ، وانظر القصة والمثل في شرح صحيح مسلم : ٢٠٨/١٤-٢١١ .

و (مُعْجَزٌ) اسم فاعل من (عَجَزَ) ومعناها - هنا - ناسبه إلى العجز والقصور ،
والعجز المقصود هنا نقيض الحزم^(١) .

٤ . (أعجز) ومنه : ((فطلبوها فأعجزتهم))^(٢)
أي لم يقدرُوا عليها ، وأعجزه الشيء فاتته وسبقه ، وأعجزني فلان إذا
عجزت عن طلبه وإدراكه .

هذه بعض الألفاظ الواردة في الكتاب والأحاديث والآثار لمادة (ع ج ز) ،
وظهر بهذا أن كلمتي : (الإعجاز) و (المعجزة) لم تستعملا للدلالة على إعجاز
كتاب الله - تعالى - في العصور الأولى ، وإنما استعمل فعل (ع ج ز)
وتصاريفه للدلالة قرينة من موضوع البحث .

١- انظر ((تاج العروس)): ع ج ز . وشرح صحيح مسلم للإمام النووي : ٢١١/١٥ .

٢- أخرجه الإمام مسلم في كتاب النذر : ١٠١/١١ .

وللهديث قصة في المرأة المسلمة التي أسرها المشركون ففرت منهم على العضاء - ناقة رسول الله ، صلى الله عليه

وسلم - وانظر قصتها في شرح الإمام النووي صحيح مسلم : ٩٩/١٢ - ١٠١ .

ألفاظ دالة على معنى الإعجاز والمعجزة في كتاب الله تعالى :

كان الصدر الأول من السلف يستخدمون الألفاظ القرآنية الدالة على معنى الإعجاز والمعجزة ، وقد جاءت هذه الألفاظ في كتاب الله - تبارك وتعالى - متنوعة في أسمائها قريبة في معانيها الدالة على معنى الإعجاز والمعجزة ؛ وهذه الألفاظ هي :

آية ، وسلطان ، وبرهان ، وبصيرة ، وبينة .

وهي كلها دالة على معنى (المعجزة) ، وإن كانت تفضلها كما بينت قبل هذا ^(١) .

وسأين هنا معنى كل لفظ بإيجاز :

١- أما (الآية) فهي في اللغة : العلامة ^(٢) .

ومعناها في الاصطلاح : العلامة الدالة على عظيم قدرة الله تعالى وصدق المرسل فيما ادعاه ^(٣) .

قال تعالى : ﴿ وَحَٰمِلُنَا أَبْنَاءَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُنَّ آيَةٌ ﴾ ^(٤) .

أي معجزة أو علامة على قدرة الله ^(٥) .

وقال تعالى : ﴿ تَخْرُجُ بَيِّنَاتٌ مِّنْ غَيْرِ سُوءِ آيَةٍ أُخْرَى ﴾ ^(٦) أي : معجزة ^(٧) .

١- انظر ص ٤٠ وما بعدها .

٢- ((معجم مقاييس اللغة)) : أي ي .

٣- انظر في معناها ((معجم ألفاظ القرآن الكريم)) : ١ / ٧٣ .

٤- سورة المؤمنون : آية ٥٠ .

٥- ((معجم ألفاظ القرآن الكريم)) : ١ / ٧٤ .

٦- سورة طه : آية ٢٢ .

٧- ((معجم ألفاظ القرآن الكريم)) : ١ / ٧٤ .

٢- (والسلطان) : الحجة^(١) .

قال - تعالى - قاصاً كلام الكافرين :

﴿ إِن أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا عَمَّا كَانَتْ يَعْبُدُ آبَاؤُنَا فَاثُونًا بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ ﴾^(٢) :

((أي خارقٍ نقترحه عليكم))^(٣) ، والخارق هو الخارق للعادة ، فالسلطان هنا

قريب من معنى المعجزة .

ثم قال تعالى قاصاً كلام الرسل :

﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَمَا كَانَ لَنَا أَنْ نَأْتِيَكُمْ بِسُلْطَانٍ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَعَلَىٰ اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾^(٤) .

ففي الآية الأولى طالب الكفار رسلهم بسلطان - أي بحجة وآية تدل على

صدقهم - فلم ينف الرسل أنهم مرسلون لكنهم بينوا أن السلطان إنما يأتي به الله ،

تعالى ، إن شاء بإذنه ، وليس لهم يدٌ في هذا .

٣- (البرهان) :

وهو بمعنى (السلطان) وهو الحجة والبينة^(٥) ، وقيل هو ((بيان للحجة ...

فالبرهان أوكد الأدلة ، وهو الذي يقتضي الصدق أبداً لا محالة))^(٦) .

قال تعالى : ﴿ يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَهُمْ بُرْهَانٌ مِنْ رَبِّكَمْ ﴾^(٧) .

والبرهان هنا : ((الدليل القاطع للعدر ، والحجة المزيللة للشبهة))^(٨) .

١- ((معجم مقاييس اللغة)) : سلط .

٢- سورة إبراهيم : آية ١٠ .

٣- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٤٠٢/٤ .

٤- سورة إبراهيم : آية ١١ .

٥- المصدر السابق : ٢٢٢/١ ، وانظر ((معجم ألفاظ القرآن الكريم)) : ١ / ٩٦ .

٦- ((مفردات ألفاظ القرآن)) : (ب ره) .

٧- سورة النساء : آية ١٧٤ .

٨- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٤٣٤ / ٢ .

و ((الجمهور على أن البرهان هو محمد - صلى الله عليه وسلم - وسماه برهاناً لأن
منه البرهان وهو المعجزة))^(١) .

٤- (البصيرة) :

ومعناها قريب من (البرهان) وأصله وضوح الشيء ، ويقال : بَصُرْتُ بالشيء إذا
صرتُ به بصيراً عالماً^(٢) .

قال تعالى : ﴿ وَءَاثِنَا مُؤَدَّ النَّاقَةِ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾^(٣) :

أي ((دالة على وحدانية مَنْ خَلَقَهَا وصدق الرسول الذي أجيب دعاؤه فيها))^(٤) .
وقال تعالى :

﴿ قَدْ جَاءَكُمْ بِصَائِرٍ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ ﴾ :

والبصائر : الحجج البينات الظاهرات^(٥) .

٥- (البينة) :

وهي ((الدلالة الواضحة عقلية كانت أو محسوسة))^(٦) .

قال تعالى قاصداً خيرَ رسوله صالح - عليه الصلاة والسلام - :

﴿ يَنْقُورُ آعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ هَذِهِ نَافَةٌ اللَّهُ

لَكُمْ آيَةٌ ﴾^(٧) :

أي ((جاءتكم حجة من الله على صدق ما جئكم به))^(٨) .

١- ((البحر المحيط)) : ٣ / ٤٠٥ .

٢- ((معجم مقاييس اللغة)) : (ب ص ر) بتصرف .

٣- سورة الإسراء : آية ٥٩ .

٤- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٥ / ٨٩ .

٥- ((البحر المحيط)) : ٤ / ١٩٦ . والآية من سورة الأنعام : ١٠٤ .

٦- ((مفردات ألفاظ القرآن)) : (ب ي ن) .

٧- سورة الأعراف : آية ٧٣ .

٨- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٣ / ٤٣٦ .

هذه هي الألفاظ القرآنية التي أوردتها مقارنةً لمصطلح (المعجزة) من حيث المعنى والقصد ، وهي التي درج السلف على استعمالها قبل ظهور مصطلح (المعجزة) .

ظهور مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة)

لما يأت في مصادر الحديث والسيرة لفظُ (الإعجاز) و (المعجزة) - فيما بحث فيه ووقفت عليه - فإنه يصلح أن يوصف حال الكافرين إزاء القرآن العظيم بـ (الانقطاع) وهو الذي عبّر عنه بعد ذلك بـ (العجز) وعُبر عن مسببه بـ (المعجزة) .

فإذا كان الأمر كذلك فمتى ظهر مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) ؟

ظهر مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) في القرن الثالث الهجري ، على ما علمته ، وشاع استعمال هذين المصطلحين بعد ذلك ليؤيدا معنى الكلمات القرآنية - التي بينها سابقاً^(١) - مع أنها أدق وأبلغ .

وسياتي - إن شاء الله تعالى - بالتفصيل وقت بدء استعمال هذين المصطلحين وشيوعهما عند العلماء بعد الصدر الأول ، وذلك في الصفحات القادمة .

هذا ما تيسر من الكلام على الإعجاز وعلى المعجزة وشروطها وتسميتها ، وقد أظنبت في الكلام عليهما لأهمية مباحثهما ولعظيم تعلقهما بالإعجاز القرآني موضوع البحث ، ولن طال هذا المبحث قليلاً فقد حوى كثيراً مما تفرق في بطون الكتب مما رأيت أهمية جمعه وإثباته هاهنا ، والله الموفق .

١- انظر ص ٤٧ وما بعدها .

تعريف القرآن الكريم :

أما القرآن ، فيقال : (قرآن) ، و (قُرآن) بغير همز من باب التخفيف^(١) ، وهو ((اسم غير مشتق من شيء بل هو اسم خاص بكلام الله ، وقيل مشتق من القرئ وهو الجمع ، ومنه : قَرِيتُ الماء في الحوض أي جمعته))^(٢) .

((والقرآن في الأصل مصدر^(٣) نحو كُفِران ورجحان ... وقد خُصَّ بالكتاب المنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - فصار له كالعَلَم ... وقال بعض العلماء : تسمية هذا الكتاب قرآنًا من بين كتب الله لكونه جامعاً^(٤) لثمره كنبه^(٥) بل لجمعه ثمرة جميع العلوم))^(٦) .

وقال صاحب ((المناهل)) :

((هو في اللغة مصدر مرادف للقراءة ... ثم نُقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسماً للكلام المعجز المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - من باب إطلاق المصدر على مفعوله ، ذلك ما تختاره استناداً إلى موارد اللغة وقوانين الاشتقاق))^(٧) .

ثم ضعّف سائر ما قيل فيه من أقوال بقوله :

١- ((البرهان في علوم القرآن)) : ٢٧٩/١ .

٢- المصدر السابق : ٢٧٨/١ .

٣- أي مرادف للقراءة .

٤- كأنه لحظ المعنى اللغوي .

٥- أي كتب الله تعالى .

٦- ((مفردات ألفاظ القرآن)) : ٤١٤ .

٧- ((مناهل العرفان)) : ٧ / ١ .

((أما القول بأنه وصفٌ من القَرء بمعنى الجمع ، أو أنه مشتق من القرائن ، أو أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء ، أو أنه مرتبطل موضوع من أول الأمر علماً على الكلام المعجز المنزل غير مهموز ولا مجرد من (أل) ، فكل أولئك لا يظهر له وجه وجيه ، ولا يخلو توجيه بعضه من كُلفة ، ولا من بُعد عن قواعد الاشتقاق وموارد اللغة .

وعلى الرأي المختار فلفظ قرآن مهموز ، وإذا حذف همزه فإنما ذلك للتخفيف ، وإذا دخلته (أل) بعد التسمية فإنما هي للسمح الأصل لا للتعريف))^(١) .

ورأيه قريب مما ذهب إليه الراغب والزركشي رحمهم الله تعالى .

والمعنى الاصطلاحي للقرآن هو :

((الكلام المعجز ، المنزل على النبي - صلى الله عليه وسلم - المكتوب في المصاحف ، المنقول بالتواتر ، المتعبد بتلاوته)) .

وقال صاحب المناهل معلقاً على هذا التعريف :

((ولا يخفى عليك أن هذا التعريف كان يكفي فيه ذكرُ بعض تلك الأوصاف ويكون جامعاً مانعاً ، غير أن مقام التعريف مقام إيضاح وبيان فيناسبه الإطناب))^(٢) .

١- المصدر السابق ، والأصل المقصود - هنا - هو المصدر ، كما بين الزرقاني في تعريفه للقرآن ، و ((العلم المنقول مما يقبل)) (أل) قد يلاحظ أصله فتدخل عليه ((أل)) ، وأكثر وقوع ذلك في المنقول عن صفة ك ((حارث ، وقاسم)) ... وقد تقع في المنقول عن مصدر ك ((فضل)) ... : ((معجم النحو)) : ٥٠ .

٢- ((مناهل العرفان)) : ١٢/١ .

معنى إعجاز القرآن

((إعجاز القرآن مركب إضافي ، معناه بحسب أصل اللغة : إثبات القرآن عجز الخلق عن الإتيان بما تحداهم به ، فهو من إضافة المصدر لفاعله ، والمفعول وما تعلق بالفعل محذوف للعلم به ، والتقدير : إعجاز القرآن خلق الله عن الإتيان بما تحداهم به))^(١) .

فهذا تعريف عامّ لإعجاز القرآن لايتعلق بإثبات وجه من وجوه الإعجاز ولا نفيه .

وهناك بعض التعاريف التي قصرت الإعجاز على وجه أو أكثر من وجوهه فمنها :

((إعجاز القرآن : ارتقاؤه في البلاغة إلى أن يخرج عن طرق البشر ويعجزهم عن معارضته على ما هو الرأي الصحيح لا الإخبار عن المغيبات ، ولا عدم التناقض والاختلاف ، ولا الأسلوب الخاص ، ولا صرف العقول عن المعارضة ...))^(٢) .

والتعريف الأول أولى لخلوه مما يمكن رده أو التطويل بمناقشته .

ومن المناسب - هنا - إيراد الآيات الكريمة التي تحدث الكافرين أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم أو بمثل شيء منه :

١- ((مناهل العرفان)) : ٢/ ٢٢٧ .

٢- ((الكليات)) : ١٤٩ .

الآيات الكريمة التي تحدت الكافرين وأعجزتهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل شيء منه

لما كان القرآن العظيم من التأثير والوضوح في الذروة السامقة والمكان
الأرفع ، ولما كانت آياته العظام لا يشبهها شيء من كلام البشر ولا يدانيها شيء ،
لما كان شأن القرآن كذلك كان من المسلمات البديهيات أن يتأثر الناس به وينقادوا
لأحكامه طائعين ، ولكن فئة الكافرين أبت إلا أن تصم آذانها عن سماع الحق ،
وتغضُّ أبصارها عن رؤية أثره في المؤمنين الصادقين فأعلنت كفرها ، وادعت أن
هذا الحق المبين هومن نسج النبي - صلى الله عليه وسلم - وما هو إلا أساطير
الأولين ، وهو سحر ، إلى آخر مارموا به هذا الكتاب العظيم ، وأبوا أن يذعنوا أنه
من عند الله .

ولما اتهمت قريش رسولَ الله - صلى الله عليه وسلم - باختراع هذا
الكتاب ونفت نسبته الإلهية صار من لازم هذا أنه جهد بشريّ يستطاع أن يُؤتى
بمثله ، فليس بمعجز لمن رام معارضته .

ولما كان هذا شأنُ الجاحدين النورَ المبين أنزل الله - تبارك وتعالى - آياتٍ
كريمةً تطلب من الكافرين - على وجه التحدي - أن يأتوا بمثل هذا القرآن العظيم
أو ببعضه ، وقد نزلت هذه الآيات - مكِّيَّها ومدنيها - على رسول الله ، صلى
الله عليه وسلم ، في أزمنة متباعدة زيادةً في تحدي الكافرين ، وإمهالاً لهم وتبكيئاً
فعجزوا عن المعارضة عجزاً تاماً ، لكنهم عاندوا عناداً سُجل عليهم بمداد الخزي
والعار في سجلات التاريخ وصحائفه .

وقد تدرجت هذه الآيات الكريمة بالكافرين ، فطالبتهم بالإتيان بمثل القرآن
العظيم ، ثم طولبوا بعشر سور مثله ، ثم طولبوا بسورة مثله ، ثم طولبوا بسورة

من مثله^(١)، فتنزل الطلب الإلهي من الأكثر إلى الأقل، مبالغة في الإعذار، وإمعاناً في الإعجاز، ((ونظير هذا كمن يتحدى صاحبه بتصنيفه فيقول: اثني بمثله، اثني بنصفه، اثني بربعه، اثني بمسألة منه، فإن هذا هو النهاية في التحدي))^(٢).

وهذه الآيات هي، حسب ترتيب نزولها^(٣):

١- قوله تعالى:

﴿قُلْ لِّينِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَيَّ أَن يَأْتُوا بِمِثْلِ هَٰذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً﴾^(٤).

ومثلها قوله تعالى: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾^(٥).

١- الفرق بين ﴿سُورَةٍ مِّثْلِهِ﴾ و ﴿سُورَةٍ مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ أن الثانية تعني تمام المطابقة، أما ﴿مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ فتعني مطابقة جزئية في أحد وجوه تفوق سور القرآن فصاحة وبلاغة وإيجازاً ونظماً إلى آخر وجوه الحسن في سورة، فنحدهم القرآن في آية البقرة - وهي آية التحدي الأخيرة - أن يأتوا بمثلها ناقصة في مطابقتها، ولا شيء دون هذا في التحدي.

وفي كتب التفسير كلام طويل في ﴿مِّنْ﴾ من قوله تعالى ﴿مِّنْ مِّثْلِهِ﴾ هل هي تبعية أو بيانية أو ابتدائية، وفيها كلام في مرجع الضمير من قوله تعالى ﴿مِّثْلِهِ﴾ أعلى ﴿عَبِيدَنَا﴾ أم على (ما) من قوله تعالى ﴿وَمَنَّا زُلَنَّا﴾، وما اخترته من عود الضمير على القرآن هو المناسب للسياق، وعليه أكثر المفسرين.

وانظر في ذلك كله ((روح المعاني)): ١٩٢/١ - ١٩٥، و ((البحر المحيط)): ١٠٤/١ - ١٠٥.

٢- ((مفاتيح الغيب)): ١٢٨/٢.

٣- هذا الترتيب هو الترتيب المناسب للتحدي وهو الذي أميل إليه وإن لم يكن عليه دليل نقلي، كما أن باقي الأقوال في الترتيب ليس عليها دليل أيضاً، وفي المسألة خلاف، لكن تعقيب الله - تعالى - آية البقرة بقوله: ﴿فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا﴾ هذا التعقيب مشعر أن هذه الآية هي الآية الأخيرة في التحدي، حيث لم تعقب باقي آيات التحدي بمثل هذا التعقيب القاطع لآمال من يريد المعارضة؛ حيث إنه ليس وراء طلب المثلية الناقصة في سورة واحدة شيء، والله أعلم.

وانظر ((الطراز)): ٣٦٩/٣ - ٣٧٠، و ((الإتقان)): ١١٧/٢، و ((فكرة إعجاز القرآن)): ٢٠ - ٢٣، و ((البيان في إعجاز القرآن)): ٦٧ - ٧٠، و ((الإعجاز القرآني: وجوه وأساره)): ٨ - ١١.

٤- سورة الإسراء: آية ٨٨.

٥- سورة الطور: آية ٣٤.

٢- ثم قال تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١) .

٣- ثم قال جل شأنه :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَيْنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٢) .

٤- ثم قال عز وجل :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(٣) .

فالأيات الكريمت السابقات نصت على تحدي الكافرين ، والمعروف أنهم لم يستطيعوا - هم وأعوانهم من الشياطين - الإتيان بمثل شيء من القرآن ، ودليل ذلك النص القرآني الذي تلا التحدي الأخير :

﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ^(٤) .

فإن هذا نفي عام ، وقد تحقق كل ذلك ، فلم يستطيع أحد الإتيان بمثله ، ولن يستطيعه أحد في المستقبل بحول الله وقوته .

ولبعض المعاصرين ^(٥) - حفظه الله تعالى - كلام جيد تحت عنوان :

((من إجماعات آيات التحدي)) قال فيه :

١- سورة هود : آية ١٣ .

٢- سورة يونس : آية ٣٨ .

٣- سورة البقرة : آية ٢٣ .

٤- سورة البقرة : ٢٤ .

٥- هو الدكتور صلاح الخالدي .

١- ((توزعت هذه الآياتُ في القرآن المكي والمدنيّ ، وفي ذلك استمرارٌ للتحدي ، فحيثما وُجد كافر يطعن في مصدر القرآن فيوجه له التحدي لمعارضته)) .

٢- ((كان يسبق آية التحدي إشارةٌ إلى شك الكافرين في القرآن)) .

٣- ((كان يتبع آية التحدي إشارةٌ إلى مصدر القرآن)) .

٤- ((جَزَمَ القرآن بعجزهم عند دعوتهم للمعارضة : ﴿ وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾ ... وتحقق هذا الجزمُ فعلاً بعد ذلك دليلٌ على مصدر القرآن فلو كان من كلام الرسول - صلى الله عليه وسلم - لما جزم هذا الجزم)) .

٥- ((كلمة ﴿مِثْلِهِ﴾ وردت في كل آيات التحدي فليس المطلوب الإتيان بنفس القرآن ، لأنه كلام الله ، ولكن المطلوب الإتيان بمثله ، والمثلية ليست المثلية في معانيه وأخباره وعلومه وأحكامه^(١) ولكنها المثلية في جملة ومفرداته وكلماته ، المثلية في أسلوبه وفصاحته وبلاغته))^(٢) .

تلك كانت نبذةً يسيرةً في الكلام على آيات التحدي في كتاب الله ، تبارك وتعالى ، ختمت بها الحديث على هذا المبحث مبحث الإعجاز مفهوماً وتاريخاً .

١- هذا بناء على رأيه بأن الإعجاز في القرآن إنما هو الإعجاز البياني فقط ، وقد بث رأيه هذا في صفحات من كتابه ، انظر الصفحات : ٧٨ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ٩٢ ، ١٣٩ وغيرها .

٢- قد أتى الدكتور باثني عشر إجماعاً اخبر منها ما أثبتته هاهنا ، وانظر ((البيان في إعجاز القرآن)) : ٦٥ - ٦٧ .

المبحث الثاني

نشأة علم الإعجاز وتدوينه ، وجهود العلماء في دراسته .

نشأة علم الإعجاز وسببه :

إن الإعجاز القرآني قد نشأ منذ نزول الكتاب الشريف على قلب الرسول العظيم محمد - صلى الله عليه وسلم - فقد ظهر عجز العرب الخُلص عن الإتيان بمثله أو مايقاربه ، مع معابنتهم عظيم تأثيره فيهم ، وهدايته عظماءهم وضعافهم ، ومع ماقرع أسماعهم من تحدي الله - سبحانه وتعالى - لهم أن يأتوا بمثل هذا الكتاب أو بعشر سور منه أو بسورة واحدة مثله^(١) ، ولكن أنى للمخلوق العاجز الضعيف أن يأتي بمثل كلام الله الخالق العظيم ؟

لكنّ هذا الشعور بالعجز عن مضاهاة كلام الله - تبارك وتعالى - ظلّ مستولياً على القلوب والأذهان بدون ترجمته إلى دراسات فاحصة تقرره وتقّعه ، شأنه شأن سائر العلوم الإسلامية في الصدر الأول .

ويقرر بعض المعاصرين أنه : ((قد مضى عصر النبوة وعصرُ الخلفاء الراشدين ودولة بني أمية وشطرٌ كبير من دولة العباسيين دون أن يحاول أحد التعرضَ لقضية الإعجاز ودلائله ، ولم يكن ذلك عن تقصير في حق القرآن ... إنما كان إعظاماً لأمر القرآن ، وتهيباً لمقامه ، وصوناً لذاته أن يكون غرضاً للآراء والأهواء ، ومجالاً للجدل والخلاف))^(٢) .

لكن اتساع رقعة الإسلام ودخول كثير من غير العرب في هذا الدين جعل من الضروريّ ابتداءً مثل هذه الدراسة وأن يصبح : ((النظر في القرآن نظراً متعمقاً

١- سبقَ تفصيل ذكر هذه الآيات ، انظر ص ٥٤ ومابعدها .

٢- ((بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار)) للدكتور عبد الفتاح لاشين : ٤٢٥ .

وأضيف إلى ذلك أيضاً أن القوم كانوا - لشدة نقاء فطرتهم ، وقوة سليقتهم ، و بلاغتهم وفصاحتهم - في غنى عن التكلف لإثبات أمر الإعجاز في القرآن فهم يشعرون به ، بل هو مسيطر على أفئدتهم وجوارحهم .

فاحصاً دارساً ، مقلباً وجوه الرأي ، أمراً لامناصاً منه للعلماء وأصحاب الرأي ، بين مختلف المذاهب والطوائف ((^(١)).

وكان ((إعجاز القرآن مسألة من تلك المسائل التي ثار حولها النقاش والجدل بين العلماء))(^(٢)).

وهذا كلام جيد أضيف إليه أن هناك سبباً مهماً حدا بالعلماء أن يفتحوا باب الكلام عن إعجاز القرآن على مصراعيه ، وهو ما أحدثته ضلالات بعض المعتزلة من فهم خاطيء لإعجاز القرآن الكريم^(٣) ، والله أعلم .

ويرى باحث آخر أن :

((العرب الذين عاشوا لا يخالطون غيرهم إلى آخر عهد الأمويين^(٤) بدأوا يخرجون عن عزلتهم ، وأخذت تغزوهم ثقافات الشعوب التي دخلت في الإسلام فبدأوا يتصلون فكرياً واجتماعياً بغيرهم ، وكان ذلك نتيجة حتمية أملها عليهم التوسع في الفتوحات ، ودخول غير العرب فيما دخل فيه العرب أنفسهم ، مع ما لهذه الشعوب الجديدة على فكر الإسلام والمسلمين من ثقافات قديمة))(^(٥)).

ثم ذكر أن الإسلام أخذ يتعرض لحركات طعن وتشكيك من أصحاب هذه الديانات القديمة وجهوا فيها همهم إلى كتاب المسلمين المقدس^(٦).

١- ((بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار)) : ٤٢٦ .

٢- المصدر السابق : ٤٢٧ .

٣- وذلك نحو كلام النظام وغيره في الإعجاز بـ (الصُرْفَة) كما سيأتي - إن شاء الله تعالى - في المبحث القادم .

٤- قد اختلط المسلمون بغيرهم من الأعاجم كالفرس والروم ابتداءً من عهد الفتح الأولى لبلاد الفرس والشام ومصر وغيرها من البلاد التي كانت بأيدي الروم ، ولكن إذا قيل إن الترجمة لعلوم الأوائل واختلاط الثقافات بين الشعوب هو الذي أراده الباحث ، إذا قيل هذا فهو أقرب ، والله أعلم .

٥- ((الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن)) للدكتور عبد الرؤوف خلوف : ٢٨ .

٦- المصدر السابق : ٣٠ .

ثم نقل كلاماً جامعاً لابن قُتَيْبَةَ^(١) - رحمه الله تعالى - يبين فيه سبب تأليف كتابه الجليل : ((تأويل مشكل القرآن)) قال فيه :

((فقد اعترض بالطعن ملحدون ، ولَغَوْا فيه وهجروا^(٢) ، واتبعوا ما تشابه منه ابتغاء الفتنة وابتغاء تأويله بأفهام كليلة ، وأبصار عليلة ، ونظرٍ مدخول^(٣) ، فحرفوا الكلم عن مواضعه ، وعدَّلوه عن سبيله ، ثم قَضَوْا^(٤) عليه بالتناقض والاستحالة واللحن وفساد النظم والاختلاف ، وأدَّلُوا في ذلك بعلل ربما أمالت الضعيف الغمَر^(٥) والحدث الغر^(٦) ، وعرضت^(٧) بالشبه في القلوب وقدحت بالشكوك في الصدور))^(٨) .

ثم قال الباحث نفسه :

((وكان لابد لهذه الحركة الزائفة التي ظهرت على أيدي الملحدة من حركة معارضة يقوم بها رجال من المسلمين ، تتصدَّى لتيار الزَّيغ ، وتساوي أفكار الزائغين ، وتقيم للدين صرحاً من الفكر يُبعد كل زيف))^(٩) .

١- هو العلامة الكبير أبو محمد عبد الله بن مسلم بن قُتَيْبَةَ الدِّينَوْرِي الكاتب . نزل بغداد ، وصنف وجمع ، وتُعدُّ صيته وكان ثقة ديناً فاضلاً . وكان رأساً في علم اللسان العربي والأخبار وأيام الناس . مات ببغداد فجأة سنة ٢٧٦ رحمه الله . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٢٩٦ - ٣٠٢ ، و ((الأعلام)) : ٤ / ١٣٧ .

٢- أي قالوا هَجَرًا ، والهَجَر هو القبيح من الكلام . ((لسان العرب)) : (ه ج ر) .

٣- الدَّخَل : العيب والفساد . المصدر السابق : (دخل) .

٤- أي حكموا .

٥- الغمَر والغمَر هو الذي لم يجرب الأمور ، وهو الجاهل : ((لسان العرب)) : (غ م ر) .

٦- الغر : الشاب الذي لا تجربة له . المصدر السابق : (غ ر ر) .

٧- في ((تأويل مشكل القرآن)) المطبوع : واعترضت ، انظر ص ٢٢ .

٨- ((الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن)) : ٣٠ - ٣١ نقلاً عن ((تأويل مشكل القرآن)) لابن قُتَيْبَةَ : ص ٢٢ ، باختلاف يسير عما في المطبوع .

٩- ((الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن)) : ص ٣١ .

والباحث قد ذكر في كتابه أن المتكلمين الذين تكلموا في (الصرفة) و (الإعجاز النظمي) قد أخذوا ذلك من آراء الفرس والهنود في بعض كتبهم التي يدعون قداستها ، ولم يذكر الباحث دليلاً ملموساً على هذا . انظر كتابه : ٢٨ - ٣٥ ، وكذلك صنع أبو زهرة - رحمه الله تعالى - في كتابه ((المعجزة الكبرى : القرآن)) : ٧٦ .

وكانت هذه الحركة المعارضة هي ابتداء التصنيف في علوم القرآن الكريم عامة ، وعلم إعجاز القرآن العظيم خاصة .

ومن القواعد المقررة أن كل علم ابتدئ بالتصنيف فيه والبحث فإن مسأله تكون متناثرة مبثوثة في كتب شتى ، ثم يتعاقب على هذا العلم علماء أفذاذ ينقحون مسأله ، ويحررون مباحثه ، ويجمعون متفرقاته في قواعد منضبطة تجمع تلك المسائل والمباحث في مصنف مستقل .

هذه هي القاعدة في العلوم جميعها إلا ما شذ وانفرد - وهو القليل النادر - فبدأ قوياً فتياً منذ نشأته ، وذلك كعلم العروض^(١) .

وعلم إعجاز القرآن قد مرّ بالأطوار التي مرت بها العلوم ، وسلك دربها وحذا حذوها ؛ إذ كان الكلام فيه مفرقاً في كتب متنوعة مثل كتب السيرة - وكان الحديث فيها عن انقطاع الكافرين أمام القرآن الكريم - وبعض كتب التفسير بالمأثور^(٢) التي ورد فيها شيء قريب مما ورد في السيرة ، ثم إنه نشأت بعض الأقوال في الإعجاز خاصة من قبل متكلمة المعتزلة ، كما سيأتي بالتفصيل قريباً إن شاء الله تعالى .^(٣)

ثم إن تلك الأقوال قد ردّها علماء وقبلها آخرون ، وانتشر الكلام فيها .

١- العروض هو ((علم يُبحث فيه عن أحوال الأوزان المعتبرة ، وميزان الشعر يُعرف به مكسوره من موزونه ، كما أن النحو معيار الكلام ؛ به يُعرف مُعربه من ملحونه ... ويُعزى اختراعه إلى الخليل بن أحمد الفراهيديّ بعد أن استعرض ماروي من الشعر ... واختلفوا في سبب تسميته بعلم العروض فمن قائل لأن الشعر يُعرض عليه ، أو لأن العروض بمعنى الناحية ؛ والعروض ناحية من نواحي العلم والشعر ...)) :

((المعجم المفصل في الأدب)) : د . محمد التونجي : ٦٢٢/٢ - ٦٢٣ .

٢- مثل تفسير ابن جرير الطبريّ كما سيأتي قريباً - إن شاء الله تعالى - انظر ص ٦٧ ، ٦٨ .

٣- وأعني القول بـ (الصُرْفَة) : انظر ص ٩٢ وما بعدها .

ثم استقل بهذه المسألة - مسألة إعجاز القرآن - عددٌ من التصنيفات في أواخر القرن الثالث - فيما وصلنا وتناهى إلينا علمه - حتى هذا القرن .

وكان الكلام على الإعجاز في القرون الثلاثة الأولى يغلب عليه استعمال المصطلحات القرآنية ، كآلية والبرهان ، على العكس من حال القرون التالية فقد غلب عليها استعمال مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) .

وسوف أورد - إن شاء الله تعالى - ما وجدته من الكلام على المعاني القريبة من مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) في القرون الثلاثة الأولى^(١) ، ثم أحاول أن أثبت من تكلم في (الإعجاز) و (المعجزة) بهذين اللفظين في القرن الثالث^(٢) .

وسوف أثبت ، بإذن الله تعالى ، ما وصلنا من أسماء مصنفات في الإعجاز - المطبوع منها والمخطوط والمفقود - على قدر الوسع والطاقة منذ نهاية القرن الثالث حتى آخر القرن الثالث عشر الهجري وذلك في آخر المبحث ، والله الموفق^(٣) .

١- وإنما لم أفعل ذلك في القرون التي بعد القرن الثالث لشيوع الكلام على الإعجاز ، واستعمال مصطلح (معجزة)

و (إعجاز) فيها .

٢- انظر الهامش السابق .

٣- انظر ص ٧٩ وما بعدها .

الكلام على الإعجاز في القرنين الأول والثاني

لم يرد مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) إلا في القرن الثالث الهجري - فيما وصل إلينا من كلام الأئمة - لكن معنى (الإعجاز) و (المعجزة) كان معروفاً منذ أيام رسول الله ، صلى الله عليه وسلم .

فالكفار عجزوا عن الإتيان بمثل القرآن العظيم أو بمثل بعضه ، وانقطعوا بعد أن تحداهم الله زماناً طويلاً فلم يصنعوا شيئاً ، ثم إن الكافرين كانوا يتحIRON حال سماع القرآن العظيم ويعجزون عن وصفه ، ويقولون - بلسان الحال أو المقال - أنه لا مثيل له ولا يستطاع ، وهذا كله عين العجز .

فهذا الوليد بن المغيرة^(١) يسمع القرآن يُتلى فيقول فيه قولته المشهورة المنبئة عن عجز القوم حياله :

((والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة وإن عليه لطلاوة^(٢) ، وإنه لمثمر أَعْلَاهُ^(٣) ،

١- الوليد بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، أبو عبد شمس . مات كافراً بعد الهجرة بثلاثة أشهر وهو ابن خمس وتسعين سنة ودفن بالحجون . ((الكامل في التاريخ)) : ٤٨ / ٢ .

٢- الطَّلاوة والطَّلاوة : الحسن والبهجة والقبول والرواق : ((لسان العرب)) : طلى .

٣- الكلام مستعار من حال النحلة ؛ إذ أعلاها مثمر وله حلاوة ، وأسفلها ثابت راسخ - أو كثير الماء على حسب روايتي : (مُغْدِق) و (عَذَق) - وفي قوله (لمثمر أَعْلَاهُ) إشارة إلى غزارة نفعه ، وزيادة رَفْعِهِ بكرِيم فوائده وعميم عوائده . انظر ((شرح الشفا)) للقاري : ١ / ٥٥١ ، و ((الروض الأنف)) : ٢ / ٢١ .

مُغْدِقٌ^(١) أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلا ، وإنه ليحطم ما تحته^(٢) .

فلو أنصف القوم أنفسهم لأسلموا ولكنها الغشاوة التي على أبصارهم والختم الذي على قلوبهم .

ومما يدل - أيضاً - على أثر إعجاز القرآن في نفوس المشركين أن أبا جهل^(٣) والملا من قريش قالوا :

((لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر والكهانة والشعر فكلمته ثم أتانا ببيان من أمره ، فقال عتبة^(٤) : لقد سمعت بقول السحرة والكهانة والشعر ، وعلمت من ذلك علماً ، وما يخفى عليّ إن كان ذلك ، فأتاه فلما أتاه قال له عتبة :

١- المُغْدِقُ : المطر الكثير العام ، والماء الكثير ، وأغدق المطر يُغْدِقُ إغداقاً فهو مُغْدِقٌ ((لسان العرب)) : غَدَقَ . وقال القاري : ((اسم فاعل من المُغْدِق - يفتح - وهو كثرة الماء ؛ تلويحاً بغزارة معانيه في قوالب مبانیه)) : ((شرح الشفا)) : ١ / ٥٥١ .

ورواية ابن إسحاق أفصح من رواية ابن هشام : ((لمُغْدِق)) ؛ لأن الكلام مستعار من حال النحلة إذ أعلاها ثمع وله حلاوة وأسفلها ثابت راسخ : انظر ((الروض الأنف)) : ٢ / ٢١ .

٢- الحديث ثابت صحيح ، وقد أخرجه البيهقي في ((دلائل النبوة)) : ١٩٨ / ٢ وبوب للحديث وأمثاله بقوله : باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله تعالى من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان . وذكر أن له أربع روايات أخرى ، وأن ذلك ((يؤكد بعضه بعضاً)) . وقد أخرجه الحاكم أيضاً في ((المستدرک)) وقال : ((هذا حديث صحيح الإسناد على شرط البخاري ولم يخرجاه)) ، ووافقه الإمام الذهبي . انظر ((المستدرک)) : ٢ / ٥٥٠-٥٥١ .

٣- عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي . عدو الله ورسوله . قتل يوم بدر كافراً في السنة الثانية من الهجرة . ((التبيين في أنساب القرشيين)) : ٣١٦ .

٤- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس ، من سادات قريش وأشرافها وذوي أحكامها ، وكان أمية بن أبي الصلت يتوهم أنه يكون نبي هذه الأمة . قتل يوم بدر كافراً في السنة الثانية من الهجرة . المصدر السابق : ١٨٦ .

يا محمد أنت خير أم هاشم^(١) ؟ أنت خير أم عبد المطلب^(٢) ؟ أنت خير أم عبد الله^(٣) ؟ فلم يجبه .

قال : فيم تشتم آلهتنا وتضلل آباءنا ؟ فإن كنت إنما بك الرئاسة عقدنا ألويتنا لك فكنت رأسنا مابقيت ، وإن كان بك الباءة^(٤) زوجناك عشر نسوة تختار من أي أبيات قريش شئت ، وإن كان بك المال جمعنا لك من أموالنا ما تستغني بها أنت وعقبك من بعدك ، ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ساكت لا يتكلم ، فلما فرغ قال رسول الله عليه وسلم :

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . حَمْدٌ تَنْزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَتَبْتُ فَصَّلَتْ أَيْنَهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا الْقَوْمُ يَعْلَمُونَ ﴾ .

فقرأ حتى بلغ ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾^(٥) فأمسك عبته على فيه وناشده الرحم أن يكف عنه ...))^(٦) .

١- واسمه عمرو ، وهاشم لقب له هَشمُه الثريد لقومه . وكان من سادة قريش . المصدر السابق : ٣٦ ، ١٤٩ .
٢- واسمه شيبه لشيبة - ظاهرة في ذواته - وإنما قيل له عبد المطلب لأن أباه هاشماً حمله إلى مكة - في قصة جرت لشيبة - وقد غيـرته الشمس فقال أهل مكة : هذا عبد المطلب . كان من سادة قريش . توفي ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - ثمان سنين . المصدر السابق : ٣٧ .

٣- هو أبو رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفي شاباً وآمنة حامل برسول الله صلى الله عليه وسلم . المصدر السابق : ٣٨ ، ٧٧-٧٨ .

٤- الباءة : النكاح ، وسمي كذلك لأن الرجل يتبأ من أهله أي يستمكن من أهله كما يتبأ من داره .
' ((لسان العرب)) : ب و أ .

٥- سورة فصلت : ١ - ١٣ .

٦- أخرج الرواية البيهقي في ((دلائل النبوة)) باب اعتراف مشركي قريش بما في كتاب الله - تعالى - من الإعجاز وأنه لا يشبه شيئاً من لغاتهم مع كونهم من أهل اللغة وأرباب اللسان : ٢ / ٢٠٢ - ٢٠٤ .
وأخرجها عبد بن حميد في مسنده عن ابن أبي شيبه ، وهي مقاربة لرواية البيهقي غير أن فيها : ((... فقالوا : ما وراءك ؟ فقال : ما تركت شيئاً أرى أن تكلمونه (كذا في المطبوع من منتخب مسند عبد بن حميد) إلا قد كلمته . قالوا : فهل أحبابك ؟ قال : نعم ، قال : لا والذي نصبها نبيّ (أي الكعبة) ما فهمت شيئاً مما قال غير أنه قال ﴿ أَنْذَرْتُكُمْ صَاعِقَةً مِثْلَ صَاعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴾ قالوا : ويلك ، يكلمك الرجل بالعربية لا تدري ما قال ؟ قال : لا والله ما فهمت شيئاً مما قال غير ذكر الصاعقة)) :

((المنتخب من مسند عبد بن حميد)) : ٣٣٧ - ٣٣٨ .

وقوله : ((ما فهمت شيئاً)) أي أنه سمع كلاماً لا عهد له به لا أنه لم يفهم مفرداته .

وقال محققا الكتاب : ((إسناده ضعيف لضعف الأجلح)) ، انظر ص ٣٣٧ .

وفي رواية أخرى ((... فلما سمعها عتبة أنصت لها ، وألقى يديه خلف ظهره معتمداً عليهما يستمع منه ، حتى انتهى رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى السجدة فسجد فيها ، ثم قال : سمعت يا أبا الوليد؟ قال : سمعت ، قال : فأنت وذاك .

فقام عتبة إلى أصحابه فقال بعضهم لبعض : تخلف بالله لقد جاءكم أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به ، فلما جلس إليهم قالوا : ما وراءك يا أبا الوليد ؟ قال : ورائي أني والله قد سمعت قولاً ما سمعت بمثله قط ، والله ما هو بالشعر ولا السحر ولا الكهانة . يا معشر قريش : أطيعوني واجعلوها بي ، خلوا بين هذا الرجل وبين ما هو فيه واعتزلوه ، فوالله ليكونن لقوله الذي سمعت نبأ ، فإن تصبه العرب فقد كُفيتموه بغيركم ، وإن يظهر على العرب فملكه ملككم وعزه عزكم وكنتم أسعدَ الناس به ، قالوا : سحرك - والله - يا أبا الوليد بلسانه ، فقال : هذا رأيي لكم فاصنعوا ما بدا لكم ...))^(١) .

= والأجلح هو ابن عبد الله ، قال الحافظ :

((صدوق ، شيعي ، من السابعة . مات سنة ٤٥ . بخ ٤)) : ((التقريب)) : ٩٦ .

وهو من رجال البخاري - رحمه الله تعالى - كما ذكر الحافظ ابن حجر في ((التقريب)) : ٩٦ ، فقول المحققين : إسناده ضعيف لضعف الأجلح لوجه له ، والله أعلم ، فإسناد هذه الرواية حسن . وأما ابن أبي شيبة - الذي روى عنه عبد بن حميد - فقد روى الحديث بسنده عن علي بن مُسهر عن الأجلح عن الذَّيَّال بن حَرْملة عن جابر رضي الله عنه .

علي بن مسهر : ثقة كما في ((التقريب)) : ٤٠٥ .

والذَّيَّال بن حَرْملة : وثقه ابن حبان ، انظر ((تعجيل المنفعة)) : ١٢٢ ، و ((المصنف)) : ٧ / ٣٣٠ - ٣٣١ .

١- هذه الرواية أخرجه البيهقي أيضاً كما بحثتها في ((دلائل النبوة)) في الباب نفسه : باب اعتراف مشركي

قريش بما في كتاب الله - تعالى - من الإعجاز ... ٢ / ٢٠٥ - ٢٠٦ .

وهي رواية مرسله إذ قال فيها محمد بن كعب : حَدَّثْتُ أَنَّ عَتَبَةَ بْنَ رَبِيعَةَ وَ مُحَمَّدَ بْنَ كَعْبٍ هُوَ الْقُرْطَبِيُّ ،

وهو أحد التابعين الفضلاء الفقات ، انظر ((التقريب)) : ٥٠٤ ومرسل التابعي من أقسام الضعيف إلا بشروط

اشتراطها بعض الأئمة لانتطبق على هذا المرسل ، لكن هذه الرواية عُضِدَتْ بِالرَّوَايَةِ السَّابِقَةِ .

كانت تلك الروايات عن حال مشركي قريش إزاء القرآن العظيم جزءاً من روايات كثيرة أوردها كتاب السيرة في كتبهم ، وهي توضح مدى تأثير القرآن عليهم وإعجازه لهم وعجزهم عنه .

((وإنه واضح من سياق الأخبار المتواترة أن عجزهم اقتزن بثلاثة أمور :
أولها : إعجابهم بعلوه عن أن يصل إليه أحد من البشر ...

ثانيها : أنهم كانوا مع شركهم ... ينجذبون إليه ويريدون أن يسمعه استجابة لما فيه من لفظ ذي نغم يجذب وعبارات مشرقة ونظم منفرد ...

ثالثها : أن أشدهم عناداً كان أقربهم إيماناً إذا قرأ القرآن صغى قلبه إلى الإيمان ... وقرأه عمر بن الخطاب فانخلع قلبه من الشرك وطغيانه إلى الإيمان))^(١) .

أما كلام أهل القرن الأول والثاني في الإعجاز القرآني فقد ورد شذرات متفرقة في كتب التفسير عند الكلام على بعض آيات التحدي في كتاب الله تعالى ، فقد قال قتادة^(٢) - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى :
﴿ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ﴾^(٣) ، فقال :
((لاتقدرون على ذلك ولا تطيقونه))^(٤) .

١- ((المعجزة الكبرى : القرآن)) : ٧٣ - ٧٤ .

٢- هو الشيخ قتادة بن دعامة بن قتادة ، أبو الخطاب السدوسي ، البصري الضريز الأكمه [وهو من وُلد أعمى] ، حافظ عصره ، قدوة المفسرين والحدثين ، ولد سنة ٦٠ . وكان من أوعية العلم ، وهو حجة بالإجماع إذا بين السماع ، لأنه مدلس معروف بذلك ، وكان يُرمى بالقدر ، ومع هذا ما توقف أحد في صدقه وعدالته وحفظه . توفي سنة ثمان مائة عشرة ومائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٦٩/٥ - ٢٨٣ .

٣- سورة البقرة : آية ٢٤ .

٤- والأثر أخرجه ابن جرير - رحمه الله تعالى - في ((جامع البيان)) : ٣٧٩/١ ، قال :

((حدثنا بشر بن معاذ ، قال : حدثنا يزيد عن سعيد ، عن قتادة))

وبشر بن معاذ هو العَقْدِيّ : صدوق كما في ((التقريب)) : ١٢٤ ، وقال الشيخ أحمد شاكر : ثقة معروف ،

كما في تعليقه على ((جامع البيان)) : ٢٩٧/١ .

وقال ابن جُرَيْج^(١) - رحمه الله تعالى - في قوله تعالى :
﴿ قُلْ لَئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ
بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا ﴾^(٢) فقال :
((يقول : لو برزت الجن وأعانهم الإنس فتظاهروا لم يأتوا بمثل هذا القرآن))^(٣) .

تلك كانت بعض معاني الإعجاز في القرآن العظيم في القرتين - الأولى والثاني ، ولم تكن بالقوم - أهل القرون الأولى - حاجة للإفاضة في الحديث على إعجاز القرآن وكونه آية وبرهاناً وذلك لوضوح هذا المعنى في عقولهم وقلوبهم ، ولندرة من يماري فيه ويثير الشبهات حوله .

-
- = ويزيد هو ابن زُرَيْج : ثقة ثبت ، كما في ((التقریب)) : ٦٠١ .
وسعيد هو ابن أبي عَرُوبَة : ثقة حافظ كما في ((التقریب)) : ٢٣٩ .
فالأثر إسناده إلى قتادة صحيح ، والله أعلم .
- ١ - الشيخ الإمام العلامة الحافظ شيخ الحرم أبو خالد عبد الملك بن عبد العزيز بن جريج ، القرشي الأموي المكي ، مولى أمية بن خالد . أول من دون العلم بمكة . وهو ثقة حافظ صاحب عبادة وتهجد . عاش سبعين سنة وتوفي سنة خمسين ومائة . وسنه ومولده ووفاته هو والإمام أبو حنيفة واحد .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٣٢٥/٦ - ٣٣٦ .
- ٢ - سورة الإسراء : آية ٨٨ .
- ٣ - ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) : ١٥٩/١٥ طبعة البابي الحلبي .
وأما رجال إسناده هذا الأثر فقد قال ابن جرير :
حدثنا القاسم قال : ثنا الحسين ، ثنا الحجاج ، عن ابن جُرَيْج .
القاسم = القاسم بن الحسن ، وقال الأستاذ أحمد شاكر رحمه الله : ((أما القاسم بن الحسن شيخ الطبري فلم أجد له ترجمة)) ، وذكر أن هذا الإسناد : القاسم عن الحسين يدور عند الطبري كثيراً في التفسير والتاريخ . انظر ((تفسير الطبري)) : ٥٠٧/٧ .
الحسين = الحسين بن داود و يلقب بـ (شئيد) ، قال الحافظ : ((ضَعُف مع إمامته ومعرفة ... مات سنة ست وعشرين)) أي ومائتين ، انظر ((التقریب)) : ٢٥٧ .
الحجاج = الحجاج بن محمد المصيصي ، أبو عمدة ، ثقة ثبت ، اختلط قبل موته لما قدم بغداد سنة ست ومائتين ، روى عنه الجماعة . انظر ((التقریب)) : ١٥٣ .
ابن جُرَيْج = عبد الملك بن عبد العزيز بن جُرَيْج : ثقة فاضل ، كان يدلس ويرسل . روى عنه الجماعة .
((التقریب)) : ٣٦٣ . وإسناده هذا الأثر ضعيف لجهالة شيخ الطبري ، والله أعلم .

قد كان الحديث عن الإعجاز إذاً في القرنين الأول والثاني تأريخاً محضاً لموقف كفار العرب من القرآن وإعجازه ، أو تفسيراً لآيات الإعجاز في كتاب الله تبارك وتعالى .

وقد كانت الألفاظ القرآنية - كآية والحجة - هي المستعملة في ذلك العهد ، للدلالة على ماسمي بعد ذلك (الإعجاز) و (المعجزة) .

الكلام على الإعجاز في القرن الثالث الهجري^(١)

بدأ استعمال مصطلحي (الإعجاز) و (المعجزة) من القرن الثالث الهجري ، ولكنه لا يُعلم - على وجه القطع أو التخمين - من الذي بدأ استعماله ، ومتى ؟

لكن بالرغم من ظهور مصطلحي (الإعجاز) و (المعجزة) فقد استمر استعمال الألفاظ القرآنية فاشياً بين العلماء وذلك نحو (الآية) و (البرهان) و (الحجة) إلخ ...

ولذلك فإنني سأورد جميع من تكلم في الإعجاز في هذا القرن^(٢) - مستغنياً من تناهي إلى علمي منهم - سواء أوردوا كلمة (معجزة) و (إعجاز) أم لم يوردوها ، وسوف أبين - إن شاء الله - من الذي جاء بمصطلح (الإعجاز) أو (المعجزة) منهم ، على الوجه التالي :

١- قد اعتمدت في تأريخ كلام المصنفين في الإعجاز على سني وفاتهم ؛ إذ هي ضابط محدد ، بخلاف سنة التأليف ، أو وقت الكلام على الإعجاز ؛ إذ غالب ذلك مظنون أو مجهول .

٢- سأرتب أسماءهم على حسب وفياتهم ، أو طبقاتهم إن لم تعلم سنة الوفاة ، فإن لم يُعلم هذا ولا ذاك فإنني أورد الأسماء في المكان الذي يغلب على ظني أنه الأليق به ، والله أعلم .

١- إبراهيم النظام^(١)

وهو ممن صرح بلفظ (المعجزة) و (العجز) ، فقد قال :

إن ((الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار بالغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم))^(٢) .

وقال أيضاً :

((إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي - عليه السلام - ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ...))^(٣) .

٢- عيسى المزدار^(٤)

١- أبو إسحاق إبراهيم بن سيار النظام البصري المعتزلي المتكلم . تكلم في القدر ، وانفرد بمسائل مخزية ، وله كتب كثيرة . كفره جماعة . مات سنة بضع وعشرين ومائتين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٤١/١٠ . هذا ولم يبين الإمام الذهبي من كفره . وقال صاحب ((الفرق بين الفرق)) : ١١٤ . إن ((أكثر المعتزلة متفقون على تكفير النظام)) وأخذ في ذكر من كفره كالجبائي وأبي الهذيل . ولم أجد في كتاب ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) إلا ثناءً بالغاً عليه وعلى ذكائه مع أن الكتاب مجموع من أقوال ثلاثة من أئمة الاعتزال . انظر ((طبقات المعتزلة)) : ٧٠-٧١ ، ٢٦٤ ، ٢٦٥ . بل إن شيخ المعتزلة البغداديين أبا الحسين الخياط قد دافع عن النظام وأنكر ما نسب إليه من القول بالصرقة لكنه لم يأت بدليل يؤيد ماذهب إليه من نفي هذا القول عن النظام ، انظر ((الانتصار)) : ٢٨-٢٩ .

٢- ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٢٥ .

٣- ((الفرق بين الفرق)) : ١٢٨ ، وسيأتي الرد على مذهبه (الصرقة) مفصلاً في المبحث القادم - إن شاء الله تعالى - انظر ص ٩٢ وما بعدها .

٤- أبو موسى ، عيسى بن ضبيح المزدار البصري ، من كبار المعتزلة أصحاب التصانيف الغزيرة . تزهد وتعب وتفرّد بمسائل ممقوتة . مات سنة ست وعشرين ومائتين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٤٨/١٠ ، وكتاب ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : ٧٤ ، ٢٧٧ - ٢٧٩ . وقد ضبط لقبه - كما جاء في ((السير)) - (المردار) ، بإهمال الراءين ، و (المرداز) بإعجام الراء الثانية على قول آخر ، ولكن المعتمد هو (المردار) بإعجام الراء الأولى وإهمال الثانية ، وذلك لأن محقق ((طبقات المعتزلة)) ذكر أن كاتب نسخة ((شرح عيون المسائل)) للحاكم الجشمي (لوحة : ٥٨) - وهي جزء من كتاب ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) ، إذ هو في الحقيقة ثلاث كتب مجموعة في كتاب - قد ضبط لقبه بالراءي فوضع فوقها نقطة ، وفوق الراء (أي الثانية) علامة إهمال . انظر ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : ٢٧٧ .

لم يصرح بلفظ (المعجزة) وإنما قال :

((إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحةً ونظماً وبلاغة))^(١) .

فالقرآن إذاً - في اعتقاده - غير معجز في ألفاظه و بلاغته .

٣- هشام الفوطي^(٢) :

٤- عباد بن سليمان^(٣) :

وإنما كان المحكي عنهما من الأقوال في الإعجاز إشارةً أشار إليها الشيخ أبو

الحسن الأشعري^(٤) - رحمه الله تعالى - حيث قال :

((والمعتزلة على نقيض قوله هذا^(٥) إلا هشاماً الفوطي وعباد بن سليمان ، أما

سائرهم فهم على أن تأليف القرآن ونظمه معجز ، محالٌ وقوعه منهم كاستحالة

إحياء الموتى منهم ، وأنه عَلمٌ لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم))^(٦) .

= وقد تحرف لقبه إلى ((مدرار)) في ((لسان الميزان)) : ٤٦٠/٤ . وقد ضبط اسم أبيه في ((السير))
و((لسان الميزان)) بفتح الصاد ، بينما جاء الاسم مصغراً : (صُيِّح) في كتاب ((فضل الاعتزال وطبقات
المعتزلة)) : ٢٧٧ . أما ضبط الميم من (المزدار) فلم أحده .

١- ((الملل والنحل)) : ٦٩ / ١ .

٢- هشام بن عمرو الفوطي المعتزلي الكوفي مولى بني شيبان ، صاحب ذكاء وجدال وبدعة وروال ، وله أقوال
مستثناة ، وقد جعله صاحب ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) من الطبقة السادسة منهم :

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٤٧/١٠ ، و ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : ٧١ ، ٢٧١ .

والواو من لقبه (الفوطي) بحركة في ((السير)) و ((طبقات المعتزلة)) . وقد زعم ابن النديم أن الواو واجبة
التمسكين في العربية ، ولم يأت بسبب هذا الوجوب ، انظر ((الفهرست)) : ٣٥٥ .

٣- أبو سهل عباد بن سليمان البصري المعتزلي ، من أصحاب هشام الفوطي ، وقد خالف عباد المعتزلة في أشياء
اختلفها لنفسه . وكان حاذقاً في علم الكلام وله مصنفات . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٥١/١٠ - ٥٥٢ .

٤- هو الشيخ الإمام العلامة ، إمام المتكلمين ، أبو الحسن علي بن إسماعيل بن أبي بشر الأشعري اليماني البصري
ولد سنة ٢٦٠ ، وكان عجباً في الذكاء وقوة الفهم ، ولما برع في معرفة الاعتزال كرهه وتبرأ منه بعد أن كان
من المقدمين فيه . له تصانيف حسنة تقضي له بسعة العلم . مات ببغداد سنة ٣٢٤ :

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٨٥/١٥ - ٩٠ .

٥- أي قول النظام بالصرفة .

٦- ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٢٥ .

ويفهم من كلام الإمام الأشعري أن هشاماً وعباداً يقولان بـ (الصّرفة) وأن القرآن غير معجز في ذاته ، بل نص على أنهما قالاً ذلك الإمام الباقلاني^(١) .

٥- الإمام أحمد بن حنبل ، رحمه الله تعالى :

قد ذكر الإمام أحمد لفظ (المعجزة) كما بين شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - بقوله :

((والسلف - كأحمد وغيره - كانوا يسمون هذا وهذا^(٢) معجزاً ، ويقولون لخوارق الأولياء إنها معجزات ...))^(٣) .
وقال ابن تيمية أيضاً في مكان آخر :

((وإن كان اسم المعجزة يعم كلّ خارق للعادة في اللغة ، وفي عرف المتقدمين كأحمد بن حنبل وغيره...))^(٤) .

وكلام شيخ الإسلام هذا يفهم منه شيوع استعمال (المعجزة) عند السلف زمان الإمام أحمد - في القرن الثالث - لكنني لم أجد إلا ما أوردته هاهنا ، والله أعلم .

٦- علي بن ربن الطبري^(٥) ، رحمه الله تعالى :

مؤلف كتاب ((الدين والدولة)) ، ولم يصرح فيه بلفظ (المعجزة)
و (الإعجاز)^(٦) وإنما ذكر فيه لفظ آيات ، وبراهين ، ودلائل .

١- ((إعجاز القرآن)) : ٦٥ .

٢- أي المعجزات والكرامات ، كما هو مفهوم من سياق النص قبله .

٣- ((الجواب الصحيح)) : ٤١٩/٥ .

٤- ((مجموع الفتاوى)) : ٣١١/١١ - ٣١٢ .

٥- كان من كتاب مدينة مرو ، وله همة رفيعة ، وعلم بالإنجيل والطب ، ثم أسلم على يد المعتصم فقربه وظهر فضله ، وأدخله المتوكل في جملة ندمائه ، وكان بموضع من الأدب ، ولد في حدود سنة ١٩٢ ، وتوفي بعد سنة ٢٤٠ بقليل كما ذكرت ذلك محققة كتاب ((الفهرست)) :

انظر ((الفهرست)) : ٥٩٠ ، و ((تاريخ حكماء الإسلام)) : ٢٢ - ٢٣ .

٦- قد تصرف الأستاذ نعيم الحمصي في حكاية كلام علي الطبري في سبب تحوله من النصرانية إلى الإسلام فغير كلمة آيات إلى معجزات ، ولم يذكر ذلك الطبري في كتابه ، وقد تصفحت الكتاب كله فلم أجد أن الطبري =

والكتاب مصنف - في معظمه - لإثبات نبوة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، من التوراة والإنجيل ، وذكر المعجزات التي كانت تظهر على يديه - صلى الله عليه وسلم - وليس فيه ما يخص هذا المبحث إلا الباب السادس وهو ((في أمية النبي - صلى الله عليه وسلم - وأن الكتاب الذي أنزله الله عليه وأنطقه به آية للنبوة)) ، وذكر في هذا الباب مباحث منها مبحث تحدي القرآن الكافرين بأن يأتوا بمثله فما استطاعوا^(١) .

٧- الجاحظ^(٢) ، رحمه الله تعالى :

الجاحظ ممن صرّح بلفظ (الإعجاز) و (المعجزة) في أكثر من مكان في كتبه ، والجاحظ علم من أعلام الأدب العربي ، وسيمّة بارزة من سماته ، كتب في جوانب متعددة اجتماعية ، وتربوية ، وعلمية ، وكانت له مشاركة في الكتابة في إعجاز القرآن وبلاغته ونظمه الفريد ، على الرغم من منحاه الاعتزاليّ الواضح في قوله بخلق القرآن^(٣) .

هذا وقد وصلت إلينا رسالة له في باب إعجاز القرآن وهي رسالة ((حجج النبوة)) ، وهي رسالة جيدة إلا أنها غير كاملة ؛ إذ فيها بتر واضح في آخرها^(٤) .

= استعمل كلمة (إعجاز) و (معجزة) وإنما ذكر لفظ (آية) ونحوها ، انظر ((الدين والدولة)) : ٥٠ - ٥١ ، وانظر ((فكرة إعجاز القرآن)) للأستاذ الحمصي صفحة ٥٧ ، وعندما قرأت مقدمة الأستاذ الحمصي لكتاب مرة أخرى وجدته يذكر أن علي بن ربن الطبري لم يذكر في كتابه كلمة (معجزة) ، انظر ص ٧ من المقدمة ، ولا أدري أنسي الأستاذ عندما عرض كلام الطبري في ثنايا الكتاب أم أنه تصرف في كلام الطبري معتمداً أنه بين في مقدمة كتابه أن الطبري لم يورد كلمة معجزة ، والله أعلم .

١- انظر ((الدين والدولة)) : ٥٠ - ٥٦ .

٢- هو أبو عثمان عمرو بن بحر بن محبوب البصريّ المعتزليّ ، العلامة المتبحر ذو الفنون ، صاحب التصانيف . كان ماجناً ، قليل الدين ، له نوادر ، وهو من بحور العلم . توفي سنة خمس وخمسين ومائتين بعد أن عُمّر طويلاً . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١١ / ٥٢٦ - ٥٣٠ .

٣- انظر ((مجموع رسائل الجاحظ)) للأستاذ عبد السلام هارون : ٣ / ٢٨٣ .

٤- المصدر السابق : ٣ / ٢٢٣ .

وهي من الرسائل التي أوقفنا عليها الشيخ عبيد الله بن حسان^(١) فيما اختاره من رسائل الجاحظ .

وللجاحظ كتاب آخر في نظم القرآن العظيم لكنه فقد من كتبه فلم يصلنا ، وقد أخبر الجاحظ عنه بقوله :

((كتبت لك كتاباً أجهدت فيه نفسي ، وبلغتُ منه أقصى ما يمكن لمثلي في الاحتجاج للقرآن ، والرد على كل طعان فلم أدع فيه مسألة لرافضي^(٢) ولا لحديثي^(٣) ، ولا لحشوي^(٤) ، ولا لكافر مباد ، ولا منافق مقموع ، ولا لأصحاب النظام ، ولمن نجم^(٥) بعد النظام ممن يزعم أن القرآن حق وليس تأليفه بحجة ، وأنه تنزيل وليس ببرهان ولا دلالة ، فلما ظننت أنني قد بلغت أقصى محبتك ، وأتيت على معنى صفتك أتاني كتابك تذكر أنك لم ترد الاحتجاج لنظم القرآن ، وإنما أردت ...))^(٦) .

١- لم يعثر له الأستاذ عبد السلام هارون على ترجمة لكنه رجح أن يكون عاش في القرن الرابع أو الخامس ، انظر المصدر السابق : ١٣/٣ .

٢- فرقة من الشيعة رفضت زيد بن علي بن الحسين لما أبى أن يتبرأ من أبي بكر وعمر رضي الله عنهما ، فسموا رافضة وانقسموا إلى ثلاثة أقسام . انظر ذلك في ((لوامع الأنوار البهية)) : ٨٥/١ .

٣- أي منسوب إلى الحديث فهو من أهل الحديث ، وكان بينهم وبين المعتزلة نفرة وخصام .

٤- ((كل طائفة قالت قولاً تخالف به الجمهور و العامة يُنسب إلى قول الحشوية ، أي الذين هم حشوي في الناس ليسوا من المتأهلين عندهم ، فالمعتزلة تسمي من أثبت القدر حشويّاً ، والجهمية يسمون مثبته الصفات حشوية ...)) : ((مجموع الفتاوي)) : ١٧٦/١٢ .

((والذي يعيب بعض أهل الحديث وأهل الجماعة بحشو القول إنما يعييبه بقلة المعرفة أو بقلة الفهم ...)) : أي في ظنه الفاسد ، انظر ((مجموع الفتاوي)) : ٢٣/٤ .

((وأول من ابتدع الذم بها المعتزلة)) : ((مجموع الفتاوي)) : ١٤٦/٤ .

((والمعتزلة ينفون العلو والصفات ويسمون من أثبت ذلك مجسماً حشويّاً)) :

((درء تعارض العقل والنقل)) : ٧ / ٤٣٢ .

((والحشو من الكلام : الفضل الذي لا يعتمد عليه ، وكذلك هو من الناس ، وحشوة الناس : رذلتهم)) : ((لسان العرب)) : حشا .

٥- ظَهَرَ ، انظر ((لسان العرب)) : ن ج م .

٦- مقدمة رسالة ((خلق القرآن)) للجاحظ ، وهي رسالة نصر فيها مذهبه البدعي الاعتزالي بالقول بخلق القرآن . وهي ضمن ((مجموع رسائل الجاحظ)) : ٢٨٣/٣ - ٣٠٠ .

ولم يعجب ذلك الكتابُ الباقلاني^(١) حتى أنه قال فيه :
 ((وقد صنف الجاحظ في نظم القرآن كتاباً لم يزد فيه على ما قاله المتكلمون قبله ،
 ولم يكشف عما يلتبس في أكثر هذا المعنى))^(٢) .

أما كتاب ((حجج النبوة)) :

فقد صدره الجاحظ بمقدمة طويلة يبين فيها مراده من كتابه ، وهو جمع حجج
 الرسول - صلى الله عليه وسلم - وهي المعجزات التي جرت على يديه ، صلى
 الله عليه وسلم ، في مكان واحد حتى تكون أدعى للحفظ والتفهم ، وأهدى لمن
 عمي عن الطريق القويم^(٣) ، ثم ذكر - بعد تشعب كثير واستطراد^(٤) - كيفية
 مجيء أخبار معجزات رسولنا ، صلى الله عليه وسلم ، وغيره من الرسل عليهم
 الصلاة والسلام ، وأنها قد خرجت مخرج التواتر ، وأنها قد نُقلت لنا النقل الذي لا
 يخالجه شك ولا يخالطه ريب .

ثم دلف من ذلك إلى ذكر بعض الدلائل على نبوته - صلى الله عليه وسلم -
 وسلم^(٥) وانتهى إلى معجزة النبي ، صلى الله عليه وسلم ، العظمى ، وهي
 القرآن ، فبين أن العرب كانوا أفصح الناس على هذه البسيطة وأملكهم لئاصية
 البيان ولكنهم - مع هذا - لم يستطيعوا أن يعارضوا شيئاً من كلام الله تبارك
 وتعالى مع أنه تحداهم ودعاهم إلى هذا مُدداً متطاوله ، فكان مما قاله :

١- هو الشيخ الإمام العلامة أوحـد المتكلمين القاضي أبو بكر محمد بن محمد الطيّب بن محمد البصري ثم البغدادي ، ابن
 الباقلاني ، صاحب التصانيف . كان يضرب المثل بفهمه وذكائه . وكان ثقة إماماً بارعاً . غالب قواعده
 على السنة . صنف في الرد على الرافضة والمعتزلة والخوارج والجهمية والكرامية ، وانتصر لطريقة الأشعري .
 مات سنة ثلاث وأربع مائة ، وكانت جنازته مشهودة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧/١٩٠-١٩٣ .

٢- ((إعجاز القرآن)) للباقلاني : ٦ .

٣- ((مجموع الرسائل)) : ٣/٢٣٤-٢٣٦ .

٤- المصدر السابق : ٣/٢٣٦-٢٦٦ .

٥- المصدر السابق : ٣/٢٦٦ .

إن ((التقريع لهم بالعجز كان فاشياً ، وأن عجزهم كان ظاهراً ، ولو لم يكن النبي - صلى الله عليه وسلم - تحداهم بالنظر والتأليف ، ولم يكن أيضاً أزاح علتهم حتى قال تعالى : ﴿ قُلْ فَأْتُوا بِعَشْرِ سُوْرٍ مِّثْلِهِ مُفْتَرَيَاتٍ ﴾^(١) وعارضوني بالكذب^(٢) ، لقد كان في تفصيله له وتركيبه ، وتقديره له واحتجاجة ما يدعو إلى معارضته ومغالبته وطلب مساويه .

ولو لم يكن تحداهم من كل مقلنا ، وقرعهم بالعجز عما وصفنا ... لكان ذلك سبباً موجباً لمعارضته ومغالبته وطلب تكذيبه ، إذ كان كلامهم هو سيد عملهم والثبوت فيه أخف عليهم ، وقد بذلوا النفوس والأموال .

وكيف ضاع منهم^(٣) وسقط على جماعتهم نيفاً وعشرين سنة ، مع كثرة عددهم وشدة عقولهم ، واجتماع كلمتهم ، وهذا أمر جليل البرأي ظاهر التدبير^(٤) .

ثم ذكر في آخر رسالته فصلاً ((في ذكر امتناعهم من معارضة القرآن لعلمهم بعجزهم عنها))^(٥) ذكر فيه :

أن كل نبي جاء قومه بآية معجزة من جنس ما كانوا بارعين فيه بطل هم أقدر الناس عليه ، كمعجزة موسى - عليه الصلاة والسلام - وكالذي جاء به عيسى - عليه الصلاة والسلام - من إحياء الموتى وإبراء الأكمه^(٦) ، وأن الأمر كان

١- سورة هود : آية ١٣ .

٢- أي ولو لم يقل لهم عارضوني ولو بالكذب .

٣- أي كيف فاتتهم المعارضة .

٤- المصدر السابق : ٢٧٦/٣ - ٢٧٧ .

٥- المصدر السابق : ٢٧٧/٣ .

٦- هو الذي يولد أعمى ، انظر ((لسان العرب)) : ك م هـ . وانظر في مناسبة معجزات الأنبياء لعلوم أهل

عصرهم ((أعلام النبوة)) : ٧٦-٧٧ . هذا وقد كان بنو إسرائيل قد أغرقوا في الماديات فجاءهم عيسى -

عليه الصلاة والسلام - بمعجزات تلفتهم إلى الجانب الروحي الإيماني ، وتهذب عظيم اتجاههم إلى المادية .

كذلك ((دهر محمد - صلى الله عليه وسلم - كان أغلب الأمور عليهم ، وأحسنها عندهم ، وأجلها في صدورهم حسن البيان ونظم ضروب الكلام مع علمهم له وانفرادهم به ، فحين استحكمت لفهمهم ، وشاعت البلاغة فيهم ، وكثرت شعراؤهم ، وفاق الناس خطباؤهم بعثه الله - عز وجل - فتحداهم بما كانوا لا يشكون أنهم يقدرّون على أكثر منه فلم يزل يقرعهم بعجزهم ، وينتقصهم على نقصهم ، حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط^(١) مع سائر ما جاء به من الآيات ومن ضروب البرهانات))^(٢) .

والجاحظ - بهذه الرسالة ، التي وصلنا جزء منها - هو أول باحث في الإعجاز ، على ما علمناه ، وجعله موضوعاً خاصاً للنظر والدرس ، أما الذين جاؤوا قبل الجاحظ فلم يكن البحث في الإعجاز عندهم قائماً على هذا الوجه^(٣) ، إنما كان نتفاً متفرقة ، أو آراء ينقصها التمهيد والتدقيق .

((وهناك دراسات اتجهت اتجاهاً مباشراً للبحث عن وجوه الإعجاز ودلائله في القرآن ، فلم يكن من همها شيء إلا أن تكشف النقاب عن هذا السر المحجب ... فقد كان الجاحظ - فيما نرى - أول من نظر هذه النظرة في كتاب الله وحاول أن يجعلها موضوعاً من موضوعات رسائله))^(٤) .

١- وذلك لقوة إعجاز هذا الكتاب العظيم ، ولا استمرار قيام معجزته وعدم اندثارها حتى تقوم الساعة .

٢- ((مجموع الرسائل)) : ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ .

٣- انظر ((الإعجاز في دراسات السابقين)) : ١٥٣ .

٤- المصدر السابق : ١٤٨ .

٨- ابن الراوندي^(١) :

قد ذكر عن هذا الرجل كلام كثير في معارضة القرآن والطعن فيه
- والعياذ بالله تعالى - وأنه ألف كتاباً سماه ((الدامغ)) وكتاب ((الزمردة))
وكتاب ((الفريد)) طعن فيها على نظم القرآن وإعجازه .

واجتمع هو وأبو علي الجبائي^(٢) ، فقال ابن الراوندي :

يا أبا علي : أما تسمع مني معارضي للقرآن ونقضي له ؟ فقال له أبو علي : أنا
عارف بمجاري علومك وعلوم أهل دهرك ، ولكن أحاكمك إلى نفسك ، فهل
تجد في معارضتك له عذوبة وهشاشة وتشاكلاً وتلازماً ونظماً كنظمه وحلاوة
كحلاوته ؟ قال : لا والله ، قال : قد كفييتي ، فانصرف حيث شئت^(٣) .

ولولا أنني ألزمت نفسي بذكر كل من تكلم في الإعجاز في القرن الثالث لما
سقت أخبار هذا المعارض المهالك الذي أراد نقض الإعجاز وإبطاله ، قبحه الله .

هذا ما وجدته وأثبتته في الكلام على الإعجاز في القرن الثالث ، ويتبين منه أن
مصطلح (الإعجاز) و (المعجزة) أخذ في الانتشار واستعمله العلماء باتساع في
ذلك القرن وما بعده .

١- أحمد بن يحيى بن إسحاق ، من أهل مرو الرُّوذ . سكن بغداد ، وكان من متكلمي المعتزلة ، ثم فارقهم
وصار ملحقاً زنديقاً . ويقال إن أباه كان يهودياً فأسلم . عاش أكثر من ثمانين سنة وهلك سنة ٢٩٨ .

انظر ((الوافي بالوفيات)) : ٢٣٢/٨ - ٢٣٨ .

٢- محمد بن عبد الوهاب البصري ، شيخ المعتزلة و صاحب التصانيف . كان - على بدعته - متوسعاً في العلوم ،
سيال الذهن . له كتاب ((النقض على ابن الراوندي)) . عاش ثمانياً وستين سنة ، وتوفي سنة ٣٠٣ ، رحمه
الله . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨٣/١٤ - ١٨٤ .

٣- ((الوافي بالوفيات)) : ٢٣٨/٨ ، وانظر أخباره مفصلة في ((الوافي بالوفيات)) : ٢٣٢ / ٨ - ٢٣٨ .

ذكر المصنفات في الإعجاز منذ القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر :

بعد ذكرني لمن تكلم على الإعجاز في القرون الثلاثة الأولى ، كان من المناسب الإحاطة بالمصنفات في الإعجاز التي صُنفت ابتداءً من القرن الثالث ، إذ لا يُعرف تصنيفٌ في الإعجاز قبل ذلك القرن ، لذلك فإني سأورد كلَّ ما تناهى إلى علمي من مصنفات الأئمة المستقلة بالإعجاز من القرن الثالث ، حتى القرن الرابع عشر الهجريّ المبارك^(١) ، سواء ما طبع منها ، أو ما كان مخطوطاً ، أو يغلب على الظن فقده ، وسوف أشير - على حسب الوسع والطاقة - إلى كل ذلك .

هذا وإني سأورد كلَّ ما أقدر - من موضوعه أو عنوانه - أن له تعلقاً بالإعجاز . وسوف أرتب المصنفات في القرن الواحد حسب الترتيب الزمني لوفاة مصنفها ، فإن لم أتمكن من معرفة تواريخ وفاتهم فإني أجتهد في ترتيبها حسب السياق التي وردت تلك المصنفات فيه ، والله الموفق :

المصنفات في الإعجاز في القرن الثالث^(٢)

١- ((حجج النبوة)) للحافظ ، رحمه الله تعالى ، وهي رسالة في معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - ومنها معجزة القرآن وإنما أتيت بها - هنا - وهي لم

١- سأختار من كتب القرن الرابع عشر بعضُها ، انظر ص : ٨٩ ، ٩٠ .

٢- استفدت من عدة كتب في حصر كتب الإعجاز وهي ((الفهرست)) لابن النديم ، و ((كشف الظنون)) لحاجي خليفة ، و ((فكرة إعجاز القرآن)) لنعيم الحمصي ، و ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) لعلي إسحاق شواخ ، وغيرها .

تستقل بالإعجاز القرآنيّ لأنّ مافيها من معجزات النبي - صلى الله عليه وسلم - هو كالمهد لذكر الإعجاز القرآنيّ^(١) .

٢- ((نظم القرآن)) للجاحظ وهو كتاب مفقود^(٢) .

المصنفات في الإعجاز في القرن الرابع

١- ((إعجاز القرآن في نظمه وتأليفه)) لمحمد بن زيد الواسطي^(٣) ، رحمه الله تعالى .

وهو كتاب مفقود^(٤) .

٢- ((نظم القرآن)) لأبي بكر السجستاني^(٥) ، رحمه الله تعالى .
وهو كتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

١- قد سبق الكلام عليها ، انظر ص ٧٣ ، ٧٥ .

٢- أشار إليه في مقدمة كتابه ((خلق القرآن)) وقد سبق الكلام عليه ، انظر ص ٧٤ .

٣- أبو عبد الله محمد بن زيد الواسطيّ المعتزليّ . من كبار المتكلمين في بغداد . أخذ عن الجبائيّ المعتزليّ ، وإليه كان ينتمي . كان كثير الأصحاب و مسموع الكلمة . توفي سنة ٣٠٦ . انظر ((الفهرست)) : ٣٦٧ .

٤- سيأتي ذكر أن الجرجاني شرح هذا الكتاب شرحين ، انظر ص ٨٤ .

٥- أبو بكر عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، الإمام العلامة الحافظ ، شيخ بغداد ، صاحب التصانيف . كان من محور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه الإمام أبي داود صاحب السنن . ولد بسجستان سنة ثلاثين ومائتين . وطلب الحديث حتى صار حافظاً بارعاً . كان قد اتهم بملاحقة فيه بيّنة ، وهو حجة فيما ينقله من الأحاديث . مات سنة ٣١٦ ، وعاش سبعاً ومائتين سنة .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٢١/١٣ - ٢٣٧ .

٣- ((نظم القرآن)) لأبي زيد البلخي^(١) ، رحمه الله تعالى .

وقد ذكره أبو حيان^(٢) التوحيدي بقوله :

((أما أنا فلم أر في القرآن كتاباً أبعد مرمىً ، ولا أشرف معاني من كتاب لأبي زيد البلخي ، وكان فاضلاً يذهب رأي الفلاسفة ، ولكنه تكلم في القرآن بكلام دقيق لطيف ، وأخرج سرائر ودقائق ، وسماه ((نظم القرآن)) ، ولم يأت على جميع المعاني المطلوبة منه))^(٣) .

وهذا الكتاب مفقود أيضاً ، والله أعلم .

٤- ((نظم القرآن)) لابن الإخشيد^(٤) ، رحمه الله تعالى .

وكتابه لا أدري عنه شيئاً ، وأرجح أنه مفقود ، والله أعلم .

١- أحمد بن سهل البلخي ، صاحب التصانيف . كان فاضلاً في علوم كثيرة ، وكان يسلك طريق الفلاسفة ، وكان يُتهم في دينه . سلك طريق الإمامية ثم عدل عنه وصار في سلك المعتزلة وهو داهية ، واسع الكلام في رسائله . مات سنة ٣٢٢ عن بضع ولمانين سنة . انظر ((لسان الميزان)) : ١٩٥/١ - ١٩٦ . وقد ذكر أبو حيان أنه مات في سني نيف وثلاثين وثلاثمائة . انظر ((البصائر والذخائر)) : ٦٦/٨ .

وقد أفادني معرفة الكتابين السابقين لأبي بكر السجستاني وأبي زيد البلخي كتاب ((مباحث في إعجاز القرآن)) : ٤١ وهو للدكتور مصطفى مسلم . والكتابان مذكوران في ترجمة كل منهما ، انظر ((لسان الميزان)) : ١٩٥/١ و ((الفهرست)) : ٤٨٩ ، ٢٦٦ .

٢- علي بن محمد بن العباس ، أبو حيان التوحيدي . شيرازي ، وقيل نيسابوري . اختلف الناس فيه اختلافاً بيناً فمن قائل إنه زنديق ومن موثق . طلبه الوزير المهلب ليقتله فهرب منه ومات في الاستتار . كان متأدياً ، متصوفاً ، متفتناً في علوم كثيرة ، واسع الدراية والرواية . توفي في حدود الثمانين والثلاث مائة . انظر ((الوافي بالوفيات)) : ٣٩/٢٢ - ٤١ ، و ((سير أعلام النبلاء)) : ١١٩/١٧ - ١٢٣ ، وقد نبهه الذهبي بقوله : الضال الملهد .

٣- ((البصائر والذخائر)) : ٦٦/٨ .

٤- أبو بكر أحمد بن علي . من زهاد المعتزلة وفضلائهم . منزله في سوق العطش [وسوق العطش ببغداد ، كما جاء في ((معجم البلدان)) : ٣/٣٨٤] ، له معرفة بالعربية والفقه وله فيه عدة كتب . كانت له ضيعة يصرف أكثر ما يحمل إليه منها على العلم وأهله . توفي سنة ٣٢٦ . انظر ((الفهرست)) : ٣٦٨ .

وقد ذكر ابن النديم كتابه هذا في ((الفهرست)) : ٨٢ .

وهناك كتابان لم يُذكر تاريخُ وفاة مصنِفَيْهِما ، وأُرجح بقرائن ورود الأسماء في ((الفهرست)) أنهما ممن أدرك أواخر القرن الثالث وأوائل الرابع ، وهذان الكتابان هما :

٥- ((إعجاز القرآن)) للباهلي^(١) ، رحمه الله تعالى .

٦- ((نظم القرآن)) لأبي علي الحسن بن علي بن نصر^(٢) ، رحمه الله تعالى .
والكتابان لأعراف عنهما شيئاً ، وأُرجح أنهما مفقودان ، والله أعلم .

٧- ((النكت في إعجاز القرآن)) للرماني^(٣) ، رحمه الله تعالى .
وكتابه مطبوع متداول سيأتي الحديث عنه بالتفصيل ، إن شاء الله تعالى^(٤) .

٨- ((بيان إعجاز القرآن)) للخطّابي^(٥) ، رحمه الله تعالى .
والكتاب مطبوع متداول ، وسيأتي الكلام على جوانب فيه ، إن شاء الله تعالى^(٦) .

١- أبو عمر محمد بن عمر بن سعيد الباهلي البصري ، من باهلة . مولده بالبصرة ومنتشوه بها ، كان متكلماً على مذهب البصريين ، وكان قاضياً يحضر مجلسه المتكلمون . وكان حسن القصّ يُكيي الناس لحسن قصصه ورقة عبارته . انظر ((الفهرست)) : ٣٦٥ . وقد ذكر ابن النديم كتابه هذا في ترجمته نفسها .

٢- لم أعر له على ترجمة ، وقد ذكر كتابه ابن النديم في ((الفهرست)) : ٨٢ .

٣- هو الشيخ أبو الحسن علي بن عيسى الرماني . علامة من أوعية العلم - على بدعته - صنف في التفسير ، واللغة والنحو ، والكلام والاعتزال ، وله نحو من مائة مصنف . وكان يتشيع .

٤- مات ببغداد سنة ٣٨٤ عن ٨٨ سنة ، رحمه الله تعالى ، انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٦ / ٥٣٣-٥٣٤ .

٥- انظر ص ١٧٦ وما بعدها .

٥- هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ اللغوي أبو سليمان حمّد بن محمد بن إبراهيم البُستي الخطّابي ، صاحب التصانيف . ولد سنة بضع عشرة وثلاثمائة . رحل في الحديث وقرأه العلوم ، وفي شيوخه كثرة . توفي بئست سنة ٣٨٨ ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٢٣-٢٨ .

٦- انظر ص ٦٢٤ ، ٦٣٧ .

- ٩- ((إعجاز القرآن)) لابن أبي زيد النفزاوي القيرواني^(١) ، رحمه الله تعالى .
وهو كتاب مفقود ، فيما علمت ، والله أعلم .

المصنفات في الإعجاز في القرن الخامس الهجريّ

- ١- ((إعجاز القرآن)) للباقلائيّ ، رحمه الله تعالى .
والكتاب مشهور مطبوع متداول ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى^(٢) .
- ٢- ((الكلام في وجوه إعجاز القرآن)) للشيخ المفيد^(٣) .
والكتاب مفقود ، فيما أرى ، والله أعلم .
- ٣- ((إعجاز القرآن)) للقاضي عبد الجبار^(٤) ، رحمه الله تعالى .
وهو كتاب مطبوع متداول ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى^(٥) .

١- هو الإمام العلامة القدوة الفقيه ، عالم أهل المغرب ، أبو محمد عبد الله بن أبي زيد القيرواني المالكي ،
ويقال له : مالك الصغير . كان أحد من برّز في العلم والعمل ، وحاز رئاسة الدين والدنيا ، ورحّل إليه من
الأقطار ، وكثُر الآخذون عنه ، وصف تصانيف . وكان ذا بر وإحسان وإيثار وإنفاق على الطلبة . توفي
سنة ٣٨٩ رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ١٠-١٣ . وقد ذكر النجاشي - رحمه الله
تعالى - كتابه ((إعجاز القرآن)) في ترجمته .

وقد استفدت معرفة هذا الكتاب من ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ١٤٦/١ .

٢- انظر ص ١٨٥ وما بعدها .

٣- محمد بن محمد بن النعمان البغدادي ، عالم الرافضة ، صاحب التصانيف ، ويعرف بـ (ابن المعلم) . كان
صاحب فنون وبحوث وكلام ، واعتزال . متزهّد ، متعبد . له أكثر من مائتي مصنف . عاش ستاً وسبعين سنة
ومات سنة ثلاث عشرة وأربع مائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٣٤٤-٣٤٥ .
وقد ذكر كتابه هذا في ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ١٦٣/١ .

٤- هو الشيخ العلامة المتكلم أبو الحسن عبد الجبار بن أحمد بن عبد الجبار الأسد آبادي المعتزليّ ، صاحب
التصانيف . كان ينتحل مذهب الشافعي في الفروع والمعتزلة في الأصول ، وله في ذلك مصنفات . ولي قضاء
القضاة بالريّ ومات بها سنة ٤١٥ من أبناء التسعين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٢٤٤-٢٤٥ .

٥- انظر ص ٦٠٩ وما بعدها .

٤- كتاب في الإعجاز لا يعرف لعنوانه ، للشريف المرتضى^(١) .
وهو كتاب مفقود^(٢) .

٥- ((بيان إعجاز القرآن)) : لمكي القيسي^(٣) ، رحمه الله تعالى .
وهو كتاب مفقود^(٤) .

٦- ((دلائل الإعجاز)) للجرجاني^(٥) ، رحمه الله تعالى .
وهو كتاب مطبوع مشهور متداول^(٦) .

٧- ((الرسالة الشافية في الإعجاز)) للجرجاني أيضاً ، وهي مطبوعة مشهورة متداولة^(٧) .

وقد شرح الجرجاني كتاب الواسطي^(٨) في شرحين : كبير وصغير ، واسم الكبير : ((المعتضد)) ، وكلاهما مفقود^(٩) .

١- هو علي بن الحسين بن موسى العلوي الحسيني المتكلم الرافضي المعتزلي ، صاحب التصانيف . له مشاركة قوية في العلوم ، وهو المتهم بوضع كتاب ((نهج البلاغة)) . مات سنة ٤٣٦ عن ٨١ سنة .
انظر ((ميزان الاعتدال)) : ١٢٤/٣ .

٢- ذكر له هذا الكتاب الأستاذ نعيم الحمصي نقلاً عن عبد العليم الهندي ، وذكر أنه مفقود .
انظر ((فكرة إعجاز القرآن)) : ٦٩ .

٣- أبو محمد مكي بن أبي طالب بن محمد القيسي القيرواني القرطبي ، المقرئ ، اللغوي ، الفقيه ، الأديب ، المفسر ، صاحب التصانيف ، إمام القرآن في وقته . ولد سنة خمس وخمسين وثلاثمائة بالقيروان ، وانتحل إلى مصر والحجاز والأندلس ، التي استقر فيها خطيباً في جامع قرطبة حتى وفاته سنة سبع وثلاثين وأربعمائة ، كان خيراً ، متديناً ، مشهوراً بالصلاح وإحابة الدعوة ، وله ثمانون تصنيفاً . انظر ((غاية النهاية)) : ٣٠٩ - ٣١٠ .

٤- ذكر ذلك الأستاذ أحمد حسن فرحات في كتابه : ((مكي بن أبي طالب وتفسير القرآن)) : ١٣٣ ، وقد دلت على هذا الكتاب : ((بيان إعجاز القرآن)) من كتاب الأستاذ أحمد حسن فرحات .

٥- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، أبو بكر الجرجاني ، شيخ العربية . كان شافعيّاً ، أشعريّاً ، عالماً ، ذا نسل ودين . وكان آية في النحو . توفي سنة إحدى وسبعين وأربعمائة ، رحمه الله تعالى .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٤٣٢ - ٤٣٣ .

٦- حققه الشيخ محمود شاكر - حفظه الله تعالى - تحقيقاً ممتازاً ، ونشرته مكتبة الخانجي بالقاهرة .

٧- وهي مطبوعة بتحقيق الأستاذ محمود شاكر أيضاً .

٨- انظر ص : ٨٠ .

٩- انظر ((فكرة إعجاز القرآن)) : ٦١ ، و ((كشف الظنون)) : ١٢٠/١ .

المصنفات في الإعجاز في القرن السادس الهجريّ

لم يصل إلينا شيءٌ من مصنفات القرن السادس ، ولم يشتهر من كتب الإعجاز كتابٌ معروف ، ومن مفقود كتب ذلك القرن :

١ - ((التنبيه على إعجاز القرآن)) للخوارزمي الحنفي^(١) ، رحمه الله تعالى .

٢ - وهناك مصنف مفقود في إعجاز القرآن - لأُعرف عنوانه - وهو للشيخ عبد الواحد الرُّوياني^(٢) ، رحمه الله تعالى .

-
- ١- محمد بن أبي القاسم بن باجوك ، الأستاذ أبو الفضل الخوارزمي النحوي ، صاحب التصانيف .
تلمذ للزعفراني وجلس بعده في حلقاته ، وشهر اسمه وبعد صيته . توفي سنة إحدى وستين وخمسمائة .
انظر ((الوافي بالوفيات)) : ٤ / ٣٤٠ ، وفيه ذكر كتابه باسم ((إعجاز القرآن)) .
وقد استفدت معرفة كتابه هذا من ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ١ / ١٥٥ .
- ٢- القاضي العلامة فخر الإسلام شيخ الشافعية ، أبو الحسن عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الرُّوياني ، الطبري ، الشافعي . من أهل رُويان من نواحي طبرستان . ولد سنة خمس عشرة وأربعمائة ، وارتحل في طلب الحديث والفقه وبرع فيه ومهر ، وناظر وصنف التصانيف الباهرة . وكان ذاجاه عريض ، وحِشمة وافرة ، وقبول تام . قتلته الإسماعلية في جامع آمل بعد فراغه من الإملاء سنة إحدى عشرة وخمسمائة .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٩ / ٢٦٠ - ٢٦٢ .
- وقد ذكر حاجي خليفة أن له مصنفاً في إعجاز القرآن ، انظر ((كشف الظنون)) : ١ / ١٢٠ .
وقد دُللت على مصنفه هذا من كتاب الأستاذ نعيم الحمصي : ((فكرة إعجاز القرآن)) : ٤٥٩ .

المصنفات في الإعجاز في القرن السابع

١- ((نهاية الإيجاز في دراسة الإعجاز)) لفخر الدين الرازي^(١) ، رحمه الله تعالى .

وسياتي الكلام على كتابه هذا^(٢) - إن شاء الله تعالى - والكتاب مطبوع متداول .

٢- ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) لكمال الدين الزمكاني^(٣) ، رحمه الله تعالى .

والكتاب مطبوع متداول ، وسياتي الكلام على جوانب من الكتاب ، إن شاء الله تعالى^(٤) .

٣- ((التبيان في علم البيان المطلع على إعجاز القرآن)) للزمكاني أيضاً .
والكتاب مطبوع^(٥) .

١- محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري ، الإمام فخر الدين الرازي ، ابن خطيب الري ، إمام المتكلمين . ولد سنة ٥٤٣ ، واشتغل على والده وغيره ، وانتشر اسمه وبعد صيته ، وقصد من الأرض لطلب العلم . وكانت له يد طويلة في الوعظ باللسان العربي والفارسي . اشتهرت مصنفاته في الآفاق توفي بهرة سنة ٦٠٦ ، رحمه الله تعالى . انظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ٨١/٨ - ٩٦ .

٢- انظر ص ١٩٣ وما بعدها .

٣- هو الشيخ عبدالواحد بن عبدالكريم بن خلف ، كمال الدين ، أبو المكارم ابن خطيب زمكنا . كان عالماً متميزاً في علوم عدة ، ولي القضاء ودرس . وكانت له معرفة تامة بالمعاني والبيان ، وله شعر حسن . توفي بدمشق سنة ٦٥١ . انظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ٣١٦/٨ .

٤- انظر ص ٦٣٠ ، ٦٤٦ .

٥- قد حققه الدكتور أحمد مطلوب وطبع في بغداد سنة ١٣٨٣ . وقد خلط الأستاذ الحمصي بين المصنف وبين حفيده فجعل هذا الكتاب من تصنيف الحفيد : محمد بن علي بن عبدالواحد المتوفى سنة ٧٢٧ ، انظر ((فكرة إعجاز القرآن)) : ١١٢ ، وهذا خطأ ، انظر لتصحيحه مقدمة د . أحمد مطلوب لكتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : ١٨-٢٤ .

٤- ((البرهان في إعجاز القرآن)) لابن أبي الإصبع^(١) ، رحمه الله تعالى .
والكتاب مخطوط^(٢) .

٥- ((الإعجاز)) لابن سراقه^(٣) ، رحمه الله تعالى .
والكتاب مفقود فيما علمت ، والله أعلم .
وسياتي الكلام على بعض الجوانب من هذا الكتاب ، إن شاء الله تعالى .^(٤)

- ١- عبدالعظيم بن عبدالواحد بن ظافر بن أبي الإصبع العَدْنَوَانِي البَغْدَادِي ثم المصريّ ، الشاعر المشهور ، الإمام في الأدب . شعره رائع . عاش نيّفًا وستين سنة ، وتوفي بمصر سنة ٦٥٤ .
انظر ((الوافي بالوفيات)) : ١٩ / ٧ - ١٣ .
- ٢- للكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة ((تشستر بني)) في المملكة المتحدة برقم ٤٢٥٥ ، كما في ((الأعلام)) : ٣٠ / ٤ .
- ٣- هناك اثنان من العلماء كل منهما يلقب بـ (ابن سراقه) :
أحدهما :
محمد بن يحيى بن سراقه العامريّ ، وقد توفي سنة ٤١٠ ، كما في ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ٢١١ / ٤ .
الأخر :
محمد بن محمد بن إبراهيم الأنصاري الشاطبيّ ، وقد توفي سنة ٦٦٢ ، كما في ((حسن المحاضرة)) للسيوطي :
٣٨١ / ١ .
- وقد نسب الكتاب لابن سراقه - محمد بن محمد - حاجي خليفة ولم يذكر عنوان الكتاب و إنما قال في معرض ذكره
لمن صنف في الإعجاز :
- ((وابن سراقه من حيث الأعداد ذكر فيه من واحد إلى ألوف)) : انظر ((كشف الظنون)) : ١ / ١٢٠ .
- وقد ذكره باسمه الصريح : محمد بن محمد بن إبراهيم في الجزء الثاني : ١٣٩٤ ، و نسب إليه الكتاب
وسمّاه : كتاب الأعداد . وتابعه على ذلك صاحب كتاب ((هدية العارفين)) : ١٢٧ / ٢ - ١٢٨ ، أما الأستاذ
الحمصي فقد ذكر أن محمد بن يحيى - المتوفى سنة ٤١٠ - هو الذي صنف الكتاب و لا أدري مستنده في هذا ،
انظر ((فكرة إعجاز القرآن)) : ٨٠ .
- أما محمد بن محمد بن إبراهيم فهو شيخ دار الحديث الكاملية بالقاهرة . ولد سنة ٥٩٢ ، وكان أحد الأئمة
المشهورين بغزارة العلم ، وله مصنفات . توفي سنة ٦٦٢ . انظر ((شذرات الذهب)) : ٣١٠ / ٥ - ٣١١ .
- ٤- انظر ص ٣٣٨ .

المصنفات في إعجاز القرآن في القرن الثامن

لم يصل إلينا من أسماء الكتب المؤلفة في الإعجاز سوى كتاب :
((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للإمام يحيى بن حمزة العلوي^(١) .
والكتاب مطبوع متداول ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

المصنفات في إعجاز القرآن في القرن التاسع^(٣)

((كفاية الألمي في شرح قوله تعالى ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ﴾^(٤) في إعجاز القرآن)) لشمس الدين ابن الجزري^(٥) .

١- هو الشيخ الإمام المؤيد بالله يحيى بن حمزة بن علي العلوي ، من أولاد علي بن الحسين بن علي رضي الله عنهما . ولد بضعاء سنة ٦٦٩ ، واشتغل بالمعارف وهو صبي فأخذ في جميع أنواعها على أكابر علماء الديار اليمنية . فاق أقرانه ، و صنف التصانيف الحافلة في جميع الفنون حتى قيل إنها بلغت مائة مجلد . وهو من أكابر أئمة الزيدية بالديار اليمنية . وقد تولى إمامة بلاد اليمن وكان من الأئمة العادلين . مات سنة ٧٤٥ في ذمار . وقد جعل الشوكاني وفاته سنة ٧٠٥ ، والصحيح ما ذكره صاحب ((الأعلام)) أنه توفي سنة ٧٤٥ ؛ لأنه دعا إلى نفسه عقب وفاة المهديّ محمد بن مطهر سنة ٧٢٩ . انظر ((البدر الطالع)) : ٣٣٣-٣٣١/٢ ، و ((الأعلام)) : ١٤٣/٨ .

٢- انظر ص ٢٠٢ وما بعدها ، وصفحة ٦٤٩ ، ٦٥٥ .

٣- أورد صاحب ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ١٥٣/١ كتاباً على أنه من كتب الإعجاز ، واسمه ((تبصير الرحمن و تيسير المنان ببعض ما يشير إلى إعجاز القرآن)) من مؤلفات الجندوم المهامي وأشار إلى أنه مطبوع . وبالرجوع إلى ترجمته في ((نزهة الخواطر)) : ٨٠/٣-٨١ ، ذكر أن له ((مصنفات كثيرة منها ((تبصير الرحمن و تيسير المنان في تفسير القرآن)) ومن خصائصه أنه تصدى فيه لربط الآيات بعضها ببعض وقد أحاد في ذلك)) فظهر أنه ليس مستقلاً بالإعجاز ، والله أعلم .

٤- سورة هود : آية ٤٤ .

٥- الإمام العلامة محمد بن محمد بن محمد ، شمس الدين أبو الخير الدمشقي ثم الشيرازي الشافعي المقرئ ، ويعرف بـ (ابن الجزري) نسبة لجزيرة ابن عمر قرب الموصل . ولد سنة ٧٥١ بدمشق ، واشتد اعتناؤه بالقراءات . دخل القاهرة وجررت له فيها حوادث سافر على أثرها إلى بلاد الروم (الدولة العثمانية) ثم إلى شيراز حيث توفي بها سنة ٨٣٣ . انظر ((الضوء اللامع)) : ٩ / ٢٥٥ - ٢٦٠ .

والكتاب مطبوع ، تكلم فيه مصنفه عن الأوجه البلاغية الإعجازية في الآية المذكورة ، ثم أفرد فصلاً خاصاً لمباحث الإعجاز ختم به الكتاب .

المصنفات في إعجاز القرآن في القرن العاشر

((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) للإمام السيوطي ، وهو موضوع الرسالة .
ثم إنني لا أعرف كتاباً ثانياً في الإعجاز في ذلك القرن ، والله أعلم .

توقف التصنيف المستقل بالإعجاز قرابة أربعة قرون :

ثم إنه بعد القرن العاشر إلى القرن الثالث عشر لم يصنف كتاب مستقل بإعجاز القرآن الكريم - فيما علمته ، والله أعلم - إنما جاءت آراء العلماء في الإعجاز مبنوثة في كتب التفسير على الأغلب .

المصنفات في إعجاز القرآن الكريم في القرن الرابع عشر

كثرت المصنفات في الإعجاز القرآني في القرن الرابع عشر ، ولا عجب في هذا؛ إذ القرن الفائت قرن النهضة والصحو لافي التصنيف فقط بل في كل مناحي الحياة العلمية والفكرية والثقافية ، ولعل السبب في هذا - بعد فضل الله تبارك وتعالى - هو أن الكفار لما استوطنوا بلادنا ، وطعنوا في ديننا وقرآننا هبّ علماء المسلمين يدفعون هذه المطاعن ويردون عليها ، فنشطت حركة التصنيف في شتى

الجوانب ، وقد حاز التصنيف في إعجاز القرآن على جانب كبير من تلك الجهود المباركة .

ولكنثرة الكتب المصنفة في الإعجاز ولسهولة معرفتها والاطلاع عليها فياني
أخير منها بعضها مما علمت أنه قوي في مادته ، جيد في عرضها وتقديمها ، فمن
تلك الكتب :

١- ((إعجاز القرآن)) للرافعي^(١) :

وهو كتاب مشهور مطبوع متداول ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى^(٢) .

٢- ((النبأ العظيم)) للدكتور محمد عبد الله دراز^(٣) :

الكتاب مطبوع مشهور متداول ، وسيأتي الكلام عليه ، إن شاء الله تعالى^(٤) .

٣- ((فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا الحاضر مع نقد وتعليق))
للأستاذ نعيم الحمصي^(٥) :

وهو كتاب جيد ، تكلم فيه مصنفه عن كثير من كتب الإعجاز ، وقد
استفدت منه في مواضع بينها ، وسأتكلم عليه بإيجاز في آخر الباب الرابع^(٦) .

١- مصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد الرافعي . عالم بالأدب ، من كبار الكتاب ، و شاعر . أصله من طرابلس الشام ، و مولده في (بهتيم) بمصر سنة ١٢٩٨ . أصيب بصمم ، وشعره فيه جفاف ، ونشره من الطراز الأول . توفي في (طنطا) سنة ١٣٥٦ ، رحمه الله تعالى . انظر ((الأعلام)) : ٢٣٥/٧ .

٢- انظر ص ٦٧٢ وما بعدها .

٣- محمد بن عبد الله دراز . عالم ، محقق ، مصري ، أزهرى . كان من هيئة كبار العلماء بالأزهر . له عدة كتب ، توفي - رحمه الله تعالى - سنة ١٣٧٧ . انظر ((الأعلام)) : ٢٤٦/٦ .

٤- انظر ص ٦٩٠ وما بعدها .

٥- هو من المعاصرين من أهل الشام .

٦- انظر ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ .

٤- ((الإعجاز في دراسات السابقين)) لعبد الكريم الخطيب^(١) :
وهو كتاب جيد في بابه يشبه كتاب ((فكرة إعجاز القرآن)) في بحثه في عدد من كتب إعجاز القرآن المبتوثة في القرون الماضية ، وقد استفدت منه في مواضع يبينتها ، وسأتكلم عليه - إن شاء الله تعالى - بإيجاز في آخر الباب الرابع^(٢) .

٥- ((المعجزة الخالدة)) للدكتور حسن ضياء الدين عتر^(٣) .

٦- ((البيان في إعجاز القرآن)) للدكتور صلاح الخالدي^(٤) .
هذه بعض من كتب الإعجاز في القرن الرابع عشر ، ولا يعني هذا أنه ليس هناك كتب جيدة في الإعجاز غيرها ولكن هذا ما رأيت أنه الأجود والأحسن ، والله أعلم .

١- هو من المعاصرين من أهل مصر ، توفي بالقاهرة منذ سنوات قليلة ، وقد ألف عدة كتب جيدة ، رحمه الله تعالى .

٢- انظر ص ٧٠٦ ، ٧٠٧ .

٣- هو من المعاصرين من أهل الشام ، وهو الآن أستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة .

٤- هو من المعاصرين من أهل الأردن .

المبحث الثالث

القول بـ (الصَّرْفَة) والرد عليه

تقاربت أقوال أئمة أهل السنة في الإعجاز فجاءت أقوالهم متسقة يكمل بعضها بعضاً ، فلم يشذ أحد منها - إلا القليل - عن أن وجه الإعجاز الصحيح في كتاب الله - تبارك وتعالى - يدور حول الإعجاز بنظمه ، وفصاحة ألفاظه ، وبلاغة معانيه .

هذا هو الإطار العام للإعجاز الذي اتفق عليه أئمة أهل السنة^(١) ، فلم ينكره أحد منهم - فيما علمته - إلا القلة القليلة - التي يوهم كلامها القول بـ (الصَّرْفَة) ، وسأبين ذلك قريباً ، إن شاء الله تعالى .

هذا وقد أضاف بعض الأئمة عدداً من وجوه الإعجاز اختلفت فيها الأنظار - كما سيأتي إن شاء الله تعالى^(٢) - لكن تلك الأوجه كانت تقريراً لمفهوم الإعجاز المتفق عليه ، أو أنها مفاهيم أخرى للإعجاز تزيد من تعميقه في القلوب والأذهان ، مثل الإعجاز بأخبار الغيب ، والإعجاز بالتشريع ونحو ذلك .

المخالفون لأهل السنة :

أما من خالف فجاء في إعجاز القرآن بقول شاذ فهم فرق من غير أهل السنة مثل : بعض المعتزلة ، وبعض الشيعة الإمامية ، وبعض الفلاسفة ، وعدد قليل من علماء أهل السنة ، يُوهم كلامهم ذلك . وكان الذي شذ فيه هؤلاء هو قولهم بـ (الصَّرْفَة) .

١- ذكر القاضي عياض - رحمه الله تعالى - أن هذا المفهوم للإعجاز هو الذي عليه الجمهور و الحذاق ، وهو

الصحيح في نفسه ، انظر ((المخرر الوجيز)) : ٣٨/١ .

٢- انظر ذلك في الفصل القادم : طرائق التدوين في الإعجاز القرآني : ص ١٢٠ وما بعدها .

وسأذكر - إن شاء الله تعالى - معنى (الصَّرْفَة) في اللغة والاصطلاح ، ومن تنهى إلى علمي ممن قال بهذا القول من المعتزلة ، والإمامية ، ومن وافقهم من أهل السنة ممن يؤهم كلامه القول بـ (الصَّرْفَة) ، ثم أورد الردود التي ردّها بها على هذا المذهب الفاسد : (الصَّرْفَة) .

(الصَّرْفَة) في اللغة والاصطلاح

معاني (الصَّرْفَة) في اللغة تدور على صَرْف الشيء عن وجهه إلى جهة أخرى ، فتصريف الرياح : جعلها جنوباً وشمالاً ، والصيرفيّ : المحتال المتقلب في أموره ، والصَّرْف : الثقل والحيلة ، ومعناه - أيضاً - أن تصرف إنساناً عن وجهه يريده إلى مَصْرِفٍ غير ذلك^(١) .

و (الصَّرْفَة) في الاصطلاح هي :

((صرف الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً عليها ، وغير مُعَجَّزَةٍ عنها إلا أن العائق^(٢) من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات))^(٣) .

فكان القوم الذين تحداهم الله - تعالى - بالقرآن تحولت هممهم ، وصُرفت عن معارضته بغير إرادتهم ، بل رغباً عنهم ، مع قدرتهم الذاتية على ذلك ، أو أنهم سلبوا العلوم التي يعرفونها من أنفسهم ، على تفصيل سيأتي قريباً ، إن شاء الله تعالى .

فمعنى (الصَّرْفَة) - على هذا - أن الله ، تعالى ، لم يمكن الناس من إنشاء مثل هذا القرآن ، وأن نظم القرآن غير معجز في ذاته ، وإنما عجز القوم عن تأليف

١- لسان العرب : (ص ر ف) .

٢- أي الصارف .

٣- ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٢ .

مثله لأن الله ، تعالى ، صرف قُدْرهم وأفكارهم عن هذا ، فالإعجاز إذاً - عند القائلين بـ (الصَّرْفَة) - تأثير خارجي لا يرجع إلى ذات اللفظ القرآني .

وقد قرر الإمام يحيى بن حمزة العلوي هذا المعنى وذكر تفسيرات ثلاثة لـ (الصَّرْفَة) لا تخرج عنها ، ولحُسْنها وقوتها فإني أوردتها لما فيها من تكملة مهمة لمعنى (الصَّرْفَة) ، فقد قال رحمه الله تعالى :

((واعلم أن قول أهل (الصَّرْفَة) يمكن أن يكون له تفسيرات ثلاثة لما فيه من الإجمال وكثرة الاحتمال كما سنوضحه :

التفسير الأول : أن يريدوا بـ (الصَّرْفَة) أن الله تعالى سلب دواعيهم إلى المعارضة مع أن أسباب توفر الدواعي في حقهم حاصلة من التقرير بالعجز ، والاستنزال عن المراتب العالية^(١) ، والتكليف بالانقياد والخضوع ، ومخالفة الأهواء .

التفسير الثاني : أن يريدوا بـ (الصَّرْفَة) أن الله تعالى سلبهم العلوم التي لا بد منها في الإتيان بما يشاكل القرآن ويقاربه ، ثم إن سلب العلوم يمكن تنزيله على وجهين :

أحدهما أن يقال : إن تلك العلوم كانت حاصلة لهم على جهة الاستمرار لكن الله تعالى - أزالها عن أفئدتهم ومحاسنها عنهم .

وثانيهما أن يقال : إن تلك العلوم ما كانت حاصلة لهم خلا أن الله تعالى صرف دواعيهم عن تجديد^(٢) مخافة أن تحصل المعارضة .

١- أي لو دخل الكافرون المتحدون في الإسلام .

٢- أي استئنافها وابتدائها في عقولهم ، وعبر بالتحديد فكان القوم أدخلوا جديداً على علومهم السابقة .

التفسير الثالث : أن يراد بـ (الصَّرْفَة) أن الله - تعالى - منعهم بالإلحاء على جهة القَسْرِ عن المعارضة مع كونهم قادرين وسلب قواهم عن ذلك ، فلأجل هذا لم تحصل المعارضة^(١) .

وحاصل الأمر في هذه المقالة أنهم قادرون على إيجاد المعارضة للقرآن إلا أن الله - تعالى - منعهم بما ذكرناه^(٢) ، وهذا قد سبقت الإشارة إلى عدم صحته .

ذكر من قال بـ (الصَّرْفَة)

أولاً : القائلون بـ (الصَّرْفَة) من المعتزلة^(٣) :

كان عدد من أئمة الاعتزال قد تكلموا في إعجاز القرآن ونسبوا عجز العرب عن معارضته البيانية إلى (الصَّرْفَة) التي صُرفوا بها .
ومن أبرز من تكلم في (الصَّرْفَة) منهم :

١- النظام ، حيث قال :

((الآية والأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار بالغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثهما فيهم))^(٤) .
وقال أيضاً :

((إن نظم القرآن وحسن تأليف كلماته ليس بمعجزة للنبي - عليه السلام - ولا دلالة على صدقه في دعواه النبوة ، وإنما وجه الدلالة منه على صدقه ما فيه من

١- الفرق بين التفسير الثالث والأول أن القوم - في التفسير الأول - كانوا قد سلبوا الداعي إلى المعارضة مع توفره في حقهم للتحدي الحاصل لهم ، أما في التفسير الثالث فإن القوم يملكون دواعي المعارضة ولكن الله منعهم وسلب قواهم عن ذلك . أما التفسير الثاني فإنه يذكر العلوم اللازمة للمعارضة سواء توفرت الدواعي عليها أم لا .

٢- ((الطراز)) : ٣/ ٣٩١-٣٩٢ .

٣- وإنما بدأت بهم ورثيت بأهل السنة لأن المعتزلة هم أول من أسس هذا القول ونصره .

٤- ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٢٥ ، و((فضل الاعتزال وطلقات المعتزلة)) : ٧٠ .

الإخبار عن الغيوب ، فأما نظم القرآن وحسن تأليف آياته فإن العباد قادرون على مثله وعلى ما هو أحسن منه في النظم والتأليف^(١) ، وفي هذا عناد منه لقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(٢) ((٣) .

والملاحظ - هنا - أن النظام لم ينف إعجاز القرآن الكريم في ذاته ، وإنما حصره في الإخبار بالغيوب التي لا يستطيع الإتيان بمثلها ، أما النظم والأسلوب فكان الإعجاز فيهما - عنده - بـ (الصَّرْفَة) ، وقد داخله الخطأ من تقرير قدرة العباد على معارضة النظم والأسلوب ، وهو في هذا مكابر ، متحد لما ذكره الله تعالى من استحالة الإتيان بمثله .

٢- وقد جاء معاصره عيسى بن صُبَيْح المزداري بأقبح من هذا حين قال :

((إن الناس قادرون على مثل القرآن فصاحة ونظماً وبلاغة))^(٤) .

أي بدون تقييد ذلك بـ (الصَّرْفَة) كما فعل النظام ، ولم يُعرف عنه القول بـ (الصَّرْفَة) صراحةً ، وإنما أتيت به لاحتمال كلامه لهذا المذهب ، والله أعلم .

١- أي لولا أن الله صرفهم عن هذا - في اعتقاده - كما هو مفهوم من النص السابق من ((مقالات الإسلاميين)) .

٢- سورة الإسراء : آية ٨٨ .

٣- ((الفرق بين الفرق)) : ١٢٨ .

٤- ((الملل والنحل)) : ٦٩/١ .

٣، ٤- هشام الفوطي وعباد بن سليمان :

وقد وافق النظام والمزدار على إنكار إعجاز القرآن بنظمه وأن العباد قادرون على مثله وافقهما هشام الفوطي وعباد بن سليمان ، قال الأشعري :
((قالت المعتزلة إلا النظام وهشاماً الفوطي وعباد بن سليمان : تأليف القرآن ونظمه معجز محال وقوعه منهم كاستحالة إحياء الموتى منهم ، وأنه علّم لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم))^(١) .

فهشام وعباد لا يريان أن القرآن معجز بنظمه ، ولازم هذا أنهما يقولان بـ (الصرفة) ، بل نص على قولهما ذلك الباقلاني^(٢) .

٥- الجاحظ :

أثر عنه القول بـ (الصرفة) حيث قال :

((ومثل ذلك^(٣) ما رفع من أوهام العرب ، وصرف نفوسهم عن المعارضة للقرآن بعد أن تحداهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنظمه ، ولذلك لم نجد أحداً طمع فيه ، ولو طمع فيه لتكلفه ، ولو تكلف بعضهم ذلك فجاء بأمر فيه أدنى شبهة^(٤) لعظمت القضية على الأعراب وأشباه الأعراب ، والنساء وأشباه النساء ، ولألقى ذلك للمسلمين عملاً ولطلبوا المحاكمة والتراخي ببعض العرب ، ولكثر القيل والقال .

١- ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٢٥ .

٢- ((إعجاز القرآن)) : ٦٥ .

٣- كان الجاحظ يتكلم قبل هذا على أن الله ينسى بعض خلقه أشياء كثيرة حكمة منه ، ورحمة لهم أو نقمة .

انظر ((الحيوان)) : ٨٨-٨٦/٤ .

٤- أي بأدنى شبهة على أنه صالح لمعارضة القرآن لكونه مثله أو قريباً منه في فصاحته وبلاغته .

فقد رأيت أصحاب مسيلمة ... إنما تعلقوا بما ألف لهم مسيلمة من ذلك الكلام الذي يعلم كل من سمعه أنه إنما عدا على القرآن فسلبه وأخذ بعضه وتعاطى أن يُقارنه ، فكان لله ذلك التدبير^(١) الذي لا يبلغه العباد ولو اجتمعوا له^(٢) .

ولكن قد أثر عن الجاحظ كلام كثير يفيد عجز العرب عن معارضته لقوة نظمه وبلاغته وليس له (الصرفة) ، ومن أبرز ما قاله في هذا هو ما جاء في آخر رسالته : ((حجج النبوة)) :

((فصل في ذكر امتناعهم عن معارضة القرآن لعلمهم بعجزهم عنها)) ذكر فيه بوضوح أن عجز العرب عن معارضة القرآن ثابت ، ((ولم يزل الله - تعالى - يقرعهم بعجزهم وينتقصهم على نقصهم حتى تبين ذلك لضعفائهم وعوامهم كما تبين لأقويائهم وخواصهم ، وكان ذلك من أعجب ما آتاه الله نبياً قط مع سائر ما جاء به من الآيات وضروب البرهانات))^(٣) .

وقال أيضاً : ((وفي كتابنا المنزل الذي يدلنا على أنه صدق نظم البديع الذي لا يقدر على مثله العباد))^(٤) .

وقد قال الخياط المعتزلي^(٥) :

١- أي في عدم المعارضة بشيء مثل القرآن أو قريب منه ، إنما عورض بمثل كلام مسيلمة المسروق أسلوبه من الأسلوب القرآني .

٢- ((الحيوان)) : ٨٩/٤ .

٣- ((مجموع الرسائل)) : ٢٧٩/٣ - ٢٨٠ .

٤- ((الحيوان)) : ٩٠/٤ .

٥- هو أبو الحسين عبد الرحيم بن محمد بن عثمان شيخ المعتزلة البغداديين ، له الذكاء المفرط والتصانيف الملهبة ، وكان قد طلب الحديث . له جلالة عجيبة عند المعتزلة وقد صنف عدة كتب . لا يعرف له تاريخ وفاة ، وقد صُنف في الطبقة الثامنة من المعتزلة وهي في حدود أواخر القرن الثالث وأوائل القرن الرابع .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٢٠/١٤ ، و ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : ٢٩٦-٢٩٧ .

((لا يعرف المتكلمون أحداً منهم نصر الرسالة واحتج للنبوة بلغ في ذلك مابلغه الجاحظ ، ولا يُعرف كتاب في الاحتجاج لنظم القرآن وعجيب تأليفه وأنه حجة لمحمد - صلى الله عليه وسلم - وعلى نبوته غير كتاب الجاحظ))^(١) .

فيذا عُلِمَ هذا كله فإنه لا يبعد - عندي - أن الجاحظ كان يرى الإعجاز بالنظم والتأليف بـ (الصَّرْفَة) أيضاً ، جمعاً بين كلامه - وذلك كما صنع الرماني بعده^(٢) - وإن كنت أرى أن هذا الجمع جمعٌ بين متناقضين ؛ إذ كيف يُجمع بين القول بـ (الصَّرْفَة) التي من لوازم القول بها أن القرآن يمكن معارضته ، كيف يمكن الجمع بينها وبين القول بإعجاز القرآن الذاتي وذلك في نظمه وبلاغته مما لا يمكن معه المعارضة ، هذا لا يستقيم في تقديري ، والله أعلم .

وقد حاول جمعٌ من الباحثين التوفيق بين قول الجاحظ بالإعجاز في النظم والبلاغة وبين قوله بالإعجاز بـ (الصَّرْفَة) ، ولعلهم أخذوا ذلك من قول الجاحظ آنفاً :

((وصرف نفوسهم عن المعارضة بعد أن تحداهم الرسول - صلى الله عليه وسلم - بنظمه))

فكان مما قالوه في ذلك :

((فالقرآن معجز عند الجاحظ لنظمه ثم لأن العرب حاولوا معارضته فعجزوا مع أن الكلام سيد عملهم .

وأما عن (الصَّرْفَة) فهي وجه من وجوه إعجاز القرآن ولكن تأتي مرتبتها بعدمربة التحدي والتجربة والفشل ثم الاعتراف بالعجز ، وهنا يأتي لطف الله بالناس من أن يطمع في القرآن طامعٌ ويتكلفه ويَشْغَبُ بما سُمح له فيتعلق به البسطاء

١- ((الانتصار)) : ١١١ .

٢- هذا الجمع بين الإعجاز بالنظم والصَّرْفَة استفدته من كتاب ((المعجزة الخالدة)) : ١٧٨ ، وانظر رأي الرماني في ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

وتكثر المحاكمة وتنتشر البلبلة بين الناس ... فالعدل الإلهي الذي منح حرية الإرادة للإنسان وإمكان القدرة ثم هياً للعقل أن يفكر ويجرب معارضة القرآن حتى إذا فشل اعترف بالعجز ، قد صرف أوهام من يريدون أن يتكلفوه حتى لايتعلق الناس بذبالات المُمخَرِقين^(١) ويختلط الأمر^(٢) .

فخلاصة كلامه الذي فهمه من كلام الجاحظ أن القرآن معجز بنظمه حتى إذا تأكد الناس من هذا صرف الله قُدرَهم عن المعارضة حسماً للقليل والقال .

((وهذا شيء بعيد تماماً عن (الصِّرفة) التي كان يقول بها أستاذه النُّظَّام والتي لم يرضها الجاحظ بل بذل جهده في الدفاع عن النظم القرآنيّ وبيان أنه معجز ، وفي هذا هدم لآراء النُّظَّام))^(٣) .

وهذا جهْدٌ مشكور في توجيه كلام الجاحظ والجمع بين قوله بـ (الصِّرفة) وقوله بإعجاز القرآن في نظمهِ وبلاغته ، ولكن صورة التناقض بين القولين لم تغادر كلام الجاحظ بعد ؛ إذ الجمع بين (الصِّرفة) والقول بإعجاز الذاتِي على النحو المذكور آنفاً لايساعده واقع تاريخيّ ، فنقرُّ لهم بما حاولوه من الجمع ؛ إذ من قال بأن العرب قد صُرفوا عن المعارضة بعد أن يتسوا منها - وذلك حسب التوجيه السابق - ومتى صُرفوا عنها ؟ أقبل وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أم بعدها ، فإن كان ذلك في حياة النبي - صلى الله عليه وسلم - بطل التحدي بالمعارضة ولم يقل بهذا أحدٌ ، وإن كان بعد وفاته - صلى الله عليه وسلم - لِمَ يُحرَم من جاء بعدُ من المعارضة لعجز من كان قبله عنها ؟ هذا والحال أن الخطاب القرآنيّ الذي

١- مَخْرَق : أظهر الخَرْق - الحُرق - توصلاً إلى حيلة : مَوّه ، فهو مُمَخْرَق ، وقال الجوهري : مولّده :

((معجم من اللغة)) : مخرق . أما الذبالة فهي الفتيلة وانظر ((معجم من اللغة)) : ذبل .

٢- ((إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة)) : ٢٠٢ ، ويقاربه ماجاء في ((الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره)) : ٦٢ .

٣- ((الإعجاز القرآني وجوهه وأسراره)) : ٦٢ .

يتحدى الناس أن يأتوا بمثل هذا الكلام العظيم باق في الناس إلى يوم القيامة ، محكم لم ينسخه شيء .

الحاصل أن كلام الجاحظ فيه بعض تناقض لا يرفعه من حاول توجيهه ، ولا عجب إذاً أن تساءل أحد الباحثين متعجباً من اجتماع النقيضين : (الصَّرْفَة) والإعجاز بالنظم والبلاغة :

((هل قال بالأول حين كان لا يزال متأثراً بآراء أستاذه النظم ، وبالتالي حين استقل بنفسه ، أو إنه جمع الرأيين معاً ؟ لاندري ... وأنا أستبعد أن يكون الجاحظ قد قال بالرأيين معاً في وقت واحد لما نعرفه عنه من قوة التفكير ووضوح الحجة ، فإن الرأيين متناقضان))^(١) .

وقال الأستاذ عبد الكريم الخطيب عن القولين الآتين للجاحظ :
((ولا شك أن هذه من إحدى مغالطات الجاحظ وخلاسته^(٢) ، بما أوتي من قوة الحجة وسطوة البيان))^(٣) .

وقال الرافعي ، رحمه الله تعالى :
((أما الجاحظ فإن رأيه في الإعجاز ك رأي أهل العربية وهو أن القرآن في الدرجة العليا من البلاغة التي لم يُعهد مثلها ، وله في ذلك أقوال نشير إلى بعضها في موضعه ، غير أن الرجل كثير الاضطراب ... ولذلك لم يسلم هو أيضاً من القول بـ (الصَّرْفَة) وإن كان قد أخفاها وأوماً إليها...))^(٤) .

١- ((فكرة إعجاز القرآن)) : ٥٦ - ٥٧ .

٢- الخِلافة : الخداع . (لسان العرب) : خ ل ب .

٣- ((الإعجاز في دراسات السابقين)) : ٣٦٩ .

٤- ((إعجاز القرآن)) للرافعي : ١٤٧ .

ورأي الرافعي هذا هو الذي أميل إليه وأنصره ، وهو أن الجاحظ قال بالقولين معاً ، كما صنع الرماني من بعده ، حيث جعل (الصَّرْفَة) وجهاً من سبعة أوجه للإعجاز^(١) .

أما لماذا صنع الجاحظ ذلك ؟ أيماً مذهبه ومغالطة منه كما ذكر الأستاذ الخطيب ، أم لشيء آخر ارتآه ؟ فالله أعلم .

٦- الرُّمَّانِي :

وذلك في كتابه ((النكت في إعجاز القرآن)) حيث ذكر سبعة أوجه للإعجاز منها (الصَّرْفَة)^(٢) ، وسيأتي الكلام على أوجه الإعجاز عنده ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

٧- أبو إسحاق النصيبی^(٤) :

ولم أر من نسب إليه القول بـ (الصَّرْفَة) سوى الإمام يحيى بن حمزة العلوي^(٥) .

١- انظر ص ١٧٧ من هذه الرسالة .

٢- انظر صفحة ١١٠ من ذلك الكتاب المذكور .

٣- انظر ص ١٧٧ وما بعدها .

٤- جاءت ترجمته في كتاب ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) شذرات متفرقة حيث ذكر أنه ((يرجع إلى فضل غزير ، قرأ على الشيخ أبي عبد الله)) ، وذكر أيضاً أن الشريف المرتضى قرأ عليه .

انظر ((فضل الاعتزال)) : ٣٧٨ ، ٣٨٣ على التوالي . ولم أستطع معرفة اسمه أو تاريخ وفاته .

٥- ((الطراز)) : ٣٩١/٣ .

ثانياً : أقوال تُوهم القول بـ (الصَّرْفَة) منسوبة إلى بعض أهل

السنة :

لا بد أن يُعلم ابتداءً أنه لم يشتهر عن أكثرهم هذا القول ، ولكنني وجدته في كتبهم أو في كتب أهل العلم الذين نقلوا عنهم هذه الأقوال فصار لزاماً علي ذكرهم ثم توجيه أقوالهم إن وجدت إلى ذلك سبيلاً صحيحاً :

١- الشيخ أبو الحسن الأشعري :

نسبه إلى القول بـ (الصَّرْفَة) القاضي عياض^(١) - رحمهما الله تعالى - حيث قال :

((وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ، فأكثرهم يقول إنه ما^(٢) جَمَعَ في قوة جزالته ، ونصاعة ألفاظه ... لا يصح أن يكون في مقدور البشر ... وذهب الشيخ أبو الحسن إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويقدرهم الله عليه ، ولكن لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله هذا ، وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه))^(٣) .

وقال الخفاجي^(٤) ، رحمه الله تعالى :

١- هو الشيخ الإمام القاضي أبو الفضل عياض بن موسى اليحصبي الأندلسي ثم السبتي المالكي . ولد سنة ٤٧٦ ، واستبحر من العلوم ، وجمع وألف ، واشتهر اسمه في الآفاق ، وله شعر حسن . وهو إمام الحديث في وقته ، وأعرف الناس بعلومه ، وبالنحو واللغة ، وكلام العرب وأيامهم وأنسابهم . توفي شهيداً مقتولاً بمراكش سنة ٥٤٤ ، وذلك لإنكاره عصمة ابن تومرت أمير الموحدين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٠ / ٢١٢-٢١٨ .

٢- في ((الشفا)) المطبوع في ((المكتبة السلفية)) بشرح الخفاجي : ((مما)) ، وهو أقرب إلى المعنى المراد ، وقد قدر الخفاجي الكلام بالآتي : ((أي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطبيقه قدرتهم)) : انظر ((نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض)) : ٢ / ٥٠٣ .

٣- ((الشفا)) : ١ / ٣٧٣ .

٤- هو الشيخ أحمد بن محمد بن عمر ، شهاب الدين الخفاجي المصري الحنفي ، صاحب التصانيف السائرة ، وأحد أفراد الدنيا . أخذ عن عدد من مشايخ عصره ، وأخذ الطب عن داود الأنطاكي ، وقد ارتحل إلى القسطنطينية وأخذ عن فضلائها ومشايخها . توفي بمصر سنة ١٠٦٩ وقد أناف على التسعين .

انظر ((خلاصة الأثر)) : ١ / ٣٣١-٣٤٣ .

((نُقِلَ^(١) عن الأشعريّ إلا أنه لم يشتهر عنه))^(٢) .

ثم ذكر أن من الناس من قال إنه يحتمل أن يكون رجلاً آخر غير أبي الحسن ،
وقيل إن كلام القاضي قد دخله وهم ما ، وقيل غير ذلك^(٣) .

وأنا أميل إلى أنه قد يكون قال ذلك عندما كان معتزلياً - حيث إنه قضى
معظم عمره في الاعتزال - ثم رجع عن ذلك مع جملة ما رجع عنه من آراء المعتزلة
ومعتقداتهم ، وإذا ثبت ذلك القول عنه بعد رجوعه إلى السنة فإن الشيخ أبا الحسن
أجلُّ من أن يقول بـ (الصِّرفة) على وجهها المعروف ، لكنه من منهجي ذكرُ جميع
من نُسب إليه القول بـ (الصِّرفة) على وجه الاستقصاء ، ولهذا ذكرته هاهنا .

ومن نسب إليه القول بـ (الصِّرفة) من أهل السنة :

٢- الأستاذ أبو إسحاق الإسفراييني^(٤) رحمه الله تعالى :

جاء في ((شرح المواقف)) ما يأتي :

((وقيل : إعجازه بـ (الصِّرفة) ، على معنى أن العرب كانت قادرة على كلام
مثل القرآن قبل البعثة لكن الله صرفهم عن معارضته ، واختلف في كيفية الصِّرف
فقال الأستاذ أبو إسحاق - منا^(٥) - والنظام ، من المعتزلة : صرفهم الله عنها مع
قدرتهم عليها ؛ وذلك بأن صرف دواعيهم إليها مع كونهم مجبولين عليها

١- أي القول بالصِّرفة .

٢- ((نسيم الرياض)) : ٥٠٤/٢ .

٣- انظر هذه الأقوال في المصدر السابق .

٤- الإمام العلامة الأوحّد ، الأستاذ أبو إسحاق إبراهيم بن محمد بن إبراهيم الإسفراييني الأصولي الشافعي ، أحد
مجتهدِي عصره وصاحب المصنفات الباهرة . ارتحل في الحديث وسمع من مشايخ ، وأملَى مجالس في الحديث .
كان من المجتهدين في العبادة ، المبالغين في الورع . بُني له بنيسابور مدرسة عظيمة ودرّس فيها . توفي سنة
٤١٨ بنيسابور . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٣٥٣/١٧ - ٣٥٦ .

٥- أي من أهل السنة .

خصوصاً ، عند توافر الأسباب الداعية في حقهم كالتقريع بالعجز ، والاستئزال عن الرياسات ، والتكليف بالانقياد ...))^(١) .

٣- ومن قد يفهم من كلامه القول بـ (الصَّرْفَة) الإمام الماوردي^(٢) :
قد فصل في كتابه : ((أعلام النبوة)) أوجه الإعجاز في كتاب الله - تبارك وتعالى - فذكر عشرين وجهاً كان آخرها القول بـ (الصَّرْفَة) حيث قال :

((الوجه العشرون من إعجازه : (الصَّرْفَة) عن معارضته ، واختلف من قال بها: هل صُرفوا عن القدرة على معارضته أو صرفوا عن معارضته مع دخوله في مقدورهم ؟ على قولين :

أحدهما : أنهم صُرفوا عن القدرة ، ولو قدروا لعارضوا .

والقول الثاني : أنهم صرفوا عن المعارضة مع دخوله في مقدورهم ، و (الصَّرْفَة) إعجاز على القولين معاً في قول من نفاها وأثبتها))^{(٣) (٤)} .

ومن الممكن أن يقال - هنا - إن الإمام الماوردي إنما حكى ذينك القولين عن غيره ، ولم يُرد بحكايته لهما إثبات (الصرفة) ، لكنه لما سكت عن تقرير المذهب الحق وردّ المذهب الباطل فقد أوردته هاهنا التزاماً مني بذكر من قال كلاماً يُوهم (الصرفة) ، والله أعلم .

١- ((شرح المواقف)) مع حاشيته للمباليكوتي وحسن حلي : ٢ / ٤٢١ .

٢- هو الشيخ الإمام علي بن محمد بن حبيب الماوردي الشافعي ، أقضى القضاة ، صاحب التصانيف .
ولي القضاء ببلدان شتى ، ثم سكن بغداد . تبحر في مذهب الشافعي . توفي سنة ٤٥٠ وقد بلغ ستاً وثمانين سنة .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٦٤ - ٦٨ .

٣- (الصَّرْفَة) معجزة في قول من نفاها لأن ذلك النفي ينتج عنه أن القرآن معجز في ذاته ، ومن أثبت (الصَّرْفَة)
فإن صُرف الله العرب عن معارضة القرآن دالٌّ على النبوة وأن القرآن من عند الله .

٤- ((أعلام النبوة)) : ٩٥ .

وَمَنْ قَدْ يُفْهَمُ مِنْ كَلَامِهِ الْقَوْلُ بِـ (الصَّرْفَةِ) :

٤- الإمام ابن حزم الظاهري^(١) :

لم يُشتهر عنه القول بـ (الصَّرْفَةِ) ولكنني وجدت من كلامه في الإعجاز أنه يقول :

((لم يقل أحد من أهل الإسلام إن كلام غير الله - تعالى - معجز ، لكن لما قاله الله^(٢) - تعالى - وجعله كلاماً له أصاره معجزاً ومنع من مماثلته ، وهذا برهان كافٍ لا يُحتاج إلى غيره ، والحمد لله))^(٣) .

فجملة : ((أصاره معجزاً ومنع من مماثلته)) قد يفهم منها أنه يقول بـ (الصَّرْفَةِ) .

ويمكن أن يوجه قول ابن حزم : ((أصاره معجزاً)) بأن الكلمات القرآنية هي نفسها الكلمات التي يتداولها العرب تقريباً ، لكن لما تكلم الله - تعالى - بها أصارها معجزة في أسلوب نظمها وبلاغتها ، وعلى هذا - أيضاً - يتنزل قول ابن حزم : ((ومنع من مماثلته)) أي منع الله - تعالى - أن يماثل كلام أحد القرآن ؛ لكن هذا المنع لم يكن بسبب (الصَّرْفَةِ) وإنما كان لبلوغ هذا الكلام

١- أبو محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الفارسي الأصل ثم الأندلسي القرطبي . ولد سنة ٣٨٤ بقرطبة ، وسمع فيها وغيرها ، وحدث عن طائفة كبيرة ، ورزق ذكاء مفرطاً وذهناً سيالاً ، وكتباً نفيسة كثيرة . وكان ينهض بعلوم حجة ، ويجيد النقل ويعسن النظم والنثر ، وكان حافظاً للحديث وفقهه . توفي سنة ٤٥٦ ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ١٨٤ - ٢١٢ .

٢- أي القرآن .

٣- ((الفيصل في الملل والأهواء والنحل)) : ٣ / ٢٩ .

المنزلة التي ليس بعدها منزلة ، والله أعلم^(١) .

ومن قد يفهم من كلامه القول بـ (الصَّرْفَة) أيضاً :

٥- الحافظ البيهقي^(٢) ، رحمه الله تعالى ؛ إذ ذكر في كتابه ((الاعتقاد)) أوجهاً خمسة من وجوه الإعجاز في القرآن قال بها أهل العلم ممن سبقه ، وذكر (الصَّرْفَة) وجهاً خامساً فقال :

((ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله ، وصرف اهتم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه ، لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه))^(٣) .

ثم إنه نصر هذا الرأي وقوّاه وذهب إليه بقوله :

((وأما (الصَّرْفَة) والتعجيز مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله فإنما يُعلم ذلك بعدم المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة إليه ، وذلك مالا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليه مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته ...

١- قال الأستاذ أبو زهرة رحمه الله تعالى مفسراً قول ابن حزم بـ (الصَّرْفَة) :

((وإن ذلك الكلام يبدو باديء الرأي غريباً من ابن حزم ، ولكن التأمل فيه يجده سائراً على مذهبه في نفي الرأي ، والحكم بظاهر القول من غير تعليل ، فالانحياز إلى تعليل الإعجاز بأن السبب فيه بلاغته التي علّت عن طاقة العرب والتي جعلتهم يخرون صاغرين بين يديه من غير مراء ولا جدال يُعدّ تعليلاً ، وهو من باب الرأي الذي ينفيه والتعليل الذي يجافيه)) . انظر ((المعجزة الكبرى : القرآن)) : ٧٩ .

وهذا التوجيه يبدو مقبولاً إلا أني أرى أنه لا يمكن لمن كان في مكانة ابن حزم إنكار الإعجاز البياني ، إنما قُصّارى أمره أنه يرى الإعجاز بـ (الصَّرْفَة) وجهاً من الوجوه المعتمدة ، كما رأى ذلك الجاحظ والراماني من قبل ، هذا إن لم يتوجه ما ذكرته من التعليل في الصفحة السابقة والله أعلم .

٢- هو الشيخ الإمام العلامة أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي الخراساني البيهقي . ولد سنة ٣٨٤ ، وسمع من طائفة كثيرة ، وورث في علمه وتصانيفه ، وله عدد من المصنفات النافعة . كان ورعاً ، زاهداً ، قانعاً . وكان أهلاً للاحتجاج . توفي سنة ٤٥٨ ، ودفن بـ (بَيْهَق) من أعمال نيسابور .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ١٦٣ - ١٧٠ .

٣- ((الاعتقاد)) : ٢٥٩ .

وسبيل هذا سبيل رجل عاقل اشتد به العطش وبحضرته ماء فجعل يتلوى من شدة الظمأ ولا يشرب الماء ، فلا يشك شكاً أنه عاجز عن شربه ، أو ممنوع لسبب يعوق عنه ، وأنه لم يتركه اختياراً مع توفر الدواعي له ، وشدة الحاجة منه إليه ^(١) .

وكلامه من قوله : ((وسبيل هذا ...)) إلى آخر ما قاله قد يوهم إرادته (الصِّرفة) ، ولكن قد ظهر لي أنه حكى القولين جميعاً ولم يخرج بشيء فصل فيهما ، فلا يعلم - على التحقيق - مذهبه في هذه المسألة ، فيحمل أمره فيها على قول سائر أئمة أهل السنة في هذه المسألة ، وهو أن الإعجاز بـ (الصِّرفة) باطل ، والله أعلم .

وارتضاؤه القول بإعجاز القرآن من جهة نظمه وبلاغته والقول بالصِّرفة - إن ثبت ذلك - هو مذهب الجاحظ والرَّمَّاني من قبله ، وهو الذي رأيت أن فيه تناقضاً واضحاً بينته في موضعه ^(٢) ، والله أعلم .

ومن قد يفهم من كلامه القول بـ (الصِّرفة) :

٦ - الراغب الأصبهاني ^(٣) ، حيث قال :

((إن الإعجاز في القرآن على وجهين :

١ - ((الاعتقاد)) : ٢٦٦ .

٢ - انظر ص ٩٩-١٠٢ .

٣ - العلامة الماهر ، المحقق الباهر ، أبو القاسم الحسين بن محمد بن المفضل الأصبهاني ، الملقب بـ (الراغب) ، صاحب التصانيف . كان من أذكياء المتكلمين . سكن بغداد واشتهر . توفي سنة ٥٠٢ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ١٢٠ - ١٢١ ، و ((الأعلام)) : ٢ / ٢٥٥ .

والشيعة يعتقدون أنه منهم ، وينسب أيضاً إلى الاعتزال لكن الأصح - إن شاء الله تعالى - أنه من أهل السنة ، انظر كلام د . أحمد حسن فرحات على هذه المسألة في مقدمة تحقيقه لرسالة ((مقدمة جامع التفسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) : ١٣-١٦ .

أحدهما : إعجاز متعلق بفصاحته ، والثاني بصرف الناس عن معارضته ^(١) .

ثم قال بعد كلامٍ عن الإعجاز البياني :

((وأما الإعجاز المتعلق بصرف الناس عن معارضته فظاهرٌ أيضاً إذا اعتُبر ^(٢) ، وذلك أنه مامن صناعة ولا فِعْلة من الأفعال محمودَةٌ كانت أو مذمومة إلا بينها وبين قوم مناسبات خفية ، واتفاقات إلهية ، بدلالة أن الواحد يُؤثر حرفة من الحرف فينشرح صدره بملابستها ، وتطيعه قواه في مزاولتها فيقبلها باتساع قلب ، ويتعاطاها بانشرح صدر ... فلما رُئي أهل البلاغة والخطابة الذين يهيمنون في كل واد من المعاني بسلطة ألسنتهم ، وقد دعا الله جماعتهم إلى معارضة القرآن ، وعجزهم عن الإتيان بمثله ، وليس تهتز غرائزهم ألبتة للتصدي لمعارضته لم يخف ^(٣) على ذي لب أن صارفاً إلهياً يصرفهم عن ذلك .

وأي إعجاز أعظم من أن تكون طاقة البلغاء مخيرةً في الظاهر أن يعارضوه ، ومجبرةً في الباطن عن ذلك ^(٤) ...)) ^(٥) .

٦ - ومن يُنسب إليه القول بـ (الصَّرْفَة) من أهل السنة :

٧ - ابن كمال باشا ^(٦) :

١- ((مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) : ١٠٤ .

٢- كلامه هذا يدل على أنه لا يتحمل (الصَّرْفَة) مذهباً إنما يقول بها على سبيل التنزل ، وسيأتي شرح هذا التنزل في الصفحة القادمة .

٣- ((لم يخف)) وما بعدها جواب ((فلما رُئي)) .

٤- أي مصروفة .

٥- ((مقدمة جامع التفاسير)) : ١٠٨ - ١٠٩ .

٦- أحمد بن سليمان بن كمال باشا ، العلامة ، أحد علماء الدولة العثمانية .

اشتغل بالعلم وهو شاب ، ثم تنقل في الوظائف كالتدريس وقضاء العسكر . وكان من العلماء الذين صرفوا جميع أوقاتهم إلى العلم يشتغل به ليلاً ونهاراً ، وصنف رسائل كثيرة قرابة المائة ، وله عدة كتب .

توفي سنة ٩٤٠ . انظر ((الكواكب السائرة)) : ٢ / ١٠٧ - ١٠٨ .

قد نسب إليه هذا القول الأستاذ نعيم الحمصي^(١)، ونقل كلامه ملخصاً وبالمعنى فلم يتضح لي رأي ابن كمال باشا في هذه المسألة حيث إن الكلام الذي ساقه الأستاذ نعيم عنه لا يكفي للحكم عليه بأنه يقول بـ (الصرفة) .

إنصاف وتعليل :

لعل من نسب إليه القول بـ (الصرفة) من أهل السنة - ممن لم يتضح مرادهم منها كالأشعري والإسفراييني - ارتضوها وجهاً من وجوه الإعجاز على سبيل التنزل مع الخصم^(٢)، ومن باب الاحتمالات العقلية لا على سبيل الوقوع ، فقد : ((قرر بعض المتكلمين الإعجاز بطريق يشمل قول أهل السنة وقول المعتزلة في (الصرفة) فقال :

إن كان القرآن معجزاً في نفسه لا يستطيع البشر الإتيان بمثله ولا هي في قواهم معارضته فقد حصل المدعى ، وهو المطلوب .

وإن كان في إمكانهم معارضته بمثله ولم يفعلوا مع شدة عداوتهم له كان ذلك دليلاً على أنه من عند الله لصرفه إياهم عن معارضته مع قدرتهم على ذلك ، وهذه الطريقة - وإن لم تكن مرضية ، لأن القرآن في نفسه معجز لا يستطيع البشر معارضته كما قررنا - إلا أنها تصلح على سبيل التنزل والمجادلة والمنافحة عن الحق ، وبهذه الطريقة أجاب الرازي في تفسيره عن سؤاله في السور القصار كالعصر ، و﴿ إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾^(٣) .

١- ((فكرة إعجاز القرآن)) : ١٦٤ - ١٦٦ .

وقد نقل المصنف كلام ابن كمال باشا من رسائله : ج ١ / ٣١ ، ولم أقف إلا على جزء من رسائله ليس فيه رسالة عن القرآن .

٢- ونحو هذا ما صنعه الراغب الأصفهاني مما نقلته عنه آنفاً .

٣- ((الإعجاز القرآني : وجوه وأساره)) : ٥٥ ، نقلاً عن ابن كثير رحمه الله تعالى ، ولم أعثر على نص ابن كثير ، ولم يبين صاحب الكتاب المصدر الذي استقى منه ذلك النص .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية كلاماً يقارب كلام الإمام ابن كثير ، انظر ((الجواب الصحيح)) : ٥ / ٤٢٩ -

وإنما قلت ذلك لأنني لم أقف على كلام الأشعري والإسفرائيلي وابن كمال
باشا لأعلم كيف انتحلوا (الصِّرفة) وقالوا بها ، إن ثبت عنهم ذلك ، والله أعلم .

ثالثاً : القائلون بـ (الصِّرفة) من الإمامية والرافضة :

١ - الشريف المرتضى^(١) :

قد نُقل عنه أنه يقول بـ (الصِّرفة) ، لكنني لم أجد نص كلامه^(٢) .

٢ - ابن سنان الخفاجي^(٣) :

قد صرح ابن سنان بالقول بـ (الصِّرفة) حيث قال :

((متى رجع الإنسان إلى نفسه ، وكان معه أدنى معرفة بالتأليف المختار وجد في
كلام العرب ما يضاهي القرآن في تأليفه ... وإذا عدنا إلى التحقيق وجدنا وجه
إعجاز القرآن صرف العرب عن معارضته بأن سلبوا العلوم التي بها كانوا يتمكنون
من المعارضة))^(٤) .

قاتله الله ما أجهله بقدر هذا الكلام العظيم ، وما أجرأه عليه .

١ - يلاحظ أن الإمامية يشتركون مع المعتزلة في عدد من أصول عقائدهم ، فالشريف المرتضى - مثلاً - إمامي
معتزلي . انظر ترجمته ص ٨٣ .

٢ - ممن ذكر هذا القول عنه ، يحيى بن حمزة العلوي في كتابه ((الطراز)) : ٣ / ٣٩١ ، والآلوسي في
((روح المعاني)) : ١ / ٢٨ .

٣ - أبو محمد عبدالله بن محمد بن سعيد بن سنان الخفاجي ، الشاعر الأديب . كان يرى رأي الشيعة الإمامية .
قتل مسموماً سنة ٤٦٦ بقلعة عزاز من أعمال حلب . انظر ((فوات الوفيات)) : ٢ / ٢٢٠ - ٢٢٤ .

٤ - ((سر الفصاحة)) : ٩٩ - ١٠٠ .

رابعاً : ومن قال بـ (الصِّرفة) من الفلاسفة : نصير الدين الطوسي^(١) حيث قال :

((إعجاز القرآن على قول قدماء المتكلمين وبعض المُحدِّثين : في فصاحته ، وعلى قول بعض المتأخرين : في صرف عقول الفصحاء القادرين على المعارضة عن إيراد المعارضة .

قالوا^(٢) : كل أهل صناعة اختلفوا في تجويد تلك الصناعة فلا محالة يكون فيهم واحد لا يبلغ غيره شأوه ، وعجز الباقون عن معارضته ، ولا يكون ذلك معجزاً له لأن ذلك لا يكون خرقاً للعادة ، لكن صرف عقول أقرانه القادرين على معارضته يكون خرقاً فذلك هو المعجز))^(٣) .

ونقله لرأي القائلين بـ (الصرفة) من غير تفنيد دالٌّ على أنه قابلٌ بها غير معارض لها ، والله أعلم .

١- محمد بن محمد بن الحسن ، نصير الدين أبو عبد الله الطوسي الفيلسوف ، صاحب علوم متنوعة . ولد سنة ٥٩٧ بطوس . كان رأساً في علم الأوائل ، وكان ذا حرمة وافرّة عند هولاء كوفابتنى بمدينة مراغة مكتبة عظيمة وملأها من الكتب التي نهبت من بغداد والشام والجزيرة حتى اجتمع فيها زيادة عن أربع مائة ألف مجلد . وكان سمحاً حليماً ، حسن العشرة غزير الفضائل ، داهية . له تصانيف كثيرة في أنواع من العلوم وله شعر بالعربية والفارسية . توفي ببغداد سنة ٦٧٢ . انظر ((الوافي بالوفيات)) : ١ / ١٧٩ - ١٨٣ .

٢- أي المتأخرون القائلون بـ (الصِّرفة) .

٣- نقلت هذا النص من كتاب ((فكرة إعجاز القرآن)) : ١٠٩ الذي نقله مصنفه من كتاب ((تلخيص المحصل)) للطوسي : ١٥١ الذي لخص به ((محصل أفكار المتقدمين)) للفخر الرازي ، وانظر ((فوات الوفيات)) :

الرد على القائلين بـ (الصَّرْفَة)

قد اشتغل العلماء منذ ظهور هذا المذهب بالرد عليه في مصنفاتهم - في الإعجاز وغيرها من العلوم كالعقائد - مع ضعف حجة القائلين بـ (الصَّرْفَة) .

وما صنع العلماء المحققون هذه الردود إلا لأنهم أرادوا دفع فتنة القول المزخرف بالباطل الذي سرى وذاع ، وتعلقت به قلوب وعقول ، فكان لابد من الرد وتفنيد هذا القول .

والرد على (الصَّرْفَة) والقائلين بها يتلخص في الآتي :

أولاً : القرآن لفظاً ومعنى هو دليل الإعجاز والتحدي ، فالقول بـ (الصَّرْفَة) يعني أنه ليس في القرآن ذاته فضيلةٌ في التفوق والامتياز ، وهذا باطل بنصوص القرآن التي تحدث العرب أن يأتوا بمثله ، ثم بإجماع الأمة على أن الإعجاز ذاتي في القرآن غير منفك عنه :

قال الإمام القرطبي^(١) رحمه الله تعالى :

((إجماع الأمة قبل حدوث المخالف أن القرآن هو المعجز^(٢)) ، فلو قلنا إن المنع و (الصَّرْفَة) هو المعجز لخرج القرآن عن أن يكون معجزاً ، وذلك خلاف الإجماع ،

١- هو الشيخ الإمام محمد بن أحمد بن أبي بكر الأنصاري الخزرجي القرطبي . إمام متفنن متبحر في العلم ، له تصانيف مفيدة تدل على كثرة اطلاعه ووفور فضله . توفي سنة إحدى و سبعين و ستمائة في صعيد مصر .

انظر ((الوافي بالوفيات)) : ٢ / ١٢٢ - ١٢٣ .

٢- يعني القرطبي بالإعجاز هنا ما كان شائعاً بين السلف من ألفاظ قرآنية دالة على الإعجاز مثل الآية و الحجة و البرهان إلخ ...

وإذا كان كذلك علم أن نفس القرآن هو المعجز؛ لأن فصاحته وبلاغته أمر خارق للعادة؛ إذ لم يوجد كلام قط على هذا الوجه، فلما لم يكن ذلك الكلام مألوفاً معتاداً منهم دل على أن المنع و (الصرفة) لم يكن معجزاً^(١).

٢- ((لو كانت المعارضة ممكنة - وإنما منع منها (الصرفة) - لم يكن الكلام معجزاً، وإنما يكون المنع هو المعجز، فلا يتضمن الكلام فضيلة على غيره في نفسه))^(٢).

وهذا يخالف ما ثبت أنه كان للقرآن تأثير عظيم على سامعيه مسلمين وكفاراً، وأن النبي محمداً - صلى الله عليه وسلم - جاءهم بما لا قبل لهم به أبداً، وأنهم قد أذعنوا لهذه الحقيقة، على أنهم عربٌ خلّص ملكوا ناصية البيان، وتصرفوا في الكلام كيف شاءوا، وقد ثبت في التاريخ عجزهم عن مغارضة القرآن وأنهم لا قبل لهم به.

ومن الأمثلة التاريخية على هذا ما جاء في حديث أبي ذر^(٣) - رضي الله عنه - الطويل من وصف القرآن:

((... فقال أنيس^(٤): إن لي حاجة بمكة فاكفني، فانطلق أنيس حتى أتى مكة، فراه علي^(٥) ثم جاء، فقلت: ما صنعت، قال: لقيت رجلاً بمكة على دينك يزعم أن الله أرسله، قلت: فما يقول الناس؟ قال: يقولون:

١- ((الجامع لأحكام القرآن)) : ٧٥ / ١ .

٢- ((إعجاز القرآن)) للباقلاني : ٣٠ .

٣- هو جندب بن حنادة بن سكين - على المشهور من اسمه - ، رضي الله عنه ، من المقرين من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ومناقبه كثيرة . توفي بالرَبْدَة - موضع خارج المدينة - سنة اثنتين وثلاثين و قيل إحدى وثلاثين رضي الله عنه . انظر ((الإصابة)) ٤ / ٦٣ - ٦٥ .

٤- أنيس بن حنادة ، أخو أبي ذر ، رضي الله عنهما ، أسلم هو وأمه بعد أن دعاها أبو ذر للإسلام . المصدر السابق : ٨٨ / ١ .

٥- أي أبطاً ، انظر صحيح مسلم بشرح النووي : ٢٨ / ١٦ .

شاعر ، كاهن ، ساحر - وكان أنيس أحد الشعراء - قال أنيس : لقد سمعت قول الكهنة فما هو بقولهم ، ولقد وضعت قوله على أقرأ^(١) الشعر فما يلتئم على لسان أحد أنه شعر ، والله إنه لصادق وإنهم لكاذبون ...))^(٢) .

وهذه شهادة من رجل كافر لم يكن قد أسلم بعد ، وهي غاية في الدلالة على تميز القرآن الذاتي عن كلام العرب .

ومن الأمثلة على أثر القرآن في النفوس ، وأنه أثر ذاتي لا مدخل لـ (الصُّرْفَة) فيه ، ما ذكره ابن عباس رضي الله عنهما ((أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن فكأنما رَقَّ له ، فبلغ ذلك أبا جهل فأتاه ، فقال : يا عم ، إن قومك يرون أن يجمعوا لك مالا . قال : لم ؟ قال ليعطوكه فإنك أتيت محمداً لتَعْرِضَ^(٣) لما قَبِلَه ، قال : قد علمت قریش أني من أكثرها مالا ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له قال : وماذا أقول ؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن . والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، والله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه ، مُغْدِقُ أسفله ، وإنه ليعلو وما يُعلا ، وإنه لِيَحْطِمُ ما تحته^(٤) .

قال : لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه . قال : فدعني حتى أفكر فيه ، فلما فكر قال : هذا سحرٌ يُؤثر ، يَأْثُرُه^(٥) عن غيره ، فنزلت :

﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾^(٦) .

١- أي طريقته وأنواعه ، المصدر السابق .

٢- أخرجه مسلم في صحيحه من كتاب فضائل الصحابة : فضل أبي ذر رضي الله عنه : ٢٨/١٦ .

٣- أصلها (لتعرض) وحذفت إحدى التاءين تخفيفاً .

٤- قد شرحت هذا الحديث وخرجته بالتفصيل ، وهو صحيح ، انظر ص ٦٣ ، ٦٤ .

٥- أثر الحديث بآثره و يَأْثُرُه : ذكره عن غيره : ((لسان العرب)) : (أثر) .

وقال ابن كثير ، رحمه الله تعالى :

((أي هذا سحر ينقله محمد عن غيره ممن قبله ويحكيه عنهم)) : ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢٩٢/٨ .

٦- سورة المدثر : آية ١١ - ٣٠ .

والمثال الثالث على أثر القرآن العظيم في قلوب وعقول سامعيه أن جُبِير بن مُطْعِم^(١) - رضي الله عنه - جاء إلى المدينة وهو كافر ليسعى في فكاك بعض الأسرى ، فقال :

((سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور ، وذلك أول ما وقر^(٢) الإيمان في قلبي))^(٣) .

وفي رواية قال :

((سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقرأ في المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية ﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ أَمْ خَلِقُوا الْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيِّطُونَ ﴾^(٤) كاد قلبي أن يطير))^(٥) .

وكل هذه الروايات وغيرها تثبت أنه ليس الإعجاز بـ (الصَّرْفَة) إنما هو بتأثير القرآن نفسه على القلوب والعقول ، وإدراك السامعين أنهم لا يستطيعون معارضته .

٣ - يلزم من قولهم بـ (الصَّرْفَة) أن ((يكون العرب قد تراجعت حالها في البلاغة والبيان ، وفي جودة النظم وشرف اللفظ ، وأن يكونوا قد نُقصوا في قرائحهم وأذهانهم ، وعدموا الكثير مما كانوا يستطيعون ، وأن تكون أشعارهم التي قالوها ، والخطب التي قاموا بها ، وكل كلام اختلفوا فيه من بعد أن أوحى إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - وتحدوا إلى معارضة القرآن قاصرة عما سُمع

١- هو جُبِير بن مطعم بن عدي بن نوفل بن عبد مناف القرشي النوفلي . كان من أكابر قريش و علماء النسب .

أسلم بين الحديبية والفتح ، ومات في خلافة معاوية سنة سبع أو ثمان أو تسع وخمسين ، رضي الله عنه .

انظر ((الإصابة)) : ٢٢٧/١ .

٢- أي سكن وثبت : ((لسان العرب)) : و ق ر .

٣- أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب المغازي : باب شهود الملائكة بدرأ : ١١٠/٥ .

٤- سورة الطور : الآيات : ٣٥ - ٣٧ .

٥- أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب التفسير : تفسير سورة الطور : ١٧٥/٦ .

منهم من قبل ذلك القصور الشديد ، وأن يكون قد ضاق عليهم في الجملة بحال قد كان يتسع لهم ...))^(١) .

ولما لم يكن الأمرُ كما وُصف ، وكان القوم الذين بُعث فيهم رسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يزالوا في الذروة من الفصاحة والبيان دلّ ذلك على فساد ما ادّعي من حدوث (الصَّرْفَة) فيهم ، ونقصان قُدْرهم ، ونزول مراتبهم في الفصاحة والبيان بعد بعثة عظيم الشأن ، صلى الله عليه وسلم .

٤ - ((وما يلزمهم^(٢) - على أصل المقالة - أنه كان ينبغي إن كانت العرب مُنعت منزلةً من الفصاحة قد كانوا عليها أن يعرفوا ذلك من أنفسهم ... ولو عرفوه لكان يكون قد جاء منهم ذكر ذلك ، ولكانوا قد قالوا للنبيّ ، صلى الله عليه وسلم : إنا كنا نستطيع قبل هذا الذي جئتنا به ، ولكنك قد سحرتنا واحتلت في شيء حال بيننا وبينه ...))^(٣) .

فلما لم يُروَ ذلك ، ولم يُنقل أنهم تحدثوا في مجالسهم بهذا - مع أن الدواعي على نقله متوافرة - دلّ على فساد ما ادعاه القائل بـ (الصَّرْفَة) .

٥ - لو كان الله - تعالى - أنساهم الكلام البليغ الذي يمكن أن يعارضوا به القرآن فلم يعودوا ذاكرين له بعد نزول القرآن ، لو أن الله أنساهم هذا في مدّة يسيرة لدلّ ((على نقصان عقلهم ، ولهذا فإن الواحد إذا كان يتكلم بلغة مدّة عمره فلو أصبح في بعض الأيام لا يعرف شيئاً من تلك اللغة لكان ذلك دليلاً على فساد عقله و تغيّره ، والمعلوم من حال العرب أن عقولهم مازالت بعد التحدي

١- ((الرسالة الشافية)) : ١٤٦ .

٢- أي القائلين بـ (الصَّرْفَة) .

٣- المصدر السابق : ١٤٨ .

بالقرآن ، وأن حالهم في الفصاحة والبلاغة بعد نزوله كما كان من قبل^(١) ، فبطل ماعول عليه أهل الصِّرفة^(٢) .

٦ - سلبُ قدرِ العرب على المعارضة ((يجريهم مجرى الموتى فلا يجدي اجتماعهم قوةً وظهوراً على المعارضة ، وهو مخالف لقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ﴾^(٣)))^(٤) .

٧ - قد حصلت فعلاً محاولات للمعارضة كما صنع مُسَيِّمة وغيره ، فهذا يرد على من يقول بـ (الصِّرفة) وأن العرب لم يستطيعوا المعارضة^(٥) .
تلك كانت بعض الردود على مذهب (الصِّرفة) والقائلين به .

على أن (الصِّرفة) لم تكن شراً محضاً على المسلمين فإنه ((مهما يكن من بطلان هذه الفكرة فقد أدت إلى إنشاء علوم البلاغة في ظل القرآن ، فاتجه الكاتبون إلى بيان أسرار البلاغة في هذا الكتاب المبين ، المنزل من عند الحكيم قرآناً عريباً ، فكان هذا الباطل سبباً في خير كثير ... وإن أكثر ما كتب الأولون في البلاغة والفصاحة كان في ظل القرآن ومحاولة لبيان إعجازه ، وإن أول ما كتب في إعجاز

١- بل كانوا أشد من سابقهم وأحد ؛ نظراً للعداوة الطارئة عليهم والتحدي المستمر لهم ، ولذلك قال الله - تعالى -
فيهم بعد نزول القرآن الكريم :

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ سورة الزخرف : آية ٥٨ .

وقال حل وعز :

﴿ سَلَفُكُمْ بِالْإِنشَادِ ﴾ سورة الأحزاب : آية ١٩ .

٢- ((الطراز)) : ٣/ ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٣- سورة الإسراء : آية ٨٨ .

٤- ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : ٥٤ .

٥- ((المعجزة الخالدة)) : ١٧٠ - ١٧١ .

القرآن من ناحية البيان كان في الوقت الذي جاء فيه القول بـ (الصَّرْفَة) بين نفي وإثبات ...))^(٦) .

بهذا تنتهي مباحث هذا الفصل الذي أعدّه مقدمة لاغنى عنها لفهم المباحث الآتية في الفصول القادمة ، إن شاء الله تعالى .

٦- ((المعجزة الكبرى : القرآن)) : ٨٢ .

الفصل الثاني : طرائق التدوين في الإعجاز القرآني

المبحث الأول : التدوين المبعوث في الكتب . (ص : ١٢١ - ١٧٢)

المبحث الثاني : التدوين في الكتب المستقلة بالإعجاز . (ص : ١٧٣ - ٢١٢)

المبحث الأول : التدوين الموثوث في الكتب

تمهيد

حرص العلماء على تناول موضوع الإعجاز ، وذهب كل منهم مذهباً في تقريره والكلام عليه يوافق منحاه وتخصصه العلمي .

فالمفسرون - مثلاً - طرقوا الإعجاز في مكانين من كتبهم :

الأول : في مقدمات الكتب الممهدة للتفسير ، وكثير من المفسرين صنعوا هذا^(١) .

الآخر : عند تفسير الآيات الواردة في هذا الشأن ، وذلك كقوله تعالى : ﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّمَّنْ لَّهُ مِثْلُهُ ۖ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ ۖ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾^(٢) .

أما كتب علوم القرآن فقد كثر في أغلبها الحديث عن إعجاز القرآن العظيم ، وتعريفه ، وبيان وجه المعجز منه وغير ذلك مما جاء فيها من مباحث هذا النوع ، مع ما فيها من الحديث عن الأنواع الأخرى من علوم القرآن .
وأما كتب العقائد فقد كان مصنّفوها على ثلاثة أقسام :

١- وذلك كصنيع الإمام الطبري في مقدمة تفسيره : ((جامع البيان)) ١ / ٨ - ١٢ ، وكصنيع الإمامين ابن عطية والقرطبي ، رحمهما الله تعالى ، وسأتي الكلام على تفسير ابن عطية بالتفصيل ، أما القرطبي فقد أورد مقدمة طويلة في بداية كتابه ضمنها مباحث كثيرة منها مبحث الإعجاز في القرآن ، انظر ((الجامع لأحكام القرآن)) ١ : ٦٩ - ٧٨ .

٢- سورة البقرة : آية ٢٣ .

وإنما بدأت بها وهي آخر آية نزلت في تحدي الكافرين بإعجاز القرآن لأنها الأولى ذكراً في المصحف الشريف ، وغالب المفسرين يتكلمون على الإعجاز عند تفسيرها .

الأول : مصنفون لايزيدون في تصنيفهم عن ذكر الآيات والأحاديث والآثار في أبواب العقائد ، وقد يورد بعضهم بعض كلام سلف الأمة وأئمتها ، وإن تكلموا في كتاب الله - تعالى - فإنما يكون الكلام في الرد على من قال بخلق القرآن^(١) من المعتزلة وغيرهم ، وهؤلاء المصنفون على هذه الطريقة لم يتطرقوا في كتبهم هذه إلى الإعجاز ، لأنه لم يكن هذا المبحث متداولاً شهيراً في زمانهم .

ومن المصنفات على هذه الطريقة كتاب ((السنة)) للخلال^(٢) ، وكتاب ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم)) لأبي القاسم اللؤلؤي^(٣) ، وغيرهما من الكتب .

أما القسم الثاني فهم الذين شحنوا مصنفاتهم بالرد على المعتزلة وغيرها من الفرق الضالة ، لكن تلك الردود كانت بالأسلوب الكلامي نفسه الذي استعمله وبرع فيه المعتزلة خصوصاً ، فكان من البدهي أن تكون مثل هذه المصنفات الرادة على هذه الفرقة مشحونة بالكلام على القرآن العظيم من حيث كونه غير مخلوق ، ومن حيث إعجازه ، وغير ذلك من المباحث المتعلقة بالقرآن العظيم .

١- هذه قضية فلسفية تسربت إلى المسلمين من آثار الفلاسفة الأجنبية ، وكانت الجهمية ومن بعدهم المعتزلة هم الذين قالوا بها ورفضوا لوائها وفرضوها على الناس بقوة السلطان ، فتصدى لهم الإمام أحمد وأئمة أفذاذ آخرون نصر الله - تعالى - بهم الدين ، ثم انتشعت هذه الفتنة في عهد الخليفة المتوكل . انظر في قضية خلق القرآن : ((نواع الأنوار البهية)) : ١ / ١٦١ وما بعدها ، وانظر قصة الفتنة بالقول بخلق القرآن ((سير أعلام النبلاء)) : ١١ / ٢٣٢ وما بعدها .

٢- الإمام العلامة ، الحافظ الفقيه ، شيخ الختابة وعالمهم ، أبو بكر أحمد بن محمد بن هارون البغدادي الخلال . ولد سنة أربع وثلاثين ومائتين ، وأخذ الفقه عن خلق كثير من أصحاب الإمام أحمد ، ورحل كثيراً ، وكتب عن الكبار والصغار ، وصنف عدة كتب ، وكان له الفضل في تدوين علم الإمام أحمد . توفي سنة ٣١١ عن سبع وسبعين سنة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٤ / ٢٩٧ - ٢٩٨ . وكتاب الخلال هذا مطبوع .

٣- الإمام الحافظ المفتي ، أبو القاسم هبة الله بن الحسن بن منصور ، الطبري الرازي ، الشافعي اللؤلؤي ، مفيد بغداد في وقته . له مصنفات قليلة ، وكان صاحب فهم وحفظ . توفي بـ (الدِّيَّور) سنة ٤١٨ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٤١٩ - ٤٢٠ ، وكتابه هذا مطبوع متداول .

ومن المصنفات على هذه الطريقة كتاب ((الإنصاف فيما يجب اعتقاده ولا يجوز الجهل به)) للإمام أبي بكر الباقلاني ، رحمه الله تعالى ، وكتاب ((أصول الدين)) لعبد القاهر البغدادي^(١) .

ولئن اختلفت الأنظار في تقويم ماصنعه هؤلاء الأئمة الرادون على الفرق الضالة من حيث استعمالهم لعلم الكلام ، وتوسعهم وتوغلهم فيه ، وعدم نهجهم سبيل السلف في الاكتفاء بإيراد الأدلة القرآنية والأحاديث والآثار في معرض ردهم على الضالين ، أقول : لئن اختلفت الأنظار في تقويم صنيعهم هذا فإن ما يعيننا في هذا البحث هو تقويم ما ذكره هؤلاء الأئمة في مصنفاتهم عن الإعجاز ، وبيان جهدهم الذي بذلوه في هذا الباب .

ومن الأئمة من جمع بين الطريقتين فأورد في كتابه عدداً وافراً من الأحاديث والآثار مازجاً إياها بالكلام على المباحث العقدية بالأسلوب الكلامي غير الغالي .

ومن هؤلاء الإمام ابن خزيمة^(٢) - رحمه الله تعالى - في كتابه : ((التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل)) ، والإمام البيهقي - رحمه الله تعالى - في كتابه ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) ، وغيرهما .

١- العلامة البارغ ، المتفطن الأستاذ عبد القاهر بن طاهر البغدادي ، أبو منصور ، نزيل خرسان . صاحب تصانيف بديعة ، وأحد أعلام الشافعية . كان يُدرس في سبعة عشر فناً ، ويُضرب به المثل . توفي بـ ((إسفرايين)) سنة ٤٢٩ بعد أن شاخ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٥٧٢ - ٥٧٣ . وكتابه هذا مطبوع .

٢- الحافظ الحجة الفقيه ، شيخ الإسلام ، إمام الأئمة محمد بن إسحاق بن خزيمة ، أبو بكر السلمي النيسابوري الشافعي ، صاحب التصانيف . ولد سنة ٢٢٣ ، وعُني في حدائمه بالحديث والفقه حتى صار يضرب به المثل في سعة العلم والإتقان توفي سنة ٣١١ ، وعاش تسعاً وثمانين سنة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٤ / ٣٦٥ - ٣٨٢ .

وكتاب ابن خزيمة هذا مطبوع متداول .

وقد تناول عدد من المصنفين في السيرة الشريفة المطهرة مبحث الإعجاز في مصنفاتهم ، وذلك من باب إثبات نبوة النبي الأعظم - صلى الله عليه وسلم - أو من باب ذكر المعجزات التي ظهرت على يديه الشريفتين ، صلى الله عليه وسلم .

فإذا علم هذا فإنني سأختار - بحول الله وقوته - كتاباً في كل علم من العلوم المذكورة وهي :

التفسير ، وعلوم القرآن ، والعقيدة ، والسيرة الشريفة .

وأحدث عن جوانب الإعجاز التي ذكرها المصنف في كتابه الذي اخترته مبيناً محاسنها ، ناقداً ما يحتاج النقد منها .

وسأراعي ، إن شاء الله تعالى ، في اختياري هذه الكتب - هنا وفي كل فصول الرسالة - أن تكون جامعة ، عميقة البحث بحيث تمثل غالب الكتب الأخرى المشهورة التي تحدثت عن الإعجاز في كتاب الله - سبحانه وتعالى - .

وسوف أتوسع في ذكر بعض أوجه الإعجاز التي أتى بها الأئمة في كتبهم المختارة ، وأناقش ما إذا كانت من الإعجاز أو لا ، لسببين :

١ - أن هذه الأوجه تذكر لأول مرة في هذه الرسالة فكان من المناسب التوسع في بيانها .

٢ - إذا قُومَت هذه الأوجه تقويماً دقيقاً فستكون أساساً لإحالة جميع أوجه إعجاز القرآن المماثلة لها والمذكورة في هذه الرسالة إليها .

ثم إنني إذا ذكرت الوجه وناقشته أول وروده في الرسالة فلإني لأناقشه مرة أخرى عند وروده في مكان آخر ، وإنما أكتفي بالإشارة إليه بإيجاز مع الإحالة على مناقشة الموضوع الأول ، إلا إذا كان في إعادة المناقشة أو الإضافة إلى ما جاء في أول موضع فائدةً معتبرة .

الكتب المختارة من كل علم

والكتب المختارة هي :

١ - ((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) للإمام عبد الحق بن عطية الأندلسي ، رحمه الله تعالى ^(١) .

٢ - ((البرهان في علوم القرآن)) للإمام بدر الدين الزركشي ^(٢) ، رحمه الله تعالى .

٣ - ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) للإمام البيهقي ، رحمه الله تعالى .

٤ - ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم)) للقاضي عياض ، رحمه الله تعالى .

وأحدث - إن شاء الله تعالى - عن كل منها بالترتيب :

١- الإمام العلامة ، شيخ المفسرين ، عبدالحق بن غالب بن عطية الغرناطي . كان إماماً في الفقه والتفسير والعربية ، ذكياً فطناً ، من أوعية العلم ، ولد سنة ثمانين وأربعمائة ، وتوفي في ((كُورقة)) - من الأندلس - سنة إحدى وأربعين وخمسمائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٨٧/١٩ - ٥٨٨ .

٢- هو الشيخ محمد بن بهادر بن عبد الله التركي الأصل ، المصري ، بدر الدين الزركشي . ولد سنة ٧٤٥ ، وعُني بالاشتغال من صغره فحفظ كتباً . أخذ عنه عدة مشايخ ، وكان منقطعاً لا يتردد إلى أحد .

توفي بالقاهرة سنة ٧٩٤ . انظر ((الدرر الكامنة)) : ٤ / ١٧ - ١٨ .

أولاً : التفسير

((المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز))

للقاضي أبي محمد عبد الحق بن غالب بن عطية الأندلسي

هذا الكتاب مهم من حيث إنه كتاب لمصنف أندلسي ، يمثل مدرسة تراثية عظيمة ، تكمل ما كان في المشرق من جهود علمية وثقافية ضخمة في ذلك العصر .

وهو من جانب آخر قد عرض للإعجاز القرآني بطريقة مناسبة ليس فيها تطويل ممل ولا قصر مخل .

وقد تحدث الإمام ابن عطية عن الإعجاز في موضعين من كتابه :

أولاً : في المقدمة : التي حوت علوماً من القرآن منها إعجازه .

والموضع الآخر : في سياق آيات التحدي للكافرين بأن يأتوا بمثل هذا الكتاب العظيم .

أما المقدمة فقد أورد فيها ثلاثة أوجه للإعجاز ، ارتضى منها واحداً ورد الوجهين الباقيين^(١) ، وهذه الأوجه الثلاثة هي :

(١) - ((التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كُلفت في ذلك ما لا يُطاق ، وفيه وقع عجزها))^(٢) .

١- انظر ((المحرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ - ٤٠ .

٢- ((المحرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ .

(٢) - ((التحدي وقع بما في كتاب الله - تعالى - من الأنباء الصادقة والغيوب
المسرودة)) .

(٣) - ((التحدي إنما وقع بنظمه ، وصحة معانيه^(١) ، وتوالي فصاحة
الفاظه))^(٢) .

وقد ارتضى الوجه الأخير ورجّحه ، وذكر أنه هو ((الذي عليه الجمهور
والخذاق ، وهو الصحيح في نفسه))^(٣) .

ودلل على صحة هذا الوجه بأن ((الله - تعالى - قد أحاط بكل شيء
علماً ، وأحاط بالكلام كلّ علماً ، فإذا ترتبت اللفظة من القرآن علم بإحاطته أيّ
لفظة تصلح أن تلي الأولى ، وتبين المعنى بعد المعنى ، ثم كذلك من أول القرآن
إلى آخره ، والبشر معهم الجهل والنسيان والذهول ، ومعلوم ضرورة أن بشراً لم
يكن قطّ محيطاً))^(٤) .

والحق أن هذا الوجه الذي ارتضاه هو الوجه الذي أطبق عليه سائر من تكلم في

١- أي ببلاغته ؛ إذ هي العلم المتعلق بالمعاني .

٢- المصدر السابق .

٣- المصدر السابق ، وقد نصر الإمام ابن عطية هذا القول أيضاً في ثنايا كتابه ، انظر : ١ / ١٤٤ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٨ - ٣٩ .

وقد ذكر كلاماً حول هذا في كتابه ((المحرر الوجيز)) نفسه : ٩ / ٤٥ - ٤٦ عند تفسير قوله تعالى في سورة
يونس ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تُلَوِّقُونَ دُمُومَكُمْ فِي الْأَعْيُنِ ... ﴾ الآية : ٣٨ .

الإعجاز القرآني ، لم يشذَّ عنه إلا من لا وزن لرأيه - علمياً - ولا قيمة كالنظام وأمثاله ، كما بينت ذلك في موضع سابق^(١) .

وقد أشار ابن عطية - رحمه الله تعالى - إلى البلاغة بقوله : ((وصحة معانيه)) ، فاجتمعت بذلك أوجه الإعجاز التي أطبق عليها أكثر من تكلم في الإعجاز وهي :

جودة النظم ، والطبقة العليا من البلاغة ، والفصاحة .

أما الوجهان اللذان ردَّهما وهما :

وقوع التحدي بالكلام القديم ، والتحدي بالغيوب ، فإنه لم يبين الوجه الأول ، ولم يتوسع في الرد عليه .

وأما الوجه الآخر فقد توسع في الرد عليه في ثنايا كتابه .

واكتفى بالرد عليهما في المقدمة بقوله :

((وهذان القولان إنما يرى العجز فيهما^(٢) من تقررت الشريعة ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - في نفسه ، وأما من هو في ظلمة كفره فإنما يُتحدَّى فيما يبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه))^(٣) .

ولعل عدم توسعه في الرد إنما كان اعتماداً منه على سلوك سبيل الإيجاز في كل ما أورده من أبحاث في مقدمته ، ومنها مبحث الإعجاز .

١- انظر ص ٩٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- ((فيهما)) - هنا - بمعنى (عنهما) ، أو لعل اللفظة قد حُرِفت .

٣- ((المحرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ .

بيان الوجه الأول وردّه

وهذا الوجه هو الذي أخبر عنه بقوله :

((التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كُلفت في ذلك ملايطاق وفيه وقع عجزها)) .

ولأن الشيخ - رحمه الله - قد أوجز القول فيه إيجازاً ، فإني أوضحه وأذكر الرد عليه فيما يلي :

إن مقتضى عبارات السلف في كلام الله - تعالى - أنه صفة ذات وصفة فعل معاً ، فالله متكلم بما شاء متى شاء سبحانه ، وكلامه قائم بنفسه ، سبحانه وتعالى^(١) ، أما من خالف في هذا فانقسم إلى أقسام منها ما يتعلق بكلام الإمام ابن عطية - هنا - وهو بيان لمذهب قوم قالوا إن كلام الله تعالى صفة ذات فقط ، فالقرآن - عندهم - كلام الله تعالى ، لكنه معنى قديم قائم بذاته سبحانه فقط ، والله - تعالى - يخلق في العبد إدراكاً يدرك به ذلك الكلام القديم الذي تكلم الله به في الأزل ، والقرآن الذي بين أيدينا هو عبارة عن كلام الله - تعالى - القديم القائم بذاته لا كلام الله نفسه ، لأن الله - عندهم - لا يتكلم بحرف وصوت^(٢) ، وإنما كان الذي دعاهم إلى هذا القول هو تنزيه الله عن أن يكون متكلماً بعد أن لم يكن كذلك .

ومذهب السلف أن الله لم يزل متكلماً إذا شاء ، ولا يقولون إنه صار متكلماً بعد أن لم يكن متكلماً ، ولا أن كلام الله تعالى - من حيث هو - حادث^(٣) .

١ - انظر في هذا ((مجموع الفتاوى)) : ١٢ / ١٣٢ - ١٣٣ .

٢ - انظر ((مجموع الفتاوى)) : ١٢ / ١٢٠ ، ٢٤٣ .

٣ - المصدر السابق : ١٢ / ١٧٣ .

((والصواب الذي عليه سلف الأمة ... هو أن القرآن جميعه بكلام الله :
حروفه ومعانيه ، ليس شيء من ذلك كلاماً لغيره ، ولكن أنزله على رسوله ، وليس
القرآن اسماً مجرد المعنى^(١) ولا مجرد الحرف بل لمجموعهما))^(٢) .

وتوضيح الوجه الذي أورده الإمام ابن عطية - رحمه الله تعالى - هو : أنه لما
كان القرآن كلامَ الله - تعالى - لكنه معنى قائم بذات الباري - سبحانه - معبر
عنه بالعبارات والألفاظ ، لما كان كذلك فيستحيل إذاً معرفة ما قام بذاته سبحانه ،
ولما كان مُتحدّياً به أيضاً فإن المخاطبين كلفوا ما لا يطيقون من التحدي ، إذ لا قبل
لهم بمعرفة الكلام المتحدّى به حقيقةً ، فصار بذلك معجزاً لهم .

فإذا عُلِمَ ما قدمته أولاً من أن سبيل السلف يخالف هذا الذي قرروه من أن
كلام الله - القرآن - معنى قائم في ذاته غير عنه بألفاظ ، إذا علم هذا بطل
الاستدلال بذلك الوجه الذي أورده الإمام ابن عطية على الإعجاز .

وقول ابن عطية رحمه الله تعالى عن هذا الوجه أنه يرى العجز فيه ((من قد
تقررت الشريعة ونبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - في نفسه ، وأما من هو في
ظلمة كفره فإنما يُتحدى فيما يبين له بينه وبين نفسه عجزه عنه))^(٣) قوله هذا فيه
ملاحظتان :

الأولى : أنه يرى هذا المذهب ويعتقده ، وقد ذكرت أن مذهب السلف خلافه .

١- أي كما هو قول القائلين بأنه معنى قائم بنفس الله فقط وليس صفة فعل .

٢- ((مجموع الفتاوى)) : ١٢ / ٢٤٤ .

٣- ((المحرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ .

الأخرى : أن هذا الرد - الذي رد به الإمام ابن عطية ذلك الوجه المذكور - صالح ؛ وذلك لأن هذه المعاني المذكورة من الإعجاز دقيقة لا يقتنع بها إلا من كان مؤمناً عالمًا بها ، وذلك كله تنزلاً معه فيما ذهب إليه في ذلك الوجه ، وإلا فبإني قد ذكرت أن مذهب السلف خلافة ، والله أعلم .

بيان الوجه الآخر :

أما الوجه الآخر ، وهو الإعجاز بأخبار الغيب ، فإنه رده بجوابين :
جواب في المقدمة ، وقد ذكرته قبلُ عند تقرير رد الوجه الأول : وهو أنه لا يرى العجز في هذا إلا من تقررت الشريعة ونسوة محمد - صلى الله عليه وسلم - في نفسه .
وجواب آخر في ثنايا الكتاب .

أما الجواب الأول : فلا أتفق معه فيما ذهب إليه ؛ إذ أن أخبار الغيب في القرآن يتبين لكل مسلم عجزه عن أن يأتي بمثلها ، فلا أدري وجهاً لكلامه هذا ، والله أعلم .

أما الجواب الآخر :

فقد ذكره في ثنايا الكتاب ، إذ جاء به في أثناء تفسيره قوله تعالى :
﴿وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ۚ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّن دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ۝﴾^(١)
فقال رحمه الله تعالى :

١- سورة البقرة : آية ٢٣ .

((واختلف المتأولون على من يعود الضمير في قوله ﴿مِثْلَهُ﴾ ، فقال جمهور العلماء : هو عائد على القرآن^(١) ، ثم اختلفوا ، فقال الأكثر : من مثل نظمه ورفصه وفصاحة معانيه التي يعرفونها ، ولا يعجزهم إلا التأليف^(٢) الذي خُصَّ به القرآن ، وبه وقع الإعجاز على قول حدّاق أهل النظر .

وقال بعضهم : من مثله في غيوبة وصدقه وقدمه ، فالتحدي عند هؤلاء وقع بالقدم ، والأول أبين))^(٣) .

وقال عند قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَنَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَلْعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٤) :

((والتحدى في هذه الآية وقع بجهتي الإعجاز اللتين في القرآن : إحداهما : النظم والرصف والإيجاز والجزالة ... والأخرى : المعاني من الغيب لما مضى ولما يُستقبل . وحين تحداهم بعشر مفتريات إنما تحداهم بالنظم وحده^(٥) . قال القاضي أبو محمد^(٦) :

هكذا قول جماعة من المتكلمين ، وفيه - عندي - نظر ، وكيف يجيء التحدي بمماثلة في الغيوب رداً على قولهم : ﴿ أَفْتَرَنَاهُ ﴾ ؟ وما وقع التحدي في الآيتين بهذه

١- والقول الآخر هو عزّده علي النبي - صلى الله عليه وسلم - وانظر في هذا : ((البحر المحيط)) : ١ / ١٠٤ -

١٠٥ ، و((روح المعاني)) : ١ / ١٩٤ - ١٩٥ .

٢- أي النظم .

٣- ((المحرر الوجيز)) : ١ / ١٤٣ - ١٤٤ .

٤- سورة يونس : آية ٣٨ .

٥- لأنه تحداهم في قوله ﴿ مُفْتَرَيْنَا ﴾ بأن يأتوا بمثله في النظم والرصف والجزالة لا الأخبار الصادقة لأن قوله :

﴿ مُفْتَرَيْنَا ﴾ يعني هاتوا مثلها ولو كان ما فيها كذباً لكنها تشابهها في الجزالة والنظم .

٦- أي ابن عطية نفسه رحمه الله .

وآية العشر السور إلا بالنظم والرصف والإيجاز في التعريف بالحقائق ، وما ألزموا قطُّ إتياناً بغيب ، لأن التحدي بالإعلام بالغيوب^(١) كقوله :

﴿وَهُمْ مِنْ بَعْدِ عَلَيْهِمْ سَيِّئَاتُ﴾^(٢) ... ونحو ذلك من غيوب القرآن فيبين أن البشر مقصر عن ذلك^(٣) .

وعلى هذا فإن الإعجاز عند ابن عطية إنما هو بالنظم والرّصف والجزالة والفصاحة ، أما أخبار الغيب فإنه لا يرى الإعجاز بها .

ويبدو لي - مما نقلته عن ابن عطية آنفاً - أن الإمام لم يردّ أخبار الغيب على أنها وجه من أوجه الإعجاز إلا إذا ادّعي انفرادها بالدلالة على الإعجاز ، أما إذا عُذّت وجهاً من أوجه الإعجاز مع البلاغة والنظم فإني لا أحد من كلامه رداً لها ولا قبولاً .

ولا أعلم أحداً ممن تكلم في الإعجاز ارتضى أخبار الغيب في القرآن على أنها وجه الإعجاز الوحيد إلا ما جرى من النظام حيث قال :

((الأعجوبة في القرآن ما فيه من الإخبار بالغيوب ، فأما التأليف والنظم فقد كان يجوز أن يقدر عليه العباد لولا أن الله منعهم بمنع وعجز أحدثه فيهم))^(٤) .

١- قوله : ((بالإعلام بالغيوب)) خير أن .

٢- سورة الروم : آية ٣ .

٣- المصدر السابق : ٩ / ٤٤ - ٤٦ .

٤- ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٢٥ ، و ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : ٧٠ .

تفصيل القول في الإعجاز بأخبار الغيوب :

أخبار الغيب في القرآن الكريم تنقسم إلى ثلاثة أقسام :

١- الغيب الماضي ، وهو قصُّ أخبار المتقدمين على الوجه الذي لا يكاد يعرفه أحد وإن عرفه فليس كتفصيل القرآن الكلام عليه ، قال تعالى بعد تفصيل قصة نوح عليه الصلاة والسلام :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾ ^(١)

٢- الغيب المستقبل ، وهو منقسم إلى قسمين :

أ - غيب قريب موعود بتحقيقه وقد تحقق ، كغلبة الروم الفرس ، وفتح المسلمين مكة ، والإخبار بموت أبي لُهب ^(٢) كافراً .

ب - وغيب بعيد لم يتحقق بعد ، وذلك نحو بعض أشراف الساعة كالدابة ، والدخان ، والكوارث الكونية يوم القيامة .

٣ - والغيب الحاضر كالحديث عن الأشياء التي غُيِّبَتْ عن أبصارنا كالدَّارِ الآخرة وما فيها من جنة ونار وملائكة إلخ ...

أو الإخبار عن ضمائر الناس كاليهود حيث أخبر القرآن عنهم أنهم لا يتمنون الموت : ﴿ وَلَنْ يَسْتَمْتُوهُ أَبَدًا ﴾ ، ﴿ وَلَا يَسْتَمْتُونَهُ أَبَدًا ﴾ ^(٣) .

١- سورة هود : آية ٤٩ .

٢- هو عبد العزى بن عبد المطلب بن هاشم . عم رسول الله صلى الله عليه وسلم . توفي بعد بدر بليال بقرحة فاتلة كالطاعون ، وكان قد اغتمَّ لما أصاب قومه . انظر ((التبيين في أنساب القرشيين)) : ٧٦ ، و ((سيرة ابن هشام)) : ١ / ٦٤٦ - ٦٤٧ .

٣- سورة البقرة : آية ٩٥ ، وسورة الجمعة : آية ٧ .

وقد أورد عدد من الأئمة أخبار الغيب في القرآن وجهاً أو وجوهاً من أوجه الإعجاز^(١) ، ورد ذلك آجرون^(٢) .

وقد كنت أميل إلى عدم قبول أخبار الغيب في القرآن على أنها من أوجه الإعجاز وإنما هي دلائل على صدق هذا الكتاب العظيم ، وأنه من عند الله تعالى - قطعاً - وقد جنحتُ إلى هذا الرأي لأسباب هي :

١ - ليست كل آيات القرآن العظيم تحوي أخبار الغيب ، وقد أعجز الله الخلق بالقرآن كله قليلاً وكثيره^(٣) .

٢ - كثير ممن سمع بأخبار الغيب المستقبلية مات قبل أن تقع هذه الأخبار وتحقق ، وأعني بتلك الأخبار أخبار الغيب القريب الذي تحقق زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وأخبار الغيب المستقبل البعيد التي لم تتحقق حتى الآن ، فكيف يقع الإعجاز بالتحدي بشيء لم يتأكد وقوعه ، ولم يره المعاند الجاحد بعد ، فينقطع دونه ويعجز ، وإنما يقع التحدي بأمر يقع أمام أنظار الجاحدين ويُلقى على أسماعهم ، لاعلى أمر موعود بتحقيقه ؟ لم يروه ولن يدركه كثير منهم فيعرفوا صدقه من كذبه .

١ - كالحافظ البيهقي في ((الاعتقاد)) : ٢٥٩ ، والقاضي عياض في ((الشفا)) : ١ / ٣٧٥ ، والإمام الباقلاني في كتابه ((إعجاز القرآن)) : ٣٥ ، وآخرين .

وإنما قلت (وجوهاً) باعتبار ما ينقسم إليه الإعجاز بالأخبار الماضية والحاضرة والمستقبلية كما سبق تفصيله .

٢ - ومن رده الإمام ابن عطية في ((المحرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ ، ١٤٣ - ١٤٤ ٦

والإمام الزركشي في ((البرهان)) : ٢ / ٩٥ - ٩٦ ، والإمام يحيى بن حمزة العلوي في ((الطراز)) : ٣ / ٣٩٨ ، وآخرون .

ولعل معظم الذين رده إنما صنعوا ذلك حين القول بتفرده وجهاً للإعجاز ، أما حين اشتراكه مع غيره فإن مقتضى كلامهم قبوله ، وانظر الصفحات : ١٣١ - ١٣٣ ، ١٤٠ - ١٤١ ، ٢٠٥ .

٣ - انظر ((البرهان في علوم القرآن)) : ٢ / ٩٦ .

٣ - لم يصلنا أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - تخذاهم بأن يأتوا بمثل أخبار الغيب في القرآن ، ولا أعجزهم بها .

لذلك الأسباب مجتمعة لم أكن أعتقد أن أخبار الغيب في القرآن العظيم تغد من أوجه إعجازه .

لكني رأيت كلاماً مفيداً للإمام الخطّابي يجمع بين الرأيين (المثبت والنافي) حيث قال :

((وزعمت طائفة أن إعجازه إنما هو فيما يتضمنه من الإخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان ... ولا يُشك في أن هذا وما أشبهه من أخباره نوع من أنواع إعجازه ، ولكنه ليس بالأمر العام الموجود في كل سورة من سور القرآن ، وقد جعل سبحانه في صفة كل سورة أن تكون معجزةً بنفسها))^(١) .

وقد ذكر الإمام الزركشي - رحمه الله تعالى - كلاماً مشابهاً ، حيث قال عن الإعجاز بأخبار الغيب المستقبلية :

((ورُد هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لا خبر فيها بذلك لا إعجاز فيها وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزةً بنفسها))^(٢) .

ثم قال عن الإعجاز بقصص الغيب المتقدمة ، وهو الشاهد هنا :

((وهو مردود بما سبق^(٣) ، نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز إلا أنه منحصر فيه))^(٤) .

١- ((بيان إعجاز القرآن)) : ضمن ((ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)) : ٢٣ - ٢٤ .

٢- ((البرهان)) : ٩٦/٢ .

٣- أي مردود بما رُدت به دعوى الإعجاز بأخبار الغيب المنتقلة .

٤- المصدر السابق .

أي أن الإعجاز ثابت فقط في الآيات المخبرة عن الغيوب لا فيما سواها من آيات تخلو من أخبار الغيب ؛ إذ الإعجاز فيها متحقق بشيء آخر .

إذاً الإعجاز بأخبار الغيب إعجاز جزئي لا كليّ ؛ إذ ليس واقعاً في كل آية في كتاب الله - تعالى - وقد تخلو بعض السور القصار منه ، فصار الإعجاز خاصاً بالآيات التي وردت فيها أخبار الغيب فقط ، والآيات التي تخلو من أخبار الغيب فإن وجه الإعجاز فيها قائم من جهة البلاغة والفصاحة والنظم .

أما الإجابة على ما أوردته من أسباب آنفاً لعدم اعتدادي - أولاً - بأخبار الغيب المستقبلية وجهاً من أوجه الإعجاز فقد أجبت على الأول منها بأن الإعجاز فيها ليس إعجازاً كلياً وإنما ينحصر في آيات الغيوب فقط .

وأما الثاني وهو عدم إدراك كثير من المعاندين الجاحدين تحقق أخبار الغيب ، وموتهم قبل وقوعه ، فالإجابة عليه تكون بأن الإعجاز قائم بأخبار الغيب الماضية والحاضرة ، وهذا كاف للتصديق بالمستقبلية منها والإيمان بأنها معجزة ، وينضم إلى ذلك أنواع الإعجاز المتفق عليها في القرآن كالإعجاز بنظم القرآن وفصاحة ألفاظه وجزالة معانيه ، وينضم إلى ذلك أيضاً مارآه الجاحدون المنكرون من معجزات حسية كثيرة جرت على يديه الشريفتين - صلى الله عليه وسلم - فمن لم يُسلم بذلك كله فإنه لن يسلم بإعجاز الأخبار الغيبية المستقبلية حتى لو أدركها ورآها ، فأخبار الغيب المستقبلية معجزة بدليل خارجي لاذاتي ، والله أعلم .

وأما الثالث - وهو أنه لم يصلنا أن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، تخداهم بهذه الأخبار الغيبية - فيمكن ردّه بأن الله - تعالى قال :

﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ﴾^(١).

فالمثلية المطلوبة كما أنها تقتضي المشابهة لنظمه وأسلوبه فهي تقتضي المشابهة لغيوبه أيضاً ، فأخبار الغيب إذاً متحدى بها ، وهي معجزة .

وبهذا التفصيل لأخبار الغيب ينتهي الكلام على أوجه الإعجاز عند الإمام ابن عطية الذي ارتضى منها الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم كما مرّ .

١- سورة الطور : آية ٣٤ .

ثانياً : علوم القرآن

((البرهان في علوم القرآن))

للإمام بدر الدين الزركشي ، رحمه الله تعالى

كتاب ((البرهان)) للإمام الزركشي كتاب جليل القدر ، حيث إنه مؤلف واسع ، متنوع المباحث في علوم القرآن ، فلم يولف قبله مثله - فيما نعلم - ضمنه المصنف أنواعاً كثيرة من علوم القرآن بضبط وتحرير وتحقيق ، ذكر منها ((معرفة إعجازه)) وهو النوع الثامن والثلاثون من الأنواع التي ذكرها في كتابه^(١) .

وقد جاءت مباحث الإعجاز عند الزركشي - رحمه الله - حافلة بالفصول والمسائل ، متنوعة في طرقها هذا الموضوع المهم ؛ فقد ابتدأ بمقدمة ذكر فيها أهمية معرفة علم الإعجاز القرآني ، وبعض من صنف فيه من الأئمة ، ثم ذكر آيات التحدي في كتاب الله - تبارك وتعالى - وناقش بعض كلام الأئمة فيها .

ثم ذكر وجوه الإعجاز في القرآن الكريم وهي :

١ - ((إحداها : وهو قول النظم :

إن الله صرف العرب عن معارضته وسلب عقولهم ، وكان مقدوراً لهم لكن عاقهم أمرٌ خارجيٌ فصار كسائر المعجزات ، وهو قول فاسد ...))^(٢) ثم شرع في رده^(٣) .

١- ((البرهان)) : ٢ / ٩٠ - ١٢٤ .

٢- ((البرهان)) : ٢ / ٩٣ - ٩٤ .

٣- سبق بيان غوار مذهب من قال بـ (الصُّرفة) ، انظر ص ١١٣ .

٢ - ((وجه الإعجاز راجع إلى التأليف الخاصّ به لامطلق التأليف ، وهو بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزناً ، وعلت مركباته معنى))^(١) .

وهذا راجع إلى الإعجاز النظمي والبلاغي ، وقوله : ((لامطلق التأليف)) أي مجرد صف الحروف لتكون كلمات فإن هذا يحسنه كل متكلم عاقل .

٣ - ((مافيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية)) .

وقد ردّ هذا الوجه بقوله :

((وردّ هذا القول بأنه يستلزم أن الآيات التي لاخبر فيها بذلك لاإعجاز فيها ، وهو باطل ، فقد جعل الله كل سورة معجزة بنفسها))^(٢) .

وقد بينت - في موضع سابق - أن الإعجاز هنا إعجاز جزئي لاكلي ، بمعنى أنه موجود في كثير من الآيات لا كلها^(٣) .

٤ - ((ما تضمن من إخباره عن قصص الأولين وسائر المتقدمين حكاية من شاهدها وحضرها))^(٤) .

وقد علق على هذا بقوله :

((وهو مردود بما سبق^(٥) ، نعم هذا والذي قبله من أنواع الإعجاز إلا أنه غير منحصر فيه)) .

أي أن الإعجاز ثابت فقط في الآيات المخبرة عن الغيوب لا فيما سواها من آيات ، كما سبق بيانه^(٦) .

١- المصدر السابق : ٢ / ٩٥ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٩٥ - ٩٦ .

٣- انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٤- ((البرهان في علوم القرآن)) : ٢ / ٩٦ .

٥- أي بما ردّ به الوجه السابق .

٦- انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٥ - ((إخباره عن الضمائر من غير أن يظهر ذلك منهم بقول أو فعل كقوله :
﴿إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا﴾^(١) ... وإخباره عن اليهود أنهم لا يتمنون
الموت أبداً^(٢) .

ثم انه لم يتكلم على هذا الوجه قبلاً أو رداً ، وهذا الوجه حكمه حكم
الوجهين السابقين عليه ، والله أعلم ، باعتبار إخباره عن الغيب الحاضر وقت
النزول فتجتمع بهذه الوجوه الثلاثة الأزمنة الثلاثة ، وقد أحسن من جعلها جميعاً
وجهاً واحداً وهو الإخبار بالغيب مطلقاً سواء كان الغيب الماضي أو الحاضر أو
المستقبل .

٦ - ((السادس ، وصححه ابن عطية وقال :
إنه الذي عليه الجمهور والحدائق ، وهو الصحيح في نفسه ، أن التحدي إنما وقع
بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ...))^(٣) .
وهذا الوجه لامرية في إعجازه ، وهو شامل للوجه الثاني المذكور سابقاً .

٧ - ((وجه الإعجاز الفصاحة ، وغرابة الأسلوب ، والسلامة من جميع
العيوب))^(٤) .

وقد ذكر أنه قريب من الوجه السابق ، وهو كما قال ، رحمه الله تعالى ، إلا
أن الوجه السابق أعم منه حيث أشار فيه إلى الإعجاز النظمي .

١ - سورة آل عمران : آية ١٢٢ .

٢ - ((البرهان)) ٢ / ٩٦ .

٣ - المصدر السابق : ٢ / ٩٧ - ٩٨ .

٤ - المصدر السابق : ٢ / ٩٨ .

وفي هذا الوجه زيادة احتياط باشتراطه - نصاً - السلامة من العيوب ،
بخلاف السابق فإنه يتضمن ذلك فقط .

٨- ((مافيه من النظم والتأليف والترصيف ، وأنه خارج عن جميع وجوه النظم
المعتاد في كلام العرب ، ومباين لأساليب خطاباتهم ...))^(١) .
ولم يتعقب الزركشي - رحمه الله - هذا القول الذي نسبته لبعض الأئمة ،
والحق أن هذا القول لا يخرج عن الوجهين الثاني والسادس ؛ إذ الوجه الثاني يشمل
الإعجاز النظمي ، والوجه السادس ذكر فيه الإعجاز بالنظم أيضاً .

٩- ((أنه شيء لا يمكن التعبير عنه)) .
ونقل الأقوال التي تذهب إلى أن ((الإعجاز يُدرك ولا يمكن وصفه)) ، وأنه
((ليس في طاقة البشر الإحاطة بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه))^(٢) .
وهذا الوجه ليس وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز ، وذلك لأن الإعجاز
دليل الرسالة ، ولا يمكن أن يبنى الدليل على مطلق الإدراك من غير تحديد لشيء
معين يُعرف به وجه الإعجاز ، ولكن يمكن أن يكون ما ذكره أثراً من آثار الإعجاز
أو لازماً من لوازمه ؛ وذلك كالروعة والدهشة الحاصلة لسامعه الفاهم لمعانيه .

١٠- ((إن الإعجاز فيه من حيث استمرت الفصاحة والبلاغة فيه من جميع أنحائها
في جميعه استمراراً لا توجد له فترة^(٣) ، ولا يقدر عليه أحد من البشر ، وكلام العرب
ومن تكلم بلغتهم لا تستمر الفصاحة والبلاغة في جميع أنحائها في العالي منه إلا في
الشيء اليسير المعلوم ، ثم تعرض الفترات^(٤) الإنسانية فتقطع طيب الكلام ورونقه

١- ((البرهان)) : ٢ / ٩٨ - ١٠٠ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ١٠٠ .

٣، ٤- الفترة والانقطاع والضعف ، انظر ((لسان العرب)) : ف ت ر ..

فلا تستمر لذلك الفصاحة في جميعه ...))^(١) .

وقد نسب هذا القول لحازم^(٢) في ((منهاج البلغاء))^(٣) .

وهذا الوجه داخل في الوجه السادس المذكور آنفاً وهو أن الإعجاز وقع ((بنظمه ، وصحة معانيه وتوالي فصاحة ألفاظه))^(٤) لكن هذا الوجه وقع فيه تفصيل ما أوجز ذكره في الوجه السادس .

وقد ذكر الزركشي نفسه - رحمه الله تعالى - أن هذا القول قريب مما ذكره ابن عطية ، الذي هو صاحب القول السادس المذكور آنفاً .

١١ - ((القرآن صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف مُضمناً أصح المعاني من توحيد الله وتنزيهه في صفاته ، ودعاء إلى طاعته ... وأمر بمعروف ونهي عن المنكر ، وإرشاد إلى محاسن الأخلاق وزجر عن مساوئها ...))^(٥) .

وقد نسب هذا الوجه للخطابي^(٦) في تقرير طويل لايسعني الإتيان به لطوله ، وذاك هو خلاصته .

١ - ((البرهان)) : ٢ / ١٠١ .

٢ - أبو الحسن حازم بن محمد القرطاجي . ولد سنة ٦٠٨ ، نحوي ، ناظم ، نائر ، وله عدة تصانيف . ارتحل من الأندلس واستقر في بلاد المغرب ، وتوفي في سنة ٦٨٤ بتونس . انظر ((نفع الطيب)) : ٣ / ٣٤٠ - ٣٤٥ .

٣ - هذا النص الذي نقله الزركشي لحازم هو من القسم الأول المفقود لكتاب ((منهاج البلغاء)) لحازم ، انظر ((منهاج البلغاء)) : ٣٨٩ - ٣٩٠ مع صفحة ٩٣ - ٩٥ من الكتاب نفسه .

٤ - ((البرهان)) : ٩٧ / ٢ .

٥ - المصدر السابق : ١٠٣ / ٢ .

٦ - كلام الخطابي هذا هو في كتابه : ((بيان إعجاز القرآن)) ضمن ((ثلاث رسائل في إعجاز القرآن))

ص : ٢٧ .

وهذا الوجه لا أرى فرقاً كبيراً بينه وبين الوجه السادس الذي قرّر فيه أن الإعجاز إنما ((وقع بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه))^(١) ، فالكلام في الوجهين : السادس والحادي عشر متشابه إلا أن الوجه الحادي عشر وقع فيه تفصيل وإيضاح لما أوجز ذكره في الوجه السادس .

١٢ - ((وهو قول أهل التحقيق : أن الإعجاز وقع بجميع ما سبق من الأقوال ، لا بكل واحد على انفراده ، فإنه جمع كلّ^(٢) فلا معنى لنسبته^(٣) إلى واحد منها بمفرده مع اشتماله على الجميع ، بل وغير ذلك مما لم يسبق))^(٤) .

ولا أدري كيف يستقيم هذا القول وفي الأوجه المذكورة آنفاً القول بـ (الصَّرْفَة) ، وفيها ماردّه الشيخ نفسه مثل الوجهين الثالث والرابع ، إلا إذا قصد الشيخ ((بجميع ما سبق من الأقوال)) الأقوال المقبولة فقط ، وهذا وجه صحيح إذاً ، يجمع الأقوال المتفرقة ، ويقوي معنى الإعجاز لاجتماع المعاني فيه ، والله أعلم .

ثم إن الشيخ الزركشي - رحمه الله تعالى - عاد إلى ذكر خمسة أوجه عدّها من الإعجاز ، وهي :

١٣ - ((الروعة التي له في قلوب السامعين وأسماعهم))^(٥) .

١ - ((البرهان)) : ٩٧ / ٢ .

٢ - أي هذا الوجه جمع جميع الأوجه السابقة .

٣ - أي الإعجاز .

٤ - ((البرهان)) : ١٠٦ / ٢ .

٥ - المصدر السابق : ١٠٦ / ٢ .

وهذا الوجه أثر من آثار الإعجاز، وليس هو إعجازاً ، كالناظر لشيء متقن الصنعة فإنه يُعجب به ويدمّش من جماله وإتقانه ، فليس هذا الإعجاب والدهشة هو ذات الإتقان فيه وإنما هو أثر من آثار الإتقان ، والإتقان هو ما فيه من إحكام الصنعة ودقتها ، وليراجع الكلام على الوجه التاسع .

١٤ - ((أنه لم يزل غضاً طرياً في أسمع السامعين ، وعلى ألسنة القارئ))^(١) .

وهذا الوجه - عندي - كسابقه أيضاً ؛ إذ لم يكن القرآن كذلك إلا لأنه معجز في نظمه ، فصيح في ألفاظه ، جزل في معانيه ، وما يلحق السامعين لهذا الكلام العظيم إنما هو أثر لذلك النظم العالي والبلاغة المتناهية في الحسن ، والله أعلم .

١٥ - ((ومنها ما ينتشر فيه عند تلاوته من إنزال الله إياه في صورة كلام هو مخاطبة من الله لرسوله تارةً ومخاطبة أخرى لخلقه ، لافي صورة كلام يستمليه من نفسه من قد قذف في قلبه وأوحى إليه ما شاء أن يلقيه إلى عباده على لسانه ، فهو يأتي بالمعاني التي أظمها بألفاظه التي يكسوها إياه ، كما يشاهد من الكتب المتقدمة))^(٢) .

كلام الزركشي هنا يلفّه الغموض لكثرة إتيانه بالضمائر التي يصعب معرفة مرجعها ، ولكني فهمت من كلامه أنه يريد أن يفرّق بين القرآن العظيم وبين غيره من الكتب المتقدمة بأن القرآن كلام الله لفظاً ومعنى بينما سائر الكتب السماوية ليست كذلك بل المعنى من الله واللفظ من الموحى إليه ، ولكن يُعكّر على مذهبه هذا بأنه - إذا قصد هذا المعنى - لم يورد دليلاً على قوله هذا خاصة أن الله ،

١- المصدر السابق : ٢ / ١٠٧ .

٢- المصدر السابق .

تعالى ، أتى نبيه موسى - عليه الصلاة والسلام - التوراة في ألواح قال عنها سبحانه

﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ﴾^(١)

فكلام الله إذا كتب في ألواح فهو لفظاً ومعنى من الله تعالى .

ولعله يقصد تراجم هذه الكتب التي قرأها باللغة العربية ؛ فإن ألفاظها - أحياناً - تكون ركيكة يبدو عليها أنها من أساليب البشر ، والمعنى الأول أقرب إلى لفظه المذكور ، والله أعلم .

وعلى كل حال فهذا الوجه ليس من الإعجاز - بهذا المعنى الذي فهمته - بل هو خصوصية خصّ الله ، تعالى ، بها هذا الكتاب العظيم ، إن ثبت أنه منفرد بأنه لفظاً ومعنى من الله ، والله أعلم .

١٦ - ((ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعذوبة ، وهما كالمضادين لا يجتمعان - غالباً - في كلام البشر ؛ لأن الجزالة من الألفاظ التي لا توجد إلا بما يشوبها من القوة وبعض الوعورة ... وذلك من أعظم وجوه البلاغة والإعجاز))^(٢) .

وهذا الوجه داخل في الوجه السادس ولكنه أدخل منه في تفصيل بعض نواحي البلاغة والفصاحة في القرآن العظيم ، والله أعلم .

١٧ - ((ومنها جعله آخر الكتب ، غنياً عن غيره ، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد يحتاج إلى بيان يُرجع فيه إليه ، كما قال تعالى :

١- سورة الأعراف : آية ١٤٥ .

٢- المصدر السابق .

﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَنْصُ عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(١)

وهذا ليس إلا خصوصيةً خصَّ بها هذا الكتابُ العظيم ، وليس هو من أوجه الإعجاز ، والله أعلم .

ثم إن الزركشي - رحمه الله تعالى - عقد مباحث متنوعة في الإعجاز فمنها : بيان قدر المعجز من القرآن^(٢) .

ومنها : بيان ترتيب نزول آيات التحدي^(٣) .

ومنها : أن التحدي وقع للإنس دون الجن^(٤) .

ومنها : أن الإعجاز القرآني معلوم ضرورة^(٥) .

ومنها : الحكمة في تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن الشعر^(٦) .

ومنها : تنزيه الله القرآن عن أن يكون شعراً^(٧) .

ولم يذكر الزركشي - رحمه الله تعالى - الصلة بين المبحثين الأخيرين وبين الإعجاز ، وبينهما نوع تعلق ، إذ الشعر أروع وأجمل كلام العرب ، ومع ذلك جاء القرآن الكريم على لون جديد من الكلام يفوق الشعر والنثر جميعاً ، وهذا هو معنى الإعجاز .

ومنها قوله :

((مما يبعث على معرفة الإعجاز اختلافاتُ المقامات وذكرٌ في كل موضع ما يلائمه ، ووضع الألفاظ في كل موضع ما يليق به ، وإن كانت مترادفة ، حتى لو أُبدلَ واحدٌ

١- ((البرهان)) : ٢ / ١٠٧ ، والآية من سورة النمل : ٧٦ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ١١٠ .

٤- المصدر السابق : ٢ / ١١١ .

٥- المصدر السابق : ٢ / ١١١ - ١١٢ .

٦- المصدر السابق : ٢ / ١١٢ - ١١٣ ، والمعنى : تنزيه النبي - صلى الله عليه وسلم - عن إنشاء الشعر .

٧- المصدر السابق : ٢ / ١١٣ - ١١٧ .

منها بالآخر ذهبت تلك الطلّوة^(١) ، وفاتت تلك الحلاوة ، فمن ذلك أن لفظ ﴿الْأَرْضُ﴾ لم ترد في التنزيل إلا مفردة ، ولما أريد الإتيان بها مجموعة قال : ﴿وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ﴾^(٢) تفادياً من جمعها ...^(٣) .

ومن المباحث في الإعجاز ما ذكره من : اشتغال القرآن على أعلى أنواع الإعجاز ، حيث ذكر أن في القرآن من الألفاظ ما هو فصيح ، وفيه ما هو أفصح^(٤) ، وكلاهما يبلغ الغاية العليا في بابه .

وبهذا ختم الزركشي مباحث الإعجاز ، وهي مباحث جليلة القدر ، كأن الزركشي ، رحمه الله تعالى ، انفرد بإيرادها من بين كتب علوم القرآن - فيما أعلم - والله أعلم .

وهو قد أورد سبعة عشر وجهاً للإعجاز تتلخص في الآتي :

١ - الإعجاز بـ (الصّرفة) ، وقد ردّه .

٢ - الإعجاز النظمي والبلاغي .

٣ - الإعجاز بأخبار الغيب .

٤ - أمرٌ لا يستطيع التعبير عنه .

٥ - الإعجاز بجميع ما سبق .

٦ - الروعة والتأثير في القلوب .

١- الطلّوة والطلّوة : الحسن والبهجة والقبول والرواق : ((لسان العرب)) : (ط ل ي) .

٢- سورة الطلاق : آية ١٢ .

٣- ((البرهان في علوم القرآن)) : ٢ / ١١٨ - ١٢٠ .

٤- المصدر السابق : ٢ / ١٢١ - ١٢٤ .

ونلاحظ في هذه الأوجه أنه ليس فيها شيء جديد لم يقل به إمام متقدم ، وإنما
كلها مستفادة عن غيره ممن سبقه ، لكنه فصل في بعضها ، وساق معها مباحث
متنوعة عن الإعجاز .

ثالثاً : العقيدة

((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد على مذهب السلف وأصحاب الحديث))

لإمام الحافظ أبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي رحمه الله تعالى^(١)

أورد الحافظ البيهقي^٢ - رحمه الله تعالى - في كتابه هذا عدداً كبيراً من المباحث العقديّة ، وساق فيها جملة وافرة من الأحاديث والآثار عن النبي - صلى الله عليه وسلم - والصحابة ، رضي الله عنهم ، والتابعين الكرام .

ومن تلك المباحث المتعددة مبحث^٣ ((القول في إثبات نبوة محمد المصطفى صلى الله عليه وسلم))^(٢) ، فذكر فيه دلائل نبوته صلى الله عليه وسلم وما أجرى الله على يديه من المعجزات الواضحات المفجحات ، ومن تلك الدلائل ((فيما جاء به من عند الله - سبحانه - من القرآن العظيم أنه تحدى الخلق بما في القرآن من الإعجاز ، ودعاهم إلى معارضته والإتيان بسورة مثله فنكلوا^(٣) عنه وعجزوا عن الإتيان بشيء منه))^(٤) .

وقد ذكر الحافظ في مبحث الإعجاز جملةً من الوجوه التي كان بها القرآن معجزاً - وذلك على ما تناهى إلى علمه من كلام أهل العلم قبله في الإعجاز - فذكر أن منها :

١ - الإعجاز من جهة البلاغة وحسن اللفظ دون النظم .

١- مر ذكر الفقرة (أولاً) ص : ١٢٦ و (ثانياً) ص : ١٣٩ .

٢- ((الاعتقاد)) : ٢٥٥ - ٣٠٦ .

٣- نكل : نكص وتراجع : (لسان العرب) : ن ك ل .

٤- ((الاعتقاد)) : ٢٥٨ - ٢٥٩ .

٢ - الإعجاز في النظم دون اللفظ^(١) .

٣ - الإعجاز بالإخبار عن الحوادث والإنذار عن الكوائن في مستقبل الزمان .

٤ - الإعجاز بـ (الصِّرفة) ، ونص كلامه فيها :

((ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله ، وصَرَفَ الهمم عن معارضته ، مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آيةً للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه)) .

٥ - الإعجاز بجميع ما تقدم^(٢) .

هذا وإنه لم ينسب قولاً من تلك الأقوال الخمسة المتقدمة لأحد ، ولم يَعْزُها لمصدر إنما أرسلها إرسالاً .

ثم إنه لم يرتضِ الوجه الأول الذي يفصل بين الألفاظ وبين النظم الذي ينظمها في سلك فريد ، فقال :

((لا معنى لقول من زعم أن الإعجاز في لفظه ؛ لأن الألفاظ مستعملة في كلام العرب ومتداولة في خطابها ؛ لأن^(٣) البلاغة ليست في أعيان الأسماء ومفرد الألفاظ وحسب دون أن تكون هذه الأوضاع معتبرة بمحالتها ومواضعها المصروفة إليها والمستعملة فيها^(٤)))^(٥) .

١- حكى الحافظ البيهقي - رحمه الله تعالى - كلام أهل العلم في الإعجاز ولذلك جاء بالقولين الأولين مفصولين وحققهما أن يجمع بينهما ؛ لشدة تلازمهما .

٢- ((الاعتقاد)) : ٢٥٩ .

٣- كذا في المطبوع ، والوجه : (ولأن) بزيادة الواو .

٤- أي أن النظم الذي تُنظَّمُ هذه الألفاظ وطريقة إيرادها في جمل متناسقة معجز أيضاً .

٥- المصدر السابق .

ثم مثل لذلك بكلام الإمام الخطابي قائلاً :

((قال الشيخ أبو سليمان^(١) - رحمه الله :

وبيان ذلك أن العرب قد تعرف لفظ ((الصَّدْع))^(٢) في لغتها وتكلم به في خطابها ثم إنك لا تجده مستعملاً لهم في مثل قوله : ﴿ فَأَصْدَعُ يَمَاتُومُرٌ وَأَعْرَضَ عَنِ الْمَشْرِكِينَ ﴾^(٣) ...))^(٤) .

- أما الوجه الثاني وهو الإعجاز بالنظم فقد نصره قائلاً :

((وأما إعجازه من جهة النظم فالمعجز منه نظم جنس الكلام الذي يساين به القرآن سائر أصناف الكلام التي تكلمت بها العرب))^(٥) .

ثم إنه أطنب في هذا ، ولكنه لم يبين كيف يكون الإعجاز في النظم فقط دون اللفظ على ما ذكره في هذا الوجه ، إلا أن يكون من البدهي عنده أن الألفاظ المجردة عن النظم هي من جنس الألفاظ الواقعة في كلام العرب إنما المدار على طريقة اختيارها ونظمها وسبكها ، فلعل هذا هو الذي جعله يترك الحديث عن اللفظ والعلاقة بينه وبين النظم ، والله أعلم .

ثم انه في هذا الوجه ساق الفرق بين الفواصل في الآيات الكريمة وبين

١- هو الخطابي كما ورد في مواضع من كتاب البيهقي بقوله : أبو سليمان الخطابي .

٢- الصَّدْع هو الشق في الشيء الصلب كالزحاجة ونحوها ، وقوله تعالى ﴿ فَأَصْدَعُ يَمَاتُومُرٌ ﴾ أي شق جماعاتهم بالتوحيد ، أو معناه اجهر بما تؤمر : من صَدَعَ بالأمر إذا جاهر به ، وقيل معناه : افصل بالأمر ، وهو مستعار من صَدَعَ الأجسام وقيل غير ذلك ، انظر تفصيل هذا في ((تاج العروس)) : صدع .

٣- سورة الحجر : آية ٩٤ .

٤- ((الاعتقاد)) : ٢٥٩ .

٥- المصدر السابق .

السَّجْعُ^(١) ، ونفى أن يكون في القرآن العظيم سَجْعٌ .

والحق - في تقديري ، والله أعلم - أن السجع موجود في القرآن الكريم لكنه سجع غير متكلف ، سلس ، جميل وقوعه على السمع ، ولوقوعه في القرآن ضوابط ، وقد بين كل ذلك ابن سنان الخفاجي بقوله :

((بعض الناس يذهب إلى كراهة السجع والازدواج^(٢) في الكلام ، وبعضهم يستحسنه ويقصده كثيراً ، وحجة من يكرهه أنه ربما وقع بتكلف وتعمُّل واستكراه ، فأذهب طلاوة الكلام ، وأزال مائه ، وحجة من يختاره أنه مناسبة بين الألفاظ يُحسنها ، ويُظهر آثار الصنعة فيها ، ولولا ذلك لم يرد في كتاب الله تعالى ، وكلام النبي - صلى الله عليه وسلم - والفصيح من كلام العرب ... والمذهب الصحيح أن السجع محمود إذا وقع سهلاً متيسراً بلا كلفة ولا مشقة ، وبحيث يظهر أنه لم يُقصد في نفسه ...))

وأما الفواصل التي في القرآن فإنهم سَمَّوها فواصل ولم يسموها أسجاعاً وفرَّقوا فقالوا : إن السجع هو الذي يُقصد في نفسه ثم يحمل المعنى عليه ، والفواصل التي تتبع المعاني ولا تكون مقصودة في أنفسها ، وقال علي بن عيسى الرمانى :

إن الفواصل بلاغة والسجع عيب ، وعلل ذلك بما ذكرناه من أن السجع تتبعه المعاني ، والفواصل تتبع المعاني ، وهذا غير صحيح ، والذي يجب أن يحزر في ذلك أن يُقال : إن الأسجاع حروف متماثلة في مقاطع الفصول ...

١- السجع هو ((تواطؤ الفاصلتين ، أي توافقهما من النثر على حرف واحد ، وهو معنى قول صاحب ((المفتاح)) : هو في النثر كالقفافية في الشعر)) وله أنواع وأقسام ، انظر في ذلك كله ((شرح التلخيص)) : ٦٧٨ وما بعدها .

٢- ((الازدواج هو : تجانس اللفظين الجاوربين ، نحو : من جدَّ جدَّ ، ومن لجَّ لجَّ)) : ((جواهر البلاغة)) :

والفواصل على ضربين : ضرب يكون سجعاً ، وهو ما تماثلت حروفه في المقاطع ، وضرب لا يكون سجعاً ، وهو ما تقاربت حروفه في المقاطع ، ولم تماثل ، ولا يخلو كل واحد من هذين القسمين - أعني التماثل والتقارب - من أن يكون يأتي طوعاً سهلاً وتابعاً للمعاني ، وبالضد من ذلك ، حتى يكون متكلفاً يتبعه المعنى ، فإن كان من القسم الأول فهو المحمود الدالُّ على الفصاحة وحسن البيان ، وإن كان من الثاني فهو مذموم مرفوض .

فأما القرآن فلم يرد فيه إلا ما هو من القسم المحمود لعلوه في الفصاحة ، وقد وردت فواصله متماثلة ومتقاربة ...

فأما قول الرماني إن السجع عيب ، والفواصل بلاغة على الإطلاق فغلط ... وأظن أن الذي دعا أصحابنا إلى تسمية كل ما في القرآن فواصل ، ولم يسموا ما تماثلت حروفه سجعاً ، رغبة في تنزيه القرآن عن الوصف اللاحق بغيره من الكلام ، والمروي عن الكهنة وغيرهم ، وهذا غرض في التسمية قريب ، فأما الحقيقة فما ذكرناه ^(١) .

أما الوجه الثالث - وهو الإخبار عن الكوائن المستقبلية - فقد ارتضاء وساق له من الشواهد الشيء الكثير ، ساقها كلها بأسانيد منه إلى منتهاها كما هي طريقته في جل ما أورده في كتابه .

١- ((سر الفصاحة)) : ١٧١ - ١٧٤ بتصرف .

هذا وقد سقت بعض كلام ابن سنان على طوله لأهمية هذا الموضوع ، واختلاف العلماء فيه ، وقد أورد السيوطي رحمه الله تعالى في ((المعترك)) الكلام على السجع في القرآن لكنه لم يخرج بشيء فصل فيه وإنما اكتفى بإيراد القولين بدون ترجيح ، انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣١ - ٣٢ .

وقد بينت رأيي في الإعجاز بأخبار الغيب سابقاً ، وذكرت أنه إعجاز جزئي لا كليّ. بمعنى أنه ليس منتشرأ في كل آيات القرآن^(١) .

- أما الوجه الرابع - وهو الإعجاز ب (الصَّرْفَة) - فقد سقت كلامه نصاً خوفاً من اللبس ، أو أن أتهم بأني أقول الرجل ما لم يقله ، وذلك لأنه كان واضحاً بأنه يقول ب (الصَّرْفَة)^(٢) وزاد ذلك توضيحاً بقوله شارحاً المراد منها :

((وأما الصرفه والتعجيز - مع توهم القدرة منهم على الإتيان بمثله - فإنما يُعلم ذلك بعدم المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة إليه ، وذلك ما لا يجوز أن يشك فيه عاقل من أنهم لو كانوا قادرين عليه لبادروا إليه مع حرصهم على إبطال دعوته ونقض كلمته ...

وسبيل هذا سبيل رجل عاقل اشتد به العطش وبحضرته ماء ، فجعل يتلوى من شدة الظما ولا يشرب الماء ، فلا يشك شاكاً أنه عاجز عن شربه ، أو ممنوع لسبب يعوقه عنه وأنه لم يتركه اختياراً مع توفر الدواعي له ، وشدة الحاجة منه إليه))^(٣) .

وكلامه من قوله : ((وسبيل هذا ...)) إلى آخر ما أورده واضح في إرادته الصَّرْفَة ، إلا أن يقال إنه ذكر القولين معاً : الإعجاز البلاغي والإعجاز

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٢- وذلك حين قال في الوجه الرابع الذي سقته آنفاً :

((ومنهم من قال : إعجازه في أن الله أعجز الناس عن الإتيان بمثله ، وصرف الهمم عن معارضته مع وقوع التحدي وتوفر الدواعي إليه لتكون آية للنبوة وعلامة لصدقه في دعواه)) : ((الاعتقاد)) : ٢٥٩ . ثم انه لم يرد هذا الكلام بل صدقه كما في النقل عنه في متن هذه الصفحة .

٣- ((الاعتقاد)) : ٢٦٦ .

بـ (الصَّرْفَة) ثم لم يرجح أحدهما ، وقد فصلت في ذكر مذهب الإمام البيهقي في هذه المسألة في موضع سابق ^(١) والله أعلم .

و (الصَّرْفَة) مذهب باطل توسعت في رده قبل هذا ^(٢) .

- أما الوجه الخامس وهو أنه قد وقع الإعجاز بالأوجه الأربعة السابقة كلها فسيبيل الرد عليه هو مانوقش به كل وجه من الأوجه الأربعة السابقة ؛ إذ الوجه الأول لم يرتضه هو نفسه ، والوجه الثاني لم أرتضه على إطلاقه - كما بينت ذلك ^(٣) - والوجه الثالث مقبول بشرط اعتباره جزئياً كما بينت سابقاً ^(٤) ، والوجه الرابع - وهو (الصَّرْفَة) - مردود .

هذا ما تيسر من الكلام على كتاب ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد))
وبيان ما فيه من مباحث الإعجاز .

١- انظر ص ١٠٧ - ١٠٨ من هذه الرسالة .

٢- انظر ص ١١٣ وما بعدها .

٣- انظر ص ١٤٩ .

٤- انظر ص ١٥١ .

رابعاً : السيرة الشريفة

((الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم))

للقاضي عياض ، رحمه الله تعالى

هذا الكتاب جليل ، عظيم القدر ، متنوع المباحث ، قسمه مصنفه إلى أربعة أقسام ، في كل قسم منها أبواب وفصول .

وقد جعل القسم الأول لبيان تعظيم الله - تعالى - لقدر هذا النبي العظيم ، صلى الله عليه وسلم .

وبين في القسم الثاني ما يجب علينا من حقوق تجاهه ، صلى الله عليه وسلم .

أما القسم الثالث فكان لما يستحيل في حقه - صلى الله عليه وسلم - وما يجوز عليه شرعاً ، وما يمتنع ويصح من الأمور البشرية أن يضاف إليه .

وختم ببيان حكم من سبه أو تنقصه ، صلى الله عليه وسلم^(١) .

وقد أورد مباحث الإعجاز والمعجزات التي جرت على يديه الشريفتين - صلى الله عليه وسلم - في القسم الأول المذكور آنفاً في الباب الرابع منه ، وهو :

١- انظر ((الشفا)) : ١ / ٨ - ١٢ ، فقد لخص القاضي فيها ذكر تلك الأبواب .

((فيما أظهره الله - تعالى - على يديه من المعجزات ، وشرفه به من الخصائص والكرامات^(١)))^(٢) .

وقد أورد في هذا الباب الشريف تسعةً وعشرين فصلاً صدرها بالحديث عن تأثيره - صلى الله عليه وسلم - فيمن خالطه وعرفه ، أو رآه بداهةً .

ثم شرع في ذكر مباحث الإعجاز المتنوعة، وبدأ الحديث عن المعجزات بالمعجزة العظمى : القرآن الكريم ؛ فخصه بفصل وافٍ شافٍ^(٣) ذكر فيه أربعة عشر وجهاً من أوجه الإعجاز ارتضى منها أربعاً ، وبين أن الباقي بعضه ملحق ببعض أوجه الإعجاز ، وبعضه لا يعد من الإعجاز .

أما الأوجه التي ارتضاها فهي :

الوجه الأول :

((حسن تأليفه ، والتامُّ كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب))^(٤) .

وقد جاء بأدلة وآثار كثيرة تدل على تأثر العرب بما سمعوه من القرآن العظيم ، وعجزهم عن الإتيان بمثله بعد التحدي والتقريع .

١- يريد بالكرامات ما أكرمه الله تعالى به من المعاني الدالة على نبوته ، وليس المراد المصطلح الخاص بخوارق العادات التي يكرم الله بها الأولياء .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٤١ - ٥٣٣ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٣٥٨ - ٣٩٦ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٥٨ - ٣٦٩ .

وهذا الوجه متفق عليه عند كل من كتب في الإعجاز وقرّره إلا عند قلة قليلة
من شذ كالنظام وأمثاله .

الوجه الثاني :

((صورة نظمته العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب
ومناهج نظمها ونثرها))^(١) .

ثم إنه نعى على من جعل الإعجاز بالبلاغة والأسلوب وجهاً واحداً من وجوه
الإعجاز جامعاً بين الاثنين ، وإنما يذهب هو إلى أن ((الإعجاز بكل واحد من
النوعين : الإيجاز والبلاغة بذاتها ، أو الأسلوب الغريب بذاته ، كل واحد منهما
نوع إعجاز على التحقيق ... وذهب بعض المحققين المقتدى بهم إلى أن الإعجاز في
مجموع البلاغة والأسلوب ، وأتى على ذلك بقول تمجّه^(٢) الأسماع ، وتنفر منه
القلوب ، والصحيح ما قدمناه ... ومن تفنن في علوم البلاغة ... لم يخفَ عليه ما
قلناه))^(٣) .

والقاضي عياضٌ مصيبٌ فيما فعله من فصل البلاغة عن الأسلوب ؛ إذ
البلاغة مختصة بالمعاني بينما الأسلوب خاص بالألفاظ والتراكيب ؛ إذ الأسلوب هو :
((الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))^(٤) .

١- المصدر السابق : ١ / ٣٦٩ - ٣٧٤ .

٢- جاء في ((لسان العرب)) : (م ج ح) : ((مَجَّ الشراب والشيء من فيه يَمْجُهُ مَجًّا ، ومَجَّ به :
رماه ... ومَجَّ بريقه يَمْجُهُ إذا لفظه)) .

٣- ((الشفا)) : ١ / ٣٧٥ - ٣٧٩ .

٤- ((مناهل العرفان)) ٢ / ١٩٩ .

وأسلوب القرآن الكريم هو ((طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))^(١) .

والقرآن ذو أسلوب متفرد متفنن في إيراد المعاني^(٢) فلذلك فإن هناك نوعاً تلازم بين الأسلوب والبلاغة ولكنهما شيئان منفصلان .

والأسلوب - بهذا التعريف - هو نوع من الإعجاز منفصل عن الإعجاز البلاغي .

الوجه الثالث :

((ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ، وما لم يكن ولم يقع فوجد كما ورد ، وعلى الوجه الذي أخبر به))^(٣) .

قد ذكرت رأيي الذي أرتضيه في هذا الباب - باب الإعجاز بأخبار الغيب - في مكان غير هذا وخلاصته أنه إعجاز جزئي وليس كلياً ، فلينظر ، والله أعلم^(٤) .

١- المصدر السابق .

٢- مثل الخير والإنشاء ، والتأكيد ، والاستدلال ، وضرب المثل ، إلخ ...

وانظر مبحث أسلوب القرآن الكريم في ((مناهل العرفان)) : ٢ / ١٩٨ - ٢٢٦ ، ففيه تفصيل واسع في أساليب القرآن .

٣- ((الشفا)) : ١ / ٣٧٥ - ٣٧٩ .

٤- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

الوجه الرابع :

((ما أنبأ به من أخبار القرون السالفة ؛ والأمم البائدة والشرائع الدائرة^(١) مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ^(٢) من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجهه ، ويأتي به على نصه))^(٣) .

وحكم هذا الوجه حكم سابقه .

تلك كانت أوجهاً أربعة ارتضاها ووصفها بقوله :

((هذه الوجوه الأربعة من إعجازه بينة لا نزاع فيها))^(٤) .

ثم إنه أورد وجوهاً في إعجاز القرآن وصفها بأنها بينة^(٥)، وبأن هذه الوجوه كلها - عدا الأربعة الأولى التي ارتضاها - ووجوهاً أخر أضرب عن ذكرها ((أكثرها داخل في باب بلاغته ، فلا يجب أن يُعد فناً منفرداً في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة ، وكذلك كثير مما قدمنا ذكره عنهم^(٦) يُعد في خواصه وفضائله ، لا إعجازه .

وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا فليعتمد عليها ، وما بعدها من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي))^(٧) .

١- القديمة الدارسة ، انظر ((لسان العرب)) : د ث ر .

٢- الفرد ، ((لسان العرب)) : ف ذ .

٣- ((الشفا)) : ١ / ٣٧٩ - ٣٨٢ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٨٢ .

٥- المصدر السابق .

٦- سأذكر هذه الأوجه كلها إن شاء الله ، والضمير في (عنهم) يعود على المتكلمين على وجوه الإعجاز .

٧- المصدر السابق : ١ / ٣٩٦ .

وقد أتى القاضي عياض - رحمه الله تعالى - بعشرة أوجه مما قيل إنه من أوجه الإعجاز عدا الأربعة الأولى ، وهذه الأوجه العشرة هي :

١ - التحدي الواقع للكافرين في قضايا خاصة ((وإعلامهم أنهم لا يفعلونها فما فعلوا ولا قدروا على ذلك ، كقوله لليهود :
﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ لَكُمْ الدَّارُ الْآخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ خَالِصَةً مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْتُمْ أَيْدِيهِمْ ﴾...^(١)

قال أبو إسحاق الزجاج^(٢) :

في هذه الآية أعظم حجة وأظهر دلالة على صحة الرسالة لأنه قال :

﴿ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ ﴾ وأعلمهم أنهم لن يتمنوه أبداً ، فلم يتمنه واحد منهم))^(٣) .

وهذا الوجه داخل في الإعجاز بأخبار الغيب المستقبلية التي سبق الحديث عنها^(٤) .

٢ - ((الروعة التي تلحق قلوب سامعيه وأسماعهم عند سماعه ، والهيبة التي تعزيبهم عند تلاوته ...))^(٥) .

وقد ذكر فيه أخبار من تأثر بالقرآن ممن ظلّ على كفره أو أذعن فأسلم .

١- سورة البقرة : الآيتان : ٩٤ ، ٩٥ .

٢- هو الشيخ الإمام ، نحوي زمانه ، أبو إسحق إبراهيم بن محمد بن السريّ الزجاج البغداديّ ، مصنف كتاب معاني القرآن ، وله تأليف جمّة ، لزم المبرّد فكان يعطيه من عمل الزجاج كل يوم درهماً فنصحه وعلمه . توفي سنة ٣١١ ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٤ / ٣٦٠ .

٣- ((الشفا)) : ١ / ٣٨٢ - ٣٨٤ . وقد تصرف القاضي قليلاً في كلام الزجاج - رحمهما الله تعالى - وانظر نصّ كلامه في ((معاني القرآن وإعرابه)) : ١ / ١٧٦ - ١٧٧ .

٤- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٥- ((الشفا)) : ١ / ٣٨٤ - ٣٨٨ .

وهذا الوجه هو أثر الإعجاز نفسه كما سبق بيان ذلك^(١) .

٣ - تكفلُ الله بحفظه إلى آخر الزمان^(٢) .

وهو - كما قال - بيانٌ بكفالة الله بحفظه حيث لم يَكِلْ ذلك إلى البشر كما حدث في الكتب السابقة التي حُرِفَتْ ، وليس من وجوه الإعجاز ، إذ لم يَصِلْنا أنه تُحْدِي أحدًا أو أُعْجِز بالطلب منه أن يغير شيئاً من هذا الكتاب العزيز ، والله أعلم ، إنما غاية ما يقال في هذا الوجه هو أن هذا التكفلُ بالحفظ خصوصية خص الله - تعالى - بها هذا الكتابَ المبارك .

٤ - ((قارئه لا يمله وسامعه لا يمحجه ، بل الإكباب على تلاوته يزيده حلاوة ، وترديده يوجب له محبة ...))^(٣) .

ويمكن - عندي - أن يكون هذا الوجهُ أثراً من آثار الوجه الثاني :
((الروعة التي تلحق قلوب سامعيه ...)) حيث إن تلك الروعة والهيبة تحمل القارئ على تردد ما يقرؤه فليس هو الإعجازُ إذًا ، والله أعلم .

٥ - ((جمعه لعلوم ومعارف لم تُعهد العرب عامّة ولا محمد - صلى الله عليه وسلم - قبل نبوته خاصة بمعرفتها ولا القيام بها ، ولا يحيط بها أحد من الأمم ...))^(٤) .

١- انظر ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٢- ((الشفا)) : ١ / ٣٨٨ - ٣٨٩ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٩٠ .

وهذه العلوم والفنون التي تحدث عنها القاضي - رحمه الله تعالى - تعرف اليوم بـ ((الإعجاز العلمي)) في القرآن العظيم .

وهذا الإعجاز حكمه حكم الإعجاز بأخبار الغيب الذي سبق الحديث عنه^(١) فهو إعجاز جزئيّ موجود في كثير من الآيات ولكنه ليس في كلها ، وبهذا الاعتبار يمكن عدّه من وجوه الإعجاز .

٦ - ((جمعه فيه بين الدليل ومدلوله ؛ وذلك أنه احتج بنظم القرآن وحسن رصفه وإيجازه وبلاغته ، وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ، ووعدته ووعدته فالتالي له يفهم موضع الحجة والتكليف معاً من كلام واحد وسورة منفردة))^(٢) .

ومعنى هذا أن القرآن منفرد عن باقي الكلام ؛ لأن سائر الكلام يُساق معه عدد من الأدلة النقلية أو العقلية أو كليهما معاً لإقناع السامع .مراد المتكلم وصحة كلامه ، بينما كان كلام الله معجزاً لأن الكلمات نفسها تحوي أدلة صدقها بما فيها من بلاغة وإيجاز ومعان عالية تقتضي كلها كمال الإعجاز الذي هو أعظم الأدلة على أن هذا كلام الرحمن سبحانه .

ولأمثل على هذا فإني أذكر أن موسى - عليه الصلاة والسلام - جاء قومه بالتوراة ، وجاء بالدليل على صحتها وهو العصا وغيرها من الآيات البينات ؛ أي أن التوراة - فقط - لم تكن كافية للتدليل على صحة رسالة موسى فجئ معها بما يعضدها ويدل على صحتها ، أما القرآن فقد جمع الله له بين كونه حجة بينة واضحة على صحته وبين كونه كتاباً هادياً للبشر ومرشداً لهم .

وهذا الوجه - وهو الجمع بين الدليل والمدلول عليه ، أو الحجة والمحتج له - هو وجه متفرد بالإعجاز على هذا الاعتبار ، بل هو من أعظم وجوه الإعجاز .

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٩٤ .

وهذا الرأي في إعجاز القرآن إنما هو للإمام الخطابي ، انظر ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٨ .

والفارق بينه وبين الوجه الأول - وهو ((حسن تأليفه ، والتتام كلمه ، وفصاحته ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب)) - الفارق بينهما أن الوجه الأول يرسخ في الأذهان كون القرآن معجزاً في نفسه ، أي يتضمن الدليل والحجة على صحته ، بينما هذا الوجه الأخير يبين أن القرآن يتضمن الهداية والإرشاد أيضاً ، فليس هو كتاباً معجزاً في ألفاظه وبلاغته فقط بل في معانيه وهدايته أيضاً ، وهذا هو مراد القاضي بـ (المدلول) ، وذلك في قوله ((جمعه فيه بين الدليل ومدلوله ... وأثناء هذه البلاغة أمره ونهيه ، ووعدته ووعدته ...)) .

٧ - ((ومنها أن جعله في حيز المنظوم الذي لم يُعهد ، ولم يكن في حيز المنشور ؛ لأن المنظوم أسهل على النفوس وأوعى للقلوب وأسمح في الآذان ، وأحلى على الأفهام ، فالتناس إليه أميل ، والأهواء إليه أسرع))^(١) .

وهذا الوجه المذكور فيه تنبيهان :

الأول : أن هذا الوجه داخل في الوجه الثاني الذي ارتضاه القاضي عياض - رحمه الله تعالى - وهو ((صورة نظمه العجيب ، والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومناهج نظمها ونثرها الذي جاء عليه ...))^(٢) لكن هذا الوجه فيه تفصيل وتعليل لذا أتى به منفرداً ، وحقه الاندراج في الوجه الثاني .

التنبيه الآخر :

أن القاضي عياضاً - رحمه الله تعالى - جعل القرآن في حيز المنظوم ونفى أن يكون من المنشور ، وليس هناك دليل على هذا ؛ بل جاء كتاب الله - تبارك

١- المصدر السابق : ١ / ٣٩٤ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٩٤ - ٣٩٥ .

وتعالى - بأسلوب خارج عن أن يكون نظماً خالصاً أو نثراً خالصاً بل هو قسم ثالث قائم بنفسه ، متفرد برأسه ، فلا يصحّ - في تقديري - وصفه بأنه منظوم ، ولو قيد ذلك النظم بأنه نظم لم تعهده العرب ؛ وذلك لافتقار هذا الكلام إلى الدليل ، والله تعالى أعلم .

((قال الجاحظ : سَمِيَ الله كتابه اسماً مخالفاً لما سَمِيَ العرب كتابهم على الجُمْل والتفصيل ، سَمِيَ جملته قرآناً كما سَمَوْا ديواناً ، وبعضه سورة كقصيدة ، وبعضها آية كالبيت ، وآخرها فاصلة ككافية))^(١) .

وقد وجّه الشيخ الخفاجي - رحمه الله تعالى - كلام القاضي عياضٍ توجيهاً حسناً مستفيداً من قول القاضي ((المنظوم الذي لم يُعهد)) ، فقال :

((المنظوم الذي لم يُعهد)) : أي المؤلفُ الواقع على طريقة لا تشابه شيئاً من كلامهم المنظوم لا شعراً ولا خطبة ولا رسالة مع كونه واضح الدلالة بلسانهم ، وهذا إنما يعرفه من له معرفة بكلام العرب نظمه ونثره وسجعه ...)) .

ثم قال موجهاً كلام القاضي : ((ولم يكن في حيز المنثور)) :

((أي لم يُشبه أقسام منثورهم من السجع الملتزم فيه حروف كحروف روي الشعر^(٢) ، ولا خطابة ، لمقاطع فصول الخطب ومواقع استراحاتها ، لا لاشتماله على الفواصل كما تُؤهم)) .

١- ((الإتيان)) : ١ / ٥٠ .

٢- الروي : حرف القافية ، وهو الذي بُنِيَ عليه القصيدة ، فيقال قصيدة ميمية وسينية مثلاً ، وكل حروف العربية تصلح أن تكون رَوِيّاً إلا الألف والياء والواو الزوائد في أواخر الكلم في بعض الأحوال ، وانظر تفصيل هذا في ((لسان العرب)) : (روي) .

ثم قال موجهاً كلام القاضي : ((لأن المنظوم أسهل على النفوس)) :
 ((أي الكلام المنتسق نظمُهُ وتأليفه على نهج واحد والمفضل عليه المنشور^(١) بالمعنى
 السابق))^(٢) .

٨ - ((ومنها تيسيره - تعالى - حفظه لتعليميه ، وتقريبه على متحفظيه ، قال
 الله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾^(٣) ، وسائر الأمم لا يحفظ كتبها الواحد منهم ،
 فكيف الجماء^(٤) على مرور السنين عليهم ، والقرآن ميسر حفظه للغلمان في أقرب
 مدة))^(٥) .

وهذا الحفظ خصوصية خصَّ بها هذا الكتاب العظيم ، كاختصاصه بعدم
 التغيير والتحريف ، فليس هو من الإعجاز ، والله أعلم .

٩ - ((ومنها مشاكلة بعض أجزائه بعضاً وحسن ائتلاف أنواعها والتتام أقسامها
 ... وانقسام السورة الواحدة إلى أمر ونهي ... ووعد ووعيد ... وترغيب وترهيب
 ... دون خلل يتخلل فصوله ، والكلام الفصيح إذا اعتوره^(٦) مثل هذا ضعفت
 قوته ، ولانت جزالته ، وقَلَّ رونقه))^(٧) .

١- كذا في المطبوع ، والسياق يقتضي (على المنشور) ، والله أعلم .

٢- ((نسيم الرياض)) ٢ / ٥٤٠ .

٣- سورة القمر : آية ١٧ .

٤- هو يريد العدد الكثير الجَمِّ ولكني لم أجد في ((لسان العرب)) إلا: الجَمَاء : هي الشاة التي لا قرن لها ، والجَمَاءُ
 موضع بالمدينة ، أما معنى الكثير فهو الجَمُّ ، والجَمَمُ ، والجِمَام ، والجُمُوم ولعل الجَمَاء مؤنث الجَمِّ ، والله أعلم .

٥- ((الشفا)) ١ / ٣٩٤ - ٣٩٥ .

٦- اعتَوَرَت الشيء : تداولته ، انظر ((لسان العرب)) : ع و ر .

والمقصود - هنا - أصابه وجرى عليه .

٧- ((الشفا)) : ١ / ٣٩٥ .

وهذا الوجه داخل في الوجه الأول الذي ارتضاه القاضي عياض - رحمه الله
تعال - بقوله فيه :

((حسن تأليفه والتام كَلِمه))^(١) .

وبقوله فيه أيضاً :

((ثم هو^(٢) في سرد القصص الطوال ، وأخبار القرون السوالف - التي يضعف في
عادة الفصحاء عندها الكلام ، ويذهب ماء البيان - آيةً لتأمله من ربط الكلام ببعضه
ببعض ، والتام سرده ، وتناصف وجوهه^(٣)))^(٤) .

فذاك الكلام الوارد في الوجه الأول يكاد يتطابق مع هذا الكلام المسرود في
هذا الوجه ، والله أعلم .

١٠ - ((ومنه الجملة الكثيرة^(٥) التي انطوت على الكلمات القليلة))^(٦) .

وهذا الوجه أيضاً قد ذكره في الوجه الأول - الذي ارتضاه - عند كلامه
على الآيات القرآنية من حيث ((إيجاز ألفاظها ، وكثرة معانيها ، وديباجة عبارتها ،
وحسن تأليف حروفها وتلاؤم كلمها ، وأن تحت كل لفظة منها جملاً كثيرة ،
وفصولاً جمّة ، وعلوماً زواجر ، مُلئت الدواوين من بعض ما استفيد منها ،
وكثرت المقالات في المستنبطات عنها))^(٧) .

١- المصدر السابق : ١ / ٣٥٨ .

٢- أي القرآن .

٣- عرف الحق ذلك بقوله : ((تناصف : تفاعل ، من النصفة والإنصاف ، يقال : أعضاه

متناصفة حسناً : أي لا ينقص حسن بعضها عن بعض)) ، انظر ((الشفا)) : ١ / ٣٦٨ ، هامش (١٢) .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٦٨ .

٥- أي الكثيرة المعاني ؛ كما بين الحق ، انظر ((الشفا)) : ١ / ٣٩٦ ، هامش (٣) .

٦- ((الشفا)) : ١ / ٣٩٦ .

٧- المصدر السابق : ١ / ٣٦٨ .

فالذي أراه أن هذا الوجه الأخير لا ينفصل أو يختلف عن كلام القاضي الذي أورده في الوجه الأول الذي ارتضاه من أوجه الإعجاز ، والله أعلم .

ثم ختم القاضي عياض - رحمه الله تعالى - الحديث عن الإعجاز بقوله :

((وهذا كله ، وكثيرٌ مما ذكرنا أنه في إعجاز القرآن ، إلى وجوه كثيرة ذكرها الأئمة لم نذكرها ؛ إذ أكثرها في باب بلاغته ، فلا يجب أن يُعدّ فناً منفرداً في إعجازه إلا في باب تفصيل فنون البلاغة ، وكذلك كثير مما قدمنا عنهم يُعدّ^(١) في خواصه وفضائله لا إعجازه .

وحقيقة الإعجاز الوجوه الأربعة التي ذكرنا^(٢) ، فليُعمد عليها ، وما بعدها^(٣) من خواص القرآن وعجائبه التي لا تنقضي^(٤) .

وخلاصة ما أورده من أوجه الإعجاز الأربعة عشر هي :

١ - الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم .

٢ - الإعجاز بالأسلوب .

٣ - الإعجاز بأخبار الغيب .

٤ - الروعة والتأثير .

٥ - الإعجاز بالعلوم والمعارف .

٦ - جَمْع القرآن بين الدليل والمدلول .

١- هذه الكلمة خير لقوله في أول كلامه : ((وهذا كله)) .

٢- سبق تبيان هذه الوجوه الأربعة وما أراه فيها ، انظر ص ١٥٨ وما بعدها .

٣- أي الأوجه العشرة التي بعد الأربعة التي ارتضاها .

٤- ((الشفا)) : ١ / ٣٩٦

وقوله إن الأوجه العشرة كلها من خواص القرآن وعجائبه لا من إعجازه ليس على إطلاقه فقد بينت أن أكثرها مقبول بمفرده أو أنه يدخل في الوجهين الأولين من الأوجه التي ارتضاها القاضي ، رحمه الله تعالى ، والله أعلم .

وإن كان لي مأخذ علمي على ما أورده القاضي - رحمه الله تعالى - من مباحث الإعجاز فهو أنه ذكر (الصِّرفة) على أنها مذهب لبعض أهل السنة ثم لم يفند هذا الرأي ولم يبين غواره^(١) حيث قال :

((وقد اختلف أئمة أهل السنة في وجه عجزهم عنه ، فأكثرهم يقول إنه ما^(٢) جُمع في قوة جزالته ، ونصاعة ألفاظه ، وحسن نظمهِ وإيجازه ، وبديع تأليفه وأسلوبه لا يصح أن يكون في مقدور البشر ، وأنه من باب الخوارق الممتعة عن إقدار الخلق عليها كإحياء الموتى ، وقلب العضا ، وتسييح الحصى .

وذهب الشيخ أبو الحسن^(٣) إلى أنه مما يمكن أن يدخل مثله تحت مقدور البشر ، ويُقدرهم الله عليه ، ولكنه لم يكن هذا ولا يكون ، فمنعهم الله هذا وعجزهم عنه ، وقال به جماعة من أصحابه ، وعلى الطريقتين فعجز العرب عنه ثابت))^(٤) .

ومقصوده بالرأي الذي ذهب إليه الشيخ أبو الحسن الأشعري وبعض أصحابه من أهل السنة هو (الصِّرفة) ، كما بينت ذلك بالتفصيل فيما سبق^(٥) .

وقد ذكر القاضي - رحمه الله تعالى - في موضع قبل هذا (الصِّرفة) حيث قال :

١- سبق الكلام على مذهب القائلين بالصِّرفة ، انظر ص ١١٣ وما بعدها .

٢- في ((الشفا)) المطبوع في ((المكتبة السلفية)) بشرح الخفاجي : ((مما)) ، وهو أقرب إلى المعنى المراد ، وقد قدّر الخفاجي الكلام بالآتي : ((أي لا يمكنهم القدرة على مثله لما جمعه مما لا تطيقه قدرتهم)) : انظر ((نسيم

الرياض شرح شفا القاضي عياض)) : ٥٠٣/٢ .

٣- يقصد أبا الحسن الأشعري ، وقد سبقت ترجمته .

٤- ((الشفا)) : ٣٧٣ / ١ .

٥- انظر ص ١٠٣ وما بعدها .

((اعلم أن معنى تسميتنا ما جاءت به الأنبياء معجزةً هو أن الخلق عجزوا عن الإتيان بمثلها ، وهي على ضربين :

ضربٌ هو من نوع قدرة البشر فعجزوا عنه ، فتعجيزهم عنه فِعْلٌ لله دَلٌّ على صدق نبيه كصرفهم عن ثمي الموت ، وتعجيزهم عن الإتيان بمثل القرآن على رأي بعضهم^(١) ونحوه .

وضربٌ هو خارج عن قدرتهم فلم يقدرُوا على الإتيان بمثله كإحياء الموتى ...))^(٢) .

وكلام القاضي - رحمه الله تعالى - يُفهم منه تجويز مذهب القائلين بـ (الصَّرْفَة) وإن كان يميل إلى المذهب الآخر كما يظهر من قوله :
((على رأي بعضهم)) ، ((وقد اختلف أئمة أهل السنة فأكثرهم يقول ...
وزهب الشيخ أبو الحسن إلى ...)) .

وقد قال القاضي عَقِبَ ذكره لمذهب الفريقين :
((وعلى الفريقين فعجز العرب عنه ثابت))^(٣) ، والله أعلم .

أما نسبته القول بـ (الصَّرْفَة) للشيخ أبي الحسن الأشعريّ فإنني لم أجد أحداً نسبها إليه في كتب العقائد أو غيرها من المراجع المشهورة .

١- وهي (الصَّرْفَة) كما لا يخفى .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٤٩ - ٣٥٠ .

٣- سبق شرح هذا الكلام ، وأنه يُشبه التنزّل ، انظر ص ١١٠ وما بعدها .

وقد قال الحفاجي :

((نُقل عن الأشعري إلا أنه لم يشتهر عنه))^(١) .

ثم ذكر أن من الناس من قال إنه يحتمل أن يكون رجلاً آخر غير أبي الحسن ، وقيل في توجيه نسبة هذا الرأي إلى أبي الحسن الأشعري غير هذا^(٢) .

وبهذا يتم الكلام على الكتب المختارة - في العلوم الأربعة : التفسير ، وعلوم القرآن ، والعقيدة ، والسيرة - التي تحدثت عن الإعجاز ضمناً فكان جزءاً من مباحثها الكثيرة .

ولما كان الكلام على الإعجاز فيها ليس مستقلاً فإن طرّقه كان على عجلة وفي إيجاز قد لا يُتمكن معه من معرفة الجوانب التفصيلية في الإعجاز والوجه المرضي منها ، ولكن يُطلب هذا من الكتب المستقلة بالإعجاز ، وهذا هو موضوع البحث التالي ، إن شاء الله تعالى .

ويمكن اختصار أوجه الإعجاز التي جاءت في تلك الكتب المختارة في الآتي :

- ١ - البلاغة والفصاحة والنظم .
- ٢ - الروعة والتأثير في القلوب .
- ٣ - أمرٌ لا يستطاع التعبير عنه .
- ٤ - أخبار الغيب .
- ٥ - الإعجاز بالعلوم والمعارف .
- ٦ - جَمْع القرآن بين الدليل والمدلول .
- ٧ - التحدي وقع بالكلام القديم وفيه وقع الإعجاز .
- ٨ - (الصَّرْفَة) .
- ٩ - الإعجاز بأوجه مجتمعة منها المقبول والغير المقبول كـ (الصَّرْفَة) .

١- انظر ((نسيم الرياض)) ٢ / ٥٠٤ .

٢- المصدر السابق ، وانظر ص ١٠٣ وما بعدها من هذه الرسالة فقد سبق الكلام على هذه القضية .

المبحث الثاني : التدوين في الكتب المستقلة بالإعجاز

تمهيد

الكتب التي صُنفت في بيان إعجاز القرآن العظيم واستقلت بهذا الموضوع هي كتب متفاوتة في أهميتها وكيفية تناولها للإعجاز ؛ إذ أن بعضها جاء بجديد محدّد في هذا الموضوع ، وكثير منها كانت مباحثه تكراراً لما سبق ذكره في كتب أخرى متقدمة فلم يأت بجديد .

وقد سبق أن أوردت جميع الكتب التي تناهى إلى علمي أنها صُنفت في إعجاز القرآن العظيم مستقلة به^(١) ، وقد بينت أن أول كتاب وصل إلينا وفيه بيان لجوانب من إعجاز القرآن هو ((حجاج النبوة)) للجاحظ - رحمه الله تعالى - وقد ذكرت أنه مبتور غير كامل^(٢) .

ثم أخذت كتب الإعجاز القرآني تتوالى وتنتشر بعد انتهاء القرن الثالث الهجري إلى قرننا هذا .

وسوف أتكلم في هذا المبحث - إن شاء الله تعالى - على أربعة كتب من القرون : الرابع والخامس والسابع والثامن على التوالي .

١ - انظر ص ٧٩ وما بعدها .

٢ - انظر ص ٧٣ .

وإنما لم آت بتصنيف في القرن السادس لأنه لم يصلنا من مؤلفات ذلك القرن شيء .

أما القرن التاسع فلم يصلنا منه إلا مصنف ابن الجزري^(١) ، وهو مختصر ، مخصص - في معظمه - لبحث البلاغة في آية واحدة فقط ، مع بعض مباحث في الإعجاز ختم بها ابن الجزري كتابه ، فلما كان الكتاب كذلك فإني لم أختره .

وأما القرن العاشر فلا أعرف أنه وصلنا من مصنفاته كتاب غير كتاب الإمام السيوطي ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) موضوع الرسالة .

وأما القرون من الحادي عشر إلى الثالث عشر فلم يصلنا أنه صنف فيها كتاب مستقل بالإعجاز^(٢) ، والله أعلم .

أما القرن الرابع عشر فسيأتي الحديث عن أبرز المصنفات في الإعجاز فيه في الباب الرابع ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

وقد اخترت أربعة كتب استقلت بالكلام على الإعجاز ، وكان سبب اختياري لها دون غيرها أنني اعتقد أن كلاً منها قد أتى بجديد متميز عن غيره ، ماعدا كتاب ((نهاية الإيجاز)) للرازي ؛ وإنما اخترته لأنه أفضل ما وصل إلينا من مصنفات ذلك القرن^(٤) .

أما الكتب المختارة فهي :

١ - ((النكت في إعجاز القرآن)) للشيخ الرماني (ت ٣٨٤) رحمه الله تعالى .

١- وهو كتاب ((كفاية الألمي في شرح قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَتَّزِقُ أَلْبَعِي ﴾ في إعجاز القرآن)) .

٢- انظر ص ٨٩ .

٣- انظر ص ٦٦٧ وما بعدها .

٤- انظر ص ٨٦ ، ٨٧ .

- ٢ - ((إعجاز القرآن)) للإمام الباقر (ت ٤٠٣) رحمه الله تعالى .
- ٣ - ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)) لفخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) رحمه الله تعالى .
- ٤ - ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥) رحمه الله تعالى .
- وسوف أتكلّم عليها - على الترتيب السابق - كلاماً موجزاً يتبين به الملامح العامة للكتاب ، ذاكراً وجوه الإعجاز التي ارتضاها مصنفو تلك الكتب ، ناقداً ما يحتاج إلى النقد منها ، إن شاء الله تعالى .

١ - ((النكت في إعجاز القرآن))^(١)

للشيخ أبي الحسن علي بن عيسى الرمانى المعتزلى (ت ٣٨٤)

المؤلف رسالة موجزة^(٢) في الإعجاز ، هي أولى المصنفات التي وصلتنا كاملة في هذا الباب ، وهي ((أول دراسة فنية ذات وحدة متماسكة فتحت الباب بعد ذلك لدراسات أوسع وأشمل وأعمق))^(٣).

وقد استفاد من مباحث هذه الرسالة عدد من المصنفين بعد الرمانى كالباقلانى الذي نقل قسماً كبيراً منها في كتابه : ((إعجاز القرآن))^(٤).

وقد قسم المصنف رسالته هذه إلى مقدمة وأحد عشر باباً :

أما المقدمة فقد اختصرها غاية الاختصار وسرد فيها سبعة أوجه للإعجاز منها البلاغة التي خصها بعشرة أبواب من الرسالة ، وطرق أوجه الإعجاز الستة الباقية طرقاً خفيفاً في الباب الحادي عشر .

وكان للمباحث البلاغية في رسالته ((أكبر الأثر في تاريخ البحوث البلاغية على مرّ الأزمان ، كما كانت مصدراً يستقي منه كل العلماء الذين أتوا بعده ، وغُنوا بالبلاغية العربية عامّة وبلاغات القرآن خاصة))^(٥).

١- الكتاب مطبوع ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن هي ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطائى ، و ((الرسالة الشافية)) للإمام الجرجاني ، بالإضافة إلى كتاب ((النكت)) الذي يحتل الصفحات : ٧٥ - ١١٣ من المجموع .

٢- كان السبب في رجاها أن سائلاً مجهولاً طلب منه ذكر أوجه الإعجاز دون تطويل بذكر الأدلة فاستجاب له ، انظر ((النكت)) : ٧٥ .

٣- ((بلاغة القرآن بين الفن و التاريخ)) : ١١٢ .

٤- انظر ((ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)) : ١٦٤ - ١٦٦ .

٥- ((المباحث البلاغية)) : ١١٣ - ١١٤ .

وجوه الإعجاز عند الشيخ الرّماني :

ذكر الرّماني في رسالته الموجزة سبعة أوجه للإعجاز ، هي :

١ - ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة^(١) .

٢ - التحدي للكافة^(٢) .

٣ - الصّرفة^(٣) .

٤ - البلاغة^(٤) .

٥ - الأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلية^(٥) .

٦ - نقض العادة^(٦) .

٧ - قياسه بكل معجزة^(٧) .

أمّا الوجه الأول - وهو ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة - فالمقصود منه عجز العرب عن المعارضة^(٨) ، ولا يصح - في تقديري - أن يُجعل العجز عن المعارضة وجهاً من وجوه الإعجاز ؛ لما فيه من الدّور^(٩) ؛ ولأن العجز دليل الإعجاز ، وليس هو الإعجاز .

١- ص ١٠٩ .

٢- ص ١١٠ .

٣- ص ١١٠ .

٤- ص ٧٥ - ١٠٩ .

٥- ص ١١٠ - ١١١ .

٦- ص ١١١ .

٧- ص ١١١ - ١١٣ .

٨- وإنما قلت ذلك لئلا يتداخل هذا الوجه مع الوجه الثالث وهو (الصّرفة) .

٩- الدّور هو ((توقف الشيء على ما يتوقف عليه ... كما يتوقف (أ) على (ب) ، و (ب) على (ج) ، و (ج) على (د))) .

على (أ) : ((التعريفات)) : ١٤٠ .

والوجه الثاني - وهو التحدي للكافة - ليس وجهاً من أوجه الإعجاز بقدر ما هو داعية إلى الإعجاز ؛ إذ أنه - أي التحدي - هو السبيل الذي أغرى الله به البشر كافة لأن يعارضوا القرآن فانقطعوا ولم يستطيعوا .

الوجه الثالث :

(الصِّرفَة) ، وقد سبق بيانها ، وردّها وإبطالها^(١) .

الوجه الرابع :

البلاغة ، فقد قسمها إلى عشرة أقسام هي :

١ - الإيجاز^(٢) .

٢ - التشبيه^(٣) .

٣ - الاستعارة^(٤) .

٤ - التلاؤم ، ويعني بها عدم تنافر الحروف^(٥) .

١- انظر ص ١١٣ وما بعدها .

٢- ((الإيجاز هو وضع المعاني الكثيرة في ألفاظ أقل منها ، وافية بالغرض المقصود مع الإبانة والإفصاح ، كقوله تعالى : ﴿ خُذِ الْعَصَا وَأَنزِلْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾ [سورة الأعراف : آية ١٩٩] ، فهذه الآية القصيرة جمعت نكارم الأخلاق بأسرها)) وللإيجاز أقسام ، وانظر في ذلك : ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٢ وما بعدها ، وانظر ((النكت)) : ٧٦ - ٨٠ .

وإنما عدلت عن تعريفات المصنف إلى تعريفات المتأخرين لأنها أقعد وأدلّ على المراد ، وأما إثباتي بالتعاريف من كتاب ((جواهر البلاغة)) دون ((المفتاح)) وشروحه لأن ماني ((الجواهر)) أوضح مما في غيره وأسهل تناولاً .

٣- التشبيه هو ((عقد مماثلة بين أمرين أو أكثر قصد اشتراكهما في صفة أو أكثر بأداة لغرض يقصده المتكلم)) :

((جواهر البلاغة)) : ٢٤٧ . وانظر ((النكت)) : ٨٠ - ٨٥ .

٤- الاستعارة هي ((استعمال اللفظ في غير ماوضع له لعلاقة المشابهة بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه مع قرينة صارفة عن إرادة المعنى الأصلي ، والاستعارة ليست لإتشبيه مختصراً ولكنها أبلغ منه ، كقولك رأيت أسداً في المدرسة ، فأصل هذه الاستعارة : رأيت رجلاً شجاعاً كالأسد في المدرسة فحذفت المشبّه وحذفت الأداة وحذفت وجه التشبيه وأحقت به قرينة المدرسة لتدل على أنك تريد بالأسد شجاعاً)) : ((جواهر البلاغة)) : ٣٠٣ - ٣٠٤ . وانظر ((النكت)) : ٨٥ - ٩٤ .

٥- التلاؤم = عدم تنافر الحروف . والتنافر وصف في الكلمة يوجب ثقلها على السمع وصعوبة أدائها باللسان بسبب كون حروف الكلمة مقاربة للخارج)) وينقسم إلى قسمين ، وانظر كل ذلك في ((جواهر البلاغة)) :

٨ ٦ وانظر ((النكت)) : ٩٤ - ٩٧ .

٥ - الفواصل^(١) .

٦ - التجانس ، و يعني بها المشاكلة^(٢) والازدواج^(٣) .

٧ - التصريف :

ويعني به تصريف المعنى في المعاني المختلفة كتصريف الملك في معاني الصفات فصُرف في معنى مالك ، وملك ، وذو الملكوت ، والمليك ، وفي معنى التمليك ... ، وضرب مثلاً على هذا قصة موسى - عليه الصلاة والسلام - حيث ذكرت في عدة سور لوجوه من الحكمة : منها التصرف في البلاغة من غير نقصان عن أعلى مرتبة ، ومنها تمكين العبرة والموعظة ، ...^(٤)

٨ - التضمين :

((وتضمن الكلام هو حصول معنى فيه من غير ذكر له^(٥) باسم أو صفة ... وكل آية فلم تخل من تضمين لم يذكر باسم أو صفة ، فمن ذلك

١- الفاصلة ((كلمة آخر الآية)) : ((البرهان)) : ١ / ٥٣ . ((وأواخر الآيات في كتاب الله فواصل بمنزلة قوافي الشعر - جلّ كتاب الله عز وجل - واحدتها فاصلة)) : ((لسان العرب)) : (ف ص ل) . وانظر ((النكت)) : ٩٧ - ٩٩ .

٢- المشاكلة هي أن يذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته ... نحو قوله تعالى : ﴿ لَسَوْأَ اللَّهُ فِتْنَتَهُمْ ﴾ أي أهملهم ، ذكر الإهمال هنا بلفظ النسيان لوقوعه في صحبته)) : ((جواهر البلاغة)) : ٣٧٥ . وقال ابن كثير : ((أي عاملهم معاملة من نسيهم)) : ((تفسير القرآن العظيم)) : ٤ / ١١٣ .

٣- والازدواج هو ((تجانس اللفظين المتجاورين نحو : من جدّ وجد)) : ((جواهر البلاغة)) : ٤٠٤ . ومثل له الرماني بقوله تعالى : ﴿ ثُمَّ أَنْصَرُواْ صَرْفَكَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ ﴾ سورة التوبة آية : ١٢٧ ، وانظر مقصود الرماني من هذا القسم في ((النكت)) : ٩٩ - ١٠٠ .

٤- انظر ((النكت)) : ١٠١ - ١٠٢ .

٥- أي من غير ذكر لذلك المعنى المضمن ، وسيوضح كلامه بمثال .

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ قد تضمن التعليم لاستفتاح الأمور على التبرك به ،
والتعظيم لله بذكره ، وأنه أدب من آداب الدين ، وشعار للمسلمين ...))^(١) .

٩ - المبالغة^(٢) .

١٠ - البيان :

ويعني به علم البيان المعروف الذي هو ((أصول وقواعد يعرف بها إيراد
المعنى الواحد بطرق يختلف بعضها عن بعض ، في وضوح الدلالة العقلية على نفس
ذلك المعنى)) ، وله أقسام معروفة^(٣) .

لكن الكلام على البيان في كتابه جاء على هيئة مباحث أولية ، وأمثلة لم
تكتمل أقسامها بعد^(٤) ، وذلك لتقدم زمان الرماني ، وعدم اكتمال تقاسيم ذلك
العلم .

هذا وقد جاءت مباحثه البلاغية في هذه الرسالة قوية ، وفي بعضها جدّة
وابتكار ، ولكن التقسيم الذي استقرّ بعد ذلك لعلم البلاغة^(٥) لم يكن واضحاً في
رسالته ؛ حيث إنه قد حصر البلاغة في الوجوه العشرة التي ذكرها ولم يزد عليها ،
إما لأنه لم يطلع على ما سواها ، أو أنه ذكر ما يرى أنه الأهم ، والله أعلم^(٦) .

الوجه الخامس : الإخبار عن الغيوب :

- ١- المصدر السابق : ١٠٢ - ١٠٤ ، وهو غير التضمن المشهور في علم البلاغة ، وهو أن يضمن
الشاعر كلامه شيئاً من مشهور شعر الغير ، وانظر ((جواهر البلاغة)) : ٤١٦ .
- ٢- ((هي أن يدعي المتكلم لوصف بلوغه في الشدة أو الضعف حدّاً مستبعداً أو مستحيلاً)) ولها أنشراح ،
وانظر ((جواهر البلاغة)) : ٣٨٠ .
- ٣- انظر ((جواهر البلاغة)) : ٢٤٤ وما بعدها من أبحاث التشبيه ، والجاز ، والكتابة .
- ٤- ((النكت)) : ١٠٦ - ١٠٩ .
- ٥- وهي البيان والمعاني والبديع .
- ٦- انظر - في هذا الموضوع بالتفصيل - كتاب الدكتور محمد محمد أبو موسى : ((الإعجاز البلاغي)) : ٨٥ - ١٥٣ ،
وكتاب الدكتور أحمد العمري : ((المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني)) : ١١٥ - ١٤٩ .
وانظر فصل ((تعليقات من جاءوا بعد الرماني على آرائه البلاغية واقتباسهم من تلك الآراء)) في كتاب ((ثلاث
رسائل في إعجاز القرآن)) : ص ١٦٤ وما بعدها .

وقد سبق أن ذكرت أن الإعجاز فيها إعجاز جزئي لا كليّ ، بمعنى أنه ليس في كل آيات القرآن العظيم ^(١) .

الوجه السادس : نقض العادة :

ويعني الرمانيّ به أن القرآن قد أتى نظمه على طريقة مفردة خارجة عن العادة، لها منزلة في الحسن تفوق كل منزلة ^(٢) .

وهذا الوجه هو ما يعرف بـ (الإعجاز النظمي) ، وقد أفردّه الشيخ عن أوجه البلاغة التي تكلم عليها في كتابه ، وعادة المتكلمين في بلاغة القرآن بعده - كالباقلائيّ ^(٣) - أن يجعلوا هذا الوجه مع البلاغة فيصير وجهاً واحداً ، ولكن إفراده - كما صنع الرمانيّ - أمرٌ حسن لا يعاب عليه بل هو يبرز هذا الوجه ويظهره ، وهذا عينُ صنيع عبد القاهر الجرجانيّ في كتاب ((دلائل الإعجاز)) ؛ إذ تفنن في الكلام على نظم القرآن وقعد له قواعد .

الوجه السابع : قياسه بكل معجزة ، ويوضح مراده بقوله :

((وأما قياسه بكل معجزة فإنه يظهر إعجازه من هذه الجهة ؛ إذ كان سبيل فلق البحر و قلب العصا حيّة وما جرى هذا المجرى في ذلك سبيلاً واحداً في الإعجاز ، إذا ^(٤) خرج عن العادة وقعد الخلق فيه عن المعارضة)) ^(٥) .

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- ((النكت في إعجاز القرآن)) : ١١٠ .

٣- انظر ((إعجاز القرآن)) : ص ٣٥ وما بعدها .

٤- نعلها (إذ) فالمعنى يستقيم بها نوع استقامة .

٥- ((النكت في إعجاز القرآن)) : ١١١ .

وقد فُسر كلامه هذا بأنه ((مادام الناس قد عجزوا عن أن يأتوا بما أتى موسى من قلب العصا حيَّةً وفلق البحر فإنهم قد عجزوا أيضاً عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن الذي أنزل على محمد - صلى الله عليه وسلم - بعد أن تُحدوا إليه ، فكان السبيل واحداً بالنسبة لما جاء به موسى وما جاء به محمد وهو العجز ؛ لأن كليهما قد أتى بما هو خارج عن العادة))^(١) .

وهذا الوجه - على هذا التفسير - ليس وجهاً مستقلاً بالإعجاز بل هو المعجزة ذاتها التي يبحث لها عن وجه إعجازها ، فكلامه منصبٌ على قياس المعجزة القرآنية بكل معجزة سابقة في أن القرآن نقض عادة البشر وعجزوا عن معارضته فهو المعجزة ذاتها ، فلا يصح أن يكون وجهاً من وجوه الإعجاز، والله أعلم .

تلك كانت أوجه الإعجاز التي أتى بها في رسالته ، ويمكن اختصارها في ثلاثة أوجه قيل بأنها من أوجه الإعجاز أما عداها فلا ، وهذه الأوجه هي :

١ - الإعجاز البلاغي والنظمي .

٢ - الإعجاز بأخبار الغيب .

٣ - الإعجاز بـ (الصرفة) .

و يلاحظ على رسالته ما يلي :

١ - كان طَرَفُه لأوجه الإعجاز طرقاً خفيفاً عدا الوجه البلاغي ، مما يدل على تبحره في جانب البلاغة واهتمامه بها ، وكأن هذا الوجه هو أسُّ الإعجاز القرآني عنده .

١- ((تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية)) : ٢٧١ - ٢٧٢ .

وانظر كذلك ((الإعجاز البلاغي)) : ٨٦ .

٢ - أسلوبه في هذه الرسالة - على وجازتها - يجمع بين السلاسة والقوة ، وعبارته متينة سليمة ممتعة ، وقد فصل عدد من النقاد رسالته تفصيلاً دللوا فيه على مافي أسلوبه من جمال ، ومافي معانيه من جدّة وابتكار^(١) .

٣ - جرى في تقسيمه رسالته على طريقة القدماء ؛ إذ لم يقدم بمقدمة تظهر معها أهمية الموضوع ، ولم يذكر من طرقه قبله ، كما أن الرسالة قد خُتِمت بدون تصريح أو تلويح بالخاتمة^(٢) ، فإما أن يكون الكلام قد انتهى ولم يُختم بما يدل على ذلك - كما هي طريقة بعض المصنفين القدامى الذين يتركون ختم الكتاب للطلاب الرواة عنهم .

أو أن هذه الرسالة كانت ضمن مجموع له فشرع في نهايتها برسالة أخرى فلم ير ضرورةً لذكر خاتمةٍ لرسالته هذه .

أو أن الرسالة فيها بعض النقص كما ذهب إلى ذلك أحد الدارسين لها^(٣) ، وإن لم يشتهر هذا النقص بين الباحثين .

٤ - لم يرد في رسالته أي حديث أو أثر يدعم به ما ذكره من مباحث ، والمصنف جرى على طريقة المعتزلة الذين يقلُّ عندهم الاهتمام بالأحاديث والآثار ، ولعل لوجازة الرسالة مدخلاً في هذا ، والله أعلم .

٥ - كانت رسالته موجزةً تحتاج في كثير من جوانبها إلى زيادة بسط وشرح حتى فيما أطنب فيه منها وهو الإعجاز البلاغيّ .

١- انظر - مثلاً - ((الإعجاز القرآنيّ : وجوه وأسواره)) : ٧٩ - ٩٩ .

٢- فيما عدا ما ذكر في هامش ص ١١٣ وهو - فيما يظهر - من صنع بعض تلاميذه ، والله أعلم .

٣- هو الدكتور محمد أبو موسى في كتابه ((الإعجاز البلاغي)) : ٨٥ ، حيث يدلل على نقص في الرسالة واضطراب وتصحيف ، ولكنه لم يذكر أن آخرها مبتور ، ولعله كذلك ، والله أعلم .

ولما كانت رسالته من أوائل الرسائل في الإعجاز كان من شأنها الإيجاز ؛ إذ العلوم والفنون تنشأ بمجملّة أو قليلة المباحث ، ثم تنمو على يد العلماء اللاحقين ويعظم شأنها .

هذا ما تيسر من الكلام على الإعجاز في كتاب الإمام الرمانيّ .

٢ - ((إعجاز القرآن))

للقاضي الباقلاني (ت ٤٠٣) رحمه الله تعالى .

هذا الكتاب عظيم الخطر ، شريف المباحث ، سلس العبارة ، متين الأسلوب ، قويّ الحجة ، كيف لا ومصنفه معروف بقوة الحجة والذكاء ونصاعة البيان .

وهو أول كتاب - جامع في بابه^(١) - يصنفه إمامٌ من أئمة أهل السنة فيما أعلم^(٢) ، والله أعلم .

والمصنّف ((أثر جليل يدل على حِذْق المتكلمين للبيان فضلاً عن حِذْقهم لعلم الكلام ...))^(٣) .

و ((لعلّ أكبر جهد قام به مؤلّف لبيان إعجاز القرآن هو جهد الباقلانيّ في كتابه ((إعجاز القرآن))^(٤) .

والكتاب ذو فصول كثيرة ، بدأه المصنف - رحمه الله تعالى - ببيان شرف هذا الكتاب العظيم ، وبيان أن نبوة محمد - صلى الله عليه وسلم - معجزتها القرآن ، وأهمية الكشف عن وجوه إعجازه^(٥) .

١- بلغ حجم الكتاب قراءة خمسمائة صفحة .

٢- و ذلك لصغر حجم رسالة الإمام الخطّابيّ - رحمه الله تعالى - ولقلة مباحثها .

٣- ((الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن)) : ٥٣٢ .

٤- المصدر السابق : ٥٣٠ .

٥- انظر ص ٨ .

ثم ذكر أن القرآن معجز للجن و الإنس معاً^(١) .

ثم ذكر القول بـ (الصَّرْفَة) ورد عليه رداً محملاً^(٢) .

ثم ذكر وجوه الإعجاز في كتاب الله تعالى - على ما يراه ويقدره - ذكراً محملاً ، ثم كرّر عليها بالتفصيل بعد ذلك^(٣) .

ثم ذكر فصولاً متنوعة تتعلق بإعجاز الكتاب العظيم ، مثل قدر المعجز من القرآن ، وهل يُعلم الإعجاز بالضرورة ، إلى غير ذلك من مباحث كثيرة^(٤) .

وجوه إعجاز القرآن العظيم عند الباقلاني :

ذكر الإمام الباقلاني في كتابه ثلاثة وجوه للإعجاز^(٥) ، ويّين أن ذلك هو المعتمد عند أصحابه وغيرهم ، وهذه الوجوه هي :

١ - الإخبار عن الغيوب .

٢ - معرفة كتب المتقدمين ، وأقاصيصهم ، وأنبيائهم وسيرهم .

٣ - أن القرآن بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجزُ الخلق عنه .

١- انظر ص ١٨ ، ٣٨ وما بعدها .

٢- انظر ص ٢٩ وما بعدها .

٣- انظر ص ٣٣ وما بعدها .

٤- انظر ص ٢٨٦ وما بعدها .

٥- انظر ((إعجاز القرآن)) : ٣٣ وما بعدها .

وقد أجمال ذكر الوجهين الأولين ، وأورد بعض الأدلة التي تؤيد ماذهب إليه
فيهما .

ثم إنه فصل الوجه الثالث في عشرة أوجه هي :

١ - مخالفة نظم القرآن لجميع كلام العرب ؛ فليس هو شعراً ولا نثراً مسجوعاً أو
غير مسجوع^(١) .

٢ - كثرة آيات القرآن وطولها مع التناسب في البلاغة والحكم الكثيرة ، أما كلام
البشر فإن المعداد منه بليغاً إنما هو كلمات معدودة وألفاظ قليلة^(٢) .

٣ - عدم التفاوت في النظم ، والمنزلة العليا في التأليف والرصف مع اختلاف
الأغراض التي يتناولها القرآن ، بينما يختلف كلام البشر اختلافاً بيناً بحسب الغرض
المتناول وسبك الكلام من شعر أو نثر^(٣) .

٤ - نظم القرآن يجمع بين الوجوه الكثيرة فيجعل المختلف كالمؤتلف ، والمتباين
كالمتناسب ، بينما يتفاوت كلام الفصحاء تفاوتاً بيناً في ضم وجمع الكلام
المتنافر^(٤) .

٥ - نظم القرآن فاق في بلاغته كلام الجن كما فاق كلام الإنس^(٥) .

١- ((إعجاز القرآن)) : ٣٥ .

٢- المصدر السابق : ٣٦ .

٣- المصدر السابق : ٣٦ - ٣٨ .

٤- المصدر السابق : ٣٨ .

٥- المصدر السابق : ٣٨ - ٤١ .

٦ - القرآن يشبه كلام العرب في الشكل ، ويخالفه في المضمون إلى الحد المعجز ، قال الباقلائي :

((الذي ينقسم عليه الخطاب من البسط والاقتصار ، والجمع والتفريق ، والاستعارة والتصريح ... ونحو ذلك من الوجوه التي توجد في كلامهم موجودة في القرآن ، وكل ذلك مما يتجاوز حدود كلامهم المعتاد بينهم في الفصاحة والإبداع والبلاغة))^(١) .

٧ - إحكام الألفاظ وقوة المعاني ، وسريان ذلك حتى في المواضع العقيدية والتشريعية ، قال الباقلائي :

((المعاني التي تضمنها في أصل وضع الشريعة والأحكام ، والاحتجاجات في أصل الدين ، والرد على الملحدين ، على تلك الألفاظ البديعة وموافقة بعضها بعضاً في اللطف والبراعة ، مما يتعذر على البشر ويمتنع ...))^(٢) .

٨ - كلمات القرآن دُرر كلها ، ليس فيها كلمة نافرة ، قال الباقلائي :

((الكلام يتبين فضله ورجحان فصاحته بأن تذكر منه الكلمة في تضاعيف كلام ... فتشوق إليها النفوس ... كالدرة التي ترى في سلك من خرز ... وأنت ترى الكلمة من القرآن يُتمثل بها في تضاعيف كلام كثير وهي غرة جميعه ، وواسطة عقده ...))^(٣) .

٩ - حروف كلمات القرآن هي عين حروف كلام العرب لكن النظم معجز ، قال الباقلائي :

١- ((إعجاز القرآن)) : ٤٢ .

٢- المصدر السابق .

٣- المصدر السابق : ٤٢ - ٤٤ .

((الحروف التي بُني عليها كلام العرب تسعة وعشرون حرفاً ... وجملة ما ذكر من هذه الحروف في أوائل السور من حروف المعجم ... أربعة عشر حرفاً ... ليعرفوا أن هذا الكلام منتظم من الحروف التي ينظمون بها كلامهم ...))^(١) .

ثم تكلم على هذه الأحرف وبعض صفاتها ليخلص إلى أن الذي نظم هذه الأحرف هذا النظم المعجز على صفاتها التي هي عليها في كتاب الله - تبارك وتعالى - لا يجوز أن يكون غير الله ، تعالى^(٢) .

١٠ - الكلام القرآني ((خارج عن الوحشي المستكره ، والغريب المستنكر ، ومن الصنعة المتكلفة)) .

وهو مع قربه إلى الأفهام ((ممتنع المطلب ، عسير المتناول))^(٣) ، غير مقدور عليه بوجه من الوجوه^(٤) .

والناظر في هذه التقسيمات العشرة للوجه الثالث للإعجاز يلحظ أن بعضها متداخل في البعض الآخر ومندرج فيه ؛ وذلك في التقسيم الثاني والثالث والرابع ، ويلحظ - أيضاً - أن واحداً منها متعلق بوجه ما بالإعجاز لكنه ليس هو الإعجاز ، وذلك هو الوجه الخامس .

مناقشة الأوجه التي أوردها الإمام الباقلاني :

١ - يشير الباقلاني إلى قضية حروف أوائل السور مثل ﴿ أَمْ ﴾ ؛ حيث إن بعض العلماء ذكر أن القرآن مؤلف من

مثل هذه الأحرف التي يتداولونها في كلامهم لكنهم عاجزون عن مثله .

٢ - المصدر السابق : ٤٤ - ٤٦ .

٣ - أي عسير المتناول على من يروم معارضته ، لاعلى من يطلب هدايته .

٤ - ((إعجاز القرآن)) : ٤٦ .

أما الوجه الأول وهو الإعجاز بأخبار الغيب فقد فصلت الكلام عليه في مكان غير هذا ، وخلاصته أن الإعجاز - هنا - جزئي في الآيات الواردة بالغيوب فقط وليس كلياً^(١) .

وأما الوجه الثاني وهو معرفة كتب المتقدمين وأقاصيصهم وسيرهم ، فهو مندرج في الوجه السابق ، وقد تكلمت عليه سابقاً كذلك ، وبينت أنه من قسم الإعجاز بأخبار الغيب ؛ إذ سير المتقدمين وأقاصيصهم مما غُيب عن العرب بل عن أكثر البشر^(٢) .

ولعل عدّ الباقلانيّ له وجهاً مستقلاً إنما كان باعتبار أن الوجه الأول عنده هو الإعجاز بأخبار الغيب المستقبل فقط ، كما تدل على ذلك الآيات التي ساقها الإمام الباقلانيّ في بيان ذلك الوجه^(٣) .

وهذا الوجه الثاني قد قصر الإعجاز فيه على الإخبار بالغيب الماضي فقط .
والوجهان يرجعان إلى وجه واحد وهو الإعجاز بأخبار الغيب مطلقاً .

وأما الوجه الثالث ، وهو أن هذا الكتاب الكريم بديع النظم ، عجيب التأليف ، متناهٍ في البلاغة إلى الحد الذي يُعلم عجز الخلق عنه ، فإن هذا الوجه قد أجمع عليه من تكلم في الإعجاز من الأولين والآخرين إلا من شذّ كالنظام وأمثاله .

أما تفصيل ما ذكره من معانٍ عشرة لما ذهب إليه في هذا الوجه فقد ناقش كثير من علماء البلاغة ونقد النصوص الباقلانيّ فيما ذهب إليه في هذا الوجه من مذاهب ، وما أتى به من آراء جديدة ، وأفكار مؤسسة على قواعد قويمية ، وليس من طريقي أن أذكر ذلك كلّهُ لما فيه من خروج على موضوع البحث ، ولكني أذكر ما نقد فيه مجملًا لما فيه من الاستفادة وتحقيق المطلوب :

٢٠١ - انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٣ - انظر ((إعجاز القرآن)) ٤٨ - ٤٩ .

أولاً : أخذ على الباقلاني أنه بالغ في تسفيه شعر العرب مبالغسة عظيمة^(١) ، ففي سبيل أن يبين للناس عظمة نظم القرآن وبلاغته حاول أن يهدم أجمل ما عند العرب من شعر ، وهو أمر قد تكلف في إثباته بما لا وجه له ولا مدخل في قضية الإعجاز ، بل إن عكس ذلك - في تقديري - هو الصحيح ؛ أي أنه لو أبرز ما في قصائد العرب من جمال و بلاغة ثم أثبت بعد ذلك عجز العرب عن أن يأتوا بمثل هذا القرآن لكان أليق وأعظم دلالة على سمو هذا الكتاب العظيم .

وربما حمله على ذلك ما ذكره من أن بعض الجهال ((جعل يعدِّله^(٢))) ببعض الأشعار ، ويوازن بينه وبين غيره من الكلام ، ولا يرضى بذلك حتى يُفضله عليه^(٣) .

ولا شك أن ما وقع من خلل فيما ذكره من القصائد إنما هو خلل بشري لا تنتفي منه قصيدة ولا يخلو منه كلام بشر ، ولا يستقيم للباقلاني ، في تقديري ، ماصنعه من موازنة أجود شعر العرب - في ظنه - بما في القرآن من بلاغة و سمو ، وذلك لاتفاق العقلاء وأهل الرأي أنه لا سبيل إلى بلوغ شعر واحد من الشعراء مبلغ القرآن أو قريباً منه حتى يوازن بينه وبين الشعر .

١- انظر ((إعجاز القرآن)) للباقلاني : ١٥٨ - ١٨٣ ، و انظر - كذلك في الرد على من ذهب الباقلاني هذا - مقدمة الأستاذ أحمد صقر لكتاب الباقلاني ، و ((المباحث البلاغية)) : ٢١٦ ، و ((الإعجاز البلاغي)) : ٢٨٤ - ٣٥٤ ، و ((الباقلاني و كتابه إعجاز القرآن)) : ٣٧٣ - ٤٢٨ وهو أجود الكتب نقداً لمنهج الباقلاني - فيما رأيت من الكتب - لولا أنه شانه بذكر أن القضايا الأخلاقية لاشأن لها بمجودة الشعر وأن الدين معزل عن الشعر . انظر : ٣٩٤ - ٤٠١ .

٢- أي القرآن .

٣- ((إعجاز القرآن)) : ٥ .

وللأستاذ محمود شاكر كلام دقيق في هذا الباب يتلخص أن الباقلاني عندما نقد الشعر الجاهلي ممثلاً في معلة امرئ القيس^(١) قد افتح باباً لنقد الشعر الجاهلي برمته نقداً تجاوز حدوده إلى التشكيك بصديق وروده تاريخياً وإلى أنه مختلف مهلهل^(٢).

ثانياً : أخذ على الباقلاني أن كتابه فيه حشو كثير وتطويل ، وفيه استكثار من الأمثلة والشواهد ، وقد ردّ بعض النقاد هذا الاعتراض وبينوا وجهة الباقلاني فيما ذهب إليه^(٣).

وقد أخذ بعض النقاد على الباقلاني مآخذ في نواح متخصصة يكفي الإحالة عليها إذ لا مجال لذكرها في هذا البحث المختصر^(٤).

هذا ما تيسر من الكلام على الإعجاز في كتاب الإمام الباقلاني.

١- هو امرؤ القيس بن حُجر بن الجارث الكندي . أشهر شعراء العرب ، يمني الأصل وولد بنجد أو باليمن . اشتهر بلقبه واختلف في اسمه على أقوال . كان أبوه ملكاً فقتله بنو أسد فجذّ حتى أخذ بثأره ، ثم جرت له حوادث حتى مات بأنقرة سنة ٨٠ قبل الهجرة تقريباً . ويعرف بـ (الملك الضليل) لاضطراب أمره طول حياته .

انظر ((الأعلام)) : ١١ / ٢ - ١٢ .

٢- انظر بحثه الطويل في مقدمته لكتاب الأستاذ مالك بن نبي : ((الظاهرة القرآنية)) : ٣٢ - ٥٠ .

٣- انظر ((الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن)) : ٥٢٨ - ٥٢٩ .

٤- المرجع السابق : ١٨٩ - ٢٠٨ .

٣ - ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز))^(١)

للإمام فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦) رحمه الله تعالى

هذا كتاب متوسط الحجم ، ألفه الشيخ - رحمه الله تعالى - اختصاراً وتهذيباً وجمعاً لكتابي الجرجاني - رحمه الله تعالى - : ((دلائل البلاغة)) و ((أسرار الإعجاز)) ؛ لأن الشيخ الجرجاني فيما يصفه الرازي - قد : ((أهمل رعاية ترتيب الفصول والأبواب ، وأطنب في الكلام كل الإطناب))^(٢) هذا بعد أن أقر الإمام الرازي للشيخ الجرجاني بالفضل والسبق والأستاذية .

وقد أحسن الرازي - رحمه الله تعالى - تقسيم كتابه ، ووفى بما أراد من تهذيب كتابي الجرجاني - رحمه الله تعالى - أحسن الوفاء ؛ فقد رتب كتابه هذا على مقدمة وجملة وخاتمة :

أما المقدمة فتحتوي فصلين في إعجاز القرآن رجّح فيها أن إعجازه إنما كان بسبب فصاحته ، وأثنى على علم الفصاحة وشرفه .

ثم أورد في الجملة الأولى ((مفردات الكلام))^(٣) ، ورتبها على مقدمة وقسمين ، وكل منها تحوي أبواباً وفصولاً متعددة^(٤) .

١ - بلغ حجم الكتاب قرابة ثلاثمائة صفحة .

٢ - ((نهاية الإيجاز)) : ٥١ ، ولعلّ صنيع الإمام عبد القاهر في إهماله الفصول والأبواب يعود إلى أنه كان مؤسساً ومفصلاً لنظريته في الإعجاز بالنظم فلم يراع التقسيم إلى أبواب وفصول حيث إن كلامه جاء متصلاً في الرسالة مسهباً .

٣ - يعني بها حكم الألفاظ المنفردة عن الجمل في فصاحتها ودلالها على المعنى .

٤ - انظر ((نهاية الإيجاز)) : ص ٦٠ وما بعدها .

ثم أورد في الجملة الأخرى ((النظم)) - وهي متممة للجملة الأولى :
((مفردات الكلام)) - وقسمها كذلك إلى أبواب وفصول متعددة^(١) .

ثم ختم الكتاب بخاتمة تشمل أربعة فصول هي :
وجه الإعجاز في سورة الكوثر ، الحكمة من إنزال التشابهات ، والجواب عن بعض
شبهات الملحدين واستغرق ذلك الفصلين الثالث والرابع^(٢) .

وجوه الإعجاز التي ذكرها الإمام الرازي

ذكر الإمام الرازي في كتابه خمسة أوجه للإعجاز ، ردّ الأربعة الأولى منها
وقبل خامسها ، وهذه الأوجه على ترتيب الرد والقبول هي :

- ١ - (الصَّرْفَة)^(٣) .
- ٢ - الأسلوب^(٤) .
- ٣ - خلوه من الاختلاف والتناقض^(٥) .
- ٤ - أخبار الغيب^(٦) .
- ٥ - الفصاحة^(٧) .

١- انظر ((نهاية الإيجاز)) : ص ١٩٢ وما بعدها .

٢- المصدر السابق : ص ٢٦٩ وما بعدها .

٣- المصدر السابق : ٥٥ - ٥٦ .

٤- المصدر السابق : ٥٦ - ٥٧ .

٥- المصدر السابق : ٥٧ .

٦- المصدر السابق .

٧- المصدر السابق : ٥٨ .

أما (الصَّرْفَة) فقد رَدَّها بثلاثة ردود لا تخرج عما ذكرته من الردود عليها^(١) .

وأما الأسلوب فقد ذكر ((أن من الناس من جعل الإعجاز في أن أسلوبه مخالف لأسلوب الشعر والخطب والرسائل))^(٢) ثم أبطله وجهاً للإعجاز من خمسة أوجه فقال :

١ - ((لو كان الابتداء بالأسلوب معجزاً لكان الابتداء بأسلوب الشعر معجزاً))^(٣) .

والشيخ الإمام نقل الكلام من الإعجاز الذاتي في الأسلوب القرآني إلى ابتداء الأسلوب ، ولم يقل أحد بذلك ، فيبقى الأسلوب معجزاً ، وقضية الابتداء غير واردة ، فالكلام هنا على إعجاز الأسلوب ذاته لاعلى ابتدائه .

٢ - ((إن الابتداء بأسلوب لا يمنع الغير من الإتيان بمثله)) .

وهذا الذي رَدَّه الإمام الرازي هو عين الإعجاز المراد ؛ إذ أن العرب لم يأتوا بأسلوب كأسلوب القرآن وأعيانهم هذا وأعجزهم .

بل إن هذا القولَ مدخلٌ مهمٌ للقائلين بـ (الصَّرْفَة) ، ومستندٌ لهم في إثباتهم صرفَ الله - تبارك وتعالى - الناسَ عن الإتيان بمثل كلامه ؛ حيث إن أسلوب هذا الكلام في متناول الناس - كما ذكر الرازي - ولم يأتوا بمثله .

١- انظر ص ١١٣ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- قد سبق الحديث عن الأسلوب ، انظر ص ١٥٦ ، ١٥٧ .

٣- أي كما أن المبتدئ لأسلوب الشعر لم يكن قد أتى بأمر إعجازيَّ صح أن يقال الشيء نفسه عن أسلوب القرآن .

وأقول : على التسليم بما فرضه الإمام الرازي من استطاعة الناس معارضة أي أسلوب فإن هذا في كلام البشر ممكن ، لكن في كلام الله - عز وجل - لم يستطع أحد بعد التحدي المستمر أن يأتي بشيء مثله ، فكان في هذا العجز سر الإعجاز .

٣ - ((يلزم أن الذي تعاطاه مسيلمة من الحماسة ... في أعلى مراتب الفصاحة))
ويُسَلَّم هذا إن قيل إن الإعجاز هو الابتداء بأسلوب جديد ولو كان في مثل حماسة أسلوب مسيلمة .

٤ - ((لما فاضلنا بين قوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ ^(١) وبين قولهم : ((القتل أنفى للقتل)) لم تكن المفاضلة بسبب الوزن ، والإعجاز إنما يتعلق بما به ظهرت الفضيلة)) .

ولم أتبين مقصوده من كلامه هذا ، وهو كسابقه كلام يتعلق بشيء مفترض غير موجود في الدعوى .

٥ - ((إن وصف بعض العرب القرآن بأن له حلالة وإن عليه لطلاوة ^(٢) لا يليق بالأسلوب)) .

ولا أدري لم قال هذا مع أن الأسلوب هو من أعظم ما يأسر السامع ؛ كما يتبدى من شعر الحماسة والفخر عند العرب ونحوهما .

١- سورة البقرة : آية ١٧٩ .

٢- الرونق والبهجة والحسن ، ((لسان العرب)) : طلى ، وقد سبق بياني لهذا الأثر وتخريجي له ،

انظر ص ٦٣ ، ٦٤ .

من الردود التي ذكرها الشيخ في نقض الإعجاز بالأسلوب يتضح الآتي :

أولاً : إن الأسلوب قد سبق لي ذكر تعريفه بأنه ((الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كتابه واختيار كلماته)) و ((أسلوب القرآن هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه))^(١) .

فإما أن الأسلوب عند الإمام الرازي له تعريف آخر لم أهتم له بسبب أنه لم يبينه ، أو أنه يريد ما نقلته من تعريف الأسلوب ، وأنا أستبعد الآخر لأنه يتنافى مع أكثر ما أورده من ردود على الإعجاز بالأسلوب .

ثانياً : إن الإمام اختصر في بعض الردود إلى درجة أنه انبههم على الأمر ؛ فلم أتبن الوجه الذي ردّ به ، وكان ذلك في الردين الرابع والخامس .

أما رده الوجه الثالث وهو : خلوه من الاختلاف والتناقض فقد علله بقوله :
((وهو أيضاً باطل ؛ لأن التحدي كما وقع بالقرآن كله فقد وقع بالسورة ، وقد يوجد في خطبهم ما مقداره مقدار سورة الكوثر ولا يكون فيه اختلاف وتناقض))^(٢) .

وهذا الرد فيه الآتي :

١ - ليست سور القرآن المختلفة كالخطب ذات الأغراض المختلفة ؛ فسور القرآن وحدة واحدة متصلة في عدم الاختلاف والتناقض بينها ، وليست كحال الخطب التي لا تقاس كل واحدة منها إلى الأخرى ولا تُقرن بها فيحكم عليها حكم المجموع .

١- ((مناهل العرفان)) : ٢ / ١٩٩ .

٢- ((نهاية الإيجاز)) : ٥٧ .

فسورة الكوثر - مثلاً - قد حلت من التناقض لافي ذاتها فقط ولكن في ذاتها وفي علاقتها بالسور الأخرى ، فأخبار الغيب فيها - مثلاً - لم تتناقض أو تختلف مع مئات من آيات الغيب في القرآن .

٢ - القرآن قد نزل في ثلاث وعشرين سنة ، وكان بهذا الإتقان العظيم ، وعدم الاختلاف والتناقض بين سوره ، أفوجد ما يقارب هذا من كلام العرب فيتكلم أحدهم عشرين سنة أو أقل أو أكثر ومن ثم يُحكم على كلامه - بعد جمعه - بأنه خال من التناقض ؟

أما حكم هذا الوجه فالذي أراه أنه خصوصية خصّ الله بها هذا الكتاب العظيم وشرفه على سائر الكلام ، وفيه وجهٌ إعجاز باعتبار مجموع سور القرآن الكريم لا على انفرادها ؛ إذ أن القرآن تنزل في أزمنة طويلة ، وقد تشعب ما تناوله ، مع كبر حجمه ، كل هذا مع عدم التناقض والاختلاف ، فهذا إعجاز بلا شك .

وأما الوجه الرابع - وهو أخبار الغيب - فقد رده بأن ((التحدي قد وقع بكل سورة ، والإخبار عن الغيوب لم يوجد في كل سورة))^(١) .

وقد توسعت في الكلام على هذا الوجه في موضع سابق ، وذكرت أن الإعجاز بأخبار الغيب في بعض سور القرآن هو إعجاز جزئي وليس كلياً^(٢) .

١- المصدر السابق .

٢- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

ثم إنه اختار الفصاحة وجهاً للإعجاز ، وأخذ في إثبات ما ذهب إليه فاستغرق ذلك باقي الكتاب وهو القسم الأعظم منه^(١) .

والمأمل لما أراد الإمام من إطلاقه الفصاحة يعلم أنه إنما أراد بها الفصاحة والبلاغة والنظم ، وليس الفصاحة بالمعنى الاصطلاحي التي تتعلق بجمال الألفاظ وسلاستها فحسب ، كيف لا والكتاب إنما هو اختصار لكتابي الجرجاني المؤصل لنظرية النظم ، والمخصص لها جلّ مباحث كتابيه .

وبهذا يُعلم خطأ من نقد الإمام الرازي فيما ذهب إليه من وجه الإعجاز بالفصاحة بأنه ((لا يصح أن يكون وجه إعجاز القرآن في الفصاحة وحدها بل في الفصاحة والمعنى معاً ...))^(٢) .

منهج المصنف في كتابه

و يلحظ على منهج المصنف في كتابه هذا مايلي :

أولاً :

قد قسم المصنف كتابه هذا تقسيماً حسناً ؛ فإنه قد ابتدأه ببداية واضحة ، وختمه كذلك بخاتمة واضحة ، وقد ذكر فيه سبب التصنيف ، كما أسلفت ، ومهد لكتابه بذكر مقدمة عن الإعجاز وأوجهه والوجه المختار عنده ، ثم شرع في التصنيف مراعيّاً حسن التقسيم والتبويب .

١- من صفحة ٥٨ - ٢٦٧ .

٢- وهذا النقد هو من محقق الكتاب الدكتور أحمد السقا ، انظر ص ٥٨ .

ثانياً :

أوجز المصنف بيان أوجه الإعجاز إيجازاً فاتمه معه أن يذكر كل وجوه الإعجاز التي ذكرها العلماء قبله أو أن يتوسع في ذكر الأوجه التي أوردتها ، وفاته بهذا الإيجاز - أيضاً - أن ينقض ما لم يرتضه وجهاً للإعجاز نقضاً مسهباً واضحاً ، ولعل ذلك بسبب أن حديثه عن الإعجاز جاء من زيادته على كتابي عبد القاهر فلم يُفَضَّ فيه ، والله أعلم .

ثالثاً :

جعل المصنف الحديث عن الإعجاز مدخلاً للحديث عن الفصاحة والبلاغة والنظم ، ولو عكس القضية لكان أولى - في تقديري - أو لو أنه ربط مباحث الكتاب بوجه الإعجاز الذي اختاره ربطاً يجعل تلك المباحث دالة على الإعجاز القرآني موصلة له ، وليس كما صنع من الحديث عن الإعجاز بكلمات معدودة ثم الاستغراق في ذكر الفصاحة والبلاغة والنظم ، ولعل التزامه بما جاء في كتابي الجرجاني أدى إلى صنيعه هذا ، والله أعلم .

رابعاً :

بسبب منهج الرازي - وهو الجمع بين كتابي الجرجاني ملخصين مرتبين - فقد خرج كتابه متوسط الحجم سلس العبارة ، وساعده حسن التقسيم مع الاختصار والتهذيب على تجاوز ما في كتابي عبد القاهر من طول مع بعض تشويش بسبب استطراد المباحث وطول الفقرات ، مع ما كان عليه الشيخ الجرجاني من طول نفس في ضرب الأمثلة وتبيانها .

والحق أن كتاب عبد القاهر : ((دلائل الإعجاز)) ما كان يُفهم حق الفهم لولا أن الله قيض الشيخ محمود شاكر ليحققه تحقيقاً رائعاً تمثل - في بعض جوانبه -

في تقسيم الفقر وتوضيحها ، ووضع عناوين مناسبة تساعد على الاسترسال في القراءة دون صعوبة كبيرة وباستيعاب أكثر .

هذا ما تيسر من الكلام على كتاب ((نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز)) للإمام الرازي .

٤ - كتاب : ((الطراز^(١) المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) .
للسيد يحيى بن حمزة العلوي (ت ٧٤٥) رحمه الله تعالى .

هذا الكتاب ضخيم كبير^(٢) ، حشد فيه مصنفه علوم البلاغة و الفصاحة ، وطول الكلام عليهما إلى الغاية بحيث استغرق ذلك جُلّ أجزاء الكتاب الثلاثة ، ثم أتى في نهاية الجزء الثالث على مبحث إعجاز القرآن موجزاً الكلام عليه إيجازاً لا يخلّ بالمقصود .

وكأن الشيخ - رحمه الله تعالى - أتى بعلوم البلاغة والفصاحة مُطَبِّعاً فيها غاية الإطناب ، من أجل أن يمهّد الحديث عن الإعجاز ، فإذا ذكر مذهب القائلين بأن إعجاز القرآن في فصاحته كان قد تكلم على الفصاحة بما لا يحتمل الإعادة والتبيان ، وكذا في ذكره لمذهب القائلين بأن الإعجاز في بلاغته إلخ...^(٣) .

وقد أورد الشيخ - رحمه الله - في كتابه عشرة من أوجه الإعجاز ، هي :

١ - (الصِّرف)^(٤) .

٢ - الأسلوب^(٥) .

٣ - خلوه عن المناقضة^(٦) .

١- الطراز هو ما ينسج من الثياب للسلطان ، وهو الجيد من كل شيء ، انظر ((لسان العرب)) : ط ر ز .

٢- طبع الكتاب في ثلاثة أجزاء كبيرة فيها قرابة ألف وثلاثمائة صفحة تقريباً .

٣- انظر ((الطراز)) : ٧ / ١ ، ٣ / ٣٦٦ - ٣٦٧ .

٤- ((الطراز)) : ٣ / ٣٩١ - ٣٩٥ .

٥- المصدر السابق : ٣ / ٣٩٧ - ٣٩٥ .

٦- المصدر السابق : ٣ / ٣٩٧ - ٣٩٨ .

٤ - اشتماله على الأخبار الغيبية^(١) .

٥ - الفصاحة^(٢) .

٦ - اشتماله على الحقائق ، وتضمنه للأسرار والدقائق^(٣) .

٧ - البلاغة^(٤) .

٨ - النظم^(٥) .

٩ - مجموع الأوجه الثمانية السابقة^(٦) .

١٠ - تضمنه المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواتيم في كل سورة ، وفي مبادئ الآيات وفواصلها^(٧) .

وَيُعْلَمُ أَنَّ الشَّيْخَ - رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى - إِنَّمَا أورد تلك الأوجه العشرة للإعجاز على أن كلاً منها هو الوجه المعجز فقط دون ضمائم أخرى ، وعلى هذا فإنه قد قبل من تلك الأوجه عاشرها فارتضاه وردّ الباقي كلّهُ^(٨) .

وهأنذا أورد تلك الأوجه مبيناً ماأراه في كلامه عليها من نقص أو خلل ، ثم أبين الوجه الذي اختاره للإعجاز ، فإنه أورد تلك الأوجه العشرة حكايَةً عن غيره ممن اختارها وذهب إليها :

١- المصدر السابق : ٣ / ٣٩٨ .

٢- المصدر السابق : ٣ / ٣٩٨ - ٣٩٩ .

٣- المصدر السابق : ٣ / ٤٠٠ - ٤٠١ .

٤- المصدر السابق : ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ .

٥- المصدر السابق : ٣ / ٤٠٢ - ٤٠٣ .

٦- المصدر السابق : ٣ / ٤٠٣ .

٧- المصدر السابق : ٣ / ٤٠٣ - ٤٠٤ .

٨- لم ينص الشيخ على هذا وإنما فهمته من إشارات كلامه .

الوجه الأول : (الصِّرفَة) :

قد ردّها كثير من المصنفين قبله ولكن الشيخ - رحمه الله تعالى - أتى بمذاهبها على وجه الاستقصاء ، وكرّر عليها بإيجاز وسلاسة^(١) ^(٢) .

ثانياً : الأسلوب :

أي أن أسلوب القرآن^(٣) يخالف لأساليب كلام العرب كله ، ولما كان كذلك صار هو الوجه في إعجازه.

ولما حكى الشيخ هذا المذهب في الإعجاز أبطله باعتبار أنه وجه الإعجاز المتفرد لا على أنه معجز بالإضافة إلى أوجه الإعجاز الأخرى ، ولذلك صح له إبطاله لهذا الوجه .

ثالثاً : خلوه عن المناقضة :

والمعنى المراد ظاهر ، وقد رده الشيخ بأمر ثلاثة :

١ - قد يكون في الرسائل والخطب والشعر ما هو خال عن المناقضة أيضاً وهو بقدر سورة من القرآن فيكون إذاً معجزاً ، وهذا باطل .

وقد يستقيم هذا الرد للشيخ لو كانت سورة الكوثر - مثلاً - وحدة منفصلة علاقتها بالقرآن كعلاقة قصيدة مع قصائد أخرى ، ولكن القرآن وحدة واحدة ، وقد فصلت الكلام على هذا في موضع سابق^(٤) .

١- ((الطراز)) : ٣ / ٣٩١ - ٣٩٥ .

٢- قد سبق بيان بعض مآذبه إليه الشيخ فيها ، انظر ص ٩٤ ، ٩٥ .

٣- سبق الكلام على أسلوب القرآن ، انظر ص ١٥٩ ، ١٦٠ .

٤- انظر ص ١٩٧ ، ١٩٨ .

٢ - تعجب العرب كان من فصاحته وبلاغته لامن خلوه من المناقضة .
وأقول : لو كان فيه تناقض لما تعجب العرب من بلاغته ، والله أعلم .

٣ - السلامة من المناقضة ليست من خوارق العادات ، ومن حق المعجز أن يكون خارقاً للعادة .

وأقول إن سلامته من المناقضة مع طوله ، وتشعب مايطرقه ، وطول زمان نزوله هو خارق للعادة .

رابعاً : اشتماله على الأمور الغيبية :

وقد رده الشيخ بأمرين :

١ - التحدي واقع بجميع القرآن ، ومعلوم أن الحكم والآداب والأمثال ليس فيها غيب ، فيلزم ألا تكون تلك الآيات معجزة ، وهذا محال .

٢ - لو كان التحدي بأخبار الغيب لقالت العرب : إنا متمكنون من معارضة القرآن ولكنه اشتمل على مالا يمكننا معرفته من الأمور الغيبية ، فلما لم يقولوا ذلك دلّ على بطلان هذه المقالة .

ومن المعلوم أن الشيخ إنما أبطل هذا الوجه لأن قائله انفرد به وجهاً للإعجاز ، ولذلك ذكر الشيخ أن آيات الحكم والأمثال عندما تخلو من الغيب فإنها لا تكون معجزة حيث لا وجه آخر للإعجاز عند المنفرد بأخبار الغيب مذهباً في الإعجاز .

خامساً : الفصاحة :

معنى خلو ألفاظه من التعقيد ، وقد أبطل الشيخ هذا الوجه بسبب أن الداهب إليه إنما اختاره وجهاً للإعجاز متفرداً ، ولم يضم معه غيره ، لذلك رد عليه بأن أكثر كلام الناس خال من التعقيد في نثرهم وشعرهم وخطبهم فيلزم على هذا كونها معجزة ، ولم يقل بهذا أحد .

سادساً : اشتماله على الحقائق وتضمنه للأسرار والدقائق :

وهو يشبه ما يسمى اليوم بـ (الإعجاز العلمي) و (الإعجاز التشريعي) .

وقد رده الشيخ بأمرين :

١ - هذه حصلة مشتركة بين القرآن وكثير من كتب علوم الإسلام فإنه لازالت هذه الكتب يُجتنى منها الفوائد وفيها أسرار ودقائق .

٢ - كثير من الحقائق لا يستقل العقل بإدراكها فهي من الأمور الغيبية ، وقد سبق له إبطال الإعجاز بأخبار الغيب .

وأنا أوافقه على إبطال هذا الوجه لو كان القائل به لا يُعُدُّ غيره معجزاً ، أما إن عدّه معجزاً مع غيره مثل الفصاحة والبلاغة والنظم لكان يصح أن يكون هذا الوجه من الإعجاز الجزئي الذي هو في كثير من آيات القرآن الكريم ، وليس في كلها ، ويكون حاله كحال الإعجاز بأخبار الغيب التي سبق لي الكلام عليها^(١) .

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة ، وانظر - أيضاً - ص ١٦٣ - ١٦٤ .

أما الشيء الذي لا أوافقه عليه أبداً هو أنه جعل القرآن مشتركاً مع غيره من الكتب الإسلامية في ورود الحقائق والأسرار والدقائق ، فكم بين الثرى والثريّا ، والشيخ قد أتى - في تقديري - من جهة أنه قاس كلام القرآن في الحقائق والأسرار والدقائق على كلام البشر ، ولو قال بأصل الاشتراك لكان له بعض وجه في هذا أما أن يقول بالاشتراك المطلق فهذا مما لا يسلم له أبداً .

وكذلك يمكن أن يقال - قياساً على كلام الشيخ - إن بلاغة القرآن غير معجزة - أيضاً - ؛ لأن للعرب خطباً وأشعاراً بليغة كما أن القرآن بليغ ، نعم هي بليغة كما أن القرآن بليغ ولكن شتان بين طبقة البلاغة في الجانين ، وإنما كان اشتراكهما من جهة أصل البلاغة وليس في استوائها فيهما .

وكذلك يمكن ردّ ما ذهب إليه الشيخ بأنه قد يشترك مع القرآن نصٌّ أو كتاب ببيان بعض الحقائق والدقائق ولكن هذا الاشتراك لا يعدو أن يكون كاشتراك البشر في صفة العلم مع الباري ، سبحانه وتعالى ، فكما أنه لا مقارنة بين العلمين مطلقاً فكذلك لا مقارنة بين ما جاء به القرآن من الدقائق والحقائق على وجه يقينيّ قطعي معجز ، وما فُتح به على بعض البشر من بعض الحقائق ، والله أعلم .

سابعاً : البلاغة :

وقد فصلّ في هذا الوجه قائلاً :

((إن أرادوا بما ذكروه أنه صار فصيحاً بالإضافة إلى ألفاظه ، وبليغاً بالإضافة إلى معانيه ، ومختصاً بالنظم الباهر فهذا جيد لا غبار عليه ... وإن أرادوا أنه بليغ بالإضافة إلى معانيه دون ألفاظه فهو خطأ))^(١) .

وما قاله لا مزيد عليه ، والله أعلم .

١- ((الطراز)) : ٣ / ٤٠١ - ٤٠٢ .

ثامناً : النظم :

وقد فصل في هذا الوجه كسابقه حيث قال :

((إن عنيتم به أن نظمته هو المعجز من غير أن يكون بليغاً في معانيه ولا فصيحاً في ألفاظه فهو خطأ ، فإن الإعجاز شامل له بالإضافة إلى كلا الأمرين جميعاً ، وإن عنيتم أنه مختص بالبلاغة والفصاحة خلا أن اختصاصه بالنظم أعجب وأدخل قل هذا كان الوجه في إعجازه فهذا خطأ ... وأيضاً فلنا نقول :

هل يكون النظم وجهاً في الإعجاز مع ضم البلاغة والفصاحة إليه أو يكون وجهاً من دونهما ، فإن قالوا بالأول فهو جيد ولكن لم قصره على النظم وحده ولم يضمهما إليه ؟^(١) .

وإن قالوا : إنه يكون منفرداً بالإعجاز من دونهما فهذا خطأ أيضاً ؛ فإن نظم القرآن لو انفرد عن بلاغته وفصاحته لم يكن معجزاً بحال))^(٢) .
وكلامه جيد لا مزيد عليه .

تاسعاً : وجه إعجازه إنما هو مجموع ما سبق من الأوجه :

وقد رد هذا الوجه بأن الأوجه السابقة فيها (الصرفة) ، والإعجاز بأخبار الغيب ، وغيرهما مما رده الشيخ ولم يقبله .

عاشراً : ما تضمنه من المزايا الظاهرة ، والبدائع الرائقة في الفواتح والمقاصد والخواصم في كل سورة ، وفي مبادي الآيات وفواصلها .
وقد ارتضى هذا الوجه وقبله .

١- أي لم قالوا بالإعجاز بالنظم فقط ولم يقولوا : وجه الإعجاز بالنظم والبلاغة والفصاحة .

٢- ((الطراز)) : ٣ / ٤٠٢ - ٤٠٣ .

وهذا الوجه داخل في وجوه الإعجاز ، لكن ليس هو المتفرد بالإعجاز كما ذهب إليه الشيخ ، خاصة أن هذا الكلام ينطبق على السورة الكاملة ذات الفاتحة والخاتمة والمقاصد التي بينهما ، وهذا لا ينطبق على إعجاز القرآن المطلق الذي يتقرر بجملة من الآيات ولو في وسط سورة ما ، أو في فاتحتها ولم تنزل بعد خاتمتها، مثل سورة الأعراف وهي من السبع الطوال فلو نظرنا فيها إلى قصة آدم وحدها لكانت كافية في تقرير الإعجاز والتحدي لكنها لا تكون مثلاً موافقاً لما ذكره الشيخ .

وجه الإعجاز المختار

اختار السيد يحيى بن حمزة العلويّ وجهاً يضم البلاغة والفصاحة وحسن النظم ويّنه بقوله :

((والذي نختاره من ذلك ما عول عليه الجهابذة من أهل هذه الصناعة ... فإنهم عولوا في ذلك على خواصّ ثلاثة هي الوجه في الإعجاز :

الخاصة الأولى : الفصاحة في ألفاظه على معنى أنها بريئة عن التعقيد والثقل ، خفيفة على الألسنة ...

الخاصة الثانية : البلاغة في المعاني ...

الخاصة الثالثة : جودة النظم وحسن السياق ...))^(١) .

١- ((الطراز)) : ٣ / ٤٠٤ - ٤٠٥ .

إذاً قد اختار وجهاً للإعجاز مجموعاً من ثلاثة أوجه من الأوجه العشرة التي ساقها ، وهذا الوجه الذي اختاره قد أطبق عليه أهل العلم إلا من شذَّ كالنظام وأمثاله .

ثم إن الشيخ ختم الكتاب برد شبهات ومطاعن وجهت إلى القرآن ، لا علاقة لها بمباحث الإعجاز^(١) .

هذا ماتيسر من الكلام على الإعجاز في كتاب ((الطراز)) ، والله أعلم .

١- انظر : ٣ / ٤٢٠ وما بعدها .

خلاصة هذا المبحث :

قد نظرت في أهم الكتب التي تحدثت عن الإعجاز - في تقديري - وكان بعضها رائداً ككتابي الرماني والإمام الباقلاني ، وهذه الكتب قد أتت على أغلب أوجه الإعجاز المعروفة ، ويمكن سرد ماجاءت به من أوجه على النحو الآتي :

١- الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم^(١) .

٢- الإعجاز بأخبار الغيب^(٢) .

٣- الإعجاز بالأسلوب^(٣) .

٤- اشتماله على الحقائق والأسرار والدقائق^(٤) .

٥- خلوه من الاختلاف والتناقض^(٥) .

٦- (الصِّرفَة) .

٧- الإعجاز بمجموع أوجه منها (الصِّرفَة)^(٦) .

فإذا قورنت هذه الأوجه بما جاء من أوجه في المبحث الأول - وهو الكلام على الإعجاز الموثق في الكتب - يمكن إضافة ما لم يُذكر هنا ، أو ذكر بعضه ، لتبين جميع أوجه الإعجاز التي ذكرت في هذا الباب على وجه الاختصار ، فبالإضافة إلى الأوجه السبعة الماضية يُضاف :

٢٠١ - وهذا الوجه مما اتفقت الكتب الأربعة على إيراده .

٣- اختص بالذكر في كتابي ((نهاية الإيجاز)) : ٥٦ - ٥٧ و ((الطراز)) ٣/ ٣٩٥ - ٣٩٧ ، وعُرج عليه في الكتب الباقية دون جعله وجهاً مستقلاً .

٤- وهذا قد اختص بالذكر في كتاب ((الطراز)) : ٣/ ٤٠٠ - ٤٠١ .

٥- اختص بالذكر في كتاب ((نهاية الإيجاز)) : ٥٧ ، و ((الطراز)) : ٣/ ٣٩٧ - ٣٩٨ .

٦- كما جاء في ((الطراز)) : ٣/ ٤٠٣ .

٨ - التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كُلفت في ذلك ما لا يطاق ، وفيه وقع الإعجاز^(١) .

٩ - أمرٌ لا يستطاع التعبير عنه^(٢) .

١٠ - الإعجاز بالعلوم والمعارف^(٣) .

ولعل هذا الوجه شبيه بالوجه الرابع لكنه أعم منه .

١١ - الجَمْع في القرآن بين الدليل والمدلول^(٤) .

فهذه وجوه إحدى عشرة وردت في هذا الباب قيل بأنها من أوجه الإعجاز ، وهذا عدا الأوجه التي ليس لها مدخل في الإعجاز ، والأوجه التي تدخل ضمن هذه الأوجه المذكورة ، كما بُين كل ذلك في مكانه .

وبهذا ينتهي الحديث عن الإعجاز المبثوث في الكتب المختارة^(٥) ، وعن الكتب المختارة التي استقلت بالإعجاز ، حتى إذا ما جاء وقت الكلام على أوجه الإعجاز التي جاء بها الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في الباب الثالث ، إن شاء الله تعالى ، سهلت المقارنة بينها وبين ما ساقه الأئمة من أوجه الإعجاز ، والله أعلم .

١- انظر ص ١٢٩ وما بعدها .

٢- انظر ص ١٤٢ .

٣- انظر ص ١٦٣ ، ١٦٤ .

٤- انظر ص ١٦٤ .

٥- لقد عدتُ - بفضل الله - إلى أكثر الكتب التي بين أيدينا الموضوعة في الإعجاز أو الدارسة لمذاهب العلماء فيه ، فلم أجد - فيما وقعت عليه منها - أن أحداً خرج عن هذه الأوجه المذكورة فأتى بشيء يستحق أن يُدرج مع هذه الأوجه الإحدى عشرة ، وهذا كله إلى عصر الإمام السيوطي ، أما بعده فهناك الجديد كما سيأتي في الباب الرابع إن شاء الله تعالى ، وإذا يسر الله تعالى فسأجمع في الفهرس جميع أوجه الإعجاز الأصيلة - أي التي لا تندرج تحت غيرها - والتي ذكرها الأئمة والعلماء والمشايخ في كتبهم قديماً وحديثاً ، والله الموفق .

البَابُ الثَّانِي

الإمام السيوطي ودراسة كتابه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

وفيه ثلاثة فصول :

الفصل الأول : الإمام السيوطي : حياته وآثاره .

الفصل الثاني : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

ونسبته ونسخه .

الفصل الثالث : محتويات الكتاب ومنزله العلمية

الفصل الأول : الإمام السيوطي : حياته وآثاره :

وفيه مباحث :

المبحث الأول : مولده ، واسمه وكنته ولقبه . (ص ٢١٥ - ٢٢٠)

المبحث الثاني : نشأته ، وطلبه للعلم ، ومشايخه ، وتلاميذه . (ص ٢٢١ - ٢٢٤)

المبحث الثالث : آثاره العلمية في الإعجاز . (ص ٢٢٥ - ٢٥٨)

المبحث الرابع : منزلته العلمية ، وأقوال العلماء فيه وتحقيق ذلك . (ص ٢٥٩ - ٢٦٢)

المبحث الخامس : اعتزاله الفتيا والتدريس ، ووفاته . (ص ٢٦٣ - ٢٦٨)

تمهيد

عصر الإمام السيوطي

عاش الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في مصر التي كانت عاصمةً لسلطنة المماليك ، الذين بسطوا نفوذهم كذلك على الشام والحجاز ، وكانت الدولة آنذاك للمماليك الجراكسة ، الذين كانوا يعرفون بالمماليك البرجية^(١) .

وقد كان عصر السيوطي يغلب عليه الاستقرار والهدوء ، إلا ما تخلله من اضطرابات متفرقة في الجانبين السياسي والاقتصادي ، ويمكن إجمال حالة العصر الذي عاشه السيوطي في الآتي :

أولاً : الجانب السياسي :

كان في مصر خلفاء عباسيون تولوا مقاليد الخلافة بعد دخول التتار إلى بغداد سنة ٦٥٦ ، ولكن لم يكن هؤلاء الخلفاء سلطة فعلية ؛ إذ كان الأمر بيد سلاطين المماليك^(٢) .

وقد تولى الحكم في حياة الإمام السيوطي ثلاثة عشر سلطاناً مملوكياً^(٣) ،

١- هم طائفة من المماليك الذين كانوا يجلبون من بلاد الكُرَج [جورجيا الآن] وعن السلطان المنصور قلاوون بالإكثار منهم وتربيتهم في أبراج القلعة ، ففُرقوا من ثم بـ (البرجية) ، وازداد نفوذهم بعد ذلك لتصبح لهم الدولة في مصر بعد انتهاء عهد المماليك البحرية وتولي السلطان برفوق الذي كان من المماليك البرجية ، وكان ذلك سنة ٧٨٤ ، وانتهت دولتهم سنة ٩٢٢ هـ بدخول السلطان سليم العثماني إلى مصر .

انظر ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : د . سعيد عاشور ص ٢٤٣ - ٢٤٧ .

٢- ((حسن المخاضرة)) : ٢ / ٥٢ وما بعدها ، وانظر ٢ / ٩٥ وما بعدها .

٣- انظر ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : ٢٦٢ - ٢٦٣ ، ٢٦٨ - ٢٦٩ .

كان السلطان الأشرف قايتباي^(١) أطولهم عهداً واستقراراً إذ حكم قرابة تسع وعشرين سنة ، منذ سنة ثنتين وسبعين وثمانمائة إلى سنة إحدى وتسعمائة ، وكانت سنوات الاستقرار تلك من أحسن السنوات التي عاشها الإمام السيوطي ؛ إذ كان عمره عند تولي الأشرف ثلاثاً وعشرين سنة ، وعمره عند وفاة الأشرف ثنتين وخمسين سنة تقريباً ، وهذه السنون هي من أفضل سنوات العمر عند معظم الناس ، وكذلك كانت عند الإمام السيوطي الذي صنف عدداً كبيراً من كتبه في تلك المدة^(٢) .

ثانياً : الجانب الاجتماعي والاقتصادي :

كان المجتمع أيام المماليك مقسماً إلى طبقات أعلاها طبقة السلاطين والأمراء ، وأدناها طبقة الفلاحين ، وبينهما طبقات مثل طبقة العلماء وطبقة التجار^(٣) . وكان لتلك الطبقات عاداتها الاجتماعية في التزاور ، والتنزه ، والتزدد على الأسواق والحمامات ، وكان للناس عموماً احتفالات بالأعياد ، ووقت تولية السلاطين والخلفاء^(٤) .

ولقد ازدهرت الزراعة والصناعة في عهد المماليك ، وكانت الدولة تعيش في رخاء إلا ما يكدر صفوها من حين لآخر من نقص مياه النيل ،

١- الملك الأشرف الجركسي ، الحادي والأربعون من ملوك الترك والسادس عشر من ملوك الجراكسة . ولد سنة ست وعشرين وثمانمائة ، ثم اتصل بالملك الظاهر حُقمق فأعتقه ، ولم يزل يترقى حتى بويع بالسلطنة سنة اثنتين وسبعين وثمانمائة ، وسار السيرة الحميدة ، وأنشأ المشاعر العظيمة في الحرمين وغيرها ، وكان صاحب تعبد وتهجد وأوراد وأذكار وبكاء من خشية الله . توفي سنة إحدى وتسعمائة ، رحمه الله تعالى .

انظر ((شذرات الذهب)) : ٧٠ / ٦ - ٩ .

٢- انظر ((حسن الخاضرة)) : ٣٣٩/١ وما بعدها ؛ فقد ذكر فيه معظم مصنفاته ، و ((حسن الخاضرة)) إنما فرغ السيوطي من تصنيفه في آخر مدة الأشرف ، وذكر فيه وفاته سنة ٩٠١ ، وذكر تولي ولد الأشرف السلطنة ولم يذكر السلطان بعده ، ولم يتول ولده أكثر من ستة أشهر : انظر ((حسن الخاضرة)) : ١٢٢/٢ ، و ((شذرات الذهب)) : ٩/٨ .

٣- ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : ٢٨٨ .

٤- المصدر السابق : ٢٨٨ - ٢٨٩ .

وحدوث بعض المجاعات التي كانت قليلة في عهد الإمام السيوطي ، ولقد تأثرت التجارة كثيراً باكتشاف البرتغاليين لرأس الرجاء الصالح في نهاية القرن التاسع الهجري ، مما أوجد للأوروبيين طريقاً إلى جنوب شرق آسيا حيث كسروا احتكار الممالك لتجارة التوابل والبخور ، فأضروهم اقتصادياً ضرراً شديداً ، انعكس على حياة الناس ومعاشهم .^(١)

ثالثاً : الجانب العلمي :

قد ازدهر العلم ازدهاراً كبيراً في دولة المماليك خاصة في القرن التاسع ، وكان لذلك أسباب منها :

١ - تفرد القاهرة - وهي عاصمتهم - بمركز علمي رائد بين العواصم الإسلامية مما جعلها محط العلماء والفضلاء^(٢) .

٢ - حرص عدد كبير من سلاطين المماليك على إنشاء المدارس والمساجد التي كانت بمثابة معاهد علمية^(٣) .

٣ - كان كثير من السلاطين والخلفاء والأمراء يعقدون مجالس علمية في قصورهم ، ويتنافسون في اقتناء الكتب وتخصيص دور كبيرة لها ، حتى أن عدداً كبيراً من مخطوطات الكتب التي بأيدينا اليوم يعود زمن تصنيفها أو نسخها إلى عصر المماليك^(٤) .

١ - المصدر السابق : ٢٨٧ .

٢ - ((حسن الخاضرة)) : ٢ / ٩٤ .

٣ - ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : ٢٩٨ ، و ((حسن الخاضرة)) : ٢ / ٢٥٥ .

٤ - ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : ٢٩٣ .

٤ - بروز عدد من العلماء الكبار الذين ألفوا مؤلفات كبيرة في شتى نواحي العلوم والفنون^(١).

تلك كانت نبذة يسيرة عن عصر الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - وأدلف منها إلى بيان حياة الإمام السيوطي الشخصية ، والعلمية ، وبيان آثاره التي تصور كثيراً من حالة عصره .

حياة الإمام السيوطي :

الإمام السيوطي من رزقه الله - تعالى - شهرةً ذائعة في حياته وبعد مماته لكثرة مصنّفاته في فنون العلم المختلفة ، ولابتكاره في جوانب عديدة منها ، ولجمعه ما تفرق وفقد من كتب كثير من سبقه ، ولذلك كله كتب عنه العلماء قديماً وحديثاً ، ودُرست حياته ومصنّفاته في شتى الجامعات من زوايا متعددة تعدّد مواضيع مصنّفاته ، فمن كتب في التفسير فإنه لا يستغني عن كتب السيوطي المهمة في التفسير مثل ((الدر المنثور)) و ((طبقات المفسرين)) ، ومن كتب في علوم القرآن ف ((الإتقان)) عمدته ، ومن تحدث عن الحديث وعلومه فالجامع - صغيره وكبيره - بُغِيته ، و ((تدريب الراوي)) عُدته ، ومن أراد الأدب فعليه بالمقامات الكثيرة التي أنشأها ، وهكذا ...

وكل من يحقق شيئاً من كتبه ، أو يولف في موضوع علمي دارساً بعض كنوز آثاره فإنه يكتب عنه ترجمة ضافية ، والأمثلة أكثر من أن تُذكر .

ولذلك فإني سأختصر - ما وسعني الاختصار - في الكتابة عن حياة الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - محاولاً التركيز على جوانب مهمة من حياته أعتقد أن لذكرها فائدة ، وسأتوسع في الكلام على كتابه ((معترك الأقران)) - إن شاء الله تعالى - وذلك لأنه لم يُدرس دراسة وافية من قبل ، والله الموفق .

١- من العلماء الكبار في القرن التاسع الحافظ العراقي (ت ٨٠٦) ، والحافظ ابن حجر (ت ٨٥٢) ، والإمام البلقيني (ت ٨٦٨) ، والحافظ السخاوي (ت ٩٠٢) وغيرهم كثير .

المبحث الأول : مولده واسمه وكنيته ولقبه .

مولده : ولد مستهلَّ رجب سنة تسع وأربعين وثمانمائة^(١) بالقاهرة^(٢) ، وقد قيل إنه ولد بين الكتب ؛ إذ أن أباه طلب من أمه أن تأتيه بكتاب ففاجأها المخاض فولدته وهي بين الكتب فصار يلقب بـ (ابن الكتب)^(٣) .

اسمه : عبد الرحمن بن الكمال^(٤) أبي بكر بن محمد بن سابق الدين بن الفخر عثمان بن ناظر الدين محمد بن سيف الدين خضر بن نجم الدين أبي الصلاح أيوب بن ناصر الدين محمد بن الشيخ همام الدين^(٥) .

كنيته : أبو الفضل^(٦) .

لقبه : جلال الدين الخُضَيريّ الأسيوطي^(٧) .

أما السيوطي فنسبة إلى (أسيوط) وهي مدينة كبيرة معروفة بصعيد مصر .

١- ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٦ .

٢- ((التحدث بنعمة الله)) : ١٦ .

٣- ذكر ذلك عبدالقادر العيديرسي في ((النور السافر)) : ٥٤ .

ولم يذكر ذلك السيوطي ، فيما علمت ، ومن عادته ذكرُ دقائق حياته المهمة ولم يشتهر هذا القول ، فإله أعلم بصحته .

٤- جرت عادة المصنفين المتأخرين أن يقتصروا على الجزء الأول من الألقاب المضافة إلى (الدين) فيقولون (الكمال) مثلاً ويريدون : كمال الدين ، و (الصلاح) ويريدون (صلاح الدين) وهكذا ...

ومن صنع هذا بكثرة الإمام السخاوي في ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) ، ويمكن الجمع بين الحذف وذكر الجزئين كما فعل السيوطي - رحمه الله - في ذكره لنسبه هاهنا .

٥- ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٦ .

٦- قد لقبه شيخه عز الدين الكناني الحنبلي بهذا اللقب كما في ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٥١ .

٧- قال السيوطي في ضبط هذه اللفظة : الأسيوطي : ((فيها خمسة أوجه : ضم الهمزة وكسرها ، وإسقاطها وتثنية

السين)) : ((لب اللباب)) : ١ / ٦١ .

وأما الخُضَيْرِيُّ فإن السيوطيَّ قال عنها :

((لا أعلم ما تكون إليه هذه النسبة إلا (الخُضَيْرِيَّة)^(١) مَحَلَّةٌ ببغداد ، وقد حدثني من أثق به أنه سمع والدي - رحمه الله تعالى - يذكر أن جدَّه الأعلى كان أعجمياً أو من الشرق ؛ فالظاهر أن النسبة إلى المَحَلَّة المذكورة))^(٢) .

وقد جاء عن السيوطيَّ ما يُفهم منه أنه ربّما يكون من سلالة البيت النبويّ الشريف ؛ إذ قال :

((ووالدي من خير العرب لأنه من سلالة الصحابة ، وربما قيل أكثر من ذلك ، والصمت عنه أقرب إلى الإصابة))^(٣) .

لكن هذه النسبة لم تشتهر عنه .

١- ذكر السيوطيَّ أن ((الخُضَيْرِيَّ - مصغراً - إلى الخُضَيْرِيَّة مَحَلَّةٌ ببغداد)) : ((لب الباب)) : ١٠ / ٢٩٠ .

٢- ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٦ .

٣- ((طَرُزُ العمامة في التفرقة بين المقامة والقمامة)) المطبوع ضمن كتاب ((شرح مقامات جلال الدين السيوطي)) : ٢ / ٧٣٧ .

وقد علّق مصنف كتاب ((مكتبة الجلال السيوطي)) ص ١٢ على ذلك قائلاً :

((وعساه أن يكون بحث في نسبه فحقق ما خالف الرواية عن أبيه في كونه ينحدر من أصل عجمي)) .

قلت : لاتعارض في هذا ، إذ لا يمتنع أن يكون العجميُّ من أصل عربيّ سكن أجداده في بلاد العجم فاستعجموا ، وفي عصرنا كثير من العجم ذوي الأصول العربية ، والله أعلم .

المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم ، ومشايخه ، وتلاميذه .

نشأته : وجَّه أبوه لطلب العلم منذ نشأته ، فنبغ وحفظ القرآن قبل أن يتمَّ ثماني سنوات ، وحفظ عدة متون في فنون متنوعة مثل : ألفية ابن مالك ، و ((المنهاج)) في الفقه^(١) ، وارتحل طلباً للعلم إلى بلاد الشام والحجاز واليمن والهند والمغرب ، وأفتى وعمره اثنتان وعشرون سنة ، وأملى الحديث وعمره ثلاث وعشرون سنة^(٢) .

مشايخه : أكثر السيوطي رحمه الله تعالى من القراءة على المشايخ ؛ إذ بلغت عدتهم قرابة مائتي شيخ وشيخة^(٣) ، وها أنذا أذكر أشهر مشايخه مكتفياً بالبعض عن الكل :

١ - الشيخ تقي الدين أحمد بن محمد بن محمد الشُّمَّيْ ، ولد بالإسكندرية سنة إحدى وثمانمائة ، ثم قدم القاهرة وقرأ على مشايخها في أصول الدين والعربية والمنطق والحساب والطب والهندسة والحديث ، واشتهر وتصدى لتعليم الناس . وكان علامة سنياً متين الديانة ، زاهداً عفيفاً متواضعاً ، وكان جلُّ الفضلاء من أهل المذاهب من تلامذته . توفي بالقاهرة سنة ٨٧٢ ، رحمه الله تعالى^(٤) .

١- ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٦ .

و ((المنهاج)) كتاب في الفقه الشافعي ، من تصنيف الإمام النووي ، رحمه الله تعالى .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٣٦ - ٣٣٩ .

٣- انظر ((المنجم في المعجم)) فقد سرد فيه السيوطي أسماء شيوخه فبلغوا ١٩٥ شيخاً وشيخة ، وقد ذكر الشيخ الشعراني أن عدد شيوخ السيوطي بلغ ستمائة شيخ وهو رقم كبير لم يذكره - فيما علمت - غير الشعراني ، وانظر ((الطبقات الصغرى)) : ١٩ . ولعل الشعراني يعني كل من استفاد منه السيوطي شيئاً ولو يسيراً ، وهذا هو ما بينه السيوطي بقوله :

((وأجاز لي خلق من الديار المصرية ، والحجاز ، وحب ، وقد جمعت معجماً كبيراً في أسماء من سمعت عليه ، أو أحازني ، أو أنشدني شعراً فبلغوا نحو ستمائة نفس)) : ((التحدث بنعمة الله)) : ٤٣ .

٤- ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) : ٢ / ١٧٤ - ١٧٨ .

٢ - الشيخ الإمام علم الدين صالح بن عمر بن رسلان البلقيني الشافعي . ولد بالقاهرة سنة ٧٩١ ونشأ بها فحفظ القرآن وعدداً من المتون الشرعية .

كان متقللاً من الدنيا ، غايةً في الذكاء وسرعة الحفظ ، وله مشايخ عدة . أخذ عن الفضلاء من كل ناحية ، وله بعض المصنفات . توفي بالقاهرة سنة ٨٦٨ هـ ، رحمه الله تعالى^(١) .

٣ - الشيخ الإمام محي الدين محمد بن سليمان بن سعيد الرومي الحنفي الكافيجي^(٢) :

ولد ببلاد صاروخان من ديار الدولة العثمانية قبل سنة ٧٩٠ هـ . قدم الشام ، وأدى الحج ، ثم قدم القاهرة بُعيد سنة ٨٣٠ ، كان متقللاً من الدنيا جداً ، وأقبل عليه الفقهاء وتصدّى للتدريس والإفتاء والتأليف وزادت تصانيفه على المائة ، ولم يزل على جلالتة حتى وافته المنية بالقاهرة سنة ٨٧٩ هـ ، رحمه الله^(٣) .

وكثيراً ما يني السيوطي على شيخه هذا ويعده أستاذ الوجود ، وأستاذ الأستاذين^(٤) .

٤ - الشيخ يحيى بن محمد الأقصرائي - نسبة إلى (أقصرا) إحدى مدن الروم^(٥) - القاهري الحنفي .

١- ((المصدر السابق)) : ٣ / ٣١٢ - ٣١٤ .

٢- هذا اللقب نسبة لكافية ابن الحاجب لكررة تدريسه لها ، انظر ((الضوء اللامع)) : ٧ / ٢٦٠ .

وقد ذكر السخاوي رحمه الله تعالى - أنه ((نُسب إليها بزيادة جيم ، كما هي عادة الترك في النسب)) .

٣- ((المصدر السابق)) : ٧ / ٢٥٩ - ٢٦١ .

٤- انظر ((المنجم في المعجم)) : ١٨٣ ، و ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٨ ، و ((التحدث بنعمة الله)) :

٢٤٣ .

٥- أي الدولة العثمانية ، وقد ذكر الزركلي - رحمه الله - أن اسم المدينة (آق سراي) و النسبة إليها (أقصرائي) ،

انظر ((الأعلام)) : ٨ / ١٦٨ .

ولد بالقاهرة سنة ٧٩٧ ونشأ بها ، وحفظ القرآن وعدداً من المتون الشرعية ، وتلمذ على عدد من مشايخ عصره ، وشمر واجتهد حتى فاق في فنون العلوم ، وتصدى للتدريس ، فاستفادت الطلبة منه . وكان حسن الخلق كثير التعبد والذكر . توفي بالقاهرة سنة ٨٨٠ ، رحمه الله^(١) .

تلامذته :

تلمذ على السيوطي كثيرون برع منهم أئمة لهم شأن ، منهم :

١ - الشيخ زين الدين عمر بن أحمد بن عليّ الشماع الحلبيّ الشافعيّ ، ولد سنة ٨٨٠ هـ ، وجدّ واجتهد واستكثر من المشايخ حتى زادت شيوخه على مائتين . كان إماماً عالماً ، أماراً بالمعروف نهياً عن المنكر ، لم يتولّ شيئاً من المناصب بل قنع بربح كان يأتيه من المضاربة بالمال ، وله مؤلفات كثيرة . توفي بحلب سنة ٩٣٦ ، رحمه الله^(٢) .

٢ - الشيخ الإمام محمد بن عليّ الداوديّ المالكيّ ، كان إماماً علامة حافظاً ، شيخ الحديث في عصره ، وضع لشيخه السيوطيّ ترجمة حافلة في مجلّد ضخّم^(٣) ، وله مؤلفات عدّة ، أشهرها ((طبقات المفسرين)) . توفي بالقاهرة سنة ٩٤٥ هـ ، رحمه الله^(٤) .

١- ((الضوء اللامع)) : ١٠ / ٢٤٠ - ٢٤٣ .

ومن مشايخه أيضاً : شرف الدين يحيى بن محمد المناويّ ، وحلال الدين محمد بن أحمد المَحَلّيّ ، وعز الدين أحمد بن إبراهيم الكنانيّ وغيرهم ، انظر ((الكواكب السائرة)) : ١ / ٢٢٦ - ٢٢٨ ، و ((المنجم في المعجم)) بتمامه .

٢- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٢١٨ .

٣- لم أعتز على هذه الترجمة .

٤- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٢٦٤ .

٣ - الشيخ الإمام محمد بن يوسف الشاميّ الصالحيّ ثمّ المصريّ . كان عالماً صالحاً ، كثير الصيام والقيام ، متعففاً عن أموال الولاية والسلطين ، حسن السيرة والخلق ، ألف عدداً من الكتب منها سيرة جامعة مشهورة للرسول ، صلى الله عليه وسلم^(١) ، توفي سنة ٩٤٢ هـ ، رحمه الله تعالى^(٢) .

١- وهي مطبوعة متداولة باسم : ((سُبُل الهدى والرشاد في هَدْي خير العباد ، صلى الله عليه وسلم)) .

٢- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٢٥٠ - ٢٥١ .

المبحث الثالث : آثاره العلمية خاصة في الإعجاز

للسيوطي - رحمه الله تعالى - مؤلفات كثيرة اختلف في عددها ؛ فقد قال قوم إنها خمسمائة^(١) ، وأوصلها بعضهم إلى أكثر من هذا^(٢) أو أقل .

وهناك دراسة وافية عن مصنفاته في كتاب ((مكتبة الجلال السيوطي)) ، فقد ذكر صاحب هذه الدراسة أن الذي انتهى إليه في إحصائها ((بعد الفحص المستقصي والتفتيش المستتبع كان ٧٢٥ مؤلفاً سيوى المكرور والمنحول ، أخرجت المطابع منها ٢٠٤ - حسبما وقفت عليه - وما تزال المكتبات العامة والخاصة تحتزن منها قرابة المائتين ، فأما الباقي فهو مفقود أو في حكم المفقود))^(٣) .

ودراسته هذه دراسة علمية وافية ذكر فيها أسماء تلك الكتب جميعاً وبيّن المطبوع منها والمخطوط ، وسكت عما يظنه مفقوداً .

وذكر أن مؤلفاته تنقسم إلى مؤلفات جامعة ضخمة ، ومؤلفات ذات حجم متوسط ، ومؤلفات وجيزة مختصرة ، بل إن بعض مؤلفاته في ورقة وفي ورقتين^(٤) .

وهناك عمل علمي آخر بذل فيه مؤلفاه الجهد ، وذكر فيه أن مصنفات السيوطي بلغت ٩٨١ مصنفاً ، وقاما بذكرها مع ذكر أماكن وجود ما لم يُفقد

١- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٥٣ ، و ((الكواكب السائرة)) : ١ / ٢٢٨ .

٢- كابن إلياس الحنفّي الذي ذكر أنها بلغت قرابة ستمائة مصنف ، انظر ((بدائع الزهور)) : ٤ / ٨٣ .

٣- ((مكتبة الجلال السيوطي)) : ٣٨ .

٤- المصدر السابق : ٣٩ ، و انظر ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٨ ، و ((النور السافر)) : ٥٦ .

منها ، وبيان المطبوع من كل ذلك^(١).

ولا يتعارض هذا العدد ولا الذي قبله مع ماعدّه الداودي - رحمه الله تعالى - من مصنفات شيخه إذ أنه استقصى ((مؤلفاته الحافلة الكثيرة ، الجامعة النافعة ، المتقنة المحررة ، المعتمدة المعترية فنافت عدتها على خمسمائة مصنف ، وشهرتها تُعني عن ذكرها))^(٢).

وإنما قلت لا يتعارض هذا مع عدد من بلغ بمصنفات السيوطي قرابة ألف ، أي ضعف العدد تقريباً ، للأسباب الآتية :

١ - لعل من عدّها ألفاً أضاف كتباً لم يرتضها السيوطي ورجع عنها كما ذكر في ((حسن المحاضرة))^(٣) .
والتلميذ أعرف بكتب شيخه من غيره .

٢ - في الكتب التي ذكرت للسيوطي كتب لم تصح نسبتها إليه^(٤) .

٣ - بعض كتب السيوطي سميت بأكثر من اسم^(٥) .

١- اسم الكتاب ((دليل مخطوطات السيوطي وأماكن وجودها)) للأستاذين محمد الشيباني وأحمد الخازندار .
٢- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٥٢ - ٥٣ نقلاً عن ترجمة الداودي لشيخه السيوطي التي أشرت آنفاً إلى أنني لم أعثر عليها .

٣- ٣٣٨ / ١ .

٤- نحو كتاب ((أنيس الجليس)) و ((الإيضاح في أسرار النكاح)) ، و ((الكنز المدفون والفلك المشحون)) ، وانظر (دليل مخطوطات السيوطي)) : ٢٦٢ ، ٢٥٢ ، ٢٧٥ على التوالي ، وانظر فهرس الكتب المنحولة في كتاب ((مكتبة الجلال السيوطي)) : ٤١٣ .

٥- نحو كتاب ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) إذ هو الكتاب المسمى أيضاً بـ ((أسرار التنزيل)) كما في ((دليل مخطوطات السيوطي)) : ٣٠ ، ونحو كتاب ((تناسق الدرر في تناسب الآيات والسور)) إذ هو الكتاب المسمى ((أسرار ترتيب القرآن)) كما في مقدمة ((تناسق الدرر)) المطبوع .

٤ - بعض كتب السيوطيِّ بجامعُ تحوي رسائل عدة^(١) فلعلَّ الداوديَّ عدَّ المجموعَ كتاباً واحداً وعدّه غيره باعتبار رسائله الكثيرة التي يحويها .

أسباب كثرة مصنفات السيوطيِّ :

لكثرة مصنفات السيوطيِّ - رحمه الله تعالى - أسباب أوجزها فيما يلي^(٢) :

١ - توفيق الله - تعالى - له ، وتوجيهه ، وعنايته به سبحانه .

٢ - اكتمال العلوم في عصره ونضجها :

إذ أن عصره يعدّ الغاية فيما وصلت إليه علوم المسلمين في فروع متنوعة ، ثم أخذت تلك المعارف بالاضمحلال والتدهور فيما بعد القرن العاشر . فلاكتمال العلوم ونضجها توفرت مادة قوية غزيرة يتخير منها المصنف كما يشاء ، ومصنفات السيوطيِّ مليئة بالنقول الكثيرة عمن سبقه ، في فروع متنوعة من العلوم ، حتى أنه اتُّهم أنه ناقل محضٌ ، وجامعٌ لما تفرق في كتب الأولين وحسب^(٣) ، وهي تهمة باطلة ؛ إذ للسيوطي شخصية علمية مستقلة تتضح في الكثير من مصنفاته .

٣ - طبيعة التصنيف في عصره :

إذ أن التصنيف في عصر السيوطيِّ وما قبله كالقرن الثامن طبع بطابع الجمع والاختصار للمصنفات السابقة مع الإضافة إليها أو شرحها ، وما كان كذلك فإن

١- نحو ((الحاوي للفتاوي)) ، إذ يبلغ ما يحويه من رسائل ثمانياً وسبعين رسالة .

٢- استفدت في الفقرات من الثانية إلى الخامسة من كتاب ((السيوطيَّ وجهوده في الدراسات اللغوية)) :

١٣٥ - ١٣٦ .

٣- انظر ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٦ ، ٦٨ .

التصنيف فيه يتسع ويكثر لغزارة المادة المتاحة وسهولة إعادة تصنيفها .

٤ - جمع السيوطي للرواية والدراية :

فهم السيوطي القوي للعلوم الشرعية واللغوية وغيرها وهضمه لها - وهذه هي الدراية - مع سعة روايته للحديث والآثار هذان الأمران أتاحا له حيازة علم غزير ممكنه من التصنيف في شتى فروع العلوم والفنون .

٥ - همته وصبره :

عكف السيوطي على مصنفاته بهمة وصبر وجلد قلّ مثيله كل ذلك ممكنه من الإكثار من التصنيف ؛ خاصة حين اعتزل الفتيا والتدريس منذ سن الأربعين^(١) فمكث قرابة ثلاث وعشرين سنة يصنف ويحرر مصنفاته حتى بلغ عددها مالا يُتصور أن يكون لغيره في عصره أو بعده إلى يومنا هذا ، فتوفر له في اعتزاله التفرغ الذي ينشده كل طالب علم .

٦ - ذكاؤه واتقاده ذهنه :

وهذا واضح من آثاره لايحتاج إلى إقامة برهان عليه .

٧ - الحالة العلمية والثقافية :

مما ساعد السيوطي على غزارة التصنيف كونه في بيئة علمية ثقافية لا مثيل لها في عصره ؛ إذ القاهرة في ذلك الزمان مثابة العلماء في كل العلوم والمعارف ، وفيها من المكتبات الكبيرة والمدارس والكتب الكثيرة ما ليس متوفراً في أي مدينة إسلامية في ذلك الزمان^(٢) ، ولما كانت بيئته الثقافية والعلمية كذلك حُقّ له أن يستفيد منها الفائدة القصوى في التصنيف .

١- سيأتي - إن شاء الله تعالى - تفصيل ذلك ، انظر ص ٢٦٣ وما بعدها .

٢- انظر التمهيد لهذا الباب ص ٢١٧ .

٨ - الاستقرار والأمن والرخاء في مجتمعه :

إذ كانت دولة المماليك في عصره في قوة وسلطان مبسوط على مصر والشام والحجاز وغيرها ، والمجتمع يرفل في أمان ورخاء واستقرار لا بأس به ، وكل هذه عناصر لاغنى للعالم عنها إن أراد الانصراف إلى علمه والتصنيف فيه^(١) .

٩ - التنافس بينه وبين أقرانه :

وهذا عامل مهم دعاه لأن يكثر من التصنيف ؛ فهو قد اتخذ التصنيف - مراراً - وسيلة للرد على منافسيه وأقرانه ، وفي الوقت نفسه أدت تلك المنافسة إلى ارتفاع اسمه وشهرة حاله بين الناس فأقبلوا على مصنفاته .

١٠ - الإعداد المبكر :

قد حفظ الإمام السيوطي القرآن في سن مبكرة ، وحفظ عدداً من المتون وبرع في العلوم بحيث إنه أفتى ودرّس في سن مبكرة ، كما بينت سابقاً^(٢) ، وهذا الأمر أدى إلى أن يصنف في سن مبكرة أيضاً^(٣) مما ساعده على الإكثار من التصنيف .

١١ - كفايته المالية :

حيث كانت مناصبه التي سادكرها قريباً^(٤) - إن شاء الله تعالى - تدر عليه دخلاً كافياً لمتطلبات حياته ، فلم يتقل عنه أنه احتاج يوماً أو استجدى أحداً ، وهذا عامل مهم جداً في استقرار العالم وحضور ذهنه .

١- انظر التمهيد لهذا الباب ص ٢١٥ ، ومابعدها .

٢- انظر ص ٢٢١ .

٣- ذكر السيوطي أن أول كتاب صنفه وهو في سن السابعة عشرة : انظر ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٧ .

٤- انظر ص ٢٦٣ ومابعدها .

لكل هذه الأسباب مجتمعة استطاع السيوطي - رحمه الله تعالى - أن يصنف
هذا العدد الكبير من المصنفات ، تُوج ذلك كله بأن الله - تعالى - رزقها القبول
فسارت في البلاد مسير الشمس ، وتهافت الناس عليها ، وأصبحت عمدة كثير من
العلماء والمحققين .

مصنفات السيوطي في الإعجاز

قد أوردت نبذة عن مصنفات السيوطي ، أما تأليفه في الإعجاز القرآني
خاصة فتنقسم إلى قسمين :

القسم الأول :

الكتب المستقلة المفردة في الكلام على الإعجاز القرآني ، ولا أعلم أن له -
في هذا القسم - غير كتاب ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) موضوع
الدراسة .

القسم الآخر :

المباحث الماثلة في كتبه التي تكلم فيها عن الإعجاز القرآني مثل ((الإتيان))
و ((الخصائص النبوية الكبرى)) .

وسأتحدث هنا عن كل كتاب تضمن مباحث عن إعجاز القرآن على الترتيب
الهجائي لأسماء الكتب مقارناً بين ماورد فيها وما جاء في ((معترك الأقران)) من
الحديث عن الإعجاز :

أولاً : ((الإتقان في علوم القرآن)) :

هذا الكتاب هو أجلُّ مصنف في علوم القرآن في تقديره ؛ لكبر حجمه
وغزارة مباحثه وجودتها ، وقد تحدث فيه السيوطي عن الإعجاز باعتبارين :

الأول : إفراده نوعاً من أنواع علوم القرآن للحديث عن الإعجاز وهو النوع الرابع
والستون^(١) .

الآخر : باعتبار ما عدّه في ((معترك الأقران)) من وجوه الإعجاز ، وذلك نحو
الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والعام والخاص ، والتشبيه والاستعارة ،
والكناية والتعريض^(٢) إلى آخر ما عدّه في ((معترك الأقران)) من وجوه الإعجاز مما
سأناقشه فيه في مكان آخر ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

فبهذا الاعتبار فإن ((الإتقان)) يكاد يكون بكامله حديثاً عن الإعجاز ،
ولفهم هذه القضية فإنني عقدت مقارنة مفصلة بين ما جاء في ((معترك الأقران))
من أوجه الإعجاز وما جاء في ((الإتقان)) من أنواع علوم القرآن فوجدت -
بالاستقراء والفحص - أن السيوطي ، رحمه الله تعالى ، قد أورد غالب أوجه
الإعجاز التي في كتابه ((معترك الأقران)) من كتابه ((الإتقان))^(٤) ؛ فقد أورد في
((معترك الأقران)) خمسةً وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز وكل هذه الأوجه قد
جاءت في كتابه ((الإتقان)) عدا الوجهين : الثاني والعشرين وهو : ((تيسيره -

١- انظر ((الإتقان)) : ١١٦ / ٢ - ١٢٥ .

٢- قد أرجأت تعريف بعض المصطلحات الواردة في هذا الموضوع ومابعده إلى الباب الثالث عند الكلام على وجوه
الإعجاز التي أتى بها الإمام السيوطي ؛ إذ تعريفها هناك أنسب ، وسأعقد - إن شاء الله تعالى - فهرساً خاصاً
بالمصطلحات البلاغية آخر الكتاب ليسهل الرجوع إليها .

٣- انظر ص ٣٣٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

٤- وإنما لم أقل بعكس هذا - أي استفادته في ((الإتقان)) من ((المعترك)) - لأنني أظن أن ((المعترك)) مصنف على
مرحلتين ، وقد فرغ منه بعد ((الإتقان)) ، وانظر ص ٢٧٢ من هذا البحث وما بعدها .

تعالى - حفظه وتقريره)) والوجه الخامس والثلاثين وهو ((ألفاظه المشتركة)) ، وهذا الوجه الأخير قد وردت نَتَفٌ منه في ((الإتيان)) لكنه توسع فيه في ((معترك الأقران)) توسعاً كبيراً استغرق ثلثي الكتاب تقريباً ، وهذا الوجه هو المبحث الجديد نسبياً ، كما سألين ذلك بعدُ - إن شاء الله تعالى - أثناء دراسة كتاب ((معترك الأقران)) الذي هو موضوع الرسالة .

المقارنة بين الكتابين :

إذا قورنت بعض أوجه الإعجاز المذكورة في ((المعترك)) بما في ((الإتيان)) يتضح أن الإمام السيوطي يسلك في نقله عن ((الإتيان)) عدة مسالك ، هي :

أولاً : النقل المجرد :

حيث ينقل السيوطي المبحث بكامله من ((الإتيان)) إلى ((المعترك)) دون أن يتصرف فيه ، وذلك في الوجوه التالية :

١ - الوجه الثاني عشر من وجوه الإعجاز في ((المعترك)) وهو : إفادة حصره واختصاصه^(١) .

٢ - والوجه الرابع عشر ، وهو : عموم بعض آياته وخصوص بعضها^(٢) .

٣ - والوجه السادس عشر ، وهو : الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه^(٣) .

٤ - والوجه الرابع والعشرون ، وهو : تشبيهه واستعاراته^(٤) .

٥ - والوجه الخامس والعشرون ، وهو : وقوع الكناية والتعريض^(٥) .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨١ - ١٩٤ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٤٩ - ٥٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ - ٢١٧ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٦ - ١٨ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٢٤ - ٢٢٨ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٣١ - ٣٢ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٦٩ - ٢٨٦ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٤٢ - ٤٧ .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٨٦ - ٢٩٣ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٤٧ - ٤٩ .

- ٦ - والوجه السادس والعشرون ، وهو : إيجازه في آية وإطنابه في أخرى^(١) .
 ٧ - والوجه الحادي والثلاثون ، وهو : ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة^(٢) .
 ٨ - والوجه الثالث والثلاثون ، وهو : ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها^(٣) .

ثانياً : النقل مع التصرف اليسير :

قد ينقل السيوطي - رحمه الله تعالى - المبحث كاملاً من ((الإتيقان)) لكنه يتصرف فيه تصرفاً يسيراً في أول المبحث أو أثناؤه ، وذلك نحو :

- ١ - الوجه الأول من وجوه الإعجاز في ((معترك الأقران)) وهو ((العلوم المستنبطة منه))^(٤) ، فقد أتى السيوطي - رحمه الله تعالى - بهذا المبحث في ((الإتيقان)) في النوع الخامس والستين بعنوان : ((في العلوم المستنبطة من القرآن)) .

وقد تصرف في النقل من ((الإتيقان)) على النحو الآتي :

- ١ - أضاف كلمات يسيرة في أول البحث المنقول من ((الإتيقان)) فقال :
 ((كيف لا وقد احتوى على علوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحدٌ في كلمات قليلة وأحرف معدودة))^(٥) .
 ثم استمر الكلام نقلاً حرفياً لا يختلف إلا في آية كاملة هنا وناقصة هناك ، أو في تحريف في ((الإتيقان)) مستدرك في ((المعترك)) - وهو في كلمة واحدة فقط - أو في تقديم كلمة وتأخير أخرى .

١ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٩٣ - ٣٧٣ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ٥٣ - ٧٥ .

٢ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٤ - ٤٧١ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٣١ - ١٣٣ .

٣ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٤ - ٥١١ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٤٥ - ١٥١ .

٤ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٤ - ٢٧ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٢٥ - ١٣١ .

٥ - ((المعترك)) : ١ / ١٤ .

٢ - ثم إن السيوطي - رحمه الله تعالى - في نهاية هذا النوع المنقول من ((الإتيقان)) نقل أربعة أقوال لأربعة من الأئمة أثبت أطولها في ((المعترك)) وحذف الباقي منها^(١) .

كان ذلك مثلاً على تصرفه اليسير في نقله من ((الإتيقان)) إلى ((المعترك)) ويقاس عليه باقي المواضع ، وهي :

- ١ - الوجه الثاني ، وهو : حسن تأليفه والتتام كَلِمه^(٢) .
- ٢ - والوجه الرابع ، وهو : مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض^(٣) .
- ٣ - والوجه السابع ، وهو : ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات^(٤) .
- ٤ - والوجه الخامس عشر ، وهو : ورود بعض آياته بمجمله وبعضها مبينة^(٥) .
- ٥ - الوجه السابع والعشرون ، وهو : وقوع البدائع البليغة فيه^(٦) .
- ٦ - والوجه الثامن والعشرون ، وهو : احتواؤه على الخبر والإنشاء^(٧) .
- ٧ - والوجه التاسع والعشرون ، وهو : إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتوكيدها^(٨) .
- ٨ - والوجه الثلاثون ، وهو : اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة^(٩) .

١- انظر ((المعترك)) : ١ / ٢٤ - ٢٥ ، وقارنه بما في ((الإتيقان)) : ٢ / ١٢٩ أول الصفحة - السطر الرابع - حيث قال : وقال ابن جرير ، ثم : وقال علي بن عيسى - السطر السادس - ثم قال : شيدلة - السطر العاشر - ثم عاد في منتصف صفحة ١٣٠ للنقل إلى ((المعترك)) إلى آخر النوع .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧-٥٤ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١١٨-١١٩ ، ٩٦-١٠٥ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٤-٧٤ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٠٨-١١٤ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٤-١٠٨ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ٢٧-٣١ .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢١٧-٢٢٤ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٨-٢٠ .

٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٣-٤٢٠ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ٨٣-٩٦ .

٧- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٤٩-٤٢٠ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ٧٥-٨٣ .

٨- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٤٩-٤٥٥ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٣٣-١٣٥ .

٩- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٥٦-٤٦٣ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٣٥-١٣٧ .

٩ - والوجه الثاني والثلاثون ، وهو : ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف^(١) .

ثالثاً : النقل مع التصرف الكثير :

قد يورد السيوطي المبحث من ((الإتيان)) لكنه يتصرف فيه بتقديم بعض فصوله وتأخير بعضها ، وقد يزيد بعض العبارات في ((المعترك)) فتبلغ صفحة أو أكثر ، وقد يسطر المبحث في ((الإتيان)) ، لكن تبقى عبارات ((المعترك)) منقولة بنصها تقريباً من ((الإتيان)) ، إذا استثنيت الزيادة الواردة في ((المعترك)) ، وذلك نحو :

١ - الوجه الخامس من وجوه الإعجاز في ((المعترك)) ، وهو :

((افتتاح السور وخواتيمها))^(٢)

فقد نقله من ((الإتيان)) حيث جاء فيه هذا المبحثُ مفرقاً على نوعين : ((النوع الستون : في فواتح السور)) ، و ((النوع الحادي والستون : في خواتم السور)) ، ثم قدّم في المباحث المنقولة وأخر فيها وزاد بعض العبارات في ((المعترك)) ليستقيم المنقول ، وتفصيل ذلك على الوجه الآتي :

أولاً : بدأ هذا الوجه في ((المعترك)) بقوله :

((وهو من أحسن البلاغة عند البيانين ، وهو أن يتأنق في أول الكلام ...)) ، ثم أخذ في الكلام على هذا الوجه في نحو صفحة متفقاً مع ما في ((الإتيان))^(٣) مع تصرف يسير في العبارات ، ثم افترق ما في ((المعترك)) عما في ((الإتيان)) حيث

١- انظر ((معترك الأقران)) : ٤٧٢/١ - ٤٨٣ ، و ((الإتيان)) : ١٦٠/٢ - ١٦٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ٧٤/١ - ٨٥ ، و ((الإتيان)) : ١٠٥/٢ - ١٠٨ .

٣- ((الإتيان)) : ١٠٦/٢ منتصف الصفحة تقريباً .

نقل من ((الإتيقان)) النوع الحادي والستين وهو ((خواتم السور)) مع زيادة عليها في ((المعترك))^(١) .

ثانياً : عاد بعد ذلك إلى النقل من النوع الستين من ((الإتيقان)) حيث نقل حديثاً من ((شعب الإيمان)) للبيهقي - رحمه الله تعالى^(٢) - واستمر هذا النقل إلى آخر النوع الستين .

ثالثاً : أخذ بعد ذلك في الكلام على ((فواتح السور)) فنقل ما في النوع الستين من بدايته إلى أن أتى على بيتين من الشعر^(٣) ، ثم أضاف - على ما في ((الإتيقان)) - قرابة صفحتين خاتماً بها الكلام على هذا الوجه الذي عدّه من الإعجاز في ((المعترك)) .

وهكذا فإن الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - قدّم وأخر في بعض مباحث ((الإتيقان)) جامعاً بين نوعين من أنواع علوم القرآن ، وأضاف إليها إضافة متوسطة بين الطول والقصر ، وأودع كل ذلك في ((المعترك)) وجهاً من أوجه الإعجاز .

والأمثلة الباقية على هذا الصنيع المذكور هي :

١ - الوجه السادس وهو : مشتبهات آياته^(٤) .

١- وهذه الزيادة هي في : ٧٧ / ١ تحت عنوان المحقق : ختم القرآن بالمعوذتين .

٢- انظر ((الإتيقان)) : ١٠٦ / ٢ (ثلث الصفحة الأخير) - ١٠٧ ، و ((المعترك)) : ١ / ٧٨ - ٧٩ .

٣- انظر ((المعترك)) : ١ / ٧٩ : تحت عنوان المحقق : (في فواتح السور) - ٨٢ ، و ((الإتيقان)) : ١٠٥ - ١٠٦ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٨٥ - ٩٤ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٠٥ - ١٠٨ .

- ٢ - والوجه الثامن ، وهو : وقوع ناسخه ومنسوخه^(١) .
- ٣ - والوجه العاشر ، وهو : اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيةها من تخفيف وتشديد وغيرهما^(٢) .
- ٤ - والوجه الحادي عشر ، وهو : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع^(٣) .
- ٥ - والوجه الثالث عشر ، وهو : احتواؤه على جميع لغة العرب^(٤) .
- ٦ - والوجه السابع عشر ، وهو : وجوه مخاطباته^(٥) .
- ٧ - والوجه الثالث والعشرون ، وهو : وقوع الحقائق والمجاز فيه^(٦) .

رابعاً : النقل مع البسط النسبي :

قد يجيء الوجه من وجوه الإعجاز مختصراً في ((الإتيان)) فيورده السيوطي في ((المعترك)) مبسوطاً بالنسبة إلى ما في ((الإتيان)) نحو الوجه الثامن عشر وهو : ((ما انطوى عليه من الإخبار بالمغييات))^(٧) حيث جاء الكلام على المغييات في ((الإتيان)) ضمن النوع الرابع والستين وهو ((في إعجاز القرآن)) حيث قال ناقلاً عن غيره :

((وقال قوم : وجه إعجازه ما فيه من الإخبار عن الغيوب المستقبلية ولم يكن ذلك من شأن العرب ...)) في أربعة أسطر .

-
- ١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٨ - ١٣٦ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٢٠ - ٢٧ .
- ٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٦١ - ١٧٠ ، و ((الإتيان)) : ١ / ٧٥ - ٨٢ .
- ٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٧١ - ١٨٠ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٣ - ١٦ .
- ٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٥ - ٢٠٧ ، و ((الإتيان)) : ١ / ١٣٣ - ١٣٧ .
- ٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٢٩ - ٢٣٩ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٣٢ - ٣٥ .
- ٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٦ - ٢٦٨ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ٣٦ - ٤٢ .
- ٧- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١١٨ .

لكن الكلام على المُغيّبات في ((المعترك)) جاء وجهاً من وجوه الإعجاز ، وهو ((ما انطوى عليه من الإخبار بالمُغيّبات)) ، حيث مثل لبعض أخبار الغيب الواردة في القرآن فكانت كما أخبر الله تعالى ، وذلك كالغيب الحاضر أو المستقبل .

وهذا الوجه الذي عدّه السيوطي من الإعجاز هو مختصر في ((المعترك)) لكنه مبسوط إذا قُورن بما في ((الإتيان)) .

وأوجه الإعجاز في ((المعترك)) المنقولة من ((الإتيان)) على هذا النحو هي :

١ - الوجه الثاني من وجوه الإعجاز في ((المعترك)) وهو : ((كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان))^(١) .

٢ - والوجه التاسع عشر ، وهو : ((إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة))^(٢) .

٣ - والوجه العشرون ، وهو : ((روعته وهيبته))^(٣) .

٤ - والوجه الحادي والعشرون ، وهو : ((أن سامعه لا يمجّه وقارئه لا يملّه))^(٤) .

خامساً : النقل مع الاختصار :

قد يجيء الوجه من وجوه الإعجاز مطوّلاً في ((الإتيان)) فيورده السيوطي في ((المعترك)) مختصراً ملخصاً ، وقد يزيد عليه ألفاظاً ؛ وذلك نحو :

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٢٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٠ - ٢٤٢ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٢٢ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٤ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٢٣ ، ١٢١ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٢٤٤ - ٢٤٥ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٢٣ .

١ - الوجه التاسع ، وهو : انقسامه إلى محكم ومتشابه^(١) ، حيث اختصر ما في ((الإتيقان)) على النحو الآتي :

أولاً : اختصر الكلام على تعريف المحكم والمتشابه ، وكلام الأئمة في أنواعه^(٢) .

ثانياً : اختصر الكلام على قوله تعالى : ﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾^(٣) حيث قال :

((وقد أكثر [بعض]^(٤) الناس في جواب هذه الآية حتى أنهاه إلى عشرين ، حذفناها للإطالة))^(٥) .

وقد حكى بعض هذه الأقوال في ((الإتيقان))^(٦) .

ثالثاً : اختصر الكلام على الحروف المقطعة أوائل السور بينما توسع في الكلام عليها في ((الإتيقان))^(٧) .

ومثال هذا الصنيع أيضاً - وهو النقل مع الاختصار - كلامه على الوجه الرابع والثلاثين من الأوجه التي عدّها معجزةً في ((المعترك)) وهو : ((اختواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب)) الذي لخصه من ((الإتيقان))^(٨) .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٣٦ - ١٦١ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٣ - ١٣ .

٢- انظر ((الإتيقان)) : ٢ / ٢ - ٦ ، و ((المعترك)) : ١ / ١٣٦ - ١٤٦ مع ملاحظة أن في ((المعترك)) صفحات مدرجة خارجة عن موضوع الحكم والمتشابه وهي الصفحات : من بعد ص ١٣٨ إلى صفحة ١٤٣ .

٣- سورة طه : آية ٥ .

٤- زيادة متعينة ليستقيم المعنى .

٥- ((المعترك)) : ١ / ١٤٨ .

٦- ((الإتيقان)) : ٢ / ٦ - ٧ .

٧- انظر ((المعترك)) : ١ / ١٥٥ - ١٥٨ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ٨ - ١٢ .

٨- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٢ - ٥١٤ ، و ((الإتيقان)) : ٢ / ١٣٧ - ١٤٥ .

وبهذا ينتهي الكلام على الأوجه الأربعة والثلاثين التي في ((المعترك)) وهي منقولة من الإتيان - على ما بينته من أوجه النقل - عدا الوجه الثاني والعشرين كما بينت سابقاً^(١) .

أما الوجه الخامس والثلاثون من أوجه الإعجاز في ((معترك الأقران)) - أكبر الأوجه في الكتاب - فهو لم يأت بتمامه في ((الإتيان)) ولكن ورد فيه بعض النصوص التي نقلها إلى ((المعترك)) ، وطريقة النقل كالتالي :

أولاً : نصوص نقلها حرفياً ، منها :

أ - في فصل الهمزة من الوجه الخامس والثلاثين من أوجه الإعجاز في ((المعترك)) نقل أسماء الأنبياء من ((الإتيان)) نقلاً حرفياً^(٢) .

ب - نقل أسماء القرآن تحت قوله تعالى : ﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾^(٣) في ((المعترك)) من ((الإتيان)) نصاً^(٤) .

ج - وأورد آخر الكتاب فصلاً كاملاً كبيراً من ((الإتيان)) نقله بنصه وهو ((قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها))^(٥) .

ثانياً : نصوص تصرف في نقلها :

أورد السيوطي في ((المعترك)) نقولاً من ((الإتيان)) في هذا الوجه - الوجه الخامس والثلاثين من أوجه الإعجاز - أوردتها بتصريف يسير وزيادات يسيرة ، فمنها :

ما جاء تحت قوله تعالى ﴿ لَيْلَةٌ مُّبَارَكَةٌ ﴾ فقد أورد فصل (نزول القرآن) من

١- انظر ص ٢٣٢ - ٢٣٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٩ - ٥٢٣ ، و ((الإتيان)) : ٢ / ١٣٧ - ١٤٠ .

٣- سورة يوسف : آية ١١١ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٩٤ - ٣٠٣ ، و ((الإتيان)) : ١ / ٥٠ - ٥٢ .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ٥٧٤ - ٦٢٢ ، و ((الإتيان)) : ١ / ١٨٦ - ٢٠٠ .

((الإتيقان))^(١) .

ثالثاً : نصوص اختصرها :

وقد يأتي مافي ((الإتيقان)) مطوَّلاً فيختصره في ((المعترك)) ، فمن ذلك :

(أ) تحت قوله تعالى : ﴿ وَرَزَّلَ الْقُرْآنَ تَرْتِيلاً ﴾ ﴿ لَخَصَّ آدَابَ قِرَاءَةِ الْقُرْآنِ مِنْ ((الإتيقان))^(٢) .

(ب) تحت قوله تعالى : ﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾ ﴿ لَخَصَّ مَا نَزَلَ مِنَ الْقُرْآنِ عَلَى لِسَانِ بَعْضِ الصَّحَابَةِ^(٣) .

(ج) تحت قوله تعالى : ﴿ سَبْعًا مِنَ الْمَثَانِي ﴾ ﴿ لَخَصَّ أَسْمَاءَ السُّورِ مَعَ زِيَادَةِ يَسِيرَةٍ^(٤) .

هذا عدا أخذِه مما جاء في ثنايا ((الإتيقان)) - مما لا يندرج تحت طرق النقل المذكورة آنفًا - ففرقه في ((معترك الأقران)) في الوجه الخامس والثلاثين من أوجه الإعجاز .

وهذا الوجه هو أعظم أوجه الكتاب وأكبرها على الإطلاق وسيأتي وصفه - إن شاء الله تعالى - عند دراسة الكتاب^(٥) .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٠٢ - ٢١٨ ، و ((الإتيقان)) : ١ / ٣٩ - ٤٥ ، والآية من سورة الدخان : ٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٢٣ - ١٣١ ، و ((الإتيقان)) : ١ / ١٠٤ - ١١١ ، والآية من سورة المزمل : ٤ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ١٤٣ ، و ((الإتيقان)) : ١ / ٣٤ - ٣٥ ، والآية من سورة التحريم : ٤ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٣٦ - ٢٤٦ ، و ((الإتيقان)) : ١ / ٥٢ - ٥٤ ، والآية من سورة الحجر : ٨٧ .

٥- انظر ص ٣٩٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

والوجه الذي لم يأت في ((الإتيقان)) هو الوجه الثاني والعشرون وهو ((تيسيره - تعالى - حفظه وتقريبه)) ، وهو وجه قصير لا يتعدى صفحتين من المطبوع^(١) .

وهناك ملاحظتان أخريان في نقل الإمام السيوطي من ((الإتيقان)) ، وهما :
أولاً : قد أفرد السيوطي في ((الإتيقان)) مبحثاً خاصاً في إعجاز القرآن - كما ذكرت سابقاً^(٢) - وهو النوع الرابع والستون^(٣) ، ذكر فيه من ألف في الإعجاز ، ثم عرف الإعجاز تعريفاً موجزاً ، ثم أورد أوجه الإعجاز عند الأئمة الذين سبقوه دون أن يرجح واحداً من تلك الأقوال ، ثم أورد تنبيهات متفرقة ذكر فيها قدر المعجز من القرآن ، وتفاوت القرآن في الفصاحة ، والحكمة في تنزيه القرآن عن الشعر ، إلى غير ذلك من التنبيهات والمباحث .

والعجب أن الإمام لم يورد هذا النوع من علوم القرآن - وهو النوع الرابع والستون - لم يورده في ((معترك الأقران)) إلا على وجه الإشارة والإيجاز مع أنه عظيم التعلق بموضوع الكتاب ، خاصة أنه قد أورد في ((المعترك)) أنواعاً كثيرة لا تعلق لها بموضوع الكتاب أصلاً كما سألين ، إن شاء الله تعالى ، بالتفصيل عند دراستي للكتاب موضوع البحث^(٤) .

الملاحظة الأخرى :

قد أورد السيوطي رحمه الله تعالى - في ((الإتيقان)) نوعاً من أنواع علوم القرآن ، وهو النوع الخامس والسبعون : ((في خواص القرآن))^(٥) كان حرياً أن يورده في

١ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٢ - انظر ص ٢٣٢ .

٣ - انظر ((الإتيقان)) : ٢ / ١١٦ - ١٢٥ .

٤ - انظر ص ٣٣٩ - ٣٤٠ من هذه الرسالة .

٥ - انظر ((الإتيقان)) : ٢ / ١٦٣ - ١٦٦ .

((معترك الأقران)) لما له من عظيم التعلق بموضوع الإعجاز لأنه ذكر فيه خاصية آيات القرآن في شفاء الأمراض وقضاء الديون وإذهاب الهم والحزن إلخ ...

وكل ذلك له تعلق بإعجاز القرآن وهو من البراهين الدالة على صحته .

وأقول : كان حرياً به أن يورد هذا النوع في ((المعترك)) لأنه أورد فيه أوجهاً لا تعلق لها بموضوع الإعجاز ، وهذا النوع المتزكّ الصقّ بالإعجاز من غيره ، والله أعلم .

وبعد المقارنة بين ما جاء ((المعترك)) بما جاء في ((الإتيقان)) من مباحث يتبين جلياً أمران :

الأول منهما : أن الباحث لا يستطيع الحكم الشافي على مذهب السيوطي في الإعجاز إلا بضميمة ((المعترك)) مع ((الإتيقان)) بحيث يتكاملان وتظهر من ذلك النظرة الكلية للسيوطي - رحمه الله تعالى - في إعجاز القرآن العظيم .

الآخر : أن مادة كتاب ((معترك الأقران)) مستقاة - في أكثرها - من كتاب ((الإتيقان)) .

قد أطنبت في المقارنة بين ((الإتيقان)) و ((المعترك)) لأن ذلك مطلوب في هذا البحث ، ولأن هذا الإطناب مفيد في بعض المباحث القادمة كمبحث تحقيق عنوان الكتاب^(١) .

١ - انظر ص ٢٧٠ وما بعدها .

ثانياً : كتاب ((أسرار ترتيب القرآن)) أو ((تناسق الدرر في تناسب السور))^(١) :

قد ذكر السيوطي في ((معترك الأقران)) في الوجه الرابع من وجوه الإعجاز - وهو : ((مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض)) - ذكر أنه قد أفرد فيه تأليفاً باسم ((تناسق الدرر في تناسب السور))^(٢) لخصه من تأليف له آخر يسمى ((أسرار التنزيل))^(٣) .

وقد جاء كتاب ((تناسق الدرر)) متوسطاً بين الإيجاز والإطناب ، وأورد فيه السيوطي المناسبات بين السور على ترتيبها في المصحف .

وإنما سقت هذا الكتاب في مصنفات السيوطي في الإعجاز لأن السيوطي نفسه - رحمه الله تعالى - اعتمد المناسبة بين السور وجهاً من وجوه الإعجاز في ((معترك الأقران)) ، وسيأتي ذكر ذلك ومناقشته في الباب الثالث^(٤) ، إن شاء الله تعالى .

١- سمي السيوطي - رحمه الله تعالى - كتابه بهذين الاسمين - كما جاء في مقدمة الكتاب ، وقد طبع الكتاب مرتين بكلا الاسمين و الحق واحد ؟ !! والعجيب أن ((تناسق الدرر)) قد طبع في دار الكتب العلمية سنة ١٤٠٦ لأول مرة ، بينما طبع الكتاب نفسه باسم أسرار ترتيب القرآن سنة ١٣٩٨ للمرة الثانية في دار الاعتصام بالقاهرة ، ومقدمة الحق متشابهة في كلا الطبعين بل في طبعة دار الكتب العلمية صفحات منقولة من مقدمة طبعة الاعتصام ، والعجيب أنه في مقدمة طبعة دار الكتب العلمية ذكر الحق الكتاب باسم ((تناسق الدرر)) حتى إذا جاءت صفحة ٥١ وهي بداية الكتاب الحق كتب فيها عنوان الكتاب : ((أسرار ترتيب القرآن)) ؟ ؟ ! فلا أدري من هو وراء هذا التلاعب ؟ !

٢- انظر ((المعترك)) : ١ / ٥٥ .

٣- وهذا الكتاب له اسم آخر وهو : ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) ، وقد طبع هذا الكتاب في قطر ، انظر فهرس المصادر والمراجع .

٤- انظر ص ٣٥٢ وما بعدها .

ثالثاً : كتاب ((الإكليل في استنباط التنزيل))^(١) :

هذا كتاب جمع فيه الإمام السيوطي استنباطات الأئمة للمعاني الكثيرة من آيات القرآن الكريم ، وجمع فيه - أيضاً - استنباطاته واستخراجاته لهذه المعاني ، وهو ليس كتاباً في الإعجاز ولكن السيوطي ذكر في مقدمة الكتاب اشتمال القرآن الكريم على العلوم الدينية والأخروية ، وهو عند السيوطي نوعٌ من أنواع الإعجاز ، حيث إن مقدمة كتاب ((الإكليل)) تكاد تكون هي بنصها الوجه الأول من وجوه الإعجاز في ((معترك الأقران))^(٢) .

وسوف أناقش - إن شاء الله تعالى - كون ذلك من الإعجاز أم لا في الفصل الأول من الباب الثالث^(٣) .

١- الكتاب مطبوع متداول بتحقيق الأستاذ سيف الدين الكاتب ، طبع دار الكتب العلمية ، وهو الآن يحقق في

رسالة ((دكتوراه)) للشيخ عامر العرابي في جامعة أم القرى .

٢- انظر ((الإكليل)) : ١١ - ٢٣ ، و ((معترك الأقران)) : ١ / ١٤ - ٢٧ .

٣- انظر ص ٣٤٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

رابعاً : ((التحجير في علم التفسير)) :

هذا كتاب متوسط الحجم - في علوم القرآن - ألفه السيوطي قبل أن يؤلف كتابه ((الإتقان))^(١) ثم توسع في ((الإتقان)) توسعاً عظيماً فكان كتاب ((التحجير)) كالأصل لكتاب ((الإتقان)).

وقد سرد في ((التحجير)) أنواعاً من علوم القرآن أوردها في ((معترك الأقران)) أوجهاً من وجوه الإعجاز - ولهذا ذكرت هذا المؤلف - ((التحجير)) - ضمن مؤلفات السيوطي في الإعجاز وإلا فالحق أن كثيراً مما أورده في ((المعترك)) لا يعد من الإعجاز - كما سأبين ذلك إن شاء الله حال دراستي للكتاب^(٢) - وهماهي الأنواع التي ذكرها في ((التحجير)) مختصرة وقد وردت في ((معترك الأقران)) أوجهاً من وجوه الإعجاز مفصلة مطوّلة :

- ١ - النوع الأربعون : المُعَرَّب^(٣) .
- ٢ - النوع الحادي والأربعون : المجاز^(٤) .
- ٣ ، ٤ - النوع الرابع والأربعون والخامس والأربعون : المحكم والمتشابه^(٥) .
- ٥ - النوع السادس والأربعون : المشكل^(٦) .
- ٦ ، ٧ - النوع السابع والأربعون والثامن والأربعون : المحمل والمبين^(٧) .
- ٨ - النوع التاسع والأربعون : الاستعارة^(٨) .
- ٩ - النوع الخمسون : التشبيه^(٩) .

١ - انظر مقدمة محقق كتاب ((التحجير)) : ١٢ - ١٣ ، ومقدمة ((الإتقان)) : ١ / ٤ - ٥ فقد سرد فيها أنواع علوم القرآن التي أوردها في ((التحجير)) وذكر سنة تأليف كتاب التحجير وهي سنة ٨٧٢ .

٢ - انظر ص ٣٣٩ - ٣٤٠ .

٣ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٥ - ٢٠٦ ، و ((التحجير)) : ٢٠٠ - ٢٠٢ .

٤ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٦ - ٢٦٨ ، و ((التحجير)) : ٢٠٣ - ٢١٣ .

٥ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٣٦ - ١٦١ ، و ((التحجير)) : ٢١٨ - ٢٢٠ .

٦ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٤ - ١٠٨ ، و ((التحجير)) : ٢٢١ - ٢٢٣ .

٧ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢١٧ - ٢٢٤ ، و ((التحجير)) : ٢٢٤ - ٢٢٥ .

٨ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٦٩ - ٢٨٦ ، و ((التحجير)) : ٢٢٦ - ٢٢٩ .

٩ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٦٩ - ٢٨٦ ، و ((التحجير)) : ٢٣٠ - ٢٣١ .

- ١٠ ، ١١ - النوع الحادي والخمسون والثاني والخمسون : الكناية والتعريض^(١) .
- ١٢ - النوع الثالث والخمسون : العام الباقي على عمومته^(٢) .
- ١٣ - النوع الرابع والخمسون والخامس والخمسون : المخصوص والذي أريد به المخصوص^(٣) .
- ١٥ ، ١٦ - النوع السادس والخمسون والسابع والخمسون : ماخصّ فيه الكتاب السنّة وما خصت فيه السنّة الكتاب^(٤) .
- ١٧ - النوع الثامن والخمسون : المؤول^(٥) .
- ١٨ - النوع التاسع والخمسون : المفهوم^(٦) .
- ١٩ ، ٢٠ - النوع الثاني والستون والثالث والستون : الناسخ والمنسوخ^(٧) .
- ٢١ ، ٢٢ ، ٢٣ - النوع السادس والستون والسابع والستون والثامن والستون : الإيجاز والإطناب والمساواة^(٨) .
- ٢٤ - النوع التاسع والستون : الأشباه^(٩) .
- ٢٥ - النوع الثاني والسبعون : القصر^(١٠) .
- ٢٦ - النوع الثالث والسبعون : الاحتباك^(١١) .
- ٢٧ - النوع الرابع والسبعون : القول بالموجب^(١٢) .

- ١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٨٦ - ٢٩٣ ، و ((التحجير)) : ٢٣٢ - ٢٣٤ .
- ٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ - ٢١٧ ، و ((التحجير)) : ٢٣٥ .
- ٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ - ٢١٧ ، و ((التحجير)) : ٢٣٦ - ٢٣٩ .
- ٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ - ٢١٧ ، و ((التحجير)) : ٢٤٠ - ٢٤٢ .
- ٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٥٣ - ٢٥٤ ، و ((التحجير)) : ٢٤٣ - ٢٤٤ .
- ٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٢٤ - ٢٢٨ ، و ((التحجير)) : ٢٤٥ - ٢٤٨ .
- ٧- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٨ - ١٣٦ ، و ((التحجير)) : ٢٥١ - ٢٦٠ .
- ٨- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٩٣ - ٣٧٣ ، و ((التحجير)) : ٢٦٤ - ٢٧٠ .
- ٩- أي الآيات المتشابهة ، وانظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٨٥ - ٩٤ ، و ((التحجير)) : ٢٧١ - ٢٧٣ .
- ١٠- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨١ - ١٩٤ ، ٣٠٤ ، و ((التحجير)) : ٢٧٨ - ٢٨١ .
- ١١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٢٣ ، وقد حُذِفَ أول هذا النوع بالخط الطباعي الذي حصل في الصفحات وسأشير إلى ذلك في الدراسة إن شاء الله ، وانظر ((التحجير)) : ٢٨٢ - ٢٨٤ .
- ١٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦١ - ٤٦٢ ، و ((التحجير)) : ٢٨٥ - ٢٨٦ .

- ٢٨ - النوع الخامس والسبعون : المطابقة^(١) .
- ٢٩ - النوع السادس والسبعون : المناسبة^(٢) .
- ٣٠ - النوع السابع والسبعون : المجانسة^(٣) .
- ٣١ ، ٣٢ - النوع الثامن والسبعون والتاسع والسبعون : التورية والاستخدام^(٤) .
- ٣٣ - النوع الثمانون : اللفّ والنشر^(٥) .
- ٣٤ - النوع الحادي والثمانون : الالتفات^(٦) .
- ٣٥ - النوع الثاني والثمانون : الفواصل والغايات^(٧) .
- ٣٦ - النوع السادس والثمانون : مفردات القرآن^(٨) .
- ٣٧ - النوع السابع والثمانون : الأمثال^(٩) .
- ٣٨ ، ٣٩ - النوع الثامن والثمانون والتاسع والثمانون : آداب القارئ والمقري^(١٠) .
- ٤٠ - النوع الخامس والتسعون : تسمية السور^(١١) .
- ٤١ - النوع السابع والتسعون : الأسماء^(١٢) .
- ٤٢ ، ٤٣ - النوع الثامن والتسعون والتاسع والتسعون : الكنى والألقاب^(١٣) .
- ٤٤ - النوع المائة : المبهمات^(١٤) .

-
- ١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤١٤ - ٤١٥ ، و ((التحبير)) : ٢٨٧ - ٢٨٨ .
- ٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤١١ - ٤١٢ ، و ((التحبير)) : ٢٨٩ - ٢٩١ .
- ٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٩٩ - ٤٠٢ ، و ((التحبير)) : ٢٩٢ - ٢٩٥ .
- ٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٤ - ٣٧٧ ، و ((التحبير)) : ٢٩٦ - ٢٩٧ .
- ٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٠٨ - ٤١٠ ، و ((التحبير)) : ٢٩٨ .
- ٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٧ - ٣٨٥ ، و ((التحبير)) : ٢٩٩ - ٣٠٢ .
- ٧- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٩ - ٤٨ ، و ((التحبير)) : ٣٠٣ - ٣٠٤ .
- ٨- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٧٢ - ٤٨٣ ، و ((التحبير)) : ٣١٠ - ٣١٣ .
- ٩- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٤ - ٤٧١ ، و ((التحبير)) : ٣١٤ - ٣١٦ .
- ١٠- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٢٣ - ١٣١ ، و ((التحبير)) : ٣١٧ - ٣٢٢ .
- ١١- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٣٦ - ٢٤٦ ، و ((التحبير)) : ٣٦٨ - ٣٧٠ .
- ١٢ ، ١٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٢ - ٥١٤ ، وانظر ((التحبير)) : ٣٧٨ - ٣٩٠ .
- ١٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٤ - ٥١١ ، و ((التحبير)) : ٣٩١ - ٤٣٦ .

خامساً : كتاب ((الخصائص الكبرى)) أو ((كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب)) صلى الله عليه وسلم :

قد أورد السيوطي بعض مباحث الإعجاز في كتابه هذا في ثلاثة مواضع :

الموضع الأول : باب إعجاز القرآن ، واعتراف مشركي قريش بإعجازه ، وأنه لا يشبه شيئاً من كلام البشر ، ومن أسلم لذلك .

أورد السيوطي في هذا الباب بعض الآثار التي ذكرت اتهام مشركي قريش الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - بالسحر ، وأورد أيضاً بعض الآثار التي تبين عجزهم وانقطاعهم حال سماعهم القرآن .

ثم أورد فصلاً في إثبات الإعجاز للقرآن ، ذكر فيه عدداً من وجوه الإعجاز : قد ذكرها في ((المعتك)) ، وهي :

١ - ((حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحته ، ووجوه إعجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن))^(١) .

٢ - ((ومنها صورة نظم العجيب والأسلوب الغريب المخالف لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها))^(٢) .

٣ - ((ومنها ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات وما لم يكن فوجد كما ورد))^(٣) .

١ - ٢ ، انظر ((الخصائص)) : ١ / ٢٨٩ ، ((ومعتك الأقران)) : ١ / ٢٧ - ٥٤ .

٣ - انظر ((الخصائص)) : ١ / ٢٩٠ ، و ((معتك الأقران)) : ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٤ - ((ومنها ما أنبأ به من أخبار القرون الماضية والشرائع السالفة))^(١) .

٥ - ومنها ماتضمنه من الأخبار عن الضمائر كقوله تعالى :

﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾^{(٢) (٣)} .

٦ - ((ومنها آيٌ وردت بتعجيز قوم في قضايا وإعلامهم أنهم لا يفعلونها ، فما

فعلوا ولا قدروا : كقوله في اليهود ﴿ وَلَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا ﴾^{(٤) (٥)} .

٧ - ((ومنها ترك المعارضة مع توفر الدواعي وشدة الحاجة))^(٦) .

٨ - ((ومنها الروعة التي تلحق قلوب سامعيه عند سماعهم ، والطيبة التي تعزيهم عند سماع تلاوته))^(٧) .

٩ - ((ومنها أن قارئه لا يملُّه ، وسامعه لا يملحه))^(٨) .

١٠ - ((ومنها كونه آية باقية لا يُعدم مابقيت الدنيا مع تكفل الله بحفظه))^(٩) .

١- انظر ((الخصائص)) : ١ / ٢٩٠ ، و ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٠ - ٢٤١ .

٢- سورة آل عمران : آية ١٢٢ .

٣- ((الخصائص)) : ١ / ٢٩٠ .

٤- سورة البقرة : آية ٩٥ .

٥- ((الخصائص)) : ١ / ٢٩٠ .

٦- المصدر السابق .

٧- المصدر السابق ، وانظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٤ .

٨- المصدر السابق : ١ / ٢٩١ ، وانظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

والمج معناه اللفظ والترك ، انظر ((لسان العرب)) : مجمع .

٩- ((الخصائص)) : ١ / ٢٩١ ، وانظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ .

١١ - ((ومنها جمعه لعلوم ومعارف لم يجمعها كتاب من الكتب ولا أحاط بعلمها أحد في كلمات قليلة وأحرف معدودة))^(١) .

١٢ - ((ومنها جمعه بين صفتي الجزالة والعدوية ، وهما كالمضادين لا يجتمعان في كلام البشر غالباً))^(٢) .

١٣ - ((ومنها جعله آخر الكتب غنياً عن غيره ، وجعل غيره من الكتب المتقدمة قد تحتاج إلى بيان يُرجع فيه إليه ، كما قال تعالى :
﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَفُضُّ عَلَىٰ بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾^(٣)))^(٤) .

وهذه الأوجه - كما أشرت في الهامش - مذكور أكثرها بتوسيع في كتاب ((معترك الأقران)) .

وقد نقل السيوطي - رحمه الله تعالى - الأوجه الأربعة الأولى ، والوجه السادس والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر ، نقل تلك الأوجه بالنص تقريباً من ((شفاء)) القاضي عياض^(٥) ، وقد أشار لذلك إشارة مبهمـة^(٦) .

وأورد الوجه الخامس والثاني عشر والثالث عشر من ((برهان)) الزركشي ، نقلاً بالنص مع عدم الإشارة لنقله منه^(٧) .

١- المصدر السابق : ٢٩١ / ١ ، وانظر ((معترك الأقران)) : ١٤ / ١ - ٢٤ .

٢- ((الخصائص)) : ٢٩١ / ١ .

٣- سورة النمل : آية ٧٦ .

٤- ((الخصائص)) : ٢٩١ / ١ .

٥- انظر بالترتيب : ((الشفاء)) : ١ / ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ٣٧٥ ، ٣٧٩ ، ٣٨٢ ، ٣٨٤ ، ٣٨٩ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ .

٦- انظر ((الخصائص الكبرى)) : ٢٩١ / ١ .

٧- انظر ((البرهان)) بالترتيب : ٢ / ٩٦ ، ١٠٧ .

ثم إن السيوطي - رحمه الله تعالى - فصل ، في كتاب ((الخصائص)) ،
في وجوه إعجاز القرآن بعملية حسابية فبلغت تلك الوجوه عشرات الألوف ،
وبيان ذلك أنه قال :

((قال القاضي عياض : إذا عرفت ما ذكر من وجوه إعجاز القرآن عرفت أنه
لا يُحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر ؛ لأنه - صلى الله عليه وسلم
- قد تحدى بسورة منه فجزوا عنها ، قال أهل العلم : وأقصر السور ﴿ إِنَّا
أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴾ ، فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ، ثم
فيها نفسها معجزات على ما سبق .

قلت : وإذا عددت كلمات سورة الكوثر وجدتها بضع عشرة كلمة ، وقد عد قوم
كلمات القرآن سبعا وسبعين ألف كلمة وتسعمائة وأربعا وثلاثين ، فالقدر المعجز
منه يكون في العدد نحو سبعة آلاف تقريباً^(١) تضرب في ثمانية أوجه : الأولان
والسابع والثامن والتاسع والعاشر والحادي عشر والثاني عشر^(٢) تبلغ ستاً وخمسين
ألف معجزة ، ثم ينضم إلى ذلك في بعضه من الوجه الثالث والرابع والخامس
والسادس جملة وافرة فتصل معجزات القرآن بذلك إلى ستين ألف معجزة أو
أكثر^(٣) .

الموضع الثاني^(٤) :

((باب اختصاصه - صلى الله عليه وسلم - بأن كتابه معجز ومحفوظ من
التبديل والتحريف على مرّ الدهور ، وجامع لكل شيء ، ومستغنٍ عن غيره ،
ومشتمل على ما اشتملت عليه جميع الكتب وزيادة ، وميسر للحفظ ، ونزل

١- وذلك بقسمة عدد كلمات القرآن على عدد كلمات سورة الكوثر .

٢- وهي بعض الأوجه التي أوردها في كتابه ((الخصائص الكبرى)) وذكرتها آنفاً .

٣- ((الخصائص الكبرى)) : ١ / ٢٩٢ .

ولا يخفى ما في ذلك من التكلف الذي ينزه عنه إعجاز القرآن ، والله أعلم .

٤- أي من المواضع التي ذكر فيها إعجاز القرآن في كتابه ((الخصائص الكبرى)) .

منجماً^(١) ، ونزل على سبعة أحرف ، ومن سبعة أبواب^(٢) ، وبكل لغة^(٣) .

ثم أتى بطائفة من الآيات والأحاديث والآثار التي تدل على عنوان الباب .

الموضع الثالث :

باب : ((واختصّ بأن معجزته مستمرة إلى يوم القيامة ، وهي القرآن ، ومعجزات سائر الأنبياء انقرضت لوقتها ، وبأنه أكثر الأنبياء معجزات ...))^(٤) .

هذا ما وجدته من الكلام على الإعجاز في كتاب ((الخصائص)) ، والله أعلم .

١- أي مفرقاً ، انظر ((لسان العرب)) : ن ج م .

٢- يشير إلى الحديث : ((نزل الكتاب الأول من باب واحد على حرف واحد ، ونزل القرآن من سبعة أبواب على سبعة أحرف : زاجراً ، وآسراً ، وحلالاً ، وحراماً ، وعكماً ، ومتشابهاً ، وأمثالاً ...)) .
والحديث أخرجه الحاكم وغيره عن ابن مسعود - رضي الله عنه - وقال الحاكم : صحيح الإسناد ووافقه الذهبي ، انظر ((المستدرک)) : ١ / ٧٣٩ .

٣- ((الخصائص الكبرى)) : ٣ / ١٢٧ - ١٣١ .

٤- المصدر السابق : ٣ / ١٣١ .

سادساً : كتاب ((قطف الأزهار في كشف الأسرار))^(١) .

هذا كتاب صنفه الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - لتوضيح أسرار المناسبات بين الآيات بعضها ببعض ، وأسرار المناسبات بين السور أيضاً .

وقد ذكر أن كتابه حوى جميع الأوجه التي قيلت في الإعجاز القرآني ، فقال في ((معترك الأقران)) :

((الوجه الرابع : مناسبة آياته وسوره ، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ، متسقة المعاني ، منتظمة المباني .

وقد ألف علماءنا في أسرارها تواليف كثيرة ... وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات مع ماتضمنه مرتباً من جميع وجوه الإعجاز ، وأساليب البلاغة ، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سميته : ((تناسق الدرر في تناسب السور))^(٢)

لكنني تصفحت هذا الكتاب - ((قطف الأزهار)) - فلم أجد فيه كلاماً عن وجوه الإعجاز ، إنما قال الإمام السيوطي في مقدمة الكتاب : ((وهذا كتاب ... أذكر فيه جميع ماوصل إلى علمي من كلام العلماء في النظم القرآني : من أسرار التقديم والتأخير ، والتأكيد والحذف ... والنكت البيانية ... وسر ما اختلفت فيه الآيات المتشابهة من تقديم أو تأخير ، أو زيادة أو نقص أو

١- قد سماه بهذا الاسم في ((الإتيان)) : ١١٥/٢ لكن في ((معترك الأقران)) : ٥٥/١ لم يسمه وإنما ذكر

موضوعه فقط ، وانظر نص كلامه عنه في متن هذه الصفحة .

واشتهر هذا الكتاب باسم ((أسرار التنزيل)) ، انظر ((دليل مخطوطات السيوطي)) : ٣٠ ، وانظر ((مكتبة

الجلال السيوطي)) : ٢٧٦ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٥٤/١ - ٥٥ .

إبدال كلمة بأخرى ... وأنه على القراءات المختلفة ... وأبين مناسبة ترتيب السور ،
والخفي من مناسبات الآيات إلى غير ذلك من النكت والأسرار))^(١) .

هذا ولم أجد في الكتاب كلاماً على أوجه الإعجاز ، والكتاب لم يتمه
مصنفه إنما وصل فيه إلى أثناء سورة التوبة فقط^(٢) ، فلعله أراد الكلام على وجوه
الإعجاز في مظانها من سورة يونس وهود والإسراء .

١- ((قطف الأزهار)) : ٩٨-٩٥/١ .

٢- انظر مقدمة تحقيق ((قطف الأزهار)) : ٨٥/١ .

سابعاً : كتاب ((مُفَحِّمَاتُ الْأَقْرَانِ فِي مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ)) :

قد ذكر السيوطي ، رحمه الله تعالى ، في ((معترك الأقران)) في الوجه الثالث والثلاثين من وجوه إعجازه - وهو : ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها - ذكر أن له تأليفاً لطيفاً في هذا الموضوع^(١) ، وتأليفه الذي أشار إليه هو كتاب ((مُفَحِّمَاتُ الْأَقْرَانِ)) أورد فيه جميع مبهمات الأشخاص والأماكن والأزمنة والحيوانات إلخ ... مرتبة على سور القرآن الكريم .

والسيوطي - رحمه الله تعالى - قد لخص الكلام على المبهمات في ((المعترك)) من كتابه ((مُفَحِّمَاتُ الْأَقْرَانِ فِي مَبْهَمَاتِ الْقُرْآنِ)) على النحو التالي :

أولاً : نقل أسباب الإبهام إلى ((المعترك)) نقلاً حرفياً من ((مفحّمات الأقران))^(٢) .

ثانياً : أورد في ((المعترك)) بحثاً موضوعه : هل يُبحث عن المبهّم أم لا ؟ أورده بالنص من ((مفحّمات الأقران))^(٣) .

ثالثاً : ثم إنه ذكر بعض ما أبهم في القرآن ملخصاً من كتاب ((مفحّمات الأقران))^(٤) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٤ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٤ - ٤٨٥ ، و ((مفحّمات الأقران)) : ٩ - ١٠ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٥ - ٤٨٦ ، و ((مفحّمات الأقران)) : ٨ (الفقرة الثالثة) - ٩ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٦ - ٥١٠ ، و ((مفحّمات الأقران)) : ١٠ - ١٢٣ .

وأنا لأوافقـه على ما صنعه من إيراد المبهـمات وجهاً من أوجه الإعجاز ،
كما سأين ذلك في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى^(١) .

هذا ما وجدته من آثار السيوطي - رحمه الله تعالى - في إعجاز القرآن
العظيم مبثوثاً في كتبه ، وكثير منها لا يعد من الإعجاز ، كما أسلفت ،
والله أعلم .

١- انظر ص ٣٩٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

المبحث الرابع : منزلته العلمية ، وأقوال العلماء فيه ، وتحقيق ذلك :

الإمام السيوطيّ إمام كبير من أئمة العلم - رحمه الله تعالى - ويكفي أنه صنّف في علوم شتى مبسوطاتٍ وكتباً استفاد منها العلماء قديماً وحديثاً غاية الاستفادة ، ويكفي - أيضاً - أن كثيراً منها هو من الأصول التي تقوم عليها الدراسات العليا في فروع متنوعة من العلوم الشرعية والعربية ، نحو ((الإتيان في علوم القرآن)) و ((الدرّ المنثور في التفسير بالمأثور)) ، و ((تدريب الراوي شرح تقريب النواوي)) في علوم الحديث ، و ((المزهر في علوم اللغة وآدابها)) إلخ ...

وهذه الكتب - ومثيلاتها من كتبه - مطبوعة متداولة مشهورة .

وقد حفظ الله سبحانه وتعالى بكتبه كثيراً من العلم ؛ فكم من كتاب قد فقد أو هو في حكم المفقود الآن قد ضمّنه السيوطيّ أحد كتبه الكثيرة .

وقد كان لتأخر زمن السيوطيّ - رحمه الله تعالى - أثر مهم في جمعه وتمحيصه لأقوال أئمة العلم واعتناؤه بها ، وهي ميزة ظاهرة في جميع كتب السيوطيّ المتداولة تقريباً ، وإذا عُدّ السيوطيّ آخر الأئمة الحفاظ الكبار - وهذا هو الصحيح^(١) - فإننا ندرك بهذا أهمية كتبه ورجاحتها في ميزان النقد العلميّ .

ويبقى الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - بعد هذا كلّه بشراً يصيب ويخطئ كما يصيب البشر ويخطئون ، وهو بهذا لم يخرج عن سنن العلماء ، ولم يجد عن نهج الفضلاء الكبراء ، ولَعَمْرُ الحقّ إنه لأحد فحول العلماء

١ - لأن من جاء بعده - ومن أبرزهم شيخ الإسلام المعمر زكريّا الأنصاري (ت ٩٢٦) - لم يبلغوا ، والله أعلم ،

مبلغه في العلم ، ولا أحاطوا به حيطة السيوطي رحمه الله تعالى .

التأخرين ، وأين مثله اليوم في اتساع دائرته في العلم وإحاطته بجملة وافرة من علوم الشرع وعلوم عصره الأخرى ؟ رحمه الله تعالى ورضي عنه .

وقد امتدحه كثير من العلماء والفضلاء وأثنوا عليه وأقروا له بالعلم والإمامة^(١) .

لكنّ العالم لا يسلم من النقد خاصة من أقرانه ((فإنّ السخاوي^(٢) في ((الضوء اللامع))^(٣) - وهو من أقرانه - ترجمه ترجمة مظلمة غالبها ثُلُبُ فظيعة ، وسبُّ شنيع ، وانتقاصٌ وغمطٌ لئاقبه تصريحاً وتلويحاً))^(٤) .

((وهو غير مقبول عليه لما عرفت من قول أئمة الجرح والتعديل بعدم قبول الأقران^(٥) في بعضهم بعضاً مع ظهور أدنى منافسة ، فكيف يمثل المنافسة بين هذين الرجلين))^(٦) .

١- مثل تلميذه الشيخ محمد بن علي الداودي ، وعبد الوهاب الشعراني في ((الطبقات الصغرى)) ، والشيخ محيي الدين العبدروسي في ((النور السافر)) ، وابن العماد الحنبلي في ((شذرات الذهب)) ، ونجم الدين الغزي في ((الكواكب السائرة)) ، وغيرهم كثير قديماً وحديثاً .

٢- هو الشيخ الإمام العلامة الرحلة الحافظ أبو عبد الله شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي القاهري الشافعي . ولد سنة ٨٣١ . حفظ القرآن وهو صغير ، وحفظ عدة متون ، وعرضها على مشايخ عصره ، وبلغ من أخذ عنه أكثر من ٤٠٠ شيخ ، واختصّ بشيخ الإسلام ابن حجر وكان يحبه ويثني عليه . وله مصنفات كثيرة . توفي سنة ٩٠٢ بالمدينة الشريفة بعد مجاورة فيها زمناً . انظر ((النور السافر)) : ١٦ - ٢١ .

٣- انظر أقوال الإمام السخاوي في الإمام السيوطي في ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٥ - ٧٠ ، وانظر تنقيده الشوكاني بعض أقوال الإمام السخاوي في ((البدر الطالع)) : ١ / ٣٣٢ - ٣٣٤ .

٤- ((البدر الطالع)) : ١ / ٣٢٩ .

٥- كذا في المطبوع ، ويتوجه بإضافة (قول) أو نحوه .

٦- ((البدر الطالع)) : ١ / ٣٣٣ .

ومن تنقّص السيوطي أيضاً من علماء عصره : ابن الكركي ، والجوهرى ، وأبو النجا بن خلف وغيرهم ، انظر ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٩ - ٧٠ .

وقد أدت دعوى السيوطي الاجتهاد - بالإضافة إلى بعض أشياء أخرى ذكرها السخاوي^(١) - إلى تحامل بعض العلماء عليه وتنقيصه حقّه^(٢) ، وقد ناقشهم السيوطي في مواضع عديدة من كتبه^(٣) ، وخصّ للرد عليهم كتابه : ((الرد على من أخلد إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض))^(٤).

والتحقيق أن السيوطي - رحمه الله تعالى - خليقٌ بالاجتهاد الذي ادّعاه^(٥) ، ومن يجتهد إذا لم يجتهد مثل السيوطي ؟ لكن الرجل قويُّ الحجة ، سليل اللسان قد نال من خصومه في مواضع كثيرة^(٦) كما نالوا منه ، ولو لاينهم لكان علمه وقدره موضع إجماع من علماء عصره .

كما أن السيوطي - والحق يُقال - أوسع دائرة في العلم من كل من عاصره ، وأكثر تصنيفاً ، وأقوى إدلاءً بحجته ، كما تشهد بذلك آثاره .

وقد كان السخاوي - رحمه الله تعالى - إماماً عالماً بل يكاد يجاري السيوطي في كثير من فروع العلم والمعرفة ، وإن كان السيوطي - في تقديري - أعلى درجة منه في العلم وأوسع معرفة ماعدا علم الحديث فإن السخاوي قد تفرد

١- تُنظر في ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٥ - ٧٠ .

٢- انظر ((البدر الطالع)) : ١ / ٣٣٤ .

٣- انظر ((مسالك الحنفا)) ضمن ((الحاروي للفتاوى)) : ٤٣٨ - ٤٣٩ ، و ((المقامة اللؤلؤية)) ضمن ((شرح مقامات السيوطي)) : ٢ / ٩٩٦ وما بعدها ، و ((طُرُرُ العمامة)) ضمن ((شرح مقامات السيوطي)) : ٢ / ٦١٦ وما بعدها .

٤- الكتاب مطبوع متداول .

٥- التزم السيوطي - في اجتهاده - ألا يخرج عن أصول الإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - فهو ليس اجتهداً مستقلاً ، انظر ((الرد على من أخلد إلى الأرض)) : ١١٦ .

٦- انظر ((الاستنصار بالواحد القهار)) و ((الدوران الفلكي على ابن الكوكبي)) و ((الفارق بين المصنف والمارق)) و ((الكاوي في تاريخ السخاوي)) ، وغيرها من الردود على علماء عصره في كتاب ((شرح مقامات السيوطي)) : ٢٢٥ ، ٣٧٠ ، ٨١٨ ، ٩٣٣ على التوالي .

بمعرفة عدد من أنواعه على وجه الكمال خاصّة علل الحديث ، كما تفرد السيوطي بحفظ المتن^(١) .

ولعل ذلك مرده أن السيوطي عاش بعد السخاوي قرابة عشر سنوات ، ولأن السيوطي اعتزل الناس في وقت مبكر وتفرغ للعلم ، كما سيأتي في المبحث القادم ، إن شاء الله تعالى .

وعلى كل حال فإن ماجرى بين الإمام السيوطي والإمام السخاوي وغيره إنما مرده إلى المعاصرة والمنافسة بين الأقران ، وهو مما لا ينبغي أن يكون لكن هذه محنة تجري بين الأقران منذ زمن السلف إلى يومنا هذا ؛ وإن ظهرت حادة قاسية بين الإمام السيوطي ومعاصريه .

وقد عادت هذه المنافسة على العلم بخير عميم ؛ إذ حرر كل إمام من المتنافسين المتعاصرين كثيراً من مسائله ، وألّف مؤلفات وردود ، وقام كل منهم بالبحث والتنقيب في بطون الكتب والدفاتر ، وانتصر كل فريق لرأيه بالأدلة ، فعاد كل ذلك على الحركة العلمية في أواخر القرن التاسع وأوائل العاشر بخير كبير ، ورُبّ ضارة نافعة .

١ - انظر ((النور السافر)) : ١٩ - ٢١ ، ٥٧ و ((دليل مخطوطات السيوطي)) : ٢١ - ٢٢ .

المبحث الخامس : اعتزاله الفتيا والتدريس ، ووفاته :

كانت حياة الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - حافلة بطلب العلم والشَّغف به ، والتصنيف فيه ، وقد خالط الناس تعلماً وتعليماً وإفتاءً ، وتولى مناصبَ علميةً متوسطة الأهمية ، وهي :

١ - تدريس الحديث بالمدرسة الشيعونية^(١) .

وقد قرّره في هذه الوظيفة شيخه محمد بن سليمان الكافيجي^(٢) .

٢ - تولى مشيخة الخانقاه البيرسية^(٣) .

١ - انظر ((الضوء اللامع)) : ٤ / ٦٧ .

و (الشيعونية) مدرسة في القاهرة : نسبة إلى الأمير سيف الدين شيخو الناصري ، أحد أمراء المماليك في مصر ، تنقل في الوظائف حتى صار زمام الدولة بيده فساسها أحسن سياسة بسكون وعدم شر فعظم شأنه ، ثم جرت له أمور حُبس من أهلها وامتنح ، ثم أفرج عنه وعادته إليه مكاتته وعظمته ، ثم ضرب بالسيف غيلةً وتأثر من جراحه فمات سنة ٧٥٨ ، رحمه الله تعالى .

انظر ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) : ٢ / ٣١٣ - ٣١٤ .

أما المدرسة المنسوبة إليه فهي ضمن الخانقاه الذي بناه في القاهرة سنة ٧٥٦ .

والخانقاه ((كلمة فارسية ، وتعني محلاً للتعبد والتزهد والبعد عن الناس ، ومعنى بيت أيضاً ، دخلت هذه الكلمة العربية منذ انتشر التصوف فهي كالدير في النصرانية)) : ((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)) : ٦٦ . وقد ذكر المقرئ أن الخوانق حدثت في الإسلام في حدود الأربعمئة من سني الهجرة ، وهي تنطق بالقاف والكاف ، انظر ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) : ٢ / ٤١٤ .

وهذه الخانقاه بنيت على مساحة كبيرة وبها حمامان وعدة حوانيت ((يعلوها بيوت لسكنى العامة ، ورتّب بها دروساً عدة منها أربعة دروس لطوائف الفقهاء الأربعة ... ودرساً للحديث النبوي ، ودرساً لإقراء القرآن بالروايات السبعة [كذا] وجعل لكل درس مدرساً وعنده جماعة من الطلبة ، وشرط عليهم حضور الدرس وحضور وظيفة التصوف ... ووقف عليها الأوقاف الجليلة فعظم قدرها ... وتخرج بها كثير من أهل العلم ...)) انظر ((المواعظ والاعتبار)) : ٢ / ٤٢١ .

٢ - ((التحدث بنعمة الله)) : ٢٤٤ .

٣ - نسبة إلى بانيها الملك المظفر ركن الدين بيّرس بن عبد الله الجاشنكير المنصوري ، السلطان المملوكي . أصله من ممالك الملك المنصور قلاوون وعتقائه . وتنقل في الخدم حتى صار من جملة الأمراء بالديار المصرية ، ثم تولى السلطنة بالديار المصرية سنة ٧٠٨ . وكان ملكاً ثابتاً ، كثير السكون والوقار ، جميل الصفات يرجع إلى خير ودين ومعروف . قتل في فتنه سنة ٧٠٩ ، رحمه الله تعالى .

٤ - قاضي القضاة في ممالك الإسلام كلها :

وهي وظيفة لم يهنا بها الإمام السيوطي رحمه الله تعالى ، حيث عينه ((الخليفة المتوكل على الله عبد العزيز^(٢)) بوظيفة لم يُسمع بها قط ، وهو أنه جعله على سائر القضاة قاضياً كبيراً يولي منهم من شاء ويعزل من شاء مطلقاً في سائر ممالك الإسلام ، وهذه الوظيفة لم يُلها^(٣) قط سوى

= انظر ((المنهل الصافي)) : ٣ / ٤٦٧ - ٤٧٣ .

وهذه الخانقاه هي ((أحل خانقاه بالقاهرة بنياناً ... بناها الملك المظفر ركن الدين بيبرس الجاشنكير المنصوري قبل أن يلي السلطنة وهو أمير ، فبداً في بنائها سنة ٧٠٦ وبني بجانبها رباطاً كبيراً ... ولما شرع في بنائها رفع بالناس ولاطفهم ، ولم يُعسف فيها أحداً في بنائها ، ولا أكره صانعاً ، ولا غصب من آلاتها شيئاً ... ولما كملت في سنة ٧٠٩ قرر بالخانقاه ٤٠٠ صوفي وبالرباط مائة من الجند وأبناء الناس الذين قعد بهم الوقت ، وجعل بها مطبخاً ... ووقف عليها عدة ضياع ...)) ثم جرى عليها حوادث كثيرة بعد مقتل بانيها ، وانظر ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) : ٢ / ٤١٦ - ٤١٧ .

١- هو برقوق بن أنص ، سلطان المماليك بمصر . أخذ من بلاد الجركس وبيع ببلاد القرم ، وحُلب إلى القاهرة فاشتره الأمير يُلُغا الخاصكي وأعتقه ، وتنقلت به الأحوال والوظائف حتى تسلطن سنة ٧٨٤ ، وجرى له حوادث في سلطنته ولكنه ثبت سلطاناً حتى توفي سنة ٨٠١ . وقام من بعده ابنه ، انظر ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) : ٢ / ٢٤١ .

وقال ابن تغري بردي : ((هو أعظم ملوك الجراكسة بلا مدافعة بل المتعصب يقول : إنه هو أعظم ملوك الترك قاطبة)) : ((المنهل الصافي)) : ٣ / ٣٤٢ .

وكان تربة برقوق هذه هي مدرسته التي أنشأها سنة ٧٨٨ ، وأمر ((بأن تنقل رسم أولاده ووالده أنص من موضع فدنههم إلى الفسقية بها ... ونزل الملك الظاهر برقوق من القلعة بأمراته وعسكره إلى المدرسة المذكورة ، وحضرت القضاة والأعيان ، ثم مُدت الخلاوات والفواكه ... ثم خلع على العلامة علاء الدين السمرامي وجعله شيخ الصوفية بها ومدرس السادة الحنفية ...)) ((المنهل الصافي)) : ٣ / ٢٨٨ - ٢٨٩ .

فقوله : ((جعله شيخ الصوفية بها)) يدل على أن لهذه المدرسة مشيخة تصوف وهي التي تولأها السيوطي بعد ذلك ، وسميت ((تربة برقوق)) لأن بها قبر والده وأولاده ، ولعل برقوقاً نفسه دفن فيها كما هي العادة .

٢- هو الخليفة عبد العزيز بن يعقوب بن محمد ، المتوكل على الله . من خلفاء الدولة العباسية الثانية بمصر . كان محمود المناقب كفواً للخلافة ، وافر العقل ، شديد الرأي ، له اشتغال بالعلم ، متواضع ، كثير العشرة للناس . توفي سنة ثلاث وتسعمائة . انظر ((الأعلام)) : ٤ / ٢٩ .

٣- في الأصل : يليها وهو خطأ .

القاضي تاج الدين ابن بنت الأعز^(١) في دولة بني أيوب ، فلما بلغ القضاء ذلك شقّ عليهم ، واستحقّوا عقل الخليفة على ذلك ، وقالوا ليس للخليفة مع وجود السلطان حلّ ولا ربط ولا ولاية ولا عزل ، ولكن الخليفة استخفّ بالسلطان لكونه حديث السن ... فلما قامت الدائرة ... على الخليفة رجّع عن ذلك وقال : إيش كنت أنا ؟ ! الشيخ جلال الدين هو الذي حسّن لي ذلك وقال : هذه كانت وظيفة قديمة وكانت الخلفاء يولونها لمن يختارونه من العلماء ، ثم أشهدوا على الخليفة بالرجوع عن ذلك . وبَعَثَ أَخَذَ العهد الذي كان كتبه للشيخ جلال الدين السيوطي ، وكادت أن تكون فتنة كبيرة بسبب ذلك ، ووقع أمور يطول شرحها حتى سكن الحال بعد مدة^(٢) .

اعتزال السيوطي الناس :

قد ابتدأ السيوطي الإفتاء وعمره اثنتان وعشرون سنة ، وإملاء الحديث وعمره ثلاث وعشرون سنة^(٣) ، وظلّ كذلك مفتياً ومدرّساً أمداً من الزمان حتى بدا له أن ينقطع عن الطلبة والمستفتين ، وألف مقامة في هذا سماها :

((المقامة اللولوية)) ، أو ((التنفيس في الاعتذار عن ترك الإفتاء والتدريس)) فكان مما قاله فيها :

١ - عبد الوهاب بن خلف بن بدر العلّامي ، قاضي القضاء ، تاج الدين ، أبو محمد ابن بنت الأعز . ولد سنة أربع عشرة وستمئة ، وتوفي سنة خمس وستين وستمئة . كان إماماً فاضلاً متبحراً ، ولي المناصب الجليلة في الديار المصرية كنظر الدواوين والوزارة والقضاء ، ودرّس ، وتقدم في الدولة ، وكانت له الحرمة الوافرة عند الظاهر بيبرس . كان ذا ذهن ناقب وجِدٍّ وسَعَدَ وعزم مع النزاهة المفرطة والصلابة في الدين ، والتنشيت في الأحكام : ((الوافي بالوفيات)) : ١٩ / ٣٠٠ - ٣٠٢ . وكان هذا القاضي آخر القضاء على هذه الشاكلة من التفرد في القضاء ؛ إذ صار القضاء في آخر عهده ومن بعده منقسماً إلى أربعة أقسام بحسب المذاهب الأربعة ، وقد جرى هذا بسبب حادثة وقعت ، انظر ((الوافي)) : ١٩ / ٣٠١ .

٢ - ((بدائع الزهور في وقائع الدهور)) : ٣ / ٣٣٩ .

٣ - ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٨ .

((أليس هذا زمانَ الصبر ، الصابر فيه كقابض على الجمر ، رأينا فيه ما
أنذر به الرسول ، وصحت به الأحاديث والنقول ، لكل سئول ، من آيات
وعلامات ، ما كانت تقع فيما مضى مناماتٍ ... ومانن آية منها إلا وقد أمر
النبي - عليه الصلاة والسلام - بأن يلزم العالم عندها خاصة نفسه ، ويجلسَ
في بيته ، ويسكت ويدعُ العوام ، من ذلك : الشُّحُّ المطاع ، ودنيا مؤثرة ...
قلَّ الائتلاف ، وكُذِّبَ الصادق ، وصدَّق الكاذب ... وتكلم الرجلُ التافه في
أمر العامة ... ووليَّ الدينَ غيرَ أهله ... هذه إمارات وردت في أحاديث صحاح ،
وآيات جاءت بها سنن أضواء من فلق الصباح ، وأرشدنا نبينا الهادي ، صلى
الله عليه وسلم ماراح رائحٌ وغدا غادي ، إلى أننا إذا رأينا ذلك قد وقع ...
فلنجلس في البيوت ولنلزم السكوت ... وكم من عالم قبلي قد قبل هذه
الوصية إذ رأى ماليس له به قِبَل ، وترك الإقراء والإفتاء وأقبل على خاصة
نفسه والعمل ، وقد اقتديت بهم ، ونعم القدوة ... طالما قطعت نهاري في
التدريس والإفتاء ، واستغرقت أوقاتي في نفع الناس وقتاً فوقتاً ، ولم أسلم على
ذلك ممن يُوليبي أذى ومقتاً ، ويرميني كذبا وبُهتاً))^(١) .

ثم ذكر بعد ذلك أنواع الطلبة الذين درسوا عليه وأحوالهم معه ، ويَبين كثرة
فتاويه وشيوعها في أنحاء الأرض^(٢) .

ثم أطلال في ذكر أحوال طلبة العلم في عصره وتعالَم كثير منهم^(٣) .

ثم قال :

((فلما رأيت نظام العلم قد فسد ، وسوق الفضل قد كسد ، ووقع التساوي ،
وياليتَه بل التقديم للهَرَّ على الأسد ... رأيت أن أدعُ العامة وأمرها ... فتركت

١ - ((المقامة اللولوية)) ضمن ((شرح مقامات السيوطي)) : ٢ / ٩٩٦ - ١٠٠١ .

٢ - المصدر السابق : ١٠٠١ - ١٠٠٦ .

٣ - المصدر السابق : ١٠٠٦ - ١٠٣٢ .

التدريس والإفادة ، والإبداء والإعادة ، ولم أبلغ أحداً رام مني شيئاً من ذلك مراده))^(١) .

وقال أيضاً معتذراً عن الإفتاء :
((وإن كانت واقعة حُكْم أو عمل وأُجِيبَ فيها بالخطأ والخطَل ، فإثم تخلفي عن الجواب ، وتركِي لإبانة الصواب ، على من فتح هذا الباب))^(٢) .

وقد كان انقطاعه عن الإفتاء والتدريس وعمره أربعون سنة ، أي حين بلغ أشده ، وكان في أعظم سنوات العمر التي يكون الفكر فيها قد اكتمل ، والذهن قد اشتد توقده .

ولعل اعتزاله الفتيا والتدريس قد عاد بفائدة عليه من جهة التأليف والتحرير ، حيث مكث زمناً طويلاً عاكفاً على التصنيف ومخاطبة الناس بالكتب والرسائل حتى صار أكثر علماء الإسلام المتأخرين جمعاً وتصنيفاً.

لكن اعتزاله الفتيا والتدريس لا يعني انجماعه عن الناس وعدم الخلطة بهم إذ ظلّ شيخاً للمدرسة ((البيهقيّة)) حتى أواخر حياته إذ صُرف عنها في رجب سنة ٩٠٦هـ^(٣) .

١- المصدر السابق : ١٠٣٢ - ١٠٣٤ .

٢- المصدر السابق : ١٠٣٨ .

٣- ((بدائع الزهور)) : ٣ / ٣٨٨ .

وفاته

توفي الإمام السيوطي^١ - رحمه الله تعالى - بعد عمر حافل بالعطاء العلميّ
الغزير - بالقاهرة سَحَرَ ليلة الجمعة تاسع عشر جمادى الأولى سنة إحدى عشرة
وتسع مائة عن إحدى وستين سنة وعشرة أشهر وثمانية عشر يوماً^(١) .

وطويت بذلك صفحة حياة عالم من أعظم علماء عصره إن لم يكن من أعظم
علماء الإسلام المتأخرين ، رحمه الله تعالى وغفرله^(٢) .

١- ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٥٥ .

٢- انظر ترجمة الإمام السيوطي إضافة لما تقدم - في :

((آداب اللغة)) : ٣ / ٢٢٨ ، و ((خزائن الكتب)) : ٣٧ ، و ((معجم المطبوعات)) : ١٠٧٣ ،

و ((الخزائن التيمورية)) : ٣ / ١٥١ ، و ((مخطوطات الظاهرية)) : ٣٥٥ ، وغير ذلك مما أورده صاحب

((الأعلام)) : ٣ / ٣٠٢ .

الفصل الثاني

((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ونسبته ونُسَخه

المبحث الأول : معنى العنوان ومآثير حوله . (ص : ٢٧٠ - ٢٧٩)

المبحث الثاني : تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام السيوطي . (ص : ٢٨٠ - ٢٨٩)

المبحث الثالث : مخطوطات الكتاب ومطبوعته ، والجهود التي بذلت في خدمته . (ص : ٢٨٢ - ٢٨٤)

المبحث الأول معنى العنوان وما أثر حوله

لا بد قبل الحديث عن معنى العنوان من تحرير عنوان الكتاب ، إذ اختلف فيه بعض الاختلاف ، فالتفق عليه أن للإمام السيوطي مؤلفاً بعنوان ((معترك الأقران)) ، ولكن معظم المصادر التي ذكرت الكتاب ذكرت عنوانه هكذا : ((معترك الأقران في مشترك القرآن))^(١) . والسيوطي نفسه قد سماه في بعض كتبه التسمية نفسها^(٢) ، ولكنه ذكر في ((معترك الأقران)) ما يرجح أن العنوان : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ، فقد قال :

((فاشدد بكتنا يدك على هذا الكتاب المسمى : ((إعجاز القرآن ومعترك الأقران))^(٣) ، وهذا نص قريب من اسم الكتاب لكنه معكوس .

ويذكر محقق الكتاب الأستاذ البحائي أن العنوان على كتبا المخطوطتين : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))^(٤) .

وذكر أيضاً أن اسم الكتاب جاء كذلك في بعض الكتب التي ترجمت للسيوطي لكنه لم يصرح باسمها^(٥) .

١- انظر ((مفتاح السعادة)) : ٣٧٧/٢ ، و ((كشف الظنون)) : ١٧٣١/٢ ، و ((هدية العارفين)) :

٥٤٣/١ . و ((المشترك)) هو ((اللفظ الواحد الدال على معنيين مختلفين فأكثر دلالة على السواء عند أهل تلك اللغة)) وفي جواز وقوعه خلاف ، وانظر كل ذلك في ((المزهر)) : ٣٦٩/١ وما بعدها .

٢- انظر ((الإتقان)) : ١٤١/١ ، و ((حسن المحاضرة)) : ٣٤٠/١ ، و ((التحدث بنعمة الله)) : ١١١ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ٥١٥/١ - ٥١٦ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١/ف ، حيث قال المحقق :

((لقد اعتمدنا الاسم الأول : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) لوروده في المخطوطتين من غير اختلاف أو

زيادة أو نقص)) .

٥- المصدر السابق .

فعلى هذا إما أن يكون الكتاب له اسمان شُهر بهما وعرف فلا ترجيح لعنوان كتاب على آخر ، وإما أن يكون له اسم محدد هو الأولى به والأقرب لموضوعه .

أما من قال إن عنوان الكتاب هو ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) فقد استند إلى ورود هكذا في بعض كتب السيوطيِّ ومَن ترجم له ، كما ذكرت ذلك آنفاً .

ولكني أميل إلى أن عنوان الكتاب هو : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) وذلك للأسباب التالية :

أولاً : هذا العنوان ألصق بموضوعات الكتاب من العنوان الآخر : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، وكلما كان العنوان موافقاً لمضمون الكتاب كان ذلك أولى وأحسن ، أما ((مشترك القرآن)) وهو العنوان الآخر فهو لا يدل على محتوى الكتاب ؛ إذ جاء بحث ((مشترك القرآن)) وجهاً من الأوجه الخمسة والثلاثين الواردة في ((المعترك))^(١) وإن كان أطولها .

ويمكن أن يتمسك من يختار العنوان : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) بأن بحث مشترك القرآن قد احتل ثلثي الكتاب تقريباً ، فالسيوطيُّ قد أطلق على الكتاب اسم أكبر وأعظم مباحثه ، لكن باقي الأسباب المرجحة للعنوان المختار والجمع بين العنوانين الذي سأذكره - إن شاء الله تعالى - ينفي هذا الاستنتاج .

ثانياً : قد نصَّ السيوطيُّ - تقريباً^(٢) - على اسم كتابه في ((المعترك)) حيث قال :

١- انظر ((معترك الأقران)) : ٥١٤/١ إلى آخر الكتاب .

٢- إنما قلت تقريباً لأن الإمام السيوطيَّ قلب عنوان كتابه عندما سَمَّاه ، كما مرَّ قريباً .

((فاشدد بكلتا يديك على هذا الكتاب المسمى إعجاز القرآن ومعترك الأقران))^(١) ، ونصّ المصنف في كتابه على عنوانه لأ يعدل عنه إلى شيء آخر .

ثالثاً : ورود العنوان في المخطوطتين : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))^(٢) قرينة قوية على أنه العنوان الصحيح خاصة مع نصّ السيوطي عليه كما في السبب السالف .

لكن هناك مخطوطة ثالثة للكتاب لم يذكرها الأستاذ البحّاوي سيأتي - إن شاء الله تعالى - ذكرها^(٣) ، وعنوان الكتاب فيها : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) .

الجمع بين العنوانين

إذاً كيف يُجمع بين ورود العنوان : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) في بعض كتب السيوطي ، ووروده : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) في الكتاب نفسه نصّاً من السيوطي^(٤) .

أنا أرجح ترجيحاً قوياً - والعلم عند الله تعالى - أن السيوطي ألف الكتاب أولاً في مشترك القرآن ، ثم أضاف إليه مباحث سابقة من ((الإتيان)) وغيره - على ما بينته قبل ذلك^(٥) - فسماه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) وترجيحي هذا قائم على الآتي :

١- ((معترك الأقران)) : ١/٥١٥ - ٥١٦ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١/ ف .

٣- انظر ص ٢٧٦ .

٤- لكنه جاء معكوساً : ((إعجاز القرآن ومعترك الأقران)) كما مرّ قريباً .

٥- انظر ص ٢٣٢ .

أولاً : ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه ((التحدث بنعمة الله)) ، ذكر أسماء مصنفاته وقسمها إلى سبعة أقسام ، ثم بين أن ((القسم الثالث : هو ماتم من الكتب المعتبرة الصغيرة الحجم ، التي هي من كراسين إلى عشرة ، وذلك سبعون مؤلفاً)) ثم ذكر منها : ((معترك الأقران في مشترك القرآن))^(١) .

بل ذكر الإمام السيوطي في كتاب آخر أن ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) يقع في كراسة واحدة فقال متحدثاً عن بعض مصنفاته :

((... ثم أفردت كراسة فيما وقع من الألفاظ المعربة ، تتبعت فيها واستوعبت ، ثم كراسة سميتها ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) فائقة في معناها))^(٢) .

والمعلوم أن السيوطي لا يريد بهذا الكتاب الذي ذكره : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) الكتاب الذي بين أيدينا : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ؛ إذ هو ضخيم ، أكبر بكثير مما ذكر من أن حجمه بين كراسة أو كراستين ؛ فلا بد إذاً أنه يريد كتاباً آخر بعنوان ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) صغير الحجم ليس بين أيدينا اليوم ، ولانعرف عنه شيئاً ، أما ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) فلم يذكره في مصنفاته ، فيترجح - عندي - بهذا أنه قد صنفه فيما بعد ضاماً إليه هذا الكتاب الذي ذكره في مشترك القرآن ، والله أعلم .

ثانياً : ذكر السيوطي رحمه الله تعالى - كتاب ((المعترك)) في ((الإتيقان)) ، وذكر كتاب ((الإتيقان)) في ((المعترك)) :

أما ذكر ((المعترك)) في ((الإتيقان)) فقد قال :

((فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ كلفظ (الأمة) ، وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته : ((معترك الأقران في مشترك القرآن))...))^(٣) وأما ذكره لـ ((الإتيقان)) في ((المعترك)) فقد قال :

١- ((التحدث بنعمة الله)) : ١٠٥ ، ١١١ .

٢- ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) : ١ / ٩٥ .

٣- ((الإتيقان)) : ١ / ١٤١ .

((وقد طولنا الكلام هنا فلنرجع إلى المقصود ؛ لأن هذا الكتاب لا يسع ذلك ، وقد أودعنا أكثره في كتابنا : ((الإتقان في علوم القرآن))^(١) .

وفي النقلين السابقين ملاحظتان :

أ - لا يتأتى أن يصنف المصنف كتابين من كتبه ويذكر في كلٍّ منهما اسم الآخر إلا أن يكون أحدهما مصنفًا على مرحلتين أو أكثر ، ولما لم يُعرف ذلك عن ((الإتقان)) فيترجح أن يكون ((معترك الأقران)) قد صُنف على مرحلتين أو أكثر .

ب - قوله في الإتقان ((وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميته : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) قوله هذا يدل على أن كتاب ((المعترك)) قد أُلّف في الأصل لغرض حصر وبيان المشترك اللفظي في القرآن فقط ولا شيء غير ذلك كما يدل عليه قوله : ((أفردت في هذا الفن كتاباً)) .

ثالثاً : طريقة ورود اسم الكتاب في ((المعترك)) تشير إلى إمكان أنه مصنف على مرحلتين ، حيث قال السيوطي :

((فاشدد بكتبا يديك على هذا الكتاب المسمى إعجاز القرآن ومعترك الأقران)) ، فكان كتابه المعروف هو : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، ثم أضاف إليه وجوهاً من الإعجاز القرآني فأشار إلى ذلك بقوله ((المسمى إعجاز القرآن ومعترك الأقران)) فأصبح الكتاب مجموعاً من وجوه الإعجاز ومشارك القرآن ليكون : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) كما هو عنوانه في المخطوطتين ، ويصبح المشترك وجهاً من وجوه الإعجاز في الكتاب .

وهذا استنتاج محضٌ لا دليل عليه ، وإنما هي إشارة ، والله أعلم .

رابعاً : طريقة إتيانه بالوجه الخامس والثلاثين - المشترك - تدل على أنه كان في الأصل كتاباً منفصلاً حيث قال في مقدمة هذا الوجه :

((وأنا أرغب ممن وقع بيده هذا الكتاب أن يدعو للساعي له فيه ، لأنه يجد فيه ما لا يجد في كثير من المطوّلين الصعاب ، وكيف لا يذكره عند ربه ^(١) وقد استخرجته له منهم سهل المرام فحفف عليه حمّله وثمنه ، وقربت عليه الفهم باختصار الكلام ، وإيّم الله لو أراد الاستغناء به عن النظر في غيره لكفاه ، مع أنني زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات لا بدّ له منها ...)) ^(٢) .

وقوله : ((هذا الكتاب)) مع ما بعده هو في سياق الحديث عن المشترك .

ثم قال :

((وقد أفردها ^(٣) بالتصنيف خلّائق ...))

وأنفعها هذا الكتابُ البديعُ المثل ، المنيعُ المقال)) ^(٤) .

ثم قال :

((اللهم إنك تعلم أنه ليس لي من ينقذني ... في ذلك الموقف العظيم غير الاشتغال بخدمة كتابك واستخراج زبده ودرره ... وخصوصاً هذا الكتاب ...)) ^(٥) .

فكأن كلامه هو على كتاب مستقل عما قبله ، وهذا الكتاب هو ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) .

١ - أي يذكر مولفه بالدعاء له .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٦ .

وقوله : ((زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات ...)) يفسر سبب زيادة حجم فصل المشترك من كتاب ((معترك الأقران)) ؛ لأن الإمام السيوطي سبق أن وصف الكتاب أنه يقع في كراسة واحدة فقط أو كراستين على الأكثر ، بينما جاء في ((معترك الأقران)) كبير الحجم .

٣ - أي معاني الحروف كما في السياق السابق .

٤ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٧ .

٥ - المصدر السابق : ١ / ٥١٨ .

خامساً : إن هذا القول - وهو أن الكتاب مصنف على مرحلتين أو أكثر - هو التفسير الوحيد الذي استطعت له مسألة ورود عنوان الكتاب مختلفاً في كتب السيوطي نفسها ، ولمسألة ذكر اسم كتابه ((المعترك)) في ((الإتيقان)) ، وذكر ((الإتيقان)) في ((المعترك)) ، والله أعلم .

وقد حام حول هذا المعنى أحد الباحثين - وهو الأستاذ محمد الراضي - حيث سرد الكتب المصنفة في علم (الوجوه والنظائر) فقال :

((وكتاب جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١) ذكره السيوطي في ((الإتيقان)) وقال :

وقد أفردت في هذا الفن كتاباً سميت به : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ووصل إلينا الكثير منه في كتاب السيوطي : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))^(١) . فكان الأستاذ يعتقد أن كتاب ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) جزء من كتاب ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ؛ وذلك لأن كلامه يفهم منه هذا ، وإن لم يذكر دليلاً على ماذهب إليه .

أما الذي لم أتحققه من كلامه فهو قوله : ((وصل إلينا الكثير منه)) ، أفيزعم الأستاذ أنه قد فقد شيء من كتاب : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، وعلام بنى زعمه هذا ؟

شبهة في موضوع اسم الكتاب وتفنيدها

ذكر الأستاذ محمد بن يعقوب تركستاني^(٢) أن هناك مخطوطة للكتاب بالمغرب الأقصى محفوظة بالخزانة الملكية بالرباط تحت رقم ٤٢٣١ ، وهي باسم :

١ - مقدمة تحقيق كتاب ((نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)) للإمام ابن الجوزي ، ص : ٥٥ - ٥٦ .

٢ - قد ألف رسالة بعنوان ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) وتقدم بها لنيل رسالة (الماجستير) من

جامعة الملك عبدالعزيز - شطر مكة ، سنة ١٣٩٧ .

((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، وقد جاء هذا في سياق ذكره لورود الكتاب بهذا العنوان المذكور في عدد من كتب السيوطي ، وفي ((كشف الظنون)) و ((هدية العارفين)) كما بينت سابقاً^(١) .

ثم بعد فراغه من ذكر هذه المخطوطة قال :

((فأصبح من المقطوع به أن اسم الكتاب هو ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، وكان حقيقاً بالأستاذ علي محمد البجاوي حين تصدى لتحقيق الكتاب أن يترك اسمه على أصله صيانة لحرمة فلا يغيره إلى ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) لمجرد أنه وجده مسمى بهذا الاسم في المخطوطتين الوحيدتين اللتين اعتمد عليهما في نشر الكتاب))^(٢) .

وفي هذا الكلام ملحظان :

الأول :

إن الكلام الذي جاء به الباحث وظن أنه دليل على أن اسم الكتاب هو : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) هذا الكلام لا يُعد دليلاً على ماذهب إليه فضلاً عن أن يكون أمراً قاطعاً حسب تعبيره .

الآخر :

قد نسب الباحث إلى الأستاذ علي البجاوي ما لا يليق حيث ادّعى دعوى مجردة عن الدليل بأن الأستاذ البجاوي قد تعمد تغيير اسم الكتاب ، والأستاذ البجاوي لم يصنع هذا وحاشاه ، فقد قال :

((سُمي هذا الكتاب في المخطوطتين : معترك الأقران في إعجاز القرآن ، وكذلك ورد اسمه في بعض الكتب التي ترجمت للسيوطي .

وقد جاء في صفحة ١٧٠ من المخطوطة الثانية : إعجاز القرآن ومعترك الأقران^(٣) .

١- انظر ص ٢٧٠ .

٢- ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) : ٦٢ .

٣- في المطبوع : (القرآن) والصحيح ، الأقران ، وهذا النص قد ذكرت - سابقاً - أنه موجود في الجزء =

أما في ((الإتيقان)) فقد أشار إلى هذا الكتاب وسماه ((معترك الأقران في
مشترك القرآن)) .

وقد اعتمدنا الاسم الأول لوروده في المخطوطتين من غير اختلاف أو زيادة أو
نقص^(١) .
وهذا الكلام للأستاذ البجاوي يُبين منه أمران هما :

١ - لم يتعمد الأستاذ البجاوي تغيير العنوان فهو قد ذكر العنوانين واعتمد أحدهما
لسبب ارتآه ، وصنّعه هذا هو صنيع الباحث المعتمد على الأصول العلمية للتحقيق .

٢ - لم يطلع الأستاذ البجاويّ - فيما يظهر من كلامه - على المخطوطة الثالثة التي
اطّلع عليها الأستاذ التركستانيّ ، فكيف يلام على ما لم يطلع عليه .

هذا ردُّ على الأستاذ الباحث الذي جاء بما لا يقوم في وجه ما ذكرته آنفاً من
ترجيح عنوان الكتاب ليكون ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ؛ إذ غاية ما جاء
به هو اطلاعه على المخطوطة الثالثة السابقة الذكر ، ولم يقرأ الكتاب قراءة فاحصة
ويدرسه دراسة ناقدة ليخرج برأي راجح في هذا الباب .

ثم ما يدريه لعل العنوان في المخطوطة التي اطلع عليها هو من صنيع أحد
التلاميذ أو النساخ ، أو يكون تصرفاً من غيرهما ؟ !!
ولما سبق أن ذكرته يكون العنوان الذي اخترته واستقرّ عليه البحث هو :

((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

الأول صفحة : ٥١٥ - ٥١٦ .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ف .

تحرير معنى العنوان

العنوان مكون من جزأين :

الأول : معترك الأقران . والآخر : إعجاز القرآن .

ومعنى الجزء الثاني قد بينته قبل هذا^(١) .

وأما معنى ((معترك الأقران)) :

فالمعترك مأخوذ من (عَرَكَ) ، وقد جاء في ((لسان العرب)) : مادة عرك :

((المعترك : موضع الحرب)) .

وجاء فيه في مادة (ق ر ن) :

((القَرَن : مثلك في السن ، تقول : هو على قَرْنِي أي على سني ...

وهو قَرْنه في السنّ - بالفتح - وهو قَرْنه ، بالكسر ، إذا كان مثله في الشجاعة

والشدة ... ويجمع على أَقْران)) .

فكأن المعنى أن هذا الكتاب هو موضع تبادل الأفكار وتلاحم العقول والأنظار بين

العلماء في وجوه إعجاز القرآن .

والملاحظ أن هذا الكتاب لم تَدُر فيه أيُّ معارك فكرية بين السيوطي وعلماء

عصره ، أو بين العلماء السابقين عليه كما يوحي بذلك عنوان الكتاب ، إنما أكثر

السيوطي - رحمه الله تعالى - من نقل آراء العلماء وعلق على ما يحتاج إلى التعليق

بهدهوء وروية وحسن مناقشة للآراء المعروضة . وكأنه لما أكثر من نقل آراء العلماء

المختلفة وأقوالهم جعل ذلك بمثابة معركة فكرية بين تلك الآراء والأقوال ، والله

- تعالى - أعلم .

١ - انظر ص ٢٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

المبحث الثاني

تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام السيوطي

من المقطوع به أن مؤلف الكتاب هو الإمام السيوطي ، فقد ذكر هو نفسه كتابه هذا في مؤلفات عدة ، وذكر عددًا ممن ترجم له كتابه هذا في ترجمته ، كما بينت ذلك سابقاً^(١) .

بقي أن يُعرف : هل الكتاب الذي بين أيدينا هو نفسه كتاب ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) الذي صنفه السيوطي ، رحمه الله تعالى ؟

لاريب أن الكتاب الموجود بأيدينا هو ((معترك الأقران)) وذلك للأسباب الآتية :

١ - جاء ذكر عدد من كتب السيوطي في ثانيا كتابه ، مثل ((تناسق الدرر في تناسب السور))^(٢) و ((أسرار التنزيل))^(٣) و كتابه في مبهمات القرآن^(٤) ، و كتاب ((لباب النقول في أسباب النزول))^(٥) إلخ ... وكل هذه الكتب قد صرح السيوطي بنسبتها إليه ، فورودها في الكتاب دال على أن هذا الكتاب هو نفسه ((معترك الأقران)) الذي صنفه السيوطي ، والله أعلم .

١ - انظر ص ٢٧٠ من هذا البحث .

٢ - انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥ .

٣ - المصدر السابق .

٤ - المصدر السابق : ١ / ٤٨٤ .

٥ - المصدر السابق : ٣ / ٢٨٣ .

٢ - بالمقارنة بين نصوص كثيرة من ((المعترك)) ونصوص بعض كتب السيوطي الأخرى التي نقل منها إلى ((المعترك)) أو نقل من ((المعترك)) إليها ظهر التطابق بينها أو التقارب إلى حد كبير ، وقد بينت ذلك سابقاً^(١).

٣ - أسلوب السيوطي ظاهر في الكتاب ، فحشد الأدلة والأقوال الكثيرة ، ومناقشتها ، والترجيح بينها هو الأسلوب الذي جرى عليه السيوطي في كثير من كتبه .

٤ - والكتاب المطبوع قد حقق ونشر منذ سنة ١٣٩٢ هـ أي ما يقارب ثلاثاً وعشرين سنة ، وتداولته أيدي العلماء والمحققين وطلبة العلم ، ولم يطعن أحدٌ - فيما أعلم - في نسبة هذا الكتاب إلى السيوطي ، رحمه الله تعالى ، وهذا قرينة واضحة على صحة النسبة ، وصحة محتويات الكتاب وأنه هو نفسه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ، والحمد لله .

١ - انظر الصفحات ٢٣٢ - ٢٤٩ من هذا البحث .

المبحث الثالث :

مخطوطات الكتاب ومطبوعته ، والجهود التي بذلت لخدمته

للكتاب ثلاث مخطوطات ، فيما أعلم :

إحداها : صورت عن الأصل المحفوظ بخزانة الشيخ أحمد الصديق المغربي^(١) ، وهي محفوظة في دار الكتب المصرية برقم ٢٠٣٤٧ - تفسير .

الثانية : مخطوطة محفوظة في دار الكتب المصرية - أيضاً - برقم ٤٧٦ - تفسير^(٢) .

الثالثة : مخطوطة محفوظة في الخزانة الملكية بالرباط برقم ٤٢٣١ وباسم : ((معترك الأقران في مشترك الأقران)) كما ذكرت سابقاً^(٣) .

وقد حقق الكتاب الأستاذ علي البجاوي معتمداً على المخطوطتين الأولين .

وقد حققه - أيضاً - الأستاذ أحمد شمس الدين معتمداً على أولى المخطوطتين المذكورتين اللتين اعتمد عليهما الأستاذ البجاوي .

أما تحقيق الأستاذ علي البجاوي فهو تحقيق جيد ، استوفى عدداً من شروط التحقيق العلمي ؛ فقد قارن بين المخطوطتين وأثبت الفروق في الهامش ، وترجم لكثير من الأعلام ، وعزا بعض النصوص إلى مصادرها ، ووضع فهرسة جيدة لمواضيع الكتاب .

إلا أن هذا العمل - كغيره من أعمال البشر - قد خالطه بعض النقص ،

نحو :

١- لم أحده له ترجمة .

٢- وصف المخطوطتين محقق الكتاب الأستاذ علي البجاوي ، انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ف - ص ، ولم يذكر اسم ناسخ المخطوطة الأخرى .

٣- انظر ص ٢٧٦ - ٢٧٧ .

١ - السقط ، وهو في مواضع متعددة من الكتاب^(١) ، وإنما عرفتُ هذا بالمقارنة بما في ((الإتقان)) ، أو من السياق .

٢ - خَلَطَ في بعض الصفحات ، وقد أدى ذلك إلى سقوط بعض الصفحات أيضاً^(٢) .

٣ - بعض التحريف والتصحيف^(٣) ، ولعل ذلك من الناسخ .

٤ - الخطأ في بعض الآيات^(٤) .

٥ - عدم تحقيق وتخراج غالب الأحاديث والآثار .

٦ - لم يصنع فهرساً للأعلام ، ولا للأدلة والأحاديث والآثار .

على أن عمله هذا يستحق الشكر منا ، والجزاء من الله تعالى ، إن شاء الله ؛ إذ أخرج هذا الكتاب الضخم إلى النور حتى يستفيد منه طلبة العلم ويتداولوه .

أما عمل الأستاذ أحمد شمس الدين فهو قد خرّج الآيات فقط ، ولم يعمل أي عمل آخر من تعليق على المتن أو ترجمة لعَلَم أو تعريف بكتاب على نحو ماتقتضيه أساليب التحقيق الحديثة . وقد اعتمد في تحقيقه للكتاب على نسخة وحيدة كانت إحدى المخطوطتين اللتين اعتمدهما البجاوي في تحقيقه .

١ - انظر - مثلاً - : من المطبوعة بتحقيق الأستاذ البجاوي : ١ / ١٣٠ - ١٤٣ ، ٣ / ٢٨١ (آخر الصفحة) .

٢ - انظر - مثلاً - : ١ / ٣٢١ - ٣٢٧ ، ٣٣١ ، ٣ / ٤٦٨ - ٤٧٤ .

٣ - انظر - مثلاً - : ٢ / ١٢٦ ، ١٣٩ ، ٢٨٣ ، ٦١٩ ، ٦٣٥ .

٤ - انظر - مثلاً - : ٢ / ٤٣٩ ، ٤٧٢ .

وقد تكرر في تحقيق الأستاذ أحمد شمس الدين كثيرٌ مما وقع في تحقيق الأستاذ البجاوي من سقط وتحريف وتصحيف مما يدلّ على أن الأستاذ شمس الدين إمّا أن يكون قد حقق الكتاب معتمداً على تحقيق الأستاذ البجاوي ، أو أن نسخة الشيخ أحمد بن المستغاني قد ورد فيها السقط والتحريف والتصحيف نفسه الذي وقع في كلا التحقيقين ، حيث إني لم أطلع على أيٍّ من مخطوطي الكتاب ، والله أعلم^(١) .

وفي الجملة فتحقيق الأستاذ البجاوي أجود بكثير من تحقيق الأستاذ أحمد شمس الدين ، بل ليس بينهما أفعال تفضيل ، وقد اعتمدت في دراستي للكتاب وإحالاتي عليه على الطبعة المحققة بقلم الأستاذ البجاوي ، مع مراجعاتي لبعض الكتب التي نقل منها السيوطي^(٢) رحمه الله تعالى .

- ١- قد نشر تحقيق الأستاذ البجاوي دار الفكر العربي في ثلاثة مجلدات ، ونشر تحقيق الأستاذ شمس الدين دار الكتب العلمية في ثلاثة مجلدات كذلك إلا أنها أصغر حجماً من طبعة دار الفكر .
- ٢- قد اطّلت بعد كتابة هذا على ماجاء في (ملحق التراث) : العدد العشرين : السنة الثامنة عشرة ، الملحق بجريدة المدينة العدد : ١١٤٤٨ بتاريخ ٢٧ / ٢ / ١٤١٥ هـ ؛ حيث أكد الأستاذ غازي الغفري في مقال له بالملحق المذكور أن هذا الكتاب - طبعة دار الكتب العلمية - مسروق من طبعة دار الفكر العربي ، وأن الاسم : أحمد شمس الدين مزيف غير حقيقي ، على الأرجح عنده ، وأن دار الكتب العلمية التي نعتت الكتاب قد تصرّفت في تحقيق الأستاذ البجاوي فأسقطت عملاً كثيراً من أعمال التحقيق وقدمت وأخرت فيه فدفعته الكتاب إلى المطابع مشوهاً متوراً ، هذا خلاصة رأي الأستاذ ؛ إلا أنه لم يقدم دليلاً ملموساً على مقاله ، بمعنى أنه لم يذكر أنه قارن بين الطبعين ، ولم يذكر أرقام الصفحات التي تدعّم مذهب إليه من رأي .
- والحقيقة أن أمر الطبعة الأخرى عجب ؛ فقد استدرك ناشروها بعض الأخطاء ومواضع السقط التي وقعت في تحقيق الأستاذ البجاوي ، وفي الوقت نفسه قد كرروا كثيراً من السقط ومواضع التحريف مما يقوي الظن بأنهم أخذوا جهدهم الأستاذ البجاوي كلّهُ ، أو القسم الأكبر منه .
- أما مواضع السقط التي استدركت في طبعة دار الكتب العلمية فمنها :
 - ١- ما جاء في أول صفحة ٤٢٢ من الجزء الأول من تحقيق الأستاذ البجاوي فقد حصل سقط لم يتكرر في طبعة الدار العلمية : ٣٢٠ / ١ .
 - ٢- ومنها ماجاء في الصفحة : ١٠٨ من الجزء الثالث من تحقيق الأستاذ البجاوي في السطر السابع من فوق ، فقد حصل سقط لم يتكرر في طبعة الدار العلمية : ٨٦ / ٣ .
- وقد تفادت دار الكتب العلمية كثيراً من مواضع الاضطراب والخلط الطباعي في الصفحات التي وقّعت في طبعة دار الفكر العربي ، أما باقي مواضع السقط والتحريف والتصحيف - التي ذكرت بعضاً منها في صفحة ٢٨٣ من هذا البحث - فتأكد تنفق تماماً في الطبعين مما يرجح عندي أن ناشري دار الكتب العلمية قد استفادوا من طبعة دار الفكر العربي في ضبط النص ، وعملوا بعض التحسينات في بعض المواضع التي اختلفت فيها طبعة دار الفكر من خلط وسقط واضطراب ، والله أعلم بالصواب .

الفصل الثالث

محتويات الكتاب ومنزلته العلمية

- المبحث الأول : وصف الكتاب من حيث المحتوى .
- المبحث الثاني : منزلة الكتاب العلمية وأثره . (ص : ٢٩٠ - ٣٣٦)
- المطلب الأول : منزلة الكتاب العلمية . (ص : ٢٩٠ - ٣٢٣)
- المطلب الآخر : أثر الكتاب . (ص : ٣٢٤ - ٣٣٦)

المبحث الأول : مضمون الكتاب وأبحاثه

كتاب ((معترك الأقران)) ضخيم كبير قد بلغ ألفي صفحة تقريباً في ثلاثة أجزاء مطبوعة ، ويحوي علوماً متعددة أهمها علوم القرآن ومباحث الإعجاز ، وفيه مباحث كثيرة في فنون متنوعة من فقه وعقيدة وتفسير وأصول إلخ ...

وقد قدّم السيوطي لكتابه بمقدمة يبين فيها أن المعجزة العظمى لرسولنا - صلى الله عليه وسلم - هي القرآن ، وأنه قد تحدى به العرب فعجزوا ولم يستطيعوا الإتيان بمثله ولا بما يقاربه في الفصاحة والبلاغة ، ثم ذكر بعض من صنّف في وجوه إعجاز القرآن ، ثم ناقش بعض المباحث المتعلقة بإعجاز القرآن نحو : إعجاز نظمته ، وطريق معرفة إعجاز القرآن ، واختلاف القرآن عن الشعر ، وهل باقي الكتب السماوية معجز ؟ إلى آخر ما ذكره في مقدمته^(١) .

ثم بعد فراغه من المقدمة ذكر خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز ، وهي الآتي :

- أولاً : العلوم المستنبطة منه .
- ثانياً : كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان .
- ثالثاً : حسن تأليفه والتام كَلِمه .
- رابعاً : مناسبة آيه وسوره وارتباط بعضها ببعض .
- خامساً : افتتاح السور وخواتيمها .
- سادساً : مشتبهات آياته .
- سابعاً : ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات .
- ثامناً : وقوع ناسخه ومنسوخه .
- تاسعاً : انقسامه إلى محكم ومتشابه .
- عاشراً : اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها .

١- انظر : ١/١ - ١١ .

- الحادي عشر : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع .
- الثاني عشر : إفادة حصره واختصاصه .
- الثالث عشر : احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم .
- الرابع عشر : عموم بعض آياته وخصوص بعضها .
- الخامس عشر : ورود بعض آياته بمحمله وبعضها مبينة .
- السادس عشر : الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه .
- السابع عشر : وجوه مخاطباته .
- الثامن عشر : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات .
- التاسع عشر : إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة .
- العشرون : روعته وهيبته .
- الحادي والعشرون : سامعه لا يَمَحُّهُ^(١) ، وقارئه لا يَمَلُّه .
- الثاني والعشرون : تيسيره - تعالى - حفظه ، وتقريبه على متحفظيه .
- الثالث والعشرون : وقوع الحقائق والمجاز فيه .
- الرابع والعشرون : تشبيهه واستعاراته .
- الخامس والعشرون : وقوع الكناية والتعريض .
- السادس والعشرون : إعجازه في آية وإطنابه في أخرى .
- السابع والعشرون : وقوع البدائع البليغة فيه .
- الثامن والعشرون : احتواؤه على الخير والإنشاء .
- التاسع والعشرون : إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدها .
- الثلاثون : اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة .
- الحادي والثلاثون : ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة .
- الثاني والثلاثون : ما فيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف .
- الثالث والثلاثون : ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها .

١ - جاء في ((لسان العرب)) : (م ج ج) : ((مَجَّ الشَّرَابُ وَالشَّيْءُ مِنْ فِيهِ يَمَحُّهُ مَجًّا ، وَمَجَّ بِهِ : رَمَاهُ ... وَمَجَّ بَرِيْقُهُ يَمَحُّهُ إِذَا لَفَظَهُ)) .

الرابع والثلاثون : احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب وأسماء القبائل والبلاد والجبال والكواكب .

الخامس والثلاثون : ألفاظه المشتركة^(١) .

ثم ختم الكتاب بأبحاث مهمة منها :

- ١- أقوال كلية محتوية على ألفاظ قرآنية^(٢) .
 - ٢- قواعد مهمة يحتاج المفسر إلى معرفتها^(٣) .
 - ٣- أحاديث نبوية مجردة من الأسانيد تفسر آيات قرآنية^(٤) .
- وهذا الوصف المذكور إنما هو لفصول الكتاب ومباحثه الأساسية ، أما مكونات هذه الفصول والمباحث فتنقسم إلى قسمين رئيسين :

القسم الأول : كلام للعلماء نقله السيوطي - رحمه الله تعالى - إما نصاً أو بعد تصرف ، على سبيل الاستشهاد أو الاستدلال أو الرد أو غير ذلك .

القسم الآخر : كلام من إنشائه مبتكر أو منقول من كتبه الأخرى .

أما القسم الأول فسيأتي بيان مفصل له في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى^(٥) .

وأما القسم الآخر فقد سبق بيانه بالتفصيل^(٦) .

١- ذكر الإمام السيوطي هذه الأوجه متتابعة في كتابه ، وسيأتي تحديد صفحاتها والكلام عليها بالتفصيل في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى ، انظر ص ٣٣٧ وما بعدها .

٢- وذلك نحو ما عراه لابن فارس من قوله : ((كل ما في القرآن من ذكر الأسف فمعناه الحزن إلا ﴿فَلَمَّا أَصْبَحُوا﴾ [الزخرف : ٥٥] فمعناه أغضبونا ، وكل ما فيه من ذكر البروج فهي الكواكب إلا : ﴿وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُّسْتَدْرِكٍ﴾ [النساء : ٧٨] فهي القصور الطوال الحصينة)) انظر ((معترك الأقران)) : ٥٦٢/٣ - ٥٧٤ .

٣- وذلك نحو قاعدة في الضمائر ، وقاعدة في التذكير والتأنيث ، وقاعدة في التعريف والتكثير ، وقاعدة في الإفراد والجمع ... انظر : ٥٧٤ / ٣ - ٦٢٢ .

٤- انظر : ٦٢٢ / ٣ - ٦٤٦ .

٥- انظر صفحة ٤٦٠ وما بعدها .

٥- انظر الصفحات : ٢٣١ - ٢٤٦ ، ٢٥٧ .

وقد مزج كلامه بكثير من الأدلة والآثار ، والقصص والمواعظ ^(١) .

وقد أوجزت في وصف محتويات الكتاب اعتماداً على أن رسالتي كلها هي إجمال أو تفصيل لهذا المحتوى ، وإنما ورد في هذا البحث وصف عام إجمالي لما فُصِّل في الكتاب .

١- سيأتي بيان ذلك إن شاء الله تعالى في الباب القادم ، انظر ص ٤٦٥ وما بعدها ، وصفا ٥٢٣ وما بعدها .

المبحث الثاني : منزلة الكتاب العلمية وأثره .

المطلب الأول : منزلة الكتاب العلمية :

تقاس منزلة أيّ كتاب بما جاء فيه من مباحثٍ جديدةٍ ، أو أفكارٍ مركّزةٍ مرتبةٍ ، أو حسنٍ عرضٍ لمادّةٍ مشوّشةٍ إلى غير ذلك من وجوه تقويم منزلة الكتاب العلمية ، وكذلك للسلبيات أثرها في الحكم على منزلة الكتاب وجودته .
وكتاب الإمام السيوطيّ كتاب ضخم حافل مليء بالمعلومات والآراء ، ويمكن إجمال مافيه من ميزات علمية بما يأتي :

ميزات الكتاب

أولاً : غزارة المادة العلمية في الكتاب :

إذ هو مليء بآراء العلماء وأفكارهم واستنتاجهم مع حسن عرض وترتيب .

ثانياً : الموازنة بين الأقوال ونقدها وتمحيصها :

وهو معلّم بارز من معالم الكتاب ؛ فالسيوطي لا يكاد يترك قولاً يورده إلا وينقده ويبين مافيه من حسن وقوة أو يذكر مافيه من خطأ أو نقص^(١) ، وكل ذلك بهدوء وحسن أدب .

ثالثاً : الإكثار من إيراد الأمثلة والشواهد بما يوضح المعنى ويبينه أحسن تبيين .

١ - انظر - مثلاً - الصفحات : ١ / ٣٧٨ ، ٤٨٦ ، ٥٤٤ ، ٥٥٢ ، ٥٨٣ ، ٦٠٧ ، ٦٠٩ ، ٦٣١ .

رابعاً : الإكثار من إيراد الأدلة التي تساند مذهب إليه هو أو غيره ، ويكاد الكتاب يكون كتاب أحاديث وآثار من كثرة ما فيه منها^(١) .

خامساً : التجديد في عرض الإعجاز :

دلل السيوطي على إعجاز القرآن بأمر لم تطرق من قبل^(٢) ، أو أنها طرقت لكن بإيجاز واقتضاب فتوسع فيها وأبرزها جليةً واضحة^(٣) ، أو كانت موزعةً مفرقة في كتب شتى فجمعها^(٤) ... إلخ

سادساً : كثرة المصادر والمراجع :

قد استعان السيوطي في تأليفه كتابه بمصادر ومراجع كثيرة كثيرة ظاهرة ملحوظة ، وقد أحسن التعامل معها فتارة ينقل منها من غير تصرف ، وتارة يتصرف فيها بالتلخيص أو بالزيادة ، أو أنه ينقل بالمعنى نقلاً مناسباً لما يريد إيراد .

سابعاً : التنوع في إيراد المادة العلمية :

فالكتاب متخصص في إعجاز القرآن ولكن المصنف يأتي فيه بمباحث فقهية وحديثية وعقدية ولغوية وأصولية تغني الكتاب وتنفي عنه الجمود ، وفي الوقت نفسه هي ليست استطراداً بل لها اتصال بموضوع الكتاب في الغالب .

ثامناً : حسن عرض مادة الكتاب :

مما يزيد الكتاب قوةً في منهجه العلمي أن السيوطي أكثر من إيراد الأسئلة لما يراه قد ينهم على القارئ أو يفوته ، وهذه طريقة علمية جيدة ترسخ العلم في ذهن الطالب وتقوم مقام مناظرة الأقران ونقاشهم .

١ - سيأتي في الباب الثالث الحديث مفصلاً على الآيات والأحاديث التي أوردها السيوطي في كتابه ، انظر ص ٤٦٥ وما بعدها .

٢ - وذلك كغالب الأوجه التي أتى بها في كتابه ، وسوف يناقشه الباحث في وجه إعجازها في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى .

٣ - وذلك كالوجه الأول من وجوه الإعجاز التي ذكرها وهو : العلوم المستنبطة منه ، انظر : ١ / ١٤ - ٢٧ .

٤ - وذلك نحو الوجوه البلاغية التي أوردها في الوجه الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين . انظر : ١ / ٢٤٦ -

تاسعاً : عدم الجمود والتعصب :

للسيوطي شخصيته العلمية البارزة ، وآراؤه التي يدافع عنها ويتخيرها تحيراً ويحسن عرضها ، فهو يورد آراء العلماء وينقد ما يحتاج إلى نقد منها غالباً ، ويُبرز ماذهب إليه واضحاً مدعماً بالأدلة العقلية والنقلية ، لا يجمد على قول ولا يتعصب له ، ومن الأمثلة الواضحة على استقلال شخصيته العلمية وعدم جموده وتعصبه ما يأتي :

١ - فسر قوله تعالى ﴿ أَلْقِيَافِي جَهَنَّمَ ﴾ ^(١) فقال :

((خطابٌ للملكين : السائق والشهيد . وقيل إنه خطاب للواحد على أن يكون بالنون المؤكدة الخفيفة ^(٢) ، ثم أبدل منها ألفاً على أن يكون معناه : أَلْقَى أَلْقَى ؛ فثنى مبالغة وتأكيداً ، وعلى أن يكون على عادة العرب من مخاطبة الاثنين كقولهم : خليلي وصاحبي ، وهذا كله تكلف بعيد)) ^(٣) .

٢ - وعند تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَنْقَالَهَا ﴾ ^(٤) قال :

﴿ أَنْقَالَهَا ﴾ جمع ثَقْل ، وإذا كان الميت في بطن الأرض فهو ثَقْل لها ، وإذا كان فوقها فهو ثقل عليها .

وقيل : هي الكنوز ، وهذا ضعيف ؛ لأن إخراجها للكنوز وقت الدجال . والمراد إخراج الموتى الذين في جوفها عند النفخة الثانية في الصور)) ^(٥) .

عاشراً : ذكر القصص والمواعظ :

لن السيوطي جفاف بعض جوانب كتابه بذكر بعض المواعظ والرقائق والقصص والسلوكيات والإيمانيات مما جعل كتابه مشوقاً إلى القارئ .

١ - سورة ق : آية ٢٤ .

٢ - أي أَلْقَيْنَ .

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٤٤ .

٤ - سورة الزلزلة : آية ٢ .

٥ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥٢ ، وانظر للمزيد من الأمثلة : ١ / ٣٨٧ عند قوله : والأولى أن يقال ، وانظر

- أيضاً - ١ / ٥٨٣ عند قوله : وقول بعضهم ... تعسف ، وانظر - أيضاً - ١ / ٦٣١ .

وهذا أمر تختلف فيه أنظار محققي عصرنا ؛ إذ يميل كثير منهم إلى أن إيراد مثل هذا يُقلل من قوة الكتاب العلمية ويضعف مباحثه ، ويذهب آخرون إلى أنه أمر مفيد مهم تلين به المادة العلميّة وتُشوّق إلى القارئ ، ولعلّ الرأي الآخر هو الراجح ؛ إذ هذه هي طريقة الكتاب والسنة وتآليف كثير من علمائنا ومشايخنا ، وهذا كله بشرط ألا تُخرج القصصُ والمواعظُ والرقائق وغيرها الكتابَ المؤلّف عن موضوعه الأساسيّ بالإكثار منها وحشرها حشراً في ثناياه .
هذا عرضٌ لمزايا الكتاب على وجه متوسط بين الإطالة والاختصار^(١) .

سليبات الكتاب

أما السّليبات التي قد تؤثر في درجة الكتاب فهي الآتي^(٢) :

١ - خلط بعض وجوه إعجاز القرآن بغيرها :

فقد ذكر الإمام السيوطي بعض أنواع من علوم القرآن وعدّها وجوهاً من وجوه الإعجاز ، وكذلك صنع بمباحث أصوليّة ولغويّة حيث عدّها من وجوه الإعجاز وهي ليست كذلك ، وقد ذكر رحمه الله تعالى أنه ((وإن كانت بعض الأوجه لاتعد من إعجازه فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه فيتلج له صدرك وتبتهج نفسك))^(٣) .

هذا وقد كان يلزمه - في تقديري - إن أراد إيرادها أليكثر منها ، كما صنع ، وألا يعدّها وجوهاً للإعجاز ، وأن يبين ماهو معجز من غيره ، إلا إن ظنّ أن وضوح عدم كونها من الإعجاز مُغنٍ عن ذكره وتعيينه ، والله أعلم .

١ - سيأتي - إن شاء الله تعالى - تفصيل واسع مع ذكر الأمثلة لغالب هذه الميزات التي ذكرتها آنفاً ، وذلك في الباب القادم ، وهو مخصص لعرض ومناقشة منهجه في الوجوه التي ساقها في إعجاز القرآن .

٢ - هذه السليبات هي المتكررة في ثنايا الكتاب ، وهناك سليبات ومواحدات تختص بفصل أو مبحث ساجتها في مكانها ، إن شاء الله تعالى .

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢ .

وسأبين - إن شاء الله تعالى - في الباب القادم بالتفصيل أوجه الإعجاز من غيرها في الوجوه الخمسة والثلاثين التي أوردها في كتابه^(١) .

٢ - عدم عزو كثير من الأقوال التي أوردها في كتابه :

قد أورد الإمام السيوطي مئات من أقوال الأئمة ، عزا بعضها ولم يعزُ كثيراً منها إلى مصادرها ، وهذا يسبب إرباكاً للقارئ ، فهو عندما يذكر أقوالاً لابن الجوزي^(٢) - مثلاً - ثم لا يذكر مصدرها فإن القارئ سيصعب عليه تحديد ذلك المصدر بسبب كثرة كتب هذا الإمام .

نعم قد ينقل السيوطي قولاً عن أحد العلماء المقلين في التصنيف أو عن أحد العلماء الذين يسهل معرفة مظان كلامهم فيعرف القارئ من اسم العلم والمادة المنقولة الكتاب المنقول منه^(٣) .

وأيضاً قد ذكر السيوطي عشرات بل مئات من الأقوال وأهمل قائلها فاكتمى بقوله: قال بعضهم ، أو : قيل ، أو : قال بعض المتأخرين ، أو : قال غيره إلخ ...

وهذا يحرم القارئ من معرفة قائل ذلك ، ويصعب عليه جداً البحث عنه في مظانّه ، وقد يُضعف ذلك الثقة ببعض ما ينقله السيوطي - رحمه الله تعالى - لإمكانية ورود السهو والغلط البشري عليه ، وعدم القدرة - في الغالب - على التأكد من صحة تلك الأقوال المرسلة ودقتها ، والله أعلم .

١ - انظر لتفصيل هذا الباب الثالث القادم ، ص ٣٣٧ وما بعدها .

٢ - هو الشيخ الإمام العلامة الحافظ المفسر أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد ، ابن الجوزي . ينتهي نسبه إلى القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق رضي الله عنه . ولد سنة تسع أو عشر وخمسمائة ببغداد ، وسمع من مشايخ كثيرين ، وكان رأساً في التذكير بلا مدافعة . وصنف مصنفات كثيرة ، في بعضها أوهام وأخطاء بسبب عدم التحرير والمراجعة ، وله حكيم كثيرة وأقوال شهيرة . توفي سنة ٥٩٧ ببغداد . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢١ / ٣٦٥ - ٣٨٤ .

٣ - وذلك كنقل السيوطي عن الزركشي في ((المعترك)) مراراً ، والمعروف أن ذلك من كتابه ((الرهان في علوم القرآن)) .

٣ - كثرة النقل من كتبه الأخرى :

فقد صنّف جُلّ مادّة كتابه من كتب له أخرى نقلها بالنص أو بالمعنى ، وقد يضيف عليها أو يختصرها قبل إثباتها في ((المعترك)) كما بينته قبلُ بالتفصيل^(١) ، وهذا النقل الطويل مأخوذ على المصنّف إن أكثر منه المصنّف - وهو ماصنعه الإمام السيوطي - لأن ذلك الصنيع يصعب معه الحكم على المصنّف أو كتابه حكماً علمياً يظهر معه مزايا الكتاب وما جاء به من جديد في الأفكار أو الاستنباطات ؛ إذ الكتاب - على الحقيقة - مؤلّف ، في أكثره ، من كتب له أخرى ، ومافيه من جديد إنما مرّده إلى حسن التبويب والتصنيف والجدّة في عرض بعض وجوه الإعجاز ، كما سأبين ذلك في الفصل القادم بالتفصيل ، إن شاء الله تعالى^(٢) ، ومابينته في ذكر مزايا الكتاب يوضح مافي الكتاب من جدّة وجهد ، أيضاً^(٣) .

ولا يقال إن هذه - أي السلبية المذكورة - تخالف ما جاء قبلُ من ذكر مزايا الكتاب وإيجابياته ؛ إذ كان الكلام هنالك على ميزة المادة المقروءة التي يطالعها القارئ ، ومافيه من جهد وجدّة في الجمع والتقسيم ، والكلام هنا منصبٌّ على طريقة تأليف المادة نفسها وجمعها من كتب أخرى ، فلا منافاة بينهما .

ولأينسى أيضاً أن جُلّ المادة المنقولة إنما هي من كتب السيوطي نفسه وهو جهده وعلمه ، ولكني أقصد أن الكتاب لما فيه من كثرة النقول وطولها لم يتميز تميزاً واضحاً بحيث يستطيع الباحث الحكم عليه بمعزل عن غيره من كتب السيوطي ، والله أعلم .

١ - انظر الصفحات : ٢٣١ - ٢٤٦ ، ٢٥٧ من هذا البحث .

٢ - انظر الصفحة ٤١٤ وما بعدها ، صفحة ٤٢٠ وما بعدها .

٣ - انظر ص ٢٩٠ وما بعدها .

٤ - النقل من الكتب دون الإشارة لذلك :

قد تكرر كثيراً في كتاب السيوطي نقله من كتب المصنفين ثم لا يشير إلى هذا النقل ولا يبيّنه ، فيبدو ذلك النصّ المنقول كأنه كلامه .

ومن الأمثلة على هذا :

١ - قوله في مبحث تنزلات القرآن :

((اتفق أهل السنة والجماعة على أن كلام الله - تعالى - منزل ، واختلفوا في معنى الإنزال ، فمنهم من قال : إظهارُ القراءة ، ومنهم من قال ...))^(١) .
وبالرجوع إلى ((الإتيان)) : ١ / ٤٣ يتبين أن السيوطي ينقل ذلك من تفسير الأصبهاني^(٢) .

٢ - في الوجه الثالث من وجوه الإعجاز التي ساقها ذكر أنه هو ((حسن تأليفه ، والتبام كلمه ، وفصاحتها ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام ، وأرباب هذا الشأن ، فجاء نطقه العجيب ، وأسلوبه الغريب مخالفاً لأساليب كلام العرب ومنهاج نظمها ونثرها الذي جاءت عليه ، ووقفت عليه مقاطع آياته ، وانتهت إليه فواصل كلماته ، ولم يوجد قبله ولا بعده نظير له))^(٣) .

وهذا النصُّ هو ، تقريباً ، الوجهان الأول والثاني - من أوجه الإعجاز - اللذان ساقهما القاضي عياض ، رحمه الله تعالى ، ولم يُشير السيوطي إلى ذلك^(٤) .

١ - ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢١٠ .

٢ - قد بينت في فهرس مصادر ومراجع السيوطي أن الأصبهاني هذا هو الراغب كما حزم بذلك أحد الباحثين ، انظر ص

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ .

٤ - انظر ((الشفا)) : ١ / ٣٥٨ ، ٣٦٩ .

٣ - في الوجه التاسع عشر من وجوه الإعجاز التي ساقها ذكر أنه هو ((إخباره بأحوال القرون السالفة ، والأمم البائدة ، والشرائع الدائرة ، مما كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلا الفذ من أخبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلم ذلك ، فيورده النبي - صلى الله عليه وسلم - على وجهه ، ويأتي به على نضه ، فيعترف العالم بذلك بصحته وصدقه ، وأن مثله لم ينله بتعليم . وقد علموا أنه - صلى الله عليه وسلم - أمي لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدرسة ...)) في كلام طويل^(١) .

وهذا النص وبقيته منقول بحروفه من كتاب ((الشفا)) للقاضي عياض ، وهو الوجه الرابع من أوجه الإعجاز التي ساقها القاضي^(٢) ولم يُشير السيوطي إلى هذا النقل الطويل .

٤ - وكذلك فعل السيوطي في الوجه العشرين من وجوه الإعجاز - وهو روعته وهيبته - إذ نقله بنضه تقريباً من ((الشفا))^(٣) ، ولم يبين ذلك .

٥ - وكذلك نقل الإمام السيوطي الوجه الحادي والعشرين من وجوه الإعجاز - وهو أن سامعه لا يمجّه ، وقارته لا يملّه - نقله بنضه تقريباً من ((الشفا)) ولم يبين ذلك^(٤) .

وللسيوطي - رحمه الله تعالى - كلام في الحث على عزو العلم إلى قائله لم يلتزم به في كتابه هذا ، لكنه ادعى دعوى لا تسلم له أبداً بإطلاقها حيث يقول :

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٠ - ٢٤٢ .

٢- انظر ((الشفا)) : ١ / ٣٧٩ - ٣٨٢ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٤ ، و ((الشفا)) : ١ / ٣٨٤ - ٣٨٨ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ ، و ((الشفا)) : ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

((ومن بركة العلم وشكره عزّوه إلى قائله ... ولهذا لا تراني أذكر في شيء من تصانيفي حرفاً إلا معزواً إلى قائله من العلماء مبيناً كتابه الذي ذكر فيه !!))^(١) .

وقال في كتاب آخر :

((وقد علّم الله والناس من عادتي في التأليف أنني لا أنقل حرفاً من كتاب أحد إلا مقروناً بعزوه إلى قائله ونسبته إلى ناقله أداءً لشكر نعمته وبراءة من درّكه وعهدته))^(٢) .

ولكن لعله يقال دفاعاً عن بعض ما يهمل عزوه - في هذه السلبية الرابعة وفي السلبية الثانية المذكورة آنفاً - ما يأتي :

١ - قد تكون المعلومات قد استقرت في ذهنه لكنه لم يعد يعرف مصدرها ، وذلك لأنه إما أن يكون قد استقاها من شيوخه ، أو أن تلك المعلومات مما حفظه قديماً ونسي مصدره^(٣) .

٢ - وقد يكون المنقول مما شاع وذاع بين طلاب العلم بحيث يكتفي بشيوعه عن نسبته إلى مرجعه .

٣ - لم يكن المرجع موجوداً لديه ساعة التصنيف .

هذا بعض ما قد يعتذر به للسيوطي ، لكن لما أكثر من ترك عزو الأقوال عددت ذلك من السلبيات في هذا الكتاب .

١ - ((المزهر)) : ٢ / ٣١٩ .

٢ - ((شرح مقامات السيوطي)) : مقامة ((الكاوي في تاريخ السخاوي)) : ٢ / ٩٤٩ - ٩٥٠ .

٣ - ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) : ٢١٩ .

ولا يخالف هذا أن السيوطي تغلب عليه الأمانة العلمية في نقل الكلام حتى بالإشارة كقال بعضهم ونحوه ، لكن الكلام هنا على ذكر المصادر والتصريح بها ، وذكر الأشخاص والتصريح بأسمائهم .

٥ - إirاده لعدد من الأحاديث الموضوعية :

مع أن السيوطي - رحمه الله تعالى - إمام من أئمة الحديث وحافظ من حفاظه ، إلا إنه أورد بعض الأحاديث الموضوعية الظاهرة بالطلان في كتابه دون أن ينبه على وضعها أو ينقضها ، ومما أورده من هذا النوع :

أ - حديث مكذوب - ولا شك - عن عبد الله بن سلام^(١) رضي الله عنه.

والحديث طويل ولكن مما جاء فيه :

((... قال يعحمد : فقرار الأرض من أي شيء ؟ قال : بالجبال . قال : وقرار الجبال بأي شيء ؟ قال : بجبل قاف . قال : وجبل قاف من أي شيء ؟ قال : من زمردة خضراء ، وخضرة السموات منه)) .

((... فهذه الأرضون على أي شيء ؟ قال : على الثور . قال : وكيف صفة الثور ؟ قال : له أربعة آلاف رأس مابين الرأسين مسيرة خمسمائة عام . قال : صدقت ...)) .

والخير على هذا النسق ، طويل ، مكذوب ، ولا شك .

ولم يكتف السيوطي بإيراده ، بل جعل تصديق عبد الله بن سلام - رضي الله عنه - لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، دليلاً على وجود ذلك المسئول عنه في التوراة ، والخبر في جملة كذب ووضع محض ، قال السيوطي :

١ - الإمام الحبر عبد الله بن سلام بن الحارث الإسرائيلي ، حليف الأنصار . من خواص أصحاب النبي ، صلى

الله عليه وسلم . أسلم وقت هجرة النبي - صلى الله عليه - وقدمه . وكان من أحبار اليهود . توفي سنة ٤٣

رضي الله عنه . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢ / ٤١٣ - ٤٢٦ .

((فانظر تصديق عبد الله - حَبْرَ بني إسرائيل والمسلمين - لسيدنا ومولانا محمد - صلى الله عليه وسلم - لوجود ذلك كَلَّة في التوراة التي جعل الله فيها بيان كل شيء وتفصيله))^(١) .

ومعنى كلامه هذا أن الحديث ثابت أو على الأقل غير موضوع مع أن علائم الوضع عليه ظاهرة .

قال ابن كثير^(٢) رحمه الله تعالى :

((وقد رُوي عن بعض السلف أنهم قالوا : (ق) : جبل محيط بجميع الأرض ، وكان هذا - والله أعلم - من خرافات بني إسرائيل التي أخذها عنهم بعض الناس لما رأى من جواز الرواية عنهم فيما لا يُصدق ولا يُكذب . وعندي أن هذا وأمثاله وأشباهه من اختلاق بعض زنادقتهم يُلبسون به على الناس أمرَ دينهم ، كما افترى في هذه الأمة - مع جلالة قدر علمائها وحفاظها وأئمتها - أحاديث عن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وما بالعهد من قِدَم ، فكيف بأمة بني إسرائيل مع طول المدى وقلة الحفاظ النقاد فيهم ، وشربهم الخمر ، وتحريف علمائهم الكلم عن مواضعه ، وتبديل كتب الله وآياته ، وإنما أباح الشارع الرواية عنهم في قوله : ((وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))^(٣) فيما قد يحوزه العقل ، أما فيما تحيله العقول ويُحكم عليه بالبطلان ويغلب على الظنون كذبه فليس من هذا القبيل ، والله أعلم))^(٤) .

١ - انظر نص الحديث وكلام السيوطي في ((المعترك)) : ٣ / ٢٦٥ - ٢٦٦ .

٢ - هو الشيخ الإمام إسماعيل بن عمر بن كثير البصريّ ، عماد الدين ، ولد سنة سبعمائة أو بعدها ببسير ، ونشأ بدمشق ، وسمع من طائفة ، واشتغل بالحديث ، وجمع التفسير ، والتاريخ الذي سماه ((البداية والنهاية)) ، وله عدة مصنفات سارت في البلاد . كان كثير الاستحضار ، حسن المفاكهة .

مات سنة ٧٧٤ وكان قد أضرَّ في أواخر عمره . انظر ((الدرر الكامنة)) : ١ / ٣٩٩ - ٤٠٠ .

٣ - أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء : باب ما ذكر عن بني إسرائيل : ٤ / ٢٠٧ .

٤ - ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٣٧٢ - ٣٧٣ .

ثم أورد أثراً يشابه الأثر الذي أورده السيوطي ، رحمهما الله تعالى ،
وحكم عليه بالبطلان .

وقال الآلوسي^(١) رحمه الله تعالى :

((وذهب القرافي^(٢) إلى أن جبل قاف لا وجود له ، وبرهن عليه بما برهن ثم قال :
ولا يجوز اعتقاد مالا دليل عليه)) .

ثم ذكر أن الذي يذهب إليه هو نفسه الذي ذهب إليه القرافي - رحمهما الله
- من أنه ((لا وجود لهذا الجبل بشهادة الحس فقد قطعوا هذه الأرض برّها وبحرها
على مدار السرطان مرات فلم يشاهدوا ذلك ، والطعن في صحة هذه الأخبار^(٣)
أهون من تكذيب الحس ، وليس ذاك من باب نفي الوجود لعدم الوجدان^(٤) ، كما
لا يخفى على ذوي العرفان))^(٥) .

وقد قال ابن القيم^(٦) - رحمه الله تعالى - منبهاً على ((أمور كلية يُعرف بها
كون الحديث موضوعاً))^(٧) :

١- هو الشيخ شهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي . حذو الأعلى من (آلوس) جزيرة في الفرات . ينتهي
نسبه إلى سيد الخلق ، صلى الله عليه وسلم . ولد سنة ١٢١٧ .

كان صدر المدرسين ، مشغولاً بالإفتاء والتدريس بهمة عالية . أخذ عنه خلق كثير وقصدته الطلبة . له مصنفات
عديدة ورسائل كثيرة . توفي سنة ١٢٧٠ ببغداد ، رحمه الله تعالى . انظر ((المسك الأذفر)) : ٦٤ - ٨٥ .

٢- هو الشيخ شهاب الدين أبو العباس أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن العنّهاجي البهنسي المصري ، الإمام العلامة .
انتهت إليه رئاسة الفتوى على مذهب مالك ، وحّد في طلب العلوم فبلغ الغاية القصوى . كان إماماً بارعاً في الفقه
والأصول والعلوم العقلية ، وله معرفة بالتفسير . تخرج به جماعة من الفضلاء . وله مصنفات سارت في الناس مسير
الشمس . توفي سنة ٦٨٤ ، ودفن بالقرافة بمصر . انظر ((الديباج المذهب)) : ١ / ٢٣٦ - ٢٣٩ .

٣- أي الأخبار الواردة بذكر جبل قاف .

٤- أي إنه لم ينف وجود جبل قاف لعدم العثور عليه ، وإنما نفاه لاستحالة وجوده عقلاً .

٥- ((روح المعاني)) : ٩ / ١٧١ - ١٧٢ .

٦- هو الشيخ الإمام محمد بن أبي بكر بن أيوب الزُّرعيّ الدمشقيّ ، شمس الدين ابن قيم الجوزية الحنبليّ .

ولد سنة ٦٩١ . وكان جريء الجنان ، واسع العلم ، عارفاً بالخلاف ومذاهب السلف . غلب عليه حب ابن

تيمية حتى كان لا يخرج عن شيء من أقواله بل ينتصر له في جميع ذلك . وكان كثير الصلاة والتلاوة ، حسن

الخلق ، كثير التودد . توفي سنة ٧٥١ بدمشق ، وكانت جنازته حافلة . انظر ((الدرر الكامنة)) : ٤ / ٢١ - ٢٣ .

٧- ((المنار المنيف)) : ٥٠ .

((منها أن يكون الحديث مما تقوم الشواهد الصحيحة على بطلانه ... ومن هذا حديث :

((إن قاف جبل من زبرجدة خضراء تحيط بالدنيا كإحاطة الحائط بالبستان ،
والسماء واضحة أكنافها عليه فزُرقتها منه)) .
وهذا وأمثاله مما يزيد الفلاسفة وأمثالهم كفرةً^(١) .

وإنما سُقت هذه النصوص عن الأئمة الثلاثة المتقدمين ابن كثير والآلوسي وابن القيم لبيان وضع هذا الحديث وبطلانه ، ولأنني لم أجد له ذكراً في المصنفات التي هي مظانّه بعد البحث الطويل والتفتيش الكثير ، خاصة في مصنفات السيوطي نفسه مثل ((الموضوعات)) ، و ((الدر المنثور)) ، و ((كنز العمال)) الذي أُلّف من مادة ((الجامع الكبير)) .

ب - وأورد أيضاً حديثاً موضوعاً في فضل سورة الإخلاص قارن بينه وبين حديث آخر في فضل علي بن أبي طالب ، رضي الله عنه ، وكلا الحديثين من الموضوع الظاهر الوضع ، فاسمع إليه حيث قال :

((... وشبّهه بسورة الإخلاص^(٢) في قوله :

(من قرأ سورة الإخلاص مرة واحدة فله ثواب ثلث هذه الأمة ، ومن قرأها مرتين فله ثلثا ثواب هذه الأمة ، ومن قرأها ثلاث مرات فله ثواب هذه الأمة) .

وقال : (من أحب علياً بقلبه فله ثلث ثواب هذه الأمة ، ومن أحبه بقلبه ولسانه

١- المصدر السابق : ٧٨ ، وإنما يزيد هذا الخبر الفلاسفة كفرةً لأنهم قوم يستندون إلى الحس والعقل كثيراً ، ويحيلون أموراً ثبتت بالحديث الصحيح ، فكيف بهذا الحديث الموضوع وبطلان مافيه فإنه يزيد من شكهم في الأحاديث المنقولة بمجملتها ؛ وذلك لعدم علمهم بطرق نقل الحديث والحكم عليه .

٢- أي شبّه الرسول - صلى الله عليه وسلم - علياً ، رضي الله عنه ، بسورة الإخلاص .

فله ثلثا ثواب هذه الأمة ، ومن أحبه بلسانه وقلبه وجوارحه فله ثواب جميع هذه الأمة) ((^(١) .

وهذان الحديثان لم أجدهما بعد طول بحث وتنقيب ، لكنهما من الأحاديث التي عليها علائم الوضع .

وأحاديث فضائل علي - رضي الله عنه - كثيرة جداً ، وكثير منها موضوع ، فقد ذكر أن الرافضة وضعت في فضائل علي - رضي الله عنه - وأهل البيت نحو ثلاث مائة ألف حديث^(٢) .

وإنما قلت : هذان الحديثان عليهما علائم الوضع ؛ لما فيهما من ثواب عظيم مترتب على عمل يسير ؛ وقد ذكر ابن عَرَّاق^(٣) أن من علائم الوضع في الحديث ((ركة لفظه ومعناه ... قال شيخ شيوخنا البرهان البقاعي^(٤) :
ومما يرجع إلى ركة المعنى الإفراط بالوعيد الشديد على الأمر الصغير ، أو بالوعد العظيم على الفعل اليسير ، وهذا كثير في أحاديث القصاص .

١- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٥٥ .

٢- المنار المنيف : ١١٦ .

٣- هو الشيخ سعد الدين علي بن محمد بن علي بن عبد الرحمن بن عَرَّاق ، الفقيه المقرئ ، الشامي الحجازي ، الشافعي . ولد سنة ٩٠٧ ببيروت ، وحفظ القرآن العظيم وكتباً عديدة في فنون شتى . وكان ذا قدم راسخة في الفقه والحديث والقراءات ومشاركة جيدة في غيرها ، وله قوة في نظم الأشعار الفائقة ، واقتدار على نظم الشعر . وكان أصم ، وولي خطابة المسجد النبوي وإمامته . توفي بالمدينة سنة ٩٦٣ .

انظر ((شذرات الذهب)) : ٨ / ٣٣٧ - ٣٣٨ .

٤- هو الشيخ الإمام إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي ، برهان الدين . نزيل القاهرة ثم دمشق . ولد سنة ٨٠٩ بقرية من أعمال السِّقَّاق ونشأ بها ، ثم تحول إلى دمشق ثم فارقها ودخل بيت المقدس ثم القاهرة ، وبرع وفاق الأقران . مرت عليه عن بالديار المصرية فانتقل منها إلى دمشق .

وقد حج ثم اعتزل الناس فأخذ عنه الطلبة في فنون ، وصنف التصانيف . توفي سنة ٨٨٥ بدمشق ، رحمه الله .

انظر ((البدر الطالع)) : ١ / ١٩ - ٢٢ .

قال ابن الجوزي :

واني لأستحيي من وضع أقوام وضعوا : (من صلى كذا فله سبعون داراً ، في كل دار سبعون ألف بيت ، في كل بيت سبعون ألف سرير ، على كل سرير سبعون ألف جارية) وإن كانت القدرة لاتعجز ولكن هذا تخليط قبيح ... وهذا يفسد مقادير موازين الأعمال))^(١) .

فالعجب من الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - كيف يورد مثل هذا الذي أورده ولا يتحرج منه ، وهو الإمام الحافظ الحجة^(٢) .

وإيراد مثل هذه الأحاديث في هذا الكتاب ثلثة كبيرة وثغرة واضحة فيه ، خاصة أن السيوطي أوردها ولم يتكلم عليها ، بل أوردها موافقاً عليها مستدلاً بها .

ولا يقال إن السيوطي تسامح في نقل هذه الأحاديث وأمثالها لضعفها عنده ؛ إذ هي ظاهرة الوضع والبطلان .

ولا يقال إنه رواها وهي موضوعة لأنه قال في حكم رواية الموضوع : ((وتحرم روايته مع العلم به - أي بوضعه - في أي معنى كان ، سواء الأحكام والقصص والترغيب وغيرها ، إلا ميبناً - أي مقروناً ببيان وضعه ...))^(٣) .

فلا أدري وجه روايته لأمثال هذه الأحاديث ، خاصة أنه قرنهما بما يؤكد صحتها عنده حيث ذكر أن ((تصديق عبد الله حبر بني إسرائيل لسيدنا ومولانا

١ - ((تنزيه الشريعة المرفوعة)) : ٧ .

٢ - انظر كذلك الأثر الذي أورده في الجزء ٣ آخر صفحة ٢٨٠ و صفحة ٢٨١ .

٣ - ((تدريب الراوي)) : ١ / ٢٣٢ .

محمدٍ - صلى الله عليه وسلم - لوجود ذلك كله في التوراة ...))^(١) .

وقال في الحديث الآخر : ((وشبهه بسورة الإخلاص في قوله : ((من قرأ ...))^(٢) .
فالله أعلم بالحامل له على ذكر هذه الموضوعات .

٦ - أخطاء علمية منهجية :

قد وقع السيوطي في أخطاء عجيب أن يقع فيها إمام مثله ، فمن ذلك :

أ - خطأ عقدي :

أورد أبياتاً منسوبة لعليّ - رضي الله عنه - جاء في آخرها :
وهذا العلم لا يحويه إلا نبيّ أو وصي الأنبياء^(٣) .
ثم إنه لم يردّ هذا اللفظ ولم يُفندّه .

وكلة (وصي) ابتدعها غلاة الشيعة ليثبتوا بها أن النبي - صلى الله عليه وسلم -
وصي بالخلافة لعلي - رضي الله عنه - نصّاً وكتمتها الأمة وغصبته حقّه ، قاتلهم
الله ما أجهلهم ، وما أجهلهم على خير القرون رضي الله عنهم^(٤) .

ب - تبني الآراء الضعيفة أو التي ليس عليها دليل :

ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه قضيتين أغرب فيهما ،

١- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٦٦ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٥٥ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ١٢٠ .

٤- انظر للتفصيل في أمر رد هذه الوصية المزعومة : ((الفصل في الملل والأهواء والنحل)) : ٤ / ١٥٧-١٧٥ ، وقد
أفاض شيخ الإسلام ابن تيمية في الرد على من زعم بأن الرسول - صلى الله عليه وسلم - وصي بالخلافة لعلي
رضي الله عنه ، انظر ((منهاج السنة النبوية)) : ٦ / ٤٨٩ - إلى آخر الجزء ، والجزء السابع بتمامه ، والجزء
الثامن من أوله إلى صفحة ٢٦٠ .

وكان ذلك الإغراب بسبب استناده إلى حديث ضعيف ، أو إلى رأي ضعيف ليس عليه نص صحيح صريح ، أو أنه لم يذكر نصاً في المسألة .

والقضية الأولى كانت تتناول عذاب الموحدين في النار ، والقضية الأخرى تتناول قصة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بأم المؤمنين زينب بنت جحش^(١) ، رضي الله عنها .

أما القضية الأولى فلم يستند فيها إلى نص بل أرسلها إرسالاً فناقشته فيها وبينت مالهه يكون مستنداً له .

وأما القضية الأخرى فقد استند فيها إلى حديث ضعيف ، وإلى رأي ليس عليه دليل صريح .

وتفصيل القضيتين على النحو التالي :

أولاً : قضية تعذيب بعض الموحدين في النار :

قد ثبت في نصوص كثيرة أن بعض الموحدين يدخل النار فيعذب فيها للذنوب ارتكبها ، ثم يخرج منها بعد ذلك برحمة الله وفضله ، فمن تلك النصوص قوله تعالى : ﴿ وَآخَرُونَ مُّرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ﴾^(٢) . وقوله تعالى ﴿ إِنَّا نَفِرُ وَأُعَذِّبُكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾^(٣) . ومن النصوص النبوية قوله ، صلى الله عليه وسلم :

((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد ، وأراد أن يخرج برحمته من أراد من أهل النار ، أمر الملائكة أن يخرجوا من النار من كان لا يشرك بالله شيئاً ممن أراد الله أن يرحمه ممن يشهد أن لا إله إلا الله فيعرفونهم في النار بأثر السجود ؛ تأكل النار ابن آدم إلا أثر السجود ...))^(٤) .

١- هي زينب بنت جحش بن رباب الأسديّة ، أم المؤمنين . أمها أُميمة بنت عبد المطلب عمّة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ماتت سنة عشرين في خلافة عمر رضي الله عنها ، أخرج لها الجماعة . انظر ((التقریب)) : ٧٤٧ .

٢- سورة التوبة : آية ١٠٦ .

٣- سورة التوبة : آية ٣٩ .

٤- هذا جزء من حديث طويل أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب الرقاق : باب الصراط حشر جهنم : ٩ /

وقد بيّن النبي - صلى الله عليه وسلم - في آخر هذا الحديث حال آخر
الموحدين دخولاً الجنة وكلامه مع الله تعالى فقال :
((ويقي رجل مُقبل بوجهه على النار - وهو آخر أهل النار دخولاً الجنة -
فيقول : أيّ ربّ : اصرف وجهي عن النار فقد قَشَبَنِي رِيحُهَا وأحرقني
ذَكاؤُهَا ...))^(١) .

فهذا الحديث صريح في تعرض ذلك الرجل الموحد للعذاب .

ومن تلك النصوص التي تدل على وجود عذاب في النار وأنه يتفاوت ، من
تلك النصوص قول النبي صلى الله عليه وسلم :
((إن أشدّ الناس عذاباً عند الله يوم القيامة المصرون))^(٢) .

فهذه النصوص - وأمثالها كثير - ثابتة قاطعة بأن بعض الموحدين ينالهم عذاب
محدد مقدر في النار ثم يخرجون منها ولا يخلدون فيها ، والمسألة أوضح من أن يُتكلم
عليها ، لكن ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه أمراً يدل على أن
العذاب الواقع على الموحدين في النار عذابٌ صوريٌّ وليس حقيقياً ، وقد ذكر هذا
عند تفسير قوله تعالى : ﴿ مُلِيمٌ ﴾^(٣) فقال :
((﴿ مُلِيمٌ ﴾ من اللوم ، وهو التعبير ، وذلك أنه فعل ما يلام عليه في خروجه من
قومه بغير إذن ربه ، فحبسه في بطن الحوت حتى طهره ، وأخرجه بتسبيحة
واحدة .

١- المصدر السابق .

ومعنى ((قَشَبَنِي)) : آذاني وأهلكني وسمّني ، انظر ((فتح الباري)) : ٢٤ / ٢٨١ و ((ذَكاؤُهَا)) : كثرة لخبثها ،
وشدة اشتغالها ووهجها . المصدر السابق ، و ((لسان العرب)) : ذكي .

٢- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب اللباس : باب عذاب المصرون يوم القيامة : ٧ / ٢١٥ .

٣- سورة الصافات : آية ١٤٢ .

وكذلك المؤمن يجبسه في النار حتى يطهره من غير ألم يناله فيها ؛ لأن له عَقْدَ الوصلة^(١) ، كأَيُوبَ حلف أن يضرب زوجته مائة سوط ، فأمره الله أن يأخذ بيده ضِغْثًا - وهو مِلءٌ كَفَّ من الحشيش - كي لاتتأذى امرأته بالضرب^(٢) .

وقول السيوطي : ((وكذلك المؤمن يجبسه في النار حتى يطهره من غير ألم يناله فيها)) قولٌ ليس عليه دليل ، بل هو مخالف لكثير من النصوص التي تدلّ على أن بعض الموحدين يناله في النار عذابٌ محددٌ مؤقتٌ ، خاصة ما أورده آنفًا من إخبار رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عن حال بعض أهل النار ، وعذابهم فيها ، وتضررهم من ذلك العذاب وتألّمهم منه .

وتلك النصوص لاتخفى على الإمام السيوطي ، فلا أدري من أين أتى بذلك الرأي الغريب ، خاصة أن اللغة لاتسمح به ؛ إذ معنى العذاب فيها هو النكال والعقوبة^(٣) .

ولعل مستند الإمام السيوطي فيما ذهب إليه في هذه المسألة الحديث الذي ذكره في كتابه : ((البدور السافرة في أمور الآخرة)) - حيث قال :

((باب من دخل النار من الموحدين يموت فيها :

أخرج مسلم^(٤) عن أبي سعيد^(٥) قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

١- كأنه يعني الوصلة بين العبد وربّه في الدار الآخرة ، ورؤيته ربّه سبحانه وتعالى فيها .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٥١٩ .

٣- انظر ((لسان العرب)) : ع ذ ب ، و ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب : ع ذ ب .

٤- هو الإمام الكبير ، الحافظ المجتهد ، الحجة ، أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيريّ النيسابوري . ولد سنة أربع ومائتين - فيما قيل - وارتحل قبل سنة ثلاثين ، وسمع على مشايخ كثيرين ، وسمع منه خلق كثير . وقد صنف صحيحه المشهور من ثلاث مائة ألف حديث ، وكان يُقدّم في معرفة الحديث على أكثر المشايخ في عصره . توفي سنة إحدى وستين ومائتين في نيسابور ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٢ / ٥٥٧ - ٥٨٠ .

٥- هو سعد بن مالك بن سنان الأنصاري ، أبو سعيد الخدري . له ولأبيه صحبة ، استصغر بأحد فشهد مابعدهما ،

وروى الكثير . مات بالمدينة سنة ثلاث وستين ، رضي الله عنه . انظر ((التقریب)) : ٢٣٢ .

أمّا أهل النار - الذين هم أهلها - فإنهم لا يموتون فيها ولا يحيون ، ولكنّ ناساً أصابهم النار بذنوبهم - أو قال بخطاياهم - فأماتهم الله إماتةً حتى إذا كانوا فحمًا أذن لهم في الشفاعة فيجيء بهم ضبائر^(١) فُبثّوا على أنهار الجنة))^(٢) .

ثم ذكر الإمام السيوطي كلاماً للإمام القرطبي في هذه المسألة ، فقال :
((قال القرطبي :

هذه الموتة للعصاة موتة حقيقية ، لأنه أكدها بالمصدر ؛ وذلك تكريماً لهم حتى لا يحسوا ألم العذاب .

قال : فإن قيل : فأيّ فائدة في إدخالهم النار وهم لا يحسون بالعذاب ؟ قلنا : يجوز أن يدخلهم النار تأديباً وإن لم يذوقوا فيها العذاب ، ويكون صرف نعيم الجنة عنهم مدة كونهم فيها عقوبةً لهم ؛ كالمحبوسين في السجون ؛ فإن الحبس عقوبة لهم وإن لم يكن معه غلٌّ ولا قيد .

قال : ويحتمل أنهم يعذبون أولاً وبعد ذلك يموتون ، ويختلف حالهم في طول التعذيب بحسب جرائمهم وأثامهم^(٣) . ويجوز أن يكونوا معذبين حالة موتهم غير أن آلامهم تكون أخفّ من آلام الكفار ...))^(٤) .

ولكن هذا الحديث الذي ذكره الإمام السيوطي لا يدلّ على ماذهب إليه من أن الموحد يحبس في النار مدةً من غير ألم يناله ؛ وذلك لأن هذا الفهم لا يثبت مع نصوص الأحاديث الأخرى الكثيرة المنبئة عن تألم الموحدين في النار وأنهم يخرجون بعد عقوبة تنالهم ، وليت شعري مالذي يردع عصاة الموحدين عن الذنوب إذا علموا أنهم لن تقع عليهم عقوبة أخروية ، إنما كل عقابهم أنهم يؤخرون ويحبسون

١- الضبائر : جماعات الناس ، وكل مجتمع : ضيارة . انظر ((لسان العرب)) : ض ب ر .

٢- أخرجه الإمام مسلم في كتاب ((الإيمان)) : باب إثبات الشفاعة وإخراج الموحدين من النار : ٣ / ٤٠٨ .

٣- هذا هو الرأي الذي ارتضاه القرطبي فيما بعد جمعاً بين هذا الحديث والآثار الكثيرة المخيرة بعذاب أهل النار من الموحدين ، وسأورد كلامه آخر الكلام على هذه المسألة إن شاء الله .

٤- ((البدور السافرة في أمور الآخرة)) : ٣٥١ - ٣٥٢ وكلام القرطبي هذا في كتاب ((التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة)) : ٢ / ٤٥٦ .

فلا يدخلون الجنة إلا بعد حبس ظال أو قَصُر ؟ وهل خوف الطائعين ، وتورع المتقين ، ودعاء العابدين إلا رغبةً في الجنة ونعيمها وخوفاً من النار وعذابها .

قال الإمام النووي^(١) - رحمه الله تعالى - في معنى ((أماتهم إماتة)) وما بعدها :

((معناها أن المذنبين من المؤمنين يميتهم الله - تعالى - إماتةً بعد أن يعدّبوا المدة التي أَرادها الله - تعالى - وهذه الإماتة إماتة حقيقية يذهب معها الإحساس ، ويكون عذابهم على قدر ذنوبهم ، ثم يميتهم ، ثم يكونون محبوسين في النار من غير إحساس المدة التي قدرها الله - تعالى - ثم يخرجون من النار موتى قد صاروا فحماً ... هذا هو الظاهر من لفظ الحديث ومعناه .

وحكى القاضي عياض - رحمه الله تعالى - فيها وجهين : أحدهما أنها إماتة حقيقية ، والثاني ليس بموت حقيقي ولكن تغيب عنهم إحساسهم بالآلام ، قال : ويجوز أن تكون آلامهم أخف ، فهذا كلام القاضي ، والمختار ما قدمناه))^(٢) .
وقال الإمام ابن حجر^(٣) - رحمه الله تعالى - في سرد فوائد أحاديث باب الصراط جسر جهنم :

١- يحيى بن شرف بن مُرِّي ، مفتي الأمة ، شيخ الإسلام ، محيي الدين ، أبو زكريا النووي ، الحافظ الفقيه الشافعي الزاهد ، أحد الأعلام . ولد سنة إحدى وثلاثين وستمائة بـ (نوى) ، إحدى قرى حوران شمال الشام . قدم إلى دمشق فاجتهد في الاشتغال بالعلم ، وألف مصنفات نفع الله بها المسلمين ، واشتهرت ، وحُلبت إلى الأمصار . توفي بـ (نوى) سنة ست وسبعين وستمائة ، رحمه الله تعالى .
انظر ((فوات الوفيات)) : ٤ / ٢٦٤ - ٢٦٨ ، و ((الأعلام)) : ٨ / ١٤٩ - ١٥٠ .

٢- شرح صحيح مسلم للنووي : ٣ / ٤٠٨ .

٣- أحمد بن علي بن محمد ، الأستاذ إمام الأئمة ، أبو الفضل الكنتاني العسقلاني المصري ثم القاهري الشافعي ، ويُعرف بـ (ابن حجر) وهو لقب لبعض آبائه . ولد سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة بمصر العتيقة ، ونشأ بها يتيماً ، وحفظ بعض المنظومات ، وأخذ على كثير من المشايخ ، وحَدَّث في الفنون حتى بلغ الغاية ، وأقبل على الحديث بكنيته ، وارتحل في طلبه ، وتصدى لنشره وإقرائه . وُلِّيَ عدة وظائف في الحسبة والإمامة والقضاء ، وله المصنفات النافعة المشهورة . توفي في القاهرة سنة اثنتين وخمسين وثمانمائة ، رحمه الله تعالى .
انظر ((الضوء اللامع)) : ٢ / ٣٦ - ٤٠ .

((وفيه أن جماعة من مذنبى هذه الأمة يعذبون بالنار ثم يخرجون بالشفاعة والرحمة ... وأن تعذيب الموحدين بخلاف تعذيب الكفار لاختلاف مراتبهم من أخذ النار بعضهم إلى ساقه ، وأنها لاتأكل أثر السجود ، وأنهم يموتون فيكون عذابهم إحراقهم وحبسهم عن دخول الجنة سريعاً كالمسجونين ، بخلاف الكفار الذين لا يموتون أصلاً ليدوقوا العذاب ولا يموتون حياةً يستريحون بها .

على أن بعض أهل العلم أول ما وقع في حديث أبي سعيد من قوله : ((يموتون فيها إماتة)) بأنه ليس المراد أنه يحصل لهم الموت حقيقة وإنما هو كناية عن غيبة إحساسهم وذلك للرفق بهم ، أو كنى عن النوم بالموت ، وقد سُمى الله النوم وفاة .

وقد وقع في حديث أبي هريرة أنهم إذا دخلوا النار ماتوا فإذا أراد الله إخراجهم أمسهم ألم العذاب تلك الساعة))^(١) .

فالجمع الحسن في هذه المسألة - والله أعلم - أن المسلم إذا دخل النار فإنه يعذب بقدر ذنوبه ، ويموت مودة بقدر ما قدر الله له من الحبس في النار تخفيفاً عنه ، وهذا الجمع هو مختار الإمامين النووي وابن حجر ، وهو أولى من رأي السيوطي أن الموحدين يحبسون في النار لكن لا ينالهم ألم فيها ، وإنما كان أولى لجمعه بين النصوص المختلفة على وجه حسن ، وعدم مناقضته للثابت من نصوص الوعيد الدالة على عذاب بعض الموحدين في النار عذاباً حقيقياً ، عافانا الله .

وهذا الجمع هو الذي انتهى إليه القرطبي - أيضاً - بعد تأويله الذي ذكرته آنفاً ، إذ قال :

((قلت : إن قال قائل :

١- ((فتح الباري)) : ٢٤ / ٢٨٦ ، ولم أجد الحديث المذكور عن أبي هريرة .

قد تقدم من حديث أبي سعيد الخدري أن من ليس من أهل النار^(١) إذا دخلوها أُحرقوا فيها وماتوا ، على ما ذكرتموه في أصح القولين ، وهذه الأحاديث التي جاءت في العصاة بخلاف ، فكيف الجمع بينهما ؟

قيل له : الجمع ممكن ، وذلك - والله أعلم - أن أهل النار الذين هم أهلها كما قال الله تعالى : ﴿ كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلْنَاهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا الْعَذَابَ ﴾^(٢) ... والعصاة بخلاف هؤلاء فيعذبون وبعد ذلك يموتون ...

وقد قيل إنه يجوز أن يكونوا متالمين حال موتهم ، غير أن آلام المؤمنين تكون أخف من آلام الكفار ...^(٣) .

وهذا الذي انتهى إليه القرطبي - أولاً - هو الذي ذهب إليه الإمامان ابن حجر والنووي ، رحمهم الله جميعاً .

وبهذا يتبين ضعف رأي الإمام السيوطي الذي ذهب إليه في أن عذاب الموحّد في النار عذابٌ صوريّ ، والله أعلم .

ثانياً : مسألة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بزَيْنَب بنت جحش ، رضي الله عنها :

ذكر الإمام السيوطي ، رحمه الله تعالى ، في مسألة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - بزَيْنَب بنت جحش ، رضي الله عنها ، كلاماً غير مقبول من إمام مثله ، فقد قال في تفسير قوله تعالى : ﴿ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾^(٤) :

١- أي غلّد فيها .

٢- سورة النساء : آية ٥٦ .

٣- ((التذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة)) : ٢ / ٥٥٦ - ٥٥٧ .

٤- سورة الأحزاب : آية ٣٧ .

وسوف أذكر في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى ، أن الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - قد يتزعج الشاهد من الآية انتزاعاً مُخللاً ليستقيم له وضعها تحت الحرف الذي ساقها فيه ، انظر ص ٤١٢ وما بعدها من هذه الرسالة .
ونعم الآية وكما لسياقها الدالّ على الموضوع المراد منها : ﴿ وَنُخَوِّنِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ ﴾ .

((رُوي أنه - صلى الله عليه وسلم - ذهب يوماً لزيارة زيد ، فخرجت زينب كالشمس الضاحية ، فقال : تبارك الله أحسن الخالقين ، فلما جاء زيد أخبرته بقوله - صلى الله عليه وسلم - ففهم أنها أعجبتة ، ومن خصائصه - صلى الله عليه وسلم - إذا وقع بصره على امرأة وأعجبتة وجب على زوجها طلاقها رضا له صلى الله عليه وسلم .

فأتى إلى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - وقال له : قد طلقْتُ زينبَ يا رسول الله .

فقال له : أمسك عليك زوجك واتق الله ...))^(١) .

والأمر العجيب من الإمام السيوطيَّ ذكره قضيتين في هذه المسألة ، وهما :

١ - سبب زواجه من زينب ، رضي الله عنها ، أنه وقوع بصره عليها وإعجابه بها .

٢ - قوله إن من خصائص النبي - صلى الله عليه وسلم - أنه إذا وقع بصره على امرأة وأعجبتة وجب على زوجها طلاقها رضا له ، صلى الله عليه وسلم .

أما القضية الأولى - وهي سبب زواجه - صلى الله عليه وسلم - من زينب بنت جحش ، رضي الله عنها ، فإن السيوطيَّ قد صدرها بلفظ رُوي المشعر بالضعف ، ثم إنه اعتقد صحة ما ذكره لأنه قال بعد ذلك :

((فإن قلت : قد حرّم الله عليه خاتنة الأعمى ، فكيف أخفى في نفسه حبّه طلاقها من زيد ؟^(٢) فالجواب أن الذي أخفى إنما هو أمرٌ مباح لا إثم فيه ولا عيب ؛ أشفق على أمته من التسلط عليه بالسنتهم فيكون فيه هلاكهم ...))^(٣) .

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٩٨ .

٢- لا يظهر لي تناسق بين شطري السؤال لكنه كذا ورد ، والمعنى المراد واضح والله أعلم .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٩٨ - ٣٩٩ .

وهذه القصة كلها باطلة ؛ فقد أخرجها ابن سعد^(١) وغيره من طريق محمد بن عمر الواقدي^(٢) عن عبد الله بن عامر الأسلمي^(٣) عن محمد بن يحيى بن حبان^(٤) قال :

جاء رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، بيت زيد بن حارثة يطلبه - وكان زيد إنما يقال له : زيد بن محمد ، فرمى فقده رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، الساعة فيقول : ((أين زيد)) ؟ - فجاء منزله يطلبه فلم يجده ، وتقنوم إليه زينب بنت جحش زوجته فضلاً^(٥) ، فأعرض رسول الله - صلى الله عليه وسلم - عنها فقالت : ليس هو هاهنا يارسول الله ، فادخل بأبي أنت وأمي ، فأبى رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أن يدخل .

وإنما عجلت زينب أن تلبس لما قيل لها : رسول الله - صلى الله عليه وسلم - على الباب ، فوثبت عجلت ، فأعجبت رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فولى وهو يهمهم^(٦) بشيء لا يكاد يفهم منه إلا ربما أعلن : ((سبحان الله العظيم ، سبحان مصرف القلوب ...)) والحديث طويل^(٧) .

١- محمد بن سعد بن منيع ، الهاشمي بالولاء ، البصري ، نزيل بغداد . كاتب الواقدي . صدوق فاضل ، مات سنة ثلاثين ومائتين ، وهو ابن اثنتين وستين سنة . انظر ((التقريب)) : ٤٨٠ .

٢- محمد بن عمر بن واقد الأسلمي الواقدي ، المدني ، القاضي . نزيل بغداد . مزكوك مع سعة علمه . مات سنة سبع ومائتين ، وله ثمان وسبعون سنة . انظر ((التقريب)) : ٤٩٨ .

٣- عبد الله بن عامر الأسلمي ، أبو عامر المدني . ضعيف . مات سنة مائة وخمسين أو إحدى وخمسين ، انظر ((التقريب)) : ٣٠٩ .

٤- محمد بن يحيى بن حبان الأنصاري المدني . ثقة فقيه ، مات سنة إحدى وعشرين ومائة ، وهو ابن أربع وسبعين سنة . أخرجه له الجماعة : انظر ((التقريب)) : ٥١٢ .

٥- رجل فاضل وامرأة فاضلة : أي في لباس واحد ، والفضلة : الثياب التي تُبذل للنوم ؛ لأنها فضلت عن ثياب التصرف ، انظر ((لسان العرب)) : ف ض ل .

٦- المهمة : ترديد الصوت في الصدر . ((لسان العرب)) : همم .

٧- انظر ((المستدرک)) : ٤ / ٢٥ ، و ((طبقات ابن سعد)) : ٨ / ١٠١ - ١٠٢ .

وهذا الأثر ضعيف جداً ، وذلك لأن الواقدي مزكوك ، وعبد الله بن عامر الأسلمي ضعيف ، ومحمد بن يحيى بن حبان ثقة لكنه تابعي وقد أرسل هنا ، فمثل هذا الحديث لا يثبت بوجه من الوجوه ، والله أعلم .

قال الإمام ابن العربي^(١) :

((وهذه الروايات كلها ساقطة الأسانيد ... فأما قولهم إن النبي - صلى الله عليه وسلم - رآها فوقعت في قلبه فباطل فإنه كان معها في كل وقت وموضع ، ولم يكن حينئذ حجاب ، فكيف تنشأ معه وينشأ معها ويلحظها في كل ساعة ولا تقع في قلبه إلا إذا كان لها زوج ؟ ... حاشا لهذا القلب المطهر من هذه العلاقة الفاسدة ، وقد قال الله له : ﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ ۖ أَزْوَاجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْسِنَهُمْ فِيهِ ۗ ﴾^(٢) ، والنساء أفتن الزهرات وأنشر الرياحين ...

وإنما كان الحديث أنها لما استقرت عند زيد جاءه جبريل : إن زينب زوجك ، ولم يكن بأسرع أن جاءه زيد يتبرأ منها ، فقال له : اتق الله ، وأمسك عليك زوجك ، فأبى زيد إلا فراقها ، وطلقها ، وانقضت عدتها ، وخطبها رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ... وأنزل الله القرآن المذكور فيه خبرهما ... فقال : واذكر يا محمد إذ تقول للذي أنعم الله عليه وأنعمت عليه : أمسك عليك زوجك ، واتق الله في فراقها ، وتحفي في نفسك ما لله مبدية ، يعني من نكاحك لها ، وهو الذي أبداه لاسواه ...))^(٣) .

وإنما قال الله - تعالى - لنبيه ، صلى الله عليه وسلم : ﴿ وَخَشِيَ النَّاسَ ﴾^(٤) لأن زيدا كان يسمي زيد بن محمد ، فيخشى أن يقول الناس : إن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - تزوج زوج ابنه^(٥) .

١- أبوبكر محمد بن عبد الله بن محمد المعافري الإشبيلي . إمام ، علامة ، حافظ ، متبحر . ولد سنة ٤٦٨ بإشبيلية ، ونشأ بها ، ثم ارتحل إلى مصر والحجاز والعراق . كان حسن المعاشرة ، وقد تولى القضاء في إشبيلية وكان صارماً فيه . له تأليف عديدة . توفي سنة ٥٤٣ ، ودفن في فاس . انظر ((الدياج المذهب)) : ٢ / ٢٥٢ - ٢٥٦ .

٢- سورة طه : آية ١٣١

٣- ((أحكام القرآن)) لابن العربي : ٣ / ٥٧٧ - ٥٧٨ .

٤- سورة الأحزاب : آية ٣٧ .

٥- انظر ((روح المعاني)) : ٢٢ / ٢٤ .

((وما كان محمد - صلى الله عليه وسلم - في علو مقامه ورفعة منزلته من النبوة لتطمح نفسه إلى التلذذ بينت عمه وزوجة مولاه ، ولا أن يُسمعها ما يدل على شغفه بها ، ولا أن تضعف عزيمته عن قمع شهوته وكبح جماحها . وما كان رب محمد يُعلل شهوته ، ويرفّه من هواه فيما يخالف أمره ، وهو الذي نهاه أن يمد عينيه إلى مامتع به الناس من زهرة الحياة الدنيا ، ومن زهرتها النساء . تسامى قدر محمد عن ذلك ، وتعالى شأن ربه عن هذا علواً كبيراً ..

أما والله لولا ما أدخل الضعفاء أو المدلسون من مثل هذه الرواية ما خطر ببال مطلع على الآية الكريمة شيء مما يرمون إليه ؛ فإن نص الآية ظاهر جلي لا يحتمل معناه التأويل ، ولا يذهب إلى النفس منه إلا أن العتاب كان على التمهّل في الأمر والترثّ به ، وأن الذي كان يخفيه من نفسه هو ذلك الأمر الإلهي الصادر إليه بأن يهدم تلك العادة المتأصلة في نفوس العرب ، وأن يتناول المَعول ليهدمها بنفسه ... ولم يكن يمنعه عن إبداء ما أبدى الله إلا حياء الكريم ، وتؤدّة الحكيم ، مع العلم بأنه سيفعل لاحالة لكن مع معاونة الزمان))^(١) .

مما نقلته أنفاً يتبين خطأ ما نقله الإمام السيوطي وأثبتّه في كلامه على تفسير هذه الآية .

أما القضية الأخرى فهي قوله : ((ومن خصائصه - صلى الله عليه وسلم - إذا وقع بصره على امرأة وأعجبته وجب على زوجها طلاقها - رضاً له - صلى الله عليه وسلم)) .

وقول السيوطي هذا قد بيّنه أكثر في كتاب آخر له ، حيث قال :

((قال تعالى :

﴿ النَّبِيُّ أَوْلىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ ﴾^(٢) ...

١- ((محاسن التأويل)) للقاسمي : ١٣ / ٤٨٧٥ ، نقلًا عن أبيهم فقال : ((للإمام مفتي مصر - رحمه الله تعالى - مقالة على هذه الآية ، رأيت نقلها هنا تعزيزاً لما سلف ، وإيقافاً من أسرار الآية على نُحْب ما وصف :)) ١٣ / ٤٨٧٠ ، فلعلّ هذا المفتي هو الشيخ محمد عبده رحمه الله تعالى .

٢- سورة الأحزاب : آية ٦ .

ولو رغب في نكاح امرأة فإن كانت خليةً وجب عليها الإجابة وحرم على غيره خطبتها ، وإن كانت ذات زوج وجب على زوجها طلاقها لينكحها للآية السابقة ولقوله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾ الآية^(١) ، . . . واستدل الغزالي^(٢) لوجوب التطليق بقصة زيد ...^(٣) .

وقال الخفاجي رحمه الله تعالى :

((الأئمة الشافعية قالوا إنه من خصائصه - صلى الله عليه وسلم - أنه يجوز له النكاح بغير الرضى ، وأنه إذا رغب في نكاح امرأة لزم إجابتها ، وحرم على غيره^(٤) خطبتها ، فإن كانت تحت زوج وجب عليه طلاقها لأنه يجب على كل أحد أن يكون رسول الله - صلى الله تعالى عليه وسلم - أحب إليه من نفسه وأهله وولده))^(٥) .

وقال الزُّرقاني^(٦) ، رحمه الله تعالى ، مبيناً ضعف الاستدلال بتلك القصة - قصة زيد - على هذه المسألة :

((وفي هذا الدليل نظرٌ لا يثبت أنه - صلى الله عليه وسلم - رغب في نكاحها لما رآها ، وقال : سبحان الله مقلب القلوب ، ففهمت زينب ذلك منه وأخبرت

١- سورة الأنفال : آية ٢٤ .

٢- الشيخ الإمام البحر ، حجة الإسلام ، زين الدين أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الطوسي الشافعي الغزالي ، صاحب التصانيف والذكاء المفرط . تفقه ببلده ثم تحول إلى نيسابور فلزم إمام الحرمين فبرع في الفقه ومهر في الكلام والجدل ، وشرع في التصنيف ، وعظم جاه الرجل ، ثم رفض الرئاسة وتزهد رجع ، وانعزل عن الناس مدة ، وكان خاتمة أمره إقباله على طلب الحديث ومجالسة أهله . توفي سنة خمس وخمسمائة بطوس ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٩ / ٣٢٢ - ٣٤٦ .

٣- ((الخصائص الكبرى)) : ٣ / ٢٩٧ .

٤- في المطبوع : غيرها .

٥- ((نسيم الرياض)) : ٤ / ٢٧٢ .

٦- محمد بن عبد الباقي بن يوسف الزُّرقاني الأزهري المالكي . الإمام ، المحدث ، الناسك ، الفقيه ، العلامة . ولد سنة ١٠٥٥ بالقاهرة ، ونسبته إلى (زُرْقَان) إحدى قرى مصر ، وله عدة مؤلفات نافعة . توفي بالقاهرة سنة اثنتين وعشرين ومائة وألف ، رحمه الله تعالى .

انظر ((سلك الدرر)) : ٤ / ٣٢ - ٣٣ ، و ((الأعلام)) : ٦ / ١٨٤ .

زيداً ففارقها ، وهذا منكر ، وعلى تقدير تسليمه لا يدل على الوجوب ، إذ قوله : ﴿ فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ ﴾ صورة واقعة حال ، والصواب أن تطليق زيد لها لتعظيمها عليه ، ولذا قال ابن الرُّفعة^(١) : قصة زيد لا تدل على ذلك بل تدل على عكسه ، وبسط القول فيه بما يطول ذكره ، وكذا فعل ابن الصلاح^(٢) في كلامه على ((بسيط)) الغزالي^(٣) .

وهذه مسألة فرضية لم تقع ، ولا يحسن الكلام عليها وعرضها بهذه الصورة ؛ لأنها لم تحدث أصلاً ، والكلام فيها ضربٌ من التكلف ، ورحم الله الإمام السبكي^(٤) حيث قال :

((ولم يكن - صلى الله عليه وسلم - تعجبه امرأة أحد من الناس ، وقصة زينب إنما جعلها الله تعالى - كما في سورة الأحزاب - قطعاً لقول الناس : إن زيدا ابنُ محمد ، وإبطالاً للتبني .

قال : وبالجمله فهذا الموضع من منكرات كلامهم في الخصائص ، وقد بالغوا في هذا الباب في مواضع ، واقتحموا فيها عظاماً لقد كانوا في غنية عنها))^(٥) .

١- أحمد بن محمد بن علي المصري الشافعي ، نجم الدين ابن الرُّفعة . ولد سنة ٦٤٥ . اشتهر بالفقه إلى أن صار يضرب به المثل ، وإذا أطلق الفقيه انصرف إليه من غير مشارك ، مع مشاركته في العربية والأصول . له مصنفات نافعة ، وولي حجة مصر مدة ، وناب في الحكم ، ثم عزل نفسه ، ومحاسنه كثيرة . توفي سنة ٧١٠ ، رحمه الله تعالى . انظر ((الدرر الكامنة)) : ١ / ٣٠٣ - ٣٠٦ .

٢- الإمام الحافظ العلامة شيخ الإسلام ، تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكُردي الشهير زوري الموصلبي الشافعي . ولد سنة سبع وسبعين وحمسمائة ، واشتغل على والده وغيره ، وجمع وألف وأفتى ، وكان من كبار الأئمة ، ذا حلاوة عجيبة وهيبة ووقار ، وفصاحة ، وعلم نافع . كان متبحراً في الفقه واللغة والحديث . توفي سنة ثلاث وأربعين وستمائة بدمشق ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٣ / ١٤٠ - ١٤٤ .

٣- ((شرح الزرقاني على المواهب اللدنية)) : ٥ / ٢٣٢ .

٤- أبو الحسن علي بن عبد الكافي بن علي السبكي ، الشيخ الإمام المحدث . ولد سنة ٦٨٣ ، وتفقه على والده وغيره ، وارتحل في طلب العلم . كان خيراً ، ديناً ، متواضعاً ، من أوعية العلم ، وصنف التصنيفات المتقنة . توفي بالقاهرة سنة ٧٥٦ . انظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ١٠ / ١٣٩ - ٣٣٨ .

٥- ((شرح الزرقاني على المواهب اللدنية)) : ٥ / ٢٣٥ .

ج - أخطاء في قضايا في الرسم العثماني^(١) :

ذكر الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - عدداً من مسائل الرسم العثماني التي كثر النقاش فيها واختلفت فيها الأنظار ، وحامت حولها شبهات مريضة ، ذكرها السيوطي دون تفنيد ولامناقشة ، ولعل ذلك لشهرتها واستفاضة أجوبتها في زمانه .

لكن ذكرها في هذا الكتاب وأمثاله من الكتب فيه خطر على أذهان ناشئة زماننا حيث يتوهمون بسببها الخطأ في كتاب الله المصون ، وهي أيضاً مصدر سرور للمستشرقين وأذنانهم ليكيدوا بها المسلمين .

ومن هذه المسائل التي أوردها الإمام السيوطي ، رحمه الله تعالى :

أولاً : قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرَٰنِ ﴾^(٢) :

في قراءة من شدد النون من قوله تعالى ﴿ إِنَّ ﴾ وأبقى ﴿ هَٰذَا ﴾ على الرفع فلم ينصبها^(٣) .

ومما قاله السيوطي في هذه المسألة :

((... وقالت عائشة : ((هذا مما لحن فيه كاتب المصحف)) ، وقد أكثروا في الكلام في هذه الآية وألفوا فيها تأليفاً))^(٤) .

وإيراده قول عائشة هذا دون تفنيد أو مناقشة زلة علمية من إمام كبير مثل السيوطي ، رحمه الله تعالى .

١- قد مر (أ) و (ب) ، انظر ص ٣٠٥ .

٢- سورة طه : آية ٦٣ .

٣- قرأ ابن كثير وحفص بإسكان النون ، وقرأ الباقون بتشديدها ، وقرأ أبو عمرو بالباء في ﴿ هَٰذَا ﴾ جرراً على أصل الإعمال . انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

ثانياً : مسألة لفظ ﴿وَطَلَحَ مَنْضُودٌ﴾^(١) وماورد فيها :

وهذه مسألة أخرى مشابهة في خطورتها للمسألة السابقة ، حيث قال :
((... وقرأ علي بن أبي طالب : (وَطَلَعَ مَنْضُودٌ) - بالعين - فقليل له :
إنها بالحاء .

فقال : ماللطلع والجنة ؟

فقليل له : أنصلحها في المصحف ؟

فقال : المصحف اليوم لا يغير^(٢) .

والكلام على هاتين القضيتين بالتفضيل سيأتي في مكان آخر إن شاء الله تعالى^(٣) ، وإنما الغرض - هنا - بيان السلبية الكبيرة الحاصلة في نقل هذا الكلام دون تفنيد ولا مناقشة .

٧ - وهناك بعض السلبيات والمآخذ التي تتعلق ببعض وجوه الإعجاز التي أوردتها - رحمه الله تعالى - في كتابه ، وسأذكرها ، إن شاء الله تعالى ، بالتفصيل حال مناقشتي لتلك الأوجه في الباب القادم^(٤) .

٨ - وهناك بعض المآخذ الخفيفة التي سببها السرعة ، أو الوهم ، أو سبق القلم - ولا يخلو من هذا بشر - غضضت الطرف عنها جملةً إلا مثلاً واحداً ذكره للبيان ؛ إذ يقول الإمام السيوطي عند قوله تعالى : ﴿فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا﴾^(٥) .
قال :

((يعني : محمداً عبدنا ، فما أشرفها من إضافة ؛ لأنه قرنه بنون العظمة))^(٦) .

١ - سورة الواقعة : آية ٢٩ .

٢ - ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٥٢ .

٣ - انظر الفصل الثالث من الباب الثالث القادم ، إن شاء الله تعالى ، ص ٥٤٣ وما بعدها .

٤ - انظر ص ٣٣٧ وما بعدها .

٥ - سورة القمر : آية ٩ .

٦ - ((معترك الأقران)) : ٣ / ١٣٥ .

والكلام ليس عن رسول الله محمد - صلى الله عليه وسلم - إنما هو عن رسول الله نوح عليه الصلاة والسلام .

وبعرض الميزات والسُّلبيات يتضح الآتي في منزلة الكتاب العلمية :

أولاً : الكتاب مصنف من أنواع شتى من علوم القرآن سيقت للدلالة على الإعجاز ، وقد جمع فيه المصنف عدداً ضخماً من الأدلة والآثار وأقوال سلف الأمة وخلفها مما جعل الكتاب مبسوطاً غاية البسط ، وصار أشبه شيء بما يسمى ((الموسوعة)) أو ((دائرة المعارف)) .

ثانياً : غلبت على الكتاب صفة الجمع والحشد للأدلة والأقوال ، ولم يظهر فيه جهد نقدي واضح لما يرد فيه من آراء حتى ما كان منها في أمس الحاجة لهذا النقد^(١) ، ولا يخالف هذا ما ذكرته في موضع سابق من بيان لبعض ما ارتآه السيوطي خطأً فناقش قائله فيه^(٢) ؛ لأن تلك المناقشة كانت في جوانب جزئية من الكتاب لكن ما أعنيه هو :

(١) - غياب النقد الكلي لوجوه الإعجاز الواردة في الكتاب وتفنيد ما يصلح أن يلحق منها بالإعجاز وما يُمنع منه^(٣) .

(٢) - وأعني أيضاً غياب النقد للأخطاء العلمية الواردة في الكتاب التي أشرت إليها قبل^(٤) .

١- مثل الفقرة الخامسة والسادسة من السُّلبيات المذكورة آنفاً ، انظر ص ٢٩٩ ، ٣٠٥ .

٢- انظر ص ٢٩٠ ، ٢٩٢ .

٣- انظر ص ٢٩٣ .

٤- انظر ص ٢٩٩ ، ٣٠٥ وما بعدها .

ثالثاً : مع أن عنوان الكتاب دالٌّ على الإعجاز إلا أن أكثره لم يَخْلُص لهذا المعنى ، إنما جاء الحديث عن الإعجاز في جوانب محدودةٍ منه ، وتُعَسَّف - في تقديري ، وكما سأسوق في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى ، عند عرض وجوه الإعجاز - في إلحاق كثير من مادة الكتاب بالإعجاز .

فالمصنف يملك قدرة فائقة على تسخير العلوم المتنوعة لعرض قضية الإعجاز ولو كان المشار إليه بأنه من الإعجاز ليس منه قطعاً ، وقد تخلص من هذه التبعة بقوله :

((وإن كانت بعض الأوجه لاتعد من إعجازه فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه فيتلج له صدرك وتبتهج نفسك ...))^(١) .
ويبقى سؤال هو :

لماذا جيء بقضية منزلة الكتاب العلمية قبل تمام عرض الكتاب ؛ وهو لا يتم إلا بالباين : الثالث والرابع ، وبهما يتضح بجلاء جهد المصنف ومنزلة ماصنفه ؟
والجواب : أنني قدمت هذا لأسباب هي :

١ - أردت أن أجعل ذلك مقدمةً وتمهيداً للدخول إلى الباب الثالث - منهج المؤلف في كتابه - حتى يفهم ما أتى به الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - على الوجه الأتم ، حيث إن كثيراً مما جاء في ثانيا الكتاب لا يعد من الإعجاز بحال .

٢ - لما كان الكتاب المتناول بالبحث ليس موضوع تحقيق لكن موضوع دراسة نقدية فإنه يحسن بالقارئ الاطلاع على ما في الكتاب من ميزات وسلبات على وجه الإشارة والاختصار قبل ذكر بعضها بالتفصيل في مواضعها .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢ .

٣ - كثير مما ذكرته في الميزات والسُّلبيات لاتعلق له بالبابين الثالث والرابع إنما هي قضايا منفردة تصح مناقشتها في أي مكان من الكتاب .

كان ذلك بياناً موجزاً لمنزلة الكتاب العلمية ، و يبقى أن يُنظر في هذه المسألة نظرة فاحصة بمقارنة منزلة الكتاب بين كتب الإعجاز السابقة عليه واللاحقة به ، وهو ما خصصت له الباب الرابع ، إن شاء الله تعالى ^(١) .

١- انظر ص ٦٠٤ وما بعدها .

المطلب الثاني : أثر الكتاب

الأثر في اللغة :

للأثر في اللغة معان عدة ، والمعنى المناسب هنا هو ((بقية الشيء ... وما بقي من رسم الشيء ... وأثر في الشيء ترك فيه أثراً))^(١) .

والمقصود - هنا - هو ما تركه الكتاب في نفوس معاصري المصنّف ومن جاء بعده من تقدير أو عكسه ، ورضى عنه أو سخط عليه .

ولابد قبل الحديث عن أثر الكتاب من بيان أمرين مهمين أثرا في رواج الكتاب في الأوساط العلمية :

الأمر الأول : اختلاف اسم الكتاب :

أكثر المصادر ذكرت هذا الكتاب بعنوان ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) كما بينت ذلك قبل^(٢) ، وكان لهذا أثره في ذكر هذا الكتاب أو الاستفادة من مباحث الإعجاز فيه في العصور التي تلت عصر الإمام السيوطي ، رحمه الله تعالى ؛ إذ أن من يسمع بهذا العنوان لا يدور في خَلده إلا أن الكتاب خاصٌّ بالمشترك اللفظي في القرآن ليس غير فينصرف عنه من ليس له حاجة في بحث المشترك .

الأمر الآخر : تأخر طبعه :

تأخر طبع الكتاب إلى ما بعد سنة تسعين من القرن الماضي أثر كثيراً في رواجه وانتشاره بين طلبة العلم ، حتى أن كثيراً منهم لم يسمع بالكتاب قط ، وإذا قارنناه بكتاب السيوطي : ((الإتيقان)) وهو أقرب كتبه - في مباحثه - إلى ((المعترك)) نجد أن ((الإتيقان)) طُبِع لأول مرة سنة ١٢٧١ هـ^(٣) أي قبل ((المعترك)) بمائة

١- ((لسان العرب)) : أثر .

٢ - انظر ص ٢٧٠ وما بعدها .

٣- ((مكتبة الجلال السيوطي)) : ٥٣ .

وعشرين سنة تقريباً ، ثم توالى طبعاته وانتشر في العالم الإسلامي انتشاراً عظيماً خلافاً لـ ((المعترك)) .

هذان الأمران - خاصة الأول منهما - أديا إلى ندرة ذكره لدى من كتب في الإعجاز أو سرد المؤلفات فيه ، حتى أن الشيخ طاش كيري زاده^(١) قد ذكر كتاب ((معترك الأقران)) في فصل ((علم معرفة الوجوه والنظائر))^(٢) - وهو المشترك اللفظي - ولم يذكره في فصل ((علم معرفة إعجاز القرآن))^(٣) مع أنه مَظِنَّةُ ذكره ، ولعل هذا لأنه لم يطلع على محتواه .

وللتمثيل أيضاً على خفاء موضوع الكتاب لاضطراب عنوانه وتأخر طباعته فإن الأستاذ نعيم الحمصي - وهو ممن حاول استيعاب كثير من كتب الإعجاز مطبوعةً كانت أو مخطوطة ، من القرن الثالث إلى الرابع عشر - لم يتعرض لذكره في كتابه ، ولعله لم يطلع على هذا الكتاب لندرته وخفاء عنوانه ، وإنما قلت ذلك لأنه عندما ذكر المصنفين في الإعجاز من أهل القرن العاشر ذكر منهم الإمام السيوطي وأنه أفرد فصلاً من كتابه : ((الإتقان)) لموضوع الإعجاز^(٤) ، فلو أن الباحث اطّلع على الكتاب الذي أفرده السيوطي للإعجاز - وهو ((المعترك)) - لذكره بدون شك ، لأهميته في موضوع كتابه .

لكن ((المعترك)) منذ أن طبع أصبح موضع نظر الباحثين والدارسين للإعجاز وعلوم العربية ، وقد استفاد منه كثيرون سيأتي ذكرهم قريباً ، إن شاء الله تعالى .

١- هو الشيخ أبو الخير أحمد بن مصطفى بن خليل . مؤرخ تركي الأصل ، مستعرب . ولد في بورصة ونشأ في أنقرة . تأدب وتفقه وتنقل في البلاد التركية مدرساً للفقهاء والحديث وعلوم العربية ، تولى القضاء في القسطنطينية .

توفي سنة ٩٦٨ . انظر ((الأعلام)) : ١ / ٢٥٧ .

٢- ((مفتاح السعادة)) : ٢ / ٣٧٧ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٤٨٢ .

٤- ((فكرة إعجاز القرآن)) : ١٦١ - ١٦٣ .

بعد هذا البيان يُقسّم أثر الكتاب إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : أثره في المصنفات التي صنفها علماء جاؤوا بعد الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - فضمنوا كتبهم نقولاً من ((المعترك)) ، أو جرى ذكره في مصنفاتهم .

القسم الثاني : أثره في الدراسات الحديثة التي تعرضت لـ ((المعترك)) بالدراسة والنقد .

القسم الثالث : أثره في الدراسات التي استفادت من ((المعترك)) فكان مرجعاً من مراجعها .

أما القسم الأول - وهو أثر الكتاب في المصنفات التي صنفها علماء جاؤوا بعد السيوطي - فإني لم أجد ذكراً له إلا في الكتب الآتية :

١ - ذكره طاش كبرى زاده في كتابه ((مفتاح السعادة)) حيث قال في فصل : علم معرفة الوجوه والنظائر :

((فالوجوه : اللفظ المشترك الذي يستعمل في عدة معانٍ - كلفظ (الأمر) - وكتاب ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) للسيوطي كافٍ في هذا الفن))^(١) .

٢ - ذكره حاجي خليفة^(٢) حيث قال :

((((معترك الأقران في مشترك القرآن)) لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١))^(٣) .

١ - ((مفتاح السعادة)) : ٢ / ٣٧٧ .

٢ - الشيخ مصطفى بن عبد الله كاتب جلي ، المعروف بالحاج خليفة ، مؤرخ بحاجة ، تركي الأصل مستعرب . ولد سنة ١٠١٧ في القسطنطينية . تولى أعمالاً كتابية في الجيش العثماني ، وانقطع في السنوات الأخيرة من حياته إلى تدريس العلوم ، وله عدة مصنفات بالعربية والتركية والفارسية . توفي - رحمه الله تعالى - في القسطنطينية سنة ١٠٦٧ . انظر ((الأعلام)) : ٧ / ٢٣٦ - ٢٣٧ .

٣ - ((كشف الظنون)) : ٢ / ١٧٣١ .

ولم أعر على مايدل على أن حاجي خليفة اطلع على الكتاب ، والله أعلم .

٣ - ذكره إسماعيل باشا البغدادي^(١) باسم ((معترك الأقران في مشترك القرآن))^(٢) أيضاً ، ولم أعر على مايدل أنه اطلع عليه ، والله أعلم .
هذا ماوجدته من كلام المصنفين القدامى الذين أتوا بعد السيوطي - رحمهم الله تعالى - إلى بدايات العصر الحديث ، فيما يتعلق بذكر كتاب ((معترك الأقران)) .

وكلامهم على الكتاب يقتصر على ذكر عنوانه وموضوعه كما في ((مفتاح السعادة)) ، أو عنوانه فقط كما في الكتابين الآخرين .

هذا ولتعلم أنني قد بحثت عن مظان استفادة العلماء والمشايخ من كتاب ((معترك الأقران)) في عدد من كتب العلوم الشرعية واللغوية من القرن العاشر إلى القرن الرابع عشر فلم أجد إلا ماقدمته ، والله أعلم .

أثر الكتاب في الدراسات الحديثة

أما القسم الثاني فهو : الدراسات الحديثة التي تعرضت لـ ((المعترك)) بالدراسة لبعض جوانبه والنقد الجزئي لها ؛ فقد اعتنى بكتاب السيوطي - رحمه الله تعالى - عددٌ من الباحثين المُحدثين ، وضمنوه دراساتهم اللغوية والقرآنية ، وتلك الدراسات التي اطلعت عليها هي :

١ - هو إسماعيل بن محمد أمين بن مير سليم الباباني البغدادي . عالم بالكتب ومؤلفها . أقام زماناً قرب الآستانة مشغلاً بإكمال كتابه ((إيضاح المكنون في الذيل على كشف الظنون)) مجلدان . توفي سنة ١٣٣٩ ، رحمه الله تعالى . انظر ((الأعلام)) : ١ / ٣٢٦ .

٢ - ذكره في سياق تعداد مصنفات السيوطي في كتابه ((هدية العارفين)) : ١ / ٥٣٥ - ٥٤٤ ، وذكر ((المعترك)) في صفحة ٥٤٣ .

١- كتاب ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية))

تأليف الدكتور : عبد العال مكرم .

أفرد - حفظه الله - فصلاً في كتابه بعنوان : ((أثر السيوطي في الدراسات اللغوية من خلال القرآن الكريم))^(١) ، وجعل قسماً منه للحديث عن المشترك اللفظي في القرآن الكريم ، وذكر أن ((من أعظم المؤلفات التي ألفها السيوطي في حقل الدراسات اللغوية القرآنية كتابه : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))))^(٢) .

ثم بعد حديث مختصر عن الكتاب وجهد السيوطي في تصنيفه عرج على أمثلة من المشترك اللفظي في كتاب ((المعترك)) ، فذكر خمس عشرة كلمة قرآنية - على سبيل المثال - من المشترك اللفظي الذي جاء به السيوطي في الوجه الخامس والثلاثين من وجوه الإعجاز التي ساقها في ((المعترك))^(٣) .

ثم إن الباحث ذكر في الفصل الثالث نفسه في قسم : غريب القرآن الكريم^(٤) ، ذكر نماذج من الألفاظ التي عدّها السيوطي من قسم الغريب في القرآن ، فأورد تسع عشرة كلمة قرآنية من هذا الباب من جملة الكلمات الكثيرة التي ذكرها السيوطي في ((معترك الأقران))^(٥) مع مناقشة يسيرة للسيوطي فيما ذهب إليه في معنى الغريب^(٦) .

١- انظر الفصل الثالث من الباب الثاني : ص ٤٨٥ .

٢- ص ٤٩٨ ، وهذا الذي أشار إليه : ((حقل الدراسات اللغوية القرآنية)) جاء على سبيل التغليب ، وإلا ففي الكتاب دراسات أصولية وفقهية وعقدية وغيرها ، كما سأبين في الباب القادم ، إن شاء الله تعالى .

٣- ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية)) : ٥٠٠ - ٥١٢ .

٤- ذكر الباحث أن الراجعي - رحمه الله تعالى - عرف الغريب بقوله : ((في القرآن الكريم ألفاظ اصطلاح على تسميتها بالغرائب ، وليس المراد بغرابتها أنها منكورة أو نادرة أو شاذة فإن القرآن الكريم منزّه عن هذا جميعه ، وإنما اللفظة الغريبة هاهنا هي التي تكون حسنة مستغربة في التأويل بحيث لا يتساوى في العلم بها أهلها وسائر الناس)) : انظر ص ٥٤٠ من كتاب ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية)) .

٥- ٢٠٤-١٩٩/١ - ٥٠

٦- ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية)) : ٥٤٥ - ٥٤٧ .

ولكنني أظن أن الباحث - حفظه الله تعالى - وهم في بعض صنيعه هذا ، حيث إنه ظنّ أن السيوطيَّ ((يرجع في الغريب إلى الكلمات والألفاظ التي وردت بغير لغة الحجاز ، كأن الغريب عند السيوطيَّ هو الكلمات القرآنية التي ليست حجازية ، فقد عقد فصلاً في هذا الكتاب بعنوان : ((مافي القرآن بغير لغة الحجاز)) ...))^(١) .

وبني على وهمه هذا أنه عقد فصلاً بعنوان : ((ماجاء بغير لغات أهل الحجاز فهو من الغريب))^(٢) ، فأنشأ قاعدة ليس لها أصل ، ومنشأ وهمه - والله أعلم - أنه أخطأ في قراءة كلام السيوطيَّ حيث قال : ((وهذه الألفاظ الواردة في القرآن بغير لغة الحجاز ، وأما ماوقع فيه بغير لغة العرب فنذكر تفسير الغريب على حروف المعجم))^(٣) .

فالسيوطيَّ إنما يريد - والله أعلم - تذكير القارئ بأن ماوقع في القرآن بغير لغة العرب فسيذكر تفسير الغريب منه في الوجه الخامس والثلاثين من وجوه الإعجاز التي ساقها في كتابه ، وأشار إلى ذكره هنالك بقوله ((على حروف المعجم)) حيث إن ذلك الوجه مرتب على حروف المعجم^(٤) ، أما مافي القرآن بغير لغة الحجاز فقد ساقه كلّ ولم يذكر أنه من الغريب . وللتدليل على صحة ماذهبْتُ إليه فإنني أذكر أمرين :

١- المصدر السابق : ٥٤٥ .

٢- المصدر السابق .

٣- ((معترك الأقران)) : ١٩٩/١ .

٤- هناك خلط كبير في ترتيب الوجه الخامس والثلاثين ، وسوف أبين ذلك في موضعه ، إن شاء الله تعالى ،

انظر ص ٤٠٧ وما بعدها .

الأول : أن السيوطي - رحمه الله تعالى - بعد فراغه من إيراد ما في القرآن بغير لغة الحجاز نقل فائدة وهي أنه ((ليس في القرآن حرفٌ غريب من لغة قريش غير ثلاثة أحرف ...))^(١) ثم ذكرها .

وهذا يدل على أن السيوطي يذهب إلى أن في لغة الحجاز ألفاظاً غريبة ، خلافاً لما قعده الباحث ، حفظه الله .

الآخر : بمراجعة بعض ماجاء في الوجه الخامس والثلاثين يتبين أن السيوطي قد أورد فيه بعض الألفاظ القرآنية التي يُظن أنها من غير لغة العرب^(٢) موفياً بما وعد به من قوله الذي سقته آنفاً :

((وأما ما وقع فيه بغير لغة العرب فنذكر تفسير الغريب على حروف المعجم))^(٣) .^(٤)

وبهذا يتبين وهم الباحث - حفظه الله - من نسبته إلى السيوطي - رحمه الله تعالى - القول بأن الغريب هو ما وقع في القرآن بغير لغة الحجاز ، والله أعلم .

وقد ذكر الباحث نصوصاً من كتاب ((المعترك)) في مواضع متعددة من كتابه لغرض بيان إخلاص السيوطي - رحمه الله تعالى - وتجرده في تصانيفه^(٥) .

١- ((معترك الأقران)) : ٢٠٦/١ .

٢- سأناقش قضية وجود العرب في القرآن وما يُظن من كونه حارياً لغة غير العرب في الباب القادم إن شاء الله تعالى ، انظر ص ٣٦٨ وما بعدها .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢٠٦/١ .

٤- انظر - مثلاً - ألفاظ : آدم ، إدريس ، إبراهيم ، إسحاق ، اليسع ، إسرائيل في ((معترك الأقران)) :

٥١٩/١ - ٥٢٢ .

٥- انظر الصفحات ٣٠٣ ، ٤٩٨ - ٥٠٠ من كتاب ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية)) .

٢- كتاب ((قطف الأزهار في كشف الأسرار))

لجلال الدين السيوطي

قام محقق هذا الكتاب^(١) بعمل مقارنة بين كتاب ((معترك الأقران)) وبين كتاب ((قطف الأزهار)) من حيث المنهج .

ولقد جاءت هذه المقارنة سطحية ، لم تزد على صفحتين ، وصف بهما كتاب ((معترك الأقران)) وصفاً سريعاً ، وقارن بينه وبين ((قطف الأزهار)) مقارنة عَجَلَى ، وأدى ذلك بالمحقق إلى أن يردد بعض كلام السيوطي في ((معترك الأقران)) ، وإلى أن يُصدر أحكاماً ينقصها الدقة كقوله :

((هذا الكتاب يبحث في وجوه إعجاز القرآن ، وهو من الكتب التي تحيط بهذا الموضوع وتجمع كل ما قيل فيه))^(٢) .

وكقوله عن الوجه الخامس والثلاثين - وهو ألفاظه المشتركة - :
((قد جمع فيه ألفاظاً من القرآن ، ورتبها على حسب حروف الهجاء ، وفسرها ، ورجع في كل ذلك إلى كل كتب التفسير والحديث واللغة وغيرها))^(٣) .

وهذه الكليات مدعاة تنقصها الدقة والدراسة العلمية الجادة ؛ لكن لعلّ للمحقق عذراً في صنيعه هذا لم يظهر لي ، والله أعلم .

١- وهو الدكتور أحمد الحمادي قد نال بهذا التحقيق درجة ((الدكتوراه)) في التفسير ، انظر ((قطف الأزهار)) :

٢- ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) : ٨٣ .

٣- المصدر السابق .

٣- ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية))

تأليف الأستاذ محمد يعقوب تركستاني

الكتاب رسالة ((ماجستير)) أعدها الباحث وتقدم بها لجامعة أم القرى^(١). وقد اجتهد الأستاذ الباحث في دراسة مصنفات السيوطي في اللغة ، وقام بدراسة عن آثاره اللغوية المطبوعة والمخطوطة والمفقودة^(٢) ، وكان من هذه الكتب : كتاب ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) كما سماه^(٣).

وهذه الدراسة التي قام بها الأستاذ الباحث دراسة خفيفة غير فاحصة للكتاب ؛ ولهذا خرج بتائج غير دقيقة منها :

١- قطع بأن اسم الكتاب : ((معترك الأقران في مشترك القرآن)) ، ولام الأستاذ البحايي محقق الكتاب لأجل تغييره عنوان الكتاب في زعمه ، وقد ناقشته في هذا سابقاً^(٤).

٢- زعم بأن الإمام السيوطي أحاط بوجوه الإعجاز في القرآن الكريم إحاطة تامة ، وهذا زعم ليس وراءه دراسة وافية ، كما سيتضح عند مناقشة السيوطي في وجوهه التي أتى بها في كتابه - إن شاء الله تعالى - حيث سيظهر أن بعض أوجه الإعجاز المهمة طرّقها السيوطي طرّقاً خفيفاً غير واف^(٥) ، أو لم يتناولها بالبحث أصلاً^(٦).

١- سيأتي وصفها في فهرس المراجع والمصادر ، إن شاء الله تعالى .

٢- في الفصل الأول من رسالته ص ٥٣ وما بعدها .

٣- وقد أتى على ترجيحه هذا بما لا ينهض حجة له ، كما ذكرت سابقاً ، انظر ص ٢٧٦ وما بعدها من هذا البحث .

٤- انظر ص ٢٧٦ وما بعدها من هذا البحث ، وانظر ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) : ٦٢ .

٥- انظر الباب الثالث : الفصل الأول ص ٣٧٦ - ٣٧٩ ، وانظر ((السيوطي وجهوده في الدراسات

اللغوية)) : ٦٢ .

٦- انظر ص ٣٥٠ - ٣٥٢ من هذا البحث .

٣- زعم بأن الذي دعا السيوطي لتأليف الكتاب هو الألفاظ المشتركة في القرآن الكريم دون أن يأتي على زعمه هذا بدليل واضح^(١) .

هذا عدا عن مبالغته الكبيرة في إطراء صنع السيوطي في كتابه كقوله :
((وقارىء الكتاب يحس أن السيوطي لم يترك كتاباً ألف في موضوع المشترك اللفظي في القرآن الكريم وما يتصل به إلا قرأه واستعان به في كتابه ، ولذلك فهو يُعدّ بحق مرجعاً في موضوعه لا يستهان به))^(٢) .

هذا ولم يذكر الباحث - حفظه الله تعالى - أن أغلب ماجاء في المشترك اللفظي عند السيوطي ليس من المشترك بحال ، كما سأبين بعدد ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

١- ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) : ٦٢ .

٢- المصدر السابق : ٦٣ .

٣- انظر ص ٤٠٧ وما بعدها .

٤- ((دراسات في الإعجاز العددي بين الماضي والحاضر في ضوء الكتاب
والسنة)) للأستاذ مصطفى عمر الكندي ، رحمه الله تعالى ^(١)

وهي رسالة ((ماجستير)) أعدها الباحث فيما يسمّى بـ ((الإعجاز
العددي)) في القرآن الكريم ^(٢) .

وقد ذكر الباحث - رحمه الله تعالى - في مبحث منها كلاماً موجزاً عن
توسع بعض العلماء في وجوه الإعجاز ^(٣) ، وعدّ بعض من ألف في الإعجاز
القرآني من القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر .

وكان ممن ذكرهم الإمام السيوطي وكتابه : ((معترك الأقران في إعجاز
القرآن)) حيث يبيّن أن الكتاب يحوي خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز ، ثم
سردها ، وكان حاصل نقده لهذه الأوجه هو :

١- أن بعضها داخل في بعض حيث إن عدداً منها يرجع إلى أصل واحد .

٢- أن عدداً منها لا يُعدّ من الإعجاز بل هو من خصائص القرآن ^(٤) .

وسأتي بياناً لهذه الأوجه ونقدها بالتفصيل في الباب القادم ، إن شاء الله
تعالى ^(٥) .

١- هو أحد المهتدين الكنديين ، وقد انتقل إلى رحمة الله تعالى - إن شاء الله - قبل سنوات قليلة .

٢- أعدت في جامعة أم القرى ، ونوقشت سنة ١٤٠٩ .

٣- صفحة ٩٣ وما بعدها .

٤- ((دراسات في الإعجاز العددي)) : ٩٩-١٠٣ .

٥- انظر ص ٣٣٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

هذا ماوقفت عليه من الكتب التي تناولت - في مبحث أو مباحث منها -
كتاب الإمام السيوطي بالدراسة والنقد الجزئي .

أما القسم الثالث وهم الباحثون الذين اعتمدوا كتاب ((المعتزك)) مرجعاً من
مراجع بحوثهم فهم جماعة كثر معاصرون منهم :

١- الدكتور أحمد العمري في كتابه ((المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز
القرآنيّ : نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري^(١))) .

٢- الأستاذ ناصر المطروديّ في تحقيقه لكتاب ((التيسير في قواعد علم التفسير))^(٢)
للإمام محمد بن سليمان الكافيجي .

٣- الشيخ خالد العك في كتابه : ((أصول التفسير وقواعده))^(٣) .

٤- الدكتور فتحي عبد القادر فريد في تحقيقه لكتاب ((التحرير في علم التفسير))
للسيوطي^(٤) .

٥- الأستاذ محمد شعباني في تحقيقه لكتاب ((البرهان في ترتيب سور القرآن))^(٥)
للإمام أبي جعفر الغرناطي^(٦) .

١- نشر مكتبة الخانجي ، القاهرة : ١٤١٠ هـ .

٢- الكتاب رسالة ماجستير حضرت في جامعة الإمام محمد بن سعود ، وهو من منشورات دار القلم بدمشق ودار
الرفاعي بالرياض . الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

٣- نشر دار النفائس : بيروت . الطبعة الثانية ١٤٠٦ هـ .

٤- سبق بيان علاقة هذا الكتاب بـ ((المعتزك)) ، انظر ص ٢٤٧ وما بعدها من هذه الرسالة .

٥- هذه رسالة لنيل دبلوم الدراسات الإسلامية من دار الحديث الحسنية بالمغرب ، نشر وزارة الأوقاف المغربية
سنة ١٤١٠ هـ .

٦- هو الشيخ الإمام أحمد بن إبراهيم بن الزبير ، أبو جعفر الأندلسي الغرناطي . ولد سنة ٦٢٧ ، وتلا
بالقراءات السبع ، وجمع وصنّف ، وصار علامة عصره في الحديث والقراءة ، وتصدر للإقراء وإسماع
الحديث وتعليم العربية وتدرّس الفقه عاكفاً على ذلك عامة نهاره ، وصارت الرحلة إليه . وقد حصلت له
عنة تحوّل على إثرها عن وطنه ثم فرج الله عنه . توفي بغرناطة سنة ٧٠٨ ، رحمه الله تعالى .

٦- الدكتور عبد الجواد خلف في تحقيقه كتاب ((غرر التبيان في من لم يُسم في القرآن))^(١) تأليف الإمام بدر الدين ابن جماعة^(٢) .

٧- الأستاذ محمد عبد الكريم الراضي في تحقيقه لكتاب ((نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر))^(٣) للإمام ابن الجوزي ، رحمه الله تعالى .

٨- الأستاذة هند شلي في تحقيقها لكتاب ((التصاريف))^(٤) للإمام يحيى بن سلام^(٥) .

٩- الدكتور عبد العظيم المطعني في كتابه : ((المحاز في اللغة والقرآن الكريم بين الإجازة والمنع : عرض وتحليل ونقد))^(٦) .

هذا ما تيسر لي من الكلام على أثر كتاب الإمام السيوطي ، وبه ينتهي هذا الباب الذي يعدّ هو والباب الأول مهيئين لمباحث البابين : الثالث والرابع ، والله الموفق .

= انظر ((الدرر الكامنة)) : ٨٩/١ - ٩٠ .

١- هي رسالة جامعية من قسم الدراسات الإسلامية بجامعة البنجاب بباكستان ومن نشر دار قتيبة ، دمشق ، الطبعة الأولى سنة ١٤١٠ هـ .

٢- هو الشيخ الإمام محمد بن إبراهيم بن سعد الله بن جماعة الكنائى الحموي الشافعي . ولد بحماة سنة ٦٣٩ ، وتفقه ومهر في الفنون ، ثم ولي قضاء القدس سنة ٦٨٧ ، ثم تولى قضاء الديار المصرية سنة ٦٩٠ فأحسن السيرة ثم تنقل في المناصب المختلفة من قضاء في الشام وخطابة بها وغير ذلك . كان ورعاً حسن الهدي ، متين الديانة ، ذا تعبد وأوراد ، متقشفاً ، مقتصداً في مأكله وملبسه ومركبه ومسكنه ، حسن التربية من غير عنف ولا تحجيل . توفي سنة ٧٣٣ وقد حاز التسعين بأربع سنين وأشهر .

انظر ((الدرر الكامنة)) : ٣٦٧/٣ - ٣٦٩ .

٣- الكتاب رسالة جامعية مقدمة إلى كلية الآداب في الجامعة المستنصرية ببغداد ، وقد نشر الكتاب مؤسسة الرسالة : الطبعة الثالثة : ١٤٠٧ .

٤- نشر الكتاب الشركة التونسية للتوزيع سنة ١٣٩٩ .

٥- هو الإمام يحيى بن سلام بن أبي ثعلبة ، أبو زكريا البصري ، نزيل المغرب . ولد سنة ١٢٤ . حدث ، وأخذ القراءات عن أصحاب الحسن البصري وجمع وصنّف . قال الداني : له تفسير ليس لأحد من المتقدمين مثله ، وقال : كان ثقة ثباتاً ، عالماً بالكتاب والسنة ، وله معرفة باللغة العربية . مات بمصر سنة ماتين ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٣٩٦/٩ - ٣٩٧ .

٦- نشر مكتبة دار وهبة ، القاهرة .

البَابُ الثَّالِثُ

منهج المؤلف في كتابه (دراسة تفصيلية)

وفيه تمهيد وثلاثة فصول :

الفصل الأول : وجوه الإعجاز التي ذكرها : عرض ومناقشة .

الفصل الثاني : منهجه في عرض هذه الوجوه

الفصل الثالث : دراسة أهم القضايا العلمية في

((معترك الأقران))

تمهيد

بهر الإعجاز القرآني العلماء ، وشدتهم طريقة القرآن وتفرد في هذا الباب فشرعوا يصنفون المصنفات المطولة والمختصرة في إعجاز القرآن ، فمنهم من اقتصر على بلاغته ، ومنهم من أبرز فصاحة ألفاظه ، ومنهم من مال إلى قوة نظمها ، ومنهم من جمع ذلك كله وأضاف عليه وجوهاً أخرى ، بل قد أوصلها بعضهم إلى ألوف باعتبار عدد آيات القرآن وما انطوت عليه كل آية من بلاغة وفصاحة وحسن نظم ، هذا وقد قال القاضي عياض - رحمه الله تعالى - :

((واعلم أن المعجزات التي ظهرت على يد نبينا ، صلى الله عليه وسلم - دلائل نبوته وبراهين صدقه - من هذين النوعين معاً^(١) ، وهو أكثر الرسل معجزةً وأبهرهم آيةً وأظهرهم برهاناً - كما سنبينه - وهي في كثرتها لا يحيط بها ضبط ؛ فإن واحداً منها - وهو القرآن - لا يُحصى عدد معجزاته بألف ولا ألفين ولا أكثر ؛ لأن النبي ، صلى الله عليه وسلم ، قد تحدى بسورة منه فعجز عنها .

قال أهل العلم : وأقصر السور : ﴿ إِنَّا آَعَطَيْنَاكَ الْكُؤْرَ ﴾ ، فكل آية أو آيات منه بعددها وقدرها معجزة ، ثم فيها نفسها معجزات على ما سنفصله فيما انطوى عليه^(٢) من المعجزات))^(٣) .^(٤)
وقال السيوطي ، رحمه الله تعالى :
((وقال ابن سراقه^(٥) :

اختلف أهل العلم في وجه إعجاز القرآن فذكروا في ذلك وجوهاً كثيرة كلها حكمة وصواب ، وما بلغوا في وجوه إعجازه جزءاً واحداً من عشر معشاره ...))^(٦) .

١- أي مما هو من قدرة البشر ومما هو خارج عن قدرهم ، كما يفهم من سابق سياقه .

٢- أي القرآن .

٣- قد سبق بيان أنه بهذه الطريقة الحسابية يبلغ عدد المعجزات في القرآن ألوفاً ، وانظر صنع السيوطي في هذا ص ٢٥٣ من هذه الرسالة .

٤- ((الشفا)) : ١ / ٣٥٠ - ٣٥١ .

٥- سبق أن بينت أن هناك من وَّهم في اسم الرجل والعصر الذي عاش فيه ، انظر ص : ٨٧ .

٦- ((الإقتان)) : ٢ / ١٢١ - ١٢٢ .

وقد ذكر عنه أنه ألّف كتاباً في إعجاز القرآن ((من حيث الأعداد ، ذكر فيه من واحد إلى ألف))^(١) .

ولعل المقصود أنه ذكر أوجهاً كثيرة بلغت ألوفاً ؛ وذلك بالنظر إلى أعداد الآيات وماتضمنه كلّ منها من معجزات ، وما قاله القاضي عياض - آنفاً - يوضح هذا ، والله أعلم .

وجاء السيوطي - رحمه الله تعالى - فجمع ماورثه من هذه الأوجه ، وذكر غالب الأقوال في إعجاز القرآن ، وتوسع توسعاً ضافياً جعله يذكر وجوهاً ربما لا تمت للإعجاز بصيلة ، وإنما ذكرها ((للاطلاع على بعض معانيه ؛ فيتلج له صدرك وتبتهج نفسك))^(٢) ، وقد نص على أن بعض هذه الأوجه ليست من الإعجاز بقوله :

((وإن كانت بعض الأوجه لاتعد من إعجازه فإنما ذكرتها للاطلاع على بعض معانيه))^(٣) .

لكنه لم يبين الوجه المعجز من غيره وإنما ذكرها كلها على أنها أوجه إعجاز فيقول مثلاً : الوجه الأول من وجوه إعجازه كذا ، الوجه الثاني من وجوه إعجازه وهكذا .

تنبيه مهم :

قد أكثر السيوطي - رحمه الله تعالى - من نسبة بعض أنواع علوم القرآن إلى الإعجاز ، وبعضها يمكن أن يُلحظ فيه الإعجاز بشيء من إعمال الذهن ، وبعضها لا يُلحظ فيه الإعجاز أبداً .

ويمكن القول بأن أوجه الإعجاز على قسمين :

١- ((كشف الظنون)) : ١ / ١٢٠ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢ .

٣- المصدر السابق .

الأول : وجوه إعجاز ذاتية ثابتة للقرآن العظيم من حيث ذاته ، ومن حيث النظر إليه مجموعاً بعد تمام النزول ، ويدخل في هذا ما سيذكره الإمام السيوطي من الإعجاز بتناسب الآيات والسور ، والإعجاز بالآيات المتشابهات ونحو هذا مما يُعد أشبه بالخصائص منه بالإعجاز ، لكن إذا نُظر فيه نظرةً فاحصة يمكن أن يُلاحظ فيه شيء من معاني الإعجاز التي تلحق بوجوه من الإعجاز متفق عليها كالإعجاز النظمي والبلاغي ، وسيأتي بيان ذلك وتفصيله .

الآخر : الإعجاز الذي تقوم به الحجة عند سماعه ، وتثبت به الرسالة عند بلاغه ، وعند العجز أن يُؤتى بمثله ، وذلك نحو الإعجاز البلاغي الذي هو منتشر في القرآن العظيم في كل آية منه .

فهذا يُفهم - إن شاء الله تعالى - كثير من الأوجه التي عدها الإمام السيوطي أوجهاً مستقلة بالإعجاز وهي مندرجة تحت أوجه أعم منها .

هذا وقد بلغت عدة الأوجه التي أوردتها خمسة وثلاثين وجهاً متفاوتةً قصراً وطولاً ، لكنه مهما أمكن له التطويل والاستقصاء فإنه يصنع ذلك في جميع الأوجه تقريباً .

طريقة السيوطي في إيراد أوجه الإعجاز

طريقته في إيراد هذه الأوجه كالتالي :

أولاً : يُصَدَّر الكلام - غالباً - بذكر من صنف في هذا الذي عده وجهاً من أوجه الإعجاز ، ويبين - أيضاً - تأليفه إن كان له تأليف في هذا العلم ، وذلك نحو ما ذكره في الوجه الرابع من وجوه الإعجاز حيث قال :

((الوجه الرابع من وجوه إعجازه : مناسبة آياته وسوره ، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون الكلمة الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني .

وقد ألّف علماؤنا في أسرارها تواليفَ كثيرةً منهم العلامة أبو جعفر بن الزبير^(١) ، شيخ أبي حيان^(٢) في كتاب سماه ((البرهان في مناسبة ترتيب سور القرآن))^(٣) ، ومن أهل العصر الشيخ برهان الدين البقاعي في كتاب سماه ((نظم الدرر في تناسب الآي والسور))^(٤) ، وكتابي الذي صنفته في أسرار التنزيل^(٥) كافل بذلك ، جامع لمناسبات السور والآيات مع ما تضمنته مرتباً من جميع وجوه الإعجاز وأساليب البلاغة ، وقد لخصت منه مناسبات السور خاصة في جزء لطيف سمّيته :

((تناسق الدرر في تناسب السور))^(٦) ...^(٧) .

ثانياً : ثم إنه - إذا اقتضى المقام - يورد فضل ذلك العلم الذي جعله وجهاً من أوجه الإعجاز وينوه به كقوله :

((وعلم المناسبة علم شريف قلّ اعتناء المفسرين به لدقته))^(٨) .

١- هو الشيخ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الثقفي الغرناطي ، وقد سبقت ترجمته .

٢- هو الشيخ محمد بن يوسف بن علي الغرناطي ، أثير الدين أبوحيان الأندلسي الجياني . ولد سنة ٦٥٤ ، وقرأ القرآن إفراداً وجمعاً ، وسمع الكثير ببلاد الأندلس وإفريقية ، ثم قدم الإسكندرية . كان ثباً فيما ينقله ، عارفاً باللغة ، أما النحو والتصريف فهو الإمام المطلق فيهما . وله اليد الطولى في التفسير والحديث وتراجم الناس ، وله التصانيف التي سارت في آفاق الأرض واشتهرت في حياته . أضر قبل موته بقليل ، وتوفي سنة ٧٤٥ بالقاهرة ، رحمه الله تعالى :

انظر ((الدرر الكامنة)) : ٥ / ٧٠ - ٧٦ .

٣- هذا الكتاب مطبوع بعناية وزارة الأوقاف المغربية بتحقيق الأستاذ محمد شعباني ، سنة ١٤١٠ .

٤- كتابه هذا مطبوع متداول .

٥- هذا الكتاب مطبوع باسم ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) ، وقد سبق الحديث عنه ، انظر ص ٢٥٥ .

٦- قد سبق الحديث عن كتابه هذا ، انظر ص ٢٤٥ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٤ - ٥٥ .

ومن الأوجه التي صنع فيها هذا - أيضاً - الوجه العاشر : ١ / ١٦١ ، والوجه الثالث عشر : ١ / ١٩٥ ، والوجه الرابع والعشرون : ١ / ٢٦٩ .

٨- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥ .

وكقوله في الوجه الخامس من أوجه الإعجاز - وهو افتتاح السور وخواتمها - :
((وهو من أحسن البلاغة عند البيانين))^(١) .

وكقوله في الوجه الخامس عشر من أوجه الإعجاز - ورود بعض آياته مجملّة وبعضها
مبينة - :

((وفي ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولو الفصاحة))^(٢) .

ثالثاً : ثم إنه يورد - غالباً - معنى الوجه الذي جعله من الإعجاز وأنواعه
وأقسامه مستقصياً ما أمكنه الاستقصاء ؛ وذلك كقوله في الوجه الرابع من وجوه
الإعجاز - وهو مناسبة آياته وسوره وارتباط بعضها ببعض حتى تكون الكلمة
الواحدة متسقة المعاني منتظمة المباني - :

((المناسبة في اللغة : المشاكلة والمقاربة ، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط
بينهما عام أو خاص ، عقليّ أو حسيّ أو خياليّ ، أو غير ذلك من أنواع علاقات
التلازم الذهنيّ كالسبب والمسبّب ، والعلة والمعلول ، والنظيرين والضدين ،
ونحوه ...)) .

ثم أخذ في بيان مذكّره وضرب الأمثلة عليه باستفاضة^(٣) .

رابعاً : قد لا يلتزم الترتيب السابق المذكور في الفقرتين : الأولى والثالثة فيقدم
الكلام على معنى الوجه باختصار ثم يأتي بأسماء المصنفات فيه ، وذلك نحو قوله في
الوجه السادس ، وهو مشتبهات آياته :

((وذلك أن القصة الواحدة ترد في سور شتى وفواصل مختلفة ؛ بأن يأتي في موضع
واحد مقدماً وفي آخر مؤخراً ... وفي موضع بزيادة وفي موضع بدونها ... وفي آخر
منكراً ...)) .

١- المصدر السابق : ١ / ٧٤ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٢١٧ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٧ وما بعدها .

وانظر - أيضاً - الوجه التاسع : ١ / ١٣٦ ، والوجه الحادي عشر : ١ / ١٧١ .

ثم ذكر مَنْ صَنَّفَ في هذا النوع^(١) .

خامساً : يلتزم الإطناب في كل ما يورده تقريباً عدا الأوجه :
الثاني^(٢) ، والثامن عشر إلى الثاني والعشرين^(٣) ، والوجه الرابع والثلاثين^(٤) ، فقد جاء بها على غاية الاختصار .

وهذا عدا الوجه الخامس والثلاثين الذي خصه بالقدر الأكبر من كتابه ، حيث شغل هذا الوجهُ ثلثي حجم الكتاب تقريباً .

سادساً : التزم السيوطي - رحمه الله تعالى - أن يورد في الوجه الذي أتى به مُطَبَّأً - وهو الغالب فيما أتى به - التزم أن يستقصي الكلام على أنواعه وأقسامه ، وأن يأتي بأمثلة عديدة كثيرة على ما يأتي به ، مازجاً ذلك كله بأقوال الأئمة واستشهاداتهم .

ومن أبرز ما يوضح ذلك كلامه على الوجه الثالث والعشرين : وقوع الحقائق والمجاز فيه^(٥) ، والوجه السابع والعشرين : وقوع البدائع البليغة فيه^(٦) .

وبعد هذا التمهيد الذي قدمته بين يدي الأوجه سأذكر الأوجه التي جاء بها الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - أذكرها وجهاً ووجهاً ، وأتكلم عليها مراعيّاً الآتي غالباً وحسب الحاجة :

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٨٥ - ٨٦ .

وانظر - أيضاً - الوجه الثامن : ١ / ١٠٨ ، والوجه الثالث والعشرين : ١ / ٢٤٦ ، والوجه الثلاثين : ١ / ٤٥٦ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٢٣٩ - ٢٤٦ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٥١٢ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٦ - ٢٦٨ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٣ - ٤٢٠ .

أولاً : تلخيص وجه الإعجاز المذكور بعبارات يُفهم منها المراد إن دعت إلى ذلك حاجة ، وقد أستعمل بعضاً من عبارات الإمام نفسها .

ثانياً : شرح المصطلحات التي لا بد من ذكرها لبيان معنى الوجه المذكور .

ثالثاً : تمييز الأوجه التي هي من الإعجاز من الأوجه التي لاتعلق لها به .

رابعاً : نقد ما يحتاج إلى نقد مما ذكره في هذه الأوجه .

خامساً : بيان الجديد الذي جاء به في الوجه المذكور - إن كان هناك جديد - أو بيان إضافته على ما سبقه به غيره ، إن كانت هناك إضافة .

وينبغي أن أذكر بأنني قد بينت في موضع سابق أن غالب مادة الكتاب منقولة من كتب السيوطي الأخرى ، فلا أعيد - إذاً - بيان ما وضحته بالتفصيل آنفاً^(١) .

هذا وقد سبق التنبيه^(٢) إلى أنني قد توسعت في ذكر أوجه الإعجاز عند المصنفين قبل السيوطي - رحمهم الله جميعاً - وأن ذلك التوسع سيكون مغنياً عن إعادة بعض الكلام على أوجه الإعجاز عند السيوطي بالتفصيل ، فسأكتفي إذاً عند الكلام على تلك الأوجه بأن أذكر ما لم يُذكر من قبل ومناقشته ، والإحالة على ما سبق الكلام عليه في الباب الأول .

١- انظر الصفحات : ٢٣١-٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- انظر ص ١٢٤ ١٢٥ من هذه الرسالة .

الفصل الأول:

وجوه الإعجاز التي ذكرها:

عرض ومناقشة

الوجه الأول : ((العلوم المستنبطة منه))^(١) :

هذا الوجه بأكمله منقول من مقدمة كتابه ((الإكلیل)) بتصرف يسير ؛ كما بينت ذلك سابقاً^(٢) .

وهذا الوجه ظاهرٌ معناه من عنوانه ؛ فقد بحث فيه العلوم المستنبطة من كتاب الله - تعالى - وأورد الآثار وأقوال العلماء الذين ذهبوا إلى أن القرآن يحوي كل الأمور التي يحتاجها الفرد في دنياه وأخراه على سبيل الإجمال والإشارة ، أو التفصيل والبيان ، فمن تلك الآثار :

١ - عن ابن مسعود - رضي الله عنه^(٣) - أنه قال : ((من أراد العلم فعليه بالقرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين))^(٤) .

١- ((معترك القرآن)) : ١ / ١٤ - ٢٧ .

٢- انظر ص ٢٤٦ من هذه الرسالة .

وإنما قلت إنه منقول من ((الإكلیل)) ولم أقل بالعكس لأنني أعتقد أن ((المعترك)) أُلّف بعد الإتيان كما ذكرت ذلك في ص ٢٧٢ وما بعدها ، و ((الإكلیل)) مصنف قبل ((الإتيان)) حيث ورد ذكره في ((الإتيان)) : ٢ / ١٣٠ ، وقد استفدت في هذا من مقدمة تحقيق كتاب ((الإكلیل)) للأستاذ سيف الدين الكاتب ص : ٧ .

٣- هو عبد الله بن مسعود بن غافل الهذلي ، أبو عبد الرحمن . من السابقين الأولين ، ومن كبار العلماء من الصحابة رضي الله عنهم . مناقبه حمة ، وأثره عمر - رضي الله عنه - على الكوفة . توفي سنة ٣٢ بالمدينة . ((التقريب)) : ٣٢٣ .

٤- أورده السيوطي وعزاه إلى سنن سعيد بن منصور - رحمه الله تعالى - .

وأورده الحافظ ابن حجر - رحمه الله تعالى - ونسبه إلى مسند مُسَدَّد ، فقال : ((مُرَّةٌ قال : قال عبد الله : من أراد العلم فليُتَوَرَّ القرآن فإن فيه علم الأولين والآخرين (لمُسَدَّد))) ((المطالب العالِيَّة)) : ٣ / ١٣٣ .

((تَوَرَّ القرآن : بحث عن معانيه وعن علمه ... وتنوير القرآن : قراءته ومناقشة العلماء به في تفسيره ومعانيه)) : ((لسان العرب)) : ث و ر .

وهذا الأثر أخرجه بنصه الإمام الطبراني عن عبد الله بن مسعود بأسانيد ، ورجال أحدها رجال الصحيح ؛ كما قال الهيثمي في ((مجمع الزوائد)) : ٧ / ١٦٨ .

٢ - وعن الشافعي^(١) - رحمه الله تعالى - أنه قال :
((سلوني عما شئتم أخبركم عنه من كتاب الله ...))^(٢) .

ثم ساق العلوم الشرعية والدينية المستنبطة من القرآن الكريم على وجه الإجمال والتأصيل لا التفصيل والتطويل .

والحق ما قاله الإمام السيوطي من أن هذا الوجه معجز ؛ وذلك لأن هذا الكتاب العظيم باقٍ في الناس إلى يوم القيامة ، ويُظهر الله - تبارك وتعالى - في كل عصر من العصور وجوهاً من وجوه الإعجاز تناسب أهل العصر ، ولما كان الزمان الذي أُصِلت فيه العلوم ودُونت انفتح لبصائر العلماء من أصول العلم الشرعي والديني ما كان مغلقاً على من قبلهم ، كما أنه في هذا العصر دلّ الله - تبارك وتعالى - بعض خلقه على كثير من وجوه الإعجاز العلمي التي بهرت كثيراً من الناس وأعجزتهم ، وتبينوا به عظمة المرسل - سبحانه وتعالى - وصدق المرسل به .

وقد يجادل بعض الناس في إعجاز هذا الوجه بدعوى أن أي كتاب من كتب الحكمة التي وضعها عظماء الحكماء قد يكون فيه الكثير من العلوم التي تخفى على أهل عصره فمن بعدهم .

وأقول : هاتوا لنا كتاباً يقارب ما في القرآن العظيم من العلوم المنشورة والحكم العظيمة الماثورة فتدللوا به على صحة دعواكم لنسلم لكم ، أما إن كان الأمر اعتراضاً ذهنياً مجرداً فيبقى للقرآن تفوقه وإعجازه في هذا الباب ، والله أعلم .

١- هو الإمام محمد بن إدريس الشافعي المصلي ، أحد كبار الأئمة المجتهدين . توفي بمصر سنة ٢٠٤ ، انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٠ / ٥ - ٩٩ .

٢- أخرجه الإمام البيهقي في ((معرفة السنن والآثار)) في كتاب المناسك : باب : أصل ما يحل قتله من الوحش ويُرجم عليه : ٧ / ٤٧٦ - ٤٧٧ .

وأخرجه في سننه الكبرى أيضاً في كتاب الحج باب : ((ما للمحرم قتله من دواب البر)) : ٥ / ٢١٢ .

وهذا الوجه المذكور يتضمن الذي يسمى اليوم : الإعجاز العلمي في القرآن .

قال الأستاذ الطاهر بن عاشور^(١) رحمه الله تعالى :
((وأما الجهة الثالثة من جهات الإعجاز - وهي مأودعه من المعاني الحكيمية والإشارات العلمية ، فاعلموا أن العرب لم يكن لهم علم سوى الشعر وما تضمنه من الأخبار ...^(٢)))

إن العلم نوعان : علم اصطلاحي وعلم حقيقي ، فأما الاصطلاحي فهو ماتواضع الناس في عصر من الأعصار على أن صاحبه يعد في صف العلماء ، وهذا قد يتغير بتغير العصور ويختلف باختلاف الأمم والأقطار ، وهذا النوع لا تخلو عنه أمة .

وأما العلم الحقيقي فهو معرفة ما عرفت كمال الإنسان ، وما به يبلغ إلى ذروة المعارف وإدراك الحقائق النافعة عاجلاً وآجلاً ...

وهذه الجهة خلا عنها كلام فصحاء العرب ؛ لأن أغراض شعرهم كانت لاتعدو وصف المشاهدات والمتخيلات والافتراضات المختلفة ، ولاتحوم حول تقرير الحقائق وفضائل الأخلاق التي هي أغراض القرآن ...

وقد اشتمل القرآن على النوعين ، فأما النوع الأول فتناوله قريب لايحتاج إلى كد فكر ولا يقتضي نظراً ؛ فإن مبلغ العلم عندهم يومئذ علوم أهل الكتاب ، ومعرفةُ الشرائع والأحكام ، وقصص الأنبياء والأمم ، وأخبار العالم ...

١- محمد الطاهر بن عاشور رئيس المفتين المالكين بتونس ، وشيخ جامع الزيتونة وفروعه بتونس . ولد سنة ١٢٩٦ بتونس ، وعين عام ١٩٣٢ شيخاً للإسلام مالكيًا وهو من أعضاء الجمعيتين العربيتين في دمشق والقاهرة . له مصنفات مطبوعة مشهورة ، ومقالات كثيرة في المجلات . توفي بتونس سنة ١٣٩٣ رحمه الله تعالى .

انظر ((الأعلام)) : ٦ / ١٧٤ .

٢- قد كان للعرب علوم أخرى غير الشعر مثل علم الإهتداء بالنجوم .

وأما النوع الثاني من إعجازه العلميّ فهو ينقسم إلى قسمين : قسم يكفي لإدراكه فهمه وسمعه ، وقسم يحتاج إدراك وجه إعجازه إلى العلم بقواعد العلوم فيتبلج للناس شيئاً فشيئاً انبلاج أضواء الفجر على حسب مبالغ الفهم وتطورات العلوم ، وكلا القسمين دليل على أنه من عند الله ؛ لأنه جاء به أميٌّ في موضع لم يعالج أهله دقائق العلوم ، والجائي به ثاوٍ بينهم لم يفارقهم ...

وهذا النوع من الإعجاز هو الذي خالف به القرآن أساليب الشعر وأغراضه مخالفة واضحة ...

وإعجازه من هذه الجهة للعرب ظاهر ؛ إذ لا قبل لهم بتلك العلوم ... ((^(١)) .

لكن قد يقال في هذا الوجه أن الإعجاز فيه إعجاز جزئيّ ، بمعنى أنه ليس في كل آية من كتاب الله - تبارك وتعالى - وذلك كالإعجاز بأخبار الغيب ؛ إذ هو إعجاز جزئيّ كما بينت في موضع سابق^(٢) .

قال الأستاذ الطاهر بن عاشور في بيان الإعجاز العلميّ في القرآن :
 ((وهذه الجهة من الإعجاز إنما تثبت للقرآن بمجموعه أي مجموع هذا الكتاب ؛ إذ ليست كل آية من آياته ولا كل سورة من سورته بمشتملة على هذا النوع من الإعجاز ، ولذلك فهو إعجاز حاصل من القرآن^(٣) ، وغير حاصل به التحدي إلا إشارة نحو قوله :

﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا﴾^(٤) ...))^(٥) .

وهذا الوجه الذي جاء به الإمام السيوطي ليس جديداً ؛ إذ سبقه إلى القول

١- ((التحرير والتنوير)) : ١ / ١٢٥ - ١٢٩ بتصرف .

٢- انظر ص ١٣٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٣- أي مجموعته .

٤- سورة النساء : آية ٨٢ .

٥- ((التحرير والتنوير)) : ١ / ١٢٩ .

به أئمة^(١) ؛ لكن الإمام السيوطي جاء به مبسوطاً ، كثير الأحاديث والآثار ، وأكثر فيه - كعادته - من إيراد كلام الأئمة وجمعه على وجه حسن .
وقد كان من المناسب أن أبسط الحديث عن الإعجاز العلمي في هذا الموضوع ؛ وذلك لتوسع السيوطي في الكلام عليه .

الوجه الثاني :

((كونه محفوظاً عن الزيادة والنقصان ، محروساً عن التبديل والتغيير على تطاول الأزمان بخلاف سائر الكتب))^(٢) :

لم يضيف السيوطي - رحمه الله تعالى - على عنوان هذا الوجه شيئاً إلا قوله :

((قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ ^(٣) فلم يقدر أحد - بحمد الله - على التجاسر عليه)) .
فجاء هذا الوجه قصيراً في كلماته طويلاً في معانيه .

ورأيي أن هذا الوجه ليس من الإعجاز بل هو دليل واضح على أن هذا الكتاب العظيم هو من عند الله - تبارك وتعالى - وهو الذي تكفل بحفظه سبحانه ، فهذا الحفظ إذاً خصوصية خص الله بها هذا الكتاب العظيم .

والسبب في كون هذا الوجه ليس من الإعجاز هو أن المعجزة يجب أن يكون إعجازها واضحاً ماثلاً للأذهان من العصر الذي ظهرت فيه وما بعده من الأزمان ، فكيف يقال إن مشركي العرب قد أعجزهم القرآن بالحفظ عن الزيادة والنقصان والتبديل والتغيير وهم الذين لم يؤثر عنهم محاولة تغيير القرآن بالزيادة والنقصان أو بالتحريف والبهتان ؟ ! وإنما حوّل هذا الأمر في الأزمان المتأخرة ، ولم ولن تفلح كل المحاولات لتحريف هذا الكتاب المحفوظ .

١ - انظر - مثلاً - ص ١٦٣ من هذه الرسالة .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ .

٣ - سورة الحجر : آية ٩ .

الوجه الثالث : حسن تأليفه ، والتتام كلمه وفصاحتها ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام وأرباب هذا الشأن^(١) :

قد جمع السيوطي في هذا الوجه ثلاثة أوجه من أوجه الإعجاز التي أتى بها من قبله ؛ إذ حسن التأليف والتتام الكلام هو الإعجاز النظمي ، وذكر معه الإعجاز بفصاحة كلم القرآن ، ثم ثلث بالإعجاز البلاغي .

وقد أتى بمقدمة توضح إعجاز القرآن من هذا الوجه ، ثم ذكر بعض مناحي المحسنات اللفظية في كتاب الله العزيز ، وهي فواصل الآيات^(٢) ، وقارن بينها وبين السجع ذاكرًا مذاهب العلماء في جواز مجيئه في كتاب الله العزيز^(٣) ، ثم توسع في إيراد أنواع الفواصل بين الآيات وأسباب مجيئها كذلك ، واستمر في إيرادها إلى آخر الوجه .

فهو إذاً لم يتكلم على أوجه البلاغة في القرآن - كما هو مثبت في عنوان هذا الوجه الثالث من وجوه الإعجاز - ولعله أرجأ الكلام عليها إلى الوجوه : الثالث والعشرين إلى الثامن والعشرين ، وهي على الترتيب : وقوع الحقائق والمجاز فيه ،

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧ - ٥٤ .

وعنوان هذا الوجه منقول - مع تصرف يسير - من كتاب ((الشفا)) للقاضي عياض : ١ / ٣٥٨ ، ٣٦٩ ، ولم يُشر السيوطي إلى نقله هذا ، وقد بينت ذلك من قبل ، انظر ص ٢٩٦ .
وقولي في المتن : قد جمع السيوطي في هذا الوجه ثلاثة أوجه ... يتوجه باعتبار أن السيوطي ذكر هذا المنقول عن ((الشفا)) وصدر به هذا الوجه الثالث من أوجه الإعجاز فبدا كأنه كلامه ، فصحّ إذاً مانسبته إليه في المتن .
ويمكن أن يتوجه أيضاً بأن السيوطي جاء بهذا المنقول وارتضاه وبنى عليه كلامه في هذا الوجه ، فصحّ إذاً عدّه من جملة كلامه ، والله أعلم .

٢- وهي ((كلمة آخر الآية ، كثافة الشعر وقرينة السجع)) : ((البرهان)) : ١ / ٥٣ ، وسيأتي الكلام على مباحث مما ورد منها في هذا الوجه في الفصل الثالث من هذا الباب - إن شاء الله تعالى -
انظر ص ٥٧٤ وما بعدها .

٣- سبق ذكر هذا المبحث ، انظر ص ١٥٣ - ١٥٤ .

تشبيهه واستعاراته ، وقوع الكناية والتعريض ، والإيجاز والإطناب ، وقوع البدائع البليغة فيه ، احتواؤه على الخبر والإنشاء^(١) .

وإنما قلت : لعله ؛ لأنه لم يصرح بذلك ، ولعله سها عن إيراد البلاغة في هذا الوجه الثالث .

وهذا الوجه الذي ذكره السيوطي ، وهو الإعجاز بنظمه وفصاحته وبلاغته ، هو من أعظم أوجه الإعجاز في الكتاب العزيز ، وهو الوجه الذي لم يكد يَشُدُّ عن عدّه معجزاً أحدٌ ، فهو متفق عليه بين من تكلم على إعجاز القرآن العظيم - إلا من قال بـ (الصّرفة) ممن ذكرتهم سابقاً^(٢) - حتى أن السيوطي ، رحمه الله تعالى ، نقل قولاً للإمام ابن عطية ، رحمه الله تعالى ، أنه يقرر أن :
((الصحيح والذي عليه الجمهور والحَذَاق في وجوه إعجازه أنه بنظمه ، وصحة معانيه ، وتوالي فصاحة ألفاظه ...))^(٣) .

وفي هذا الوجه بعضُ المآخذ العلمية الواردة أثناء حديث الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - عن الفواصل ، وسيأتي الكلام عليها في الفصل الثالث من هذا الباب ، إن شاء الله تعالى^(٤) .

والملاحظ في هذا الوجه أن الكلام على الفواصل وأنواعها وأقسامها شغل القسم الأكبر من هذا الوجه البالغ عددُ صفحاته سبعاً وعشرين صفحة ، حيث جاء الكلام على الفواصل في خمس وعشرين منها .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٦ - ٤٤٩ .

٢- انظر ص ٩٢ وما بعدها .

٣- انظر ((المخرر الوجيز)) : ١ / ٣٨ وقد نقل السيوطي كلام ابن عطية - رحمه الله تعالى - بالمعنى .

٤- انظر ص ٥٧٤ وما بعدها .

أما الكلام على الإعجاز بالنظم وبالفصاحة والبلاغة فقد كان نزرًا يسيرًا ،
وقد قدمت أن الكلام على البلاغة قد أُخِرَ إلى موضع آخر ، ولكن ماشأن الكلام
على الإعجاز النظمي والإعجاز بالفصاحة حيث إنهما لم يردا في مكان آخر ؟ !

وكان الأولى أن يتوسع في ذكرهما في هذا الموضوع عوض البسط الذي بسطه
في حديثه عن الفواصل ، حيث إنهما من أركان الإعجاز القرآني ، وهما أجدر
بالبسطة في الذكر خاصة في هذا الموضوع حيث وردا وجهًا من أوجه الإعجاز مع
البلاغة .

الوجه الرابع :

((مناسبة آياته وسوره ، وارتباط بعضها ببعض حتى تكون كالكلمة الواحدة ،
متسقة المعاني ، منتظمة المباني))^(١) :

قد توسع السيوطي - رحمه الله تعالى - في ذكر المناسبات بين الآيات بعضها
ببعض ، وبين السور كذلك ، وذكر أسباب ترتيب السور في المصحف ، وافتتاح
السور بالحروف المقطعة^(٢) ومناسبتها للسور ، وغير ذلك .

وقد اختلفت أنظار العلماء في هذا الوجه ، وقليل منهم عدّه وجهًا مستقلًا
من وجوه الإعجاز مثل ماصنع الإمام الرازي - رحمه الله تعالى - إذ قال في تفسيره
في سورة البقرة فيما نقله عنه السيوطي :

((ومن تفكر في لطائف نظم هذه السورة وفي بدائع ترتيبها علم أن القرآن كما أنه
معجز بحسب فصاحة ألفاظه وشرف معانيه فهو - أيضاً - بسبب ترتيبه ونظم
آياته ، ولعل الذين قالوا إنه معجز بسبب أسلوبه أرادوا ذلك إلا أنني رأيت جمهور
المفسرين معرضين عن هذه اللطائف ، غير متبهرين لهذه الأسرار ...))^(٣) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٤ - ٧٤ .

٢- هي الحروف الواردة في أوائل السور مثل : ﴿ ألم ﴾ و ﴿ حم ﴾ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٦ .

وقد حاولت العثور على كلام الرازي في مقامه من تفسيره المطبوع فلم أحده ، والله أعلم .

وأكثر المصنفين في الإعجاز لم يجعلوا علم المناسبة بين الآيات والسور وجهاً مستقلاً من وجوه الإعجاز ، بل إن بعض العلماء يرى أنه لا يُطلب للآيات الكريمة مناسبات لربطها لأنها نزلت حسب الوقائع وفي مدة طويلة ، وما كان كذلك فلا يتأتى فيه الربط^(١) .

ولكن يمكن أن يقال لهم إن الأمر الذي رددتم به التوسع في ذكر المناسبات بين الآيات والسور هو نفسه المدخل إلى إظهار الإعجاز في المناسبات ، حيث إنه ليس في قدرة البشر أن يرتبوا كلاماً طويلاً ، قيل في مدة زمنية طويلة ، وهو في مناحٍ شتى من وجوه الخطاب ، ليس في مقدورهم ترتيبه على هذا الوجه المعجز في القرآن ، ولا على طريقة قريبة من الترتيب القرآني الذي جاء على غاية من الدقة واللفظ والإحكام حيث صار القرآن كأنه نزل جملة واحدة .

ومن أحسن المحاولات في إيجاد المناسبة بين الآيات والسور ما صنعه الإمام برهان الدين البقاعي في كتابه ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)) ، وإن هاجمه لأجل صنيعه هذا بعضُ معاصريه^(٢) ، نعم قد ينكر على المتكلف الآتي بالوجوه البعيدة في الربط بين المناسبات .

والذي أراه ، والله أعلم ، أن هذا العلم من دلائل الإعجاز ولكنه ليس وجهاً مستقلاً من أوجهه ؛ حيث إنه ملحق - في تقديري - بالإعجاز النظمي المذكور في الوجه الثالث السابق ؛ فالإعجاز النظمي بمعناه العام الشامل يتناول نظم الكلمات لتصبح جملاً وآيات ، ويتناول - أيضاً - نظم الآيات ونظم السور ، والله أعلم .

فالجدید في هذا الوجه الذي جاء به السيوطي إذاً هو عدّه المناسبة وجهاً مستقلاً من أوجه الإعجاز ، وإبراز ذلك بوضوح وإطناب ، وقد ساق لأجل ذلك

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥ - ٥٦ .

٢- انظر تفصيل هذا في ((البدر الطالع)) : ١ / ٢٠ - ٢١ .

عدداً من أقوال الأئمة وتقريراتهم في هذه المسألة ، وبسط الكلام على أنواع الروابط بين الآيات فجاء هذا الوجه كأنه جديد لم يقل به أحد قبل ذلك .

الوجه الخامس : افتتاح السور وخواتمها^(١) :

ومقصد السيوطي أن الكلام إذا افتُتح بالتأنيق والجمال والتحرير أقبل عليه السامع وإلا أعرض عنه ودفعه ، وقد جاء القرآن بأعظم الفواتح وأحسنها ، وأدق الخواتم وأفضلها .

وقد شرح الإمام السيوطي مقصده فقال :

((وهو^(٢) من أحسن البلاغة عند البيانين ، وهو أن يتأنيق في أول الكلام لأنه أول ما يقرع السمع فإن كان محرراً أقبل السامع الكلام ووعاه ، وإلا أعرض عنه وإن كان في نهاية الحسن ، فينبغي أن يؤتى فيه بأعذب اللفظ وأرقه ، وأجزله وأسلسه ، وأحسنه نظماً وسبكاً ، وأصح معنًى وأوضحه ، وأخلاه من التعقيد والتقديم والتأخير الملبس أو الذي لا يناسب .

قالوا : وقد أتت فواتح جميع السور على أحسن الوجوه وأكملها كالتهنيدات وحروف النداء والهجاء وغير ذلك)) .

ثم قال : ((وخواتم السور مثل الفواتح في الحسن))^(٣) .

وأرى - والله أعلم - أن هذا الوجه لا يستقل عن الإعجاز البلاغي والإعجاز بالفصاحة ؛ فهو يرجع إليهما لا ينفك عنهما وإلا أخلّ بالنظم الكريم .

١- ((معترك الأقران)) : ١ : ٧٤ - ٨٥ .

٢- أي افتتاح الكلام بالفواتح الحسنة .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ : ٧٤ - ٧٥ .

ولذلك لأرى وجهاً لإفراد هذا المبحث وجهاً من وجوه الإعجاز ، والله أعلم ، إلا أن يكون السيوطي قد أراد التفصيل والبسط لما لعله يصلح أن يُسط من جوانب الإعجاز البلاغي والإعجاز بالفصاحة ، فيستقل في مبحث منفصل كما فعل هنا .

الوجه السادس : مشتبهات آياته^(١) :

ويقصد بالمشتبهات تشابه بعض الآيات في فواصلها ، أو في التقديم والتأخير ، أو بإضافة كلمة أو حرف في آية دون أخرى إلخ ... ومثال ذلك قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَازِغِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٢) .

مع قوله تعالى :

﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَاَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا نَغْفِرْ لَكُمْ خَطِيئَتَكُمْ وَسَازِغِ الْمُحْسِنِينَ﴾^(٣) ، فقد اجتمع في الآيتين أنواع من التشابه كثيرة .

وهذا الوجه لا يستقل عن وجه الإعجاز بالنظم إلا فيما يتعلق بذكر سبب ورود التشابه ؛ ومثال ذلك قول السيوطي رحمه الله :
((قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا ﴾^(٤) .
وقال بعد ذلك : ﴿ فَلَا تَعْتَدُوهَا ﴾^(٥) ؛ لأن الأولى وردت بعد نواهي فناسب النهي

١- ((معترك الأقران)) ١ / ٨٥ - ٩٤ .

٢- سورة البقرة : آية ٥٨ .

٣- سورة الأعراف : آية ١٦١ .

٤- سورة البقرة : آية ١٨٧ .

٥- سورة البقرة : آية ٢٢٩ .

عن قربانها ، والثانية بعد أوامر فناسب النهي عن تعديها وتجاوزها بأن يوقف عندها))^(١) .

فإن لوحظ هذا المعنى - الذي أكثر السيوطي من إيراد وإيراد الأدلة الدالة عليه - كان هذا وجهاً معدوداً من وجوه الإعجاز ، أما إن ذكر متشابه القرآن من باب تنوع اللفظة وإيرادها في صيغ مختلفة بلاغةً وتفناً فيلحق هذا بوجه الإعجاز البلاغي والإعجاز بالنظم ، والله أعلم .

وقولي : كان هذا وجهاً معدوداً من وجوه الإعجاز إنما هو مرتبط بما ذكرته في التمهيد لهذا الباب من أن وجوه الإعجاز على قسمين ، وهذا مندرج في القسم الأول منه وهو الإعجاز الذاتي الذي يُلاحظ فيه شيء من الإعجاز لكنه أشبه بالخصائص منه بالإعجاز المستقل ، والله أعلم .

الوجه السابع : ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات^(٢) :

ذكر السيوطي في هذا الوجه بعض الآيات التي يوهم ظاهرها التعارض ، والتعارض الموهوم في الآية إما في نفسها أو مقارنة بغيرها .

ومن أمثلة ما أتى به مما يوهم تعارض الآية مع بعض المسلمات الثابتة ما جاء أن ابن عباس - رضي الله عنه - قال له يهودي :

((إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيماً ، فكيف هو اليوم ؟ فقال : إنه كان في

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٣ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٤ - ١٠٨ .

نفسه عزيزاً حكيماً^(١) .

ومن أمثلة ما أتى به مما يوهم التعارض بين آيتين أو أكثر ما جاء في قوله تعالى :

﴿ وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْئُولُونَ ﴾^(٢) .

وقوله : ﴿ فَلَنَسْأَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْأَلَنَّ الْمُرْسَلِينَ ﴾^(٣) .

مع قوله :

﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾^(٤) .

قال السيوطي :

((قال الحليمي^(٥) : فتحمل الآية الأولى على السؤال عن التوحيد وتصديق الرسل ،

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٩ .

وهذا الأثر أخرجه ابن أبي حاتم - كما ذكر السيوطي رحمه الله تعالى - في تفسير قوله تعالى :

﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزاً حَكِيمًا ﴾ من سورة النساء : آية ١٥٨ ، فقال : حدثني أبي ، ثنا حسين بن

عيسى بن ميسرة ، ثنا أبو زهير عبد الرحمن بن مغراء ، أنبأ مجمع بن يحيى : عن عمه عن ابن عباس قال : قال يهودي :

إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيماً ، فكيف هو اليوم ؟ قال ابن عباس : إنه كان في نفسه عزيزاً حكيماً)) :

((تفسير القرآن العظيم)) لابن أبي حاتم : الجزء الرابع : ١٧٠٦ ، من رسالة الدكتوراه لتحقيق سورتي آل عمران

والنساء للدكتور حكمت بشير ياسين .

وقد ذكر المحقق أن إسناد هذا الأثر حسن ، وبالنظر إلى حال رجاله يتبين التالي :

- أبو حاتم الرازي = محمد بن إدريس بن المنذر : هو أحد الحفاظ ، وانظر ((التقريب)) : ٤٦٧ .

- حسين بن عيسى بن ميسرة : صدوق ، كما في ((الجرح والتعديل)) : ٣ / ٦٠ .

- عبد الرحمن بن مغراء الدوسي : صدوق ، تكلم في حديثه ، كما في ((التقريب)) : ٣٥٠ .

- مجمع بن يحيى بن يزيد بن حارية = صدوق كما في ((التقريب)) : ٥٢٠ ، وقد يقال : مجمع بن

يحيى بن زيد كما في ((التهذيب)) : ١٠ / ٤٣ .

عمه هو خالد بن يزيد كما ذكر الأستاذ المحقق ، وهو كما قال ، وانظر ((التهذيب)) : ١٠ / ٤٣ .

وحال عمه هذا أخبر عنه أبو حاتم الرازي بقوله : ما به بأس ، كما في ((الجرح والتعديل)) : ٣ / ٣٣١ .

فالإسناد - بالنظر إلى رجاله - حسن ، إن شاء الله تعالى ، كما ذكر الأستاذ المحقق ، والله أعلم .

٢- سورة الصافات : آية ٢٤ .

٣- سورة الأعراف : آية ٦ .

٤- سورة الرحمن : آية ٣٩ .

٥- هو الشيخ أبو عبد الله الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم البخاري الشافعي أحد الأذكياء . كان متفتناً سيال

الذهن منائراً ، طويل الباع في الأدب والبيان . وله مصنفات نفيسة . وللحافظ البيهقي اعتناء بكلامه .

مات سنة ٤٠٣ ، رحمه الله تعالى .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٢٣١ - ٢٣٤ .

والثانية^(١) على ما يستلزمه الإقرار بالنبوات من شرائع الدين وفروعه^(٢) ، وحمله غيره على اختلاف الأماكن ، لأن في القيامة مواقف كثيرة ، ففي موضع يُسألون وفي موضع آخر لا يُسألون . وقيل إن السؤال المثلث سؤال تبكيث وتوبيخ ، والمنفي سؤال المعذرة وبيان الحجة^(٣) .

وقد أتى السيوطي في هذا الوجه أيضاً بأسباب اختلاف الآيات وتوهم تعارضها ، وكيفية الجمع بين الآيات التي ظاهرها التعارض .

والحق أن هذا الوجه ليس من الإعجاز ، وإنما هو عائد إلى التنوع في أساليب القرآن ومجيء الآيات على أوجه متعددة في أحوال مختلفة ، وإنما يفهم ذلك ويوجهه الراسخون في العلم ، أما عدّه من الإعجاز ففيه تجوّز ، والله أعلم ؛ إذ غايته أن يُعد من خصائص القرآن .

الوجه الثامن : ((وقوع ناسخه ومنسوخه))^(٤) :

عرف السيوطي النسخ فقال :

((يرد النسخ بمعنى الإزالة ، ومنه قوله :

﴿ فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ ﴾^(٥) .

وبمعنى التبديل ، ومنه : ﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾^(٦) .

١- أي قوله تعالى : ﴿ فَيَزِيدُ اللَّهُ يُسْأَلُ عَنْ ذُنُوبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَنَآءُ ﴾

٢- أورد الحليمي هذه الإجابة في كتاب ((المنهاج)) في موضعين : ١ / ٣٨٦ وما بعدها ،

١ / ٤١٧ وما بعدها ، وأورد كلامه في ((البرهان)) : ١ / ٥٥ ، الذي نقل منه السيوطي ، أورد مختصراً وبالمعنى .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠١ ، وكلامه إلى قوله : ((لا يُسألون)) نقله من ((البرهان)) للزركشي : ١ / ٥٥ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٨ - ١٣٦ .

٥- سورة الحج : آية ٥٢ .

٦- سورة النحل : آية ١٠١ .

ويعنى التحويل : كتناسخ المواريث ، بمعنى تحويل الميراث من واحد إلى واحد ،
ويعنى النقل من موضع إلى موضع ومنه : نسخت الكتاب : إذا نقلت ما فيه حاكياً
للفظه وخطه ((^(١)) .

وقد توسع السيوطي - رحمه الله تعالى - كثيراً في هذا المبحث وأتى فيه
بأقسام النسخ وأحكام متفرقة فيه ، ثم استوعب ذكر الآيات المنسوخة في القرآن
مستفيداً من تأليف له سابق في هذا الباب^(٢) .

وقد تبعت كلام السيوطي في هذا الوجه لأرى كيف استخرج وجه الإعجاز
من الناسخ والمنسوخ لكني لم أجد إلا مباحث أصولية فقهية أو مباحث تفسيرية
محضة للناسخ والمنسوخ في القرآن ، مما لا تعلق له ألبتة بمبحث الإعجاز .

والناسخ والمنسوخ مما خصت به هذه الأمة لحكم كثيرة منها التيسير
والتخفيف^(٣) ، وتحقيق حكمة التدرج في التشريع ، وغير ذلك من فوائد ورود
الناسخ والمنسوخ في كتاب الله تعالى .

الوجه التاسع : ((انقسامه إلى محكم ومتشابه))^(٤) :

توسع السيوطي رحمه الله تعالى في هذا الوجه ، وأتى بمباحث كثيرة فيه
حيث أتى ببعض تعاريف المحكم والمتشابه ، ثم ذكر أنواع المتشابه ، ثم عقد فصلاً
كاملاً لبيان أن آيات الصفات من المتشابه ، وختم الوجه ببيان أن أوائل السور من
المتشابه ، وذكر فوائد المتشابه .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٩ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ١١٥ ، وكتابه هذا هو : ((الناسخ والمنسوخ في القرآن)) كما في

((دليل مخطوطات السيوطي)) : ٤٥ .

٣- قد ذكر ذلك السيوطي في بداية هذا الوجه : ١ / ١٠٨ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٣٦ - ١٦١ .

تعريف المحكم والمتشابه :

المحكم هو الأمر الذي لا اختلاف فيه ولا اضطراب^(١) .

أما التعريف الاصطلاحي للمحكم والمتشابه في القرآن فهو بحسب متعلقه :
فإن تعلق بالمعاني فالمحكم هو ما عُرِف المراد منه ، والمتشابه ما استأثر الله بعلمه
كقيام الساعة والحروف المقطعة في فواتح بعض السور ، فالمحكم هنا يقابل المتشابه .

وإن تعلق بالألفاظ والمعاني معاً فالقرآن محكم كله لأنه لا يتطرق النقص إليه
والاختلاف ، وهو متشابه كله . بمعنى أنه يشبه بعضه بعضاً في الحق والصدق
والإعجاز^(٢) .

وقيل إن المحكم هو الذي لا يَحْتَمِلُ إلا وجهاً واحداً من التأويل ، والمتشابه
بمخلافه ، وقيل فيهما غير ذلك^(٣) .

والذي أراه - والله أعلم - أن هذا الوجه لا يعد من الإعجاز إنما جيء
بالمحكم والمتشابه في القرآن لحكم منها :

١ - حث العلماء على النظر فيه والبحث عن دقائقه^(٤) .

٢ - اختبار العباد بالوقوف عند متشابهه والتسليم ، والتعبُّد بالاستغفال به من جهة
التلاوة^(٥) .

١- ((لسان العرب)) : حكم .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٣٦ - ١٣٧ .

٣- المصدر السابق : ١ / ١٣٧ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٥٨ - ١٥٩ يتصرف .

٥- المصدر السابق .

٣ - ((إظهار التفاضل وتفاوت الدرجات ؛ إذ لو كان القرآن كله محكماً لا يحتاج إلى تأويل ونظر لاستوت منازل الخلق ، ولم يظهر فضل العالم على غيره))^(١) .

تلك بعض الفوائد لمحيي المحكم والمتشابه في القرآن ، أما أن يُعدَّ هذا من وجوه الإعجاز ففيه بُعد ، كما أنه لم يعدّه أحدٌ من وجوه الإعجاز ، فيما أعلم ، والله أعلم .

وقد أتى السيوطي في هذا الوجه بعدد من صفات الله تبارك وتعالى على أنها من المتشابه^(٢) ، وسوف أبين الصواب في هذا - إن شاء الله تعالى - في مطلب : منهجه في العقيدة^(٣) .

الوجه العاشر : اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيتها من التخفيف والتشديد وغيرهما^(٤) :

ذكر السيوطي في هذا الوجه مباحث في القراءات ، وفوائد اختلاف القراءة .

وهذا الوجه ليس من وجوه الإعجاز إلا ما كان من مبحث فوائد اختلاف القراءة ؛ إذ أن بعض الكلمات القرآنية تُرسم بوجه واحد وتنطق بأوجه مختلفة ، وهذا النطق ينبي عليه الاختلاف في المعنى^(٥) أو في الحكم الفقهي^(٦) ، أو غير ذلك .

١- المصدر السابق : ١ / ١٥٨ .

٢- المصدر السابق : ١ / ١٤٦ - ١٥٥ .

٣- انظر ص ٤٩٣ وما بعدها .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٦١ - ١٧٠ .

٥- وذلك نحو قوله تعالى ﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ و﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ ﴾ سورة الحجر : آية ٤١ .

فقراءة يعقوب ﴿ عَلَيَّ ﴾ وقراءة الجمهور : ﴿ عَلَيَّ ﴾ .

وانظر ((النشر)) : ٢ / ٣٠١ .

٦- وذلك نحو : ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ ، و ﴿ يَطْهَرْنَ ﴾ فالقراءة الأولى يُفهم منها جواز قربان النساء بمجرد انقطاع الدم ، والثانية يُفهم منها وجوب الغسل بعد انقطاع الدم قبل الوقاع ، انظر ((النشر)) : ٢ / ٢٢٧ ، و((الغني)) : =

وهذا الوجه لا يستقل عن الإعجاز بالفصاحة الذي هو أصل له ؛ لأن القرآن نزل متلوّاً مقروءاً لمرسوماً ، ولما كانت الفصاحة مدارها على حسن اختيار الألفاظ فناسب أن تتعلق مباحث القراءات واختلاف الألفاظ بالإعجاز بالفصاحة ، والله أعلم .

وكذلك ما أورده السيوطي في فوائد القراءات على أنها من إعجاز الإيجاز ؛ ((إذ تنوع القراءات بمنزلة الآيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آيةً على حدة لم يَخَفَ ما كان من التطويل))^(١) ؛ هذا الذي أورده هو من نوع الإعجاز البلاغي في القرآن ؛ لأن الإيجاز من أنواع علم المعاني الذي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة^(٢) .

فهذا الوجه إذاً غير مستقل بالإعجاز إنما هو مندرج تحت الإعجاز بالفصاحة والبلاغة ، لكن إبرازه على هذا النحو وعدهً وجهاً مستقلاً بالإعجاز إنما هو من الجديد الذي جاء به الإمام السيوطي في كتابه هذا حيث إنني لم أطلع على من حاول هذا من قبل .

وعدهً من الجديد إنما هو بالنسبة إلى الكتب التي تحدثت عن الإعجاز وأوجهه ، أما غيرها من الكتب فقد سبق إلى عدّه هذا من إعجاز القرآن الإمام ابن الجزري ، رحمه الله تعالى ، حيث قال :

((وأما فائدة اختلاف القراءات وتنوعها فإن في ذلك فوائد غير ما قدمنا من سبب التهوين والتسهيل والتخفيف على الأمة ، ومنها^(٣) ما في ذلك من نهاية البلاغة ، وكمال الإعجاز ، وغاية الاختصار ، وجمال الإيجاز ؛ إذ كان تنوع اللفظ بكلمة

= ١ / ٤١٩ - ٤٢٠ حيث أجاز الإمام أبو حنيفة قربان المرأة إذا انقطع دمها لأكثر مدة الحيض ، وهي - عنده - عشرة أيام .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٦٩ .

٢- انظر ((جواهر البلاغة)) : ٤٦ - ٤٧ .

٣- كذا ورد بالعطف في المطبوع ، والأوجه حذف الواو ، والله أعلم .

تقوم مقام آيات ، ولو جعلت دلالة كل لفظ آيةً على حِدَتِها لم يخف ما كان في ذلك من التطويل ((^(١)) .

الوجه الحادي عشر : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع^(٢) :

قد قسم السيوطي هذا المبحث إلى قسمين :
قسم أشكل معناه بحسب الظاهر ، والقسم الآخر مالميس كذلك .

ومثال الأول عند السيوطي :
((ومنه : ﴿ أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ ﴾ ^(٣) والأصل : (هوأه إلهه) ؛ لأن من اتخذ إلهه هوأه غير مذموم ، فقدم المفعول الثاني للعناية به))^(٤) .
ولم يمثل السيوطي للقسم الآخر ، ومثاله قوله تعالى :
﴿ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾ ^(٥) .

مع قوله سبحانه :
﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَأَدْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾ ^(٦) .

وقد ذكر السيوطي في هذا المبحث عشرة أسباب للتقديم والتأخير ، وبها ختم الكلام على هذا الوجه .

وهذا الوجه يصح أن يكون من الإعجاز إذا لوحظت أسباب وأسرار التقديم والتأخير التي أوردها السيوطي - رحمه الله تعالى - ولكنه مندرج في الإعجاز

١- ((النشر في القراءات العشر)) : ١ / ٥٢ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٧١ - ١٨١ .

٣- سورة الجاثية : آية ٢٣ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٧٣ .

٥- سورة البقرة : آية ٥٨ .

٦- سورة الأعراف : آية ١٦١ .

النظمي وليس وجهاً مستقلاً منفرداً ، والله أعلم .
ولبيان ذلك فإني أذكر سبباً من أسباب التقديم والتأخير العشرة التي أوردها
السيوطي - رحمه الله تعالى - في هذا الوجه :
الرابع^(١) : المناسبة :

((وهي إما مناسبة المتقدم لسياق الكلام كقوله :
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴾ ^(٢) ، فإن الجمال بالجمال وإن
كان ثابتاً حالتي السراح والإراحة إلا أنها حالة إراحتها - وهو بحيثها من المرعى آخر
النهار - يكون الجمال بها أفخر ؛ إذ هي فيه بظان^(٣) ، وحالة سراحها للمرعى أول
النهار يكون الجمال بها دون الأول ؛ إذ هي فيه خصاص^(٤) .
ونظيره قوله :

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ ^(٥) .
قدم نفي السرف لأن السرف في الإنفاق^(٦) .

وقوله :

﴿ يَرْيَبُكُمْ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾ ^(٧) .

لأن الصواعق تقع مع أول برقة ، ولا يحصل المطر إلا بعد توالي البرقات^(٨) .
وقوله :

﴿ وَجَعَلْنَاهَا وَأَبْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ ﴾ ^(٩) .

١- أورد قبله ثلاثة أسباب وبعده ستة أسباب ، وإنما اخترت هذا لأنه أدلّ على المقصود من غيره .

٢- سورة النحل : آية ٦ .

٣- أي ممتلئة البطون ، ((لسان العرب)) : ب ط ن .

٤- الخصاص : ضمور البطن خللها من الطعام ، انظر : ((لسان العرب)) : خ م ص .

٥- سورة الفرقان : آية ٦٧ .

٦- لم يتجه لي المعنى ؛ إذ الإقترار يكون في الإنفاق أيضاً ، كما يفهم من سياق الآية الكريمة ، ولعل هناك سقطاً ،
والله أعلم .

٧- سورة الرعد : آية ١٢ .

٨- فالخرف حاصل بسبب الصواعق ، وقد قدم لأنه يحصل مع أول صاعقة ، بينما المطر لا يحصل إلا بتوالي الصواعق
فأخر الطمع في نزوله لهذا ، والله أعلم .

٩- سورة الأنبياء : آية ٩١ .

قدمها على الابن لما كان السياق في ذكرها في قوله :

﴿وَالَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾^(١) .

ولذلك قدم الابن في قوله :

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾^(٢) .

وحسنه تقديم موسى في الآية قبله^(٣) .

ومنه قوله :

﴿وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾^(٤) .

قدم الحكم وإن كان العلم سابقاً عليه^(٥) لأن السياق فيه ؛ لقوله في أول الآية^(٦) :

﴿إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ﴾^(٧) ((...))^(٨) .

والناظر لما ذكره السيوطي يعلم أن هذا لا يستطيعه البشر ، وتعجز عنه عقولهم القاصرة ، وهذا مدخل الإعجاز الذي ذكره السيوطي ، رحمه الله تعالى .

وإنما قلت - في أول الوجه - إنه مندرج تحت الإعجاز النظمي لأن أسرار وأسباب التقديم والتأخير التي أوردها متعلقة كلها بتقديم وتأخير الألفاظ القرآنية وطريقة نظمها ، وهذا عين الإعجاز النظمي .

لكن الجديد في هذا الوجه هو إبراز التقديم والتأخير وبيان أنه من الإعجاز على وجه لم يسبق به الإمام السيوطي ، فيما أعلم ، والله أعلم .

١- سورة الأنبياء : آية ٩١ .

٢- سورة المؤمنون : آية ٥٠ .

٣- أي حسن تقديم عيسى عليه الصلاة والسلام على أمه تقديم موسى عليه الصلاة والسلام في السياق السابق في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ ...﴾ الآية : ٤٥ . وإني أظن أن التقديم - هنا - جرى على الأصل ؛ إذ عيسى ، عليه الصلاة والسلام ، نبي مقدم على غيره ، والله أعلم .

٤- سورة الأنبياء : آية ٧٩ .

٥- أي في التحصيل والاكتمال الذهني .

٦- قوله : ((في أول الآية)) سهو ؛ إذ هي في الآية التي قبلها ، وليس هنالك اختلاف في عدّ هذين الآيتين بين علماء عدّ الآي .

٧- سورة الأنبياء : آية ٧٨ .

٨- ((معترك الأقران)) : ١٧٦/١ - ١٧٧ .

الوجه الثاني عشر : ((إفادة حصره واختصاصه))^(١) :

وقد عرفه السيوطي قائلًا :

((هو تخصيص أمر بآخر بطريق مخصوص .

ويقال أيضاً : إثبات الحكم للمذكور ونفيه عما عداه))^(٢) .

ثم ذكر أقسام الحصر - ويقال له أيضاً القَصْر - فمن ذلك :

١ - تقسيم القصر باعتبار طرفيه ، وهو نوعان :

أ - قصر الموصوف على الصفة ، وهو قسمان :

حقيقي ومجازي :

ومثل للحقيقي بقوله : ((ما زيدٌ إلا كاتب)) أي لصفة له غيرها .

ومثل للمجازي بقوله الله تعالى : ﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ﴾^(٣) أي أنه مقصور على

الرسالة لا يتعدها إلى التبري من الموت الذي استعظموه ؛ إنه شأن الإله^(٤) .

ب - قصر الصفة على الموصوف ، وهو أيضاً قسمان : حقيقي ومجازي :

ومثل للمجازي بقول الله تعالى :

﴿ قُلْ لَا أَحَدٌ فِي مَا أَوْحَىٰ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَىٰ طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا أَنْ يَكُونَ مِمَّنْ ... ﴾^(٥)

وإنما كان هذا قصراً مجازياً لأن هناك محرمات غير هذه ثبتت في الشرع ، وقيل

بأن ذلك قصر حقيقي ، والصواب الأول ، والله أعلم^(٦) .

ومثل للحقيقي ب : لا إله إلا الله .

٢ - تقسيم القصر بحسب حال المخاطب إلى :

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨١ - ١٩٤ .

٢- المصدر السابق : ١ / ١٨١ .

٣- سورة آل عمران : آية ١٤٤ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨١ .

٥- سورة الأنعام : آية ١٤٥ .

٦- انظر تفصيل هذه المسألة في ((الجامع لأحكام القرآن)) : ٧ / ١١٥ - ١٢٣ .

أ - قصر أفراد :

ويخاطب به من يعتقد الشُّركة ، ومثل له بقول الله تعالى :
﴿إِنَّمَا إِلَهُ الْوَاحِدُ﴾^(١) .

ب - قصر قلب :

ويخاطب به من يعتقد إثبات الحكم لغير من أثبتته المتكلم له ، ومثل له
بـ ﴿رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٢) .

ج - قصر تعيين :

ويخاطب به من تساوى عنده الأمران فلم يحكم بإثبات الصفة لواحد بعينه ولا لواحد
بإحدى الصفتين بعينها^(٣) .

أي إذا كان المخاطب متردداً في الحكم كأن يكون مثلاً متردداً في كون الأرض
متحركة أو ثابتة فيقال له: الأرض متحركة لا ثابتة^(٤) .

ثم إن السبوطي سرد طرق الحصر وهي أربع عشرة طريقة ومثل لها ، وختم
هذا الوجه بذكر الخلاف في عدّ تقديم المعمول على العامل : هل هو من طرق
الحصر ؟ وأتى بكلام أئمة اللغة والبيان في هذا .

والذي أراه - والله أعلم - أن هذا الوجه ليس من أوجه الإعجاز المستقلة بل
هو راجع إلى الإعجاز البلاغي ؛ إذ أساليب الحصر من أنواع علم المعاني الذي هو
أحد أقسام البلاغة الثلاثة .

١ - سورة النساء : آية ١٧١ .

٢ - سورة البقرة : آية ٢٥٨ .

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨٢ .

٤ - ((جواهر البلاغة)) : ١٨٦ .

وفائدة الحصر والاختصاص هي التفنن في إيراد الكلام على وجوه عدة ،
ولتثبيت المعاني في أذهان المخاطبين وجعلها من المسلّمات ، ولغير ذلك من
الأغراض ، فكان السيوطي جعله وجهاً مستقلاً لهذا ، ولكن الحق ما قدمته من
اندراجه تحت الإعجاز البلاغي ، والله أعلم .

الوجه الثالث عشر : ((احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم من الفرس
والروم والحبيشة وغيرهم))^(١) :

قد صنّف السيوطي كتاباً في المعرّب سماه : ((المذهب فيما وقع في القرآن من
المعرّب))^(٢) ، وقد لخصه في هذا الوجه الثالث عشر .
والمعرّب هو ((ما استعملته العرب من الألفاظ الموضوعة لمعانٍ في غير لغتها))^(٣) .
وهو على أقسام :

١ - قسم غيرته العرب وألفاقته^(٤) بكلامها ، فحكم أبنيته في اعتبار الأصلي والزائد
والوزن حكم أبنية الأسماء العربية الوضع نحو (درهم)^(٥) .

٢ - قسم غيرته العرب ولم تلحقه بأبنية كلامها نحو : آجر^(٦) .

٣ - وقسم تركوه غير مغير فما لم يلحقوه بأبنية كلامهم لم يُعدّ منها نحو خراسان ،

١- ((معرّب الأقران)) : ١ / ١٩٥ - ٢٠٦ .

٢- طبع هذا الكتاب أكثر من طبعة .

٣- ((المزهرة)) : ١ / ٢٦٨ ، ولم يعرف السيوطي المعرّب في ((معرّب الأقران)) .

٤- الإلحاق هو ((جعل مثال على مثال أزيد منه ليعامل معاملة في التصريف)) :

((المعني في تصريف الأفعال)) : ٥٩ .

٥- الدرهم والدرهم : لغتان ، فارسي مغرب ، ملحق ببناء كلام العرب ، فدرهم كهمجرع - وهو الرجل الطويل أو
الإمّح - ودرهم - بكسر الهماء - كهمجرع - وهو نوع من النباتات ، أو من الجواهر - وانظر ((لسان العرب)) :
درهم ، همجرع .

٦- هو الطين المطبوخ ، وتضبط الكلمة على وجوه عدة ، وهو من الفارسيّ المغرب ، وانظر ((لسان العرب)) :

وما ألحقوه بها عُدّ منها نحو (كُرْكُم) ألحق بـ (قُمَقَم)^(١) .

وقد ذكر السيوطي في هذا الوجه الخلاف في وقوع المعرّب في كتاب الله العزيز ، ثم استقصى منازل من القرآن بلهجات قبائل العرب المختلفة مما هو ليس من لغة أهل الحجاز .

والسيوطي - رحمه الله تعالى - ممن يذهب إلى وقوع المعرّب في القرآن حيث قال : ((وأقوى ما رأيته للوقوع - وهو اختياري - ما أخرجه ابن جرير^(٢) بسند صحيح عن أبي ميسرة^(٣) التابعي الجليل قال : ((في القرآن من كل لسان))^(٤) ...

فهذه إشارة إلى أن حكمة وقوع هذه الألفاظ في القرآن أنه حوى علم الأولين والآخرين ونبأ كل شيء ؛ فلا بد أن تقع فيه الإشارة إلى أنواع اللغات والألسن لتتم إحاطته بكل شيء ، فاختر من كل لغة أعذبها وأخفها وأكثرها استعمالاً للعرب .

وأيضاً فإن النبي - صلى الله عليه وسلم - أرسل إلى كل أمة ، وقد قال تعالى : ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾^(٥) فلا بد أن يكون في الكتاب المبعوث به من لسان كل قوم ، وإن كان أصله بلغة قومه هو ...))^(٦) .

١- ((المزهر)) : ١ / ٢٦٦ - ٢٧٠ بتصرف ، ونقل السيوطي هذا عن أبي حيان .

والكُرْكُم نوع من النبات ، والقُمَقَم : وعاء ضيق الرأس . انظر ((لسان العرب)) : كركم ، قمم .

٢- هو أبو جعفر محمد بن جرير بن يزيد ، الإمام العَلَم المجتهد . ولد سنة ٢٢٤ بأُمْل طَبْرِستان .

وكان من أفراد الدهر علماً وذكاءً وكثرة تصانيف . وكان من كبار أئمة الاجتهاد ، وأكثر الرجال في طلب العلم ثم استقر ببغداد وتوفي بها سنة ٣١٠ .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٤ / ٢٦٧ - ٢٨٢ .

٣- هو عمرو بن شُرَيْبيل الحَمْداني ، أبو ميسرة الكوفي . ثقة عابد مخضرم ، وهو من رجال البخاري

ومسلم . توفي بالطاعون سنة ٦٣ . انظر ((تهذيب التهذيب)) : ٨ / ٤٢ - ٤٣ ، و ((التقريب)) : ٤٢٢ .

٤- انظر ((جامع البيان)) : ١ / ١٤ . ومعنى هذا الأثر محمول على أن في القرآن ألفاظاً أصلها غير عربي لكن العرب عرّبتها واستعملتها قبل نزول القرآن ، أما أن يكون في القرآن ألفاظ غير عربية فهذا مردود ، وانظر كلام ابن جرير على هذه المسألة في تفسيره : ١ / ١٣ - ٢٠ .

٥- سورة إبراهيم : آية ٤ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٦ - ١٩٧ .

ولعل هذا الملحظ الذي لحظه السيوطي - رحمه الله تعالى - هو الذي دعاه لعدّ هذا الوجه من الإعجاز ؛ حيث إن القرآن حوى - على رأيه - جميع لغات العرب ، وكثيراً من اللغات غير العربية بعد تعريفها واستعمال العرب لها ، ولعجز البشر عن هذه الإحاطة أورد السيوطي هذا المبحث وجهاً من أوجه الإعجاز ، والله أعلم .

وأرى - والله أعلم - أن عدّ مثل هذا من الإعجاز فيه تسامح وتجاوز ؛ إذ يمكن أن يعدّ من خصائص هذا الكتاب العظيم وتفرد وامتياز خطابه عن غيره ، أمّا أن يكون معجزاً فلم يقل بهذا أحد ولا أجد له تعلقاً معقولاً بالإعجاز ، والله أعلم .

الوجه الرابع عشر : عموم بعض آياته وخصوص بعضها^(١) :

شرع السيوطي - رحمه الله تعالى - ابتداءً من هذا الوجه بذكر بعض المباحث الأصولية وعدّها أوجهاً من أوجه الإعجاز .

وابتدأ السيوطي هذا الوجه بتعريف العام بقوله :
((هو لفظ يستغرق الصالح له من غير حصر))^(٢) .

ثم شرع في ذكر صيغ العموم ، وأقسامه ، وختم بمسائل منشورة تتعلق بهذا الباب ؛ باب العموم والخصوص .

ولا أدري الحامل للسيوطي على إيراد مثل هذا البحث وجهاً من وجوه الإعجاز ؛ إذ لم يقل بذلك أحد ، وليس لما أورده من أبحاث تعلق معقول بالإعجاز ، ولعله من الأوجه التي لم يعدّها هو نفسه من الإعجاز وإنما أوردها للاطلاع على بعض المعاني القرآنية كما ذكر من قبل^(٣) ، والله أعلم .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ - ٢١٧ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٢٠٧ .

٣- المصدر السابق : ١ / ١٢ .

الوجه الخامس عشر :

((ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة))^(١) :

والإجمال هو ((ماله دلالة على أحد أمرين لازمية لأحدهما على الآخر بالنسبة إليه)) ، ويُمثل له بقوله تعالى :
﴿ أَوْ يَعْقُواَ الَّذِي بِيَدِهِ عَقْدَةُ الرِّجَالِ ﴾^(٢) ، فإن صاحب العقدة متردد بين الزوج والولي^(٣) .

وقد تكلم السيوطي على هذا الوجه بشيء من التفصيل فذكر أسباب الإجمال وأحوال التبيين ، وختم هذا الوجه بذكر بعض الآيات التي اختلفت في كونها مجملة .

وقد عدّ السيوطي - رحمه الله تعالى - هذا الوجه من الإعجاز حيث صدر الحديث عنه بقوله :

((وفي ذلك من حسن البلاغة ما يعجز عنه أولوا الفصاحة))^(٤) .

وإذا لوحظت بعض أسباب الإجمال التي أوردها الإمام السيوطي فإنه يمكن عدّ بعضها راجعاً إلى الإعجاز البلاغي ؛ إذ أنه ذكر من أسباب الإجمال الحذف ومثل له بقوله تعالى :

﴿ وَتَرْغَبُونَ أَنْ تَنْكِحُوهُنَّ ﴾^(٥) فقال :

((يحتمل (في) و (عن)))^(٦) .

١- ((معترك الأقران)) : ٢١٧/١ - ٢٢٤ .

٢- سورة البقرة : آية ٢٣٧ .

٣- ((الإحكام في أصول الأحكام)) : ٣ / ١٣ ، بتصرف .

ولم يعرف الإمام السيوطي الجمل في ((معترك الأقران)) .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢١٧/١ .

٥- سورة النساء : آية ١٢٧ .

٦- ((معترك الأقران)) : ٢١٧/١ .

أي ترغبون في نكاحهن ، وترغبون عن نكاحهن فاحتمل المعنيان لأجل حذف حرف الجر .

وهذا من أوجه الإيجاز في الكلام الذي اشتهرت به العرب واستعملته في كلامها ، والإيجاز من أنواع علم المعاني الذي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة^(١) .

فعلى هذا يمكن إدراج بعض جوانب هذا الوجه - بملاحظة أسباب وروده - في الإعجاز البلاغي ، ولا أحد سبباً لإفراده وجهاً من أوجه الإعجاز هاهنا إلا لقصد الإبراز ومزيد الإظهار للمباحث التي أوردها فيه ، والله أعلم .

الوجه السادس عشر : ((الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه))^(٢) :

وقد عرّف السيوطي المنطوق ثم قسمه بقوله :

((وهو مادّل عليه اللفظ في محل النطق ، فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره فالنص نحو : ﴿ فَصَيَّامٌ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةً إِذَا رَجَعْتُمْ تِلْكَ عَشْرَةٌ كَامِلَةٌ ﴾^(٣) ...

أو^(٤) مع احتمال غيره احتمالاً مرجوحاً فالظاهر نحو :

﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ ﴾^(٥) فإن الباغي يطلق على الجاهل وعلى الظالم وهو فيه أظهر وأغلب ...

١- انظر ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٢ وما بعدها .

وقد ذكر سبعة أسباب أخرى للإجمال هي : الاشتراك ، واختلاف مرجع الضمير ، واحتمال العطف والاستئناف ، وغرابة اللفظ ، وعدم كثرة الاستعمال ، والتقديم والتأخير ، وقلب المنقول ، ولا أحد لكثير منها تعلقاً بالإعجاز ، وانظر ((معترك الأقران)) : ٢١٧/١ - ٢١٨ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢٢٤/١ - ٢٢٨ .

٣- سورة البقرة : آية ١٩٦ .

٤- العطف على قوله : فإن أفاد معنى لا يحتمل غيره .

٥- سورة البقرة : آية ١٧٣ .

وإن حُمِّلَ على المرجوح للدليل فهو تأويل ، ويسمى المرجوح المحمول عليه مؤولاً...))

ثم إن السيوطي - رحمه الله تعالى - أتم مباحث المنطوق ، وشرع في تعريف المفهوم وتقسيمه كصنيعه في المنطوق .

وهذا الوجه لا يعد من أوجه الإعجاز حيث ليس له تعلقٌ معقول به ، بل هي مباحث أصولية محضنة ، والله أعلم .

الوجه السابع عشر : ((وجوه مخاطباته))^(١) :

وقد قسمها إلى ثلاثة أقسام :

((قسم لا يصلح إلا للنبي - صلى الله عليه وسلم - وقسم لا يصلح إلا لغيره ، وقسم يصلح لهما))^(٢) .

ثم إنه قسم تلك الأقسام كلها باعتبار مضمون الخطاب حيث قال :
((قال بعض الأقدمين : أنزل القرآن على ثلاثين نحواً ، كل نحوٍ منه غيرُ صاحبه ، فمن عرف وجوهها وتكلم في الدين أصاب ووفق ، ومن لم يعرفها وتكلم في الدين كان الخطأ إليه أقرب))^(٣) .

ثم إنه أورد تقسيم ابن الجوزي وغيره لها حيث وصلت إلى أربعة وثلاثين وجهاً ، وذكر السيوطي أمثلة لها .

١- ((معترك الأقران)) : ٢٢٩/١ - ٢٣٩ .

٢- المصدر السابق : ٢٢٩/١ .

٣- المصدر السابق .

وهذه الأوجه التي ذكرها يندرج بعضها تحت علوم القرآن كالمكي والمدني ،
ويندرج بعضها تحت مباحث أصول الفقه كالناسخ والمنسوخ ، والخاص والعام ،
وبعضها مندرج تحت علوم اللغة كالتقديم والتأخير ، وبعضها متنوع في الخطاب
بحسب أحوال المخاطبين كخطاب التهيج ، وخطاب التحنن والاستعطاف ،
وخطاب التعجيز ، إلخ ...

ثم إنه أورد نصاً عن ابن القيم - رحمه الله تعالى - يبين فيه عظمة الخطاب
الإلهي في القرآن وأنه شامل لأمر الدنيا وأحوال الآخرة ، وبه ختم الوجه السابع
عشر .

وحكمه على هذا الوجه بأنه معجز لا يستقيم - في تقديري - لسببين :

الأول : أن الحكم على الكلام بأنه معجز لا يكون بتعدد وجوه خطابه ولكنه يكون
بما فيها من معانٍ وألفاظ معجزة ، أليس خطاب عامة الناس يحوي وجوهاً عدة ؛ إذ
فيه أمر ونهي ، وتخصيص وتعميم ، وتهيج واستعطاف وهو مع ذلك خطابٌ عاميٌّ
ساقط لا وزن له ، فلا يصح إذاً جعلُ وجوه الخطاب القرآني وتنوعها معجزةً في
نفسها ، والله أعلم .

الآخر : أن كثيراً من أوجه الخطاب التي ساقها قد احتوت أنواعاً ليست من الإعجاز
كالمكي والمدني ، والخاص والعام إلخ ...

فكيف يستقيم عدّ مثل هذا من وجوه الخطاب المعجز ، إذ هو مندرج تحت أنواع
شتى من العلوم وليس له تعلق معقول بالإعجاز ؟ !

وهنا تنبيه على أن عدداً من أوجه الخطاب التي ساقها - نقلاً عن عدد من
العلماء - قد فرغ من بيان تعلقه بالإعجاز أو عدمه ، أو أنه سيأتي الكلام عليه في
الأوجه القادمة ، وبعض الذي أورده متعلق بالإعجاز النظمي ، ولتمام بيان ذلك
فإنني سأورد بعض أوجه الخطاب التي ساقها وأبين ما يمكن أن يندرج تحت أنواع
معدودة من الإعجاز ، مما هو ليس منها :

١ - المكي والمدني .

٢ - الناسخ والمنسوخ .

٣ - المحكم والمتشابه ، وهذه الثلاثة ليست من الإعجاز ، وقد سبق الكلام على المحكم والمتشابه^(١) .

٤ - التقديم والتأخير ، ومثل له بقوله تعالى :
﴿ كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةَ ﴾^(٢) .
التقدير : كتب عليكم الوصية إذا حضر أحدكم الموت .
وهذا يمكن إلحاقه بالإعجاز النظمي^(٣) .

٥ - ((الأبَّهَة : نحو ﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا ﴾^(٤) ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾^(٥) ، غير بالصيغة الموضوعية للجماعة للواحد تعالى تفخيماً وتعظيماً وأبَّهَةً))^(٦) .
وهذا لا يندرج تحت الإعجاز بحال ، والله أعلم .

٦ - ((الخطاب العام الذي لم يُقصد به مخاطب معين نحو :
﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ ﴾^(٧) ... ولم يقصد بذلك خطاب معين بل كل أحد))^(٨) .

١- انظر ص ٣٥٩ ومابعدا .

٢- سورة البقرة : آية ١٨٠ .

٣- ينظر في الأوجه الأربعة السابقة ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٢٩ .

٤- سورة القمر : آية ١٩ .

٥- سورة الزخرف : آية ٣٢ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٠ .

٧- سورة الحج : آية ١٨ .

٨- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٦ .

٧ - ((خطاب التَّحِبُّ نحو :

﴿ يَتَأْتِ لِمَ يَعْبُدُ ﴾^(١) ، ﴿ يَبْجَىٰ إِنَّمَا إِنَّكَ ﴾^(٢) ((...))^(٣) .

وهذه الأوجه السبعة شاملة - من حيث التمثيل - للأوجه الأربعة والثلاثين التي ساقها ، وبالنظر إليها يتبين أنها ليست من الإعجاز إلا ما كان منها ملحقاً بالإعجاز النظمي ، والله أعلم .

الوجه الثامن عشر : ((مانطوى عليه من الإخبار بالمغيَّيات))^(٤) :

والمقصود واضح ، جاء به السيوطي بإيجاز ذاكراً نوعي الغيب الحاضر والمستقبل بقوله :

((مانطوى عليه من الإخبار بالمغيَّيات ، ومالم يكن ومالم يقع)) ، وهو الغيب المستقبل ، ومثل له بأمثلة ، ثم أشار إلى أخبار الغيب الحاضر بقوله :
((وما فيه من كشف أسرار المنافقين واليهود ، ومقالمهم وكذبهم في حلفهم وتقريرهم بذلك كقوله :

﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾^(٥) ((...)) .

وأخبار الغيب الماضية سيأتي الكلام عليها في الوجه التاسع عشر الآتي ، إن شاء الله تعالى .

والملاحظ أن الإمام السيوطي تناول هذا الوجه والأوجه الثلاثة بعده تناولاً خفيفاً ، والحال أنها من أهم الأوجه التي قيلت في إعجاز القرآن .

١- سورة مريم : آية ٤٢ .

٢- سورة لقمان : آية ١٦ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٧ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٩ - ٢٤٠ .

٥- سورة الجادلة : آية ٨ .

وقد تكلمت على أخبار الغيب قبل ذلك^(١) ، وبينت أن أخبار الغيب هي من الإعجاز الجزئي وليس الكلي ؛ إذ ليس هو في كل آية كالإعجاز البلاغي مثلاً ، والله أعلم .

الوجه التاسع عشر : ((الإخبار بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة))^(٢) :

وهذا الوجه مكمل للوجه السابق ، أورده السيوطي باقتضاب ذاكراً كلام القرآن الدقيق عن الأمم السالفة ، وأن مثل هذا لاينال عن تعليم .

وهذا الوجه حكمه كسابقه ؛ إذ أن أخبار الغيب على ثلاثة أقسام : غيب ماضٍ ، وغيب حاضر ، وغيب مستقبل ، وقد سمى الله - تعالى - أخبار القرون السالفة غيباً فقال جلّ من قائل :

﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا ﴾^(٣) .

والكلام على الوجه السابق من حيث الإعجاز منسحبٌ على هذا الوجه أيضاً .

الوجه العشرون : ((روعته وهيئته))^(٤) :

ذكر السيوطي في هذا الوجه بعض الآيات والأحاديث التي تثبت روعة القرآن في القلوب وأسرّه للنفوس ، وذكر بعض المحاولات لمعارضته ، وأتى على كل هذا بإيجاز .

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٠ - ٢٤٢ .

٣- سورة هود : آية ٤٩ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٢ - ٢٤٤ .

وللقرآن روعةٌ وهيبةٌ في النفوس لا يلحق شأوه فيها كلامٌ ، حتى أن أعظم الكلام وأفضحه بعد كلام الله - تعالى - وهو حديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، لا يدرك سامعه منه ما يدركه من سماع القرآن ، وهذا أيضاً من أعظم الأدلة على صدق المخبر به - صلى الله عليه وسلم - إذ المخبر بالوحيين واحد ، صلى الله عليه وسلم ، والكلام متباين ، متميز أحده عن الآخر .

أما عن كون هذا الوجه من الإعجاز فقد سبق أن ذكرت أن هذه الروعة والهيبة هي من أثر الإعجاز وليست الإعجاز نفسه ، وضربت على ذلك مثلاً فليُنظر ^(١) .

الوجه الحادي والعشرون : أن سامعه لا يَمَجُّهُ ^(٢) وقارنه لا يَمِلُهُ ^(٣) :

قد أورد السيوطي هذا الوجه بإيجاز ، لم يزد فيه على أن ذكر بعض الأحاديث والآثار المنبئة عن هذا الأمر ، وصدر هذا الوجه بكلام يسير عن حلاوة هذا القرآن العظيم في القلوب والصدور .

وهذا الوجه داخل تحت الوجه السابق ؛ إذ أن تلك الروعة والهيبة تحمل القارئ على تردد ما يقرؤه بلا ملل ، والله أعلم ^(٤)

الوجه الثاني والعشرون : تيسيره - تعالى - حفظه ، وتقريبه على متحفظيه ^(٥) :

١- انظر ص ١٤٤ - ١٤٥ .

٢- المَجُّ هو اللفظ والترك ، انظر ((لسان العرب)) : مجج .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٤ - ٢٤٥ .

٤- سبق الكلام على هذا الوجه ، انظر ص ١٦٣ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

وقد بينت سابقاً أن الوجوه من التاسع عشر إلى الثاني والعشرين منقولة بنصها - تقريباً - من ((الشفا)) للقاضي عياض ، ولم يُبَيِّر السيوطي إلى هذا ، انظر ص ٢٩٧ .

أوجز السيوطي - رحمه الله تعالى - الكلام على هذا الوجه ، وأوضح كيفية تيسيره - تعالى - هذا الحفظ على الناس حتى أن الغلمان الصغار يحفظونه في مدة قصيرة ، وهو أمر مشاهد إلى اليوم .

وهذا الوجه ليس من أوجه الإعجاز ، وإنما جبل الله العرب على الحفظ وسهله عليهم فهم أمة حافظة ، وأخبارهم في هذا الباب معروفة ، لكن قد يقال إن هذا من خصائص القرآن العظيم التي لا نظير لها ، وقد بينت هذا سابقاً^(١) .

وقد أورد السيوطي - رحمه الله تعالى - مبحثاً لاتعلق له بهذا الوجه ، وهو كثرة ختم بعض الناس لكتاب الله - تعالى - وأورد فيه حكايات مستغربة تفتقر إلى برهان^(٢) .

الوجه الثالث والعشرون : ((وقوع الحقائق والمجاز فيه))^(٣) :

ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - في هذا الوجه الحقيقة والمجاز في القرآن الكريم ، وبين اختلاف العلماء في وقوع المجاز فيه ، وتكلم على أقسام المجاز وأنواعه فجاء هذا الوجه مبسوطاً متفرعاً .

والمجاز هو ((اللفظ المستعمل في غير ماوضع له في اصطلاح التخاطب لعلاقة ، مع قرينة مانعة من إرادة المعنى الوضعي))^(٤) .

فإذا قلت مثلاً : رأيت أسداً يخطب ، فقولك : ((أسداً)) : مجاز ؛ لأنك استخدمت هذا اللفظ في غير ماوضع له في اصطلاح التخاطب ، والعلاقة :

١- انظر ص ١٦٧ من هذه الرسالة .

٢- انظر ٢٤٦/١ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢٤٦/١ - ٢٦٨ .

٤- ((جواهر البلاغة)) : ٢٩٠ - ٢٩١ .

الشجاعة ، والقرينة : قولك : يخطب ، وهي المانعة من إرادة المعنى الوضعي .

وكلام العرب قبل نزول القرآن وبعده مشتمل على المجاز ولم يقل أحد بأنه معجز إلا إذا قيل إن استعمالات الحقيقة والمجاز قد جاءت على ضرب لم تألفه العرب في لغتها ، بل على وجه متفرد في الاستعمال العربي ، وهذا هو الذي يمكن أن يحصل به الإعجاز .

لكن إذا قيل بالإعجاز في هذا فلا ينبغي إفراده وجهاً مستقلاً بالإعجاز - كصنيع الإمام السيوطي - إلا لإرادة إظهاره وتمييزه ؛ إذ المجاز من أنواع علم البيان الذي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة^(١) ، فهو مندرج تحت الإعجاز البلاغي ، وذكره هنا من باب ذكر الخاص بعد العام إبرازاً وتأكيداً لأهميته ليس غير ، والله أعلم .

الوجه الرابع والعشرون من وجوه إعجازه :

((تشبيهه واستعاراته ، وهو من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها))^(٢) :

قد بسط السيوطي الكلام على هذا الوجه بسطه للوجه السابق ، وذكر أقسام ومباحث التشبيه والاستعارة^(٣) .

وهذا الوجه ملحق بوجه الإعجاز البلاغي - كسابقه - لا يصح إفراده وجهاً مستقلاً بالإعجاز ؛ لأن التشبيه من أبواب علم البيان ، والاستعارة من أقسام المجاز الذي هو من أبواب علم البيان أيضاً ، وعلم البيان أحد أقسام البلاغة الثلاثة ، فالإعجاز في التشبيه والاستعارة مندرج تحت الإعجاز البلاغي .

١- المصدر السابق .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٦٩ - ٢٨٦ .

٣- قد سبق تعريف التشبيه والاستعارة ، انظر ص ١٧٨ .

لكن قد يقال إن الإمام السيوطي أراد زيادة بيانٍ لهذين المبحثين : التشبيه والاستعارة ، ومزيد إظهار لشرفهما وفضلهما - كما يدل على هذا قوله في عنوان هذا الوجه : ((وهو من أشرف البلاغة وأعلاها)) - فمن أجل ذلك أفردهما بالذكر لأعلى اعتبار أنهما مستقلان بالإعجاز ، والله أعلم .

الوجه الخامس والعشرون : وقوع الكناية والتعريض^(١) :

بسط السيوطي - رحمه الله تعالى - الحديث على هذا الوجه بسطه لسابقه ، وذكر أسباب الكناية والفرق بينها وبين التعريض .

أما الكناية فهي ((لفظٌ أُريدَ به غيرُ معناه الذي وضع له ، مع جواز إرادة المعنى الأصلي لعدم وجود قرينة مانعة من إرادته ؛ نحو : زيد طويل النجاد^(٢) ، تريد بهذا التركيب أنه شجاع عظيم ، فعدلت عن التصريح بهذه الصفة إلى الإشارة إليها بشيء تترتب عليه وتلزمه ، لأنه يلزم من طول حمالة السيف طول صاحبه ، ويلزم من طول الجسم الشجاعة عادةً ، فإذا المراد طول قامته وإن لم يكن له نجاد ، ومع ذلك يصح أن يراد المعنى الحقيقي ، ومن هنا يعلم أن الفرق بين الكناية والمجاز صحة إرادة المعنى الأصلي في الكناية دون المجاز ، فإنه ينافي ذلك))^(٣) .

والتعريض قسم من أقسام الكناية ، ويراد به ((أن يُطلق الكلام ويشار به إلى معنى آخر يفهم من السياق نحو قولك للمؤذي : ((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))^(٤) تعريضاً بنفي صفة الإسلام^(٥) عن المؤذي))^(٦) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٨٦ - ٢٩٣ .

٢- سيبين الشارح أن معناها حمالة السيف .

٣- ((جواهر البلاغة)) : ٣٤٦ - ٣٤٧ .

٤- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الإيمان ، باب : المسلم من سلم المسلمون من لسانه

ويده يستند إلى عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : ١ / ٩٠ .

٥- أي الإسلام الكامل .

٦- ((جواهر البلاغة)) : ٣٥٠ .

وهذا الوجه ملحق - كسابقه - بالإعجاز البلاغي ؛ لأن التعريض من أقسام الكناية ، والكناية أحد أبواب علم البيان الذي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة .

الوجه السادس والعشرون : ((إيجازه في آية وإطنابه في أخرى ، وهما من أعظم أنواع البلاغة))^(١) :

قد أطنب السيوطي في هذا الوجه فاستقصى فيه مباحث الإيجاز والإطناب وأقسامهما وقواعدهم تحتص بهما .

والإطناب عكس الإيجاز ، ومعنى الإطناب : ((تأدية المعنى بعبارة زائدة عن متعارف أوساط البلغاء لفائدة تقويته وتوكيده ... فإذا لم تكن في الزيادة فائدة يسمى (تطويلاً) إن كانت الزيادة في الكلام غير متعينة ، ويسمى حشواً إن كان الزيادة في الكلام متعينة لا يفسد بها المعنى))^(٢) .

ومعنى الزيادة المتعينة أي المعروفة بأنها زائدة لا يضر إسقاطها ، بخلاف الزيادة غير المتعينة التي تكون في المترادفات غالباً فلا يتعين الزائد منهما^(٣) .

ومثال الإطناب - وهو التطويل في تأدية المعنى لفائدة - قوله تعالى : ﴿ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي وَاسْتَعَلَ الرَّأْسُ شَيْبًا ﴾^(٤) أي كبرت ، والفائدة فيه تقوية المعنى وتوكيده^(٥) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٩٣ - ٣٧٣ ، وهذا الوجه أطول الأوجه التي جاءت في الكتاب بحال الوجه الخامس والثلاثين .

٢- ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٦ - ٢٢٧ .

٣- المصدر السابق : ٢٢٧ .

٤- سورة مريم : آية ٤ .

٥- ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٦ .

ومثال التطويل :

..... وألفى قولها كذباً ومُيناً^(١).

فاليمين والكذب بمعنى واحد ، ولم يتعين الزائد منهما ؛ لأن العطف بالواو لا يفيد ترتيباً ولا تعقيماً ولا معية فلا يتغير المعنى بإسقاط أيهما شئت .

ومثال الحشو :

وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي^(٢)

وقوله (قبله) حشو لأنه معلوم من قوله : (أمس)^(٣) .

والإيجاز والإطناب في القرآن العظيم جزء من الإعجاز البلاغي ، لأن الإيجاز والإطناب من أقسام علم المعاني الذي هو أحد أركان البلاغة الثلاثة .

قال الأستاذ الطاهر بن عاشور :

((فالقرآن من جانب إعجازه يكون أكثر معاني من المعاني المعتادة التي يودعها البلغاء في كلامهم ، وهو لكونه كتاب تشريع وتأديب وتعليم كان حقيقاً بأن يودع فيه من المعاني والمقاصد أكثر ما تحتمله الألفاظ في أقل ما يمكن من المقدار ، بحسب ما تسمح به اللغة الوارد هو بها التي هي أسمح اللغات بهذه الاعتبار ... وقد تكثر المعاني بإنزال لفظ الآية على وجهين أو أكثر^(٤) تكثيراً للمعاني مع إيجاز اللفظ ، وهذا من وجوه الإعجاز ...))^(٥) .

وقال أيضاً :

١- البيت لعدي العبادي كما في ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٦ .

٢- البيت لزهير بن أبي سلمى كما في ((جواهر البلاغة)) : ٢٢٧ .

٣- المصدر السابق .

٤- أي من وجوه القراءات .

٥- ((التحرير والتنوير)) : ٩٣ - ٩٤ بتصرف .

((ومن أبدع الأساليب في كلام العرب الإيجاز ، وهو متنافسهم وغاية تنباري إليها فصحاؤهم ، وقد جاء القرآن بأبدعه ؛ إذ كان مع مافيه من الإيجاز المبين في علم المعاني فيه إيجاز عظيم آخر وهو صلوحية معظم آياته لأن تؤخذ منها معان متعددة كلها تصلح لها العبارة باحتمالات لا ينفياها اللفظ ...))^(١) .

وإنما ذكرت هذا ليتبين الناظر في وجوه الإعجاز التي ساقها الإمام السيوطي السبب الذي من أجله أفرد الإيجاز والإطناب وجهاً من وجوه الإعجاز ، وأن ذلك كان إبرازاً لأهميته وفضله وكثرته في كتاب الله تعالى .

وقد قال الإمام السيوطي بعد أن ذكر مثلاً على الإيجاز بالحذف :
((فتأمل ما أجملته فسوف يتضح لك به إذا استوفيته ما يعينك على فهم الإعجاز))^(٢) .

وكلامه هذا ربما يدلّ على أنه يرى أن هذا الوجه معجز بذاته ، مستقل عن غيره ، والحق ما قدمته من اندراجه تحت الإعجاز البلاغي ، والله أعلم .

الوجه السابع والعشرون : وقوع البدائع البليغة فيه^(٣) :

بسط السيوطي - رحمه الله تعالى - الكلام على هذا الوجه ، وتوسع فيه ذاكرة أقسام البديع ومثلاً لها .

أما البديع فهو ((علم يعرف به الوجوه والمزايا التي تزيد الكلام حسناً وطلاوة ، وتكسوه بهاءً ورونقاً بعد مطابقتها لمقتضى الحال ، مع وضوح دلالاته على المراد لفظاً ومعنى))^(٤) .

١- المصدر السابق : ١٢١ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٢١ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٣ - ٤٢٠ .

٤- ((جواهر البلاغة)) : ٣٦٠ - ٣٦١ .

وقد أورد السيوطي ستة وأربعين نوعاً من أنواع البديع ، وقد ذكر أن بعضهم أنهاها إلى مائتي نوع^(١) .

وسأذكر هنا أول ثلاثة أنواع أوردتها من البديع ، وهي :

١ - الإيهام أو التورية : وهي ((أن يُذكر لفظٌ له معنيان ... أحدهما قريب والآخر بعيد ، ويُقصد البعيد ويورَى عنه بالقريب فيتوهمه السامع في أول وهلة ...))^(٢) .

والتورية على أقسام فمنها ((المجردة))^(٣) وهي التي ((لم يذكر فيها شيء من لوازم المورَى به ولا المورَى عنه)) ، ومنها ما تسمى ((مرشحة))^(٤) وهي التي ذكر فيها شيء من لوازم هذا أو هذا ... ومنها :

﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ الْقَدِيمِ ﴾^(٥) .

فالضلال محتمل الحب وضد الهدى ، فاستعمله أولاد يعقوب ضد الهدى تورية عن الحب))^(٦) .

٢ - الاستخدام :

((وهو والتورية أشرف أنواع البديع ، وهما سيّان ، بل فضله بعضهم عليها ، وله فيه عبارتان :

١ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٣ .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٤ .

٣ - وسميت مجردة لتجريدتها عن بعض المبالغة ؛ لبعد المشبه عن المشبه به بعض بُعد :

انظر ((جواهر البلاغة)) : ٣٣١ .

٤ - وسميت مرشحة لتزجيحها وتقويتها بذكر الملائم للمستعار له . انظر ((جواهر البلاغة)) : ٣٣١ .

٥ - سورة يوسف : آية ٩٥ .

٦ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٤ - ٣٧٥ .

أحدهما : أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أخذ معانيه ، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر ^(١) .

والأخرى : أن يؤتى بلفظ مشترك ، ثم بلفظين يفهم من أحدهما أحد المعنيين ومن الآخر الآخر ... ومثل له بقوله تعالى :

﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ... ﴾ ^(٢) الآية ، فلفظ ﴿ كِتَابٌ ﴾ يحتمل الأمد المحتوم والكتاب المكتوب ، فلفظ ﴿ أَجَلٍ ﴾ يخدم المعنى الأول ، و ﴿ يَمُوتُوا ﴾ يخدم المعنى الثاني ... ^(٣) .

٣ - الالتفات :

((وهو نقل الكلام من أسلوب إلى آخر ، أعني من التكلم أو الخطاب أو الغيبة إلى آخر منها بعد التعبير بالأول ، فهذا هو المشهور)) ^(٤) .

ثم إنه ذكر فوائد الالتفات ومثل له بأمثلة منها :

((مثاله من التكلم إلى الخطاب - ووجهه حث السامع وبعثه على الاستماع حيث أقبل المتكلم عليه وأعطاه فضل عناية وتخصيص بالمواجهة - قوله تعالى :

﴿ وَمَالِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ ^(٥) الأصل : وإليه أَرْجِعُ ، فالتفت من التكلم إلى الخطاب ...)) ^(٦) .

...

١- قد مثل له بعد ذلك بقوله تعالى : ﴿ أَنْ أَمَرَ اللَّهُ ﴾ (سورة النحل : آية ١) فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب ، ويراد به بعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أريد بلفظه الأخير ، ثم إنه ساق أنرا يدل على ذلك ، انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٧ .

٢- سورة الرعد : آية ٣٨ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٧٧ .

٥- سورة يس : آية ٢٢ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٨ .

وبعد فراغ الإمام السيوطي من ذكر شروط الالتفات ذكر أمثلة وافية لأنواعه .

وقد أشار إلى عدّ هذا القسم من الإعجاز بقوله في أنواع البديع التي ذكرها :

((وقد قدمنا منها من نوع الفواصل والمناسبات والخواتم وفي الوجه الذي قبل هذا^(١) مالا يزيد لذكره ، ونذكر هنا بعضها لتطلع على أسرار هذا الكلام الذي أعجز عقول ذوي الأفهام عن إدراك عجائبه التي لاتنقضي ؛ لأنه في أحسن نظام ...))^(٢) .

وهذا الوجه ملحق بالإعجاز البلاغي لأن البديع أحد أقسام البلاغة الثلاثة ، ولعل إفراده بالذكر هنا من باب إبرازه وإظهاره لا على أنه وجه مستقل بالإعجاز ، والله أعلم .

الوجه الثامن والعشرون : احتواؤه على الخبر والإنشاء^(٣) :

تكلم السيوطي في هذا الوجه على أقسام الخبر والإنشاء ، وقواعدهما ، ومثّل لكل ما أتى به .

والخبر هو ((كلام يحتمل الصدق والكذب لذاته)) أي إنما ينظر في احتمال الصدق والكذب إلى الكلام نفسه لا إلى قائله^(٤) .

١- وهو الإيجاز والإطناب .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣٧٣/١ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٤٢٠/١ - ٤٤٩ .

٤- ((جواهر البلاغة)) : ٥٣ .

والإنشاء هو ((الكلام لا يحتمل صدقاً ولا كذباً لذاته نحو : اغفر وارحم ، فلا يُنسب إلى قائله صدقٌ أو كذب))^(١) .

وقد ذكر أن من أقسام الخير التعجب^(٢) ، والوعد والوعيد^(٣) ، والنفي^(٤) .

وأن من أقسام الإنشاء :

الاستفهام^(٥) ، والتوبيخ^(٦) ، والتقدير^(٧) ، والتعجب^(٨) ، والعتاب^(٩) ، ... في اثنين وثلاثين نوعاً ذكرها في هذا القسم^(١٠) .

والخير والإنشاء من أبواب علم المعاني الذي هو أحد أقسام البلاغة الثلاثة ، فلا داعي لإفرادهما عن الإعجاز البلاغي إلا لغرض الإظهار والإبراز ، والتوسع في الكلام على أنواعهما وأقسامهما ، والله أعلم .

الوجه التاسع والعشرون :

((إقسامه - تعالى - في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدا))^(١١) :

ذكر في هذا الوجه مباحث متعددة عن القَسَم ، وختمه بنقل طويل من كتاب ((التبيان في أقسام القرآن)) لابن القيم رحمه الله تعالى .

١- المصدر السابق : ٧٥ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٤٢٣/١ - ٤٢٤ .

٣- المصدر السابق : ٤٢٤/١ .

٤- المصدر السابق : ٤٢٤/١ - ٤٣١ .

٥- المصدر السابق : ٤٣١/١ - ٤٣٣ .

٦- المصدر السابق : ٤٣٣/١ .

٧- المصدر السابق : ٤٣٣/١ - ٤٣٥ .

٨- المصدر السابق : ٤٣٥/١ ، وقد سبق ذكر التعجب في أقسام الخير لكنه قال هناك : إن التعجب من أقسام الخير على الأصح فدل على أن هناك من قال بأنه من أقسام الاستفهام ، ولذا كرره هنا ، والله أعلم .

٩- المصدر السابق .

١٠- ((معترك الأقران)) : ٤٣١/١ - ٤٤٩ .

١١- ((معترك الأقران)) : ٤٤٩/١ - ٤٥٥ .

والْقَسَمَ في كلام العرب كثير مكرور ، لكن قد يقال إن الْقَسَمَ في كتاب الله تعالى جاء على طريقة متفردة ، فالمقسَم سبحانه عظيمٌ ، والمقسَم به مخلوقات عظيمة تدل على عظمة خالقها ، والمقسَم عليه أمر عظيم مهم ، فقد يكون هذا هو الملحظ للقول بالإعجاز .

لكني لا أرى أن هذا الوجه يصلح للإعجاز سواء أكان بذاته أم باندراجه تحت وجه أعم ؛ إذ الْقَسَم من باب التفضن في إيصال المعاني إلى أذهان السامعين وتثبيتها وتقويتها ، أما أن يُعدَّ من الإعجاز فلا أجد متعلقاً له به حتى باعتبار أن أقسام القرآن جاءت نسيجاً مختلفاً لا يشبهه شيء ، والله أعلم .

الوجه الثالثون :

((اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة))^(١) :

ومقصوده هنا البراهين والأدلة المستعملة في الجدل والمناظرات ، وبعضها يُبحث في باب القياس من علم أصول الفقه ، وبعضها يُبحث في علم المنطق والجدل والمناظرة .

وقد أورد في هذا الوجه عدّة مباحثٍ تتلخص في الآتي :

١- ورود البراهين والأدلة في القرآن مغايراً لطرائق المتكلمين .

٢- الصحيح أن المذهب الكلامي الجدليّ موجود في القرآن بخلاف من نفاه ، وأورد الإمام السيوطي آياتٍ فيها براهين وأدلة عقلية كلامية ؛ وذلك نحو أول سورة الحج فقد نقل الإمام السيوطي عن الأستاذ ابن أبي الإصبع قوله إن من أول سورة الحج إلى

١- ((معترك الأقران)) : ٤٥٦/١ - ٤٦٣ .

قوله تعالى : ﴿وَأَنبَأَ اللَّهُ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ خمس نتائج تستتبع من عشر مقدمات ، ثم أتى بها^(١) .

وكذلك نقل السيوطي أن أحد العلماء ذكر أن الله - تعالى - استبدل على المعابد الجسماني بقياس الإعادة على الابتداء ، وبقياس الإعادة على خلق السماوات والأرض بطريق الأولى ، وبقياس الإعادة على إحياء الأرض بعد موتها بالمطر والنبات ، وبقياس الإعادة على إخراج النار من الشجر الأخضر...^(٢)

٣- أورد أنواعاً للبراهين والأدلة القرآنية ، منها :

السَّبَرُ والتَّقْسِيمُ^(٣) :

ومثل له بقوله تعالى :

﴿ثُمَّ نَبِّئِ أَزْوَاجَ مَنَ الْأُنثَىٰ اثْنَيْنِ وَمَنَ الْمَعْرِاثَيْنِ﴾ الآيتين^(٤) .

((فإن الكفار لما حرموا ذكور الأنعام تارة وإنائها أخرى رد تعالى ذلك عليهم بطريق السَّبَرِ والتَّقْسِيمِ ، فقال : إن الخلق لله ، خلق من كل زوج بما ذكر ذكراً وأنثى فممن جاء تحريم ما ذكرتم ؟ وما علمته ؟ لا يخلو إما أن يكون من جهة الذكورة أو الأنوثة ، أو اشتمال الرحم الشامل لهما ، أو لا يدرى له علة ، وهو التعبدى ، بأن أخذ ذلك عن الله ، والأخذ عن الله إما بوحى ، أو إرسال رسول ، أو سماع كلامه ومشاهدة تلقي ذلك عنه ، وهو فى معنى قوله :

﴿أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا﴾^(٥) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٥٦ - ٤٥٧ ، والآيات من سورة الحج : ١ - ٧ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٤٥٨ - ٤٥٩ .

٣- ((معناه أن الباحث عن العلة يقسم الصفات التي يتوهم عليها بأن يقول :

علة هذا الحكم إما هذه الصفة وإما هذه ، ثم يسير كل واحدة منها - أي يختبره - ويلقي بعضها بطريقه ، أي يطل باقي الأوصاف ، فيتبين الباقي للعلة ، فالسبر هو أن يختبر الوصف : هل يصلح للعلة أم لا .

والتقسيم هو قولنا : العلة إما كذا وإما كذا ، فكان الأولى أن يُقدّم التقسيم في اللفظ فيقال :

التقسيم (والسبر) : ((نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول)) : ٤ / ١٢٨ - ١٣٠ .

٤- سورة الأنعام : الآيتان ١٤٣ ، ١٤٤ .

٥- سورة الأنعام : آية ١٤٤ .

فهذه وجوه التحريم لا تخرج عن وجه منها :
والأول يلزم عليه أن تكون جميع الذكور حراماً .
والثاني يلزم عليه أن تكون جميع الإناث حراماً .
والثالث يلزم عليه تحريم الصنفين معاً .

فبطل ما فعلوه من تحريم بعض في حالة ؛ لأن العلة - على ما ذكر - تقتضي إطلاق التحريم ، والأخذ عن الله بلا واسطة باطل ولم يدعوه ، وبواسطة رسول كذلك ؛ لأنه لم يأت إليهم رسول قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - .

وإذا بطل جميع ذلك ثبت المدعى وهو أن ماقالوه افتراء على الله وضلال^(١) .

وهذا النوع أوردته بطوله ليكون فيه غناء عن إيراد غيره مفصلاً ؛ إذ أنه أورد ستة أنواع أخرى لعلم الجدل هي :
القول بالموجب ، والتسليم ، والإسجال ، والانتقال ، والمناقضة ، ومجارة الخصم ، تنظر أمثلتها في ((المعترك))^(٢) .

وهذا الوجه الذي أوردته له تعلق بالإعجاز لكنه ليس وجهاً كلياً ، أي ليس شاملاً لكل آيات القرآن بل هو في بعضها فقط .

أما وجه تعلقه بالإعجاز فلأن العرب زمن نزول القرآن وقبله لم يكونوا يعرفون هذا النوع من البراهين والأدلة ولم يضمّنوه كلامهم ، فقد كان الخطباء والشعراء يرسلون الكلام إرسالاً بلا دليل ، بل ربما استخدموا أدلة ساقطة أشبه

١ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٠ - ٤٦١ .

٢ - ١ / ٤٦١ - ٤٦٣ .

بالدعوى الفارغة ، فلما نزل القرآن جاءهم بما لا يقبل لهم به ولا عهد من الطرائق الكلامية والبراهين والأدلة العقلية الجدلية ، وذلك لأن القرآن يسوق كلَّ حكم بدليله وكلَّ قضية ببرهانها ، وكلَّ أصل أو فرع بما يثبت من أنواع الإثباتات والحجج إلخ ...

فإذاً يكون هذا الوجه الذي ساقه السيوطي نوعاً جليلاً من الإعجاز .

لكن إذا نظر إلى هذا الوجه باعتبار مجموع القرآن وما ورد فيه من براهين وأدلة جدلية ، إذا نظر إليه بهذا الاعتبار كان وجهاً من أوجه الإعجاز الجزئي ليس الكلّي . بمعنى أنه ليس في كل آية من كتاب الله تعالى كالإعجاز البلاغي - مثلاً - وهو مماثل بهذا الاعتبار الإعجاز بأخبار الغيب الذي تكلمت عليه قبل هذا مراراً^(١) . وعلى كلِّ حال فإن هذا الذي جاء به الإمام السيوطي يُعدّ جديداً في باب الإعجاز لم ينه عليه أحدٌ قبله تنبيهه عليه وبسطه له ، والله أعلم .

الوجه الحادي والثلاثون : ((ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة))^(٢) :

قدم السيوطي مقدمة بين فيها أهمية علم أمثال القرآن وفهمها ، وأتى ببعض أقوال العلماء في هذا .

ثم إنه قسم أمثال القرآن قسمين :

ظاهر ، وكامن أو مضمّر ، وفسر ذلك بقوله :

((أمثال القرآن قسمان : ظاهر مصرح به ، وكامن لا ذكر للمثل فيه ، فمن أمثلة الأول : ﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ... ﴾ الآيات^(٣) ، ضرب الله فيها للمنافقين مثلين مثلاً بالنار ومثلاً بالمطر))^(٤) .

١ - انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٤ - ٤٧٢ .

٣ - سورة البقرة : الآيات ١٧ - ٢٠ .

٤ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٦ .

وقد فسر الأمثال الكامنة بقوله :

((وأما الكامنة فقال الماوردي : سمعت أبا إسحاق إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم^(١) يقول : سمعت أبي^(٢) يقول : سألت الحسين بن فضل^(٣) فقلت : إنك تخرج أمثال العرب والعجم من القرآن فهل تجد في كتاب الله : (خير الأمور أوساطها) ؟ قال : نعم ، في أربعة مواضع : قوله :

﴿لَا فَاْرِضْ وَلَا يَكْرَهُوا بَيْنَ ذَلِكَ﴾^(٤) .

وقوله :

﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا﴾^(٥) .

وقوله تعالى :

﴿وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾^(٦) .

وقوله :

﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَلِكَ سَبِيلًا﴾^(٧) .

قلت : فهل تجد في كتاب الله : (من جهل شيئاً عاداه) ؟

قال : نعم ، في موضعين :

﴿بَلْ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا لَتُحِيطُوا بِعَلَمِهِ﴾^(٨) .

١ - لم أعثر له على ترجمة .

٢ - لم أعثر له على ترجمة .

٣ - هو الشيخ العلامة المفسر اللغوي الحسين بن فضل بن عُمر البجلي الكوفي ثم النيسابوري . ولد قبل الثمانين والمائة . وكان إمام عصره في معاني القرآن . قال مضارب بن إبراهيم : كان علم الحسين بن فضل بالمعاني إلهاماً من الله فإنه كان قد تجاوز حد التعليم . توفي بنيسابور سنة اثنتين وثمانين ومائتين وهو ابن مائة وأربع سنين .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦ .

٤ - سورة البقرة : آية ٦٨ .

٥ - سور الفرقان : آية ٦٧ .

٦ - سورة الإسراء : آية ٢٩ .

٧ - سورة الإسراء : آية ١١٠ .

٨ - سورة يونس : آية ٣٩ .

﴿وَلَاذَلَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَيَقُولُوا هَذَا إِنْكَ قَدِيمٌ﴾^(١) ((...))^(٢) .

ثم ختم هذا الوجه بذكر ألفاظ من القرآن تجري مجرى المثل ، وقد نقلها من كتاب ((الآداب)) لجعفر بن محمد شمس الخلافة^(٣) فمن تلك الألفاظ :

﴿لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ﴾^(٤) .

﴿لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾^(٥) .

﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ﴾^(٦) .

وهذا الوجه من أجل وأعظم وجوه الخطاب القرآني ، وهو مندرج - في تقديري - في الوجه السابع عشر وهو : ((وجوه مخاطباته)) فتحكم هذا الوجه حكم المندرج تحته ، وقد بينت في الوجه السابع عشر أن ما كان من وجوه المخاطبات متعلقاً بالنظم القرآني فهو معجز لإعجاز النظم ، وأمثال القرآن يصح إدراجها في الإعجاز النظمي أيضاً ، والله أعلم .

١- سورة الأحقاف : آية ١١ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٨ - ٤٧٠ .

٣- هو أبو الفضل جعفر بن شمس الخلافة محمد بن مختار الأنصلي الشاعر المشهور . ولد سنة ٥٤٣ هـ ،

كان فاضلاً حسن الخط ، وله تواليف وديوان شعر أجاد فيه . توفي بمصر سنة ٦٢٢ هـ .

انظر ((وفيات الأعيان)) : ١ / ٣٦٢ - ٣٦٣ .

٤- سورة النجم : آية ٥٨ .

٥- سورة آل عمران : آية ٩٢ .

٦- سورة الحج : آية ١٠ .

الوجه الثاني والثلاثون :

((مافيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف فتارة يُرَجَّى وتارة يُخوف))^(١) :

جاء السيوطي في هذا الوجه بمجموعة من الآيات وُصفت كل آية منها بوصف :

فآية هي الأرجى ، وأخرى هي الأشد تخويفاً ، وثالثة تعدّ الأعدل ، وهكذا ... وقد ألحق بهذا مباحث مثل : أيُّ آية أفضل ؛ وأي آية أطول ؟ وأي آية أغرب ؟ وهكذا ...

والإعجاز هو الانقطاع عن المواجهة والضعف عن المعارضة - كما بينت قبل هذا^(٢) - فليس لهذا الوجه إذاً تعلقٌ معقول بالإعجاز بل هو ، والله أعلم ، من باب فضائل القرآن العظيم وخصائصه ، حيث إن القرآن جمع بين الترهيب والترغيب ، والوعد والوعيد ، والرجاء والقنوط وهكذا ، وهذا التنوع في الخطاب القرآني أقرب للخصائص منه إلى الإعجاز ، والله أعلم .

الوجه الثالث والثلاثون :

((ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها))^(٣) :

والمبهم هو الشيء الذي لا يعرف معناه ، وإبهام الأمر : أن يشتبه فلا يُعرف وجهه ، ويقال : أمر مبهم إذا كان لا يعرف معناه ولا باب^(٤)ه .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٧٢ - ٤٨٣ .

٢- انظر ص ٢٥ وما بعدها .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٤ - ٥١١ .

٤- انظر ((لسان العرب)) : ب ه م .

والمبهمات في هذه الآيات هي المسميات التي لم تُبين أَسْمَاؤها سواء كانت من
البشر أو الملائكة أو الجن أو الحيوانات بأنواعها ، أو الجمادات ، فكل ما لم يُسمَّ فهو
مبهم .

وقد ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - أسباب الإبهام في القرآن ، ثم إنه
أورد جميع المبهمات التي في القرآن على ترتيب ورودها في السور ، وعرف المبهمات
على ما فيها من اختلاف كثير ، ومرجع كثير منها إلى أخبار بني إسرائيل غير
الدقيقة .

والحق أن الله - تبارك وتعالى - أبهم في القرآن لحكم قد يكون منها حثنا
على الالتفات إلى العظة والعبرة في الخبر القرآني والتعلق بهما ، لأن نستفرغ وسعنا
في البحث عن أسماء الحيوانات والطيور وغير ذلك مما لو كان فيه فائدة لنا لبينه
سبحانه ولم يُبهمه .

وقول السيوطي : ((آيات مبهمة يحار العقل فيها)) فيه إشارة إلى أن هذا
الوجه معجز عنده أو له تعلق بالإعجاز ، وسبب إعجازه هو تلك الحيرة التي تحالط
العقل بسبب الإبهام .

لكني أرى - والله أعلم - أن مثل هذا الذي أورده السيوطي إنما هو مندرج
تحت غيره من وجوه الإعجاز ، وذلك لأن الآيات المبهمة التي يحار العقل فيها
نوعان :

١ - نوع تاريخي مثل ماورد في الآية الكريمة :

﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ الرَّسُولِ﴾^(١) ونحوه ، وهذا داخل في الإعجاز بأخبار
الغيب الماضي الذي بينته قبل هذا^(٢) .

١ - سورة طه : آية ٩٦ .

٢ - انظر ص ١٣٤ .

٢ - نوع إخباري كالأيات التي تتحدث عن العرش والكرسيّ والعوالم العلوية ونحوه مما لا مجال للعقل فيه ، وهو من باب الإعجاز بأخبار الغيب الحاضر الذي ذكرته قبل هذا أيضاً^(١) .

أما الآيات الأخرى التي تتحدث عن طير إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وبقية الحيوانات المبهمة فليس الإعجاز في الإبهام ولكن الإعجاز فيها كائن من نواح ثلاث :

١ - الإخبار بالقصة إعجاز بعد أن اندثر أهلها فلم يكدر يعرفها أحد حتى من خواص أهل الكتاب ، وهذا هو الإعجاز بأخبار الغيب الماضي .

٢ - الحدث نفسه معجز لرائيه .

٣ - الإعجاز بقص القصة نفسها ، وما فيها من فصاحة وبلاغة وحسن نظم .
فلعلّ السيوطي حين أشار إلى إعجاز هذا الوجه أراد المعنى الذي أوردته ، والله أعلم .

الوجه الرابع والثلاثون :

((احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة ، والكنى والألقاب ، وأسماء القبائل والبلاد ، والجبال والكواكب))^(٢) :

أتى السيوطي - رحمه الله تعالى - في هذا الوجه بأسماء مذكورة في القرآن لأصناف وأنواع من المخلوقات ، فأتى بأسماء الكواكب في القرآن ، وأسماء القبائل ، وأسماء الطير والحيوانات إلخ ...

وأرجأ أسماء الأنبياء والألقاب إلى الوجه الخامس والثلاثين وهو الألفاظ المشتركة على أنه لا تعلق لهما به ، كما سأبين ، إن شاء الله تعالى^(٣) .

١- انظر ص ١٣٤ وما بعدها .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٢ - ٥١٤ .

٣- انظر ص ٤٠٧ وما بعدها .

وليس مجرد سرد الأسماء في القرآن إعجازاً ، لكن الإعجاز فيها يأتي لأسباب ، منها :

أولاً : ذكر أسماء لم يعد يعلمها كثير من الناس بل أكثرهم ، وهذا من باب الإعجاز بأخبار الغيب الماضية .

ثانياً : براعة الصياغة اللفظية لبعض هذه الأسماء التي هي أعلام غير عربية ، حيث صيغت في نطقها بأفصح صياغة بما يناسب اللغة العربية وطرائق الاستعمال فيها ، بحيث يفهم لفظ العَلَم بعد نقله إلى اللغة العربية بأفصح عبارة ، ومثال ذلك ما جاء في القرآن من لفظ جالوت وداود وطالوت ، وهي ألفاظ تؤدي معنى الأعلام الأعجمية لكن بما يناسب الاستعمال العربي^(١) .

ثالثاً : براعة نظم وسبك الألفاظ بعضها بجوار بعض بحيث لا تبدو أنها مجرد سرد لأعلام وإنما هي تركيبة في الأسلوب تجعل الكلام على غاية الروعة والسهولة في التلاوة والحفظ^(٢) .
فعل السيوطي لحظ هذا المعنى الذي أوردته عندما حكم على هذا الوجه بأنه معجز ، والله أعلم .

الوجه الخامس والثلاثون : ألفاظه المشتركة :

هذا الوجه هو أكبر أوجه الإعجاز التي أثبتتها الحافظ السيوطي في كتابه حجماً ، إذ استغرق ثلثي الكتاب تقريباً^(٣) .
وقد بين السيوطي - رحمه الله تعالى - المشترك بقوله :
((الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر))^(٤) .

فإذا أضيف إلى ذلك ما قاله في ((المزهر)) كان الكلام أكثر دقةً وتعقيداً إذ يقول :

١- وهذه الألفاظ في اللغة العربية هي على الترتيب : حويلات ، ديفيد ، شاؤول ، انظر ((معجم أعلام الشرق والغرب)) لفرديناند اليسوعي : ١٢٤ ، ١٨٩ ، ٢٨٤ على التوالي .

٢- راجع الآيتين اللتين فيها سرد لأسماء الأنبياء ، وذلك في سورة النساء : آية ١٦٣ ، وسورة الأنعام : آية ٨٣-٨٦ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٤ إلى نهاية المجلد الأول ص ٦٤٠ ، والمجلد الثاني بتمامه ، والثالث إلى صفحة ٥٦١ ، في نحو ١٤٠٠ صفحة من أصل ألفي صفحة تقريباً .

٤- المصدر السابق : ١ / ٥١٤ .

((قد حّده أهل الأصول بأنه اللفظ الواحد الدالُّ على معنيين مختلفين فأكثر ، دلالةً على السواء عند أهل تلك اللغة))^(١) .

وقد اختلف العلماء في وجود المشترك في اللغة وفي القرآن ، وأدلى كلٌّ بحججه ، والأصح أنه موجود في اللغة وفي القرآن ، وقد ناقش الإمام السيوطي كُنْلاً ذلك مناقشةً مستفيضةً في كتابه ((المزهَر)) ، وأتى بأمثلة كثيرة لبيان وقوعه في لسان العرب^(٢) .

وقد أتى بأمثلة كثيرة للمشترك اللفظي في ((المعترك)) منها قوله :
((هُدًى)) بضم الهاء له سبعة وعشرون وجهاً

١ - الهدى بمعنى الثبات :

﴿ أَهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾^(٣) .

٢ - والبيان :

﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾^(٤) .

٣ - والدين :

﴿ إِنَّ الْهُدَى هُدًى اللَّهِ ﴾^(٥) .

٤ - والإيمان :

﴿ وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ أَحْتَدَوْا هُدًى ﴾^(٦) .

١ - ((المزهَر في علوم اللغة وآدابها)) : ١ / ٣٦٩ .

٢ - المصدر السابق : ١ / ٣٦٩ - ٣٨٦ .

٣ - سورة الفاتحة : آية ٦ .

٤ - سورة البقرة : آية ٥ .

٥ - سورة آل عمران : آية ٧٣ .

٦ - سورة مريم : آية ٧٦ .

٥ - والدعاء :

﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾^(١) ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا﴾^(٢).

٦ - ومعنى الرسل والكتاب :

﴿فَأَمَّا مَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى﴾^(٣).

٧ - والمعرفة :

﴿وَبِالنَّجْمِ هُمْ يَهْتَدُونَ﴾^(٤).

٨ - والنبي ، صلى الله عليه وسلم :

﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى﴾^(٥).

٩ - ومعنى القرآن :

﴿وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى﴾^(٦).

١٠ - والتوراة :

﴿وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى﴾^(٧).

١- سورة الرعد : آية ٧ ، وهاد - هنا - بمعنى دافع كما قال السيوطي .

٢- سورة الأنبياء : آية ٧٣ .

٣- سورة البقرة : آية ٣٨ .

٤- سورة النحل : آية ١٦ .

٥- البقرة : آية ١٥٩ .

وقد يطلق الهدى في هذه الآية على صفة النبي - صلى الله عليه وسلم - في الكتب القديمة ، وقد يطلق على القرآن ،

وقد يطلق على العلم ، وانظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ١ / ٢٨٨ ، و ((التصاريف)) ليحيى بن سلام : ٩٩ .

٦- سورة النجم : آية ٢٣ .

وقد يطلق الهدى هنا على الرسل ، وانظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٤٣٣ ، و ((التصاريف)) : ١٠٠ .

٧- سورة غافر : آية ٥٣ .

١١ - والاسترجاع :

﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾^(١)

١٢ - والحجة :

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِي حَاجَّ إِبْرَاهِيمَ﴾ ثم قال بعده ﴿وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾^(٢)
أي لا يهديهم حجة .

١٣ - والتوحيد :

﴿إِنْ تَتَّبِعْ أَهْدَىٰ مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أََرْضِنَا﴾^(٣) .

١٤ - والسنة :

﴿فِيهِدْهُمْ أَفْئِدَةً﴾^(٤) ﴿وَأِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ﴾^(٥) .

١٥ - والإصلاح :

﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾^(٦) .

١٦ - والإلهام :

﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَىٰ﴾^(٧) ، أي ألهم المعاش .

١ - سورة البقرة : آية ١٥٧ .

٢ - سورة البقرة : آية ٢٥٨ .

٣ - سورة القصص : آية ٥٧ .

٤ - سورة الأنعام : آية ٩٠ .

٥ - سورة الزمر : آية ٢٢ .

٦ - سورة يوسف : آية ٥٢ .

٧ - سورة طه : آية ٥٠ .

١٧ - والتوبة :

﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكَ سَبِيلًا ﴾^(١) .

١٨ - والإرشاد :

﴿ أَن يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾^(٢) ((^(٣)).

ولم يورد السيوطي - رحمه الله تعالى - سوى هذه الأوجه من الأوجه السبعة والعشرين التي ذكر أن (الهدى) يأتي بمعناها .

أما وجه الإعجاز في الألفاظ المشتركة - على ما رآه الإمام السيوطي - فهو : ((أن الكلمة الواحدة تنصرف إلى عشرين وجهاً وأكثر وأقل ، ولا يوجد ذلك في كلام البشر)) فصار ((هذا الوجه من أعظم إعجازه))^(٤) .

ولابد أن يُعلم أن للكلمة في لغة العرب دلالاتٌ محددةٌ موضوعيةٌ بإزائها ، فقد توضع كلمة لتأدية معنى أصلي واحد أو معنيين أو ثلاثة^(٥) ، ثم إن الكلمة قد يكون لها معانٍ كثيرةٌ تفهم من السياق فهي معانٍ تفسيرية وليست معاني لغوية أصلية ، كحال لفظ (الهدى) المار ذكره حيث إن السيوطي قال إن له سبعة وعشرين وجهاً بينما قال ابن فارس^(٦) إن له أصليين اثنين ، وهذا كلامه :

((هدى) : الهاء والبدال والحرف المعتل : أصلان : أحدهما التقديم للإرشاد والآخر بَعثة لَطْف^(٧) .

١- سورة الأعراف : آية ١٥٦ .

٢- سورة القصص : آية ٢٢ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٠٧ - ٣٠٨ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٤ .

٥- وذلك يتضح بمراجعة ((معجم مقاييس اللغة)) حيث يقول ابن فارس عن كلمة معينة إن لها أصليين أو ثلاثة ، وعلى هذا بُني معجمه .

٦- الشيخ الإمام أحمد بن فارس بن زكريا القزويني . ولد سنة ٣٢٩ ، وكان مقيماً بهمدان والري ، وله تصانيف كثيرة في اللغة والأصول والفقه والقرآن ، وله شعر حسن . توفي بالري سنة ٣٩٥ .

انظر ((الوافي بالوفيات)) : ٧ / ٢٧٨ ، و ((الأعلام)) : ١ / ١٩٣ .

٧- قال الأستاذ عبد السلام هارون - رحمه الله تعالى - محقق الكتاب : اللطف - بالتحريك - النخفة والهدية ، وكلمة بَعثة ... هي المدة من البعث .

فالأول^(١) قولهم : هديته الطريق هدايةً أي تقدمته لأرشدته ، وكل متقدم لذلك هادٍ ... وينشعب^(٢) هذا فيقال : الهدى خلاف الضلالة ، تقول : هديته هدىً ...^(٣) .

فلعله من هنا - إذاً - جاء القول بالإعجاز في الألفاظ المشتركة لكثرة تصريف اللفظ الواحد بين معانيه الأصلية اللغوية ومعانيه التفسيرية السياقية ، وهذا يمثل ظاهرة قرآنية واضحة في كثير من الألفاظ ، وقد يقع هذا في كلام العرب لكن ليس بهذه الكثرة ولا بهذا التنوع .

قال الأستاذ الطاهر بن عاشور :
((ومن أساليب القرآن المنفرد بها التي أغفل المفسرون اعتبارها أنه يرد فيه استعمال اللفظ المشترك في معنيين أو معان إذا صلح المقام بحسب اللغة العربية لإرادة ما يصلح منها ، واستعمال اللفظ في معناه الحقيقي والمجازي إذا صلح المقام لإرادتهما^(٤) ، وبذلك تكثر معاني الكلام مع الإيجاز ، وهذا من آثار كونه معجزةً خارقة لعادة كلام البشر ودالة على أنه منزل من لدن العليم بكل شيء والتقدير عليه))^(٥) .

والاشتراك في بعض ألفاظ القرآن العظيم - وإن انفرد القرآن بكيفية وكمية الألفاظ المشتركة - لا يصح أن يُعدّ وجهاً مستقلاً بالإعجاز لكنه مندرج تحت الإعجاز بالفصاحة والبلاغة ، فلعل السيوطي أراد إبراز هذا الباب وإظهاره فعده وجهاً مستقلاً بالإعجاز لكن الصحيح ما قدمته من اندراجة تحت وجه أعم منه ، والله أعلم .

١- أي الأصل الأول لمادة : ه د ي .

٢- أي يتفرع .

٣- ((معجم مقاييس اللغة)) : ه د ي ، وانظر كذلك ((تحصيل نظائر القرآن)) للحكيم الترمذي :

١٩ - ٢٤ فقد ذكر مسألةً حاصلها أن النظائر القرآنية انشعبت من أصل واحد .

٤- أي استعمالهما معاً .

٥- ((التحرير والتنوير)) : ١ / ١٢٣ .

منهجه في إيراد الألفاظ المشتركة^(١)

لأن هذا الوجه أعظم الأوجه طولاً وأكثرها تشعباً فإنه ينبغي ذكر بعض النقاط التي تعين على فهم طريقة ورود المادة العلمية ، ثم أعقب هذا بذكر الإيجابيات والسلبيات في هذا الوجه .

أما منهجه في إيراد الألفاظ المشتركة فيتلخص في الآتي :

أولاً : إيراد الألفاظ بدون إرجاعها إلى موادها اللغوية غالباً :

التزم الإمام السيوطي ، رحمه الله تعالى ، إيراد الألفاظ المشتركة وغيرها - مما سيأتي التنبيه عليه إن شاء الله تعالى - التزم إيرادها على حالها كما جاءت في المصحف الشريف من غير إرجاعها إلى موادها اللغوية ، وهذا هو الغالب فيما أتى به من ألفاظ ، لكن هناك بعض الاستثناءات ، هي كالاتي :

أ - الجمع بين اللفظ ومادته :

قد يجمع بين إيراد اللفظ كما هو وبين إرجاعه إلى مادته ، ومثال ذلك من الألفاظ المشتركة قوله تعالى : ﴿تَعْبُرُونَ﴾^(٢) ؛ فقد جاء به في موضع وجاء بمادته (عبر) في موضع آخر ، إلا أنه قرن مع معنى تعبير الرؤيا معنى آخر وهو الجواز على الموضع^(٣) .

ومثال ذلك من الألفاظ غير المشتركة قوله تعالى : ﴿تَقْضِلُونَهَا﴾^(٤) ؛ فقد جاء به في موضع وجاء بمادته (عضل) في موضع آخر^(٥) .

١- إنما قلت الألفاظ المشتركة لأنه سماها كذلك ولا فأغلبها غير مشترك كما سيأتي قريباً إن شاء الله.

٢- سورة يوسف : آية ٤٣ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٣ و ٢ / ٦٤٢ .

٤- سورة البقرة : آية ٢٣٢ .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٥ و ٢ / ٦٣٤ .

وانظر مثلاً آخر - في : ١ / ٢٩٢ ، ٦٢٥ - وهو (عاذ) و ﴿ معاذ الله ﴾ : سورة يوسف : آية ٢٣ .

ب - الإتيان بالمادة فقط :

قد يأتي باللفظ على مادته فقط - وهو قليل - ومثال ذلك :
(دعا) ^(١) و (عمه) ^(٢) .

ثانياً : التوسع في التفسير :

يكثر السيوطي رحمه الله تعالى من تفسير الألفاظ التي يوردها ، بل قد يفسر معها ما يقاربه من الألفاظ أو أنه يتوسع في تفسير الآية كلها ، ولعل هذا معنى قوله :

((مع أني زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات لا بد له منها ليتم له معناه)) ^(٣) .

ومثال ذلك في اللفظ المشترك قوله تعالى ﴿ءَاَمَنَ﴾ ^(٤) فقد قال فيه :

((﴿ءَاَمَنَ﴾ إيماناً : أي صدق ، والإيمان في اللغة : التصديق مطلقاً ، وفي الشرع : التصديق بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، والمؤمن في الشرع : المصدق بهذه الأمور ، والمؤمن اسم الله تعالى ؛ إذ هو المصدق لنفسه ، وقيل إنه من الأمن ، أي يؤمن أوليائه من عذابه .

وأمن - بكسر الميم وقصر الألف - أماناً ، وأمنتُ : ضد الخوف .

وأمن - أيضاً - من الأمانة ، وأمن غيره من التأمين)) ^(٥) .

ومن غير المشترك قوله تعالى : ﴿رُحَّاءَ﴾ ^(٦) ، فقد ذكر فيها ملك سليمان

- عليه الصلاة والسلام - وما حباه الله به ^(٧) .

١- المصدر السابق : ٢ / ٩٩ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٦٢٥ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٦ .

٤- سورة البقرة : آية ٢٨٥ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٢٧ .

٦- سورة ص : آية ٣٦ .

٧- ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٣٥ - ١٣٦ ، وانظر كذلك كلامه على قوله تعالى : ﴿دَحَّاهَا﴾ : ٢ / ٩٨ .

ثالثاً : الاستطراد :

يستطرد الإمام السيوطي - كثيراً - في إيرادهِ للألفاظ القرآنية فيورد معها مواضيع قد لاتتعلق بها ، كما صنع في قوله تعالى : ﴿لَيْلَةٍ مُّبَرَّكََةٍ﴾^(١) ؛ فإنه توسع في ذكر كيفية إنزال القرآن الكريم ، والحكمة من نزوله مُنحماً ، وكيفية نزول التوراة ، وكيفية نزول الوحي ، وفوائد أخرى^(٢) . وكذلك صنع الشيء نفسه في قوله تعالى : ﴿وَرَوَّلَ الْقُرْآنَ رِزْقِيلاً﴾^(٣) ، فإنه ذكر آداب قراءة القرآن وطرائق قراءته وسختمه ، وما كان عليه السلف في كل ذلك ، وذكر مباحث أخرى في هذا الباب^(٤) .

رابعاً : الاستقصاء في ذكر الحروف ومعانيها وذكر الأدوات والأفعال الناسخة وما شابه ذلك :

استقصى السيوطي - رحمه الله تعالى - ذكر الحروف ومعانيها في كل ما أتى به منها ، تقريباً ، كحروف الجر والنصب والحزم ، وكذلك الأفعال الناسخة ، وأدوات الشرط ، وغير ذلك^(٥) .

وكل ذلك ليس من المشترك ، كما هو ظاهر ، وقد بين السيوطي أنه ما صنع هذا إلا ((لأن معرفة ذلك من المهمات المطلوبة لاختلاف مواقعها ، ولهذا يختلف الكلام والاستنباط بحسبها ، كما في قوله تعالى :

١- سورة الدخان : آية ٣ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٠٢ - ٢١٨ .

٣- سورة المزمل : آية ٤ .

٤- المصدر السابق : ٢ / ١٢٣ - ١٣١ ، والأمثلة كثيرة جداً مبنوثة في الكتاب .

٥- انظر ((معترك الأقران)) - مثلاً - : ٢ / ١٩١ - ١٩٤ ، ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٩ .

﴿وَإِنَّا أَوَّلِيَّائِكُمْ لَعَلَىٰ هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾^(١) فاستعملت ﴿عَلَىٰ﴾ في جانب الحق و﴿فِي﴾ في جانب الضلال ، لأن جانب الحق كأنه مُستعمل يصرف نظره كيف شاء ، وصاحب الباطل كأنه في ظلام منخفض لا يدري أين يتوجه^(٢) .

ثم إنه أتى بأمثلة أخرى متعددة وقال بعدها :

((فقد علمت من هذا أنه لا بد من ذكر معاني هذه الأدوات وتوجيهها))^(٣) .

وهذا الاستقصاء هنا ضرب من الاستطراد والزيادة التي لاتعلق لها بموضوع الوجه ولا بالإعجاز ، والله أعلم .

ملاحظات على منهجه في إيراد الألفاظ المشتركة

هناك مجموعة من الملاحظات على منهج السيوطي في إيراد الألفاظ المشتركة هي الآتي :

أولاً : بيان الألفاظ المشتركة وتحديددها :

قد عجبت من أمر السيوطي في إتيانه بالألفاظ الكثيرة التي دعاها مشتركة؛ فإنه قد أتى على غالب كلمات القرآن ؛ حتى صار الكتاب كأنه تفسير شامل للقرآن العظيم ، وخلط المشترك مع غيره خلطاً عظيماً حتى أن أغلب الكلمات التي أوردها ليست من الألفاظ المشتركة ؛ فقد أورد أسماء الأنبياء الأعجمية مثل : ﴿إِدْرِيسَ﴾ ، و ﴿إِسْمَاعِيلَ﴾ ، و ﴿إِسْحَاقَ﴾ على أنها من المشترك ، وأورد ألفاظاً من أمثال : ﴿أَفَى﴾ ، و ﴿أَجَاجٌ﴾ ، و ﴿أَلِيمٌ﴾ ، و ﴿أَبَى﴾ ، على

١- سورة سبأ : آية ٢٤ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٦ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٥١٧ .

أنها من المشترك^(١).

ولا أدري وجه إتيانه بهذه الألفاظ ومثلها وهي تعدّ بالمئات، ولكنه إذا أورد اللفظ المشترك يبين أوجه الاشتراك كما فعل في لفظ : ﴿ هدى ﴾ الآنف الذكر^(٢)، فلعله أراد الإتيان بالمشارك ضمن غيره ، لكنه لما لم يبين ذلك عمي على قارئ كتابه مراده وصنيعه ، والأهم من ذلك أن الواقف على الكتاب ليستخرج الألفاظ المشتركة منه سيحتاج إلى جهد عظيم ووقت طويل لأن تلك الألفاظ مبثوثة ضمن مئات من الألفاظ غير المشتركة. والعجب أنه لم ينبه إلى هذا الأمر ولم يذكر أنه سيخلط مع المشترك غيره وإنما كان غاية ما ذكره قوله :

((مع أنني زدت مع اللفظ المشترك تفسير مفردات لا بد له منها ليتم له معناه ، وأعقبت كل حرف بحروف تشاكلها منها من الأسماء والظروف))^(٣) . لكنه لم يكتف بتفسير ألفاظ واردة مع اللفظ المشترك أو إيراد الظروف وحروف الجر فقط ، إنما أتى بمئات الألفاظ التي لاتعلق لها بالمشارك ولا ارتباط لها به ، وهذا الصنيع سلبية بارزة في هذا الوجه الخامس والثلاثين من أوجه الإعجاز التي ذكرها في كتابه .

ثانياً : ترتيب الألفاظ التي أتى بها :

لم يكن للسيوطي - في تقديري - منهج واضح محدد في ترتيب الألفاظ التي جاء بها في هذا الوجه، فقد جاءت هذه الألفاظ مشوشة مبعثرة ، وهذا التشويش ظاهر من أربعة جوانب :

الجانب الأول : عدم ترتيب الألفاظ نفسها على نظام معروف :

لم تأت الألفاظ مرتبة ترتيباً دقيقاً ؛ فقد جاء بالألفاظ مرتبة من حرف (الهمزة) إلى حرف (الزاي) ترتيباً هجائياً ، ثم انتقل إلى حرف (الطاء) ثم (الظاء) تاركاً (السين والشين) ، ثم بعد (الطاء) انتقل إلى (الكاف) مرتباً إلى

١- شأن الحافظ السيوطي أعظم من أن تلبس عليه مثل هذه الألفاظ ، لكني إنما ذكرت ذلك لورود تلك الألفاظ في الوجه الخامس والثلاثين : ((ألفاظه المشتركة)) بدون تمييز المشترك من غيره .

٢- انظر ص ٣٩٩ .

وانظر - مثلاً أيضاً - ((معترك الأقران)) : ٢ / ٩٩ : (دعا) ، ٢٠ / ٦٤٢ : (غير) .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٦ .

(النون) تاركاً (العين والغين والفاء والقاف) ، ثم أتى (بالصاد والضاد) ، ثم أتى (بالعين والغين) ، و (الفاء والقاف) مرتباً ، ثم عاد إلى السين ثم الشين ثم جاء بالهاء ثم الواو ثم حرف اللام ألف ، ثم حرف الياء .

وهكذا يتبين أن هذا الترتيب لم يأت على نظام معين ، إذ لم يُراعَ فيه النسق الهجائي ، ولم يرد كذلك على النظام الأبجدي المشرقي أو المغربي^(١) ، ولم يُراعَ فيه ترتيب الحروف بحسب المخارج^(٢) ، فجاء نسق الألفاظ المشتركة على ضرب من البعثرة والتشويش ، ولا أدري سبباً لذلك إلا أن يكون من عبث النساخ وهو احتمال بعيد ضعيف ، لاتفاق النسختين على الترتيب الذي ذكرته آنفاً .

الجانِب الثاني : عدم ترتيب الألفاظ تحت الحروف في أحيان كثيرة :

ترتيب الألفاظ تحت الحروف لم يكن دقيقاً أيضاً ، وليس له علة ظاهرة ، فتارة يلتزم الترتيب الهجائي المعروف ، وتارة تختلط هذه الألفاظ ويتشوش ترتيبها ، فمن أمثلة ذلك ما أورده تحت حرف (اللام) فقد أتى بآيات فيه على النسق التالي :

﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾^(٣) .

﴿ لَوْ قِيع ﴾^(٤) .

١- ذكر الخفّاق أن السيوطي اتبع في ترتيبه الألفاظ القرآنية طريقة المغاربة ، انظر ((معترك الأقران)) :

١ / س ، ولا أعرف علام بنى الأستاذ الخفّاق حكمه هذا ؟

٢- ولها أكثر من ترتيب ، وكل يشابه الآخر ، وأحد هذه الترتيبات : أ ، هـ ، ع ، ح ، غ ، خ ، ق ، ك ، ج ،

ش ، ي ، ض ، ل ، ن ، ر ، ط ، د ، ت ، س ، ش ، ص ، ظ ، ذ ، ث ، ف ، و ، ب ، م ، ، وانظر ((شرح

المقدمة الجزرية)) : ص ٣١ وما بعدها .

٣- سورة النساء : آية ٨٧ .

٤- سورة الحجر : آية ٢٢ .

﴿لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكَةِ﴾^(١) .

﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ﴾^(٢) .

فهذه الألفاظ لم يُراعَ فيها ترتيبُ الكلمات حسب الحرف الثاني بعد (اللام) لذلك قدّم فيها الياء على الواو ، والواو على الهاء .

وقد يقال إن الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - لم يلتزم في الألفاظ بترتيب الحروف التي بعد الحرف الأول إنما التزم إيراد الألفاظ على ترتيب الآيات في سورها بحسب الحرف الأول فقط وهذا مردود بالآيات الثلاثة الأخيرة من سورة الحجر إذ لم تترتب على حسب ورودها في سورتها ، ويزيد هذا إيضاحاً مايلي .

الجانب الثالث : تشوش ترتيب الآيات في السورة الواحدة في أحيان كثيرة :
لم تترتب الآيات - في كثير من الأحيان - في السورة الواحدة ، ومثال هذا النَّسَقُ التالي :

﴿يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾ (سورة التوبة : ٤٢)
﴿فَبَرَكْنَا كُلَّهُ جَمِيعًا﴾ (سورة الأنفال : ٣٧)^(٣)
﴿يَوْمَ نَحْمِي عَلَيْهَا﴾ (سورة التوبة : ٣٥)
﴿يُحْلِلُونَهُ عَامًا﴾ (سورة التوبة : ٣٧)

ثم أورد عدة آيات من هذه السورة - سورة التوبة - بالطريقة نفسها^(٤) .

الجانب الرابع : عدم التزام إيراد السور على ترتيب المصحف حين يذكر اللفظ ، في أحيان كثيرة :

- ١- سورة الحجر : آية ٧ .
- ٢- سورة الحجر : آية ٤٤ ، وانظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٩٨ - ١٩٩ .
- ٣- في هذا الموضع شاهد - أيضاً - على الجانب الرابع الآتي .
- ٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ٤٧١ - ٤٧٣ .

وليس له سبب ظاهر من كونه مراعيًا لترتيب الألفاظ على الحروف الهجائية أو الأبجدية ، أو غير ذلك ، ومثال هذا النَّسَق التالي :

﴿ دَيَّارًا ﴾	(سورة نوح : ٢٦)
﴿ أَذْبَرَ ﴾ ^(١)	(سورة المدثر : ٣٣)
﴿ دَحْهَهَا ﴾	(سورة النازعات : ٣٠)
﴿ دَسَنَهَا ﴾	(سورة الشمس : ١٠)
﴿ رَمَلَمَ ﴾	(سورة الشمس : ١٤)
﴿ دُلُوكِ ﴾	(سورة الإسراء : ٧٨)
﴿ دُرِّيَّ ﴾	(سورة النور : ٣٥) ^(٢)

فالألفاظ الخمسة الأولى مرتبة ، بينما لفظ ﴿ دُلُوكِ ﴾ و ﴿ دُرِّيَّ ﴾ غير مرتبين مع ما قبلهما .

ثالثًا : التكرار :

كرر السيوطي - رحمه الله تعالى - ذَكَرَ بعض الألفاظ القرآنية بدون سبب ظاهر ؛ فقد أورد قوله تعالى : ﴿ نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾^(٣) تحت حرف النون^(٤) ، وأورد ﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾ في حرف الهاء^(٥) ، صحيح أنه قد أضاف هنا ذكر الإشارة ﴿ هَذَا ﴾ لكن كان يمكن الجمع بذكر الآية في حرف الهاء فقط .
وقد يُكرر المعنى في اللفظ المشترك نفسه ؛ فقد جاء بقوله تعالى :

١- لعل مراده منها قراءة (دَبَر) ، وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو وشعبة والكسائي وأبي جعفر :

انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٢ / ٣٩٣ .

وإنما قلت ذلك لأن ﴿ أَذْبَرَ ﴾ ليست مبدوءة بحرف الذال فتستقيم مع سائر ما أورده ، وقد ذكر السيوطي نفسه أنها قرئت بالوجهين المذكورين وأن معناهما واحد ((حيث يقال دبر الليل النهار ؛ أي جاء في دبره ، وأدبر)) انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٩٨ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٩٧ - ٩٩ .

٣- سورة النجم : آية ٥٦ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٥٨٢ .

٥- المصدر السابق : ٣ / ٣٠٦ .

﴿قَضَىٰ أَمْرًا﴾^(١) وذكر أن من معاني ﴿قَضَىٰ﴾ : الفراغ ، ومثل له بقوله تعالى : ﴿فَإِذَا قُضِيَتْهُ مَتَسِكَكُمْ﴾^(٢) ، ثم ذكر أوجهاً أخر عاد بعدها إلى ذكر (الفراغ) ومثل له بقوله تعالى : ﴿قُضِيَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ﴾^(٣) . ومعنى ﴿قَضَىٰ﴾ في الآيتين واحد^(٤) .

رابعاً : التكلف في إيراد بعض الألفاظ :

قد ينتزع السيوطي - رحمه الله تعالى - اللفظ من الآية انتزاعاً فيثبته في مكانه على حسب الحرف الأول منه ، لكن إirاده لا يكون مناسباً لاختلال السياق وعدم اكتمال ألفاظ الآية ، ومثال هذا :

١ - جاء بقوله تعالى : ﴿مُؤَجَّلًا﴾^(٥) ولم يذكر موصوفه وهو ﴿كِتَابًا﴾ والعجيب أنه أعرب كلمة ﴿كِتَابًا﴾ فقط حيث قال :

((﴿مُؤَجَّلًا﴾ نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ^(٦) ، لأن المعنى كتب الموت كتاباً ، وقال ابن عطية : نُصِبَ عَلَى التَّمْيِيزِ^(٧) .

فليس لإيراد كلمة : ﴿مُؤَجَّلًا﴾ هنا سببٌ إلا إدراجها تحت حرق الميم ، أما كلامه فكان على لفظ ﴿كِتَابًا﴾ فقط ، ولأدري لم لم يورد ﴿كِتَابًا مُؤَجَّلًا﴾ في مكانها من حرف الكاف .

١- سورة البقرة : آية ١١٧ ، وانظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ١٧٣ .

٢- سورة البقرة : آية ٢٠٠ .

٣- سورة يوسف : آية ٤١ .

٤- فعل ذلك أيضاً في قوله تعالى : ﴿وَنُفِثَ﴾ ، فقد كرر من معانيها (الضلال) ، انظر ١٦٩/٣ .

٥- سورة آل عمران : آية ١٤٥ .

٦- قوله : ((نُصِبَ عَلَى الْمَصْدَرِ)) متوجه إلى إعراب كلمة ﴿كِتَابًا﴾ ، كما سيأتي .

٧- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٨٦ .

٢ - وكذلك صنع في قوله تعالى :

﴿مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾^(١) حيث قال :

((نصب على الحال من الضمير في لكم))^(٢) ، والكلام على لفظ ﴿غَيْرَ﴾ الواردة قبل ﴿مُحَلِّي الصَّيْدِ﴾ .

٣ - قوله تعالى : ﴿قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ﴾^(٣) حيث قال فيه السيوطي :

((أي لا تدرسوا^(٤) منه إلا ما يحتاج للأكل خاصة خوف ضياعه))^(٥) ، وسياق قوله تعالى ﴿فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ﴾^(٦) قَلِيلًا مِّمَّا نَأْكُلُونَ ضرورة لفهم المراد .
والتأمل في الأمثلة الثلاثة الماضية يعلم أن إيراد السيوطي لها تكلف محض ، والله أعلم^(٦) .

كانت تلك بعض الملاحظات النقدية على منهج السيوطي في إيراده الألفاظ القرآنية المشتركة وغيرها ، وتلك الملاحظات المذكورة كلها لاتنافي أنه بذل جهداً علمياً ضخماً في تجميع تلك المادة الكبيرة ، وإنما كان الكلام منصّباً على تنظيمها وترتيبها ووفاء العنوان بمضمونها حيث كان في ذلك خللٌ وضحته آنفاً ، والله أعلم .

١- سورة المائدة : آية ١ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٤٩٠ .

٣- سورة يوسف : آية ٤٧ .

٤- الدُّرُس - هتا - معناه دُرُس السنايل حتى يفصل عنها الحَبُّ ، وانظر ((لسان العرب)) : درس .

٥- ((معترك الأقران)) : ٣ / ١٨٧ .

١- انظر - للمزيد من الأمثلة - : ٢ / ٣٢٧ ، ٣٢٢ ، ٣٩٨ ، ٣ / ٥٥٢ .

نظرة مجملة على وجوه الإعجاز التي ساقها الإمام السيوطي

وبعد عرض وجوه الإعجاز التي ساقها الإمام السيوطي في كتابه يتضح الآتي :

أولاً : لم يختَر الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - وجهاً محدداً أو أكثر من وجوه الإعجاز التي ساقها ، إنما ساق أكثرها على أنها وجوه إعجاز ، فصار كأنه يختار الإعجاز بمجموعها ؛ وذلك لأنه لم ينص نصاً واضحاً على إرادته واحداً منها وتفضيله إياه على سواه .

أو أنه يرى أن الإعجاز ليس في مقدور الخلق الكشف عنه ، وذلك لأنه قال في أول كتابه قبل الحديث عن أوجه الإعجاز :

((فإذا علمت عجز الخلق عن تحصيل وجوه إعجازه فما فائدة ذكرها ؟ لكننا نذكر بعضها تطفلاً على من سبق ...))^(١) .

ثانياً : كان هم السيوطي منصباً على الجمع والإحاطة أكثر من اهتمامه بالتحليل والنقد ، ويتضح ذلك جلياً من عدد النقول التي ساقها من كتب من تقدّمه من الأئمة ، وقلة نقده لها ، وكلامه عليها كلاماً موجزاً ، ويتضح ذلك - أيضاً - بذكره أوجهاً لاتعلق لها بالإعجاز ألّبتة وتوسعه فيها توسعاً كبيراً .

ثالثاً : لم تستو وجوه الإعجاز التي ساقها من حيث الكم ، فتارةً يكون الحديث عن أحدها في صفحة أو أقل ، وأخرى يكون الحديث عنها في قرابة خمسين صفحة .

والعجب أن أوجه الإعجاز التي أوجز الحديث عليها إلى الغاية هي الأوجه التي يمكن التفصيل فيها ، وتقرير الإعجاز تقريراً حسناً بمناقشتها ، فمن الوجه الثامن عشر إلى الوجه الثاني والعشرين - أي خمسة أوجه من أوجه الإعجاز - جرى الكلام على

١- ((معترك الأقران)) : ١١/١ .

الإعجاز فيها في قرابة ست صفحات فقط ، وكانت تلك الأوجه من أهم أوجه الإعجاز التي ساقها في كتابه .

رابعاً : لم تستو وجوه الإعجاز التي ساقها من حيث الكيف ، فبعضها تتضح فيه علائم الجدة والتفكير العميق والابتكار ، وبعضها لاتعلق له ألبتة بالإعجاز ، وبينهما وجوه تتجاذبها الجدة والتكرار .

هذا وقد انقسمت وجوه الإعجاز التي ساقها الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - من حيث الابتكار والتكرار إلى ستة أقسام هي :

أولاً : أوجه جديدة متفردة مستقلة بالإعجاز لم يذكرها أحد قبله على أنها من أوجه الإعجاز ، فيما أعلم ، وهي :

١ - الوجه السادس : مشتبهات آياته^(١) .

٢ - الوجه الثلاثون : اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة .

ثانياً : أوجه جديدة لم يذكرها أحد من قبله لكنها ليست مستقلة بالإعجاز بل هي مندرجة تحت أوجه أعم منها ، وهي :

١ - الوجه الخامس عشر : افتتاح السور وخواتمها .

٢ - الوجه الحادي عشر : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع .

٣ - الوجه الثاني عشر : إفادة حصره واختصاصه .

٤ - الوجه الخامس عشر : ورود بعض آياته بحملة وبعضها مبينة .

٥ - الوجه السابع عشر : وجوه مخاطباته .

٦ - الوجه الثالث والعشرون : وقوع الحقائق والجاز فيه .

٧ - الوجه الرابع والعشرون : تشبيهه واستعاراته .

٨ - الوجه الخامس والعشرون : وقوع الكناية والتعريض .

١- وذلك باعتبار جزئي معين يراجع في ص ٣٥٥ - ٣٥٦ .

- ٩ - الوجه السادس والعشرون : إيجازه في آية وإطنابه في أخرى .
- ١٠ - الوجه السابع والعشرون : وقوع البدائع البليغة فيه .
- ١١ - الوجه الثامن والعشرون : احتواؤه على الخير والإنشاء .
- ١٢ - الوجه الحادي والثلاثون : ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة .
- ١٣ - الوجه الخامس والثلاثون : ألفاظه المشتركة .

ثالثاً : أوجه ذكرها المصنفون قبله لكنه أبرزها جلية واضحة :

- ١ - الوجه الأول : العلوم المستنبطة منه .
- ٢ - الوجه الرابع : مناسبة آياته وسوره .
- ٣ - الوجه العاشر : اختلاف ألفاظه في الحروف وكيفيةها من التخفيف والتشديد وغيرهما .

رابعاً : أوجه ذكرها عدد من الأئمة قبله :

- ١ - الوجه الثاني : كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان ، محروساً عن التبديل والتغيير .
- ٢ - الوجه الثالث : حسن تأليفه والتتام كلمه وفصاحتها ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب .
- ٣ - الوجه الثامن عشر : ما انطوى عليه من الإخبار بالمغيبات .
- ٤ - الوجه التاسع عشر : إخباره بأحوال القرون السالفة والأمم البائدة .
- ٥ - الوجه العشرون : سامعه لا يمحجه وقارئه لا يمله .
- ٧ - الوجه الثاني والعشرون : تيسيره تعالى حفظه وتقريبه .

خامساً : أوجه لاتعلق لها بالإعجاز إلا بشيء من التكلف :

- ١ - الوجه السابع : ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات .

- ٢ - الوجه الثالث عشر : احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم .
- ٣ - الوجه التاسع والعشرون : إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدا .
- ٤ - الوجه الثاني والثلاثون : مافيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف .
- ٥ - الوجه الثالث والثلاثون : ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها .
- ٦ - الوجه الرابع والثلاثون : احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب ، وأسماء القبائل والبلاد ، والجبال والكواكب .

سادساً : أوجه لاتعلق لها بالإعجاز البتة :

- ١ - الوجه الثامن : وقوع ناسخه ومنسوخه .
- ٢ - الوجه التاسع : انقسامه إلى محكم ومتشابه .
- ٣ - الوجه الرابع عشر : عموم بعض آياته وخصوص بعضها .
- ٤ - الوجه السادس عشر : الاستدلال بمنطوقه أو بمفهومه .

خلاصة أوجه الإعجاز التي سيقَّت في هذا البحث

قد سبق لي ذكر أحد عشر وجهاً للإعجاز في الباب الأول هي خلاصة ما قيل عن أوجه الإعجاز في الكتب التي ذكرتها ، وسأعيد ذكرها هاهنا مضيفاً إليها الجديد الذي ذكره الإمام السيوطي :

- ١ - الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم .
- ٢ - الإعجاز بالأسلوب .
- ٣ - الإعجاز بأخبار الغيب .
- ٤ - الإعجاز بالعلوم والمعارف .
- ٥ - اشتماله على الحقائق والأسرار والدقائق .
- ٦ - خلوه من الاختلاف والتناقض .
- ٧ - الإعجاز أمر لا يستطاع التعبير عنه .

٨ - التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كلفت في ذلك مالا يطاق، وفيه وقع الإعجاز .

٩ - الإعجاز بـ (الصرّفة) .

١٠ - الإعجاز بمجموع أوجه منها (الصرّفة) .

١١ - الجمع في القرآن بين الدليل والمدلول^(١) .

وأضيف إلى هذه الإحدى عشرة ما عدّه السيوطي من أوجه الإعجاز ، وهو جديد مستحق للتفرد :

١٢ - اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة .

١٣ - الإعجاز بالآيات المشتبهات (على اعتبار جزئي معين فيها)^(٢) .

هذا عدا ثلاثة عشر وجهاً عدّها السيوطي من أوجه الإعجاز وهي كذلك إلا أنها مندرجة تحت بعض الوجوه الثلاثة عشر المذكورة آنفاً ، كما بينت ذلك في موضعه ، والله أعلم .

١- انظر ص ٢١١ - ٢١٢ من هذه الرسالة .

٢- انظر ص ٣٥٥ - ٣٥٦ من هذه الرسالة .

الفصل الثاني^(*)

منهجه في عرض وجوه الإعجاز

- المبحث الأول : منهجه في تصنيف المادة العلمية وتقسيمها. (ص : ٤٢٠ - ٤٣٠)
- المبحث الثاني : منهجه في استعمال المصادر والمراجع ،
وأقوال العلماء (ص : ٤٣١ - ٤٦٤)
- المبحث الثالث : منهجه الاستدلالي (ص : ٤٦٥ - ٤٨٤)
- المبحث الرابع : منهجه اللغوي (ص : ٤٨٥ - ٤٨٨)
- المبحث الخامس : منهجه في تأصيل القضايا الشرعية (ص : ٤٨٩ - ٥٢٢)
- المبحث السادس : منهجه في ذكر القصص والمواعظ والرقائق (ص : ٥٢٣ - ٥٣١)
- المبحث السابع : منهجه في ذكر القضايا العلمية المادية (ص : ٥٣٢ - ٥٤٠)

(*) من الباب الثالث .

المبحث الأول

منهجه في تصنيف المادة العلمية وتقسيمها

((معترك الأقران)) كتاب ضخيم ، مطبوع في ثلاثة أجزاء كبيرة ، عدد صفحاتها يزيد قليلاً عن ألفي صفحة .

والكتاب يحوي خمسة وثلاثين وجهاً من وجوه الإعجاز ؛ أعظمها حجماً وأوفاهها دراسة (الوجه الخامس والثلاثون) ؛ إذ قد شغل ثلثي حجم الكتاب تقريباً ، وقد سبق الكلام عليه في الفصل السابق^(١) .

وقد قدم الإمام السيوطي للكتاب بمقدمة عن الإعجاز القرآني ، وختم بأبحاث متنوعة في علوم القرآن ، وقد بينت ذلك كله سابقاً^(٢) .

أما منهجه في تصنيف تلك المادة الكثيرة فهو كالآتي :

أولاً : التقسيم والترتيب :

قد قسم السيوطي - رحمه الله تعالى - كتابه تقسيماً حسناً ؛ وذلك لأن عصره كان عصرَ تبويب وتقسيم وترتيب للمادة العلمية ، وحسن عرض لها في أبواب وفصول ومباحث ، والسيوطي - رحمه الله تعالى - كان إماماً في هذا الشأن فجاء كتابه حسن التقسيم والتبويب كما يتجلى ذلك في المسائل الآتية :

أ - حُسن تقديم الكتاب :

وذلك لأن السيوطي - رحمه الله تعالى - قد صنع الآتي :

١- انظر ص ٣٩٨ وما بعدها .

٢- انظر ص ٢٨٦ ، ٢٨٨ .

- ١ - قدم بمقدمة ضافية برزت فيها براعة الاستهلال^(١) .
- ٢ - ذكر عدداً من صنف في الإعجاز قبله ، وهذا مهم لبيان تواصل الجهد العلمي في اطلاع المصنف على جهد من سبقه^(٢) .
- ٣ - ناقش أوجه الإعجاز التي ذكرها من قبله من العلماء على وجه الإيجاز والإشارة كما يليق بالمقدمة^(٣) .
- ٤ - عرض بعض مباحث الإعجاز فطرقها طرقاً خفيفاً يناسب ذكرها في المقدمة^(٤) ، ثم شرع في ذكر أوجه الإعجاز الخمسة والثلاثين التي هي صلب الكتاب .

ب - حُسن تقسيم المادة العلمية :

قسم السيوطي المادة العلمية في كتابه إلى فقرات يسهل الرجوع إليها والنظر فيها ، وقد كان هذا من العلامات الواضحة في هذا الكتاب ، صحيح أن المحقق قد صنع بعض العناوين وأحسن تقسيم الكتاب لكن جهده هذا ما كان ليرز كذلك لولا أن السيوطي أحسن في الأصل تقسيم كتابه .

ويبدو هذا التقسيم واضحاً أيضاً إذا نُظر في العناوين التي وضعها لكثير من مباحث الكتاب ، مثل : فصل^(٥) ، تنبيهات^(٦) ، قاعدة^(٧) ، تنبيه^(٨) ،

١- ((براعة الاستهلال هي أن يأتي الناظم أو الناثر في ابتداء كلامه بما يدل على مقصوده منه بالإشارة لا

بال تصريح)) : ((جواهر البلاغة)) : ٤٢٠ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٣ - ٦ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٦ - ١١ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٠ ، والأمثلة كثيرة لهذا ولما بعده من الإحالات الماثلة .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٢ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ٦٢ .

٨- المصدر السابق .

فائدة^(١) ، فروع مثورة^(٢) ، إلخ ... وهذه العناوين تلفت نظر القارئ وتعينه على الوقوف على ما يريده من الكتاب .

ج - حسن الخاتمة :

فبعد أن ذكر وجوه الإعجاز الخمسة والثلاثين ختم ببعض المباحث القرآنية - كما بينت ذلك آنفاً^(٣) - فجاءت نهاية الكتاب قوية واضحة كفاحتها ، ولها صلة مناسبة بمباحث صلب الكتاب .

ثانياً : سلاسة المادة المعروضة ووضوحها :

الإمام السيوطي أديب سلس العبارة ، واضحها لا يتكلف في إيرادها ، ويختار لها أجمع المعاني وأسهل المباني ، ومن جوانب السلاسة في عباراته :

أ - الكلمات غير معقدة ولا قلقة ولا متنافرة .

ب - عباراته بمنأى عن المحسنات اللفظية التي تؤدي أحياناً - إذا روعيت على حساب المعاني - إلى الركافة ، فكتابه خلا تقرياً من السجع ، وغلب على جملة الاسترسال وطرق المعاني طرقاً مباشراً سهلاً قريب المقصد .

وهذا الأسلوب مطلوب في تناول المادة العلمية المحتاجة إلى الإيصال للأذهان بسهولة ويسر قد لا يتأتيان لصاحب الأسلوب المعتمد على التوغل في علم البديع .

ومن يقرأ كتاب السيوطي يفهم ما يريده غالباً حتى إن كان ممن ليس له اطلاع على أساليب المصنفين القدامى ؛ وذلك لسلاسته وسهولته .

١ - المصدر السابق : ١ / ٢٠٦ .

٢ - المصدر السابق : ١ / ٢١٤ .

٣ - انظر ص ٢٨٨ من هذه الرسالة .

ومما يدل على سلاسة أسلوبه :

١ - مقدمته التي يقول فيها :

((الحمد لله الذي جعل معجزات هذه الأمة عقليةً لفرط ذكائهم ، وكمال أفهامهم ، وفضلهم على من تقدمهم ؛ إذ معجزاتهم حسية لبلاذتهم وقلة بصيرتهم ^(١) ، نحمده سبحانه على قوله لرسوله : ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ﴾ ^(٢) ، وخصه بالإعانة على التبليغ فلم يقدر أحد منهم على معارضته بعد تحديدهم ، وكانوا أفصح الفصحاء وأبلغ البلغاء ، وأمهلهم طول السنين فعجزوا ...)) ^(٣) .

٢ - وقال في نهاية الوجه الرابع والثلاثين من أوجه الإعجاز التي ساقها وهو :

((احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى ..)) :

((فتأمل إحساس البهائم ومالنا حسّ ؛ ملأنا بطوننا من الحرام فغلبت علينا سكرة المنام ، وتراكت على قلوبنا سحائب المخالفة ، فادعينا الدعاوى الباطلة ، وعن قريب ينكشف السحاب فتهب علينا نسائم الأسف والحزن ونقول : يا حسرتنا على ما فرطنا ، فبالله أيها الأخ : قم على قدم الاعتذار ، واكشف رسائل الاستغفار ، وناد بلسان الاضطرار :

﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾ ^(٤) ...)) ^(٥) .

٣ - وقال في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَجَى الْجَنَّةِ ﴾ ^(٦) :

١ - لا ينبغي هذا الإطلاق ؛ لأن فيمن سبقنا صالحين وأهل بصيرة وفقه في الدين ، من أهل الكتاب ومن غيرهم .
لكن هذا ليس من كلام السيوطي بل الجملة في قوله : ((! إذ معجزاتهم حسية لبلاذتهم وقلة بصيرتهم)) من كلام الراغب الأصفهاني ، انظر ((مقدمة جامع التفاسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) للراغب : ١٠٢ .

٢ - سورة النحل : آية ٤٤ .

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١ .

٤ - سورة الأعراف : آية ٢٣ .

٥ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥١٣ .

٦ - سورة الرحمن : آية ٥٤ .

((قد قدمنا أن الجنى مأيجتنى من الثمار ... هذا هو النعيم المقيم ، وكيف لا
ونبينا فيها نديم ، والثواب عظيم ، والبقاء فيها قديم ، والعطاء فيها جسيم ،
والحزن فيها عديم ، والمُضيّف فيها كريم ، نعيمها مؤبّد ، ومقامها مخلّد ،
وبقاؤها سرمد^(١) ، وفرشها ممدود ، ومرافقها مُمّهّد ، وحورها مُنّهّد^(٢) ،
وقصورها مشيد ، وظلّها ممدود ، وفيها جنة الفردوس نزولا لمن لم يجعل لمولاه
شريكاً ولا مثيلاً ، وأخلص له في دنياه قولاً وعملاً وفِعلاً ، ولم يزل على عصيانه
خائفاً وجلّاً))^(٣) .

فهذه جمل قوية رصينة ، وهي في الوقت نفسه قريبة إلى الأفهام والقلوب .

ثالثاً : إيثار مسلك الإطناب^(٤) في كل ما يورده من مباحث تقريباً :

للمصنّفين طُرُق في عرض المادة العلمية :

فإما أن يوجزوا مبانيها وقد يؤدي ذلك الإيجاز إلى الإخلال .
وإما أن يُطنّبوا في بيانها فربما آل الأمر إلى الإطالة والإملال .
وإما التوسط بينهما .

والسيوطي سلك - في كتابه هذا - المسلك الثاني ، وإن جاء الكتاب بعيداً
عن الإملال والإطالة في غير مواضعها .

١- أي أبدي دائم لا ينقطع . انظر ((لسان العرب)) : سرمد .

٢- الحور : جمع الحوراء ، وهي التي اشتد بياض عيناها ، واشتد سواد سوادها ، مع استدارة في الحديقة ورقة في
الجفون ، ولا تكون الحوراء إلا ببيضاء الجسد . انظر ((لسان العرب)) : ح و ر .
أما المنهّد فيقال : نهّد الثدي إذا ارتفع عن الصدر وصار له حجم ، والحور المنهّد أي اللواتي برزت
أثداؤهن وارتفعت وصار لها حجم . انظر ((لسان العرب)) : ن ه د .

٣- ((معترك الأقران)) : ٥٧/٢ .

٤- قد سبق بيان الإطناب مع ضرب الأمثلة عليه ، انظر ص ٣٨٢ وما بعدها .

ومظاهر الإطناب في كتابه تتضح في الآتي :

١ - الاستقصاء :

طريقة السيوطي الاستقصاء - غالباً - في بيان مذاهب العلماء في المسائل العلمية التي يوردها ، وبيان الأدلة التي استدل بها كل فريق على مذهب إليه ، وإن كان للمسألة التي يوردها السيوطي في كتابه أنواع وأقسام فإنه يأتي بها على التفصيل ، ويأتي بأمثلة تؤيد ما يراه ويمنح إليه .

ففي الوجه السابع والعشرين من وجوه الإعجاز التي أوردتها في ((المعترك)) وهو ((وقوع البدائع البليغة فيه)) أورد أنواع علم البديع على التفصيل ، حيث ذكر أربعين نوعاً من أنواع البديع مع التمثيل عليها ، فهذا إطناب مفيد في بابيه لأنه قصد فيه الاستقصاء وإبراز استيعاب النص القرآني لهذه الأنواع .

وهذا مثال على ما جاء به في ذلك الوجه حيث تكلم على النوع البديعي المسمى : ((اتلاف اللفظ مع اللفظ واتلافه مع المعنى))^(١) فقال مبيناً أقسام هذا النوع :

((الأول : أن تكون الألفاظ يلائم بعضها بعضاً بأن يقرن الغريب بمثله ، والمتداول بمثله رعاية الفاصلة لحسن الجوار والمناسبة^(٢) .

والثاني : أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد ، فإن كانت فخمة كانت ألفاظه فخمة ، أو جزلاً فجزلة ، أو غريباً فغريبة ، أو متداولة فمتداولة ، أو متوسطاً بين الغرابة والاستعمال فكذلك .

١- إنما اختلف هذا النوع لتوسطه بين الطول والقيصر ، فهو أدل على المقصود ، ولا اعتبار آخر حيث سبق لي التمثيل بالأنواع الثلاثة الأولى .

٢- أي كمرعاة الفاصلة لحسن الجوار والمناسبة .

فالأول : كقوله تعالى ﴿تَاللَّهِ تَفْتَوُا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا﴾^(١) ، أتى بأغرب ألفاظ القسم وهي التاء فإنها أقل استعمالاً وأبعد من أفهام العامة بالنسبة إلى الباء والواو ، وبأغرب صيغ الأفعال^(٢) التي ترفع الأسماء وتنصب الأخبار ، فإن ((تزال)) أقرب إلى الأفهام وأكثر استعمالاً منها ، وبأغرب ألفاظ الهلاك وهو (الحرَض) ، فاقتضى حُسْنُ الوضع في النظم أن تجاورَ كلُّ لفظة بلفظة من جنسها في الغرابة توخيًّا لحسن الحوار ، ورغبة في ائتلاف المعاني بالألفاظ ، ولتتعاذل الألفاظ في الوضع وتناسب في النظم .

ولما أراد غير ذلك قال :

﴿وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ﴾^(٣) فأتى بجميع الألفاظ متداولة لا غرابة فيها .

ومن الثاني^(٤) قوله تعالى :

﴿وَلَا تَرْكَبُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَمِمَّا كُمُ النَّارُ﴾^(٥)

لما كان الزكون إلى الظالم - وهو الميل إليه ، والاعتماد عليه - دون مشاركته في الظلم وجب أن يكون العقاب عليه دون العقاب على الظالم فأتى بالمس الذي هو دون الإحراق والاصطلام^(٦) .

وقوله : ﴿لَهُمَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾^(٧)

أتى بلفظ الاكتساب المشعر بالكلفة والمبالغة في جانب السيئة لثقلها .

١- سورة يوسف : آية ٨٥ .

٢- أي قوله تعالى : ﴿ تَفْتَوُا ﴾ .

٣- سورة الأنعام : آية ١٠٩ .

٤- أي أن تكون ألفاظ الكلام ملائمة للمعنى المراد .

٥- سورة هود : آية ١١٣ .

٦- الاصطلام : الاستئصال ، واصطلم القوم : أبيدوا ، والاصطلام افتعال من الصلَّم أي القطع ، انظر

((لسان العرب)) : ص ل م .

٧- سورة البقرة : آية ٢٨٦ .

وكذا قوله : ﴿ فَكَبِّرُوا فِيهَا هُمْ وَالْعَاوُنَ ﴾ ^(١)
فإنه أبلغ من كُتُبُوا للإشارة إلى أنهم يكون كِباً عنيفاً فظيعاً .

﴿ وَهُمْ يَصْطَرِحُونَ فِيهَا ﴾ ^(٢)
فإنه أبلغ من يصرخون ؛ للإشارة إلى أنهم يصرخون صراخاً منكراً خارجاً عن الحد المعتاد .

﴿ اخْذَعِزِيزِ مُقَدِّرِ ﴾ ^(٣)
فإنه أبلغ من قادر ؛ للإشارة إلى زيادة التمكن في القدرة ، وأنه لاراد له ولا معقب .

ومثل ذلك : ﴿ وَأَصْطَبِرْ ﴾ ^(٤) فإنه أبلغ من (اصبر) .

و ﴿ الرَّحْمَنَ ﴾ ^(٥) أبلغ من ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ ^(٦) ، فإنه مشعر باللطف والرفق ، كما أن الرحمن مشعر بالفخامة والعظمة .

ومنه الفرق بين (سقى) و (أسقى) فإنه سقى لما لا كُلفة معه في السقيا ؛
ولذا أورده - تعالى - في شراب الجنة فقال :
﴿ وَسَقَّاهُمُ مِنْهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾ ^(٧)

وأسقى لما فيه كُلفة ؛ ولهذا أورده - تعالى - في شراب أهل الدنيا فقال :

١- سورة الشعراء : آية : ٩٤ .

٢- سورة فاطر : آية ٣٧ .

٣- سورة القمر : آية ٤٢ .

٤- سورة القمر : آية ٢٧ .

٥- سورة الفاتحة : آية ١ .

٦- سورة الفاتحة : آية ١ .

٧- سورة الإنسان : آية ٢١ .

﴿وَأَسْقَيْنَهُمْ مَاءً فُرَاتًا﴾^(١) ﴿لَأَسْقِيَنَّهُمْ مَاءً غَدَقًا﴾^(٢)
لأن السقي في الدنيا لا يخلو من كلفة أبداً^(٣).

وإنما سقت هذا المثال على طوله ليتبين الناظر فيه مدى إطناب السيوطي في هذا الوجه ، خاصة أن هذا النوع متوسط بين الطول والقصر في الأنواع الأربعين التي ساقها السيوطي في هذا الوجه^(٤).

٢ - تميم الأقوال وإيراد الأمثلة :

ومن مظاهر الإطناب - أيضاً - أن السيوطي يورد القول أو الرأي لأحد العلماء ، فإن وجد أقوالاً وأمثلة تتمم ماذهب إليه ذلك العالم فإنه يوردها حتى إن طالت ، وإن لم يمثل صاحب المقالة بمثال فإن السيوطي يأتي بمثال أو أكثر .

فمن الأمثلة على إتمامه استدلالات العلماء قوله في النوع البديعي المسمى :
تأكيد المدح بما يشبه الذم^(٥) :

١- سورة المرسلات : آية ٢٧ .

٢- سورة الجن : آية ١٦ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٨٩ - ٣٩٠ .

٤- انظر - كذلك - عدداً من هذه الأمثلة في هذا الوجه في الجزء الأول من صفحة ٣٧٣ إلى ٤٢٠ .
وانظر كذلك الوجه السادس والعشرين في الجزء الأول من صفحة ٢٩٣ إلى ٣٧٣ ، وهو أطول أوجه الكتاب ماعدا الوجه الخامس والثلاثين ، فقد ذكر فيه السيوطي أقسام الإنجاز وشروطه ومثل لما جاء به من الكتاب والسنة وآثار السلف ، وعصّد أقواله بآراء الأئمة وأقوالهم .

٥- وهو نوعان :

((أحدهما : أن يستثنى من صفة ذمّ منفية عن الشيء صفة مدح بتقدير دخولها فيها ، كقوله :

ولاعيب فيهم غير أن سيوفهم بهنّ فلون من قراع الكتاب .

الثاني : أن يثبت لشيء صفة مدح ، ثم يوتى بعدها بأداة استثناء تليها صفة مدح أخرى -

والنوع الأول أبلغ - كقوله :

ولا عيب فيه غير أنني قصدته فأنستني الأيام أهلاً وموطناً ...)) : ((جواهر الأدب)) : ٣٨١-٣٨٢ .

((قال ابن أبي الإصبع :

هو في غاية العزة في القرآن ، قال : ولم أجد منه إلا آية واحدة ، وهي قوله : ﴿ قُلْ يَٰ أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِفُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمَنَّا بِاللَّهِ ... ﴾ الآية^(١) ؛ فإن الاستثناء بعد الاستفهام الخارج مخرج التوبيخ على ما عابوا به المؤمنين من الإيمان يومهم أن ما يأتي بعده مما يوجب أن ينقم على فاعله مما يذم به ، فلما أتى بعد الاستثناء ما يوجب مدح فاعله كان الكلام متضمناً تأكيداً المدح بما يشبه الذم .

قلت : ونظيرها قوله :

﴿ وَمَا نَقَمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ ﴾^(٢)

وقوله :

﴿ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِينِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ ﴾^(٣)

فإن ظاهر الاستثناء أن ما بعده حق يقتضي الإخراج ، فلما كان صفة مدح تقتضي الإكرام لا الإخراج كان تأكيداً للمدح بما يشبه الذم .

وجعل منه التنوخي^(٤) في ((الأقصى القريب))^(٥) :

﴿ لَا سَمْعُونَ فِيهَا لِقَا وَلَا تَأْتِيًا إِلَّا قِيلاً سَلَامًا سَلَامًا ﴾^(٦) :

استثنى ﴿ سَلَامًا سَلَامًا ﴾ الذي هو ضد اللغو والتأثيم ، فكان ذلك مؤكداً لانتهاء اللغو والتأثيم^(٧) .

١- سورة المائدة : آية ٥٩ .

٢- سورة التوبة : آية ٧٤ .

٣- سورة الحج : آية ٤٠ .

٤- هو الشيخ محمد بن محمد بن عمرو ، أبو عبد الله زين الدين التنوخي . أديب دمشقي ، استقر في بغداد . له عدة

كتب . توفي سنة ٧٤٨ . انظر ((الأعلام)) : ٧ / ٣٥ ، و ((هدية العارفين)) : ٢ / ١٥٤ .

٥- كتابه ((الأقصى القريب في علم البيان)) مطبوع بهذا الاسم كما في ((الأعلام)) : ٧ / ٣٥ ،

واسم كتابه في ((هدية العارفين)) : ٢ / ١٥٤ : ((أقصى القرب في صناعة الأدب)) .

٦- سورة الواقعة : آية ٢٦ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٩٣ - ٣٩٤ ، وانظر كذلك : ١ / ٤٧٧ - ٤٧٨ حيث ذكر أقوالاً متممة لأقوال

العلماء في بيان أي آية أرجى في كتاب الله تعالى .

ففي هذا المثل يورد السيوطي ، رحمه الله تعالى ، مثالين إضافيين - من لدنه - على ماجاء به ابن أبي الإصبع ويضيف مثلاً ثالثاً أتى به عالم آخر .

إنشأؤه الأمثلة لما لم يرد له مثال :

ومن الأمثلة على إيراده المثل من القرآن لما لم يرد له مثال في أقوال العلماء ، من الأمثلة على هذا قوله في النوع البديعي المسمى : القول بالموجب :
((قال ابن أبي الإصبع : وحقيقته ردّ كلام الخصم من فحوى كلامه .
وقال غيره :
هو قسمان :

أحدهما : أن تقع صفة في كلام الغير كناية عن شيء أثبت له حكم فيثبتها لغير ذلك الشيء ؛ كقوله تعالى :

﴿يَقُولُونَ لَئِنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ...﴾ الآية^(١) ،
فالأعز وقعت في كلام المنافقين كناية عن فريقهم ، والأذل كناية عن فريق المؤمنين ،
وأثبت المنافقون لفريقهم إخراج المؤمنين من المدينة ، فأثبت الله في الرد عليهم صفة
العزة لغير فريقهم وهو الله ورسوله والمؤمنون ، وكأنه قيل : صحيح ذلك ليخرجن
الأعز منها الأذل ، لكن هم الأذل المخرج ، والله ورسوله الأعز المخرج .

والثاني : حمل لفظ واقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله بذكر متعلقه ،

ولم أر من أورد له مثلاً من القرآن ، وقد ظفرتُ بآية منه وهي قوله تعالى :
﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٢) ((^(٣)
فالسيوطي - رحمه الله تعالى - مثل هنا بمثال لما لم يُمثّل له^(٤) .

١ - سورة المنافقون : آية ٨ .

٢ - سورة التوبة : آية ٦١ .

٣ - ((معترك الأقران)) ١ / ٤٦١ - ٤٦٢ .

٤ - انظر مثلاً آخر في : ٣٧٧ / ١ .

المبحث الثاني

منهجه في استعمال المصادر والمراجع ، وأقوال العلماء

المطلب الأول : ذكر بعض مصادره ومراجعته :

قد مزج السيوطي كلامه بكلام العلماء ، واستفاد من كتبهم بأن أورد منها في كتابه عدداً كبيراً من المسائل الشرعية واللغوية .

ومن المهم ذكر استفادته من بعض المصادر والمراجع^(١) حتى يتبين مدى اعتماد السيوطي عليها ، وقدر الاستفادة منها ، وطريقة هذه الاستفادة هل هي نصية أو بالمعنى ، وهكذا ...

وسوف أبين حال ذكره لهذه الكتب هل هي مطبوعة أو مخطوطة أو مفقودة ؟ وأتكلم عليها - إن دعت الحاجة - باختصار .

ثم بعد ذكره لعدد من مصادره ومراجعته سأبين - إن شاء الله تعالى - منهجه في الاستفادة من هذه المصادر والمراجع .

وهذه المصادر والمراجع تنقسم إلى قسمين :

القسم الأول : مراجع من شيء من كتبه .

القسم الآخر : مراجع من كتب غيره .

أما القسم الأول : فإن من أهم كتبه التي أوردتها في ((معترك الأقران)) ملخصة أو بنقل جمل منها هي :

١- وضعت فهرساً في آخر الكتاب يضم جميع مصادر الإمام السيوطي ومراجعته مع بيان حالها :

أهي مطبوعة أم مخطوطة أم مفقودة ؟ انظر ص ٧٨٥ وما بعدها .

أ - ((الإتقان في علوم القرآن)) :

وقد سبق أن بينت بالتفصيل استفادة السيوطي من هذا الكتاب^(١).

ب - ((الإكليل في استنباط التنزيل))^(٢) :

قد نقل السيوطي - رحمه الله تعالى - مقدمة كتاب ((الإكليل)) بتصرف يسير ، كما بينت ذلك سابقاً^(٣) ، فجعلها الوجه الأول من وجوه الإعجاز التي ذكرها في كتابه ((المعترك)) .

ج - ((المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)) :

يقول السيوطي عن كتابه هذا :

((هذا كتاب تتبعته فيه الألفاظ المعربة التي وقعت في القرآن ، مستوعباً ماوقفت عليه من ذلك ، مقروناً بالعزو والبيان))^(٤) .

وقد لخص السيوطي - رحمه الله تعالى - كتابه هذا في الوجه الثالث عشر من وجوه الإعجاز التي ذكرها في ((معترك الأقران)) وهو :

((احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغه غيرهم من الفرس والروم والحبيشة وغيرهم))^(٥) .

وقد بين استفادته من هذا الكتاب بقوله :

١- انظر ص ٢٣٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢- الكتاب مطبوع متداول ، وهو - الآن - يحقق في رسالة ((دكتوراه)) بجامعة أم القرى - حفظها الله تعالى - ويحققه الباحث الشيخ عامر علي العراقي ، وفقه الله .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٤ - ٢٧ .

٤- ((مكتبة الجلال السيوطي)) : ٣٦٠ .

وقد ذكر صاحب الكتاب أن ((المهذب)) قد طبع محققاً ضمن المجلد الأول من مجلة ((المورد))

العراقية سنة ١٩٧١ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٥ .

((وقد أفردت في هذا النوع كتاباً سمّيته ((المهذب فيما وقع في القرآن من المعرب)) ، وألخص هنا ماوقع تنمة للفائدة))^(١) .

القسم الآخر :

أما القسم الآخر من المصادر والمراجع التي رجع إليها السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه ((المعترك)) وهي من تأليف غيره فقد اخترت أهمها^(٢) ، وقسمتها بحسب العلوم التي تناولتها إلى أقسام هي :

- ١ - التفسير .
- ٢ - علوم القرآن .
- ٣ - العقيدة .
- ٤ - الحديث الشريف .
- ٥ - الفقه .
- ٦ - الأصول .
- ٧ - اللغة العربية .
- ٨ - التاريخ .

وهي كتب كثيرة بلغت قرابة سبعين ومائة كتاب ، وسأستوعبها سرداً - إن شاء الله تعالى - في فهرس خاص آخر الكتاب^(٣) .

وقد سبق أن ذكرت أن السيوطي أرسل في كتابه هذا مئاتٍ من أقوال العلماء فلم يسندها إلى كتبها ، بل قد ترك إسناد أقوال كثيرة إلى قائلها^(٤) ، ولو أسند الأقوال كما ينبغي لازداد عدد المصادر والمراجع زيادة كبيرة .
وسأتكلم عن كل منها على الترتيب :

١ - المصدر السابق .

وانظر كذلك في استفادته من شيء من كتبه : ((معترك الأقران)) : ١ / ١١٥ .

٢ - كان اختيار الكتاب بحسب اعتماد السيوطي عليه في ((المعترك)) وكثرة نقله منه ، كان هذا هو المعيار الأساس في اختياري لهذه الكتب .

٣ - سأبين - إن شاء الله تعالى - المطبوع منها من المخطوط ، وماغلب على ظني أنه مفقود .

٤ - انظر ص ٢٩٤ .

أولا : مصادره في التفسير :

قد اعتمد السيوطي على عدد كبير من كتب التفسير ، منها ماهو بالمأثور ومنها ماهو بالرأي .

أما كتب التفسير بالمأثور فكان جلّ اعتماده على ثلاثة كتب منها هي :

- ١ - كتاب ((جامع البيان من تأويل آي القرآن))^(١) لابن جرير .
- ٢ - وكتاب ((تفسير القرآن العظيم))^(٢) لابن أبي حاتم^(٣) .
- ٣ - وكتاب ((تفسير القرآن)) لعبد الرزاق الصنعاني^(٤)^(٥) .

أما كتاب ابن جرير فمشهور معروف ، وأما كتاب ابن أبي حاتم فإنه لم يكتمل نشرأ بعد ، وأما كتاب عبد الرزاق فهو الذي سأتكلم عليه وأبين استفادة السيوطي منه .

١- انظر استفادة السيوطي من هذا الكتاب في : ١ / ٩٧ ، ١١٥ ، ١٩٥ ، ٢٢٠ ، وهناك عشرات المواضع غيرها .

٢- ومن مواضع استفادة السيوطي من هذا الكتاب : ١ / ١٧١ ، ٢٣٢ ، ٢٣٦ ، وعشرات غيرها .

٣- هو الشيخ الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن محمد بن إدريس . ولد سنة ٢٤٠ أو ٢٤١ . كان بحراً في العلوم ومعرفة الرجال . صنف تصانيف نفيسة ، وله حكايات عجيبة تدل على ورعه وولايته . توفي سنة ٣٢٧ بالري وله بضع وثمانون سنة .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٢٦٣ - ٢٦٩ .

٤- الحافظ الكبير ، عالم اليمن عبد الرزاق بن همام بن نافع ، أبويكر الحميري بالولاء ، الصنعاني الثقة . ولد سنة ١٢٦ . ارتحل وحدث عن كثير من المشايخ ، وأخذ عنه خلق . وله عدة مصنفات ، وكان يحفظ سبعة عشر ألف حديث ، وقد عمي بعد أن كبر ، وتوفي سنة ٢١١ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٩ / ٥٦٣ - ٥٨٠ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٦ / ٢٧٨ - ٢٨١ .

وقد طبع كتاب عبد الرزاق بتحقيق الدكتور مصطفى مسلم ، ونشرته مكتبة الرشد بالرياض سنة ١٤١٠ .
٥- في الكتاب أجزاء مفقودة ، وقد حُقق الموجود منه في جامعة أم القرى ، ويصدر تباعاً عن إحدى دور النشر ، ولم يصدر منه حتى الآن إلا مجلدان ، فيهما تفسير سورتي البقرة وآل عمران .

((تفسير القرآن)) للإمام عبد الرزاق الصنعاني :

هذا كتاب تفسير محض بالمأثور ؛ إذ هو مليء بالأحاديث والآثار فقط ليس فيه غيرُ هذا ، وقد رجع إليه السيوطي في كتابه ((المعترك)) كثيراً ، فمن تلك المواضع :

في الوجه السابع من وجوه الإعجاز وهو ((ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات)) حيث قال السيوطي :

((قال عبد الرزاق في تفسيره :

أخبرنا مَعْمَر^(١) ، عن رجل ، عن المنهال بن عمرو^(٢) ، عن سعيد بن جبیر^(٣) ، قال : جاء رجل إلى ابن عباس فقال : رأيت أشياء تختلف علي من القرآن ؟ فقال ابن عباس : ماهو ؟ أشك ؟ قال : ليس بشك ولكنه اختلاف . قال : هات ماختلف عليك من ذلك .

قال : أسمع الله يقول :

﴿ تُمَلِّتُكُمْ فِتْنَتَهُمْ إِنْ لَا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾^(٤) .
وقال : ﴿ وَلَا يَكْفُرُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ﴾^(٥) وقد كنتموا ...^(٦) .

١- هو الإمام الحافظ شيخ الإسلام أبو عروة مَعْمَر بن راشد الأزدي بالولاء ، البصري ، نزيل اليمن . ولد سنة ٩٥ أو ٩٦ ، وطلب العلم وهو حَدَّث . وكان من أوعية العلم مع الصدق والتحرر والورع والجلالة وحسن التصنيف . حَدَّث عنه حَلَفٌ . مات سنة ١٥٤ .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٧ / ٥ - ١٨ .

٢- المنهال بن عمرو الأسدي بالولاء ، الكوفي . صدوق ربما وَهَم . أخرج عنه البخاري وغيره .

توفي سنة بضع عشرة ومائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٥ / ١٨٤ ، و((تقريب التهذيب)) : ٥٤٧ .

٣- الإمام الحافظ ، المقرئ ، المفسر ، الشهيد أبو محمد سعيد بن جبیر بن هشام الأسدي الوالي بالولاء ، الكوفي . روي عن بعض الصحابة وكبار التابعين ، وقرأ القرآن على ابن عباس وكان من كبار العلماء ، عاش سبعاً وخمسين سنة ، وقلته الحجاج سنة ٩٥ لخروجه في فتنة ابن الأشعث . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٤ / ٣٢١ - ٣٤٣ .

٤- سورة الأنعام : آية ٢٣ .

٥- سورة النساء : آية ٤٢ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٩٥ - ٩٦ .

والأثر طويل أوردته السيوطي باختلاف يسير عما في ((تفسير القرآن))^(١).
والمواضع التي رجع السيوطي فيها إلى هذا الكتاب كثيرة^(٢).

وأما كتب التفسير بالرأي فكان جل اعتماده منها على ((الكشف))
للزنجشري^(٣)، حيث أورد نصوصاً كثيرة عنه، فتارة يصرح بذكر كتابه وتارة
يكتفي بالقول: قال الزنجشري^(٤).

ومن المواضع التي صرح فيها بالنقل من ((الكشف)) قوله في بيان طرق
الحصر:

((الرابع عشر :

قلب بعض حروف الكلمة ، فإنه يفيد الحصر على ما نقله في ((الكشف)) في
قوله :

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾^(٥) قال :

القلب للاختصاص بالنسبة للطاغوت ؛ لأن وزنه على (فَعْلُوت) من الطغيان ،
ك (مَلَكُوت) و (رَحْمُوت) ، قلب بتقديم اللام على العين فوزنه (فَعْلُوت)
ففيه مبالغات : التسمية بالمصدر ، والبناء بناء مبالغة .

والقلب هو للاختصاص ؛ إذ لا يطلق على غير الشيطان^(٦).

١- انظر ((تفسير القرآن)) : ١ / ١٦٠ - ١٦٢ .

٢- هذا الأثر بهذا السند ضعيف لوجود مجهول في سنده ، لكن أخرجه الحاكم في ((المستدرک)) بنحوه وقال :

صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبي : انظر ((المستدرک)) : ٢ / ٤٢٨ .

٣- انظر - مثلاً - ١ / ١٣٨ ، ٤٧٢ .

٤- حار الله أبو القاسم محمود بن عمر بن أحمد الخوارزمي الزنجشري . ولد بزخشر من أعمال خوارزم سنة ٤٦٧ .

كان إماماً في التفسير والنحو واللغة والأدب ، واسع العلم ، كثير الفضائل ، متفناً في علوم شتى ، معتزلي المذهب
بجهرراً بذلك . له عدة تصانيف . توفي بخوارزم سنة ٥٣٨ . انظر ((معجم الأدباء)) : ١٩ / ١٢٦ - ١٣٥ .

وكتابه هذا طبع عدة طبعات بخواف متعددة .

٥- انظر - مثلاً - ١ / ١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٨٥ ، ٢٩١ ، ٣٠٧ ، ٣٤٤ ، ٣٤٧ ، ... فقد اكتفى في تلك المواضع

بالقول : قال الزنجشري .

٦- سورة الزمر : آية ١٧ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨٩ .

وقد نقل السيوطي كلام الزمخشري بالمعنى واختصره اختصاراً قد يؤدي إلى بعض غموض ، فقد قال الزمخشري :

((الطاغوت : (فَعَلُوت) من الطغيان ، ك (المَلَكُوت) و (الرَّحْمُوت) ، إلا أن فيها قلباً بتقديم اللام على العين ، أطلقت على الشيطان أو الشياطين لكونها مصدراً^(١) ، وفيها مبالغات وهي التسمية بالمصدر كأن عين الشيطان طغيان ، وأن البناء بناء مبالغة ؛ فإن (الرَّحْمُوت) : الرحمة الواسعة ، و (المَلَكُوت) : الملك المبسوط ، والقلب وهو للاختصاص ؛ إذ لا تطلق على غير الشيطان ، والمراد بها - ههنا - الجمع ، وقرئ (الطواغيت)^(٢)))^(٣) .

١- وذلك لأن المصدر - من حيث هو مصدرٌ - لا يُثنى ولا يجمع ، انظر ((ضياء السالك إلى أوضح المسالك)) : ١٣٨ / ٣ .

٢- وهي قراءة الحسن البصري - رحمه الله تعالى - وهي قراءة شاذة ، وانظر ((المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات)) : ٢ / ٢٣٦ .

٣- ((الكشف)) : ٣ / ٣٩٢ - ٣٩٣ .

ثانياً : مصادره في علوم القرآن الكريم :

والكتب التي رجع إليها في هذا العلم كثيرة ، منها :

١- ((إحكام الراي في أحكام الآي)) لابن الصائغ^(١) ، رحمه الله تعالى :

قد استفاد السيوطي من هذا الكتاب في الوجه الثالث من وجوه الإعجاز

وهو :

((حسن تأليفه ، والثمام كلمه وفصاحتها ، ووجوه إيجازه ، وبلاغته الخارقة عادة العرب الذين هم فرسان الكلام ...)) .

إذ قال :

((وقد ألف الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفّي كتاباً سماه ((إحكام الراي في أحكام الآي)) قال فيه :

اعلم أن المناسبة أمر مطلوب في اللغة العربية يُرتكب بها أمور من مخالفة الأصول^(٢) .
قال : وقد تتبعت الأحكام التي وقعت في آخر الآي مراعاة للمناسبة فعثرت منها على ماينيف على الأربعين حكماً :

١ - تقديم المعمول ...)) .

ثم إن السيوطي - رحمه الله تعالى - ساق تلك الأربعين حكماً كلها^(٣) .

١- هو الشيخ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفّي الزمردّي . ولد قبل سنة ٧١٠ . اشتغل بالعلم ، وبرع في اللغة والنحو والفقه . ولي قضاء العسكر ، وإفتاء دار العدل ، ودرّس بالجامع الطولوني وغيره . وله عدة مصنفات . مات سنة ٧٧٦ . انظر ((الدرر الكامنة)) ٤ : ١١٩ - ١٢٠ .

ولم أطلع على من عثر على هذا الكتاب فكانه مفقود ، والله أعلم .

٢- هذه الأمور قد بينها بعد ذلك وهي كثيرة منها : تقديم الضمير على مايفسره نحو : ﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾ سورة طه : آية ٦٧ ، ومنها صرف ما لا ينصرف ، ومنها الفصل بين الموصوف والصفة ، وانظر ذلك في

((معترك الأقران)) ١ : ٣٣ ، ٣٤ ، ٣٨ .

٣- ((معترك الأقران)) ١ : ٣٢ - ٣٩ .

٢- ((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي ، رحمه الله تعالى :

قد أكثر السيوطي من الرجوع إلى هذا الكتاب واستفاد منه استفادة ظاهرة ، وكان يرجع إليه باسمه تارة وباسم مصنفه أخرى^(١) .

وهذا مثال على ما صرح فيه باسم ((البرهان)) :

((قال في (البرهان) :

ومن ذلك^(٢) افتتاح السور بالحروف المقطعة ، واختصاص كل واحدة بما بدئت به حتى لم تكن ترد ﴿الم﴾ في موضع ﴿الر﴾ ، ولا ﴿حم﴾ في موضع ﴿طس﴾ .

قال : وذلك أن كل سورة بدئت بحرف منها فإن أكثر كلماتها وحروفها مماثل له ، فحق كل سورة منها ألا يناسبها غير الوارد فيها ، فلو وضع ﴿ق﴾ موضع ﴿ن﴾ لم يمكن ؛ لعدم التناسب الواجب مراعاته في كلام الله ، وسورة ﴿ق﴾ بدئت به لما تكرر فيها من الكلمات بلفظ (القاف) ...)^(٣) .

وقد اختصر السيوطي كلام الزركشي ونقله بالمعنى^(٤) .

٣ - ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) للكُرمانى^(٥) .

قال السيوطي عن كتاب الكرمانى هذا :

((ضمّنه أقوالاً - ذكرت في معاني آيات - منكرة لا يحل الاعتماد عليها

١- كما صنع في : ١ / ٢٥٠ .

٢- أي من أسرار الفواتح .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٧٠ ، ومن مواضع رجوعه إلى كتاب ((البرهان)) باسمه : ١ / ١٠٠ .

٤- انظر ((البرهان)) : ١ / ١٦٩ - ١٧٠ .

٥- الشيخ برهان الدين أبو القاسم ، عمود بن حمزة بن نصر الكرمانى المعروف بـ (تاج القراء) .

إمام محقق ، ثقة . كان في حدود الخمسمائة وتوفي بعدها . له عدة مؤلفات . انظر ((غاية النهاية)) : ٢ / ٢٩١ ،

و ((معجم الأدباء)) : ١٩ / ١٢٥ ، و ((طبقات المفسرين)) للدوادى : ٢ / ٣١٢ - ٣١٣ .

ولا ذكرها إلا للتحذير منها ^(١) .

وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب مرات عديدة ، وكان يرجع إليه تارة باسم ((غرائب التفسير)) ^(٢) - وقد يقتصر على قوله : قال الكرمانى في ((غرائبه)) ^(٣) - وتارة باسم ((العجائب)) ^(٤) .

وقد يكتفى بذكر اسم المصنف دون اسم كتابه ^(٥) ، ومراجعة كتاب ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) يتبين أن مقصود السيوطي هو هذا الكتاب .

ومن المواضع التي رجع فيها السيوطي إلى هذا الكتاب قوله :
((وقال الكرمانى في غرائبه في قوله ﴿ اَلْمَعَا حِ سِبَ النَّاسِ ﴾ ^(٦) :
الاستفهام - هنا - يدل على انقطاع الحروف عما بعدها في هذه السورة وفي غيرها)) ^(٧) .

أي ليس لحروف الفواتح تعلق بما بعدها ، إنما جيء بها - على هذا الرأي -
للتنبية ونحوه .

١- ((الإتقان)) : ٢ / ١٨٦ ، وفيه نماذج لبعض تلك الأقوال .

وقد نصّ المصنف في كتابه أنه لم يشغل ((بذكر الآيات الظاهرة والوجوه المعروفة المتظاهرة ، ولا يذكر الأسباب والنزول ، والقصاص والفصول ، فإني قد أودعت جميع ذلك في كتابي الموسوم بـ ((لباب التفسير)) :
((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) : ١ / ٨٨ .

فعل عزوفه عن ذكر الوجوه المعروفة في التفسير هو الذي أدى به إلى ذكر كثير من الأقوال المنكرة الغريبة ، والله أعلم .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٧ .

٣- المصدر السابق : ١ / ١٥٧ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٦٦ .

٥- المصدر السابق : ١ / ١٠٧ ، ٤٨١ ، ٤٩٨ .

٦- سورة العنكبوت : آية ١ ، ٢ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٥٧ .

وقد نقل السيوطي هذا النص بحروفه تقريباً^(١) .

٤ - ((فضائل القرآن)) لأبي عُبيد^(٢) .

وهذا الكتاب مصنف على أبواب ، في كل باب منها بضعة أحاديث وآثار بأسانيدٍ خرَّجها المصنف لنفسه .

وقد أكثر السيوطي من النقل عنه ، فمن تلك المواضع قوله في المواضع التي نسخت فيها التلاوة دون الحكم :

((وأمثلة هذا الضرب كثيرة ، قال أبو عُبيد :

حدثنا إسماعيل بن إبراهيم^(٣) عن أيوب^(٤) عن نافع^(٥) عن ابن عمر^(٦) قال :

((لا يقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله ، وما يدريه ما كلُّه ؟ قد ذهب منه قرآن

كثير ، ولكن ليقُلْ قد أخذت منه ما ظهر))^(٧) .

١ - ((غرائب التفسير)) : ٢ / ٨٧٧ .

٢ - الإمام المشهور أبو عُبيد القاسم بن سلام بن عبد الله . حافظ ، مجتهد ، ذوقنون ، ثقة ، دين . كان أبوه سلام مملوكاً رومياً لرجل هَرَوَزي . وُلِدَ أبو عبيد سنة ١٥٧ .

وقد صنف التصانيف التي سارت بها الركبان ، وقدم بغداد فحدّث بها وصنف ، ثم حج فتوفي بمكة سنة ٢٢٤ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٠ / ٤٩٠ - ٥٠٩ .

٣ - إسماعيل بن إبراهيم بن يقْظَم الأسدي بالولاء ، أبو بشر البصري ، المعروف بـ (ابن عُليّة) . ثقة حافظ . مات سنة ثلاث وتسعين ومائة ، وهو ابن ثلاث وثمانين سنة . أخرج عنه الستة . ((التقريب)) : ١٠٥ .

٤ - أيوب بن أبي تيممة كَيْسَان السُّخْتِيَانِي ، أبو بكر البصري . ثقة ثبت حجة ، من كبار الفقهاء العباد . مات سنة إحدى وثلاثين ومائة وله خمس وستون سنة ، أخرج عنه الستة . ((التقريب)) : ١١٧ .

٥ - أبو عبد الله المدني ، مولى ابن عمر ، ثقة ثبت فقيه ، مشهور . مات سنة سبع عشرة ومائة أو بعد ذلك ، أخرج عنه الستة . ((تقريب التهذيب)) : ٥٥٩ .

٦ - أبو عبد الرحمن . ولد بعد المبعث ببصرى ، وهو أحد المكثرين من الصحابة ، وكان من أشد الناس اتباعاً للأثر . مات سنة ثلاث وسبعين في آخرها أو أول التي تليها ، انظر ((تقريب التهذيب)) : ٣١٥ .

٧ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢٤ .

وإسناد هذا الأثر صحيح - إن شاء الله تعالى - فرجاله أئمة ، لكن القرآن هو ما جمعه عثمان - رضي الله عنه - أما ما رفع منه فليس بقرآن بعد رفعه ، ومثل هذا الأثر تُلبس على العامة الذين لا يدرون ما المرفوع من القرآن ، وإذا سئل أحد عن القرآن أي قراءته له أو حفظه إياه فليجب بقوله : حفظته كله أو قرأته كله أو ما شابه هذا ، منعاً للتلبس ، والله أعلم .

ثم ذكر تسعة آثار أخرى من كتاب أبي عُبيد ، وقد كان نقله من هذا الكتاب بالنص تقريباً^(١) .

٥ - ((مفردات ألفاظ القرآن)) للراغب الأصبهاني ، رحمه الله تعالى :
هذا كتاب مهم ، فريد في بابه ، لما فيه من الترتيب والكلام الحسن على معاني الألفاظ القرآنية ، وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب مراراً تارة باسم المصنف^(٢) ، وأخرى باسم كتابه^(٣) .

فمن تلك المواضع التي رجع إليها ذاكراً اسم الكتاب قوله :
((وقال الراغب في ((مفردات القرآن)) :
الآيات عند اعتبار بعضها ببعض ثلاثة أضرب :
محكم على الإطلاق ، ومتشابه على الإطلاق ، ومحكم من وجه متشابه من وجه .
فالمتشابه بالجملة ثلاثة أضرب :
متشابه من جهة اللفظ فقط ، ومن جهة المعنى فقط ، ومن جهتهما ...))
ثم أخذ في تقرير أحوال المتشابه في القرآن في كلام طويل^(٤) .
وقد تصرف السيوطي قليلاً في نقل كلام الراغب^(٥) .

١- انظر ((فضائل القرآن)) : ١٩٠ - ١٩٣ .

ومن المواضع التي نقل منها السيوطي من ((فضائل القرآن)) : ١ / ١٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٦٩ .

٢- انظر - مثلاً - ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٧٩ ، ٣٤٥ ، ٤٠٣ .

٣- المصدر السابق : ١ / ١٤٣ .

٤- المصدر السابق : ١ / ١٤٣ - ١٤٦ .

٥- انظر ((مفردات ألفاظ القرآن)) : ٢٦٠ - ٢٦٢ .

ثالثاً : مصادره في الحديث الشريف :

كتاب ((معترك الأقران)) مليء بالأحاديث والآثار ، رجع السيوطي فيه إلى عدد ضخم من المصادر الحديثية المتنوعة كان منها :

١- الجامع الصحيح للإمام البخاري^(١) :

وقد رجع إليه كثيراً ، فمن ذلك قوله :

((أخرج البخاري عن ابن عباس قال :

قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - :

فيمن ترون نزلت هذه الآية : ﴿يَا أَيُّدُ أَحَدُكُمْ﴾^(٢) ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

فغضب عمر فقال : قولوا نعلم أولاً نعلم .

فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء .

فقال : يا ابن أخي : قل ولا تحقر نفسك . قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل .

قال عمر : أي عمل ؟

قال ابن عباس : لعمل رجل غيّر يعمل بطاعة الله ، ثم بعث الله له الشيطان

فعمل بالمعاصي حتى أحرق أعماله))^(٣) .

وقد أخرجه الإمام البخاري باختلاف يسير في الألفاظ التي ساقها السيوطي

لكن كان التفسير للآية من قبل عمر لا من قبل ابن عباس رضي الله عنهم ، فلعل

السيوطي اعتمد على نسخة أخرى غير التي بأيدينا وأنه وهم ، والله أعلم .

١- الإمام الحافظ أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي بالولاء . ولد سنة ١٩٤ ببخارى ، وطلب العلم صغيراً ، ثم ارتحل وعمره ست عشرة سنة ، وابتدأ التصنيف وعمره ثمان عشرة سنة وله تصانيف معتبرة نفيسة ، وهو أحد حفاظ الإسلام الكبار . توفي سنة ٢٥٦ في خرقنك - قرية من أعمال سمرقند - ودفن بها .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٢ / ٣٩١ - ٤٧١ .

٢- سورة البقرة : آية ٢٦٦ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٦٨ .

ونص البخاري هو :

((قال عمر ، رضي الله عنه ، يوماً لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - :

فيم ترون هذه الآية نزلت : ﴿ أَيَوَّدُ أَحَدُكُمْ أَنْ تَكُونَ لَهُ رَجَنَةٌ ﴾ ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم .

فغضب عمر فقال :

قولوا نعلم أو لانعلم .

فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين .

قال عمر : يا ابن أخي : قل ولا تحقر نفسك .

قال ابن عباس : ضربت مثلاً لعمل .

قال عمر : أيُّ عمل ؟

قال ابن عباس : لعمل .

قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله - عز وجل - ثم بعث الله له الشيطان

فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله))^(١) .

وقد أفرد فصلاً في أحاديث نبوية تفسر آيات قرآنية ساقها من صحيح

البخاري^(٢) .

٢ - المستدرك على الصحيحين للحاكم^(٣) .

وقد رجع إليه كثيراً ، فمن ذلك قوله :

١- أخرجه الإمام البخاري في كتاب التفسير : باب تفسير سورة البقرة : ٦ / ٣٩ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٦٢٢ - ٦٤٦ .

وانظر كذلك في رجوعه إلى صحيح البخاري : ١ / ٤٧٩ ، ٤٩٤ ، ١١٣ / ٣ .

٣- المحافظ محمد بن عبد الله بن محمد ، أبو عبد الله ابن البيهقي الطهماني النيسابوري . ولد بنيسابور سنة ٣٢١ ،

وطلب العلم في صغره وله من العمر تسع سنوات . كان من بحور العلم ، وله تصانيف ، وكان يميل إلى التشيع .

توفي سنة ٤٠٥ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ١٦٢ - ١٧٧ .

((أخرج الحاكم في ((المستدرک)) عن أبي بن كعب^(١) قال : قال لي رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن ، فقراً : ﴿ لَتَرِيكَنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِّينَ ﴾^(٢) ومن بقيتها : لو أن ابن آدم سأل وادياً من مال فأعطيه سأل ثانياً ، وإن سأل ثانياً سأل ثالثاً ، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ، ويتوب الله على من تاب ، وإن ذات الدين عند الله الحنيفية السمحة غير اليهودية ولا النصرانية ، ومن يعمل خيراً فلن يكفره))^(٣) .

والآيات الواردة في هذا الحديث بعد الآية الأولى قد نُسخَتْ ورُفِعت فيما رُفِع من القرآن في حياة النبي ، صلى الله عليه وسلم .

٣ - مسند الإمام أحمد :

وقد رجع إليه كثيراً فمن ذلك قوله :

((وفي مسند أحمد عن علي بن أبي طالب قال : حدثنا رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

((ألا أخبركم بأفضل آية في كتاب الله - تعالى - حدثنا بها رسول الله - صلى الله عليه وسلم :

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾^(٤)

١- أبي بن كعب بن قيس الأنصاري الخزرجي ، أبو المنذر ، سيد القراء . من فضلاء الصحابة . اختلف في سنة موته اختلافاً كثيراً قبل سنة تسع عشرة ، وقبل سنة اثنتين وثلاثين ، وقبل غير ذلك ، أخرج له أصحاب الكتب الستة . انظر ((التقریب)) : ٩٦ .

٢- سورة البينة : آية ١ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢٧ ، ومن مواضع رجوعه للمستدرک - وهي كثيرة - : ١ / ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٣٧ ، ... ١٥٢ .

وهذا الحديث أخرجه الحاكم - كما قال السيوطي - وقال : ((حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه)) ، ووافقه الذهبي ، انظر ((المستدرک)) : ٢ / ٢٤٤ ، وفي ألفاظ الحديث عند الحاكم اختلافٌ يسير عما أورده السيوطي .

٤- سورة الشورى : آية ٣٠ .

وسأفسرها لك يا علي^(١) :

ما أصابكم من مرض أو عقوبة أو بلاء في الدنيا فيما كسبت أيديكم ، والله
أكرم من أن يثني بالعقوبة ، وما عفا الله عنه في الدنيا فالله أحلم من أن يعود بعد
عفوه^(٢) ^(٣) .

١- هكذا السياق في ((معترك الأقران)) ، وفي ((المسند)) : ٢ / ٦٤٩ بتحقيق الشيخ أحمد شاكر ، وفي ((الفتح
الرباني)) : ٢٦٥ / ١٨ .

وإنما قلت ذلك لأنه يبدو من ظاهر السياق أن هناك انقطاعاً بين تمام الآية وبين ((وسأفسرها لك يا علي)) ، لكن
المعنى مفهوم ، والله أعلم .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٧٥ ، وانظر كذلك - في رجوعه لمسند الإمام أحمد - : ١ / ٤٨٨ ، ٥١١ في مواضع
كثيرة .

وهذا الحديث قد أخرجه الإمام أحمد في المسند في مسند علي رضي الله عنه : ٢ / ٦٤٩ . وفي بعض ألفاظه
اختلاف يسير عما أورده السيوطي . وقد حكم الشيخ أحمد شاكر على إسناد هذا الحديث بأنه حسن كما في
((المسند)) : ٢ / ٦٤٩ ، وقال الشيخ أحمد البنا :

((والحديث له طرق كثيرة ترفعه إلى درجة الحسن)) : ((الفتح الرباني)) : ٨ / ٢٦٦ .

٣- وقد رجح السيوطي - أيضاً - بكثرة لسنن البيهقي ، و ((شعب الإيمان)) له ، وسنن سعيد بن منصور ، وصحيح
مسلم وغيرها ، وانظر فهرس مصادر السيوطي في تَبَيَّن الفهارس الملحق بآخر هذه الرسالة .

رابعاً : مصادره من كتب العقيدة :

رجع السيوطي - رحمه الله تعالى - إلى عدد يسير من كتب العقيدة ، كان منها :

١- ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة من الكتاب والسنة وإجماع الصحابة والتابعين من بعدهم)) للإمام أبي القاسم اللالكائي .

وقد سماه السيوطي اختصاراً بـ ((السنة)) .

وهو كتاب مليء بالأحاديث ، وبالأثار عن أئمة السلف من صحابة وتابعين ومن بعدهم ، رضي الله عنهم .

وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب في الوجه التاسع من أوجه الإعجاز التي ساقها وهو : ((انقسامه إلى محكم ومتشابه)) عند الحديث عن آيات الصفات ، فقال :

((جمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد إلى الله - تعالى - ولا نفسرها مع تنزيهنا له عن حقيقتها .

أخرج أبو القاسم اللالكائي من طريق في ((السنة)) عن الحسن^(١) عن

١- الحسن بن أبي الحسن يَسَار ، أبو سعيد البصري ، مولى زيد بن ثابت رضي الله عنه . وأبوه يسار من سبي ميسان [بين البصرة وواسط] سكن المدينة وأعتق وتزوج بها في خلافة عمر فولد له بها الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر . كان سيد أهل زمانه علماً وعملاً . وكان يدلس ومراسيله ليست بذلك . قال أيوب : كان الحسن يتكلم بكلام كأنه الدُر . مات سنة عشر ومائة ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٤ / ٥٦٣ - ٥٨٨ .

أمه^(١) عن أم سلمة^(٢) في قوله : ﴿الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى﴾^(٣) .
قال^(٤) : الكيف غير معقول ، والاستواء غير مجهول ، والإقرار به من الإيمان ،
والجحد به كفر^(٥) .

٢ - ((شرح آيات الصفات)) لابن اللبان^(٦) :

قد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب كثيراً في الوجه التاسع من وجوه الإعجاز
التي ساقها - وهو ((انقسامه إلى محكم ومتشابه)) - فذكر في فصل آيات الصفات

- ١- اسم أم خيرة - كما في ((سير أعلام النبلاء)) : ٥٦٤/٤ - وقال الحافظ ابن حجر :
مولاة أم سلمة : مقبولة ، روى عنها وأخرج لها مسلم والأربعة ، وهي من الطبقة الثانية من الرواة .
انظر ((التقريب)) : ٧٤٦ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٤٤٥/١٢ .
- ٢- السيدة الطاهرة هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية ، بنت عم خالد بن الوليد سيف الله وبنت عم أبي جهل .
من المهارجات الأول . كانت قبل النبي - صلى الله عليه وسلم - عند أخيه من الرضاعة أبي سلمة بن عبد الأسد ،
ودخل بها النبي صلى الله عليه وسلم في سنة أربع من الهجرة ، وكانت من أجهل النساء وأشرفهن نسباً . لها جملة
أحاديث ، وأخرج عنها أصحاب الكتب الستة ، وهي آخر من مات من أمهات المؤمنين حيث عاشت تسعين سنة
تقريباً وماتت سنة ٦١ . رضي الله عنها .
((انظر سير أعلام النبلاء)) : ٢٠١/٢ - ٢١٠ .
- ٣- سورة طه : آية ٥ .
- ٤- في ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) : قالت ، وهو الصواب .
وقد نقل محقق الكتاب عن شيخ الإسلام ابن تيمية قوله : ((روي هذا الجواب عن أم سلمة - رضي الله عنها - موقوفاً
ومرفوعاً ولكن ليس إسناده مما يعتمد عليه)) ، وانظر ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) : ٣٩٧/٣ .
وقد راجعت إسناده اللالكائي في كتابه فإذا فيه عدد من الرجال لم أعثر لهم على ترجمة ، والله أعلم .
- ٥- ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة)) : ٣٩٧/٣ ، و ((معترك الأقران)) : ١٤٧/١ . وقد ذكر السيوطي رواية
أخرى عن اللالكائي في مسألة الصفات : انظر ١٤٧/١ أيضاً .
- ٦- محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الأسعدي ثم الدمشقي ، نزيل القاهرة ، شمس الدين بن اللبان . ولد سنة ٦٨٥ أو
نحوها ، وتفقه وبرع في الفنون ، واتهم بكلمات ضبطت عليه على طريق أهل الاتحاد . وكان عارفاً بالفقه والأصولين
[أصول الدين وأصول الفقه] والعربية ، أديباً ذكياً ، فصيحاً ، ذا همة وصرامة وإنجماع . مات في الطاعون العام
سنة ٧٤٩ . انظر ((الدرر الكامنة)) : ٤٢٠/٤ - ٤٢١ .
ولم أجد تفسيراً لنسبه ((الأسعدي)) فيما بحثت فيه من مظان ، والله أعلم .
ولعل كتابه هذا هو : ((إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات)) وهو مخطوط ، أو
((رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات)) وهو مطبوع ، وانظر ((الأعلام)) : ٣٢٧/٥ .

أن لابن اللبان فيها تصنيفاً مفرداً^(١) ، ثم ساق جملة من كتابه هذا في ثانياً هذا المبحث ، وكان مما ذكره عنه قوله :

((وقال ابن اللبان : فإن قلت : فما حقيقة اليدين في خلق آدم ؟ قلت : الله أعلم بما أراد ، ولكن الذي استفسرته من تدبر كتابه أن اليدين استعارة لنور قدرته القائم بصفة فضله ، ولنوره القائم بصفة عدله ، ونبه على تخصيص آدم وتكريمه بأن جمع له في خلقه بين فضله وعدله ...))^(٢) .

وليت ابن اللبان - رحمه الله تعالى - توقف عند قوله : الله أعلم بما أراد ، حيث إن الذي ذكره بعد ذلك هو من التأويل الذي ليس عليه دليل ، وأمر الصفات عظيم لا يتكلم فيه بمثل هذا ، والله أعلم .

١- ((معترك الأقران)) : ١٤٦/١ .

٢- المصدر السابق : ١٥١/١ - ١٥٢ .

خامساً : مصادره من كتب الفقه :

أكثر السيوطي - رحمه الله تعالى - من ذكر المسائل الفقهية ، لكنه كان يذكرها بدون رجوع إلى مصدر معين^(١) إلا في النادر ، فمن ذلك كتاب ((فتاوى قاضيهان))^(٢) ، حيث قال السيوطي :
((وفي ((فتاوى قاضيهان)) :
لابأس أن يطرح القملة حية ، والأدب أن يقتلها))^(٣) .

ونصّ مافي الفتاوى :
((ويباح قتل القملة بكل حال ، ويكره إحراقها وإحراق العقرب بالنار ، فإن طرح القملة حيةً لابأس به ، والأدب أن يقتلها))^(٤) .

-
- ١- انظر ((معترك الأقران)) : ٢١/٢ ، ٢٧-٢٨ ، ٣٣ ، ٣٤-٣٥ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٠ ...
 - ٢- العلامة شيخ الحنفية ، أبو المحاسن حسن بن المنصور بن محمود البخاري الحنفي الأورجندي ، صاحب التصانيف . سمع من طائفة ، وأملى مجالس كثيرة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢١/٢٣١-٢٣٢ .
وفي ((كشف الظنون)) :
 - ((المتوفى سنة ٥٩٢ هـ ، وهي [أي فتاواه] مشهورة مقبولة معمول بها متداولة بين أيدي العلماء والفقهاء ، وكانت هي نصب عين من تصدر للحكم والإفتاء ، ذكر في هذا الكتاب جملة من المسائل التي يغلب وقوعها ونمّس الحاجة إليها ، وتدور عليها واقعات الأمة ، وترتيبها على ترتيب الكتب المعروفة ، بين لكل فرع أصلاً ، وفيما كثرت فيه الأقاويل من المتأخرين اقتصر منه على قول أو قولين ، وقدم ماهو الأظهر)) : ((كشف الظنون)) : ١٢٢٧/٢ .
 - ٣- ((معترك الأقران)) : ٣/٢١٧ .
 - ٤- ((فتاوى قاضيهان)) : ٣/٤١١ .

سادساً : مصادرہ من كتب الأصول :

ذكر السيوطي مباحث أصولية كثيرة في كتابه^(١) ، لكن كان الشأن فيها كالشأن في مباحث الفقه حيث لم يصرح بمصادره التي رجع إليها إلا في النادر ، ومن ذلك :

١ - ((الرسالة)) للإمام الشافعي - رحمه الله تعالى - حيث قال السيوطي :

((قال الشافعي في ((الرسالة)) : لا يحيط باللغة إلا نبي))^(٢) .

ونص الشافعي :

((ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً ، وأكثرها ألفاظاً ، ولانعلمه يحيط

بجميع علمه إنسان غير نبي))^(٣) .

٢ - ((المحصول في أصول الفقه)) للرازي :

قد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب مرة واحدة حيث قال في الوجه الثامن والعشرين من وجوه الإعجاز وهو ((احتواؤه على الخير والإنشاء)) :

((وقد اختلف الناس في حد الخبر ، فقليل : لأبعد لعسره ، وقيل لأنه ضروري ؛

لأن الإنسان يفرق بين الإنشاء والخبر ضرورة ، ورجحه الإمام في ((المحصول))^(٤) .

١- وذلك في الوجه الرابع عشر والخامس عشر والسادس عشر ، وانظر ((معترك الأقران)) : ٢٠٧/١ - ٢٢٨ ،

وذلك خلافاً للمباحث الأصولية المتفرقة في كتابه وذلك نحو ما جاء في ١٠٨/١ ، ١٣٦ ، ٢٤٦ ، ٣٠٤/٢ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٦ .

٣- ((الرسالة)) : ٤٢ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٢٠ - ٤٢١ .

وكتاب ((المحصول)) مطبوع .

سابعاً : مصادره من كتب اللغة العربية :

ومراجعها عند السيوطي كثيرة متعددة ما بين نحو وصرف وبلاغة .

١ - مصادره من كتب النحو :

أما كتب النحو التي رجع إليها فهي قليلة ، منها :

((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) لابن هشام^(١) ، رحمه الله تعالى :

وهو كتاب واسع فريد ، فيه مباحث متعددة جمع فيها ((الحروف والأدوات ، فتحدث عن كل منها في باب خاص جمع فيه كل ما يتصل بالأداة من قواعد وأحكام ، وما يُمثل لها من شواهد ، ثم أفرد أبواباً أخرى لأحكام عامة تتصل بأشباه الجمل ، والجمل ، وأقسامها ، والذكر والحذف ، والمظان التي توقع العرب في الخطأ ، وتصحيح ما شاع من ذلك ، وأصول توجيه الإعراب ...))^(٢) .

وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب مراراً ، فمن ذلك قوله عند الكلام على حذف المفعول اختصاراً في الوجه السادس والعشرين من وجوه الإعجاز ، وهو : ((إيجازه في آية وإطنايه في أخرى)) :

١- جمال الدين أبو محمد عبد الله بن يوسف بن عبد الله . ولد سنة ٧٠٨ هـ ، وتفقّه للشافعي ثم تحبّل ، وأتقن العربية ففاز فيها الأقران بل الشيوخ ، وتخرّج به جماعة من أهل مصر . انفرد بالفوائد الغريبة ، والمباحث الدقيقة ، والاستدراكات العجيبة ، والتحقيق البالغ ، والإطلاع المُفْرَط . توفي سنة ٧٦١ هـ ، مصر .
انظر ((الدرر الكامنة)) : ٢ / ٤١٥ - ٤١٧ . وكتابه هذا مطبوع مشهور متداول .

٢- مقدمة تحقيق ((مغني اللبيب)) : ٦ .

((قال ابن هشام :

جرت عادة النحويين أن يقولوا بحذف^(١) المفعول اختصاراً واقتصاراً ، ويريدون بالاختصار الحذف للدليل ، وبالاقتصار الحذف لغير دليل ، ويمثلونه بنحو ﴿كُلُوا وَاشْرَبُوا﴾^(٢) أي أوقعوا هذين الفعلين .

والتحقيق أن يقال [يعني كما قال أهل البيان]^(٣) :

تارة يتعلق الغرض بالإعلام بمجرد وقوع الفعل من غير تعيين مَنْ أوقعه ومن أوقع عليه ، فيجاء بمصدره مسنداً إلى فعل كَوْنٍ عامٍ فيقال : حصل حريق أو نهب .

وتارة يتعلق بالإعلام بمجرد إيقاع الفعل للفاعل فيقتصر عليهما ولا يذكر المفعول ولا يُنوى ؛ إذ المنوي كالثابت ، ولا يسمى محذوفاً ؛ لأن الفعل ينزل لهذا القصدر منزلةً مالا مفعول معه ، ومنه ﴿رَبِّ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ﴾^(٤) ... إذ المعنى ربي الذي يفعل الإحياء والإماتة ...

وتارة يُقصد إسناد الفعل إلى فاعله وتعليقه بمفعوله فيذكران نحو :

﴿لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ﴾^(٥) ﴿وَلَا تَقْرَبُوا أَمْوَالَكُمْ﴾^(٦) ، وهذا النوع إذا لم يذكر محذوفه^(٧) قيل محذوف ...^(٨) .

١- في ((المغني)) ٧٩٧ : ((يُحذف)) ، والمعنى في كليهما صحيح .

٢- سورة الأعراف : آية ٣١ .

٣- هذه الجملة تفسيرية من السيوطي .

٤- سورة البقرة : آية ٢٥٨ .

٥- سورة آل عمران : آية ١٣٠ .

٦- سورة الإسراء : آية ٣٢ .

٧- في ((المغني)) : (مفعوله) وهو الصواب ، انظر ص ٧٩٨ .

٨- ((معترك الأقران)) : ٣٠٩/١ - ٣١٠ .

وقد تصرف السيوطي في كلام ابن هشام تصرفاً يسيراً^(١) ^(٢).

٢ - مصادره من كتب الصرف^(٣) : أما كتب الصرف فإنه لم يصرح بمصادره منها مع أنه ذكر عدة مباحث صرفية^(٤) ، لكن يمكن عدُّ كتاب ((ليس في كلام العرب)) لابن خالويه^(٥) مصدراً من مصادر السيوطي في علم الصرف ، وقد رجع إليه السيوطي مراراً .

وإنما قلت يمكن عدُّه مصدراً من مصادر السيوطي في علم الصرف لأن الكتاب لم يُجعل في الأصل لبيان أحوال أبنية الكلام ، لكن ابن خالويه أتى بكثير من الأبنية وقاس عليها ما جاء في كلام العرب موافقاً لها ، وحكم على أبنية أخرى أنه لم يأت في كلام العرب على وزنها ، وذلك نحو قوله :

((ليس في كلام العرب واو وقعت بين ياء وفتحة ، ... فسقطت لإحرفاً واحداً وهو (يَذَرُ) ، والأصل : يَوَذَرُ .

وقياس الواو إذا وقعت بين ياء وفتحة أن تثبت مثل (يَوَحِل) ، و (يَوَجِل) ، فإن وقعت بين ياء وكسرة سقطت مثل : (يَزِن) و (يَعِدُّ) ، وأصله (يَوَزِن) و (يَوَعِدُّ) ،

١ - انظر ((المغني)) : ٧٩٧ - ٧٩٨ .

٢ - وقد نقل السيوطي عن ((مغني اللبيب)) نقلاً طويلاً في موضع آخر ، انظر ((معترك الأقران)) : ٣١٤/١ - ٣١٥ . وانظر كذلك من مواضع نقله عن ((المغني)) : ٥٧٧/١ ، ٥٧٩ ، ٥٨١ ، وقد صرح السيوطي باسم الكتاب في ٥٨٣/١ .

وقد رجع السيوطي إلى عدد آخر من كتب اللغة مثل ((شرح الكافية)) لابن مالك ، و ((ارتشاف الضرب من لسان العرب)) لأبي حيان ، وهو اختصار لكتاب ((التذيل والتكميل في شرح التسهيل)) لأبي حيان أيضاً ، و ((شرح التسهيل)) لابن مالك ، وانظر فهرس مصادر ومراجع السيوطي في آخر الكتاب ؛ ففيه بيان لتلك الكتب كلها .

٣ - الصرف هو ((علم بأصول تُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب)) : ((شرح شافية ابن الحاجب)) : ١/١ .

٤ - انظر - مثلاً - ((معترك الأقران)) : ١٨/٢ ، ١٩ ، ٦٩ .

٥ - الحسين بن أحمد بن خالويه بن حمدون ، أبو عبد الله النحوي اللغوي ، نزيل حلب الإمام المشهور . له تصانيف كثيرة في القرآن والقراءات واللغة . مات بحلب سنة ٣٧٠ . انظر ((غاية النهاية في طبقات القراء)) : ٢٣٧/١ .

وإنما جاز ذلك لأنهم بنوا (يَذَرُ) على (يَدَع) ؛ إذ كان لا يُنطق منهما بـ (فَعَلَ) ولا : (فاعِلَ) ، ولا: (مفعول) ، ولا مصدر ، فاعرف ذلك))^(١) .

ونحو قوله أيضاً :

((ليس في كلام العرب : (فَعِلَ يَفْعِلُ) بكسر العين في الماضي والمستقبل^(٢) من الصحيح إلا ثلاثة أحرف : نَعِمَ يَنعِم ، وَيَسِرُ يَسِرُ ، وَيَسُتُ يَسُتُ ...))^(٣) .

ومن مواضع رجوع السيوطي إلى هذا الكتاب قوله :

((وقال ابن خالويه في كتاب ((ليس)) :

ليس في كلام العرب لفظُ جَمَعَ لغاتٍ (ما) النافية إلا حرف واحد في القرآن جمع اللغاتِ الثلاث ، وهي قوله تعالى :

﴿ مَا هِيَ إِلَّا أُهْتِهْم ﴾^(٤) ، قرأ الجمهور بالنصب ، وقرأ بعضهم بالرفع^(٥) ، وقرأ ابن مسعود : (مَا هِيَ إِلَّا أُهْتِهْم)^(٦) بالباء .

قال : وليس في القرآن لفظ على (إِفْعُولِ) إلا في قراءة ابن عباس :

(أَلَا إِنَّهُمْ تَنْتُونِي صُدُورُهُمْ)^(٧) ((^(٨) .

١- ((ليس في كلام العرب)) : ٤١ .

٢- قد يطلق المستقبل على المضارع كما هو هنا .

٣- ((ليس في كلام العرب)) : ٤٤ - ٤٥ .

٤- سورة المجادلة : آية ٢ .

٥- وهي قراءة المفضل عن عاصم ، وهي قراءة شاذة ، وانظر ((البحر المحيط)) : ٨ / ٢٣٢ .

٦- وهي قراءة شاذة ، وانظر المصدر السابق .

٧- سورة هود : آية ٥ .

وهذه قراءة شاذة ، وانظر ((الختسب)) : ١ / ٣١٨ . وقد ذكر ابن جني أن وزن الكلمة (تَفْعُولِ) .

٨- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٨٢ . ولم أجد هذا النص في كتاب ((ليس)) المطبوع .

٣ - وأما كتب البلاغة التي رجع إليها فكثيرة منها :

١ - ((بديع القرآن)) لابن أبي الإصبع رحمه الله تعالى :
قد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب في مواضع كثيرة جداً ، فمن ذلك قوله متحدثاً عن الإيجاز في الوجه السادس والعشرين من وجوه الإعجاز التي أتى بها في كتاب ((المعترك)) : ((إيجازه في آية وإطنابه في أخرى)) :
((وقوله : ﴿ فَأَصْدَغَ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾ ^(١)) ، قال ابن أبي الإصبع :
المعنى : صرّح بجميع ما أوحى إليك ، وبلغ كل ما أمرت ببيانه ، وإن شقّ بعض ذلك على بعض القلوب فأنصدمت ، والمشابهة بينهما فيما يؤثّرهُ التصريح في القلوب فيظهر أثر ذلك على ظاهر الوجوه من القبض والانبساط ، ويلوح عليها من حيث علامات الإنكار أو الاستبشار ، كما يظهر على ظاهر الزجاجية المصدوعة ، فانظر إلى تحليل هذه الاستعارة ، وعظيم إيجازها ، وما انطوت عليه من المعاني الكثيرة)) ^(٢) .

٢ - ((عروس الأفراح)) لبهاء الدين السبكي رحمه الله تعالى :
وهذا الكتاب شرح فيه السبكي ((تلخيص المفتاح)) للشيخ جلال الدين محمد القزويني ^(٤) ، وكتاب ((مفتاح العلوم)) من تأليف السكاكي ^(٥) .

١ - سورة الحجر : آية ٩٤ .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٩٩ - ٣٠٠ .

ومن مواضع رجوعه إلى هذا الكتاب : ١ / ٣٩ ، ٥٠ ، ٢٦٩ ، ٢٧٥ ، ٢٩٩ ، ٣٠٥ .

٣ - بهاء الدين أبو حامد أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي . ولد سنة ٧٢٩ . إمام علامة ، له فضائل وفيه أدب وتقوى . ساد وهو ابن عشرين سنة . مات مجاوراً بمكة سنة ٧٧٣ ، وله أربع وخمسون سنة وبضعة أشهر .

انظر ((الدرر الكامنة)) : ١ / ٢٢٤ - ٢٢٩ .

وهذا الكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ١ / ١٧٦ .

٤ - محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني ((قاضي القضاة)) العلامة ذو الفنون . مولده بالموصل سنة ست وستين وستمائة ، وسكن الروم وولي بها قضاء ناحية وله نحو من عشرين سنة ، وولي قضاء دمشق ، وولي خطابة الجامع الأموي مدة ، ثم ولي قضاء القضاة بالديار المصرية ، وبلغ من العز والوجاهة ما لا يوصف ، وكان فصيحاً ، حلّو العبارة ، سمحاً جواداً ، حليماً ، جمّ الفضائل . توفي بدمشق سنة ٧٣٨ . انظر ((وفيات الأعيان)) : ٣ / ٢٤٢ - ٢٤٣ .

٥ - يوسف بن أبي بكر السكاكي . أخذ عن جماعة ، وكان حنفياً ، إماماً كبيراً ، عالماً بارعاً متبحراً في النحو والتصريف ، وعلم المعاني والبيان والغروض والشعر . توفي سنة ٦٢٦ ، انظر ((شذرات الذهب)) : ٥ / ١٢٢ .

وقد شرح القزويني من ((المفتاح)) القسم الثالث الخاص بالبلاغة ، ثم شرح بهاء الدين السبكي شرح القزويني^(١) .

وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب كثيراً ، فمن ذلك قوله في الكلام على طرق الحصر وأن منها ضمير الفصل^(٢) حيث قال :

((وقد استنبط دلالة على الحصر في قوله :

﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(٣) لأنه لو لم تكن للحصر لما حُسِّنَ ، لأن الله لم يزل رقيباً عليهم ، وإنما حصل بتوفيته أنه لم يسبق لهم رقيب غير الله ، ومن قوله :

﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴾^(٤) ؛ فإنه ذكر لتبيين عدم الاستواء ، وذلك لا يحسن إلا بأن يكون الضمير للاختصاص^{(٥)(٦)} .

ثامناً : مصادره من كتب التاريخ :

رجع السيوطي إلى بعض كتب التاريخ ، منها :

١ - ((المبتدأ والمبعث والمغازي)) لابن إسحاق^(٧) رحمه الله تعالى .

١- انظر ((كشف الظنون)) : ١ / ٤٧٣ - ٤٧٧ .

٢- ((قد يقع الضمير المنفصل المرفوع في موقع لا يقصد به إلا الفصل بين ما هو خبر وما هو تابع ، ولا محل له من الإعراب ، ويقع فصلاً بين المبتدأ والخبر ، أو ما أصله مبتدأ وخبر نحو : ﴿ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقُّ ﴾ و ﴿ كُنْتُ أَنْتَ الرَّقِيبَ ﴾ ...))

((معجم النحو)) : ٢٢٠ - ٢٢١ .

٣- سورة المائدة : آية ١١٧ .

٤- سورة الحشر : آية ٢٠ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨٦ - ١٨٧ .

٦- انظر كذلك في رجوعه لهذا الكتاب : ١ / ٢٨٤ ، ٢٨٥ ، ٤٤٤ ، في مواضع كثيرة .

٧- محمد بن إسحاق بن يسار ، أبو عبد الله القرشي المطلي بالولاء ، المدني . ولد سنة ٨٠ ، ورأى أنس بن مالك بالمدينة . كان من أحفظ الناس ، وكان علامة في المغازي . مات سنة خمسين ومائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٧ / ٣٣ -

وهو من أهم كتب السيرة ، وقد فقدت أجزاء منه ، وطبع بعضه .
وقد رجع السيوطي إلى هذا الكتاب مراراً ، فمن ذلك مقاله في الوجه الثالث
والثلاثين من وجوه الإعجاز التي ساقها وهو : ((ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها)):

((﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ﴾ ^(١)) : قال ابن إسحاق :

أولاد آدم لصلبه أربع وعشرون بطناً ، كل بطن ذكر وأنثى ، وسُمِّي من بنيه قابيل
وهاييل ، وإسماد ، وشبونة ، وهند ، وضرايس ، ومخور ، وسند ، وبارق ،
وشيث ، وعبد المغيث ، وعبد الحارث ، ووَدّ ، وسُواع ، ويغوث ، ويعوق ،
ونسراً .

ومن بناته : أقليمية ، وأشوف ، وجزوزة ، وعين ، وعز ، ورا ، وأمة المغيث)) ^(٢) .

٢ - ((تاريخ دمشق)) للإمام ابن عساكر ^(٣) :

هذا كتاب فريد في تاريخ دمشق ، بل في تواريخ البلدان ، قد اعتنى به العلماء .
وقد رجع إليه الإمام السيوطي مراراً ، فمن ذلك قوله في ترجمة ذي الكفل - عليه
السلام - :

((وقال ابن عساكر : هو نبيّ تكفل الله له في عمله بضعف عمل غيره من الأنبياء .
وقيل : لم يكن نبياً ، وأن اليَسَعَ استخلفه فتكفل له أن يصوم النهار ويقوم الليل ،
وقيل : أن يصلي كل يوم مائة ركعة .

١ - سورة النساء : آية ١ .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٠٣ ، ولا يوجد هذا في المطبوع من سيرة ابن إسحاق .

ولا يخفى أن ضبط كثير من هذه الأسماء مما لا سبيل إليه لاختلاف المورخين فيها اختلافاً كثيراً ، والله أعلم .

ومن مواضع رجوع السيوطي إلى كتاب ابن إسحاق : ١ / ٤٩٠ ، ٥١٩ ، ٥٢١ .

٣ - الإمام العلامة ، الحافظ ، محدث الشام ، ثقة الدين أبو القاسم عليّ بن الحسن بن هبة الله الدمشقي الشافعي . ولد

سنة تسع وتسعين وأربعمائة . وقد غلب عليه الحديث فاشتهر به وبالغ في طلبه ، ورحل ، ولقي المشايخ . وكان دُنياً .

صنّف التصانيف المفيدة أجلّها ((تاريخ دمشق)) . توفي سنة إحدى وسبعين وخمسائة بدمشق ، رحمه الله تعالى .

انظر ((وفيات الأعيان)) : ٣ / ٣٠٩ - ٣١١ .

وقيل : هو اليسع وإن له اسمين ((^(١)).

وقال السيوطي أيضاً :

((وأخرج ابن عساكر في تاريخه عن عبد الله بن عمرو^(٢) - مرفوعاً - أن قوم مدين وأصحاب ليكة أمتان بعث الله إليهما شعبياً^(٣) ((^(٤)).

١- انظر ((مختصر تاريخ دمشق)) لابن منظور : ٨ / ٢٣١ - ٢٣٨ .

٢- عبد الله بن عمرو بن العاص السهمي ، أبو محمد . أحد السابقين الكثيرين ، وأحد العبادة الفقهاء . مات سنة ٦٣ بالطائف . انظر ((التقريب)) : ٣١٥ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٧٧ ، وقد ذكر السيوطي أن ابن كثير قال إن هذا الحديث غريب وفي رفعه نظر ، وانظر ((مختصر تاريخ دمشق)) : ١٠ / ٣٠٩ .

٤- وقد رجع السيوطي أيضاً إلى تاريخ المظفري ، انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٠١ . وانظر فهرس مصادر ومراجع السيوطي للاطلاع على تعريف ((تاريخ المظفري)) .

المطلب الثاني : منهجه في الاستفادة من المصادر والمراجع

قد مزج السيوطي كلامه بكلام العلماء ، واستدل على مسائل كتابه بإيراد عدد كبيراً من المسائل الشرعية واللغوية من مصادر ومراجع كثيرة متنوعة ، كما بينت آنفاً ، وطريقته في الاستفادة من هذه المصادر والمراجع - كما تبين لي بالنظر في كتابه - هي كالتالي ^(١) :

١ - النقل المحض :

قد ينقل السيوطي المبحث من كتب غيره ولا يتصرف فيه ، وهذا قليل في كتابه ؛ إذ أكثر نقله من كتب غيره قد تصرف فيه بوجه من وجوه التصرف الآتية . ومثال النقل المحض بدون تصرف قوله في الوجه السابع من وجوه الإعجاز التي أوردها - وهو ((ورود مشكله حتى يوهم التعارض بين الآيات)) - قال :

((قال الزركشي في ((البرهان)) :

للاختلاف أسباب :

أحدها : وقوع المخبر به على أحوال مختلفة وتطورات شتى ؛ كقوله في خلق آدم مرة ﴿ مِنْ تُرَابٍ ﴾ ^(٢) ، ومرة ﴿ مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ ﴾ ^(٣) ، ومرة : ﴿ مِنْ طِينٍ لَازِبٍ ﴾ ^(٤) ومرة ﴿ مِنْ صَلْصَلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾ ^(٥) فهذه ألفاظ مختلفة ، ومعانيها في أحوال مختلفة لأن الصلصال غير الحمأ ، والحمأ غير التراب ، إلا أن مرجعها كلها إلى جوهر وهو التراب ، ومن التراب تدرجت هذه الأحوال .

١- سأقتصر على ذكر طريقة استفادته من كتب غيره ، أما استفادته من بعض كتبه فقد سبق الكلام عليها ، انظر

الصفحات : ٢٣١ - ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥ من هذه الرسالة .

٢- سورة آل عمران : آية ٥٩ .

٣- سورة الحجر : آية ٢٦ .

٤- سورة الصافات : آية ١١ .

٥- سورة الرحمن : آية ١٤ .

وكقوله ﴿فَإِذَا هِيَ تُعْبَأُ﴾^(١) في موضع ، وفي موضع : ﴿تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ﴾^(٢) ، والجَانُّ : الصغير من الحيات ، والتعبأُ : الكبير منها ؛ وذلك لأن خلقها خلقُ الثعبان العظيم ، واهتزازها وحركتها وخفتها كاهتزاز الجان وحركته وخفته .
السبب الثاني : لاختلاف الموضوع ... ((^(٣)).

وهذا النقل المحض من غير تصرف قليل في كتابه - كما ذكرت - خاصة بهذا الطول ، وإنما يتصرف في غالب نقله بوجوه عدة من التصرف كما يظهر من الآتي .

٢ - التصرف في النقل وعدم الإشارة إلى هذا التصرف :

قد ينقل السيوطي كلام غيره دون أن يذكر أنه تصرف فيه ، فقد نقل عن الزركشي - رحمه الله تعالى - من كتابه ((البرهان)) في مواضع متعددة ، فمن ذلك ما نقله عنه في الكلام على افتتاح السور بالحروف المقطعة في الوجه الرابع من وجوه إعجازه وهو ((مناسبة آياته وسوره ...)) فقال :
((قال في ((البرهان)) : ومن ذلك افتتاح السور بالحروف المقطعة ...))^(٤).

وقد رجعت إلى ((البرهان)) فوجدت أن النقل كان بالمعنى مع إثباته - أحياناً - لبعض كلام المصنف ضمن كلامه ، لكن أكثر المنقول كان جامعاً بين الاختيار من النص وبين النقل بالمعنى ، ولم يميز انتهاء نقله من ((البرهان))^(٥) .

١ - سورة الشعراء : آية ٣٢ .

٢ - سورة القصص : آية ٣١ .

٣ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٠ - ١٠١ .

٤ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٧٠ وما بعدها .

٥ - ((البرهان)) : ١ / ١٦٩ - ١٧١ .

وقد نقل كلاماً لابن القيم - رحمه الله تعالى - من كتابه ((التبيان في أقسام القرآن)) في الوجه التاسع والعشرين من وجوه الإعجاز التي أوردها السيوطي - رحمه الله تعالى - وهو : ((إقسامه تعالى في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدا)) فقال : ((وقال ابن القيم : اعلم أنه سبحانه يقسم بأمور على أمور ...)) .

وقد رجعت إلى ((التبيان)) فوجدت أن السيوطي ينقل جملاً يختارها من كلام ابن القيم بحروفها ، ثم ينقل جملاً بعدها بصفحات وهكذا حتى إنه لخص نحو سبعين صفحة من كلام ابن القيم في نحو ثلاث صفحات^(١) مع ملاحظة أنه يكاد ينقل ما اختاره منها بحروفه تقريباً .

٣ - النقل مع التلخيص :

هذا النوع داخل في الذي قبله ؛ وإنما أفردته هاهنا كي لا يُظن أنني سهوت عنه ، وهذا النوع هو الغالب في كتابه هذا .

٤ - النقل مع التلخيص والإضافة :

أي أنه ينقل كلام مصنفٍ ملخصاً ثم يضيف عليه مادة أخرى ؛ وذلك نحو صنيعة في نقله من كتاب ((الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)) حيث قال في الوجه الخامس من وجوه الإعجاز التي ساقها وهو : ((افتتاح السور وخواتمها)) ، قال : ((والكلام في هذا الوجه عريض ، أفردته بالتأليف ابن أبي الإصبع في كتاب سَمَاه : ((الخواطر السوانح في أسرار الفواتح)) ، وها أنا أُلخص هنا مذكره مع زوائد من غيره ...)) .

فهو قد صرح هنا بالتلخيص مع الإضافة .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٥٣ - ٤٥٥ ، وانظر ((التبيان)) : ١ - ٧٣ .

٥ - الاختيار من المنقول :

وهو نوع من التلخيص لكنه أقل كلفة ؛ إذ ليس فيه عمل للناقل سوى الاختيار المحض بدون تصرف ، ومثال ذلك قول السيوطي - رحمه الله تعالى - في الوجه الحادي والثلاثين من وجوه الإعجاز ، وهو ((ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة)) : ((عقد جعفر بن محمد شمس الخلافة في كتاب ((الآداب))^(١) باباً في ألفاظ من القرآن جارية مجرى المثل ، وهذا هو النوع البديعي المسمى بـ ((إرسال المثل)) ، وأورد من ذلك قوله سبحانه :

﴿ لَيْسَ لَهُمَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾^(٢) .

﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾^(٣) ...

﴿ فَأَعْتِرُؤْا وَيَأْتُوا إِلَى الْأَبْصَرِ ﴾^(٤) ، في ألفاظ أخر^(٥) .

وهذه الجملة الأخيرة تعني أنه اختار اختياراً من المنقول .

٦ - خلط كلامه بالمنقول :

إذا أورد السيوطي أقوال الأئمة فإنه يبين في أحيان كثيرة مكان ابتداء النقل وانتهائه ، ولكنه يغفل - أحياناً - تحديد موضع انتهاء النقل فيخلط الكلام المنقول بكلام السيوطي فلا يتبين الناظر في الكتاب أي الكلامين هو كلام السيوطي رحمه الله تعالى ، وذلك نحو قوله : ((قال الشيخ تقي^(٦) الدين في كتاب ((الاختصاص بين الحصر والاختصاص))^(٧) :

١- ((الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة)) ، وانظر فهرس مصادر ومراجع السيوطي في آخر الرسالة .

٢- سورة النجم : آية ٥٨ .

٣- سورة آل عمران : آية ٩٢ .

٤- سورة الحشر : آية ٢ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٧٠ - ٤٧١ .

٦- هو الشيخ تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي ، وقد تقدمت ترجمته .

٧- اسم الكتاب - كما ذكر تاج الدين السبكي في ((الطبقات)) : ١٠ / ٣١٥ -

((الاختصاص في الفرق بين الحصر والقصر والاختصاص)) ، وذكر أنه في علم البيان .

اشتهر كلام الناس في أن تقديم المعمول يفيد الاختصاص ، ومن الناس من ينكر ذلك ويقول : إنما يفيد الاهتمام ...))^(١) .

ثم يستمر في إيراد كلام السبكي في صفحات عدة ، ثم ينتقل إلى الوجه الذي يليه من وجوه الإعجاز دون أن يبين أين انتهى كلام السبكي ، وبالرجوع إلى ((الإتيان))^(٢) يبين موضع انتهاء النقل من كلام السبكي ، رحمه الله تعالى^(٣) .

٧ - النقل من غير عزو ، أو بعزو ناقص :

والنقل من غير عزو كقوله :

(قال بعضهم) ، و (قيل) ، و (قال بعض العلماء) .

والنقل مع العزو الناقص كقوله :

قال ابن الجوزي ، أو قال ابن حجر .

وقد تكلمت على هذا في مبحث ((منزلة الكتاب العلمية))^(٤) .

٨ - النقل من الكتب من غير إشارة :

وهذا يحدث في كتاب السيوطي كثيراً ؛ إذ ينقل كلام عدد من العلماء من غير إشارة لهذا النقل فيبدو أن النص من كلامه ، وليس كذلك .

وقد تكلمت على هذا في مبحث ((منزلة الكتاب العلمية))^(٥) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩١ - ١٩٤ .

٢- ٥٣ / ٢ .

٣- وانظر كذلك ((معترك الأقران)) : ١ / ٧٠ ؛ فقد نقل كلام الزركشي ولم يبين موضع انتهاء النقل إلا بالرجوع إلى

((الرهان)) : ١ / ١٦٩ - ١٧١ ، والأمثلة على هذا كثيرة .

٤- انظر ص ٢٩٤ .

٥- انظر ص ٢٩٦ .

المبحث الثالث

منهجه الاستدلالي

كتاب ((معترك الأقران)) مليء بالآيات والأحاديث والآثار ، متميز عن غيره من كتب الإعجاز في هذا ، وسبب ذلك هو الآتي :

أولاً : الكتاب موضوع في إعجاز القرآن ، فلا غرابة أن يمتليء بالآيات الدالة على الإعجاز والمبينة له .

ثانياً : السيوطي حافظ من حفاظ الحديث والأثر ؛ فلهذا كثرت في كتابه الأحاديث والآثار كثرة لافتة للنظر بالمقارنة مع كتب الإعجاز الأخرى .

ثالثاً : كبر حجم الكتاب وتنوع مباحثه أدباً إلى كثرة الآيات والأحاديث والآثار فيه . أما تفصيل هذا المنهج الاستدلالي فهو الآتي :

أولاً : استدلاله بالآيات الشريفة :

أكثر السيوطي - رحمه الله تعالى - من الاستدلال بآيات الكتاب العظيم ، فجاءت لآلئ متناثرة بين تضاعيف الكتاب وثنائيه ، وقد كان السيوطي - رحمه الله تعالى - حريصاً على أن يورد آية أو آيات تدلل على كل ما يقرره ويورده من قواعد ، سواء عليه أوجد لها شاهداً من الأحاديث والآثار وكلام العرب أم لم يجد ، وسواء أكان الموضوع متعلقاً متعلقاً مباشراً بالقرآن أم لم يكن كذلك .

وهذا يصنع الكتاب بصبغة علمية قوية ؛ إذ أن الدليل من كتاب الله - تعالى - إذا كانت دلالاته واضحة على المراد ، غير مرجوحة ، فإنه يكون فضلاً لا يملك أحد رده أو تأويله إلا إن كان متعنناً .

ومن أمثلة جهده وعنايه في استخراج الدليل القرآني ماجاء في الوجه الثلاثين من أوجه الإعجاز وهو :

((اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة)) ، في قسم القول

بـ (الموجب)^(١) حيث ذكر أنه قسمان ، وبين أن القسم الآخر منه هو :

((حمل لفظ واقع في كلام الغير على خلاف مراده مما يحتمله^(٢) بذكر متعلقه ، ولم أر من أورد له مثلاً من القرآن ، وقد ظفرت بآية منه وهي قوله تعالى :

﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ قُلْ أُذُنٌ خَيْرٌ لَكُمْ﴾^(٣)))^(٤) .

فالسبوطي استدل بهذه الآية على رد كلام الخصم من فحوى كلامه ، فيجىء خلاف مراده .

ومما يدل أيضاً على إعمال السبوطي ذهنه في استخراج الآيات مدلولاً بها على قواعد ، يدل على ذلك قوله معرفاً الاستخدام :

((وله^(٥) فيه عبارتان :

إحدهما : أن يؤتى بلفظ له معنيان فأكثر مراداً به أحد معانيه ، ثم يؤتى بضميره مراداً به المعنى الآخر ، وهذه طريقة السكاكي وأتباعه ...

قال : ولم يقع في القرآن على طريقة السكاكي .

قلت : وقد استخرجت بفكري آيات على طريقته ، منها قوله :

﴿أَنَّىٰ أَمْرُ اللَّهِ﴾^(٦) ، فأمر الله يراد به قيام الساعة والعذاب ، وبعثة النبي - صلى الله عليه وسلم - وقد أريد بلفظه الأخير^(٧) ، كما أخرج ابن مردويه^(٨) من طريق

١- هو بفتح الجيم وكسرها ، ومعناه - كما قال السبوطي - ((رد كلام الخصم من فحوى كلامه)) ، انظر ((معترك

الأقران)) : ٤٦١/١ .

٢- أي مما يحتمله كلامه .

٣- سورة التوبة : آية ٦١ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٤٦١/١ - ٤٦٢ .

٥- أي لابن أبي الإصبع كما يفهم من السياق قبله .

٦- سورة النحل : آية ١ .

٧- أي النبي محمد ، صلى الله عليه وسلم .

٨- الحافظ الجود العلامة ، محدث أصبهان ، أبو بكر أحمد بن موسى بن مردويه الأصبهاني ، صاحب التفسير الكبير والتاريخ والأمال ، وغير ذلك . ولد سنة ٣٢٣ . كان ورعاً ، دينياً ، وكان من فرسان الحديث ، فهِماً ، يقظاً ، متقناً مات سنة عشر وأربعمائة عن سبع وثمانين سنة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٧ / ٣٠٨ - ٣١١ .

الضحّاك^(١) عن ابن عباس في قوله : ﴿ أَفَىٰ أَمْرُ اللَّهِ ﴾ ، قال : محمد^(٢) .
وأعيد الضمير عليه في ﴿ تَسْتَعْجِلُوهُ ﴾ مراداً به قيام الساعة والعذاب . ومنها ... قوله تعالى :

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِّن طِينٍ ﴾^(٣) .
فإن المراد به آدم ، ثم أعيد الضمير عليه مراداً به ولده فقال :
﴿ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَّكِينٍ ﴾^(٤) .
ومنها قوله تعالى :

﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِن بُدِّلَ كُمْ تَسْأَلُونَهَا ﴾^(٥) .
ثم قال :
﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾^(٦) أي أشياء أخر ؛ لأن الأولين لم يسألوا عن
الأشياء التي سألوا^(٧) عنها فنهوا عن سؤالها^(٨) .

هذا طرّف من جهد السيوطي في الاستدلال بالآيات والعناء في استخراجها .
هذا ومن المعلوم أن الأئمة السابقين كانوا يذكرون الآية أو طرفها فقط ولا يذكرون من
أي سورة هي - إلا نادراً - وذلك اعتماداً على أنهم حفاظ يخاطبون حفاظاً ، غالباً ،
وهذا ماجرى عليه الإمام السيوطي في كتابه هذا بل في كتبه كلها التي اطلعت عليها ،
وتلك كانت عادة الأقدمين .

١- الضحّاك بن مزاحم الهلالي ، أبو محمد . كان من أوعية العلم ، وليس بالجود لحديثه ، وهو صدوق في نفسه . واختلف
في لقبه ابن عباس ، فأكثر نقاد الحديث على أنه لم يلقه . وكان مقره ببلخ وسمرقند . توفي سنة ١٠٢ .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٤ / ٥٩٨ - ٦٠٠ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٤ / ٣٩٧ - ٣٩٨ ، و ((التقريب)) :
٢٨٠ ، وقال عنه الحافظ ابن حجر : صدوق ، كثير الإرسال .

٢- تفسير ابن مردويه غير مطبوع وغير مكتمل ، والأثر ضعيف لإرسال الضحّاك ، حيث إن الأرجح أنه لم يلق ابن
عباس كما تقدم آنفاً في ترجمته .

٣- سورة المؤمنون : آية ١٢ .

٤- سورة المؤمنون : آية ١٣ .

٥- سورة المائدة : آية ١٠١ .

٦- سورة المائدة : آية ١٠٢ .

٧- أي الصحابة .

٨- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٦ - ٣٧٧ .

ثانيا : استدلاله بالأحاديث الشريفة والآثار المطهرة :

قد أكثر السيوطي - رحمه الله تعالى - من إيراد الأحاديث والآثار ، من كتب السنة المتنوعة على ما بينته سابقاً^(١) .

ولما كان اعتماده - في الأغلب - على حفظه فإنه جاء بهذه الأحاديث والآثار على طرائق متنوعة فمن ذلك :

١ - إيراد الحديث أو الأثر مخرّجاً :

قد يورد الحديث أو الأثر بنصه ، مع ذكر راويه الصحابي ، أو من دونه من التابعين ، أو من دونهم ، ويعزوه إلى مُخرّجه ، وهذا كثير مبثوث في كتابه .

- ومن أمثلة الأحاديث التي يوردها على هذه الطريقة قوله :

((أخرج أحمد ، وأبو داود^(٢) في ناسخه^(٣) ، وسعيد بن منصور وغيرهم عن ابن سعيد الأسدي^(٤) قال : قال رجل : يا رسول الله : ﴿ أَطْلُقَ مَرَّتَانِ ﴾^(٥) ،

١- انظر ص ٤٤٣ وما بعدها .

٢- هو الشيخ الإمام سليمان بن الأشعث بن شداد الأزدي السجستاني ، شيخ السنة وحدث البصرة . ولد سنة ٢٠٢ .

رحل وجمع وصنف وبرع في علم الحديث . وكان من الفقهاء أصحاب الإمام أحمد . توفي سنة ٢٧٥ .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٢٠٣ - ٢٢١ .

٣- أي كتابه : ((الناسخ والمنسوخ)) .

٤- في ((الإتيان)) : ١٩ / ٢ : أبو رزّين الأسدي ، وهو الصحيح كما في سنن البيهقي : ٧ / ٣٤٠ .

وأبو رزّين هو مسعود بن مالك الكوفي . تابعي ثقة فاضل . مات سنة ٨٥ ، انظر ((التقريب)) : ٥٢٨ .

٥- سورة البقرة : آية ٢٢٩ .

فأين الثالثة ؟ قال : ﴿ أَوْتَرِيحُ بِإِحْسَنِ ﴾ ^(١) ^(٢) .

- ومن أمثلة ما يرويه من الآثار على هذه الطريقة قوله :

((أخرج الحاكم عن المقداد ^(٣) ، قيل له : لو قعدت العام عن الغزو ، قال : أبت علينا البحوث - يعني براءة ...)) ^(٤) ^(٥) .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢١٩ .

قال السيوطي : ((وأخرج ابن مردويه والبيهقي عن أنس قال : جاء رجل إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقال : يا رسول الله : إني أسمع الله يقول ﴿ أَلْطَلَقُ مَرَّتَانِ ﴾ ...)) انظر ((الدر المنثور)) : ١ / ٦٦٤ .
وبالرجوع إلى سنن البيهقي : ٣٤٠ / ٧ نجد أن البيهقي أخرجه مسنداً عن إسماعيل بن سميع الحنفي عن أنس ، ثم قال البيهقي : ((كذا قال : عن أنس - رضي الله عنه - والصواب عن إسماعيل بن سميع عن أبي رزين عن النبي - صلى الله عليه وسلم - مرسلًا ، كذلك رواه جماعة من الثقات عن إسماعيل)) ، ثم ساق البيهقي إسناداً آخر إلى إسماعيل بن سميع عن أبي رزين .

وقال البيهقي أيضاً : ((وروي عن قتادة عن أنس - رضي الله عنه - وليس بشيء)) ، انظر سنن البيهقي : ٣٤٠ / ٧ .
لكن تعقبه العلامة ابن الترمذي - في ذيل السنن المسمى ((الجوهر النقي)) : المطبوع مع السنن - فقال :
قال [أي البيهقي] : وروي عن قتادة عن أنس وليس بشيء .

قلت : رواه الدارقطني في سننه فقال : الحسين بن إسماعيل ، ثنا عبيد الله بن حريز بن حيلة ، ثنا عبيد الله بن عائشة ثنا حماد بن سلمة ، ثنا قتادة عن أنس أن رجلاً قال يا رسول الله : أليس يقول الله : ﴿ أَلْطَلَقُ مَرَّتَانِ ﴾ ... الحديث .
قال ابن القطان : صحيح .

عبيد الله بن محمد بن جعفر يعرف بابن عائشة : ثقة أحد الأجداد .

وعبيد الله بن حريز بن حيلة بن أبي رواد : قال الخطيب : كان ثقة))

((سنن البيهقي)) : ٣٤٠ / ٧ ، وانظر ((سنن الدارقطني)) : ٥ - ٣ / ٤ .

والحديث أخرجه ابن مردويه بمثل الحديث المسند الذي أخرجه البيهقي عن إسماعيل بن سميع عن أنس ، وانظر تعليق العلامة الآبادي على سنن الدارقطني : ٤ / ٤ .

أما شيخ الدارقطني : الحسين بن إسماعيل فهو الخامل ، وقال عنه الخطيب :

((كان فاضلاً ، صادقاً ، ديناً)) انظر ((تاريخ بغداد)) : ٢٠ / ٨ .

فالحديث إذاً صحيح إن شاء الله تعالى ؛ إذ أن حماد بن سلمة وقاتة من كبار الأئمة ، والله أعلم .

٢- انظر - مزيداً من الأمثلة على ذكر تخريج الأحاديث ، وهي كثيرة - ٢ / ٢٢ ، ٢٠٧ ، ٦١٦ ...

٣- المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي ، رضي الله عنه ، تبناه الأسود بن عبد يغوث الزهري فنسب إليه ، فصار اسمه المقداد بن الأسود هو الغالب عليه ، من الصحابة السابقين ولم يكن يدور فارس غيره . مات سنة ٣٣ وهو ابن سبعين سنة ، وخرج حديثه أصحاب الكتب الستة . انظر ((التقريب)) : ٥٤٥ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٤٣ .

هذا الأثر أخرجه الحاكم في ((المستدرک)) - كما ذكر السيوطي - في تفسير سورة التوبة : ٣٦٣ / ٢ ، وقال : حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، ووافقه الإمام الذهبي ، رحمهما الله تعالى .

٥- ينظر لمزيد من الأمثلة في تخريجه للآثار ، وهي كثيرة - ٣ / ١٤٣ ، ١٧٠ ، ٢٧١ ، ٥٦٧ ، ٦٤٩ ...

٢ - إيراد الحديث والأثر مع ذكر الراوي فقط :

- قد يورد السيوطي الحديث أو الأثر ويذكر راويه فقط ولا يبين مُخرّجه .
- ومن أمثلة ما يذكره من الأحاديث على هذه الطريقة قوله في مسائل تتعلق بالعام والخاص :
- ((وعارضه في ذلك حديث جابر^(١) :
 ((ليس في الحلبي زكاة))^(٢)))^(٣) .
- ومن أمثلة ذلك في الآثار قوله : ((**حُوبًا**))^(٤) : بالضم ، والحوب - بالفتح - المصدر ، ومعناه : إثم إنما عظيماً ، قال ابن عباس : هو الإثم بلغة الحبشة))^(٥) ^(٦) .

١- جابر بن عبد الله بن عمرو بن حرام الأنصاري الخزرجي ، من أهل بيعة الرضوان . روى علماً كثيراً عن رسول الله صلى الله عليه وسلم - وتوفي سنة ٧٨ عن أربع وتسعين سنة ، رضي الله عنه . له رواية في الكتب الستة .
 انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٣ / ١٨٩ - ١٩٤ ، و ((التقريب)) : ١٣٦ .

٢- قال البيهقي في هذا الحديث :

((والذي يرويه بعض فقهاءنا مرفوعاً : ((ليس في الحلبي زكاة)) لأصل له ، إنما يُروى عن جابر من قوله غير مرفوع . والذي يُروى عن عافية بن أيوب عن الليث عن أبي الزبير عن جابر مرفوعاً باطلاً لأصل له ، وعافية بن أيوب مجهول ، فمن احتج به مرفوعاً كان مغرراً بدينه ، داخلًا فيما نعيب به المخالفين في الاحتجاج برواية الكذابين ، والله يعصمنا من أمثاله)) : ((معرفة السنن والآثار)) : ٦ / ١٤٤ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢١٥ .

٤- سورة النساء : آية ٢ .

٥- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٧٤ ، ولزيد من الأمثلة ينظر : ٢ / ٧٥ ، ٩٥ ، ١٠١ ، ...

٦- وقد أخرج الأثر ابن جرير فقال :

((حدثني المنثي ، قال : حدثنا أبو صالح ، قال : حدثنا معاوية ، عن علي بن أبي طلحة ، عن ابن عباس قوله : **﴿ إِنَّهُ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا ﴾** : قال : إنما عظيماً)) : ((جامع البيان)) : ٧ / ٥٣٠ .

المنثي هو ابن إبراهيم الأحملي ، كما قال محقق ((جامع البيان)) : ١ / ١٧٦ ، هامش ٢ .
 وأبو صالح هو عبد الله بن صالح المصري ، كما قال محقق ((جامع البيان)) : ١ / ١٧٦ هامش (٢) ، وقال عنه ابن حجر : مات سنة اثنتين وعشرين [أي ومائتين] وله خمس ومائتان سنة ، وذكر بأنه صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه . انظر ((التقريب)) : ٣٠٨ .

ومعاوية هو ابن صالح بن حذير الحضرمي ، كما قال محقق ((جامع البيان)) : ١ / ١٧٧ ، وذكر ابن حجر أن معاوية صدوق له أوهام ؛ مات سنة ثمان وخمسين [أي ومائة] ، انظر ((التقريب)) : ٥٣٨ .

علي بن أبي طلحة : مولى بني العباس ، أرسل عن عبد الله بن عباس ولم يره ، مات سنة ٤٣ [أي ومائة] ، انظر ((التقريب)) : ٤٠٢ . وقال السيوطي : ((قال قوم :

لم يسمع ابن أبي طلحة من ابن عباس التفسير وإنما أخذه عن مجاهد أو سعيد بن جبير . قال ابن حجر :

بعد أن عرفت الوساطة وهو ثقة فلا ضير في ذلك)) : ((الإتيان)) : ٢ / ١٨٨ .

وهذا الطريق - طريق أبي صالح عن معاوية عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس - طريق مشهور ، أخرج منها أئمة التفسير كثيراً كابن جرير وابن أبي حاتم بوسائط بينهم وبين أبي صالح . انظر المصدر السابق .

٣ - تخريج الأحاديث والآثار وتحقيقها :

وقد يحكم على الحديث والأثر مع تخريجه ، وهو قليل في كتابه هذا .

- ومن أمثلة حكمه على الأحاديث قوله :

((أخرج الإمام أحمد في مسنده ، وابن أبي حاتم وغيرهما من طريق درّاج^(١) ، عن أبي الهيثم^(٢) ، عن أبي سعيد الخدري ، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((كل حرف في القرآن يذكر فيه القنوت فهو الطاعة)) . هذا إسناد جيد ، وابن حبان^(٣) يصححه))^(٤) .^(٥)

- ومن أمثلة حكمه على الأثر قوله :

((وأخرج ابن جرير بسند صحيح عن ابن مسعود ، قال :

١- درّاج بن سمعان ، أبو السمع ، السهمي بالولاء ، المصري ، القاصّ . صدوق ، في حديثه عن أبي الهيثم ضعف ، مات سنة ١٢٦ . انظر ((التقریب)) : ٢٠١ .

٢- أبو الهيثم ، سليمان بن عمرو بن عبد أو عبيد ، الليثي ، المصري . ثقة ، من الطبقة الرابعة . انظر ((التقریب)) : ٢٥٣ .
٣- الإمام العلامة ، الحافظ المجدد ، شيخ خراسان ، أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي الدارمي البستي ، صاحب الكتب المشهورة .

ولد سنة بضع وسبعين ومائتين ، وحدث عن نفسه أنه كتب عن أكثر من ألفي شيخ . توفي بمدينة بُسْت سنة أربع وخمسين وثلاثمائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٦ / ٩٢ - ١٠٤ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٥٦٧ ، وانظر مثلاً آخر في ٣ / ١٠٦ .

٥- قال الهيثمي :

((رواه أحمد وأبو يعلى والطبراني في الأوسط ، وفي إسناد أحمد وأبي يعلى ابنُ كهيععة ، وهو ضعيف)) :

((مجمع الزوائد)) : ٦ / ٣٢٣ .

وقد وصف السيوطي الإسناد بأنه جيد - كما في متن هذه الصفحة - مع أن الإمام أحمد والإمام الأجرّي قد ذكرا بأن حديث درّاج عن أبي الهيثم عن أبي سعيد فيه ضعف ، انظر ((تهذيب التهذيب)) : ٣ / ١٨١ .

هو اسم الله الأعظم^(١) .

- ١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٥٦ ، والمقصود هنا فواتح السور حيث قيل إنه يولف منها اسم الله الأعظم ،
انظر ((المعترك)) : ١ / ١٥٥ - ١٥٦ .
وانظر كذلك أثرين آخرين قد حكم عليهما في ١ / ١٩٦ ، ٥٢٠ ، وفي أول الأثر الآخر تحريفاً ، صحته :
((وفي المستدرك بسند وإيه عن الحسن ...)) كما في ((الإتيان)) : ٢ / ١٣٨ .
وهذا الأثر أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره حيث ساق بسنده إلى ابن عباس - رضي الله عنهما - أنه قال عن فواتح
السور : ((هي اسم الله الأعظم)) .
ثم ساق سنداً آخر عن ابن مسعود فقال :
حدثنا محمد بن المنثي ، قال : حدثني أبو النعمان ، قال : حدثنا شعبة ، عن إسماعيل السدي ، عن مرة الهمداني ، قال :
قال عبد الله : فذكر نحوه)) . ((جامع البيان)) : ١ / ٢٠٦ .
وبالنظر إلى رجال السند يتضح الآتي :
- محمد بن المنثي هو محمد بن المنثي بن عبيد الغزي البصري = ثقة ثبت . انظر ((التقريب)) : ٥٥٥ .
- أبو النعمان هو محمد بن الفضل السدوسي البصري = ثقة ثبت تغير في آخر عمره . انظر ((التقريب)) : ٥٠٢ .
((وقال الدار قطني : تغير بآخره ، وما ظهر له بعد اختلاطه حديث منكر ، وهو ثقة)) .
وقال الذهبي : ((القول فيه ما قال الدار قطني)) : ((تهذيب التهذيب)) : ٩ / ٣٥٨ - ٣٥٩ .
- شعبة هو شعبة بن الحجاج بن الزورد العنكي البصري : ثقة حافظ متقن ، أمير المؤمنين في الحديث .
((التقريب)) : ٢٦٦ .
- إسماعيل بن عبد الرحمن السدي = صدوق يهيم ((المصدر السابق)) : ١٠٨ . وهو من رجال الإمام مسلم ،
انظر ((تهذيب التهذيب)) : ١ / ٢٧٤ .
والسدي هذا هو الكبير ، أما الصغير فهو محمد بن مروان ، وهو متهم بالكذب ، انظر ((التقريب)) : ٥٠٦ .
- مرة الهمداني هو مرة بن شراحيل الهمداني = ثقة . ((المصدر السابق)) : ١٠٨ .
فرواة هذا الأثر من الثقات كما مر إلا إسماعيل السدي فقليل فيه : صدوق يهيم .
فالحديث على هذا في مرتبة الحسن إلا أن يكون الحافظ السيوطي قد لاحظ أن إسماعيل السدي من رجال الإمام مسلم
فأطلق على سند الحديث أنه صحيح بهذا الاعتبار .
وقد يكون إطلاقه على هذا السند أنه صحيح بالنظر إلى أن له شاهداً آخر عند الطبري وهو ما أخرجه بسنده قائلاً :
((حدثنا محمد بن المنثي ، قال : حدثنا عبد الرحمن بن مهدي ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سألت السدي عن ﴿ حم ﴾
و ﴿ طسم ﴾ و ﴿ ألم ﴾ فقال : قال ابن عباس : هي اسم الله الأعظم)) ((جامع البيان)) : ١ / ٢٠٦ .
عبد الرحمن بن مهدي : ثقة ثبت حافظ ، كما في ((التقريب)) : ٣٥١ .
والسدي من الرواة عن ابن عباس كما في ((تهذيب التهذيب)) : ١ / ٢٧٤ .
إذا استوى الإسنادان في القوة فيرتقي الحديث إلى أن يكون صحيحاً بهذه المتابعة .
قال ابن الصلاح - رحمه الله تعالى - :
((إذا كان راوي الحديث متأخراً عن درجة أهل الحفظ والإتيان ، غير أنه من المشهورين بالصدق والستر كما هو
حال السدي هنا [وروي مع ذلك حديثه من غير وجه فقد اجتمعت له القوة من الجهتين ، وذلك يرقى حديثه من درجة
الحسن إلى درجة الصحيح)) : ((مقدمة ابن الصلاح)) : ١٠٨ .

٤ - إيراد الحديث والأثر بالسند :

قد يورد السيوطي الحديث والأثر بالسند المتصل من مُخرّجه إلى راويه .

- ومن أمثلة ماساقه من الأحاديث بالسند المتصل - وهو نادر - قوله :

((وقال ^(١) : حدثنا عبد الله بن صالح ^(٢) ، عن هشام بن سعد ^(٣) ، عن زيد بن أسلم ^(٤) ، عن عطاء بن يسار ^(٥) ، عن أبي واقد الليثي ^(٦) ، قال : كان رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إذا أوحى إليه أتيناها فعلمنا مما أوحى إليه ، قال : فبحثت ذات يوم فقال :

((إن الله يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة وإيتاء الزكاة ، ولو أن لابن آدم وادياً لأحب أن يكون إليه الثاني ، ولو كان له الثاني لأحب أن يكون له الثالث ، ولا يملأ خوف ابن آدم إلا الزراب ، ويتوب الله على من تاب)) ^(٧) .

- ومن أمثلة ما ذكره من الآثار بالسند المتصل - وهو قليل - قوله :

١- أي أبو عبيد ، القاسم بن سلام ، كما في السياق قبله ، وقد أخرجه أبو عبيد في ((فضائل القرآن)) : ١٩٢ باختلاف يسير في ألفاظ الحديث .

٢- قد سبق أنه كاتب الليث ، وأنه صدوق كثير الغلط ، ثبت في كتابه . انظر ((التقريب)) : ٣٠٨ .

٣- هشام بن سعد المدني ، أبو عباد . صدوق له أوهام ، ورُمي بالتشيع . مات سنة مائة وستين أو قبلها ، وهو من رجال مسلم . انظر ((التقريب)) : ٥٧٢ .

٤- زيد بن أسلم العدوي ، أبو عبد الله المدني ، مولى عمر . ثقة عالم ، وكان يرسل . مات سنة ست وثلاثين ومائة . انظر ((التقريب)) : ٢٢٢ .

وقد ذكر ابن حجر جماعة ممن كان زيد بن أسلم يرسل عنهم ليس فيهم عطاء بن يسار ، انظر ((التهذيب)) : ٣ / ٣٤٢ .

٥- عطاء بن يسار الهلالي ، أبو محمد المدني ، مولى أم المؤمنين ميمونة بنت الحارث الهلالية ، رضي الله عنها . ثقة فاضل ، صاحب مواظب وعبادة . مات سنة أربع وتسعين ، وقيل بعد ذلك . انظر ((التقريب)) : ٣٩٢ ، و((تهذيب التهذيب)) : ١٩٤ / ٧ .

٦- صحابي كريم ، قيل : اسمه الحارث بن مالك ، وقيل غير هذا ، مات سنة ثمان وستين وهو ابن خمس وثمانين سنة . انظر ((التقريب)) : ٦٨٢ .

وهذا الحديث - بهذا الإسناد - حسن ، والله أعلم .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٢٥ - ١٢٦ .

((قال البيهقي في ((شعب الإيمان))^(١) :

أخبرنا أبو القاسم بن حبيب^(٢) ، حدثنا محمد بن صالح بن هاني^(٣) ، حدثنا الحسين بن فضل^(٤) ، حدثنا عفان بن مسلم^(٥) ، عن الربيع بن صبيح^(٦) عن الحسن^(٧) قال : أنزل الله مائة وأربعة كتب ...))^(٨) .

٥ - إيراد الحديث والأثر مجرداً من التحقيق والتخريج وذكر الراوي :

قد يورد السيوطي الحديث والأثر خالياً من كل ماسبق فلا يذكر راويه ولا من خرجه ولادرجته وإنما يكفي بقوله : ورد في الحديث ، أو ورد في الأثر ، أو قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ونحو هذا ، وذلك نحو قوله :

((**الْخَيْرُ**))^(٩) : الخيل ، سميت بذلك لما فيها من المنافع ، وفي الحديث :

١- ٣٠٨ / ٥ - ٣٠٩ .

٢- لم أحده ترجمه .

٣- لم أحده ترجمه ، وإنما ذكر الإمام الذهبي أن محمد بن صالح بن هاني عن روى عن الحسين بن فضل ، انظر ((سير

أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦ .

٤- الحسين بن فضل بن عمير النيسابوري . العلامة المفسر ، الإمام اللغوي المحدث ، أبو علي البجلي . ولد قبل الثمانين

ومائة . توفي سنة ٢٨٢ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٤١٤ - ٤١٦ .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر في ((لسان الميزان)) أن الأولى ألا يذكر هذا الرجل في ((الميزان)) - ((ميزان الاعتدال))

للإمام الذهبي - وذلك لجلالته وكونه من كبار أهل العلم والفضل . انظر ((لسان الميزان)) : ٢ / ٣٧٥ - ٣٧٦ .

وإنما قال ابن حجر ذلك لضعف أكثر رجال ((الميزان)) .

٥- عفان بن مسلم بن عبد الله الباهلي ، أبو عثمان الصِّفَار البصري ، من رجال الكتب الستة . ولد سنة ١٣٤ ، ومات

سنة ٢٢٠ ، وهو ثقة ثبت . اختلط قبل موته بأيام . انظر ((تهذيب التهذيب)) : ٧ / ٢٠٥ - ٢٠٩ ،

و ((التقريب)) : ٣٩٣ .

٦- الربيع بن صبيح السعدي البصري ، أبو حفص ، من موالي بني سعد . كان من العباد الزهاد . وهو أول من صنف بالبصرة . أمّا في الحديث فهو صدوق سيء الحفظ . خرج غازياً إلى السند فمات في البحر ، فدفن في جزيرة ، وذلك

سنة ١٦٠ . انظر ((التهذيب)) : ٣ / ٢١٤ - ٢١٥ ، و ((التقريب)) : ٢٠٦ .

٧- الحسن بن أبي الحسن البصري ، تقدمت ترجمته وهو ثقة مشهور .

٨- ((معترك الأثران)) : ١ / ٧٨ ، وقد حكم محقق ((شعب الإيمان)) بأن إسناد هذا الأثر لا بأس به ، انظر ((الشعب)) :

٣٠٨ / ٥ .

وانظر كذلك آثاراً أخرى مذكورة بأسانيدھا في ١ / ١٢٤ - ١٢٥ ، ٢ / ٢٥٨ .

٩- سورة ص : آية ٣٢ .

((الخير معقود في نواصي الخيل))^(١) ...))^(٢) .

ونحو قوله :

((وهذا كما جاء في الأثر أن المؤمن يرى ذنوبه كالجبل يقع عليه ، والمنافق يرى ذنوبه كالذباب تطير فوق أنفه))^(٣) .

ونحو قوله :

((... وهي صلاح الدين والمعاد التي جمعها قوله - صلى الله عليه وسلم -
((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري ، وأصلح لي دنياي التي فيها معاشي ،
وأصلح لي آخرتي التي إليها معادي)) ...))^(٤) .

٦ - إدراج الحديث والأثر في الكلام :

وقد يحكي الحديث أو الأثر مجرداً عن كل ماسبق ، مُدرجاً في الكلام فيبدو كأنه كلام مقصوص ، فلا يُدرى أنه حديث أو أثر إلا بسبب سوق الغيبيات التي لا بد أن تكون منتزعة من نقلٍ ما ، وذلك نحو كلامه على قوله تعالى :

١- قال الهيثمي : ((رواه أبو يعلى والطبراني في الأوسط [عن أبي هريرة] رجاله رجال الصحيح)) :
((مجمع الزوائد)) : ٥ / ٢٦٢ .

وقد أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الزكاة : باب فضيلة الخيل ، وأن الخير معقود بنواصيها : ١٣ / ١٦ عن
عُروة البارقي - رضي الله عنه - بلفظ ((الخير معقود بنواصي الخيل)) ، ومعقود بمعنى معقود .
وأخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الجهاد والسير : باب الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة : ٤ /
٣٣ - ٣٤ بلفظ : ((الخيل معقود في نواصيها الخير إلى يوم القيامة)) .
وأخرج الحديث غيرهم .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٤١ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥٢ .

وهذا الأثر أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الدعوات : باب التوبة : ٨ / ٨٣ - ٨٤ عن عبد الله بن
مسعود - رضي الله عنه - موقوفاً ، قال :
((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل يخاف أن يقع عليه ، وإن الفاجر يرى ذنوبه كذباب مر على أنفه فقال به
هكذا ، قال أبو شهاب بيده فوق أنفه)) .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٧٣ .

وهذا الحديث أخرجه الإمام مسلم في صحيحه عن أبي هريرة - رضي الله عنه - في كتاب الذكر والدعاء والتوبة
والاستغفار : باب في الأدعية ، وأخرجه غيره .

﴿عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾^(١) فإنه قال :

((أي تقرن السماوات والأرض بعضها إلى بعض - كما تبسط الثياب - فذلك عرض الجنة ، ولا يعلم طولها إلا الله ؛ لأن الله قال لها امتدي فامتدت ، ثم قال لها : امتدي فامتدت ، ثم قال لها : امتدي فامتدت ، قالت : إلى أين ينارب ؟ قال : إلى منتهى رحمتي فقالت : لامتهدى لرحمتك ، فقال لها : ولامتهدى لك))^(٢) .

فالسبوطي قد أدرج أثرين في ثنايا حديثه :

أما الأول : فقد أخرج نحوه ابن جرير الطبري - رحمه الله تعالى - حيث قال : حدثني محمد بن الحسين^(٣) ، قال : حدثنا أحمد بن المفضل^(٤) ، قال : حدثنا أسباط^(٥) ،

عن السُّدِّي^(٦) : ((وَجَنَّةٌ عَرَضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ)) قال :

قال ابن عباس : تقرن السماوات السبع والأرضون السبع كما تقرن الثياب بعضها إلى بعض فذاك عرض الجنة))^(٧) .

١- سورة آل عمران : آية ١٢٣ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٣١ .

٣- هو الشيخ محمد بن الحسين بن موسى الكوفي . صدوق . وقد ذكر ابن أبي حاتم أنه روى عن أحمد بن المفضل الآتي في سياق السند . انظر ((الجرح والتعديل)) : ٧ / ٢٣٠ .

٤- أحمد بن المفضل القرشي الأموي ، أبو علي الكوفي الحفري . صدوق شيعي ، في حفظه شيء . مات سنة ٢١٥ . انظر ((تهذيب التهذيب)) : ١ / ٧٠ ، و ((التقريب)) : ٨٤ .

٥- المقصود - هنا - أسباط هو الذي روى عن أحمد بن المفضل - كما في ((تهذيب التهذيب)) : ١ / ٧٠ ، ١٨٥ . وهو أسباط بن نصر الحمدي ، أبو يوسف وأبو نصر . من رجال الإمام مسلم . وهو صدوق كثير الخطأ ، يُغرب . من الطبقة الثامنة [وهم الطبقة الوسطى من أتباع التابعين كما في ((التقريب)) : ٧٥] . انظر ((التقريب)) : ٩٨ .

٦- المقصود - هنا - هو إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدِّي الكبير ، وهو صدوق يهيم ، تقدمت ترجمته .

٧- ((جامع البيان)) : ٧ / ٢٠٧ . أما الحكم على هذا الأثر فهو أثر حسن ، إن شاء الله ؛ لأن رواه كلهم عدا ابن جرير - رحمه الله تعالى - قيل فيهم : صدوق .

ولو احتج أحد على ضعف الحديث بما قيل في أسباط إنه صدوق كثير الخطأ ، وبما قيل في إسماعيل السُّدِّي إنه صدوق يهيم لقليل لهذا المحتج إنهما من رجال الإمام مسلم وقد احتج بهما .

وإليك كلام الحاكم - رحمه الله تعالى - في إسماعيل السُّدِّي وإخراج الإمام مسلم لحديثه ، أنقله من كلام ابن حجر : ((قال الحاكم في ((المدخل)) في باب الرواة الذين عيب على مسلم إخراج حديثهم :

((تعديل عبد الرحمن بن مهدي [أي للسُّدِّي كما في السياق قبله] أقوى عند مسلم ممن جرحه بغير مفسر)) :

((تهذيب التهذيب)) : ١ / ٢٧٤ .

أما الأثر الآخر الذي أورده عن امتداد الجنة وتكليم الرب - جلّ وعلا - لها
فإنني لم أجده بعد طول بحث ، والله أعلم .

ثالثاً : استشهاده بالإسرائيليات^(١) :

أكثر السيوطي - رحمه الله تعالى - من الاستشهاد بالإسرائيليات ، وهي ما روي
عن أهل الكتابين ، ((من باب التغليب للجانب اليهودي على الجانب النصراني ؛
فإن الجانب اليهودي هو الذي اشتهر أمره فكثير النقل عنه))^(٢) ؛ وذلك لأن أصل
النبوة كان في بني اسرائيل ، ومنهم جاء الأنبياء حتى عيسى عليهم الصلاة والسلام
جميعاً .

وقد أجاز لنا النبي الكريم - صلى الله عليه وسلم - الرواية عنهم بقوله :
((حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))^(٣) ، وقد وضع العلماء شروطاً لهذه الرواية
موجودة في مظانها ، وأخصها بالآتي :

- ١ - ألا تكون الآثار المروية عنهم متعلقة بالعقيدة أو الأحكام الشرعية .
- ٢ - ألا يعلم كذب هذا الأثر الإسرائيلي المروي عنهم .
- ٣ - ألا نصدقهم ولا نكذبهم فيما لانعرف صدقه أو كذبه .
- ٤ - لا حرج في تصديقهم فيما يوافق شرعنا ، أو تكذيبهم فيما يخالف شرعنا
الثابت^(٤) .

ويظهر استشهاد السيوطي بالإسرائيليات واضحاً في الوجه الثالث والثلاثين من
وجه الإعجاز ، وهو : ((ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها)) حيث عين أسماء
المسميات المبهمة الاسم في كتاب الله تعالى ، ولا يخفى أن طريقه إلى ذلك هو أخبار

١- قد كان الأول والثاني هما استشهاد السيوطي بالآيات ، وبالأحاديث والآثار .

٢- ((التفسير والمفسرون)) : ١ / ١٦٥ .

٣- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب الأنبياء باب ما ذكر عن بني إسرائيل ٤ / ٢٠٧ .

٤- انظر ((التفسير والمفسرون)) : ١ / ١٦٥ - ١٧٣ ، و ((مقدمة في أصول التفسير)) : ١٠٠ - ١٠١ .

بني إسرائيل ؛ حيث إن الشارع الحكيم قد أخفى أسماءها لحكم قد يكون منها أن تُطلب العبرة من الحدث والخير نفسه ، فإن هذا هو أهم جانب في القصص ، أما الأسماء المبهمة من إنس وجن وحيوانات وطيور وجهادات فإن هذا مما لم تُغنَ به هذه الشريعة الخاتمة الحكيمة .

ويظهر استشهاده بالإسرائيليات - أيضاً - في مواضع ماثولة في كتابه ، منها :
ما ذكره عن زكريّا - عليه الصلاة والسلام - أنه ((كان من ذرية سليمان بن داود - عليهما السلام ، وقُتل بعد قتل ولده يحيى ؛ وذلك أنه هرب من اليهود فقفوا أثره فلما دنوا منه رأى شجرة فقال لها : اكتميني ، فانشقت الشجرة فدخل فيها ثم التأمت عليه فجاؤوا فلم يجدوه ، فقال لهم إبليس : هو في هذه الشجرة ، فأتوا بمنشار وشقوها على نصفين ، فلما بلغ المنشار إلى أم رأسه صاح وتأوّه ، فبتزلزل الملكوت فنزل عليه جبريل وقال : يا زكريا إن الله - تعالى - يقول لك : لن قلت آه مرةً أخرى لأحزونك من ديوان الأنبياء ، فعصّ زكريا على شفّيته حتى شقوه بنصفين))^(١) .

وكثير من أخبار الأنبياء التي أوردها في كتابه هي من أخبار بني إسرائيل^(٢) .
وقد ينسب الإمام السيوطي هذه الأخبار إلى مصدرها ، والأكثر أنه لا يعزوها .
فمن الأمثلة على ما يعزوه إلى مصدره قوله :
((وفي ((شعب الإيمان)) للبيهقي ، عن وهب بن مُنبه^(٣) :

إذا قامت القيامة أمر بالمُغلق فيُكشف عن سقر وهو غطاؤها ، فيخرج منه نار ، فإذا وصلت إلى البحر المطبق على شفير جهنم - وهو بحر البخور - نشفتْه أسرع من طرفة

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٤٠ .

٢- انظر - مثلاً - المصدر السابق : ٢ / ٥٥٩ ، ٥٦٩ ، ٥٧١ ، ٦٠٥ ، ٦٠٦ .

٣- وهب بن مُنبه بن كامل ، الإمام العلامة ، الأخباري القصصي ، أبو عبد الله ، اليمانيّ الذّماريّ الصنعانيّ . ولد سنة أربع وثلاثين . روايته قليلة ، وإنما غرارة علمه في الإسرائيليات وصحائف أهل الكتاب . وكان ثقة . مات سنة أربع عشرة ومائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٤ / ٥٤٤ - ٥٥٧ .

عين ، وهو حاجز بين جهنم والأرضين ، فإذا نشفت الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة^(١) .

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٣٢ .

وقد أخرجه الإمام البيهقي - رحمه الله تعالى - في ((شعب الإيمان)) : الشعبة التاسعة : باب في أن دار المؤمنين ومآبهم الجنة ، ودار الكافرين ومآبهم النار : ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٠ ، فقال :
أخبرنا أبو الحسن المقرئ ، أخبرنا الحسن بن محمد بن إسحاق ، أنبأنا محمد بن أحمد بن البراء ، حدثنا عبد المنعم بن إدريس ، حدثني أبي ، عن وهب بن منبه قال :
إذا قامت القيامة وقضى الله بين أهل الدارين ، أمر بالعلق [في المطبوعة : الفلق ، والوجه مأثبٌ] ،
فيكشف عن سقر ، وهو غطاؤها ، فتخرج منه نار فتحرق نار جهنم وتأكُلها ، كما تأكل النار في الدنيا القطن
الندوف [المقطوع] ، فإذا وصلت البحر المطبق على سفير جهنم - وهو بحر البهور - تَشَقَّتْ أسرع من طرفة العين
نَشْطاً فينضب كأن لم يكن مكانه ماءً قط ، وهو حاجز بين جهنم والأرضين السبع ، فإذا نشفت ماءً ذلك البحر
اشتعلت في الأرضين السبع فتدعها جمرة واحدة)) .

والسيوطي قد تصرف في النقل باختصار فالتبس المعنى قليلاً .

ومحقق ((الشعب)) قد حكم على الأثر بأن إسناده ضعيف جداً لضعف عبد المنعم بن إدريس واتهامه بالكذب ،
وضعف أبيه ، انظر ((الشعب)) : ٢ / ٢٤٩ ، وانظر ((ميزان الاعتدال)) : ٢ / ٦٦٨ ، ١ / ١٦٩ .

رابعاً : الاستشهاد بما في بعض الكتب السماوية المنزلة

يورد السيوطي - رحمه الله تعالى - مقاطع كثيرة من بعض الكتب السماوية ، وهو في صنيعه ذلك لا يذكر ماهي تلك الكتب ، ولا المصدر الذي أوردها منه - إلا نادراً - ، فمن ذلك قوله :

((وفي التوراة :

يا ابن آدم أظهرت الذنوب معي وأخفيت عنها عن الخلق ، وأبديت الحسنات لخلقك ولم تُخلصها لي ، وأكلت رزقي ولم تشكرني ، وبارزني بالمعاصي ولم تستح مني ، ولم تحذرنني ...))^(١) .

ومنه - ولم أر مثلاً ثالثاً - قوله : ((وقيل : أربع كلمات في أربعة كتب : في (التوراة) : الحسود يموت كمداً ، وفي (الإنجيل) : البخيل تأكل ماله العدا ، وفي (الزبور) : الظالم لا يفلح أبداً ، وفي الفرقان : ﴿ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْرَجُ إِلَّا نَكِدًا ﴾))^(٢) .

ولعل ما أورده لا يخرج عن المصادر التالية :

١ - أخبار بني إسرائيل الموثقة في كثير من الكتب المؤلفة قبل السيوطي ، وقد تكلمت عليها آنفاً .

٢ - بعض كتب وأسفار اليهود والنصارى المترجمة إلى العربية مثل التوراة - وقد ذكرت مثلين منها آنفاً - والإنجيل ، على ما فيهما من تحريف ، والتلمود اليهودي وغيرها .

ومثال ما أورده عن هذه الكتب - مبهماً إياها - قوله :

((يقول الله - تعالى - في بعض الكتب المنزلة :

طلبت من خلقي الطاعة لي والزهادة في أعدائي فلم يفعلوا ، ثم طلبت منهم إعانة الزهاد من أهل طاعتي فلم يفعلوا ، فقلت لهم : ارضوا عنهم فلم يفعلوا ، فقلت لهم :

١- ((معترك الأقران)) ٣ / ١٥ .

٢- ((معترك الأقران)) ٢ / ٥٦٥ ، والآية من سورة الأعراف : ٥٨ .

لا تمنعوهم منها^(١) إذًا ، فمنعوههم ، فقلت لهم : لا تدعوهم إلى ما لا يرضيني ، ولا تعادوهم عليها إن لم يتابعوكم ففعلوا^(٢) ، وصاروا عندهم أنتن من جيفة حمار ، فكيف أقدم أمة هذه أفعالهم^(٣) .

ويغلب على الظن أن هذا من بعض أسفار أهل الكتاب ، وهي كثيرة ، فإن هذا الأسلوب يشبه أسلوبها ، والله أعلم .

خامساً : الاستشهاد بالموضوعات

مرّ في فصل سابق تفصيل استشهاد الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى -
بـ (الموضوعات) عند ذكر السلبيات والمآخذ في كتابه ، فليُنظر هنالك^(٤) .

١- كأن في السياق سقطاً هنا ؛ إذ لا يتبين مرجع الضمير من ((منها)) ، والله أعلم .

٢- أي خالفوا وفعلوا مانهوا عنه .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٤٢١ - ٤٢٢ .

٤- انظر ص ٢٩٩ وما بعدها .

عدد الأحاديث والآثار التي أوردها الحافظ السيوطي في كتابه

قد استشهد السيوطي - رحمه الله تعالى - بعدد ضخم من الأحاديث والآثار بلغت خمسة وتسعين ومائة وألف حديث : (١١٩٥) ، وهي تنقسم إلى الآتي :

أولاً : الأحاديث الشريفة :

أورد السيوطي - رحمه الله تعالى - ثمانية وتسعين ومائتي حديث : (٢٩٨) معزوة إلى مخرجها^(١) .

وأورد ثلاثة وستين وثلاثمائة حديث : (٣٦٣) غير معزوة^(٢) .

فمجموع ما أورده من أحاديث يبلغ واحداً وستين وستمائة حديث : (٦٦١)

وهذه الأحاديث تنقسم إلى أحاديث قد حكم عليها ، وأحاديث لم يحكم عليها - وهي الأعم الأغلب - كما ذكرت سابقاً^(٣) .

ثانياً : الآثار :

قد أورد السيوطي ثلاثة وخمسين ومائتي أثر : (٢٥٣) عازياً إلى مخرجها^(٤) ، وأورد واحداً وثمانين ومائتي أثر : (٢٨١) غير معزوة^(٥) .

فبلغ مجموع هذه الآثار أربعة وثلاثين وخمسمائة أثر : (٥٣٤) .

١- انظر - مثلاً - : ١ / ١٤ ، ١٥ ، ٤٠ ، ٩٨ ، ١٢٥ ، ١٢٦ ، ١٢٧ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ...

وانظر : ٢ / ٢٢ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ...

وانظر : ٣ / ١٠٢ ، ١١٣ ، ١٤٣ ، ١٦٣ ...

٢- انظر - مثلاً - ١ / ٧٣ ، ٧٧ ، ١١٦ ، ١٣٥ ، ١٤٥ ...

وانظر : ٢ / ٧ ، ٨ ، ٩ ، ١١ ، ١٢ ، ٢١ ...

وانظر : ٣ / ٧ ، ١٣ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٢٤ ، ٢٥ ...

٣- انظر ص ٤٧٨ .

٤- انظر - مثلاً - : ١ / ١٤ ، ١٥ ، ٢٣ ، ٧٨ ، ٩٥ ، ٩٧ ...

وانظر : ٢ / ١٢ ، ١٠٤ ، ١١٣ ، ١٢٧ ...

وانظر : ٣ / ١٤٣ ، ١٧٠ ، ٢٠٢ ، ٢٤٣ ...

٥- انظر - مثلاً - : ١ / ٢٤٥ ، ٤٧٣ ، ٤٩٦ ...

وانظر : ٢ / ٣٩ ، ٥٦ ، ٥٧ ...

وانظر : ٣ / ٣١ ، ٣٣ ، ٥٤ ...

وهو لم يحكم إلا على القليل مما أورده من هذه الآثار ، مثلما صنع في الأحاديث النبوية الشريفة ، وقد بينت ذلك سابقاً^(١) .

وهذا العدد من الآثار لا يشمل مانقله السيوطي من أخبار بني إسرائيل ، أو من بعض الكتب السماوية ، وهو عدد كبير .

وإيراد مثل هذا العدد الكبير من الأحاديث والآثار في كتاب واحد يعد من حسنات الكتاب وأوجه القوة فيه - كما ذكرت سابقاً^(٢) - خاصة أن تلك الأحاديث والآثار لا تخلو من إحدى الحالات الآتية :

١ - أن يكون السيوطي قد حكم عليها .

٢ - أو أن يكون ذكر مخرجها ، وقد صنع هذا في قرابة نصف عدد الأحاديث والآثار التي أوردها ، كما بينت من قبل^(٣) .

٣ - أو أن يجمع بين الحكم والتخريج .

٤ - أو أن يغفل الحكم والتخريج ، لكن كثيراً منها مشهور معروف .
فورود مثل هذه الأحاديث والآثار على الصفة المذكورة يثري الكتاب ويدعم مباحثه .

١- انظر ص ٤٧١ .

٢- انظر ص ٢٩١ .

٣- انظر ص ٤٦٨ .

مدى مطابقة الأحاديث والآثار لموضوع الكتاب (الإعجاز) :

الملاحظ أن عدداً كبيراً من الأحاديث والآثار التي ساقها السيوطي ليس ذات صلة مباشرة بإثبات الإعجاز وتبينه ، إنما جاء بكثير منها في ثنايا التفسير ، ومباحث الأصول ، ومبحث توضيح المبهمات إلخ ... فلا يقال إذاً إن تلك الأحاديث والآثار الكثيرة كانت كلها مسوقة لبيان الإعجاز ، إنما يتعلق منها بالإعجاز ما كان الموضوع الواردةً هي فيه متعلقاً بالإعجاز تعلقاً مباشراً أو غير مباشر ، والله أعلم .

المبحث الرابع : منهجه اللغويّ

معلوم أنه لا بد لمريد تفسير القرآن ، أو المتعرض لشرح ألفاظه لا بد له من فهم اللغة العربية على وجه يمكنه معه أن يتصدّى لهذا الأمر ، وقد كانت للسيوطي المكانة الكبرى في اللغة ، ظهر ذلك في مصنفاته التي وضعها في اللغة فصارت مراجع لمن جاء بعده من العلماء ، منها ((المرزهر في علوم اللغة وآدابها)) ، و ((جمع الجوامع)) ، و ((الأشباه والنظائر)) ، وغير ذلك من المصنفات الجليلة .

وقد ظهر جلياً تفوقه في هذا الجانب من خلال تعرضه لمباحث لغوية كثيرة في ثنايا كتابه ، فمنها :

أ - النحو :

قد كان لمباحث النحو قدر بارز في كتاب السيوطي - رحمه الله تعالى - فمن هذه المباحث أنه أكثر من ذكر الأوجه الإعرابية للألفاظ القرآنية ، فمن ذلك قوله عند تعرضه لشرح قوله تعالى :

﴿كَذَٰلِكَ اللَّهُ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾^(١) :

((أي مثل هذه الفعلة العجيبة يفعل ما يشاء ، فالكاف لتشبيه أفعاله العجيبة بهذه الفعل ، والإشارة إلى هبة الولد لزكرياء ، واسم ﴿اللَّهُ﴾ مرفوع بالابتداء ، و﴿كَذَٰلِكَ﴾ خبره فيجب وصله معه .

وقيل إن الخبر ﴿يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ﴾ ويحمل ﴿كَذَٰلِكَ﴾ على وجهين :

أحدهما : أن يكون في موضع الحال من فاعل يفعل ، والآخر أن يكون في موضع خبر مبتدأ محذوف تقديره : الأمر كذلك ، أو أنما كذلك ، وعلى هذا يوقف على

١- سورة آل عمران : آية ٤٠ .

﴿كَذَلِكَ﴾ ، والأوّل أرجح ؛ لاتصال الكلام ، وارتباط قوله : ﴿يَفْعَلُ مَايَشَاءُ﴾ مع ما قبله ، ولأن له نظائر كبيرة في القرآن منها قوله : ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ﴾^(١) ، و﴿١﴾^(٢) .
ومن مباحث النحو التي أوردتها حروف الجر ومعانيها ، وأدوات الشرط ، والجزم ، والنصب ، والحروف والأفعال الناسخة .
وقد توسع في بعض تلك المباحث توسعاً كبيراً ، وذلك نحو حرف (اللام) ، وحرفا : (لو) و (لولا) في فصل اللام ، فقد أورد الكلام على هذه الأحرف الثلاثة في نحو عشرين صفحة من المطبوع^(٣) .

ب - الصرف^(٤) :

وذلك نحو قوله في شرح قوله تعالى :
﴿ثم أرسلنا رسلنا تترأ﴾^(٥) حيث قال :
((تترأ ﴾ وزنه (فعلى) ، ومعناه : التواتر والتتابع ، وهو موضوع موضع الحال : أي متواترين واحداً بعد واحد ، فمن قرأه بالتونين فألفه للإلحاق^(٦) ، ومن قرأه بغير

١- سورة هود : آية ١٠٢ .

٢- وانظر ((معترك الأقران)) ٢ / ١٦٤ - ١٦٥ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) ٢ / ٢٣٩ - ٢٥٩ .

٤- هو ((علم بأصول تُعرف بها أحوال أبنية الكلم التي ليست بإعراب)) : ((شرح شافية ابن الحاجب)) ١ / ١ .

٥- سورة المؤمنون : آية ٤٤ .

٦- الإلحاق المقصود هنا هو الإلحاق الصرّيّ وهو ((جعل مثال على مثال أُرِيدَ منه ليعامل معاملة في التصريف)) :

((المعنى في تصريف الأفعال)) : ٥٩ .

((وإن نُوتِ الكلمة في لغة ولم تنون في لغة أخرى فهي [أي الألف] للتأنيث عند من لم ينون ، ولالإلحاق عند من ينون مثل ﴿ تترأ ﴾ - من المواترة وهي المتابعة - ... قرئ في السبعة بتنوين ﴿ تترأ ﴾ وبغير التنوين)) :

المصدر السابق : ٦٦ .

أي أن أصل الكلمة - على أن الألف للإلحاق ، وإنما أُضيف لها ألفٌ إلحاقاً لها بكلمة أخرى لتعامل معاملة ، ومنثلاً هذه الكلمة الأخرى بـ (أرطى) : شجر ينبت في الرمل . المصدر السابق : ٦٥ .

والكلمة على وزن (فعلى) ، فتحتمل ألفها أن تكون للتأنيث فلا تنون فيها حينئذٍ لأنها ممنوعة من الصرف ، وتحتمل أن تكون للإلحاق - كما مرّ - فلا تكون الكلمة مؤنثة هنا وإنما هي مصدر لحقته ألف الإلحاق على قلة

وندره . انظر ((البحر المحيط)) ٦ / ٣٩٣ - ٣٩٤ .

تنوين فالفه للتأنيث ولم ينصرف^(١)؛ وتأنينه لأن الرسل جماعة^(٢)، والتاء الأولى فيها بدل من الواو، وهي فاء الكلمة^(٣)((^(٤)).

ومن المباحث الصرفية التي ساقها قوله في شرح قوله تعالى ﴿فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ﴾^(٥) :
 ((﴿حَمِئَةٍ﴾ : و ﴿حَمِيَةٍ﴾ و ﴿حَمِيَةٍ﴾ : حارة ، وقرئ بالهمز على وزن (فَعْلَةٌ) أي ذات حمأة^(٦) ، وقرئ بالياء على وزن (فاعله)^(٧) ... ويحتمل أن تكون^(٨) بمعنى ﴿حَمِيَةٍ﴾^(٩) ولكن سهلت همزته^(١٠) فيتفق معنى القراءتين ، وقد قيل : يمكن أن يكون فيها حمأة وتكون حارة لحرارة الشمس فتكون جامعة للوصفين ، ويجتمع معنى القراءتين^(١١)((^(١٢)).

- ١- وإنما لم تنصرف الكلمة - أي لم تنون - لأن التأنيث علة كافية في المنع من الصرف .
 انظر ((شرح قطر الندى)) : ٤١٩ ، ٤٢٦ .
- ٢- لأن جموع التكسير مؤنثة ، والرُّسُل جمع تكسير ، انظر ((معجم النحو)) : ١٣٦ .
- ٣- لأن أصل الكلمة (وَتَرَّ) ومصدرها (وَتَرَأَ) ، والواو هنا فاء الكلمة فكذلك التاء المبذلة عنها .
- ٤- ((معترك الأقران)) : ١٨ / ٢ .
- ٥- سورة الكهف : آية ٨٦ .
- ٦- أي ذات طين أسود متين ، انظر ((لسان العرب)) : (ح م أ) .
- ٧- وهما القراءتان الصحيحتان المتواترتان ، انظر ((النشر)) : ٢ / ٣١٤ .
- ٨- أي قراءة ﴿حَمِيَةٍ﴾ .
- ٩- في المطبوع ((حمية)) ولا يستقيم المعنى بها .
- ١٠- أي سهلت الهمزة من ((حَمِيَةٍ)) فأصبحت : ((حَمِيَةٍ)) والتسهيل هنا بمعنى الإبدال ؛ إذ التسهيل يأتي بمعنى نطق الهمزة بصفة بين الهمزة وحركتها ، ويقيد عادة بأن يُقال : التسهيل بينَ يَينَ ، وقد يطلق وهو الأكثر في كلام المصنفين في القراءات .
- ويأتي التسهيل - أيضاً - بمعنى إبدال الهمزة حرف مد من جنس حركتها ، وهو المراد هنا ، وانظر هامش رقم (١١) الآتي .
- والأحسن أن يُقال في مثل هذا الموضع : ((أبدلت همزته)) عوضاً عن : ((سهلت همزته)) لما فيها من اللبس ، والله أعلم .
- ١١- قال أبوحيان : ((قال أبوحاتم : وقد يمكن أن تكون ﴿حَمِيَةٍ﴾ مهموزة بمعنى ذات حمأة ، فتكون القراءتان بمعنى واحد ، يعني أنه سهلت الهمزة بإبدالها ياءً لكسرة ما قبلها...)) : ((البحر المحيط)) : ٦ / ١٥٩ .
- ١٢- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٩ ، وانظر مثلاً آخر على المباحث الصرفية في : ٢ / ٣٣٢ .

ج - علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع :

قد كان لهذه العلوم اللغوية نصيبٌ وافر في كتاب السيوطي - رحمه الله تعالى - ففي علم المعاني أورد عدة أوجه عدها من وجوه الإعجاز ، وهي :

١ - الوجه الثاني عشر : إفادة حصره واختصاصه^(١) .

٢ - الوجه السادس والعشرون : إيجازه في آية وإطنابه في أخرى^(٢) .

٣ - الوجه الثامن والعشرون : احتواؤه على الخير والإنشاء^(٣) .

وفي علم البيان أورد الأوجه التالية - التي عدها من وجوه الإعجاز - وهي :

١ - الوجه الثالث والعشرون : وقوع الحقائق والمجاز فيه^(٤) .

٢ - الوجه الرابع والعشرون : تشبيهه واستعاراته^(٥) .

٣ - الوجه الخامس والعشرون : وقوع الكناية والتعريض فيه^(٦) .

وأما علم البديع فقد أفرد له الوجه السابع والعشرين : وقوع البدائع البليغة فيه^(٧) .

وقد سبق الكلام على هذه الأوجه البلاغية^(٨) .

د - لهجات العرب والمعرّب :

قد أفرد السيوطي - رحمه الله تعالى - لهذا المبحث الوجه الثالث عشر من وجوه

الإعجاز : احتواؤه على جميع لغات العرب^(٩) .

وقد سبق الكلام على هذا المبحث^(١٠) .

١- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨١ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٣ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٢٠ .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٦ .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٦٩ .

٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٨٦ .

٧- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧٣ .

٨- انظر الصفحات : ٣٦٦ ، ٣٨٢ ، ٣٨٧ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ من هذه الرسالة على التوالي .

٩- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٩٥ .

١٠- انظر ص ٣٦٨ وما بعدها من هذه الرسالة .

المبحث الخامس : منهجه في تأصيل القضايا الشرعية

هذا الكتاب : ((معترك الأقران)) كتاب جليل ، من يشتغل فيه وفي مدارسته ينل علماً متنوعاً ؛ فقد امتلأ بعدد وافر من القضايا الشرعية المتنوعة في شتى شعب الشريعة الإسلامية مثل : العقيدة ، والتفسير ، والقراءات ، والتجويد ، والفقه ، إلخ ...

وسأذكر - إن شاء الله تعالى - منهجه في هذه القضايا الشرعية ، مرجحاً مناقشة بعض مسائلها التي تحتاج إلى نقاش مطوّل إلى الفصل الثالث القادم ، وهو : دراسة أهم القضايا العلمية التي أوردها في كتابه .

المطلب الأول : منهجه في العقيدة

أورد السيوطي في كتابه مسائل منثورة عن بعض جوانب العقيدة ، وذلك نحو مسألة صفات الله - تبارك وتعالى - وما ينبغي للمؤمن حيالها ، وكذلك ناقش بعض

مسائل العقيدة ، فذكرها الله تعالى : الله تعالى .

وكلامه هذا واضح ، لإشكال فيه في ميله نحو الإثبات ، ولكن قوله بالتفويض للمعاني ليس من مذهب السلف ؛ فإن المعاني عندهم معروفة ؛ إذ هي بلسان العرب الذي كان من سليقتهم ، ولكنهم كانوا يفوضون الكيفية فقط وليس المعنى^(١) .
ولكن لعله يقال إنه يريد بـ ((معناها المراد)) : الكيفية ؛ وذلك لأنه لم يرد مطلق المعنى وإنما أراد معنى مراداً يمكن أن يكون هو الكيفية ، والله أعلم .

ثم إن السيوطي - رحمه الله تعالى - ذكر أنه قد ((ذهب طائفة من أهل السنة أنا نوولها على مايلق بجلاله تعالى ، وهذا مذهب الخلف ، وكان إمام الحرمين يذهب إليه ثم رجع عنه فقال في ((الرسالة النظامية))^(٢) : الذي نرتضيه ديناً وندين الله به عقداً اتباع سلف الأمة ، فإنهم درجوا على ترك التعرض لمعانيها .

وقال ابن الصلاح^(٣) : وعلى هذه الطريقة مضى صدر الأمة وساداتها ، وإياها اختار أئمة الفقهاء وقاداتها ، وإليها دعا أئمة الحديث وأعلامه ، ولأحد من المتكلمين من أصحابنا يَصْدِف^(٤) عنها ويأبأها^(٥) .

١- انظر في هذا : ((درء تعارض العقل والنقل)) : ١ / ٢٠١ - ٢٠٨ ، ٣ / ٣٨١ ، ٥ / ٢٤٩ ، ٢٨٠ - ٢٨١ .

٢- وتسمى ((العقيدة النظامية)) ، وقد طبعت مرة سنة ١٣٦٧ في مطبعة الأنوار في القاهرة ، ومرة سنة ١٣٩٩ في القاهرة أيضاً بتحقيق الدكتور أحمد حجازي السقا .

وقد ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية أن أول قول أبي المعالي التأويل وآخره التفويض للمعاني .

انظر ((درء تعارض العقل والنقل)) : ٣ / ٣٨١ ، ٥ / ٢٤٩ .

٣- الإمام الحافظ العلامة ، شيخ الإسلام تقي الدين أبو عمرو عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان الكردي الشهرزوري ، الموصلي الشافعي . مولده سنة ٥٧٧ ، وجمع وألف وأفتى وكان من كبار الأئمة . توفي سنة ٦٤٣ بدمشق - وكان قد نرح إليها بعد رحلات كثيرة - انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢٣ / ١٤٠ - ١٤٤ .

٤- أي يميل عنها ويُعرض . انظر ((لسان العرب)) : ص د ف .

٥- ((معترك الأقران)) ١ / ١٤٧ - ١٤٨ .

المواضع التي مال فيها السيوطي إلى مذهب المؤولين :

وهذا الكلام الذي ساقه دالٌّ على رضائه عن مذهب المثبتين ، ولكنه لا يلبث أن يرتضي بعض مذهب إليه المؤولون في هذا الباب - باب الصفات - وذلك نحو قوله : ((ومن ذلك اليد كما في قوله تعالى :

﴿ لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ ﴾^(١) ، ﴿ يَدَ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ ﴾^(٢) ، ﴿ مِمَّا عَمِلَتْ أَيْدِينَا ﴾^(٣) ،

و ﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ﴾^(٤) ، وهي مؤولة بالقدرة .

وقال السُّهيلي^(٥) :

اليد في الأصل كالمصدر عبارة عن صفة لموصوف ، ولذلك مدح سبحانه بالأيدي مقرونة بالابصار في قوله : ﴿ أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ ﴾^(٦) ، ولم يمدحهم بالجوارح ؛ لأن المدح إنما يتعلق بالصفات لا بالجواهر .
قال الأشعري : إن اليد صفة وزد بها الشرع .

والذي يلوح من معنى هذه الصفة أنها قريبة من معنى القدرة ، إلا أنها أخص والقدرة أعم ؛ كالحجة مع الإرادة والمشية ، فإن في اليد تشريعاً لازماً^(٧) .

ثم ساق نصوص من ذهب إلى أن اليد هنا أو اليدان صفة من صفات ذاته وليست بمعنى القوة والنعمة ، وساق نصوص من ذهب إلى تأويلها .

١- سورة ص : آية ٧٥ .

٢- سورة الفتح : آية ١٠ .

٣- سورة يس : آية ٧١ .

٤- سورة آل عمران : آية ٧٣ .

٥- الشيخ أبو القاسم وأبو زيد عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهيلي الإمام المشهور . ولد سنة ٥٠٨ بمالقة . وكان صاحب تصانيف كثيرة ممتعة ، وأشعاره كثيرة . وكان ضريباً . توفي بمراكش سنة ٥٨١ ، وكان صاحبها قد طلبه فمكث عنده ثلاث سنوات مكرماً . انظر ((وفيات الأعيان)) : ٣ / ١٤٣ - ١٤٤ .

٦- سورة ص : آية ٤٥ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٥٠ - ١٥١ .

ومما يدل - أيضاً - على رضائه لبعض التأويلات في هذا الباب قوله :
 ((ومن ذلك صفة الجيء في قوله ﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾ ^(١) ... أي أمره ... ومن ذلك صفة الحب في قوله ﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾ ^(٢) ...

وصفة الغضب في قوله و ﴿ عَصِبَ اللَّهُ ﴾ ^(٣) .

وصفة الرضا في قوله :

﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾ ^(٤) ...

وصفة الرحمن في آيات كثيرة ، وقد قال العلماء : كل صفة يستحيل حقيقتها على الله تعالى تفسر بلازمها ^(٥) .

يتضح مما سبق أن السيوطي - رحمه الله تعالى - لم يسر على نهج واحد في هذا الباب ، ولم يختار طريقة ثابتة فيها ، في هذا الكتاب ، والله أعلم .

٢ - قضية آيات الصفات وإدخالها في التشابه :

ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - أن ((من التشابه آيات الصفات ... وجمهور أهل السنة منهم السلف وأهل الحديث على الإيمان بها وتفويض معناها المراد إلى الله تعالى ^(٦) ، ولا نفسرها مع تنزيها لها عن حقيقتها ... وذهبت طائفة من أهل السنة أنا نوولها على ما يليق بجلاله تعالى ، وهذا مذهب الخلف ...)) ^(٧) .
 فالسيوطي يعدُّ آيات الصفات من التشابه ، وهذا القول خلاف قول السلف ، وبيان هذه القضية فيما يلي :

١- سورة الفجر : آية ٢٢ .

٢- سورة المائدة : آية ٥٤ .

٣- سورة النساء : آية ٩٣ .

٤- سورة المائدة : آية ١١٩ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٥٢ - ١٥٣ .

٦- سبق قرياً بيان قضية التفويض هذه ، انظر ص ٤٩٠ ، ٤٩١ .

٧- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٤٦ - ١٤٧ .

أولاً : إن هذا القول لم يقل به أحد من السلف ، حيث قال شيخ الإسلام ابن تيمية :
 ((أما الدليل على بطلان ذلك فإني ما أعلم عن أحد من سلف الأمة ولا من الأئمة
 لأحمد بن حنبل ولا غيره أنه جعل ذلك من المتشابه الداخل في هذه الآية ^(١) ونفى أن
 يعلم أحد معناه ، وإنما قالوا : كلمات لها معان صحيحة ...)) ^(٢) .

ثانياً : التشابه أمر نسبي ؛ فقد يتشابه على قوم ما لا يتشابه على آخرين ، ((وهذا هو
 الذي أراده من جعل الراسخين يعلمون التأويل ، فإنه جعل المشتبهات في القرآن من
 هذا الباب الذي يشبهه على بعض الناس دون بعض ، ويكون بينهما من الفروق المانعة
 للتشابه ما يعرفه بعض الناس ، وهذا المعنى صحيح في نفسه لا ينكر ، ولا ريب أن
 الراسخين في العلم يعلمون ما شابه على غيرهم)) ^(٣) .

ثالثاً : ((لا يجوز أن يكون الله أنزل كلاماً لا معنى له ، ولا يجوز أن يكون الرسول ،
 صلى الله عليه وسلم ، وجميع الأمة لا يعرفون معناه - كما يقول ذلك من يقوله من
 المتأخرين - وهذا القول يجب القطع بأنه خطأ ... فإن معنى الدلائل الكثيرة من الكتاب
 والسنة وأقوال السلف على أن جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره)) ^(٤) .

١- أي قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي
 قُلُوبِهِمْ رِيبٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ وَمَا يَكُنْ لَهُ تَأْوِيلٌ إِلَّا اللَّهُ وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ
 ءَأَمْثَلُهُمْ ۖ سُبْحَانَ آلِ عِمْرَانَ : آية ٧ .

٢- ((مجموع الفتاوى)) : ١٣ / ٢٩٤ - ٢٩٥ .

٣- ((مجموع الفتاوى)) : ١٧ / ٣٨٣ - ٣٨٤ .

٤- المصدر السابق : ١٧ / ٣٩٠ .

وقول ابن تيمية أن ((جميع القرآن مما يمكن علمه وفهمه وتدبره)) يخالف ما ذكره السيوطي - رحمه الله تعالى -
 أن ابن جرير أخرج ((من طرق عن ابن عباس ، قال :

((التفسير أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها ، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته ، وتفسير تعرفه العلماء ، وتفسير
 لا يعرفه إلا الله تعالى)) ، ثم رواه مرفوعاً بسند ضعيف ...)) : ((الإتيان)) : ٢ / ١٨٢ .

وهذا الأثر أخرجه ابن جرير بإسناده فقال :

حدثنا محمد بن بشار ، قال : حدثنا موثّل ، قال : حدثنا سفيان ، عن أبي الزناد ، قال : قال ابن عباس : ...)) :

((جامع البيان)) : ١ / ٧٥ .

أما محمد بن بشار فهو العبد البصري ، المشهور بـ (بُندار) وهو ثقة ، مات سنة ٢٥٢ ، كما في ((التقریب)) : =

وقال شيخ الإسلام :

والعاشر^(١) : قول بعض المتأخرين إن التشابه آيات الصفات وأحاديث الصفات ، وهذا أيضاً مما يعلم معناه ؛ فإن أكثر آيات الصفات اتفق المسلمون على أنهم يعرفون معناها ، والبعض الذي تنازع الناس في معناه إنما ذم السلف منه تأويلات الجهمية^(٢) ، ونفوا علم الناس بكيفيته ، كقول مالك^(٣) :

الاستواء معلوم ، والكيف مجهول ، الإيمان به واجب ، والسؤال عنه بدعة ، وكذا قال سائر أئمة السنة ، وحينئذ ففرق بين المعنى المعلوم والكيف المجهول ، فإن سُمي الكيف تأويلاً ساغ أن يقال : هذا التأويل لا يعلمه إلا الله^(٤) .

٣ - الكلام على بعض عقائد المعتزلة :

تكلم السيوطي على بعض عقائد المعتزلة وناقشهم فيها ورد عليهم أباطيلهم ، فمن ذلك قوله مناقشاً لهم في قضية رؤية الله - تبارك وتعالى - في الدار الآخرة : ((لن) : حرف نصب ونفي واستقبال ... وأدعى الزمخشري - أيضاً - أنها لتأييد النفي كقوله تعالى : ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٥) و ﴿لَنْ تَفْعَلُوا﴾^(٦) .

= ٤٦٩ .

مومل هو ابن إسماعيل القُدَوِي البصري ، صدوق سيء الحفظ كما في ((التقريب)) : ٥٥٥ .

سفيان : جبل لأيسأل عنه ، سواء كان الثوري أو ابن عبيدة ، إذ كلاهما روى عن أبي الزناد ، ومومل قد روى عنهما

أيضاً ، انظر ((تهذيب التهذيب)) : ١٠ / ٣٤٠ ، و ((الجرح والتعديل)) : ٥ / ٤٩ .

وأبو الزناد هو عبد الله بن ذُكْوَان : ثقة فقيه كما في ((التقريب)) : ٣٠٢ .

فإسناد هذا الأثر حسن ، إن شاء الله تعالى .

١- أي العاشر من إطلاقات التشابه ، كما في السياق قبله .

٢- فرقة مبتدعة ضالة ، أتباع جَهْم بن صفوان ، تفردوا بأقوال شنيعة في توحيد الله تبارك وتعالى وفي كثير من جوانب

العقيدة ، انظر في أقوالهم : ((مقالات الإسلاميين)) : ٢٧٩-٢٨٠ .

٣- أحد أئمة أهل السنة الأعلام ، توفي بالمدينة سنة ١٧٩ عن تسع وثمانين سنة ، انظر في ترجمته ((سير أعلام

النبلاء)) : ٤٨/٨ - ١٣٥ .

٤- ((مجموع الفتاوى)) : ١٧/٤٢٣-٤٢٤ .

٥- سورة الحج : آية ٧٣ .

٦- سورة البقرة : آية ٢٤ .

قال ابن مالك^(١) :

وحمله على ذلك اعتقاده في ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(٢) أن الله لا يرى .

ورده غيره بأنها لو كانت للتأييد لم يُقيدَ منفيها بـ ﴿الْيَوْمَ﴾ في ﴿لَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ إِنْسِيًّا﴾^(٣) ، ولم يصح التوقيت في ﴿لَنْ أَنْبَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَبِي﴾^(٤) ، ﴿لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَكِيفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى﴾^(٥) ، وكان ذكر الأبد في ﴿لَنْ يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾^(٦) تكرار والأصل عدمه ، واستفادة التأييد في : ﴿لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾^(٧) ونحوه من خارج^(٨) .

ووافقه على إفادة التأييد^(٩) ابن عطية ، وقال في قوله : ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾^(١٠) :
لو أبقينا على هذا النفي لتضمن أن موسى لا يراه أبداً ، ولا في الآخرة ، لكن ثبت في

١- الإمام العلامة جمال الدين محمد بن عبد الله بن عبد الملك الطائي الجبائي الشافعي الأستاذ المقدم في النحو واللغة ، صاحب التصانيف السائرة . ولد سنة ستمائة . كان إماماً في القراءات واللغة ، صاحب دين مثين وتقوى راسخة ، توفي سنة ٦٧٢ .

انظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ٨ / ٦٧-٦٨ .

وجيَّان مدينة بالأندلس .

٢- سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

٣- سورة مريم : آية ٢٦ .

٤- سورة يوسف : آية ٨٠ .

٥- سورة طه : آية ٩١ .

٦- سورة البقرة : آية ٩٥ .

٧- سورة الحج : آية ٧٣ .

٨- أي من دليل عقلي خارجي .

٩- أي وافق ابن عطية الزرخشري على إفادة (لن) التأييد ، لكن دلّ الدليل الشرعي على أننا نرى الله يوم القيامة فتكون ﴿لَنْ﴾ هنا - مفيضة للتأييد في الدنيا فقط وهذا هو مراد ابن عطية ، فليست موافقة للزرخشري موافقة مطلقة ، ونصّ كلام ابن عطية - رحمه الله تعالى - هو : ((وقوله : عز وجل ﴿لَنْ تَرِنِّي﴾ نص من الله - تعالى - على منعه الرؤية في الدنيا ، و (لن) تنفي الفعل المستقبل ، ولو بقينا مع هذا النفي بمجرده لقضينا أنه لا يراه موسى أبداً ولا في الآخرة ، لكن ورد من جهة أخرى بالحديث المتواتر أن أهل الإيمان يرون الله - تعالى - يوم القيامة ، فموسى - عليه السلام - أحرى برؤيته)) : ((المحرر الوجيز)) : ٧ / ١٥٥ .

١٠- سورة الأعراف : آية ١٤٣ .

الحديث المتواتر^(١) أن أهل الجنة يرونه ...))^(٢) .

وقد يذكر السيوطي مذهب المعتزلة ولا يناقشه ، نحو قوله :

((وَمَنْ يَعِصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ))^(٣) الآية في الكفار ، وحملها المعتزلة على عصاة المؤمنين ، لأن مذهبهم خلودهم في النار))^(٤) .

١- أخرج البخاري أحد عشر حديثاً في الرؤية ، منها ما أخرجه بسنده عن جرير - رضي الله عنه - قال : ((كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ نظر إلى القمر ليلة البدر ، قال : إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ...)) وانظر صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قول الله تعالى : ﴿ وَجْهَهُ يُؤْمِنُ بِهَا نَاضِرَةٌ إِلَى رَبِّهَا نَاطِرَةٌ ﴾ : ١٦٣-١٥٥/٩ . و ((فتح الباري)) : ٢٨ / ٢٥٥ وما بعده . هذا ما أخرجه البخاري عدا ما أخرجه باقي السنة ، وما أخرجه أصحاب المعاجم والمسانيد .
وقال ابن حجر :

((جمع الدار قطني طرق الحديث الواردة في رؤية الله - تعالى - في الآخرة فزادت على العشرين ، وتبعها ابن القيم في ((حادي الأرواح)) فبلغت الثلاثين ، وأكثرها جيد ، وأسند الدار قطني عن يحيى بن معين ، قال : عندي سبعة عشر حديثاً في الرؤية صحاح)) : ((فتح الباري)) : ٢٨-٢١٩ .
فروية الله في الآخرة ثبتت بالتواتر إذاً ، كما قال ابن عطية ، رحمه الله تعالى .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢٥١/٢-٢٥٢ .

٣- سورة النساء : آية ١٤ ، وعمل الشاهد من الآية : ﴿ يُدْخِلُهُنَّ سَارًّا خَلِيدًا فِيهَا ﴾ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٤٦٣/٢ ، وهناك أمثلة أخرى لمناقشة السيوطي المعتزلة في ٨٢/٢ ، ٤٤٨ .

المطلب الثاني : منهجه في التفسير

التفسير في كتاب الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - ((معترك الأقران))
يكاد يكون محصوراً في الأوجه الثلاثة الأخيرة من أوجه الإعجاز التي أوردتها ، وهي :

الوجه الثالث والثلاثون : ورود آيات مبهمة يحار العقل فيها .
وقد قام ببيان هذه المبهمات ، وهو نوع من التفسير .

الوجه الرابع والثلاثون : احتواؤه على أسماء الأشياء والملائكة والكنى والألقاب .
وقد ذكر في هذا الوجه بعض أسماء لكنى وقبائل وطيور وغيرها ، وأحال القارئ إلى
الوجه الخامس والثلاثين لمعرفة أسماء الأنبياء ، والبلاد ، والألقاب .
وهذا الوجه وجه قصير ، لم يفسر فيه السيوطي إلا القليل من الكلمات .

الوجه الخامس والثلاثون : ألفاظه المشتركة .
وهذا الوجه هو الذي يظهر فيه بوضوح منهج الحافظ السيوطي في تفسيره لكتاب الله
تعالى ، ولكن لا بد قبل الكلام على منهجه في التفسير أن يلاحظ الآتي :

قد كان تفسير السيوطي متوجهاً لكلمات أو جمل قصيرة ولم يفسر آيات كاملة ؛
وذلك أوزن نقصاً في الحكم على منهجه لأنه ليس وحدة متكاملة ، وخاصة أن هذه
الكلمات أو الجمل القصيرة ليست مرتبة ترتيبها في القرآن بل هي مرتبة - في كثير
منها - على الحروف الهجائية ، وهناك ألفاظ بين هذه الكلمات تبدأ بأحرف مغايرة
سيعود إليها في مكانها .

وسأورد كلمات فسرهما في صفحة واحدة من كتابه ليتبين ما أعنيه :

- ﴿سُلَيْمَنَ﴾ : سورة البقرة ، الآية : ١٠٢ .
 ﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾ : سورة البقرة ، الآية : ١٠٨ .
 ﴿سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ﴾ : سورة البقرة ، الآية : ٥٨ .
 ﴿السَّوَى﴾ : سورة البقرة ، الآية : ٥٧ .
 ﴿سُجَّدًا﴾ : سورة البقرة ، الآية : ٥٨ .^(١)

فهذه الكلمات التي أوردتها من سورة البقرة إنما التزم إيرادها - كما هو ظاهر - على ترتيب حرفها الأول ، وإن كان في إيراده لها خللٌ في ترتيب الكلمات بحسب ورود آياتها في السورة^(٢) .

وهذه الكلمات ليس بينها وحدة موضوعية واحدة حتى يُربط بينها بمناسبة ما .

وهو لم يفسر في الآية إلا بعضها .

وبعض تلك الكلمات لا يحتاج إلى تفسير .

وهكذا جرى في كتابه ، ومن كانت طريقته كذلك لا يصح أن يُنسب إليه أنه قد فسر كتاب الله - تعالى - تفسيراً كاملاً على ما هو معلوم من التفسير .

ولكني سأذكر منهجه الذي جرى عليه في تفسيره لهذه الألفاظ فقط دون نسبة تفسير القرآن إليه في كتابه هذا .

١- ((معترك الأقران)) : ٢٢٥/٣ .

٢- قد تكلمت على منهجه في إيراد الألفاظ التي اندرجت تحت الوجه الخامس والثلاثين : ((ألفاظه المشتركة)) ، انظر ص ٤٠٤ وما بعدها .

منهجه في تفسير الألفاظ القرآنية

أ - مصادر التفسير :

إن مصادر التفسير التي ينبغي أن يرجع إليها كل مفسر هي : القرآن ، والسنة ، والآثار عن الصحابة والتابعين ، وكلام العرب نثرهم وشعرهم .

قال شيخ الإسلام ابن تيمية ، رحمه الله تعالى :

((فإن قال قائل : فما أحسن طرق التفسير ؟

فالجواب أن أصح الطرق في ذلك أن يفسر القرآن بالقرآن ؛ فما أجمل في مكان فإنه قد فُسر في موضع آخر ، وما اختُصر من مكان فقد بُسط في موضع آخر .

فإن أعياك ذلك فعليك بالسنة فإنها شارحة للقرآن وموضحة له ، بل قد قال الإمام أبو عبد الله محمد بن إدريس الشافعي : كل ما حكم به رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فهو مما فهمه من القرآن ...

وحينئذ إذا لم نجد التفسير في القرآن ولا في السنة رجعنا في ذلك إلى أقوال الصحابة ؛ فإنهم أدري بذلك لما شاهدوه من القرآن ، والأحوال التي اختصوا بها ، ولما لهم من الفهم التام ، والعلم الصحيح ، والعمل الصالح ، لاسيما علماؤهم وكبراؤهم ...

إذا لم نجد التفسير في القرآن ، ولا في السنة ، ولا وجدته عن الصحابة فقد رجع كثير من الأئمة في ذلك إلى أقوال التابعين ...))^(١) .

وقد تنوعت المصادر عند السيوطي - رحمه الله تعالى - شأنه شأن أي مفسر من كبار المفسرين قد حاز الرواية والدراية معاً ، فمن طرق التفسير التي سلكها :

١- ((مجمع الفتاوى)) : ١٣ / ٣٦٣ - ٣٦٨ .

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن :

واضحٌ من عمل السيوطي في تفسيره للألفاظ - التي اندرجت تحت عنوان الألفاظ المشتركة^(١) - أنه يستعين بالقرآن ليفسر به القرآن ما استطاع إلى ذلك سبيلاً ، وذلك نحو قوله :

((هَلُوعًا))^(٢) : قد فسر^(٣) وهو قوله :

((إِذَا مَسَّهُ الشَّرْجُ رُوعًا • وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا))^(٤) .^(٥)

ونحو قوله :

((وَاسِعٌ))^(٦) جوادٍ لما يُسأل . ويقال : الواسع المحيط بعلم كل شيء كما قال :

((وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَّحْمَةٌ وَعِلْمًا))^(٧) .^(٨)

والأمثلة كثيرة جداً^(٩) .

ثانياً : تفسير القرآن بالسنة :

من أنفع التفاسير تفسير القرآن بحديث رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، حيث إنه أعرف الناس بربه ، سبحانه ، وقد جرى السيوطي على هذا في بعض الألفاظ القرآنية التي فسرها ، ومن ذلك قوله :

١- قد سبق بيان أن جمهورها الأعظم ليس بمشترك ، انظر ص ٤٠٧ وما بعدها .

٢- سورة المعارج : آية ١٩ .

٣- أي الله - تعالى - كما هو ظاهر السياق .

٤- سورة المعارج : آية ٢٠ ، ٢١ .

٥- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٠٧ .

٦- سورة البقرة : آية ١١٥ .

٧- سورة غافر : آية ٧ .

أي كما قال تعالى قاصداً ثناء الملائكة .

٨- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣١٢ .

٩- انظر - للمزيد من الأمثلة - ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٢٨ ، ٣٤١ ، ٤٩١ .

((**يَوْمَ بَلَى السَّرَّائِرُ**))^(١) يعني تنكشف سرائر العبد التي كانت في قلبه من عقائد ونيات ، وتالله لا يجد فيها في هذا الزمان إلا ضعائن وحقائد وخبث طويّات .

وروي عن النبي - صلى الله عليه وسلم - :

((إن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة))^(٢) ((^(٣))).

١- سورة الطارق : آية ٩ .

٢- أخرجه الإمام البيهقي في ((شعب الإيمان)) ٦ : ٥٠ - ٥١ بسنده إلى أبي الدرداء - رضي الله عنه - ولفظه : ((ضمن الله - عز وجل - خلقه أربعاً : الصلاة ، والزكاة ، وصوم رمضان ، والغسل من الجنابة ، وهن السرائر التي قال الله عز وجل : **يَوْمَ بَلَى السَّرَّائِرُ**)) .
وذكر البيهقي سنده فقال :

أخبرنا أبو بكر أحمد بن الحسن القاضي ، وعبد الملك بن عثمان الزاهد ، وأبو نصر بن قتادة ، قالوا : حدثنا أبو علي حامد بن محمد الهروي ، حدثنا محمد بن يونس ، حدثنا أبو علي الحنفي ، حدثنا عمران القطان ، عن قتادة ، عن خُلَيْدِ الْعَصْرِيِّ ، عن أبي الدرداء ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم .

أحمد بن الحسن القاضي : ذكره الخطيب في ((تاريخ بغداد)) ٤ : ٩١ ، ولم أعثر له على ترجمة .
عبد الملك بن عثمان الزاهد : ترجمه الخطيب البغدادي لكنه ذكر أن اسمه عبد الملك بن أبي عثمان محمد بن إبراهيم ، ويكنى عبد الملك هذا بأبي سعد ، وهو واعظ من أهل نيسابور . كان ثقة صالحاً ، ورعاً ، زاهداً . توفي سنة ست وأربعمائة . انظر ((تاريخ بغداد)) : ١٠ / ٤٣٢ .

وقد نص الخطيب على أن عبد الملك روى عن حامد الهروي .

أبو نصر بن قتادة : لم أعثر على ترجمه .

أبو علي حامد بن محمد الهروي : ذكر الخطيب البغدادي أنه قد سمع على عدد من المشايخ في بلدان كثيرة ، وقدم بغداد مرتين ، وكان ثقة . توفي بـ (هراة) سنة ست وخمسين وثلاثمائة . انظر ((تاريخ بغداد)) : ٨ / ١٧٢ - ١٧٤ .

محمد بن يونس : هو الكُنَيْي ، أبو العباس السامي ، البصري . ضعيف . مات سنة ست وثمانين ومائتين ، انظر ((التقريب)) : ٥١٥ .

أبو علي الحنفي : عُبيد الله بن عبد المجيد الحنفي ، أبو علي البصري . صدوق . مات سنة تسع ومائتين .

انظر ((التقريب)) : ٤٢٩ .

عمران القطان : عمران بن داوود ، أبو العوام البصري . صدوق . مات سنة تسع ومائتين . انظر ((التقريب)) :

٤٢٩ .

قتادة : هو ابن دِعامَة بن قتادة السُدُوسي ، تقدمت ترجمته ، وهو ثقة ثبت .

خُلَيْدِ الْعَصْرِيِّ : أبو سليمان البصري ، يقال إنه مولى أبي الدرداء ، صدوق يرسل ، من الطبقة الرابعة .

انظر ((التقريب)) : ١٩٥٠ . وقد حكم محقق ((شعب الإيمان)) : ٦ / ٥١ بأن الإسناد ضعيف لضعف محمد بن يونس الكُنَيْي .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٥٤٨ .

ونحو قوله أيضاً :

((هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ))^(١) :

هل تدرون ما قال ربكم ؟

قالوا : الله ورسوله أعلم

قال : يقول : هل جزاء من أنعمت عليه بالتوحيد إلا الجنة^(٢)))^(٣) .

والأمثلة كثيرة ماثورة في ((المعترك))^(٤) .

١- سورة الرحمن : آية ٦٠ .

وهكذا جاء السياق في ((المعترك)) : ٦٤١ / ٣ ، أما في ((الدر المنثور)) : ٧١٤ / ٧ فقد قال السيوطي :
((قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ)) ، وقال : هل تدرون ما قال
ربكم ؟ ...)) .

٢- هذا الحديث - بهذا النص - عزاه السيوطي - رحمه الله - في ((الدر المنثور)) : ٧١٤ / ٧ إلى الحكيم الترمذي في
((نوارد الأصول)) ، والبغوي في تفسيره ، والدليمي في ((مسند الفردوس)) وابن النجار في تاريخه عن أنس رضي
الله عنه .

أما البغوي - رحمه الله تعالى - فقد أخرج الحديث بسنده إلى بشر بن الحسين عن الزبير بن عدي عن أنس - رضي
الله عنه - وقد كذب الأئمة بشراً هذا في روايته عن الزبير عن أنس ، انظر ((لسان الميزان)) : ٢٧ / ٢ - ٢٩ ،
وانظر ((معالم التنزيل)) للبغوي : ٧ / ٤٥٦ .

أما الدليمي فقد ذكر محقق كتابه ((الفردوس)) سند هذا الحديث من ((زهر الفردوس)) - وهو مخطوط من
تصنيف ابن حجر - وإسناده ينتهي ، أيضاً ، إلى بشر بن الحسين عن الزبير عن أنس . انظر ((الفردوس بمأثور
الخطاب)) : ٤ / ٣٣٧ .

وكتاب ((الفردوس)) مجرد من الأسانيد ، وإنما أسند ولده أحاديثه في ((مسند الفردوس)) وعلق عليها الحافظ ابن
حجر في ((زهر الفردوس)) وكلاهما مخطوط ، انظر مقدمة ((الفردوس)) : ١ / ع .

وقد ذكر السيوطي - رحمه الله تعالى - عدة روايات مقاربة لألفاظ هذا الحديث عن ابن أبي حاتم ، وابن مردويه ،
والبيهقي في ((شعب الإيمان)) وذكر السيوطي أن البيهقي ضعف الحديث .

انظر ((الدر المنثور)) : ٧١٣ - ٧١٤ .

٣- ((معترك الأقران)) ٣ / ٦٤١ .

٤- انظر - للمزيد من الأمثلة - ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٣ ، ٣١٢ - ٣١٤ ، ٣١٥ .

ثالثاً : تفسير القرآن بالآثار :

وهي ماروي عن الصحابة والتابعين - رضي الله عنهم - وهو مصدر غني لتفسير القرآن العظيم ، وقد أورد السيوطي طائفة كثيرة من هذه الآثار .

فمن الآثار التي أخرجها عن الصحابة قوله :

((**مَوْفُوتًا**))^(١) أي محدوداً بالأوقات ، وقال ابن عباس : فرضاً مفروضاً^(٢)))^(٣) .

ومن أمثلة ما ذكره من الآثار عن التابعين قوله :

((**جِبَتْ**) : فيه أقوال ، والصحيح أنه كل ما عبد من دون الله ، ويقال :

الْجِبَتْ : السحر ... وأخرج ابن جرير عن سعيد بن جبيرة قال :

الْجِبَتْ : الساحر بلسان الحبشية))^(٤) .

والأمثلة على هذا كثيرة جداً^(٥) .

١- سورة النساء : آية ١٠٣ .

٢- ذكره السيوطي ((الدر المنثور)) : ٢ / ٦٦٧ ، وعزاه لابن أبي حاتم ولفظه : ((وأخرج ابن أبي حاتم عن ابن عباس في قوله : **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾** قال : مفروضاً)) .

وقد رجعت إلى الجزء المحقق من تفسير ابن أبي حاتم لئيل درجة ((الدكتوراه)) من جامعة أم القرى : ٤ / ١٠٣ فوجدت أن ابن أبي حاتم ذكر سنده فقال :

حدثني أبي ، ثنا أبو صالح ، حدثني معاوية بن صالح ، عن علي بن أبي طلحة عن ابن عباس قوله : **﴿إِنَّ الصَّلَاةَ كَانَتْ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ كِتَابًا مَوْفُوتًا﴾** يعني : مفروضاً)) .

وقد حكم المحقق د . حكمت ياسين على الإسناد بأنه جيد ، وهو كما قال فإن رجال الإسناد مشهورون سبق الحديث عنهم بالتفصيل ، انظر ص ٤٧٠ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٦٩ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٠ .

وقد أخرج هذا الأثر ابن جرير فقال : حدثنا ابن بشار ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي بشر ، عن سعيد بن جبيرة في هذه الآية **﴿الْجِبَتْ وَالْطَّلُغُوتُ﴾** ، قال : ((**الْجِبَتْ** : الساحر بلسان الحبشة ، و **الْطَّلُغُوتُ** : الكاهن)) : ((جامع البيان)) : ٨ / ٥١ .

ابن بشار : هو محمد بن بشار ، وقد سبقت ترجمته ، وهو ثقة .

محمد بن جعفر : هو الهذلي ، أبو عبد الله البصري المشهور بـ (غُدَّار) . ثقة . مات سنة ثلاث وتسعين ومائة . أخرج له الجماعة . انظر ((تهذيب التهذيب)) : ٩ / ٨٤ - ٨٦ ، و ((التقريب)) : ٤٧٢ .

شعبة : الإمام الحافظ الثقة المشهور ، وقد سبقت ترجمته .

أبو بشر : جعفر بن إلياس ، أبو بشر بن أبي وَحْشِيَّة . ثقة ، من أثبت الناس في سعيد بن جبيرة . مات سنة خمس وعشرين ومائة . أخرج له الجماعة . انظر ((التقريب)) : ١٣٩ . فإسناد هذا الأثر صحيح قوي .

٥- انظر - للمزيد من الأمثلة - ٢ / ١٥ ، ٣٩ ، ٥٠ ، ٥٧ ، ٦٠ ...

رابعاً : تفسير القرآن بكلام العرب وأشعارهم :

وذلك لأن الله - تعالى - أنزله قرآناً عربياً بلسان العرب ففهموه وعملوا به ،
وخير ما يعرف به مراد الله من كتابه بعد تفسيره بالقرآن والأحاديث والآثار هو
الرجوع إلى كلام وأشعار أصحاب اللسان العربي الذين نزل القرآن بلسانهم ؛ لأن
هذه الكلمات القرآنية قد استعملتها العرب ونطقت بها ، فيرجع إليهم إذاً في فهم
معناها .

وقد استعان السيوطي - رحمه الله تعالى - في تفسيره بطائفة كبيرة من
كلامهم : نثره وشعره ، فمن استعانه بنثرهم قوله :

((مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ))^(١) ... والواو والتاء في ملكوت
زائدتان^(٢) مثل (الرحموت) من الرحمة ، و (الرهبوت) من الرهبة ، تقول العرب :
رَهَبْتُ خَيْرٌ من رَحِمْتُ ؛ أي أن تُرْهَبَ خَيْرٌ من أن تُرْحَمَ))^(٣) .
ومن استعانه بشعر العرب في التفسير - ونادراً ما يصنع هذا - قوله :
((وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا))^(٤) :

أي قد سُعدت بدعائي لك فيما مضى ، فاستجب لي في هذا ، فتوسَّلَ إلى الله بإحسانه
القديم إليه ، ولذلك قيل :

إذا أثنى عليك المرء يوماً
كفى من تعرضه الشاء^(٥)))^(٦) .

١ - سورة الأنعام : آية ٧٥ .

٢ - أي زائدتان على أصل كلمة (المَلِك) : قال أبو حيان :

((قال الزجاج وغيره : المَلَكُوت : المَلِك ، كالرَّغَبُوت والرَّهَبُوت والجُرُوت ، وهو بناء مبالغة)) :

((البحر المحيط)) : ٤ / ١٦٥ .

٣ - ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٧١ .

٤ - سورة مريم : آية ٤ .

٥ - قائل هذا البيت هو أُمَيَّة بن أَبِي الصَّلْت ، من قصيدة مدح بها عبد الله بن جُدعان ، كما في ((عيون الأخبار)) :

١٧٢ / ٣ .

والببيت في ((المعترك)) مكسور في شطره الآخر في قوله : ((كفى)) ، والصحيح : كفاه ، كما في ((عيون الأخبار)) ،

لأن البيت من بحر الوافر الذي لا يستقيم بـ ((كفى)) كما في ((المعترك)) ، ولعل ذلك من صنع النساخ .

وانظر ((شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل)) : ص ٨٢ وما بعدها .

٦ - ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٩٨ .

وكقوله في تفسيره قوله تعالى : ﴿لَا يَلْفُفُ قَرْنٌ﴾^(١) :
 ((ونصب ﴿رِحْلَةً﴾ لأنه مفعول بـ ﴿إِلَافِهِمْ﴾^(٢) ، وقال : ﴿رِحْلَةً﴾ وأراد
 رحلتين ؛ فهو كقول الشاعر :
 كلوا في بعض بطونكم تعفوا^(٣)))^(٤) .
 أي في بعض بطونكم^(٥) .

خامساً : استعانته بكلام المفسرين :

وهذا كثير جداً ، مبثوث في كتابه ، وفعله هذا لا يحصى عنه ؛ إذ لا بد للمتأخر
 من مراجعة تفاسير الأقدمين حيث لا غنى له عنها .

وقد نقد السيوطي منها ما كان مفتقراً إلى تقويم وترجيح ، ومن أمثلة ذلك
 قوله :

((﴿مَا تَرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾^(٦) :
 الآيات - هنا - المعجزات ؛ كقلب العصا حية ، وإخراج اليد بيضاء .
 وقيل : البراهين والحجج العقلية ، والأول أظهر .

ومعنى ﴿أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا﴾ أنها في غاية الكبر والظهور ، ولم يُرد تفضيلها على
 غيرها من آياته ، إنما المعنى أنك إذا نظرت وجدت كبيرة ، وإذا نظرت غيرها
 وجدت كبيرة ، فهو كقول الشاعر :

١- سورة قريش : آية ١ .

٢- فهو مصدر عمل عمل فعله .

٣- وعجز البيت : فإن زمانكم زمنٌ خَمِصٌ .

والبيت مجهولٌ قائله كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في ((خزنة الأدب)) : ٧ / ٥٣٧ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٤٥٢ .

٥- ((روح المعاني)) : ٣ / ٣٠٧ .

٦- سورة الزخرف : آية ٤٨ .

مَنْ تَلَّقَ مِنْهُمْ ثَقُلَ لَقِيتَ سِيدَهُمْ^(١)

هكذا قال الرّمخشري^(٢) .

ويحتمل - عندي - أن يريد: مانريهم من آية إلا هي أكبر مما تقدمها ؛ فالمراد أكبر من أختها المتقدمة عليها^(٣) .

وقد ذكرت سابقاً أن السيوطي ، رحمه الله تعالى ، إذا نقل من المصادر فإنه إما أن يصرح بالمصدر أو يقول : قال فلان - كما هو الحال هنا - أو يغفل المصدر والقائل فيقول : قيل ، أو : قال بعضهم^(٤) ، وهذا يسري على منهجه في استعانته بكلام المفسرين أيضاً .

ب - أسباب النزول^(٥) :

لأسباب النزول فائدة عظيمة في فهم كثير من الآيات ، وقد استعان بها الإمام السيوطي كثيراً - كصنيع غيره من المفسرين - ومن أمثلة ذلك قوله :
(﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾)^(٦) : لا لغيره ...

١- قائل هذا البيت هو : العَرَنَس الكِلابي ، كما في ((خزنة الأدب)) : ١٠ / ١٢٠ ، وتتمته :

مثل النجوم التي يسري بها الساري

والبيت في ((الخزنة)) : ((ثقل لاقيت)) بألف بين اللام والقاف ، وما في ((المعترك)) صحيح بحذف السين من

(مستفعلن) ، حيث جاز ذلك في بحر البسيط ، وانظر ((شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل : العروض

والقافية)) : ٢٦ .

٢- كلام الرّمخشري هذا نقله السيوطي بالمعنى انظر ((الكشف)) : ٣ / ٤٢١ - ٤٢٢ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٤٢٨ .

وانظر نقده لأقوال المصنفين - أيضاً - : ١ / ٥٥٢ ، ٦٠٩ ، ٦٣١ ، والأمثلة كثيرة .

٤- انظر تفصيل هذا في ص ٢٩٤ .

٥- قد كانت فقرة (أ) هي مصادر التفسير ، انظر ص ٥٠٠ .

٦- سورة الأعراف : آية ١٨٠ .

وسبب نزول الآية^(١) أن أبا جهل سمع بعض الصحابة يقرأ فيذكر الله مرة والرحمن أخرى فقال : يزعم محمد أن الإله واحد ، وهاهو يعبد آلهة كثيرة^(٢) ، فنزلت الآية مبينة أن تلك الأسماء الكثيرة هي لمسمى واحد^(٣) .

١- وسبب النزول المذكور قد ذكره عدد من المفسرين - كما سيأتي في تفريغ سبب النزول في الهامش القادم - في

تفسير آية الإسراء : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا وَالرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ : ١١٠ .

فلعل تحريفاً وقع لدى الناسخ فكتب ﴿ اللَّهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ عوضاً عن ﴿ فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ ، والله أعلم .

٢- الأثر المذكور قد أخرجه الإمام ابن جرير في تفسيره حيث قال :

حدثنا القاسم ، قال : حدثنا الحسين ، قال : حدثني محمد بن كثير ، عن عبد الله بن واقد ، عن أبي الجوزاء ، عن

ابن عباس قال :

كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجداً يدعو : يا رحمن يا رحيم فقال المشركون : هذا يزعم أنه يدعو واحداً وهو

يدعو منى منى ، فأنزل الله تعالى : ﴿ قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا وَالرَّحْمَنَ أَيًّا مَا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى ﴾ .

ثم أورد أنراً آخر مرسلأ عن مكحول بنحو الحديث السابق . انظر ((جامع البيان)) : ١٥ / ١٨٢ .

ولكن لم يرد ذكر أبي جهل في أي من الحديث والأثر .

أما رجال الحديث الأول فهم :

القاسم = القاسم بن الحسن ، فقد ذكر الشيخ أحمد شاكر في تحقيقه لتفسير الطبري أنه لم يجد له ترجمة إلا أن يكون

القاسم بن الحسن بن يزيد ، أبو محمد الهمداني الصائغ المتوفي سنة ٢٧٢ إلا أنه لم يجد دليلاً على هذا .

انظر ((جامع البيان)) : ٧ / ٥٠٧ .

الحسين : الحسين بن داود المصيصي المشهور بـ (سنيذ) ، وهو قد ضُفِع ، انظر ((التقریب)) : ٢٥٧ .

محمد بن كثير = لعلة محمد بن كثير بن أبي عطاء نزيل المصيصية ، وهو صدوق كثير الغلط كما في ((التقریب)) :

٥٠٤ ، وقد توفي سنة ٢١٦ كما في : ((تهذيب التهذيب)) : ٩ / ٣٦٩ .

عبد الله بن واقد = يمكن أن يكون عبد الله بن واقد بن الحارث الهروي المتوفى بعد الستين ومائة ، وهو ثقة .

انظر ((تهذيب التهذيب)) : ٦ / ٥٩ - ٦٠ ، و ((التقریب)) : ٣٢٨ .

ويمكن أن يكون عبد الله بن واقد الحراني المتوفى سنة ٢١٠ وهو متروك ، انظر ((التهذيب)) : ٦ / ٦٠ - ٦٢ ،

و ((التقریب)) : ٣٢٨ .

أبو الجوزاء = أوس بن عبد الله الرُبَيعي : ثقة ، توفي سنة ٨٣ ، وكان يرسل كثيراً . ((التقریب)) : ١١٦ .

والحديث على كل حال ضعيف لضعف بعض رجال إسناد الحديث الأول ، ولإرسال مكحول في الأثر الآخر ،

وهو مروى عن القاسم عن الحسين أيضاً وقد عرفت حالهما .

وقد ذكر البغوي الحديث أيضاً ولكن بدون إسناد ، وذكر أن الرجل القرشي العاتب على رسول الله - صلى الله

عليه وسلم - دعاه هو أبو جهل . انظر ((معالم التنزيل)) : ٥ / ١٣٧ .

وقد نسب السيوطي - رحمه الله تعالى - تفريغ الحديث لابن مَرْدُوته أيضاً ، انظر ((الدر المنثور)) : ٥ / ٣٤٨ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٢٢٦ .

وانظر - مزيداً من الأمثلة - ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، والأمثلة كثيرة مبثوثة في الكتاب .

ج - مَزْجُ التفسير بالقصص والمواعظ والرقائق :

وهذه سمة بارزة في كتاب ((معترك الأقران)) فقد أكثر السيوطي من إيراد القصص والمواعظ والرقائق في ثنايا كتابه ، وسيأتي تفصيل لمنهج في هذا الجانب في المبحث السادس إن شاء الله تعالى^(١) .

ومن الأمثلة على ذلك قوله :

((يَحْصُ عَلَى طَعَامِ الْمَسْكِينِ))^(٢) ^(٣)

هذه الجملة في جواب : ﴿ أَرَأَيْتَ ﴾ ؛ لأن معناها : أخبرني ، فكأنه سؤال وجواب .

والمعنى : انظر الذي يكذب بالدين تجد فيه هذه الأخلاق القبيحة ، والأعمال السيئة ؛ وإنما ذلك لأن الدين يحمل صاحبه على الحسنات وترك السيئات ، فمقصود الكلام ذم الفاعل لذلك .

قال الجنيد :^(٤)

عرضت نفسي ليلة على هذه السورة فلم أجد فيها ذلك ، ثم عرضت عليها : ﴿ قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ﴾ إلى قوله ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴾^(٥) فقلت : سبحانك لا من هؤلاء ولا من هؤلاء ، فسمعت هاتفاً^(٦) يقول :

١- انظر ص ٥٢٣ وما بعدها .

٢- هكذا جاء الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - بالآية مجردة عن ﴿ وَلَا ﴾ وإنما تكلف ذلك لبتقيق له وضع ﴿ يَحْصُ ﴾ في حرف الياء حتى لو أدى ذلك إلى قلب معنى الآية !! فلعله لم ينتبه لإحالة المعنى ، والله أعلم .

٣- سورة الماعون : آية ٣ .

٤- الجنيد بن محمد بن الجنيد النخعي البغدادي ، شيخ الصوفية . ولد سنة نيف وعشرين ومائتين ، وتفقه وأتقن العلم ، وتعبد ونطق بالحكمة . روى قليلاً من الأحاديث ، أفتى وله عشرون سنة . توفي سنة ٢٩٨ .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٤ / ٦٦ - ٧٧ .

٥- سورة المؤمنون : آية ١ ، وقوله : ﴿ أُولَئِكَ فِي جَنَّةٍ مُّكْرَمُونَ ﴾ هو من سورة المعارج ، لكن الأقرب أن السيوطي أراد : ﴿ أُولَئِكَ هُمُ الزَّائِرُونَ ﴾ في سورة المؤمنون آية ١٠ ، فلعل السيوطي سها عنها أو أن تحريفاً حصل من النسخ ، والله أعلم .

٦- الهاتف هو صوت مسموع بدون أن يُبصر مصدره ، والهُتَفُ والهُتَاف : الصوت العالي أو الصوت الشديد .

انظر ((لسان العرب)) : ه ت ف .

من الذين ﴿ خَاطَوْا عَمَلًا صَالِحًا وَآخِرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ﴾^(١) .
 هذا الجنيد فكيف حالك يا خُوَيْد^(٢) ((^(٣)) .

١- سورة التوبة : آية ١٠٢ .

٢- الأقرب أن أصل هذه الكلمة فارسيّ ، ولم أعر على معنى لها فيما بحثت فيه في المعاجم التي تبحث في الكلمات الفارسية المعربة ، لكن لعل الكلمة هي خُوَيْد ، وهي بمعنى السيد ، انظر ((الألفاظ الفارسية المعربة)) : ٥٨ .
 ومعنى السيد لا يتفق مع السياق ، والمناسبة بين الجنيد وخُوَيْد أكثر ، والله أعلم .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٥٥٢ ، وهناك مزيد من الأمثلة في المبحث السادس من هذا الفصل : ((منهجه في ذكر القصص والمواقظ والرقائق)) ، انظر ص ٥٢٣ وما بعدها .

المطلب الثالث : منهجه في القراءات

توسع السيوطي - رحمه الله تعالى - في إيراد القراءات في كتابه ، حيث أتى بجملة كبيرة من القراءات الصحيحة والشاذة ، هذا وهو لم يقرأ القراءات على شيخ وليس له سند بها^(١) .

وهاك منهجه في إirاده القراءات :

١ - التوجيه^(٢) :

يوجه السيوطي بعض القراءات ويغفل توجيه بعضها الآخر ، ومن أمثلة توجيهه للقراءة قوله :

((دُرِّي))^(٣) بضم الدال وتشديد الياء من غير همز ، ولهذا القراءة وجهان : إما أن يُنسب الكوكب إلى الدرّ لبياضه وصفائه ، أو يكون مسهلاً من الهمز^(٤) .

وقُرى بالهمزة وكسر الدال^(٥) ، وبالضم والهمز^(٦) ، وهو مشتق من (الدرّ) بمعنى الدفع^(٧) .

١- ذكر ذلك في كتابه ((حسن المحاضرة)) : ١ / ٣٣٨ - ٣٣٩ .

٢- توجيه القراءة هو الاحتجاج لها وتوثيقها ، والتماس الدليل لقراءة كل قارئ من القراء ؛ وذلك إما بالاستناد إلى قاعدة مشهورة في العربية أو بالتماس علة خفية بعيدة الإدراك يُحاول اقتناصها أو توليدها ، أو بالاعتماد على القياس وحشد النظائر ومقارنة المثل بالمثل . وقد يساق للاحتجاج والتوجيه الآيات القرآنية ، والأحاديث النبوية ، والشعر الصالح للاحتجاج ، والأمثال ، ولغات العرب ولهجاتها ، وأقوال أئمة العربية .

مقدمة تحقيق كتاب ((الحجة)) لأبي علي الفارسي : ١ / ١٤ - ١٥ بتصرف يسير .

٣- سورة النور : آية ٣٥ .

٤- ستأتي قراءة الهمز ، والتسهيل هنا بمعنى الإبدال ، - كما سبق ذكر ذلك ، انظر ص ٤٨٧ - فأبدلت الهمزة ياءً وأدغمت في الياء الأولى ، وانظر ((حجة القراءات)) : ٤٩٩ .

٥- أي ((دُرِّي)) ، وهي قراءة أبي عمرو والكسائي ، انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٢ / ٣٣٢ .

٦- أي ((دُرِّي)) ، وهي قراءة شعبة وجمرة . المصدر السابق .

٧- هذا التوجيه الذي ذكره السيوطي - رحمه الله تعالى - هو لكلتا القراءتين : بضم الدال وكسرها مع الهمزة بعد الياء ، ومعنى الدفع - هنا - أي يدفع الكوكب بنوره الناظر من أن ينظر إليه ، انظر ((حجة القراءات)) : ٤٩٩ .

وشبه الزجاجه في إنارتها بكونه دري ؛ لأنها تضيء بالمصباح الذي فيها))^(١) .

ثانياً : عزو القراءة :

إذا أورد السيوطي قراءة صحيحة عشرية ثابتة^(٢) فإنه لا يذكر من قرأ بها - فيما علمته من كتابه - وربما يكون ذلك لأجل الاختصار ، أو لأجل أنه يورد القراءات من حفظه ، فيبين اختلاف القراءات ولا يبين من قرأ بكل منها ، ومن أمثلة ذلك قوله :

((تَبَتُّ بِالذَّهْنِ))^(٣) يعني الزيت .

وَقُرِئَ : ((تَبَتُّ)) بفتح التاء ، فالجور على هذا في موضع الحال كقولك : جاء زيد بسلاحه .

وَقُرِئَ بضم التاء وكسر الباء ((...))^(٤) .

أما إذا أورد قراءة شاذة فقد وجدت بالاستقراء أن له أربعة طرق في إيرادها :

الطريق الأول :

أن ينسبها إلى الصحابي أو التابعي الذي قرأ بها ، وذلك نحو قوله :

((وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ))^(٥) ...

١- ((معترك الأقران)) : ٩٩ / ٢ ، وانظر لمزيد من الأمثلة على توجيه القراءات : ٢٥٤ / ٣ ، ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٢- القراءة الصحيحة هي ماستوتف أركاناً ثلاثة : صحة السند - تواتراً أو شهرة واستفاضة ، على خلاف بين القراء - وأن تكون موافقة للعربية بوجه فصيح أو أفصح ، وأن تكون موافقة للرسم العثماني ، فإن اختلف أحد هذه الشروط الثلاثة صارت شاذة مردودة ، انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٩ / ١ - ١٣ .

٣- سورة المؤمنون : آية ٢٠ .

٤- وهي قراءة ابن كثير وأبي عمرو ورويس ، وقرأ الباقر من القراء العشرة : ((تَبَتُّ)) ، انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٣٢٨ / ٢ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١٨ / ٢ ، ولمزيد من الأمثلة انظر : ١٩ / ٢ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٥٠ ، ٦٩ .

٦- سورة الواقعة : آية ٨٢ .

قرأ علي بن أبي طالب : (وتجعلون شكركم أنكم تكذبون) وكذا قرأ ابن عباس إلا أنه قرأ : ﴿ تَكْذِبُونَ ﴾ بضم التاء والتشديد كقراءة الجماعة ...))^(١) .

وهو في إirاده لما يورده - هنا - لايحكم عليه بالشذوذ ، وربما كان ذلك لشهرة شذوذ القراءة .

الطريق الثاني :

أن ينسبها إلى أحد الأربعة المشهورين برواية الشاذ ، وهم : ابن مُحَيَّصَن^(٢) ، واليزيدي^(٣) ، والحسن البصري ، والأعمش^(٤) ، وذلك نحو قوله :

((أن) : بالفتح والتخفيف على أوجه : الأولى أن تكون حرفاً مصدرياً ناصباً للمضارع ... وقد يرفع المضارع بعدها إهمالاً لها ... كقراءة ابن محيصة : (لمن أراد أن يتم الرضاعة)^(٥)))^(٦) .

-
- ١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٠ ، وانظر مزيداً من الأمثلة في : ١ / ٦٠٤ ، ٢ / ٧٨ ، ٨٠ .
 - ٢- محمد بن عبد الرحمن بن مُحَيَّصَن السهمي - بالولاء - المكي ، قارئ أهل مكة . روى عدداً من الأحاديث وكان من رجال الإمام مسلم . توفي سنة ١٢٣ هـ بمكة ، رحمه الله تعالى . انظر ((معرفة القراء الكبار)) : ١ / ٩٨ - ٩٩ .
 - ٣- شيخ القراء ، أبو محمد يحيى بن مبارك بن المغيرة العَدَوِي البصري النحوي . عُرف باليزيدي لاتصاله بالأمير يزيد بن منصور - حال المهدي - يؤدب ولده . وهو نخوي علامة ، بصير بلسان العرب ، أخذ العربية عن أبي عمرو البصري وعن الخليل . له عدة مصنفات . عاش أربعاً وسبعين سنة ، وتوفي سنة اثنتين ومائتين ببغداد - وقيل عمرو . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٩ / ٥٦٢ - ٥٦٣ .
 - ٤- سليمان بن بهران ، الإمام ، شيخ المقرئين واخدين ، أبو محمد الأسدي الكاهلي - بالولاء - الكوفي الحافظ . رأى أنس بن مالك - رضي الله عنه - وحكى عنه وروى عنه . مكث قرابة سبعين سنة لاتفوته التكبيرة الأولى ، وكان عَمِيراً في الرواية ، وتحكى عنه نواذر . مات سنة ١٤٨ بالكوفة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٦ / ٢٢٦ - ٢٤٨ .
 - ٥- كذا وجدتها مرسومة في الكتاب الخف ، وأما قراءة ابن مُحَيَّصَن - رحمه الله تعالى - فهي : (تَتِمُّ الرضاعة) كما في ((إتحاف فضلاء البشر)) : ١ : ٤٤٠ ، وقد يكون ذلك تحريفاً من الناسخ أو سهواً من المصنف أو الخفق ، والله أعلم ، وأصل الآية في سورة البقرة : ٢٣٣ .
 - ٦- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٦٠٧ ، وانظر - مثلاً آخر - ٢ / ٥٣ .

وهو يكتفي بنسبتها إلى أحد هولاء الأربعة لشهرة شذوذ ماروي عنهم من القراءات .

الطريق الثالث :

أن ينسب القراءة إلى الشذوذ ثم لا يذكر من قرأ بها ، وذلك نحو قوله :
(((إذن)^(١) : ... حرف ينصب المضارع بشرط : تصديرها ، واستقباله ، واتصالها أو انفصالها بالقسم أو بلا النافية .

قال النحاة :

وإذا وقعت بعد الواو والفاء جاز فيها الوجهان ، نحو :
﴿ وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾^(٢) ، ﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾^(٣) ، وقرئ شاذاً بالنصب فيهما^(٤)))^(٥) .

الطريق الرابع :

أن يورد القراءة الشاذة ثم لا يذكر أنها شاذة بل يُغفل الحكم عليها تماماً ، ويغفل ذكر من قرأها أيضاً ، وفي إغفاله ذكر شذوذها يحصل الفرق بين هذا الطريق والطريق الثالث ، ومن ذلك قوله :

(((الهمزة) ... قد تقع في القسم ؛ ومنه :
(ولا نكتم شهادة الله^(٦) بالتنوين^(٧) ، (الله) بالمد))^(٨) .

١- هكذا جاءت في المطبوعة ، ((والجمهور يكتبونها بالآلف ويقفون عليها بالآلف ، وهناك من يرى كتابتها بالنون

والوقف عليها بالنون ، ويرى البعض أنها إن عملت ككتب بالآلف وإلا كتبت بالنون ، وهذا تفريق جيد)) :

((معجم النحو)) : ٧ .

٢- سورة الإسراء : آية ٧٦ .

٣- سورة النساء : آية ٥٣ .

٤- أي يحذف النون من الفعلين : (يلبثوا ، يؤتوا) لأنهما من الأفعال الخمسة ، وكلتا القراءتين تنسب لابن مسعود رضي الله عنه ، انظر ((مختصر في شواذ القرآن)) : ٢٧ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٨٦ . ولمزيد من الأمثلة انظر : ١ / ٥٩٠ ، ٦١١ ، ٢ / ٤٢ .

٦- سورة المائدة : آية ١٠٦ .

٧- أي بالتنوين في ﴿ شَهَادَةٌ ﴾ ، وهذه قراءة منسوبة لعلي بن أبي طالب - رضي الله عنه - ولأبي عبد الرحمن السلمي أيضاً ، انظر ((مختصر في شواذ القرآن)) : ٣٥ .

٨- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٧٣ ، ولمزيد من الأمثلة انظر : ١ / ٥٦١ ، ٦١٣ ، ٢ / ٤٦ .

ثالثاً : الإكثار من إيراد القراءات^(١) :

يكاد السيوطي - رحمه الله تعالى - يستقصي ماورد من قراءات للكلمات القرآنية التي أتى بها ، خاصة في الوجه الخامس والثلاثين : (ألفاظه المشتركة) ، فهو كثير التنبيه على ما في تلك الكلمات من قراءات ، سواء كانت صحيحة أو شاذة^(٢) .

١- قد مرّ (أولاً) ، و (ثانياً) في ص : ٥١١ ، ٥١٢ على التوالي .

٢- انظر - مثلاً - : ١ / ٥٦١ ، ٥٧١ ، ٥٧٣ ، ٥٨٦ ، ٥٩٠ .

٢ / ١٨ ، ١٩ ، ٢٠ ، ٢٤ ، ٣٠ .

٣ / ٢٠٤ ، ٢٢٠ ، ٢٢٦ ، ٢٣٠ ، ٢٥٢ .

المطلب الرابع : منهجه في بيان الوقف والابتداء

وهو من علوم التجويد التي يعرف بها كيفية الوقف على الكلمات القرآنية ، والابتداء بهاء ومكان ذلك وزمانه ، فالسكت^(١) ، والقطع^(٢) ، والوقف ، كلُّ له زمن معين يوقف به على الكلمة القرآنية المراد الوقوف عليها ، وكذلك هناك أنواع للوقف ، مثل الوقف التام^(٣) ، والكافي^(٤) ، والحسن^(٥) ، والقبیح^(٦) ، والوقف الاضطرابي والاختباري إلخ ...

وقد جاء الكلام على الوقف والابتداء عند السيوطي مقتضباً وقليلًا ، فلم يذكر القواعد في الوقف والابتداء ، أو أنواعه ، إنما اكتفى بذكر بعض الآيات التي للمعنى فيها تعلق بالوقف والابتداء ، فمن ذلك قوله :

((مَالِكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ))^(٧) :

ما : استفهامية معناها التوبيخ ، وهي في موضع رفع بالابتداء ، والمجرور بعدها خبرها .

ينبغي الوقف على قوله : ((مَالِكُمْ)) ثم يُقرأ :

١- ((السكت عبارة عن قطع الصوت زمناً ما دون زمن الوقف عادةً من غير تنفس)) :

((منار الهدى في بيان الوقف والابتداء)) : ٨ .

٢- ((القطع عبارة عن قطع القراءة رأساً)) : المصدر السابق ، أي بدون نية معاودة القراءة .

٣- ((التام هو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده ، ولا يتعلق ما بعده بشيء مما قبله لالفظاً ولا معنى ، وأكثر ما يرجد عند رؤوس الآي)) : المصدر السابق : ١٠ .

٤- ((الكافي هو ما يحسن الوقف عليه والابتداء بما بعده إلا أن له به تعلقاً مامن جهة المعنى ، وسمي كافياً لاكتفائه واستغنائه عما بعده واستغنائه ما بعده عنه)) : المصدر السابق : ١١ .

٥- ((الحسن ما يحسن الوقف عليه ، ولا يحسن الابتداء بما بعده)) : المصدر السابق .

٦- ((القبیح هو ما اشتد تعلقه بما قبله لفظاً ومعنى ... نحو : ((إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي)) [سورة البقرة : آية ٢٦] ، ((قَوْلُ لِلْمُصَلِّينَ)) [سورة الماعون : آية ٤] فإنه يرهق غير ما أراده الله تعالى)) : المصدر السابق : ١٣ .

٧- سورة الصافات : آية ١٥٤ .

﴿ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴾^(١) .

ونحو قوله أيضاً :

((﴿ مَا لَهُمْ مِنْ تَحْيِيصٍ ﴾^(٢) :

أي علموا أنهم لا مهرب لهم من العذاب .

وقيل : يوقف على ﴿ ظَنُّوْا ﴾ ويكون ﴿ مَا لَهُمْ ﴾ استئنافاً^(٣) .

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٤١٣ .

وإنما أرشد السيوطي إلى الوقف على ﴿ مَا لَكُمْ ﴾ لأنها جملة استفهامية من مبتدأ و خبر مستقلة عما بعدها ، وهذه الجملة وما بعدها جملتان استفهاميتان توبيختان ليس لاحداهما تعلق بالأخرى من حيث الإعراب ، وليس بينهما تعلق معنوي قوي يوجب الاتصال ؛ إذ الأولى استفهام إنكاري عما استقر لهم وثبت ، والجملة الأخرى استفهام تعجبي من حكمهم بهذا الحكم الجائر حيث جعلوا لله ما يشاء من جنسي البشر .

انظر ((الدر المنصور من علوم الكتاب المكنون)) للسمين الحلبي : ٩ / ٣٣٤ .

٢- سورة فصلت : آية ٤٨ ، وهكذا ساق الإمام السيوطي الآية ، والشاهد : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ ... ﴾ .

وقد ساق الإمام السيوطي الآية بدون ذكر الشاهد وهو : ﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُمْ ... ﴾ ، وإنما لم يأت به ليتمكن من الجيء بـ ﴿ مَا لَهُمْ ﴾ تحت حرف الميم . وإنما يوقف على ﴿ وَظَنُّوا ﴾ إذا قدرتم معنى الكذب والشك ، حتى يستقيم المعنى لما بعدها ، وإذا قدرتم معنى العلم فالوقف على ﴿ تَحْيِيصٍ ﴾ ، وانظر ((المكنى في الوقف والابتداء)) للداني : ٤٩٩ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٤٢٤ .

المطلب الخامس : منهجه الفقهيّ

السيوطي - رحمه الله تعالى - شافعيّ المذهب ، وهو وإن أظهر الاجتهاد فإنه لا يخرج عن أقوال الشافعيّ ، وقد ذكر ذلك في كتابه : ((الرد على من أخلد إلى الأرض)) فقال :
((والذي ادّعيناه هو الاجتهاد المطلق للاستقلال ، بل نحن تابعون للإمام الشافعيّ - رضي الله عنه - وسالكون طريقه في الاجتهاد امتثالاً لأمره ، ومعدودون من أصحابه...))^(١) .

وقد سبق ذلك كلام طويل عن الاجتهاد وأنواعه ، إلا أنه يقرر فيه أنه - في اجتهاده - لا يخرج عن أقوال الإمام الشافعيّ^(٢) .

لكنه مع تقيده في اجتهاده بعدم الخروج على المذهب الشافعي فإنه غير متعصب للمذهب ، ويذكر في المسألة مذاهب الأئمة فيها ، ولا يرجح بين هذه المذاهب ؛ ولعل الإمام السيوطي قصد عدم تطويل الكلام في الفقه في موضوع قرآني صرّف كهذا .

ومن أمثلة كلامه في الفقهيات - على النحو الذي وصفت - قوله :
((﴿ تَعَاَسَرْتُم ﴾^(٣) أي تضايقتم . والمعنى إن تشططت^(٤) الأم على الأب في أجرة الرضاع ، وطلبت منه كثيراً فلأب أن يسترضع لولده امرأة أخرى بما هو أرفق به ، إلا ألا يقبل الطفل غير ثدي أمه فتجبر حينئذ على إرضاعه بأجرة مثلها ومثل الزوج ، فلا تضع الزوجة ولا يكلف هو مالا يطيق .

١- ((الرد على من أخلد إلى الأرض ، وانكر أن الاجتهاد في كل عصر فرض)) : ١١٦ .

٢- المصدر السابق : ٩٧ - ١١٦ .

٣- سورة الطلاق : آية ٦ .

٤- أي جارت وظلمت وجاوزت القدر المحدود : ((لسان العرب)) : (ش ط ط) .

وفي هذه الآية دليل على أن النفقة تختلف باختلاف الناس ، وهو مذهب مالك خلافاً لأبي حنيفة فإنه اعتبر الكفاية^(١) .

ومن عجز عن نفقة امرأته فمذهب مالك أنها تطلق عليه خلافاً لأبي حنيفة^(٢) ، وإن عجز عن الكسوة دون النفقة ففي التطبيق عليه قولان في المذهب^(٣) ((^(٤)) .

١- أما مذهب مالك فإنه كما قال السيوطي ، وانظر ((جواهر الإكليل شرح مختصر العلامة خليل)) : ١ / ٤٠٢ ، وأما الأحناف فإنهم وافقوا للمالكية في هذا وانظر ((حاشية رد المحتار)) : ٣ / ٥٧٤ - ٥٧٥ حيث ذكر المصنف أن النفقة للمرأة تختلف باختلاف حالها وحال زوجها من الإيسار والإعسار .

٢- وهو كما قال . انظر ((جواهر الإكليل)) : ١ / ٤٠٥ ، و ((حاشية رد المحتار)) : ٣ / ٥٩٠ .
٣- أي المذهب الشافعي ؛ لأنه مذهب السيوطي ، وما ذكره من أن في التطبيق عليه قولين في المذهب لم أحده وإنما الذي في ((المجموع)) : ١٨ / ٢٦٧ : ((إن أعسر بالكسوة ثبت لها الفسخ ؛ لأن البدن لا يقوم بغير الكسوة كما لا يقوم بغير القوت)) .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٤ - ٣٥ ، ولمزيد من الأمثلة انظر ٢ / ٢١ ، ٢٧ - ٢٨ ، ٣٣ ، ٥١ ، ٥٤ ، ٦٠ ، ٩٠ .

المطلب السادس : منهجه في أصول الفقه

قد أفرد السيوطي - رحمه الله تعالى - في كتابه أبواباً من الأصول عدّها وجوهاً من أوجه الإعجاز ، وهي : الوجه الرابع عشر : عموم بعض آياته وخصوص بعضها^(١) ، والوجه الخامس عشر : ورود بعض آياته مجملة وبعضها مبينة^(٢) ، والوجه السادس عشر : الاستدلال بمنطوقه أو بعفوه^(٣) ، وقد بسطت الكلام عليها في مكان سابق^(٤) .

وهناك بعض المباحث التي يتنازعها علم الأصول وغيره من العلوم مثل : الناسخ والمنسوخ ، والمحكم والمتشابه ، والحقيقة والمجاز ، والكناية والتعريض ، والمشارك وكلها جاءت في كتاب السيوطي أوجهاً من أوجه الإعجاز^(٥) ، وقد سبق الكلام عليها أيضاً^(٦) .

وقد جاء السيوطي بهذه المباحث كلها على وجه التفصيل ، فكان فيها طویل النفس ؛ فهو يستقصي ما استطاع فيما يورده من مباحث ، وذلك نحو مبحث العام والخاص في كتابه إذ جاء به على التقسيم التالي :

١ - تعريف العموم .

٢ - صيغ العموم .

٣ - أقسام العموم :

أ - عام باقٍ على عمومته .

ب - عام مخصوص .

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٠٧ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٢١٧ .

٣- المصدر السابق : ١ / ٢٢٤ .

٤- انظر ص ٣٧٠ وما بعدها .

٥- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ١٠٨ ، ١٣٦ ، ٢٤٦ ، ٢٨٦ ، ٥١٤ على الترتيب .

٦- انظر ص ٣٥٨ ، ٣٥٩ ، ٣٧٩ ، ٣٨١ ، ٣٩٨ ، من هذا البحث على الترتيب .

جـ - عام مراد به الخصوص .

ثم أخذ في مباحث الخصوص فذكر مايلي :

١ - المخصصات المتصلة وهي خمسة :

أ - الاستثناء .

ب - الوصف .

جـ - الشرط .

د - الغاية .

هـ - بدل البعض من الكل .

٢ - المخصصات المنفصلة وهي :

أ - آيات القرآن العظيم .

ب - الأحاديث الشريفة .

جـ - الإجماع .

د - القياس .

ثم أتى بمسائل وفروع تتعلق بالعام والخاص وهي :

١ - تخصيص القرآن للسنة .

٢ - بقاء العام على عمومه إذا سيق للمدح أو الذم .

٣ - هل الخطاب الخاص بالرسول - صلى الله عليه وسلم - يشمل الأمة أم لا ؟

٤ - هل الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ يشمل الرسول - صلى الله عليه وسلم - أم لا ؟

٥ - هل تناول لفظة ﴿مَنْ﴾ الأنتى ؟

٦ - الخطاب بـ ﴿يَا أَهْلَ الْكِتَابِ﴾ هل يشمل المؤمنين ؟

٧ - الخطاب بـ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ هل يشمل أهل الكتاب ؟

ثم إنه مثل لكل ما أتى به من أقسام ومباحث ، مثل لها من كتاب الله تعالى .

من هذا التقسيم لمبحث العام والخاص في كتاب ((معترك الأقران)) يتضح شمول تناول الأصولي عند الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - حيث لم يترك شاذة ولا فائدة إلا أتى بها تقريباً .

أما المسائل الأصولية المنثورة في كتابه عدا تلك المباحث الأساسية فهي قليلة ، مندرجة تحت الألفاظ المشتركة التي جاءت في الوجه الخامس والثلاثين من أوجه الإعجاز التي ساقها ، ومن هذه المسائل المنثورة :

((مَن أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ))^(١)

المعنى أن الله يسمع كل شيء فالجهر والإسرار عنده سواء ، ولذلك أتى به بعد قوله :
«لِلَّهِ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَى وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ»^(٢) .
فإن قلت : قوله : «تَغِيضُ الْأَرْحَامُ» قرينة في الخصوص .
فالجواب أن الفخر^(٣) والآمدي^(٤) قالا : إن العام إذا عُقِبَ بصنف من أصنافه^(٥)
فمذهب مالك والشافعي بقاؤه على عمومه ((^(٦))).

١- سورة الرعد : آية ١٠ .

٢- سورة الرعد آية ٨ ، وقال ابن كثير رحمه الله : ((قال الضحاك عن ابن عباس : «وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ» قال : مانقت من تسعة وما زاد عليها)) : ((تفسير القرآن العظيم)) : ٤ / ٣٥٨ .

٣- هو فخر الدين محمد بن عمر بن الحسن التيمي البكري الرازي ، الإمام المتكلم . وقد سبقت ترجمته .

٤- سيف الدين أبو الحسن علي بن أبي علي بن محمد العلوي الآمدي ، الأصولي المتكلم . ولد بعد الخمسين وخمسمائة بمدينة آمد ، وتفقه على المذهب الحنبلي ثم انتقل إلى المذهب الشافعي ، تفنن في علم النظر ، وأحكم الأصولين [أصول الدين وأصول الفقه] والفلسفة وسائر العقليات ، ثم دخل الديار المصرية وتخرج به جماعة ثم قدم دمشق فتوفي بها سنة ٦٣١ . انظر ((طبقات الشافعية الكبرى)) : ٨ / ٣٠٦ - ٣٠٧ .

٥- انظر هذه المسألة في ((الإحكام في أصول الأحكام)) للآمدي : ٢ / ٣٥٩ : المسألة الثانية عشرة .

٦- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٠٤ .

المبحث السادس

منهجه في ذكر القصص والرقائق والمواظ

قد ذكرت سابقاً^(١) أن من مميزات كتاب السيوطي - رحمه الله تعالى - الإكثار من ذكر المواظ والرقائق^(٢) والقصص^(٣) التي لّينّت مادة الكتاب ، وحببتها إلى القارئ ، وهذا العدد من المواظ والقصص لافت للنظر في كتاب السيوطي هذا بحيث إنني لم أره في أي كتاب آخر له ، فيما اطلّعت عليه من كتبه التي طرقت علوماً شرعية أولغوية .

وهو في صنيعه هذا لم يكثر الإكثار المعيب الطاعني على المادة العلمية ، إنما أورد القصص والمواظ بقدر معقول محبب إلى النفس ، وسأتكلم على كل منهما على الترتيب :

أولاً : منهجه في القصص :

أما منهجه في إيراد القصص فهو كالآتي :

١ - عدم اطراد ورودها في الكتاب على طريقة واحدة :

لم يكن ورود القصص منضبطاً بضابط محدد ، بل قد تناثرت في الكتاب ، فلم يظهر لي جامع محدد لكيفية أو مكان ورودها .

١- وذلك عند الكلام على منزلة الكتاب العلمية ، انظر ص ٢٩٢ وما بعدها .

٢- انظر في المواظ والرقائق : ١ / ١٣ ، ٥١٣ ، ٥١٧ ، ٥٣٩ .

٣- انظر في القصص : ١ / ١٢ ، ٣٨ ، ٥٧ ، ٩١ ، ٩٢ ، ٣٣٢ - ٣٣٥ ، ٤٨٦ ، ٤٩٥ .

١ / ٣ - ٢٥ ، ٤٥ ، ٤٦ ، ٥٢٦ .

٣- انظر في القصص : ١ / ١٣ ، ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٢ / ٢ - ٣١٧ ، ٣٧٤ ، ٥٣١ ، ٦٠٣ .

٣ / ٣ - ٢٧٢ - ٢٧٣ ، ٢٩٢ .

٢ - غرابة وبعده بعض ما يورده من القصص :

إذ حرص السيوطي - رحمه الله تعالى - على إبراد عدد من كرامات الأولياء ، وكان بعض ما أورده منها مما يحتاج إلى برهان لتصديقه ؛ وذلك لبعده في حكم العقل أو العادة ؛ فمما أورده وهو بعيد في حكم العقل قوله في الوجه الثاني والعشرين من وجوه الإعجاز التي أوردها ، وهو ((تيسيره - تعالى - حفظه وتقريبه)) :

((قال ابن عطية : يُسر بما فيه من حسن النظم وشرف المعاني ، فله لَوْطَةٌ^(١) بالقلوب ، وامتزاج بالعقول ، وهذا مشاهد بالعيان فلا يحتاج فيه إلى برهان .

وأعظم من هذا أن الله يُقدر بعض خلقه على ختمه في آن واحد مرات كثيرة ؛ قال بعضهم : كنت أستغربه حتى شاهدت بعضهم ختمه في دورة الطواف بالبيت الحرام ، فحققته مشاهدةً .

قال الشيخ ولي الله المرحاني^(٢) :

وذلك أن الله أطلق كل شعرة في الجسد لقراءته ، والله أعلم))^(٣) .
فهذه القصة مما تحتاج إلى برهان لبعدها في حكم العقل .

وقال أيضاً في موضع آخر :

((﴿ نَنقُزُ الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ ﴾^(٤) : أي رفعناه ، والضمير لبني إسرائيل ؛ يعني أن الله قال لهم : خذوا التوراة ، فأبوا من أخذها^(٥) ، فاقتلع الجبل ورفعناه ﴿ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ ... ﴾ الآية ...

١- اللُّوطُ : الحبُّ اللارق بالقلب . ((لسان العرب)) : ل و ط .

٢- لم أعثر له على ترجمة .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٤٥ - ٢٤٦ .

٤- سورة الأعراف : آية ١٧١ .

٥- هكذا في الكتاب بزيادة (من) .

وأين هؤلاء القوم من هذه الأمة المحمدية حيث أخذوا الكتاب بقوة ، فصاروا يتلونه آناء الليل والنهار ، قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ...

ولما أخذوا الكتاب بقوة ورضاً سهّله الله عليهم ، ويسره لهم ، حتى إن منهم من يختمه في كل ساعة ، ومنهم من يختمه اثنا عشر ألف بالليل ، واثنا عشر ألف بالنهار ... ((^(١)) .
فهذا الخبر من المستحيلات العقلية .

ومما أورده وهو بعيد في حكم العادة قوله :

((وقال - أيضاً^(٢)) - رضي الله عنه :

دخلت مسجد نبي بالإسكندرية بالديمان^(٣) ، فوجدت النبي المدفون هناك قائماً يصلي ، عليه عباءة مخططة ، فقال : تقدم فصلّ . قلت له : أنت فصلّ . قال : إنكم من أمة نبيّ لا ينبغي لنا التقدم عليه . قال : قلت له : بحق هذا النبيّ ، وقد^(٤) وضع فمه على فمي إجلالاً للفضة النبي كي لاتبرز إلى الهواء . قال : فتقدمت وصليت))^(٥) .

هذه قصة غريبة ، ولا تقوم على ضوابط شرعية صحيحة ؛ بل فيها تجاوزات مثل ادعاء نسبة هذا الرجل إلى النبوة بدون برهان ، وكالقسم بغير الله .

والملاحظ - هنا - أن السيوطيّ لم ينقد شيئاً مما أورده على هذه الشاكلة .

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٥٦٥ - ٥٦٦ .

٢- كان ينقل عمّن سماه : ابن الأسمر .

٣- لم أفق على معنى هذه الكلمة ، والسياق يدلّ على أنها موضع .

٤- كأن في السياق انقطاعاً ، وإن كان المعنى يصح بتكلف .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٣ ، وانظر - أيضاً : ٢ / ١٤٠ ، ٣١٧ ، ٣ / ٥٢٦ .

ثالثاً : عدم عزوه لما ينقله من القصص إلا نادراً :

كان أغلب ما أورده غير معزو إلى مصدره ، ولا إلى قائله ، إنما يكتفي بـ (قال بعضهم) ، أو (قيل) ، أو (روي) إلخ ...

وقد يكون عزوه محيراً للباحث ؛ لكثرة التجهيل في عزوه ، مثل قوله :
(ذكر بعض شراح البخاري عن بعض من سمع الحديث : ((أما يخشى الذي يرفع رأسه قبل الإمام في الصلاة أن يحول الله رأسه رأس حمار))^(١) ، فاستهونه ، ورفع رأسه امتحاناً بما صحَّ عن الصادق المصدوق ، فحول الله رأسه رأس حمار ، وصار عجباً يُنظر إليه))^(٢) .

ومن العزو النادر قوله :

((وحكي أنه كان شداد بن حكيم البلخي الحاكم^(٣) يمر يوماً بمسجد من مساجد البلخي^(٤) ، وموذه يؤذن ، وبجاء هذا المسجد حانوت رجل مُعدِّل^(٥) ، فلما فرغ المؤذن من الأذان اشتغل ذلك المعدِّل بجمع المتاع الذي بين يديه ، ثم خرج إلى الصلاة ، فلما كان في الغد جاء المعدِّل وشهد على رجل بحق ، فرد شهادته ، وقال : إنك مستخفٌّ بأمر الصلاة حيث استقبلت أولاً إلى رفع الأمتعة التي بين يديك بعد الأذان ، ثم خرجت إلى الصلاة . ذكره في الإحياء))^(٦) .

١- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه : كتاب الصلاة : باب إثم من رفع رأسه قبل الإمام : ١ / ١٧٧ ، ونص الحديث هو ((أما يخشى أحدكم ، أو لا يخشى أحدكم ، إذا رفع رأسه قبل الإمام أن يجعل الله رأسه رأس حمار ، أو يجعل الله صورته صورة حمار)) ، وراوي الحديث هو أبوهريرة ، رضي الله عنه .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٩٢ .

٣- لم أعثر على ترجمته .

٤- لعلها : بمسجد من مساجد بلخ ، فإن المعنى بها أقوم ، و ((بلخ)) مدينة في أفغانستان اليوم .

٥- هو الذي يشهد للناس بالعدالة ، وهو مانسميه اليوم : المزكّي .

٦- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٠٨ - ٦٠٩ .

و لم أجد هذه القصة في مظانها من ((إحياء علوم الدين)) للغزالي .

رابعاً : الحكم على ماورده :

والمقصود بالحكم بيان حال القصة من الصحة ، أو الضعف ، أو الوضع .
لم يحكم السيوطي على ماأورده من قصص في كتابه هذا إلا في القليل النادر ،
ومثال هذا قوله :
((وحكى البكالي^(١) بسند صحيح عن رجل كان بمكة ؛ انتهت حاله في العبادة إلى
مقام عظيم ، ويقصده أصحاب الأموال ...)) .
والقصة طويلة^(٢) .

ثانياً : منهجه في إيراد المواعظ والرقائق :

أما منهجه في إيراد المواعظ والرقائق فهو الآتي :

١ - تناثر المواعظ والرقائق في ثنايا الكتاب :

لم يكن للإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - ضابطٌ واضح في إيراد المواعظ
والرقائق ، بل قد تناثرت في الكتاب بدون أن يظهر لي جامع محدد لورودها .

وهذا أمر بديهي ؛ إذ قد يعتري المؤلف أمرٌ وجداني يستدعيه ذكر بعض
الرقائق ، وقد لايعتريه مثله في مكان مماثل فلا يورد فيه شيئاً .

٢ - مزج المواعظ بالرؤى المرققة :

قد يذكر المنامات المرققة في مواعظه ورقائقه ، وذلك نحو قوله : ((فتأمل إحساس
البهائم ومالنا حساً ، ملأنا بطوننا من الحرام ، فغلبت علينا سكرة المنام ، وتراكمت

١- لعله : نوف بن فضالة الحميري البكالي ، أبويزيد . من أهل الشام ، وهو ابن امرأة كعب الأحبار . روى عن عدد
من الصحابة ، وكان أحد العلماء ، إماماً لأهل دمشق . مات بعد التسعين . انظر ((تهذيب التهذيب)) :
١٠ / ٤٣٦ - ٤٣٧ ، ولكن سياق القصة لايرجح أن يكون المقصود هو نوفاً هذا ، لأنه متقدم ، وسياق القصة
متأخر عن زمن الصدر الأول ، والله أعلم .

وقال فيه الحافظ ابن حجر : مستور ، إنما كذب ابن عباس مارواه عن أهل الكتاب : انظر ((التقریب)) : ٥٦٧ .

٢- انظر ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣ .

على قلوبنا سحائب المخالفة ، فادّعينا الدعاوى الباطلة ، وعن قريب ينكشف السحاب فتهب علينا نسائم الأسف والحزن ونقول : يا حسرتنا على ما فرطنا .

فبالله أيها الأخ قم على قدم الاعتذار ، واكشف رأس الاستغفار ، وناد بلسان الاضطرار :

﴿ قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾^(١)

قال بعضهم :

بت ليلة ألوم نفسي ، وأعدّد عليها ، ثم نمت ، فرأيت كأن القيامة قد قامت ، والناس جمّع جمّع ، فجئت إلى قوم عليهم ثياب حسنة ، ورائحة طيبة ، فأردت الجلوس معهم ، فأخذ بيدي شخص وأزالني ، وقال :

أين أنت ؟ وما أنت منهم ؟ أين حالك من حالهم ؟ أين نورك من نورهم ؟ فلم أزل أصرف من جمّع إلى جمّع حتى انتهيت إلى قوم عليهم أطمار^(٢) رثة ، ووجوههم مغبرة ، فلما رأوني قالوا :

تقدم إلينا ؛ فأنت من أصحابنا ، فعلمت ذلي ومقامي ، فلزمت الحزن إلى يوم ألقاه .

اللهم إنك أنعمت على هذا العبد بالزمام الحزن قلبه ، اخلع علينا بُرد^(٣) حُزن حتى أقوم على ساق سبق توبة تكابد الحزن إلى يوم ألقاك ...^(٤)

١- سورة الأعراف : آية ٢٣ .

٢- أطمار : جمع طمر ، وهو الثوب البالي ، وانظر ((لسان العرب)) : ط م ر .

٣- يمكن أن يضبط : بُرد فيكون الثوب المخطط ، لكن المناسب للسياق أن تضبط الكلمة : بُرد جمع بُردة ، وهي الكساء الذي يلتحف به ، وانظر ((لسان العرب)) : ب ر د .

٤- ((معزك الأقران)) : ١ / ٥١٣ - ٥١٤ ، وانظر : ١ / ١٢ ، ٢ / ٤٧٩ ، ٤٨٠ .

٣ - مزج المواعظ والرقائق بالقصص:

قد يذكر القصة ويتبعها الموعظة أو العكس ، لكن الغالب أنه يفرد القصص عن المواعظ إلا ما كان من القصص ذا صفة وعظيمة ، وذلك نحو قوله :
((وحكي أنه كان في غار السودان^(١) عابداً ، فأتى بعض الشباب بعود وكوز من الخمر فجلس بأعلى الغار من غير علم بالعابد ، فلما شرع في ضرب العود والسُّكر قرأ العابد :

﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا ﴾ الآية^(٢) ، فسمعه الشاب فقال : بلى ، آن ، وكسر العود والكوز ، وخرج فاراً بنفسه ...
وأنت يا محمديّ تتلوها كل ساعة ولا ترجع إلى ربك ، أهكذا شأن من يريد الرجوع إلى الله ؟ كلا والله ، ليس ثم رجوع ولاندم ، وإنما هو انهماك في المعاصي ، وقلة الخضوع ...)^(٣) .

٤ - ذكر جملة من العبادات القلبية :

أورد الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - عدداً من العبادات القلبية ، وتوسّع في الكلام على بعضها ، فقد تحدث عن التقوى^(٤) ، والصبر^(٥) ، والتوكل^(٦) ، والخوف^(٧) ، والرجاء^(٨) ، والتوبة^(٩) ، والاستغفار^(١٠) ، والرضا بالقضاء^(١١) ، وغيرها .

١- هكذا أبهمه السيوطي رحمه الله تعالى .

٢- سورة الحديد : آية ١٦ ، وكمال الآية هو ﴿ اَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا اَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللّٰهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ اُوْتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْاَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَبِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِفُوتٌ ﴾ .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٥٢٦ ، وانظر أيضاً : ١ / ١٢ - ١٣ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٢٢ - ٣٢٣ .

٥- المصدر السابق : ٢ / ٣٣٤ - ٣٣٥ .

٦- المصدر السابق : ٢ / ٤٨٦ .

٧- المصدر السابق : ٢ / ٩١ - ٩٢ ، ٤٩٥ .

٨- المصدر السابق : ٢ / ٩١ - ٩٢ .

٩- المصدر السابق : ٢ / ٥٨٣ - ٥٨٤ ، ٣ / ٤٥ - ٤٦ .

١٠- المصدر السابق : ٣ / ٤٥ - ٤٦ .

١١- المصدر السابق : ٢ / ٤٤٤ - ٤٤٦ .

فمن أمثلة كلامه على هذه المرققات قوله في التقوى عند تفسير قوله تعالى :

﴿مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾^(١) :

((معناه مع الذين اتقوا بمعونته ونصرته ، وهو مصدر مشتق من الوقاية ؛ فالتاء بدل من واو ، ومعناه الخوف والتزام طاعة الله ، وترك معاصيه ، فهو جماع كل خير .

وقد ضمن الله للمتمسك به الهدى ، لقوله : ﴿هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ﴾^(٢) .

والولاية ، لقوله : ﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٣) .

والحجة ، لقوله : ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾^(٤) .

ثم أخذ السيوطي في تعداد فوائد التقوى ، وعرج بعد ذلك على بواعثها ، ودرجاتها في كلام جميل^(٥) .

٥ - ذكر جملة من الأدعية ، وبيان آداب الدعاء :

ذكر الإمام السيوطي آداب الدعاء ، وتخلل كتابه عددٌ من الأدعية ، وكل ذلك من المرققات المهمة ، فمما ذكره في آداب الدعاء قوله عند تفسير قوله تعالى : ﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾^(٦) ، فقال بعد كلام طويل مُرقق في شرح الآية وسبب نزولها :

((فإن قلت : قد رأينا من يدعو ولا يستجيب له .

١- سورة النحل : آية ١٢٨ .

وقد سبق أن ذكرت أن الإمام السيوطي ينتزع الشاهد من الآية انتزاعاً مُخلأً بمعناها - أحياناً - ليستقيم له وضعها تحت الحرف الذي ساقها فيه ، انظر ص ٤١٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

وكمال الآية : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا﴾ .

٢- سورة البقرة : آية (٢) .

٣- سورة الجاثية : آية ١٩ .

٤- سورة التوبة : آية ٤ .

٥- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٣٢ - ٣٣٣ .

٦- سورة البقرة : آية ١٨٦ .

والجواب إذا وقع الدعاء من المضطر حصل جوابه على كل حال ، ومن وُفق
للدعاء لم يحرم الإجابة ...

فإن قلت : يبين لنا الاضطرار وشروط الدعاء .

فالجواب : إن الاضطرار ألا تبقى فيك علاقة مع غيره سبحانه ، وإن أخلصت له في
الدعاء وتضرعت ، ورجوت وخِفتَ ، واستغثت به فلا بد من إجابتك إما عاجلاً
فتبلغ سُؤلك ، أو يكفر لك به من ذنوبك ، أو يؤخر لك لمصلحتك ، أو يرفع
درجتك ، ولعله يعطيك سُؤلك فتغفل عنه^(١) .
وهو يجب للملحين في الدعاء ...))^(٢) .

ثم أخذ السيوطي في تبين أسباب قبول الدعاء ، وأوقاته الفاضلة ،
ودرجات الناس في الدعاء .
وقد تفرق في مواضع من كتابه أدعية كثيرة ومناجاة لله تبارك وتعالى^(٣) .

تلك كانت نبذة موجزة عن منهج الإمام السيوطي في إيراد القصص والمواعظ
والرقائق .

وأنا أميل إلى أن الإمام السيوطي قد ألف هذا الكتاب أواخر حياته ؛ وذلك
لما فيه من كثرة واضحة في المواعظ ، والرقائق ، والأدعية ومناجاة الله تبارك وتعالى
وسؤاله الرحمة ، مما لم أره له في كتاب آخر على شاكلة ((معترك الأقران)) ،
والله أعلم .

١- أي فتغفل عن الله بعد الإجابة .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٣ - ٢٤ .

٣- انظر : ١ / ٣٧٣ ، ٥١٣ ، ٥١٤ ، ١٢ / ٢ ، ٩٩ ، ٤٦ / ٣ ، ١٠٦ ، ٥١٢ ، ٥٢٦ ، ٥٢٨ ، ٦٤٩ .

المبحث السابع

منهجه في ذكر المسائل العلمية المادية

تحدث الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - عن جملة من المسائل العلمية المتعلقة بالمادة و ((الطبيعة)) التي خلقها الله - تعالى - تحدث عن ذلك في مواضع كثيرة من كتابه ، ولم يعرف عن السيوطي تخصص في هذه المسائل ، ولم يشتهر عنه التوسع فيها ، وإنما كان ينقل ما وصل إلى عصره من العلوم والمعارف .

وقد كان للمسلمين السبق والتقدم في المسائل العلمية النظرية والتجريبية ، وكانت لهم حضارة مادية أدهشت المؤرخين لصحة قواعدها ، ولعظمة ما أنتجته من صناعات وفنون^(١) .

لكنني أعني هنا ما أورده السيوطي من مسائل نظرية مجردة ، ليست من قبيل العلم التجريبي الذي برع فيه المسلمون قديماً ، وقد كان يشوب بعض هذه المسائل بعض الأخطاء العلمية التي لأيسأل عنها أهل عصر السيوطي فمن قبلهم ، إنما اكتشف أنها أخطاء في وقت متأخر عن عصر الإمام السيوطي ، وكثير من الحقائق العلمية إنما ظهرت واشتهرت إبان ما يسمى بعصر النهضة في أوروبا .

وقد انقسمت المسائل العلمية التي ناقشها السيوطي من حيث تعلقها بالقرآن إلى قسمين :

مسائل لها تعلق بحقائق علمية مذكورة في القرآن العظيم .

ومسائل علمية ذكرها السيوطي استطراداً ، ليس لها ذكر في القرآن العظيم .

١- انظر في هذا ((معالم الحضارة الإسلامية)) للدكتور مصطفى الشكعة ، و ((معالم الحضارة في الإسلام)) وأنرها في النهضة الأوروبية)) للشيخ عبد الله علوان - رحمه الله تعالى - ، و ((شمس العرب تسطع على الغرب)) للأستاذة الألمانية زخريد هونكه .

أ - مسائل علمية مذكورة في القرآن :

لابد أن يذكر هنا أن بعض المسائل التي أوردها السيوطي هي حقائق قرآنية مقطوع بها ، لكن تفسيره لها داخله الخطأ الذي كان فاشياً في عصره ، وذلك نحو قوله في مسألة تكون اللبن في الضَّرْع :

((مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ))^(١) ...

قال الزمخشري :

إذا استقر العلف في كَرِش البهيمة طبعته ، فكان أسفلهُ فَرْثاً^(٢) ، وأوسطه لبناً ، وأعلىه دماً ، والكبد مسلطة على ذلك تقسمه ، فيجري الدم في العروق ، واللبن في الضروع ، ويبقى الفَرْث في الكَرِش^(٣) .

ورده ابن الخطيب^(٤) بأننا مارأينا قط في كَرِش البهيمة المذبوحة لبناً ولا دماً .

١ - سورة النحل : آية ٦٦ .

هكذا أورد السيوطي - رحمه الله تعالى - هذه الآية ، ولم يأت بأولها وهو قوله تعالى : ﴿ تَشْقِيكَرُ ﴾ ، وإنما فعل ذلك ليستقيم له إيراده في حرف الميم من الوجه الخامس والثلاثين : ((ألفاظه المشتركة)) ، وقد نهيت على أمثال هذه المواضع سابقاً ، انظر ص ٤١٢ وما بعدها .

٢ - الفَرْث : بقايا الطعام في الكَرِش : ((المعجم الوسيط)) : (ف ر ث) .

٣ - قد نقل السيوطي كلام الزمخشري بتصرف يسير ، انظر ((الكشف)) : ٢ / ٤١٦ .

٤ - يعني به الإمام فخر الدين الرازي ، فإنه كان معروفاً بـ (ابن خطيب الري) ، وقول السيوطي : رده ابن الخطيب يُفهم منه أن الرازي رد كلام الزمخشري ، وإنما رد الرازي أثراً ضعيفاً عن ابن عباس - رضي الله عنهما - ونصّه كما قال الرازي :

((روى الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس أنه قال : إذا استقر العلف في الكَرِش صار أسفلهُ فَرْثاً ، وأعلىه دماً ، وأوسطه لبناً ، فيجري الدم في العروق ، واللبن في الضَّرْع ، ويبقى الفَرْث كما هو ، فذاك هو قوله تعالى : ﴿ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا حَالِصًا ﴾ لا يشوبه الدم ولا الفَرْث)) : ((مفاتيح الغيب)) : ٢٠ / ٦٦ .

وقول الرازي هذا فيه ملاحظتان :

الأولى : أنه رد هذا الأثر رداً عقلياً ولم يبين هل هو ضعيف أو لا ، ولعله اكتفى بإيراد سنده إشارة إلى ضعفه ، لأن الكلبي متهم بالكذب ، كما ذكر ابن حجر ، انظر ((التقريب)) : ٤٧٩ .

الأخرى : أن كلام الزمخشري يكاد يكون هو بنصه الأثر المذكور عن ابن عباس آنفاً ، ولم يشر إلى ذلك الزمخشري ، ولم يبين ذلك السيوطي ، والله أعلم .

وأجاب بعضهم عنه بأن حالة الحياة لها زيادة ، ألا ترى أن الميت إذا قُطع منه لم يخرج منه دم بوجه ، بخلاف الحي ؛ ولذلك كان الفلاسفة يشقون خوف الإنسان وهو حي لينظروا ما يتحرك في بطنه .

والصحيح أن الغذاء يطبخه الكرش فيخرج منه أولاً الأجزاء الكثيفة - وهي الفرث - ويبقى دماً ، فيطبخه ثانية ويخرج منه إلى الضروع الأجزاء اللطيفة وهي اللبن ، ويصير الباقي دماً صِرْفاً فيجعله في العروق ...))^(١) .

الصحيح علمياً في هذه المسألة :

هذا الذي ذكره السيوطي - رحمه الله تعالى - في مسألة تكون اللبن وأنه هو الصحيح إنما هو بالنسبة إلى ما وصل إليه علم عصره ، أما الصحيح الثابت علمياً في مسألة تكون اللبن هو أن الضروع لها عُددٌ تفرز اللبن ، قال الشيخ الطاهر بن عاشور ، رحمه الله تعالى :

((ومعنى كون اللبن من بين الفرث والدم إنه إفراز حاصل في حين إفراز الدم وإفراز الفرث ، وعلاقته بالفرث أن الدم الذي ينحدر في عروق الضرع يمر بمجوار الفضلات البولية والثقلية^(٢) ، فتفرزه غدد الضرع لبناً كما تفرزه غدد الكليتين بولاً بدون معالجة زائدة ... وليس المراد أن اللبن يتجمع من طبقتي فرث ودم ، وإنما الذي أوهم ذلك من توهمه حمله ﴿ بَيْنَ ﴾ على حقيقتها من ظرف المكان ، وإنما هي تستعمل كثيراً في المكان المجازي ، فيراد بها الوسط بين مرتبتين كقوهم : الشجاعة صفة بين التهور والجبن ، فمن بلاغة القرآن هذا التعبير القريب للأفهام لكل طبقة من الناس بحسب مبالغ علمهم ، مع كونه موافقاً للحقيقة .

١- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٢٧ .

وانظر للمزيد من الأمثلة : ٢ / ٣٠٣ ، ٣ / ٣٨٧ ، ٤٠١ .

٢- الثقل : ثقل كل شيء ما استقر تحته من كدره ، والثقل - أيضاً - مارسب خطارته وعلا صفوه من الأشياء كلها .

انظر ((لسان العرب)) : ث ف ل .

والمعنى إفرازٌ ليس هو بدم لأنه أَلين من الدم ، ولأنه غير باقٍ في عروق
الضرع كبقاء الدم في العروق ، فهو شبيه بالفضلات في لزوم إفرازه ، وليس هو
بالفضلة لأنه إفراز طاهر نافع مُغذٍّ ، وليس قذراً ضاراً غير صالح للتغذية كالبول
والثُّفل))^(١) .

وقال سيد قطب^(٢) ، رحمه الله تعالى :

((فهذا اللبن الذي تدره ضروع الأنعام ممّ هو ؟ إنه مستخلص من بين فرث ودم ،
والفرث مايتبقى في الكرش بعد الهضم ، وامتصاص الأمعاء للعصارة التي تتحول إلى
دم ، هذا الدم الذي يذهب إلى كل خلية في الجسم ، فإذا صار إلى غُدَد اللبن
في الضرع تحول إلى لبن بديع صنع الله العجيب ، الذي لا يدري أحد كيف
يكون ... وقد بقي هذا كله سراً إلى عهد قريب ، وهذه الحقيقة العلمية التي
يذكرها القرآن هنا : خروج اللبن من بين فرث ودم لم تكن معروفة لبشر ،
وما كان بشر في ذلك العهد ليتصورها فضلاً عن أن يقررها بهذه الدقة العلمية
الكاملة))^(٣) .

ب - مسائل علمية ليست مذكورة في القرآن :

قد أورد السيوطي بعض المسائل العلمية التي ليست في أصلها حقائق قرآنية ،
ولم يأت لها ذكر في كتاب الله تعالى ، إنما أوردتها استطراداً ؛ وذلك نحو قوله :

١- ((التحرير والتنوير)) : ١٤ / ٢٠٠ - ٢٠١ .

٢- هو سيد بن قطب بن إبراهيم . مفكر إسلامي مصري . ولد في أسبوط سنة ١٣٢٤ . وتخرج بكلية دار العلوم
بالقاهرة سنة ١٣٥٣ ، وعمل في جريدة الأهرام ، وكتب في بعض المجالات الأدبية ، وعين مدرساً للغة العربية ، ثم تنقل في
الوظائف الحكومية . انضم إلى الإخوان المسلمين سنة ١٣٧٣ ، ثم سجن فعكف على تأليف صفوة كنه في السجن ،
ثم أعدم بعد ذلك سنة ١٣٨٧ . انظر ((الأعلام)) : ٣ / ١٤٧ - ١٤٨ .

٣- ((في ظلال القرآن)) : ٤ / ٢١٨٠ - ٢١٨١ .

((أَضْطَرَّ))^(١) : أُلْجئ ، وهو مشتق من الضرورة ... واختلف في حد الاضطرار ، والصحيح أنه ثلاثة أيام .
والحكمة فيه أن الميتة إنما حرمت لسمّها وضربها ، والآدمي إذا خلت معدته من الطعام نشأ منها سمّ قاتل يغلب على سمّ الميتة ، فلذا أبيح أكلها))^(٢) .

ومسألة السمّ الناشئ في المعدة إذا خلت من الطعام ليست مسألة صحيحة - كما هو معروف اليوم - إنما أبيح أكل الميتة لئلا يموت الإنسان جوعاً إذا لم يجد طعاماً يسدّ حاجته ، والله أعلم .

منهج السيوطي في ذكر هذه المسائل :

أولاً : عدم ورود هذه المسائل تحت قواعد منضبطة :

لم يورد السيوطي هذه المسائل في كتابه إلا عرضاً واستطراداً ؛ فهي لم تُقصد ابتداءً ، إنما تذكر في ثنايا الكلام على تفسير آية ، أو تقرير قاعدة .

فمن كلامه على المسائل العلمية في ثنايا التفسير قوله في تفسير قوله تعالى :
﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾^(٣) ، فقال
بعد كلام في تفسير الآية :

((ومعنى الفلك جسم مستدير ... وقد قدّمنا أن بحاري القمر ثمانية وعشرون ؛ لأنه يقطع الفلك في شهر ، وبحاري الشمس مائة وثمانون . لأنها تقطع الفلك في سنة ، ووجهه أن السنة ثلاثمائة وستون يوماً ، ونصفها مائة وثمانون ، فهي تقطع في نصف السنة ستة بروج ، ثم ترجع صاعدة أوهابطة فتمشي في نظائر تلك البروج ، فما بحاريها في الحقيقة إلا ستة بروج ...))^(٤) .

١- من قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ ﴾ سورة البقرة : آية ١٧٣ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٥٥٤ ، وانظر - للمزيد من الأمثلة - : ٢٠ / ٦٢٠ ، ٦٥١ - ٦٥٤ .

٣- سورة الأنبياء : آية ٣٣ .

٤- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٤٠٠ .

وجُلّ ماأورده من مسائل علمية إنما هو منشور في ثنايا تفسيره لبعض الآيات^(١) .

أما ماأورده في تقرير قاعدة فمثاله قوله في أسباب التقديم وأساراره في السبب الثالث منها ، وهو التقديم بسبب التشريف :

((... وتقديم المؤمنين على الكفار في كل موضع ، وأصحاب اليمين على أصحاب الشمال ، والسماء على الأرض ، والشمس على القمر حيث وقع إلا في قوله : ﴿ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾ * وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا * وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾^(٢) .

فقبل لمراعاة الفاصلة^(٣) ، وقيل لأن انتفاع أهل السموات العائد عليهم الضمير به أكثر .

وقال ابن الأنباري :

يقال إن القمر وجهه يضيء لأهل السماوات ، وظهره لأهل الأرض ، ولهذا قال تعالى : ﴿ فِيهِنَّ ﴾ لما كان أكثر نوره يضيء إلى أهل السماء^(٤) .

ثانياً : نقد بعض المسائل ومناقشتها :

نقد السيوطي عدداً من المسائل التي أوردها ، وناقش مصنفها فرجح مايعتقده الراجح في المسألة ، وإن ظهر أنه خطأ بعد ذلك كما ذكرت سابقاً ؛ إذ مثل هذا لا يضره^(٥) .

١- انظر - للمزيد من الأمثلة - : ١ / ٥٤٩ ، ٢ / ٩٨ ، ٣٠٣ ، ٣٢٧ ، ٣ / ٣٨٧ .

٢- سورة نوح : آية ١٥ ، ١٦ .

٣- أي لتستوي ﴿ طِبَاقًا ﴾ و ﴿ سِرَاجًا ﴾ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٧٥ - ١٧٦ .

وانظر مزيداً من الأمثلة في : ١ / ٨٠ - ٨١ ، ٥٥٤ ، ٢ / ٦٢٠ .

٥- انظر ص ٥٣٢ .

ومن هذه المسائل قوله عند الكلام على قوله تعالى :

﴿وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾^(١) فقال :

((كل ما عاكك يسمى سماءً ، وسمي السحاب سحاباً لعلوه ، وهذا جارٍ على الخلاف في المياه - على ما قدمنا - هل هي من السماء ؟ أو هي من بخار لطيف يصعد من البحار فيتكون منه السحاب ؟ والصحيح الوقف))^(٢) .

ومن هذه المسائل - أيضاً - قوله عند الكلام على قوله تعالى :

﴿مَدَّ الْأَرْضَ﴾^(٣) ، فقال :

يقتضي أنها بسيطة لاكرة ، وهو ظاهر الشريعة^(٤) ، وقد يُرتب لفظ المد والبسط مع التكوير ؛ لأن كل قطعة من الأرض ممدودة على حِدَّتِها ، وإنما التكوير لجملة الأرض :

وقال الشيخ عبد الخالق^(٥) :

وكنت أسمع من الشيوخ أن في الأرض خمسة أقوال : قيل : كروية ، وقيل : بسيطة ، وقيل : إنها شبه مكب^(٦) ، وقيل بمنزلة حميلة السيف^(٧) الذي يُتقلد به ، وإنها شبه حلقة محيطة بهذا العالم كإحاطة الحميلة ، وقيل شبه سمكة ، ومن أجل ذلك وضعوا الاصطراب^(٨) الحوتي الجنوبي .

١- سورة البقرة : آية ٢٢ .

٢- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٣٨٦ - ٣٨٧ .

٣- سورة الرعد : آية ٣ .

٤- أي ظاهر الآيات قبل إعمال النظر ، كما يفهم من السياق بعده .

٥- لم أجد له ترجمة .

٦- معاني الكَبِّ في اللغة تدور على القلب والانعناء والمقوط ، ولعل المعنى هنا : فيها انحناء يسير من فوقها ، والله أعلم .

٧- الحميلة : علاقة السيف : ((لسان العرب)) : حمل .

٨- آلة يتوصل بها إلى معرفة كثير من الأمور النجومية كارتفاع الشمس ، ومعرفة الطالع ، وسُمِّت القبلة ، وعرض

البلاد ، وغير ذلك ، واصطراب كلمة يونانية الأصل ، وقد تنطق (اصطراب) بالسين على أصلها اليوناني ،

وقيل إن أول من وضعه بطليموس ، وأول من عمله في الإسلام إبراهيم بن حبيب الفزاري . انظر ((كشف الظنون)) :

١٠٦ - ١٠٧ . وانظر في أنواعه وأشكاله بالتفصيل كتاب ((أثر علماء العرب والمسلمين في تطوير علم الفلك))

للككتور علي الدفاع : ٣٣ - ٣٨ .

قال : والصحيح عندهم أنها كورية ، وأن السماء كورية^(١) .

وقال ابن عرفة^(٢) :

استدل بعضهم بهذه الآية على أن الأرض بسيطة ، ولادليل له في ذلك ؛ لأن إقليدس الهندسي^(٣) قال : الكرة الحقيقية لا يمكن إقامة الزوايا والخطوط عليها بوجه ، ونحن نجد الأرض تقام عليها الخطوط وغير ذلك ، ونراها مستوية ، وذلك من أدل دليل على أنها وإن كانت كروية فليست كالكرة الحقيقية ؛ بل أعلاها مُستوي كعوض الكور التي أعلاها يكون بسيطاً مستوياً^(٤) .

ثالثاً : الربط بين العلم ومبدعه سبحانه وتعالى :

أورد السيوطي في موضع واحد فقط مجموعة من إبداعات الخالق في جسم الإنسان ، وربط بينها وبين خالقها بأسلوب جميل ، وذلك عند الكلام على قوله تعالى : ﴿عَذْلَكَ﴾ - أي ﴿خَلَقَكَ فَسَوَّنَكَ فَعَدَلَكَ﴾^(٥) - فقال بعد كلام في تفسير الآية :

١- كذا وردت في المطبوعة ، وعلق المحقق على ذلك بقوله : ((هذا بالأصلين ، وقد ذكرها المؤلف في هذا البحث كله بلفظ : كورة ، وهي - بفتح الكاف - : لَوْتُ العمامة [طَبْهَا] وإدارتها ، وبالضم : الصُّع [أي الموضع])) ، انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٠٣ .

٢- محمد بن محمد بن محمد بن عرفة ، أبو عبد الله الوُرْعَمِيّ - نسبة لـ ((وَرْعَمَة)) قرية من إفريقية - التونسي المالكيّ ، عالم المغرب . ولد سنة ٧١٦ ، وتفقه وقرأ القرآن بالقراءات ، ومهر في العلوم مع الدين المتين والخير والصلاح . وله بعض المصنفات في الفقه والفرائض والتفسير وغيرها . مات بتونس سنة ٨٠٣ . انظر ((الضوء اللامع)) : ٩ / ٢٤٠ - ٢٤٢ . وكتابه في التفسير يطبع تبعاً في تونس منذ سنة ١٤٠٧ .

٣- إقليدس بن نوططرس الصُّورِيّ . فيلسوف يونانيّ ، رياضيّ . قيل إنه ولد في الإسكندرية ، وتوطن في بلاد الإغريق قبل ميلاد المسيح - عليه الصلاة والسلام - بشماتة سنة ، ثم جاء إلى الإسكندرية وافتتح مدرسة لتعليم الرياضيات ، وهو أقدم من أرثيديدس . أشهر كتبه ((أصول إقليدس)) . انظر ((الفهرست)) : ٥٣٧ ، وهامش رقم (١) في الصفحة نفسها .

٤- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٣٠٣ ، وفي مثال خلق اللين الذي ذكرته آنفاً مثالاً أيضاً على ترجيحه بين الأقوال العلمية .

٥- سورة الانفطار : آية ٧ .

((فتأمل يا ابن آدم هذه الكرامات التي أكرمك بها ... وإلى تفصيل أعضائك من عظم ولحم ، ومخ وعصب ، وعروق ودم ، وجلد وظفر وشعر ، كل واحد منها لحكمة ، لولاها لم يكن الجسد بحسب العادة ؛ فالعظام منها هي عمود الجسد فضم بعضها إلى بعض بمفاصل وأقفال من العضلات والعصب ربطت بها ، ولم يجعلها عظماً واحداً ... ثم خلق العروق في جميع الجسد جداولاً لجريان الغذاء فيها إلى أركان الجسد ، لكل موضع من الجسد عدد معلوم من العروق صغيراً وكباراً ... ثم أجرى الدم في العروق سيلاً خائراً^(١) ، ولو كان يابساً أو أكثف مما هو عليه لم يجر في العروق ...))^(٢) .

وهكذا استمر في ذكر أعضاء جسم الإنسان على هذا المنوال حتى قال :
 ((فانظر إلى دقائق هذا الصنع الجليل ، وحسن المعاني من رب جميل لجميع الحيوان ؛ وخص هذا الآدمي بخصائص وحكم يعجز ذكرها ، وقد أشرنا إلى بعضها ، وقد ذكر أهل علم التشريح تفصيلها .
 وبالجملة فهذا الآدمي هو العالم الأكبر ، وجميع المخلوقات هو العالم الأصغر ، وكيف لا وقد جمع الله فيه ما تفرق في كل الأشياء ... اللهم يامقلب القلوب ثبت قلوبنا على طاعتك ، وأعنها على عبادتك ، وهب لها أرواحاً تقودها إلى مشاهدتك ...))^(٣) .

تلك كانت نبذة موجزة عن منهج الإمام السيوطي في طرق الجوانب العلمية المادية في كتابه .

وبهذا المبحث ينتهي الكلام على منهج الإمام السيوطي في عرض وجوه الإعجاز .

١- الخثرة : نقيض الرقة . انظر ((لسان العرب)) : خ ث ر .

٢- ((معترك الأقران)) : ٢ / ٦٥١ - ٦٥٢ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٦٥٤ .

الفصل الثالث

دراسة أهم القضايا العلمية في كتاب ((معترك الأقران))

- ١ - قضية الرسم العثماني :
وما جاء فيها في كتاب ((معترك الأقران))
مما يحتاج إلى مناقشة ودراسة .
(ص ٥٤٣-٥٧٣)
- ٢ - قضية الفاصلة القرآنية .
(ص ٥٧٤-٥٩٧)
- ٣ - قضية الذبيح : إسماعيل هو أم إسحاق ،
عليهم الصلاة والسلام .
(ص ٥٩٨-٦٠٣)

كتاب ((معترك الأقران)) كبير الحجم ، فيه مسائل متنوعة ، وكثيرة شاملة ، يصعب تناولها ومناقشتها على وجه الحصر ، لكن هناك بعض القضايا التي أوردها الإمام السيوطي في الكتاب تمس الحاجة إلى مناقشتها ، منها ما هو شبهة تحتاج إلى تفنيد ، ومنها ما هو يحمل بحاجة إلى تفصيل وزيادة بسط .

وقد أشرت إلى بعضها سابقاً^(١) ، وذكرت أنني سأتناولها بالتفصيل في هذا الفصل إن شاء الله تعالى .

والقضايا التي سأدرسها في هذا الفصل هي :

١ - قضية الرسم العثماني وما جاء فيها في كتاب ((المعترك)) مما يحتاج إلى دراسة ومناقشة .

٢ - قضية الفاصلة القرآنية .

٣ - قضية الذبيح : إسماعيل هو أم إسحاق ، عليهما الصلاة والسلام ؟

أولاً : قضية الرسم العثماني وما جاء فيها في كتاب ((المعترك)) مما يحتاج إلى مناقشة ودراسة

حرص الرسول العظيم - صلى الله عليه وسلم - على كتابة الوحي الذي كان ينزل به جبريل ، عليه الصلاة والسلام ، فاتخذ لأجل ذلك عدداً من كتبة الوحي المطهر، اختصوا بكتابه من بين كتاب النبي - صلى الله عليه وسلم - الذين كان عددهم يفوق الأربعين^(١) .

وكان من أشهر كتبة الوحي ذو النورين عثمان، وعلي بن أبي طالب، وأبي ابن كعب، وزيد بن ثابت وغيرهم^(٢)، رضي الله عنهم أجمعين .

ولكن هذه الكتابة كانت مثبتة على صحف وألواح وعُسب^(٣) متفرقة فلم تكن مجموعة في مكان واحد^(٤) .

ثم لما كان عهد الصديق رضي الله عنه جمع القرآن في صحف واحدة مجموعة، وعهد إلى زيد بن ثابت - رضي الله عنه - القيام بهذه المهمة الجليلة^(٥) .

وفي عهد عثمان - رضي الله عنه - تم جمع الناس على مصحف واحد ، موثقاً تمام التوثيق بإجماع الصحابة الذين كانوا في المدينة في زمان عثمان ، رضي الله عنهم أجمعين^(٦) .

١- نقل ذلك الأستاذ غانم الحمد عن عدد من المصادر ، انظر كتاب ((رسم المصحف)) : صفحة ٦٠ .

٢- المصدر السابق : ٩٦ .

٣- العُسْب جمع عسيب ، وهي الجريدة من النخل إذا نُحِّيَ عنها حُوصها : انظر ((لسان العرب)) : عسب .

٤- انظر ((رسم المصحف)) : ٩٩ ، فقد ذكر المصنف عدداً من الآثار في هذا الباب .

٥- انظر تفصيل ذلك في المصدر السابق ص : ١٠٠ - ١٠٦ ، و ((صحيح البخاري)) : ٦ / ٢٢٥ .

٦- انظر تفصيل ذلك في المصدر السابق : ١٠٧ وما بعدها ، و ((صحيح البخاري)) : ٦ / ٢٢٦ .

وقد عُرفت طريقة كتابة كلمات المصحف بـ ((الرسم العثماني)) أي الرسم الذي تم في عهد الخليفة الراشد عثمان بن عفان - رضي الله عنه - بموافقة وإشارته ، وموافقة جميع الصحابة - رضي الله عنهم - الذين كانوا في المدينة المنورة آنذاك ، فلم يشذ منهم أحد .

وقد رأى كثير من العلماء وجوب المحافظة على الرسم العثماني وعدم تغييره^(١) .

وقد اختلفت الأنظار في هذا الرسم وطريقته ، فجمهور العلماء قد اعتقد فيه الكمال ، وأن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا موفقين في كتابته إلى الغاية التي لامزيد عليها ؛ حيث استطاعوا كتابة الكلمات التي تختلف قراءتها بطريقة تجمع بين القراءات المختلفة^(٢) .

وذهب آخرون إلى أن الرسم توقيفي ؛ لكن ليس لهم دليل على هذا^(٣) .

وبعض العلماء رأى أن طريقة كتابة المصحف تدل على أن الخط العربي كان في بداية أمره ، وأن الصحابة - رضي الله عنهم - كتبوا المصحف بأفضل ما توفّر في زمانهم وإن خالف ذلك قواعد الإملاء المستقرة بعد عصرهم . عدة ، فكتابتهم لبعض الكلمات القرآنية حصل فيها خطأ غير متعمد ؛ لأنهم - رضي الله عنهم - لم يكونوا يعلمون غير ذلك ، فممن ذهب إلى هذا الرأي ونصره ابن خلدون^(٤) - رحمه الله تعالى - حيث قال :

١- انظر ((رسم المصحف)) : ١٩٧ - ٢٠٠ .

٢- انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ١ / ١١ - ١٢ .

٣- انظر ((رسم المصحف)) : ٢٠٢ .

٤- هو الشيخ عبد الرحمن بن محمد بن محمد ، ولي الدين ، أبو زيد الحضرمي ، الإشبيلي الأصل التونسي ثم القاهري المالكي . ولد بتونس سنة ٧٣٢ ، وحفظ القرآن وعدة كتب ، وطلب العلم على مشايخ عدة ، واعتنى بالأدب ، وحفظ عدداً من دواوين الشعر ، ارتحل إلى عدة بلدان ، وصارت عليه أمور حتى قدم القاهرة سنة ٧٨٤ فأكرم رؤي قضاء المالكية بالديار المصرية . ألف تاريخاً وقدم له بمقدمة اشتهرت بـ ((مقدمة ابن خلدون)) . توفي بالقاهرة سنة ٨٠٦ . انظر ((الضوء اللامع)) : ٤ / ١٤٥ - ١٤٩ .

((كان الخط العربي لأول الإسلام غيرَ بالغ إلى الغاية من الإحكام والإتقان والإجادة ، ولإلى التوسط ؛ لمكان العرب من البداوة والتوحش وبعدهم عن الصنائع ؛ وانظر ماوقع لأجل ذلك في رسمهم المصحف ؛ حيث رسمه الصحابة بخطوطهم وكانت غيرَ مستحكمة في الإجادة ؛ فخالف الكثيرُ من رسومهم ماقتضته رسومُ صناعة الخط عند أهلها ، ثم اقتفى التابعون من السلف رسمهم فيها تبركاً بما رسمه أصحاب الرسول - صلى الله عليه وسلم - وخير الخلق من بعده المتلقون لوجيه من كتاب الله وكلامه ...

ولاتلفتن في ذلك إلى مايزعمه بعض المغفلين من أنهم كانوا مُحَكِّمين لصناعة الخط ، وأن مايتخيّل من مخالفة خطوطهم لأصول الرسم ليس كما يتخيّل بل لكلها وجهٌ ... وما حملهم على ذلك إلا اعتقادهم أن في ذلك تنزيهاً للصحابة عن توهّم النقص في قلة إجادة الخط ، وحسبوا أن الخط كمال فنزهوهم عن نقصه ونسبوا إليهم الكمال بإجادته ، وطلبوا تعليل ماخالف الإجادة من رسمه ، وليس ذلك بصحيح))^(١) .

والدارس لعلم القراءات وعلم الرسم يعرف ضعف رأي ابن خلدون هذا ، وأنه تحامل في كلامه ، ولم يناقش ما صنعه الصحابة - رضي الله عنهم - مناقشة علمية صحيحة .

وقد ذهب إلى رأيه هذا عدد من القدماء والمحدثين ولم يأتوا فيه بجديد^(٢) .

والرأي الذي ينبغي المصير إليه في هذه المسألة هو أنه ينبغي على المتكلم في

١- ((مقدمة ابن خلدون)) : ٤١٩ .

٢- انظر ((رسم المصحف)) : ص ٢٠٨ - ٢١٢ ، وانظر الهوامش : ٣٦ ، ٤٠ ، ٤١ ، فقد ذكر الباحث عدداً من القدماء منهم : القراء ، وابن قتيبة ، وذكر من المحدثين : عبد العزيز فهمي ، وابن الخطيب ، والدكتور علي وافي ، وعبد الجليل عيسى ، ويبيّن أن عبد العزيز فهمي وابن الخطيب كانا ذوي نيات سيئة وأغراض باطلة ، انظر ص ٢١٢ هامش ٤١ .

الرسم العثمانيّ)) أن يستبعد فكرة الخطأ وهو يحاول أن يجد التفسير الصحيح لظواهر الهجاء الواردة فيه ، وأن يتوقف عن القول فيما لم يتوفر لديه فيه ما يرجح به رأياً أو يقدم به تفسيراً ؛ لأن جانباً كبيراً من تاريخ الكتابة العربية في تلك الفترة المتقدمة لا يزال غير معروف ، ويظل الرسم العثماني بكل ما يقدم من أمثلة وصور لرسم الكلمات خيراً مثل لواقع الكتابة العربية في تلك الحقبة ...))^(١) .

وهناك أمر مهم في هذه القضية وهو أن القول بأن قواعد الرسم العثماني جاءت موافقة لقواعد الهجاء إلا في كلمات قليلة ، هذا القول)) منهج مقلوب في دراسة القضية ؛ وذلك أن الرسم العثماني ماهو إلا النموذج الحقيقي لحالة الكتابة العربية في الفترة التي نسخت فيها المصاحف ، وظل الناس يكتبون وفقاً لما جرى في المصحف فترة طويلة ، إلا أن حرص علماء العربية على تيسير القواعد الكتابية بعد ذلك الاستعمال الواسع للكتابة جعلهم يسعون إلى توحيد قواعد الرسم العثماني وفقاً لأصولهم الصرفية وأقيستهم النحوية ، وظلت قواعد الرسم العثماني هي العمود الأساسي في قواعد الهجاء العربي التي وضعها علماء العربية ، وليس من المنطقي ولا من المنهج العلمي السديد أن نقيس ظواهر الرسم العثماني بأصول وقواعد جاءت لاحقة لتاريخ وجود تلك الظواهر ، ومعتمدة عليها في أكثر جوانبها))^(٢) .

هذا هو الرأي السديد - في تقديري - في هذه المسألة ، والله أعلم .

وبعد هذا التمهيد لهذه المسألة فإنني أذكر موقف الإمام السيوطي حيال بعض قضاياها ، فقد ذكر - رحمه الله تعالى - عدداً من مسائل الرسم العثماني التي كثر الحديث فيها ونوقشت مناقشة مستفيضة ، ذكرها مرسلّة بدون نقد ولا مناقشة ولادراسة ، ولعل ذلك لشهرتها ، واستفاضة أجوبتها في زمانه .

١-)) رسم المصحف)) : ٢٤٢ .

٢- المصدر السابق : ٢٤٤ .

وهذا منهج خطر على أذهان الناشئة - في زماننا - حيث يتوهمون الخطأ في كتاب الله تعالى ، وهو أيضاً مصدر سرور للمستشرقين وتلاميذهم المقلدين ، الذين يتلقفون هذه الروايات بتلهف وتشوق كما يكيدوا للمسلمين ولكتابهم .

ومن هذه المسائل التي أوردتها الإمام السيوطي :

أولاً : تشديد ((إن)) ورفع ﴿ هَذَانِ ﴾ من قوله تعالى :

﴿ إِنَّ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ ^(١) .

هذه قضية كثر النقاش فيها عند أئمة التفسير واللغة ؛ وهذا لأن (إِنَّ) تعمل في الاسم فتنصبه ، وقد تخلف هذا العمل في هذه القراءة ، وهي قراءة الأكثر من أئمة القراء ^(٢) .

كلام الإمام السيوطي :

أما تناول الإمام السيوطي لهذه القضية - في هذا الكتاب - فقد جاء على غاية من الاقتضاب والإيجاز ؛ فقد قال رحمه الله تعالى :

((قُرئ : ﴿ إِنَّ هَذَانِ ﴾ بالياء ولا إشكال في ذلك ^(٣) .

وقُرئ بالتخفيف ^(٤) ، وهي مخففة من الثقيلة وارتفع بعدها ﴿ هَذَانِ ﴾ بالابتداء ، وأما على قراءة نافع ^(٥) وغيره بتشديد إن ورفع ﴿ هَذَانِ ﴾ فقليل : ﴿ إِنَّ ﴾ هنا بمعنى (نَعَمْ) فلا تنصب وقيل : اسم إن ضمير الأمر والشأن ؛ تقديره (إن الأمر) و ﴿ هَذَانِ لَسَاحِرَانِ ﴾ مبتدأ وخبر في موضع خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .

١ - سورة طه : آية ٦٣ .

٢ - قرأ ابن كثير وحفص بإسكان النون وقرأ الباقر بتشديدها ، وقرأ أبو عمرو بالياء في ﴿ هَذَانِ ﴾ حرباً على أصل الأعمال . انظر ((النشر في القراءات العشر)) : ٢ / ٣٢٠ - ٣٢١ .

٣ - لأن (إن) عملت عملها فنصبت ﴿ هَذَانِ ﴾ بالياء .

٤ - أي بسكون النون من ﴿ إِنَّ ﴾ .

٥ - نافع بن عبد الرحمن الليثي بالولاء . قرأ على جماعة من التابعين من أهل المدينة ، وكان إماماً عالماً بوجه القراءات ، توفي سنة تسع وستين ومائة . انظر ((غاية النهاية)) : ٢ / ٣٣٠ - ٣٣٤ .

وقيل جاء القرآن في هذه الآية بلغة بني حارث بن كعب^(١) ، وهي إبقاء التثنية بالألف في حال النصب والخفض .

وقالت عائشة : هذا مما لحن فيه كاتب المصحف^(٢) .
وقد أكثروا في الكلام في هذه الآية ، وألفوا فيها تأليفاً^(٣) .

وإيراده قول عائشة - رضي الله عنها - دون تفنيد أو تأويل أو بيان أقوال الأئمة فيها زلة علمية عظيمة من إمام مثله ، وهي طامة من الطامات التي وردت في بعض الكتب العلمية ، وأطنب الأئمة في بيانها وتفنيدها .

وقد كان للسيوطي - رحمه الله تعالى - مندوحة في عدم ذكر هذه المسألة البتة ، أو يذكرها ويبينها ، أما أن يتركها غفلاً كما صنع هنا فليس هذا بمحمود ؛ وذلك لأنه يمكن أن تعلق في الأذهان شبهة يصعب امتحاؤها من عقول الناشئة وقصار العلم ، وضعاف الرأي والفكر ، ولأن أعداء الإسلام من مستشرقين وغيرهم يبدلون الغالي والنفيس لجمع مثل هذه الروايات لإفساد إيمان عامة المسلمين بعظمة كتابهم ، وعلوه عن التغيير والتحريف .

وقد تكلم السيوطي - رحمه الله تعالى - على هذه المسألة في كتابه ((الإتيقان)) كلاماً حسناً وإن لم يستوعب أطرافها ، وكان ينبغي له أن يبين مثل ذلك التبيان في هذا الكتاب أيضاً ؛ لأن هذا موضع مناسب ، ولعل الإمام السيوطي اكتفى بما ذكره في ((الإتيقان)) ، ولو أحال إليه لكان حسناً ، والله أعلم .

١- بطن من حميم ، من العدنانية ، أوهم من أهل نجران بطن من مدحج من القحطانية ، وقد بين شيخ الإسلام ابن تيمية أن بني الحارث بن كعب الذين هذه لغتهم هم أهل نجران .

انظر ((معجم قبائل العرب)) : ١ / ٢٣١ ، و ((مجموع الفتاوى)) : ١٥ / ٢٥١ .

٢- سيأتي تخريج هذا الأثر بالتفصيل قريباً ، إن شاء الله تعالى .

٣- ((معترك الأقران)) : ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

والمحقق الفاضل لم يتكلم على هذه المسألة بشيء ، وكان التعليق عليها -
ولو يسيراً - من المهم الواجب في دين الله تعالى ، ولعله لم ينتبه لخطورتها .

تخريج هذا الأثر :

قبل الكلام على هذا الأثر وإيراد أقوال الأئمة فيه لأبد من ذكر سنده وبيان
درجته :

قد أخرج هذا الأثر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام^(١) - رحمه الله تعالى - فقال :
((حدثنا أبو معاوية^(٢) عن هشام بن عروة^(٣) عن أبيه^(٤) قال : سألت عائشة عن لحن
القرآن^(٥) : عن قوله :

﴿ إِنَّ هَٰذَيْنِ لَسَجِرَيْنِ ﴾^(٦) :

وعن قوله :

﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾^(٧) .

وعن قوله :

﴿ إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّائِغُونَ ﴾^(٨) .

فقلت :

١- الإمام المشهور : ثقة فاضل ، مصنف . ليس له في الكتب الستة حديثٌ مسند بل أقوال في شرح الغريب . مات سنة
٢٢٤ . انظر ((التقريب)) : ٤٥٠ . وقد سبقت ترجمته ، وإنما أعدت بعضها لبيان حال رجال الأثر .

٢- محمد بن حازم ، أبو معاوية الضرير الكوفي . عمي وهو صغير . ثقة ، أحفظ الناس لحديث الأعمش وقد يهيم في
غيره .

مات سنة ١٩٥ وله اثنتان وثمانون سنة ، وقد رُمي بالإرجاء . روى له أصحاب الكتب الستة . انظر ((التقريب)) :
٤٧٥ .

٣- هشام بن عروة بن الزبير بن العوام الأسدي . ثقة فقيه ، ربما دلّس . مات سنة ١٤٥ وله سبع وثمانون سنة ،
وحديثه في الكتب الستة . انظر ((التقريب)) : ٥٧٣ .

٤- عروة بن الزبير بن العوام الأسدي ، أبو عبيد الله المدني . ثقة فقيه مشهور . مات سنة ٩٤ ، ومولده في أوائل خلافة
عثمان ، رضي الله عنه . حديثه في الكتب الستة . انظر ((التقريب)) : ٣٨٩ .

٥- أي في ظنه ورأيه لاعلى أنه واقع في القرآن العظيم .

٦- سورة طه : آية ٦٣ .

٧- سورة النساء : آية ١٦٢ .

٨- سورة المائدة : آية ٦٩ .

يا ابن أخي : هذا عمل الكتاب ، أخطأوا في الكتاب))^(١) .

وقد حكم الإمام السيوطي على هذا الإسناد بأنه صحيح على شرط الشيخين^(٢) .

لكن محقق كتاب ((فضائل القرآن)) قد ذكر أن هذا الأثر ضعيف لضعف أبي معاوية في هشام ولأنه عنعن في روايته^(٣) ، حيث إنه ربما يدلّس . ولكن ليس كل أحاديث أبي معاوية عن هشام ضعيفة^(٤) ، ولم يقل أحد إنه دلس عن هشام حتى يُتهم في العنونة هاهنا ، إلا أن كان قصد المحقق أن هشاماً هو الذي دلّس ، وتدلّس هشام هنا لا يضرّ ، إذ لم يتهمه أحد في إرساله عن أبيه^(٥) .

والأمر الفصل في سند هذا الأثر هو أن هذا السند قد اعتمده البخاري^(٦) ومسلم كما ذكر الإمام السيوطي ، وما كان كذلك فلا يحكم على مثله بالضعف بل هو أثر قويّ الإسناد ، والله أعلم .

وأخرج هذا الأثر - أيضاً - ابن أبي داود^(٧) ، رحمهما الله تعالى ، في كتاب ((المصاحف))^(٨) .

١- ((فضائل القرآن)) : ١٦٠ - ١٦١ .

٢- انظر ((الإتيان)) : ١ / ١٨٤ .

٣- ((فضائل القرآن)) : ١٦٠ .

٤- قد ذكر ابن حجر - رحمه الله تعالى - في ((التهذيب)) : ٩ / ١٢٢ أن أبا داود قال لأحمد : ((كيف حديث أبي معاوية عن هشام بن عروة ؟ قال : فيها أحاديث مضطربة ، يرفع منها أحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم)) . فقول الإمام أحمد : فيها أحاديث مضطربة يدل على أنه ليست كل أحاديثه عن هشام مضطربة بل بعضها مضطرب ، وما اضطرب منها فهو معروف عند أئمة النقد .

٥- انظر - في إرسال هشام بعض أحاديث عن أبيه - ((تهذيب التهذيب)) : ١١ / ٤٥ .

٦- انظر - مثلاً - باب غسل الدم من كتاب الوضوء من صحيح البخاري ، رحمه الله تعالى ، الجزء الأول صفحة ٦٦ حيث قال : ((حدثنا محمد | هو ابن سلام | حدثنا أبو معاوية حدثنا هشام بن عروة عن أبيه عن عائشة ...)) .

٧- عبد الله بن سليمان بن الأشعث ، الإمام العلامة الحافظ ، شيخ بغداد ، أبو بكر السجستاني . ولد بـ (سيجستان) سنة ٢٣٠ . روى كثيراً من الأحاديث ، وكان من محور العلم بحيث إن بعضهم فضله على أبيه الإمام صاحب السنن . وقد اتُّهم بالكذب لكن ذلك - إن صح - يُراد به الكذب في اللهجة لافي الحديث فإنه حجة فيما ينقله . مات سنة

٣١٦ . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٣ / ٢٢١ - ٢٣٧ .

٨- ص ٣٤ .

وأخرجه الفراء^(١) - رحمه الله تعالى - في ((معاني القرآن))^(٢) .
وأخرجه الداني^(٣) - رحمه الله تعالى - في ((المقنع))^(٤) .
كلهم أخرجوه من طريق أبي معاوية الضرير عن هشام بن عروة عن أبيه ، أي من طريق أبي عبيد الذي ذكرته آنفاً .

ذكر من نحا إلى تضعيف المتن :

وقد نحا عدد من الأئمة نحو تضعيف هذا الأثر من حيث نكارة متنه لامن حيث الإسناد ، منهم :

١ - الإمام ابن تيمية - رحمه الله تعالى - فقد أطل في إثبات صحة هذه القراءة :
﴿ إِنَّ هَذَانِ ﴾ بالألف في ﴿ هَذَانِ ﴾ ، وذكر مذاهب العرب فيها ، ومذاهب القراء في قراءتها ، ومذاهب النحاة في توجيه هذه القراءة^(٥) .
ثم إن ابن هشام نقل عن ابن تيمية - رحمهما الله تعالى - أنه قال :
((وقد زعم قوم أن قراءة من قرأ : ﴿ إِنَّ هَذَانِ ﴾ لحن ... وهذا خبر باطل لا يصح من وجوه :

١- العلامة صاحب التصانيف ، أبو زكريا ، يحيى بن زياد بن عبد الله الأسدي بالولاء ، الكوفي النحوي . قيل عُرف بـ (الفراء) لأنه كان يفري الكلام [أي يُصلحه ويأتي بالعجيب فيه] . كان بمرأ في اللغة والنحو ، عارفاً بالفقه والطب وأيام العرب والشعر والنجوم .

توفي بطريق الحج سنة ٢٠٧ وله ٦٣ سنة ، رحمه الله تعالى .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٠ / ١١٨ - ١٢١ .

٢- ١٨٣ / ٢ .

٣- الشيخ الإمام ، الحافظ ، المقرئ ، عالم الأندلس عثمان بن سعيد بن عثمان الداني . ولد سنة ٣٧١ ، وأخذ عن علماء بلده ثم رحل إلى المشرق . كان مالكي المذهب ، جيد الضبط ، ديناً فاضلاً ، بحاب الدعوة ، بارعاً في القراءات والحديث والنحو والتفسير . مات سنة ٤٤٤ هـ (دانية) رحمه الله تعالى .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٧٧ - ٨٣ .

٤- ص : ١١٨ .

٥- انظر ((مجموع الفتاوى)) : ١٥ / ٢٤٨ - ٢٦٤ .

أحدها : أن الصحابة - رضي الله عنهم - كانوا يتسارعون إلى إنكار أدنى المنكرات فكيف يقرون اللحن في القرآن ، مع أنه لا كلفة عليهم في إزالته ؟

والثاني : أن العرب كانت تستقبح اللحن غاية الاستقباح في الكلام ، فكيف لا يستقبحون بقاءه في المصحف ؟ .
فابن تيمية إذا ردّ الحديث من حيث نكارة المتن لاقوة الإسناد .

ثم إن شيخ الإسلام قد ذكر أمراً مهماً يدل على يقظة الصحابة - رضي الله عنهم - وشدة احترازهم في القرآن ، فمما ذكره أنه ((قد ثبت في الصحيح أن زيد بن ثابت أراد أن يكتب ﴿التَّائِبُ﴾^(١) بالهاء - على لغة الأنصار - فمنعوه من ذلك ورفعوه إلى عثمان ، رضي الله عنه ، وأمرهم أن يكتبوه بالتاء على لغة قريش^(٢) ، ولما بلغ عمر - رضي الله عنه - أن ابن مسعود ، رضي الله عنه ، قرأ (عَتَى عَيْن)^(٣) على لغة هذيل أنكر ذلك عليه وقال : أقرئ الناس بلغة قريش فإن الله - تعالى - إنما أنزله بلغتهم ولم ينزله بلغة هذيل))^(٤) .

وهذه لفظة طيبة من الإمام تدل على أن الصحابة لم يكونوا ليقروا خطأ الكاتب - لو كان أخطأ - في كتابة أي كلمة من كتاب الله تعالى .

١- سورة البقرة : آية ٢٤٨ .

٢- هذا الأثر أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في كتاب فضائل القرآن : باب جمع القرآن : ٦ / ٢٢٦ .

٣- سورة المؤمنون : آية ٥٤ : ﴿ فَذَرْنَهُمْ فِي غَمَرَاتِهِمْ حَتَّىٰ يَجِيءَ ﴾

٤- ((شرح شذور الذهب)) : ٧١ .

وأخرج هذا الأثر عن عمر الإمام أبوداود كما قال الحافظ ابن حجر :

((وأخرج أبوداود من طريق كعب الأنصاري أن عمر كتب إلى ابن مسعود أن القرآن نزل بلسان قريش ، فأقرئ

الناس بلغة قريش لابلغة هذيل)) : انظر ((فتح الباري)) : ١٩ / ١٠ .

لكني لم أجد هذا الأثر عند أبي داود بعد بحث طويل ، وليس هو أيضاً عند أبي داود الطيالسي - فيما بحث فيه - والله أعلم .

٢ - ويبدو أن ابن هشام كان يرى هذا الرأي أيضاً - أي أن المتن منكر - إذ قال ،
رحمه الله تعالى :

((وهذا - أيضاً - بعيد الثبوت عن عائشة ، رضي الله عنها ؛ فإن هذه القراءات كلها موجهة ... فلا يتجه القول بأنها خطأ ، لصحتها في العربية وثبوتها في النقل))^(١) .

٣ - ومن أنكر هذا المتن - أيضاً - الإمام الرازي ، رحمه الله تعالى ؛ إذ قال :
((إن المسلمين أجمعوا على أن ما بين الدفتين كلام الله ، تعالى ، وكلام الله تعالى لا يجوز أن يكون خطأً وغلطاً ، فثبت فساد ما نقل عن عثمان وعائشة - رضي الله عنهما - أن فيه خطأً وغلطاً))^(٢) .

٤ - وقد تكلم الإمام الطبري رحمه الله تعالى على هذه المسألة ومثيلاتها كلاماً حسناً ؛ حاصله أن المتن منكر ، فقال رحمه الله تعالى :
((لو كان خطأً من جهة الخط لم يكن الذين أخذ عنهم القرآن من أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يُعلّمون من علّموا ذلك من المسلمين على وجه اللحن ، ولأصلحوه بالسنتهم ولقنوه الأمة تعليماً على وجه الصواب ، وفي نقل المسلمين جميعاً ذلك قراءة على ماهوبه في الخط مرسوماً أدلّ الدليل على صحة ذلك وصوابه ، وأن لا صنع في ذلك للكاتب))^(٣) .

١- ((شرح شذور الذهب)) : ٧٢ .

٢- ((مفاتيح الغيب)) : ١١ / ٧٥ .

٣- ((جامع البيان)) : ٩ / ٣٨٩ .

وقد ذكر الشيخ محمود شاكر في تعليقه على هذا الكلام أن ((هذه الحجة التي ساقها إمامنا أبو جعفر - رضي الله عنه - هي حجة فقيه معاني الكلام ووجه الرأي ، وهي حجة رجل عالم محيط بأساليب العلم ، عارف بما توجه شواهد النقل ، وأدلة العقل . وقد تناول ذلك الجمهور من أئمتنا ولكن لا تزال حجة أبي جعفر أقوى في رد هذه الرواية التي نسبت إلى عائشة أم المؤمنين .

٥ - ومن ذهب - أيضاً - إلى تضعيف المتن وأنه منكر الشيخ الآلوسي - رحمه الله تعالى - حيث قال :

((والذي أحنح إليه أنا - والعاصم هو الله تعالى - تضعيفُ جميع ماورد مما فيه طعن بالتواتر ، ولم يقبل تأويلاً ينشرح له الصدر ويقبله الذوق وإن صححه من صححه ، والطعن في الرواة أهون بكثير من الطعن بالأئمة الذين تلقوا القرآن العظيم ، الذي وصل إلينا بالتواتر من النبي - صلى الله عليه وسلم - ولم يألوا جهداً في إتقانه وحفظه .

وقد ذكر أهل المصطلح أن مما يدرك به وضع الخبر ما يؤخذ من حال المروي ؛ كأن يكون مناقضاً لنص القرآن ، أو السنة المتواترة ، أو الإجماع القطعي ، أو صريح العقل ، حيث لا يقبل شيء من ذلك التأويل ، أو لم يحتمل سقوط شيء منه يزول به المحذور ، فلو قال قائل بوضع بعض هاتيك الأخبار لم يبعد ، والله تعالى أعلم))^(١) .

والذي يتحرر من كلام الآلوسي أنه يرد السند إذا تناقض متنه مع المتواتر القطعي ، وهو - هنا - ثبوت هذه القراءة قرآناً عند أئمة السلف والخلف ، فلا يُعتد بالمتن - وإن صح سنده - مع نكارتة .

تأويل هذه الرواية :

قد أول عددٌ من الأئمة هذه الرواية ذات السند الصحيح ليستقيم متنها مع القطعي المتواتر فلا يتناقض ، وهذا مسلك حسن لكن بشرط ألا يُتعسف في التأويل فيكون بارداً بعيداً .

١ - ((روح المعاني)) : ١٦ / ٢٢٤ .

١ - ومن التأويلات الجيدة - في تقديري - ماصنعه الإمام أبو عمرو الداني ، رحمه الله تعالى ، حيث قال :

((فإن قيل :

فما تأويل الخبر الذي رويتموه أيضاً عن هشام بن عروة عن أبيه أنه سأل عائشة ... ؟؟

قلت :

تأويله ظاهر ؛ وذلك أن عروة لم يسأل عائشة فيه عن حروف الرسم التي تزداد فيها لمعنى وتنقص منها لآخر تأكيداً للبيان وطلباً للخفة^(١) ، وإنما سألها عن حروف من القراءة المختلفة الألفاظ المحتملة الوجوه على اختلاف اللغات التي أذن الله - عز وجل - لنبيه ، عليه السلام ، ولأمتيه في القراءة بها والزموم على ما شاءت منها تيسيراً لها وتوسعة عليها ، وما هذا سبيله وتلك حاله فعن اللحن والخطأ والوهم والزلل بمعزل ؛ لفشوه في اللغة ووضوحه في قياس العربية .

وإذا كان الأمر في ذلك كذلك فليس ما قصدته فيه بداخل في معنى المرسوم ولا هو من سببه في شيء ، وإنما سُمي عروة ذلك لحناً وأطلقت عائشة على مرسومه كذلك الخطأ على جهة الاتساع في الأخبار وطريق المجاز في العبارة ؛ إذ كان ذلك مخالفاً لمذهبهما وخارجاً عن اختيارهما ، وكان الأوجه^(٢) والأولى عندهما ، والأكثر والأفشى لديهما ، لاعلى وجه الحقيقة والتحصيل والقطع^(٣) ؛ لما بيناه قبل من جواز ذلك وفشوه في اللغة واستعمال مثله في قياس العربية ، مع انعقاد الإجماع على تلاوته كذلك دون ما ذهبوا إليه ... دون أن يُقطع به^(٤) على أن أم المؤمنين - رضي الله عنها - مع عظيم محلها وجيل قدرها واتساع علمها ومعرفتها بلغة قومها لَحَنَتْ

١- وذلك نحو زيادة الياء في قوله تعالى ﴿يَأْتِيَنَّكُمْ﴾ في سورة الذريات : آية ٤٧ ، وانظر ((المقنع في معرفة مرسوم

مصاحف أهل الأمصار)) : باب ((ذكر مرسوم يائيات الياء زائدة أو لمعنى)) ص : ٤٧-٤٩ ، وباب ذكر

ما حذف من إحدى الياءين اختصاراً وما أثبتت فيه على الأصل)) ص : ٤٩-٥١ .

٢- أي كان مذهبهما الأوجه والأولى .

٣- أي القطع على أن ما سواه باطل وخطأ .

٤- أي هذا الخبر .

الصحابة وخطّات الكتبة ، وموضعهم من الفصاحة والعلم باللغة موضعهم الذي لا يُجهل ولا يُنكر ، هذا ما لا يسوغ ولا يجوز .

وقد تأول بعض علمائنا^(١) قول أم المؤمنين : ((أخطأوا في الكتاب)) أي أخطأوا في اختيار الأولى من الأحرف السبعة بجمع الناس عليه ، لأنّ الذي كتبوا من ذلك خطأ لا يجوز ؛ لأن ما لا يجوز مردود بإجماع وإن طال مدة وقوعه وعظم قدر موقعه ، وتأول^(٢) اللحن أنه القراءة واللغة كقول عمر رضي الله عنه :

((أبيّ أقرؤنا وإنا لندع بعض لحنه))^(٣) أي قراءته ولغته ، فهذا بين ،

١- هو ابن أشتة كما ذكر ذلك السيوطي في ((الإقتان)) : ١ / ١٨٤ ، وستأتي ترجمته قريباً .

٢- أي ابن أشتة .

٣- أخرجه الإمام البخاريّ في كتاب فضائل القرآن : باب القراءة من أصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم - بلفظ : ((أبيّ أقرؤنا وإنا لندع من لحن أبيّ ، وأبيّ يقول : أخذته من في رسول الله صلى الله عليه وسلم فلا أتركه لشيء ، قال الله تعالى : ﴿ مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتِ بَيْنَا وَرِئَاسَةً أَوْ يَنْبَأُ أَوْ يُشْلِكْ ﴾ : [سورة البقرة: آية ١٠٦] . وهذه الآية من ردّ عمر على أبيّ رضي الله عنهما ، ويتضح هذا أكثر في الموضع الآخر الذي أخرج البخاريّ فيه هذا الأثر في كتاب التفسير : باب قوله ﴿ مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا فَأْتِ بَيْنَا وَرِئَاسَةً أَوْ يَنْبَأُ أَوْ يُشْلِكْ ﴾ : حيث ساق بسنده إلى عمر رضي الله عنه أنه قال :

((أقرؤنا أبيّ ، وأفضانا عليّ ، وإنا لندع من قول أبيّ ، وذاك أن أبيّ يقول : لأدع شيئاً سمعته من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، وقد قال الله تعالى : ﴿ مَا تَنَسَخَ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنسِهَا ﴾ .

وقال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى :

((من لحن أبيّ : أي من قراءته ، ولحن القول فحواه ومعناه ، والمراد به هنا : القول ، وكان أبيّ بن كعب لا يرجع عما حفظه من القرآن الذي تلقاه عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولو أخبره غيره أن تلاوته نسخت ؛ لأنه إذا سمع ذلك من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - حصل عنده القطع به فلا يزول عنه بإخبار غيره أن تلاوته نسخت ، وقد استدل عليه عمر بالآية الدالة على النسخ وهو من أوضح الاستدلال في ذلك)) :

((فتح الباري)) : ١٩ / ٦٤ .

وفي كلام الحافظ على الرواية الأخرى قال :

((اللحن : اللغة ، وفي رواية ابن خلاد : وإنا لنترك كثيراً من قراءة أبيّ .

قوله : ((سمعته من رسول الله ، صلى الله عليه وسلم)) في رواية صدقة : ((أخذته من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ولا أتركه لشيء)) لأنه بسماعه من رسول الله - صلى الله عليه وسلم - يحصل له العلم القطعيّ به ، فإذا أخبره غيره عنه بخلافه لم يتهمش معارضاً له حتى يتصل إلى درجة العلم القطعيّ ، وقد لا يحصل ذلك غالباً)) :

((فتح الباري)) : ١٧ / ١٨ .

وبالله التوفيق))^(١) .

وتأويل ابن أشتة^(٢) هذا قريب من تأويل الداني ؛ إلا أن الفرق بينهما هو أن تأويل الداني مقترن باختيار عائشة - رضي الله عنها - لنفسها ، وتأويل ابن أشتة مقترن باختيار الأولى من الأحرف السبعة مطلقاً ، والله أعلم .

٢ - وللقاضي أبي بكر الباقلاني - رحمه الله تعالى - كلام على هذه المسألة أيضاً حيث قال :

((وأما قول عائشة - رضي الله عنها - في تلك الحروف إنها غلط من الكاتب فقد بينا أنه من أخبار الآحاد ولا حجة فيه^(٣) ، ولا يجوز لذي دين أن يعتقد أن عائشة - رضي الله عنها - كانت تُلحّن الصحابة ، وتخطّئ كتبة المصاحف ، والأشبه فيما روي عنها وعن غيرها - إن صح وسلم سنده - أن يكونوا قالوا : إن الوجه الظاهر المعروف في هذه الحروف غير ما جاء به المصحف ، وأن استعماله على ذلك الوجه غامض أو غلط عند كثير من الناس ، ولحّن عند من لا يعرف الوجه فيه ، فلم تُضبط هذه الرواية عنهم ، ولم يسمعوها تمامه ، ولم يوردوه على وجهه لسهولتهم ، وأما أن يقطع عثمان وعائشة - رضي الله عنهما - أن في القرآن لحناً وغلطاً فذلك باطل))^(٤) .

١ - ((المقنع)) : ١١٨ - ١١٩ .

٢ - هو محمد بن عبد الله بن محمد بن أشتة ، أبو بكر الأصبهاني . أستاذ كبير ، وإمام شهير ، ونحوي محقق ، ثقة صاحب سنة . قرأ على عدد من المشايخ وله عدة مصنفات . سكن مصر وتوفي بها سنة ٣٦٠ .

انظر ((غاية النهاية)) : ٢ / ١٨٤ .

٣ - أي عند التعارض مع القطعيّ الثابت من القراءة القرآنية والرسم الذي أجمعت عليه الصحابة .

٤ - ((نكت الانتصار لنقل القرآن)) : ١٢٩ - ١٣٠ .

ولا يخفى أن توجيه الإمام الباقلاني أن الرواة عن عائشة لم يضبطوا نقل الرواية ، وأنّ لكلامها بقية لم يوردوها ، لا يخفى أن هذا تأويل ضعيف ، ويحتاج إلى دليل لإمكان أن يقال ذلك في كل خبر من الأخبار ، إلا أن يقال إن ذلك إنما وجب المصير إليه والقول به لتعارضه مع المتواتر القطعي ، فيمكن تأويله بهذا ، والله أعلم .

٣ - وقال الإمام ابن قتيبة رحمه الله تعالى :

((وليست تخلو هذه الحروف ^(١) من أن تكون على مذهب من مذاهب أهل الإعراب فيها ، أو أن تكون غلطاً من الكاتب ، كما ذكرت عائشة رضي الله عنها : فإن كانت على مذاهب النحويين فليس هاهنا لحنٌ بحمد الله .

وإن كانت خطأً في الكتاب فليس على رسوله - صلى الله عليه وسلم - جناية الكاتب في الخط ، ولو كان هذا عيباً يرجع على القرآن لرجع عليه كل خطأ وقع في كتابة المصحف من طريق التهجي ، فقد كتب في الإمام ^(٢) : ﴿ إِنْ هَذَا ن ﴾ بحذف ألف التننية ، وكذلك ألف التننية تحذف في هجاء هذا المصحف في كل مكان ؛ مثل : ﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾ ^(٣))) ^(٤) .

ثم شرع ابن قتيبة - رحمه الله تعالى - في إيراد كلمات قرآنية كتبت في المصحف العثماني على وجه لا يتفق مع قواعد الكتابة التي استقرت بعد ذلك بمدة ، وغرضه من ذلك قياس تلك الكلمات على كلمة ﴿ هَذَا ن ﴾ التي قيل إن كاتب

١- هي حروف مجموعة من القرآن الكريم ، جمعها ابن قتيبة لبيان ما قد يعثر بها من إشكال ، وهي في كتابه :

((تأويل مشكل القرآن)) : باب : ما ادّعي على القرآن من اللحن : ٥٠ - ٦٤ .

٢- أي المصحف الإمام .

٣- المائدة : ٢٣ ، وهي في المصحف الذي بين أيدينا اليوم : ﴿ رَجُلَانِ ﴾ بإثبات ألف التننية .

٤- ((تأويل مشكل القرآن)) : ٥٦ - ٥٧ .

المصحف أخطأ في كتابتها ، فليست هذه الكلمة فقط مما كُتب مخالفاً للقواعد الكتابية التي استقرت بعد ذلك بل هناك كلمات أخرى كثيرة كُتبت على وجه لا يتفق مع تلك القواعد .

وتأويل ابن قتيبة جيد لولا أن خطأ كاتب المصحف الذي لا يعود على الإسلام بجناية - في تقديره - نشأ عنه خطأ في كتاب الله ، تعالى ، من جهة القراءة ؛ كما يُفهم من أثر عائشة رضي الله عنها ؛ إذ ليس خطأ كاتب القرآن كخطأ غيره ، وكيف يُقرّ الصحابة هذا الخطأ ولا يغيرونه ، فلعل هذا فات عن الإمام ابن قتيبة ، والله أعلم .

٤ - وللسيوطي نفسه - رحمه الله تعالى - كلام على هذه المسألة في كتابه ((الإتقان)) ؛ إذ قال عن هذه الآثار ومثيلاتها :

((وهذه الآثار مشكلة جداً ، وكيف يُظن بالصحابة - أولاً - أنهم يلحنون في الكلام ، فضلاً عن القرآن ، وهم الفصحاء اللد^(١) ، ثم كيف يُظن بهم^(٢) - ثانياً - في القرآن الذين تلقوه من النبي ، صلى الله عليه وسلم ، كما أنزل وحفظوه وضبطوه وأتقنوه ، ثم كيف يُظن بهم - ثالثاً - اجتماعهم كلهم على الخطأ وكتابه ، ثم كيف يُظن أن القراءة استمرت على مقتضى ذلك الخطأ وهو مروى بالتواتر خلفاً عن سلف ، هذا مما يستحيل عقلاً وشرعاً وعادة ، وقد أجاب العلماء عن ذلك بثلاثة أجوبة ...)) .

ثم أورد الأجوبة عن آثار غير الأثر المروي عن عائشة ، رضي الله عنها ، ثم قال في أثر عائشة :

١- اللد جمع لَد وهو الحَصِيم الشديد الجَدِيل؛ ((لسان العرب)) : (ل د د) .

٢- أي الخطأ في كتاب الله تعالى .

((وبعد ، فهذه الأجوبة لا يصلح منها شيء عن حديث عائشة ، أما الجواب بالتضعيف فإسناده صحيح كما ترى ...))^(١) .
ثم أجاب عن هذا الأثر بما لا يخرج عن توجيه الداني له .

خلاصة تأويل الأئمة لهذا الأثر :

قد تبين من المنقول عن الأئمة في تأويل هذا الأثر أنهم يوجهونه بالآتي :

أولاً : أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أرادت بخطأ الكتاب مخالفتَه لما اختارته هي من القراءة لهذا الحرف دون إرادتها مطلق الخطأ في كتاب الله - تعالى - وهذا تأويل الداني ، رحمه الله تعالى .

ثانياً : إن المراد بخطأ الكتاب هو الخطأ في اختيارهم الأول من الأحرف السبعة ؛ حيث كتبوا رسم الكلمة موافقاً لقراءة الرفع ، وكان الأول - عندها - كتابتها بالياء ، منصوبةً ، فكانت قراءة الكلمة إذاً عند الجمهور مخالفةً للأولى - في رأي أم المؤمنين - من الأحرف السبعة .

وهذا التأويل هو لابن أشتة ، وهو قريب من الأول ، وبينهما فرق دقيق قد بينته سابقاً^(٢) .

ثالثاً : إن رواية هذا الخبر عن عائشة - رضي الله عنها - لم يضبطوا عنها الألفاظ ، وإنما أرادت أن القراءة بالرفع خطأ عند من لا يفهم وجهها ، فللرواية عن عائشة تكملة لم ينقلها عنها الرواة لحديثها ، وهذا التأويل هو للإمام الباقر (عليه السلام) ، وقد بينت ضعفه في مكان سابق^(٣) .

١- ((الإتيان)) : ١ / ١٨٣ - ١٨٤ .

٢- انظر ص ٥٥٧ .

٣- انظر ص ٥٥٨ .

رابعاً : هذا الخطأ قد حصل من الكاتب فليس على الإسلام بسببه جناية ولا شبهة .
وهذا تأويل الإمام ابن قتيبة ، وما ذكره ضعيف ؛ لأن هذا خطأ في كتابة كلمة من
كتاب الله - تعالى - ينشأ عنه خطأ في تلفظ تلك الكلمة ، وهو أمر عظيم ،
مستحيل الحدوث .

هذا حاصل توجيه الأئمة لظاهر هذا الأثر .

حاصل المسألة ، ورأيي فيها :

يتبين مما سبق نقله الآتي :

أولاً : إن سند هذا المتن صحيح من حيث القواعد الحديثية .

ثانياً : إن الأئمة انقسموا حيال هذا الأثر إلى فريقين :

- فريق قبله وجنح إلى التأويل جمعاً بين معنى المتن القاضي بوجود خطأ في كتابة
كلمة قرآنية نتج عنه خطأ في طريقة قراءتها ، جمعاً بين هذا وبين المتواتر القطعي
عند أئمة القراء والعلماء بأن تلك القراءة - المظنون بأنها خطأ - إنما هي قراءة
متواترة ، ليس للخطأ عليها سبيل .

ومن صنع ذلك الإمام أبو عمرو الداني ، والإمام أبوبكر الباقلاني ، وابن
قتيبة ، وقد تفاوتت قوة تلك التأويلات بين تأويلات حسنة وتأويلات مستبعدة .

- وفريق ردّ هذا الأثر ولم يقبله لأن متنه مُنكر تعارضه القراءة المتواترة المقطوع
بها ، ولم يجد لهذا المتن تأويلاً سائغاً ، ولا وجهاً للجمع بينه وبين المصحف الإمام .
ومن هؤلاء الأئمة الطبري ، وابن تيمية ، والرازي ، وغيرهم .

رأيي في المسألة :

الملاحظ أن الذين ردوا هذا الخبر قد ضعفوه من جهة أن المتن منكّر ، وأنه لا يمكن لعائشة - رضي الله عنها - وهي من هي في العلم والفهم أن تقول هذا . لكن ألا يمكن أن يُقال إن الخبر المروي عن أم المؤمنين - رضي الله عنها - صحيح ، لكنها أخطأت ، ورأيها في هذه المسألة لا يقوى على معارضة اتفاق جماهير الصحابة على كتابة هذه الكلمة كذلك ثم قراءتها على الوجهين : الرفع والنصب .

في تقديري ورأيي - والله أعلم - أنه يمكن أن يقال هذا جمعاً بين هذه الرواية ، وبين المقطوع المتواتر من القراءة ، ولا حاجة إلى التأويل أو إبطال الرواية حينئذ .

وخلاصة الذي أراه في هذه المسألة - والله أعلم - أن هذه الرواية إنما تُتلقى بالآتي :

أولاً : قَبولها روايةً صحيحةً السند لكن يقال إن أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - أخطأت الصواب في هذه المسألة ، ولا يقدح ذلك في دينها ولا في علمها ، فالعصمة في البشر إنما تكون للأنبياء .

وهذا القول بخطأ أم المؤمنين إنما استلهمته من صنيع بعض العلماء من قبل حيث استدركوا عليها بعض المسائل^(١) ، رضي الله عنها ، فلا مانع إذاً من القول بأنها أخطأت هاهنا ، والله أعلم .

ثانياً : إن لم تسمح بهذه التخطئة بعضُ النفوس فيمكن أن يُجنح حينئذ إلى التأويل ، كما صنع عددٌ من الأئمة الذين ذكرتهم أنفاً .

١ - ينظر في هذا كتاب ((الإجابة فيما استدركته عائشة على الصحابة)) للإمام الزركشي ، رحمه الله تعالى .

ثالثاً : إن لم تُستسغ تأويلاتُ الأئمة التي سقّتها آنفاً فإنه يمكن أن ترد هذه الرواية بالقول بأن متنها متعارض مع القطعي ولا يمكن الجمع بينهما .

هذا حاصل تلك المسألة الشائكة ، ويبقى توجيه النحاة لقراءة الرفع ، وهو الآتي :

مذاهب النحاة في هذه القراءة :

أما مذهب النحاة في هذه القراءة فقد لخصها السيوطي - رحمه الله تعالى - بقوله :

((أما قوله : ﴿ إِنَّ هَٰذَا لَسَجْرَيْنِ ﴾ ففيه أوجه :

أحدها : أنه جارٍ على لغة مَنْ يُجري المثني بالألف في أحواله الثلاثة وهي لغة مشهورة لِكِنانة^(١) وقيل لبني الحارث^(٢) .

١- هم عدة قبائل وبطون ، ولم أجد - بعد المراجعة - مَنْ عَيّن المراد من كِنانة ، بل كل المصنفين - ممن اطلعت على تصانيفهم - الذين تكلموا على هذه المسألة أطلقوا بأنها لغة لِكِنانة ، وكِنانة عدة قبائل وبطون ، ولعل المراد بكِنانة - هنا - كِنانة بن بكر ، وهم بطن ضخيم من عُذرة ، من كلب ، من قضاة ، من القحطانية : انظر ((معجم قبائل العرب)) : ٩٩٦ / ٣ .

وإنما دعاني لهذا الترجيح ما ذكره أبو حيان حيث قال :

((وهي لغة لِكِنانة - حكى ذلك أبو الخطاب - ولبني الحارث بن كعب ، وخُثَعم ، وزبيد وأهل تلك الناحية -

حكى ذلك عن الكسائي - ولبي العنبر ، وبني الهجيم ، ومراد ، وعذرة)) : ((البحر المحيط)) : ٢٥٥ / ٦ .

فقول أبي حيان : ((وأهل تلك الناحية)) يُفهم منه أنه يريد كِنانة القحطانية ؛ لأن بني الحارث وخُثَعم وزبيد من قحطان أيضاً ، انظر ((معجم قبائل العرب)) : ١ / ٣٣١ ، ٢ / ٤٦٥ .

وقد ذكر شيخ الإسلام أن هذه لغة بني الحارث بن كعب وقريش ، ونسب ذلك إلى ابن الأنباري : انظر ((مجموع الفتاوى)) : ١٥ / ٢٥٠ .

وبالرجوع إلى ((البيان في غريب إعراب القرآن)) : ٢ / ١٤٤ تبين أن ابن الأنباري اقتصر على نسبة هذه اللهجة إلى بني الحارث بن كعب ، فلعَلَّ شيخ الإسلام وَهَمَ ؛ إذ لم أر من نسب هذه اللهجة لقريش غيره ، وإن صح أنها منسوبة لقريش فالمراد من كِنانة إذا كِنانة بن خزيمية ، القبيلة العظيمة التي تتفرع منها قریش ، وانظر ((معجم قبائل العرب)) : ٣ / ٩٩٦ ، والله أعلم .

٢- أي بني الحارث بن كعب ، وقد سبق ذكر أنهم بطن من مَذْحِج من قحطان ، انظر ص ٥٤٧ .

الثاني : أن اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ضمير الشأن محذوفاً^(١) ، والجملة - مبتدأ وخبر - خبر ﴿ إِنَّ ﴾ .

الثالث: كذلك إلا أن ﴿ سَكَّرَ ﴾ خبر مبتدأ محذوف ، والتقدير : لهما ساحران .

الرابع : أَنَّ ﴿ إِنَّ ﴾ - هنا - بمعنى نَعَمْ^(٢) .

الخامس : أَنَّ ﴿ هَا ﴾ ضمير القصة اسم ﴿ إِنَّ ﴾ ، و ﴿ ذَاكَ لَسَكَّرَ ﴾ مبتدأ وخبر، وتقدم ردُّ هذا الوجه بانفصال ﴿ إِنَّ ﴾ واتصال ﴿ هَا ﴾ في الرسم^(٣) .

قلت : وظهر لي وجه آخر وهو أن الإتيان بالألف لمناسبة :
﴿ سَكَّرَ يُرِيدَانِ ﴾ كما نَوْنٌ ﴿ سَكَّرَ ﴾ لمناسبة ﴿ وَأَغْلَلَا ﴾^(٤)

١- أي إن الأمر والشأن ، وقد سبق ذكر هذا التقدير ، انظر ص ٥٤٧ .

٢- قال ابن هشام :

((منها - فيما - حكى أن رجلاً سأل ابن الزبير شيئاً فلم يعطه ، فقال : لعن الله ناقة جهنمي إليك ، فقال : إن وراكبها ، أي نعم ولعن الله راكبها ، و (إِنَّ) التي بمعنى نعم لاتعمل شيئاً ، كما أن نعم كذلك ، ف ﴿ هَذَا ﴾ مبتدأ مرفوع بالألف ، و ﴿ سَكَّرَ ﴾ خبر لمبتدأ محذوف ، أي : لهما ساحران ، والجملة خبر ﴿ هَذَا ﴾ ، ولا يكون ﴿ لَسَكَّرَ ﴾ خبر ﴿ هَذَا ﴾ لأن لام الابتداء لا تدخل على خبر المبتدأ)) :
(شرح شذور الذهب) : ٦٩ .

٣- أي اتصالها مع ﴿ ذَاكَ ﴾ في الرسم العثماني .

٤- سورة الإنسان : آية ٤ .

وإنما قال ذلك لأن ﴿ سَكَّرَ ﴾ ممنوع من الصرف ، قال أبو حيان رحمه الله تعالى :

((قرأ طلحة وعمرو بن عبيد وابن كنز وأبو عمرو وحمزة ﴿ سَكَّرَ ﴾ ممنوع الصرف وفقاً ووصلاً ... وقرأ باقي السبعة بالتثنية وصلاً ، وبالألف المبذلة منه وفقاً ... قيل : وهذا على ما حكاه الأخفش من لغة من يصرف كل ما لا ينصرف إلا (أَفْعَلْ مِنْ))) : (البحر المحيط) : ٨ / ٣٩٤ .

وإنما مُنعت ﴿ سَكَّرَ ﴾ من الصرف - على قراءة من منعها - لأنها على صيغة متتهى الجموع ، وانظر ((الحجة في القراءات السبع)) لابن خالويه : ٣٥٨ .

و ﴿ مِنْ سَيِّئًا ﴾ لمناسبة ﴿ يَنْبَلِ ﴾ ^(١) ((^(٢) .

وهناك مذهبان للنحاة لم يذكرهما الإمام السيوطي قد ذكرهما ابن هشام -
رحمهما الله تعالى - وهما :

١ - ((لما تُثِي (هذا) اجتمع ألفان : ألف (هذا) وألف التثنية ، فوجب حذف
واحدة منهما لالتقاء الساكنين ، فمن قدر المحذوفة ألف (هذا) والباقية ألف التثنية
قَلَبَهَا في الجر والنصب ياءً ، ومن قدر العكس لم يغيّر الألف عن لفظها ^(٣) .

٢ - لما كان الإعراب لا يظهر في الواحد - وهو (هذا) - جُعِل كذلك في التثنية
ليكون المثني كالمفرد ؛ لأنه فرع عليه ، واختار هذا القول الإمام العلامة تقي الدين
أبو العباس أحمد ابن تيمية - رحمه الله - وزعم أن بناء المثني إذا كان مفردة مبنياً
أفصح من إعرابه ، قال : وقد تطفّن لذلك غير واحد من حُذّاق النحاة ^(٤) .

وبهذا ينتهي الكلام على هذه المسألة ، وإن طال الحديث عنها ففيه خير
وفائدة وتوجيه لهذه المسألة الخطيرة ، المشكلة في ظاهرها ، وبالله التوفيق .

١ - سورة النمل : آية ٢٢ : ﴿ وَجِئْتُكَ مِنْ سَيِّئٍ يَنِيقِينَ ﴾ ، وإنما قال ذلك لأن ﴿ سَيِّئًا ﴾ ممنوع من الصرف أيضاً ،
قال أبو حيان - رحمه الله تعالى - :

((قرأ الجمهور : ﴿ مِنْ سَيِّئًا ﴾ مصروفاً ... وابن كثير وأبو عمرو يفتح الهمزة غير مصروف ، وقبيل من طريق النبال
بإسكانه)) : ((البحر المحيط)) : ٦٦ / ٧ .

وإنما شُعت ﴿ سَيِّئًا ﴾ من الصرف - على قراءة من منعها - للعلمية والتأنيث .

٢ - ((الإتيان)) : ١ / ١٨٤ .

ومن صرفها فإنه جعل الكلمة اسماً لجبل أو أُسْبَ للقبيلة ، انظر ((الحجة في القراءات السبع)) : ٢٧٠ .

وإنما أتيت بما في ((الإتيان)) لأن السيوطي لم يتكلم على هذه المسألة في ((المعترك)) إلا يسيراً ، كما سبق نقله ،
انظر ((المعترك)) : ٣ / ٢٠٤ - ٢٠٥ .

٣ - لأنها ألف (هذا) .

٤ - ((شرح شذور الذهب)) : ٧٠ .

وانظر تقرير شيخ الإسلام لهذه المسألة في ((مجموع الفتاوى)) : ١٥ / ٢٥٧ - ٢٦١ .

ثانياً : مسألة لفظ ﴿وَطَلَّحَ مَنْضُودٌ﴾^(١) وماورد فيها :

ومثل المسألة التي أوردتها السيوطي عن عائشة - رضي الله عنها - أورد مسألة أخرى مماثلة عن علي ، رضي الله عنه ، فقال عند قوله - تعالى - : ﴿وَطَلَّحَ﴾ : ((شَجَرٌ عِظَامٌ كَثِيرُ الشُّوكِ)^(٢) ... وقرأ علي بن أبي طالب : (وَطَلَّحَ مَنْضُودٌ)^(٣) - بالعين - فقليل له : إنها بالحاء ، فقال : ماللطح والجنة ؟ فقليل له : أنصلحها في المصحف ؟ فقال : المصحف اليوم لا يغير))^(٤) .

وهذه المسألة تُوهم أن هناك خطأ في كتابة المصحف ، نتج عنه قلب حرف من الحروف ، فأسفر عن معنى مخالف تماماً للمعنى المراد وهو أن نعيم الجنة لا شوك فيه ولا ضرار .

وهذه مسألة خطيرة كان ينبغي للإمام السيوطي أن يفندھا ، وقد ذكرھا الإمام القرطبي في تفسيره فقال : ((وقرأ علي بن أبي طالب رضي الله عنه : (وطلع منضود) بالعين ، وتلا هذه الآية : ﴿وَنَحْلٍ طَلَّعَهَا ضِيءٌ﴾^(٥) وهو خلاف المصحف .

وفي رواية أنه قُرء بين يديه : ﴿وَطَلَّحَ مَنْضُودٌ﴾ ، فقال : ما شأن الطلح ؟ إنما هو (وطلع منضود) ، ثم قال : ﴿لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ﴾^(٦) . فقليل له : أفلا نحوها ؟

١- سورة الواقعة : آية ٢٩ .

٢- هذا اختيار لمعنى من معاني الطلح ، ومن معانيه المشهورة المور ، وانظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٤ / ٨ .

٣- الطلح هو أول ما يبدو من الثمر .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ٢ / ١٥٢ .

٥- سورة الشعراء : آية ١٤٨ .

٦- سورة ق : آية ١٠ .

فقال : لا ينبغي أن يهاج^(١) القرآن ولا يُحوّل ...))^(٢) .

وأخرج هذا الأثر أبو بكر الأنباري^(٣) بسنده فقال :
حدثني أبي^(٤) ، قال : حدثنا الحسن بن عرفة^(٥) ، حدثنا عيسى بن يونس^(٦) ، عن
مُجَالِد^(٧) ، عن الحسن بن سعد^(٨) عن قيس بن عباد^(٩) قال :
قرأت عند عليّ ، أو قرئت عند علي - شكّ مجالد - ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٌ ﴾ ،
فقال علي رضي الله عنه : ما بال الطلح ؟ أما تقرأ : (وَطَلَعَ مَنْضُودٌ) ثم قال :
﴿ لَهَا طَلْعٌ نَضِيدٌ ﴾^(١٠) .
فقال له :

يأمر المؤمنين : أنحكّهما من المصحف ؟

- ١- المُنْبِئ : الإثارة ، ((تاج العروس)) : (هـ ي ج) ، والمقصود به هنا المس والتغيير .
- ٢- ((الجامع لأحكام القرآن)) : ١٧ / ٢٠٨ .
- ٣- الإمام الحافظ اللغوي أبو بكر محمد بن القاسم بن بشار المقرئ النحوي . وُلِدَ سنة ٢٧٢ . قال أبو علي القالي : كان شيخنا أبو بكر يحفظ - فيما قيل - ثلاث مائة ألف بيت شاهد في القرآن . وقال غيره : كان ابن الأنباري يلقي من حفظه ، ما أملى من دفتر قط . وقال الخطيب : كان صدوقاً ديناً من أهل السنة . مات سنة ٣٢٨ ببغداد .
انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٥ / ٢٧٤ - ٢٧٩ .
- ٤- القاسم بن محمد بن بشار ، أبو محمد الأنباري . سكن بغداد وحَدَّثَ بها . وكان صدوقاً أميناً ، عالماً بالأدب ، موثقاً في الرواية . توفي سنة خمس وثلاثمائة . انظر ((تاريخ بغداد)) : ١٢ / ٤٤٠ - ٤٤١ .
- ٥- الحسن بن عرفة بن يزيد العبديّ ، أبو علي البغداديّ ، صدوق . توفي سنة سبع وخمسين ومائتين وقد حاز المائة انظر ((التقريب)) : ١٦٢ .
- ٦- عيسى بن يونس بن أبي إسحاق السبيعيّ . كوفي نزل الشام مرابطاً ، ثقة مأمون ، مات سنة سبع ومائتين ومائة ، وقبل سنة إحدى وتسعين . أخرج له أصحاب الكتب الستة . انظر ((التقريب)) : ٤٤١ .
- ٧- مُجَالِد بن سعيد بن غمير الهمدانيّ ، أبو عمرو الكوفيّ ليس بالقويّ ، وهو من رجال الإمام مسلم . مات سنة ١٤٤ ، انظر ((التقريب)) : ٥٢٠ .
- ٨- هو الحسن بن سعد بن معبد الهاشميّ بالولاء - مولى عليّ أو الحسن رضي الله عنهما - ثقة من الطبقة الرابعة . انظر ((التقريب)) : ١٦١ و ((تهذيب التهذيب)) : ٢ / ٢٤٤ .
- ٩- هو قيس بن عُباد الضبيّ ، أبو عبد الله البصريّ . ثقة . مات بعد الثمانين وروهم من عدّه في الصحابة .
((التقريب)) : ٤٥٧ .
- ١٠- سورة ق : آية ١٠ .

فقال : لا يهاج القرآن اليوم))^(١) (٢) .

وقد أخرج هذا الأثر أيضاً الإمام الطبري - رحمه الله تعالى - في تفسيره بإسنادين حيث قال :

((وقوله : ﴿ وَطَلَّحَ مَنْضُودٌ ﴾ : أما القراء فعلى قراءة ذلك بالحاء : ﴿ وَطَلَّحَ مَنْضُودٌ ﴾ ، وكذا هو في مصاحف أهل الأمصار ، ورؤي عن علي بن أبي طالب - رضي الله عنه - أنه كان يقرأ : و (طلع منضود) بالعين :

حدثنا عبد الله بن محمد الزهري^(٣) ، قال : حدثنا سفيان^(٤) ، قال : حدثنا زكريا^(٥) عن الحسن بن سعد عن أبيه^(٦) رضي الله عنه قرأها : (طلع منضود) ((^(٧) .

وأما الإسناد الآخر فقد ساقه الإمام الطبري بقوله :

١- إسناد هذا الأثر حسن وذلك لأن الحسن بن عرفة صدوق ، ومجالد بن سعيد ليس بالقوي لكنه من رجال الإمام مسلم .

٢- ((الجامع لأحكام القرآن)) : ١٧ / ٢٠٨ - ٢٠٩ ، وقد ساق القرطبي إسناد الأنباري إذا كتابه : من كتابه ((المصاحف)) الذي هو مفقود فيما أعلم ، والله أعلم ، وانظر ((الدر المنثور)) : ٨ / ١٣ .

٣- هو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن المنصور بن مخرمة الزهري البصري . صدوق . مات سنة ست وخمسين ومائتين . انظر ((التقریب)) ٣٢١ ، و ((التهذيب)) : ٦ / ١١ .

٤- هو الإمام سفيان بن عيينة بن ميمون الهلالي ، أبو محمد الكوفي ثم الكني . ثقة ، حافظ ، فقيه ، إمام ، حجة . توفي سنة ١٩٨ وله إحدى وتسعون سنة . انظر ((التقریب)) : ٢٤٥ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٤ / ١٠٤ - ١٠٧ .

٥- زكريا بن أبي زائدة : خالده بن ميمون الهمداني الوادعي ، أبو يحيى الكوفي . ثقة وكان يدلس . مات سنة سبع أو ثمان أو تسع وأربعين بعد المائة . انظر ((التقریب)) : ٢١٦ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٣ / ٢٨٤ - ٢٨٥ .

٦- الحسن بن سعد ، تقديره - والله أعلم - عن الحسن بن علي ، أي الحسن بن علي بن أبيه ؛ وذلك لأن الحسن بن سعد مولى علي أو مولى الحسن كما سبق في ترجمته ، وبذلك يستقيم الإسناد .

٧- ((جامع البيان)) : ٢٧ / ١٠٣ - ١٠٤ .

حدثنا سعيد بن يحيى الأموي^(١) ، قال : حدثني أبي^(٢) ، قال : حدثنا مجاهد^(٣) ،
عن الحسن بن سعد^(٤) ، عن قيس بن سعد^(٥) قال :
قرأ رجل عند علي : ﴿ وَطَلَعَ مَنْضُودٌ ﴾ .
فقال علي : ماشأن الطلح ؟ إنما هو : (وطلع منضود) ، ثم قرأ :
﴿ طَلَعَهَا ضِيَمٌ ﴾^(٦) .
فقلنا : أو لا نحوها ؟
فقال : إن القرآن لأيهاج اليوم ولا يُحوّل^(٧) .

- ١- سعيد بن يحيى بن سعيد الأموي ، أبو عثمان البغدادي . ثقة ربما أخطأ . مات سنة ٢٤٩ .
انظر ((التقریب)) : ٢٤٢ .
 - ٢- هو الشيخ يحيى بن سعيد بن أبان الأموي ، أبو أيوب الكوفي ، نزيل بغداد . لقبه : الجمل . صدوق يُغرب . مات
سنة أربع وتسعين ومائة وله ثمانون سنة . انظر ((تقريب التهذيب)) : ٥٩٠ .
 - ٣- لأدري من مجاهد هذا ؟ فإنه ليس بمجاهد بن جبر المفسر التابعي المشهور لأنه توفي سنة أربع ومائة على أكثر
الأقوال - كما في ((التقریب)) : ٥٢٠ - إلا أن يكون سقط بينه وبين يحيى بن سعيد الأموي .
وليس هو مجاهد بن موسى الخوارزمي الذي ولد سنة ١٥٨ وتوفي سنة ٢٤٤ - كما في ((التهذيب)) : ١٠ / ٤١ -
وذلك أن مجاهداً هذا لم يدرك الحسن بن سعد ، كما أنه من شيوخ الطبري نفسه فقد روى عنه في مواضع متعددة من
كتابه فلا يحتاج أن يروي عنه بواسطة رجلين .
ويمكن أن يكون مجاهد بن وردان المدني وهو صدوق ، من الطبقة السابعة روى عن عروة بن الزبير ؛ كما في
((التقریب)) : ٥٢٠ ، و ((التهذيب)) : ١٠ / ٤١ .
 - لكن قد ذكر ابن أبي حاتم في ((المرح والتعديل)) : ٩ / ١٥١ أن يحيى بن سعيد قد روى عن مُجالد ، وهو مجالد
ابن سعيد الهمداني ، وهو من رجال الإمام مسلم ، كما في «التقريب» : ٥٢٠ ، وقد توفي سنة ١٤٤ .
فيُحتمل احتمالاً قوياً أن تحريفاً حصل في تفسير الطبري وأن الراوي عن الحسن بن سعيد مُجالد وليس مجاهداً ،
خاصةً أن الإسناد السابق الذي ساقه القرطبي عن الأنباري فيه (مجالد عن الحسن بن سعد) ، والله أعلم .
وقد ذكر الإمام البغوي هذه الرواية وأن مجالداً رواها عن الحسن بن سعد ، انظر ((معالم التنزيل)) : ٨ / ١٢ ، وقد
اختار محقق الكتاب مافي نسخة (أ) : (مجالد) على مافي نسخة (ب) : (مجاهد) دون ذكر السبب .
 - ٤- تقدمت ترجمته في الإسناد السابق ، وأنه ثقة .
 - ٥- قيس بن سعد ، أبو المغيرة الخارقي ، من أهل الكوفة . مقبول من الطبقة الثانية .
انظر ((التقریب)) : ٤٥٨ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ٨ / ٣٥٥ ، ٣٦٤ .
 - ٦- سورة الشعراء : ١٤٨ .
 - ٧- ((جامع البيان في تفسير القرآن)) : ٢٧ / ١٠٤ .
- والإسناد الأول الذي ساقه الطبري ضعيفٌ للسقوط الحاصل فيه ، ولتدليس زكريا بن أبي زائدة . أما الإسناد الآخر
فهو حسن إن كان الراوي عن الحسن بن سعد مُجالداً وليس مجاهداً ، وكون مجالد هو الراوي أقرب كما بينته آنفاً .

وقد أخرج هذا الأثر - أيضاً - عَبْدُ بْنُ حُمَيْدٍ^(١) وابن أبي حاتم^(٢) .

ولعبد بن حميد مسندان : كبير وهو مفقود منذ زمن بعيد ، ومسند صغير ، وهو المعروف بـ (المنتخب) وهو الذي بأيدي الناس اليوم^(٣) ، ولم أجد هذا الأثر فيه .

وأما أثر ابن حاتم فقد قال الحافظ ابن كثير في شأنه :

((قد روى ابن أبي حاتم من حديث الحسن بن سعد عن شيخ من همدان قال : سمعت علياً يقول هذا الحرف في ﴿ وَطَلِحَ مَنْضُودٌ ﴾ قال : (طلع منضود)))^(٤) .

فهذا الأثر - بهذا الإسناد - ضعيف لجهالة الشيخ الهمداني .

وقد ذكر أبو حيان أن علياً وجعفر بن محمد^(٥) وعبد الله^(٦) قرأوا ذلك الحرف بالعين : (وطلع منضود) ، لكنه لم يذكر إسناداً ، ولم يبين مصدر ذلك^(٧) .

١- الإمام الحافظ ، الحجة ، الجوال ، أبو محمد عبد بن حميد بن نصر الكشي ، ويقال : الكشي . ولد بعد السبعين ومائة ، وحدث عن خلق كثير ، وأخذ عنه عدد كبير من الرواة . جمع وصنف . مات سنة تسع وأربعين ومائتين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٢ / ٢٣٥ - ٢٣٨ .

٢- انظر ((الدر المنثور)) : ٨ / ١٣ .

٣- ((انظر الرسالة المستطرفة)) : ٦٦ - ٦٧ .

٤- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٨ / ٤ .

٥- جعفر بن محمد بن علي بن الحسين القرشي الهاشمي المدني ، الإمام الصادق ، شيخ بني هاشم . ولد سنة ثمانين ، ورأى بعض الصحابة ، وحدث عنه خلق ، وهو ثقة . كذب عليه الرافضة كثيراً ، وكان يعقتهم ويترأ منهم . توفي سنة ١٤٨ ، رحمه الله تعالى . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٦ / ٢٥٥ - ٢٧٠ .

٦- لم يبين أبو حيان من عبد الله هذا لكنه ذكر أنه قرأها على المنبر ، فيحتمل أن يكون عبد الله بن مسعود ، لأنه إذا أطلق عبد الله فإنه ينصرف غالباً إلى ابن مسعود - رضي الله عنه - وكان قد أرسل إلى الكوفة معلماً ووزيراً مع أميرها عمار بن ياسر فيصح لابن مسعود إذا أن يعتلي المنبر ، انظر ((الرافعي بالوفيات)) : ١٧ / ٦٠٦ .

٧- انظر ((البحر المحيط)) : ٨ / ٢٠٦ .

مما سبق يتبين أن سند هذا الأثر حسن ؛ حيث إن له طرقاتاً يقوي بعضها بعضاً، لكن عدداً من الأئمة ردوا هذا الأثر واحتجوا بأنه منكر المتن :

ردّ هذا الأثر من حيث نكارة المتن :

ومن تكلم على هذه الرواية الآلوسي - رحمه الله تعالى - حيث قال :

((هي رواية غير صحيحة - كما نبه على ذلك الطيّبي^(١)) - وكيف يُقرّ أمير المؤمنين ، كرم الله تعالى وجهه ، تحريفاً في كتاب الله - تعالى - المتداول بين الناس ؟ أو كيف يُظن بأن نقلة القرآن ورواته وكتابه من قبل تعمدوا ذلك أو غفلوا عنه ؟ هذا والله - تعالى - قد تكفل بحفظه ، سبحانه هذا بهتان عظيم !!

ثم إن الذي يقتضيه النظم الجليل - كما قال الطيّبي - حَمَلُ ﴿ فِي سِدْرٍ خَاصُّوْرٍ ﴾^(٢) إلخ ... على معنى التظليل وتكاثف الأشجار على سبيل الترقّي^(٣) ، لأن الفواكه مستغنى عنها بما بعد^(٤) ، وليقابل قوله تعالى : ﴿ وَأَصْحَابُ الشِّمَالِ مَآ أَصْحَابُ الشِّمَالِ . فِي سُمْرٍ وَهَمِيرٍ . وَظِلٍّ مِّنْ يَحْمُورٍ ﴾^(٥) قوله سبحانه : ﴿ وَأَصْحَابُ الْيَمِينِ ﴾^(٦) إلخ ... فإذا لم يدخل لحديث الطَّلَع في معنى الظل وما يتصل به^(٧) .

١- الحسين بن محمد بن عبد الله ، شرف الدين الطيّبي ، الإمام المشهور . من أهل ((تَوْرِيْز)) في عراق العجم . حسن المعتقد ، شديد الردّ على الفلاسفة والمبتدعة ، مظهراً فضائلهم ، كثير الحياء ، ملازماً للجماعة مع ضعف بصره بآخره . له مصنفات في التفسير ، والمعاني والبيان ، وغير ذلك من العلوم ، وفضائله كثيرة . توفي سنة ٧٤٣ . انظر ((الدرر الكامنة)) : ٢ / ١٥٦ - ١٥٧ ، و ((الأعلام)) : ٢ / ٢٥٦ .

٢- سورة الواقعة : آية ٢٨ .

٣- أي الترقّي من ذكر الظل الأدنى إلى الظل الأعلى ، فتظليل ورق المور أكبر من تظليل السدر ، وتظليل الظل الممدود أكبر من تظليل ورق الموز ، أما الطلع فلا مدخل له هاهنا ، والله أعلم .

٤- أي يذكرها سبحانه وتعالى بقوله : ﴿ وَفَكَهْرٌ كَثِيرٌ لَا مَقْطُوعٌ وَلَا مَمْنُوعٌ ﴾ [سورة الواقعة : آية ٣٢ ، ٣٣] ، والطلع أول الفاكهة ، كما سبق تعريفه .

٥- سورة الواقعة : آية ٤١ .

٦- سورة الواقعة : آية ٢٧ .

٧- ((روح المعاني)) : ٢٧ / ١٤١ .

فالآلوسي والطبيسي ردّا المتن لأنه يتعارض مع المرسوم القطعي الثبوت ، وبأن عليّاً
لوعلم أنّ في المصحف خطأً لبادر إلى تصحيحه .

الجمع بين هذا الأثر وبين المرسوم في المصحف :

حاول عدد من الأئمة الجمع بين هذه الرواية : (وطلع) وبين المقطوع
بصحته المتفق على رسمه : ﴿ وَطَلَّح ﴾ ، فمن هؤلاء :

١ - الإمام أبوبكر الأنباري ، حيث أخرج هذه الرواية بإسناده - كما بينت
سابقاً^(١) - ثم علّق على قول علي رضي الله عنه : ((لا يهّاج القرآن اليوم)) ،
فقال :

((ومعنى هذا أنه رجع إلى ما في المصحف وعلم أنه الصواب ، وأبطل الذي كان
فَرَطَ^(٢) من قوله))^(٣) .

وكلام الأنباري هذا فيه تكلف ؛ إذ السياق لا يساعد هذا التأويل ، وصدر الرواية
يطلبه حيث قال علي : ((ماشأن الطلح ؟)) ، فعليّ - رضي الله عنه - ينكر أن
يكون المراد (الطَّلَح) إنما هو (الطَّلَع) .

٢ - الإمام القشيري^(٤) ، حيث قال :

((قد اختار هذه القراءة ، ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة مارسّمه بجمع
عليه))^(٥) .

١- انظر ص ٥٦٧ .

٢- أي سبق ، انظر ((لسان العرب)) : ف ر ط .

٣- ((الجامع لأحكام القرآن)) : ١٧ / ٢٠٨ - ٢٠٩ .

٤- هو الشيخ الإمام ، الزاهد ، القدوة ، أبو القاسم عبد الكريم بن هوازن بن عبد الملك القشيري ، المفسر ، صاحب
الرسالة . ولد سنة ٣٧٥ . كان عديم النظر في السلوك والتذكير ، لطيف العبارة ، طيب الأخلاق . له عدة

مصنفات وكان على مذهب الشافعي . توفي سنة ٤٦٥ هـ ((نيسابور)) .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٢٢٧ - ٢٣٣ .

٥- ((الجامع لأحكام القرآن)) : ١٧ / ٢٠٨ .

وهذا الذي ذهب إليه القشيري حسن جميل ؛ إذ يمكن أن تكون هذه القراءة :
(وطلع منضود) مما كان عليّ - رضي الله عنه - يرى قراءتها كذلك ، لكنه
لا ينكر على من قرأ : ﴿ وَطَلَّح ﴾ .

وإنما استحسنت رأي القشيري - رحمه الله تعالى - لأمر :

أولاً : أمير المؤمنين عليّ - رضي الله عنه - أوعز وأعلم بالله من أن يقرأ حرفاً
من كتاب الله ، تعالى ، بدون أن يكون رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
قد قرأه ، فهو له مستند - ولا بد - في قراءته لذلك الحرف كذلك .

ثانياً : يُجمع بهذا الرأي بين الرواية التي سندها حسن وبين المقطوع به المرسوم في
المصاحف ، فلا تهدر تلك الرواية إذا وُجد وجه حسن للجمع .

ثالثاً : قد روي عن عدد من الصحابة - ومنهم علي - رضي الله عنهم روايات
شاذة لم يُعدّ يُقرأ بها ، ومثل هذا المروي عن علي هو من الشاذ الذي لا يُعدّ قرآناً ،
وإن ارتآه علي - رضي الله عنه - صحيحاً ، فإن القرآن هو الذي ما بين الدفتين
مما جمعه عثمان ووافقه عليه الصحابة وقرأوا به من غير نكير ، رضي الله عنهم .

فقول القشيري : ((اختار هذه القراءة ، ولم ير إثباتها في المصحف لمخالفة مارسّمه
مجمع عليه)) قول القشيري هذا قول دقيق يصلح أن يكون فصلاً في هذه المسألة ،
والله أعلم .

كانت تلك مسألتين من قضايا الرسم العثماني المهمة ، التي قد تكون شبهة
نافذة حين تُذكر ولا تُبين البيان الشافي ، ولعل ماسقته فيهما كاف في بيانهما ،
وحل الإشكال الظاهر فيهما ، والله أعلم .

القضية الثانية : الفاصلة القرآنية

الفاصلة في لسان العرب تأتي على معانٍ متعددة ، الأصل فيها الحجز بين شيئين ، فالفاصلة حاجز^(١) .

والفاصلة في الاصطلاح استعملت في عدد من العلوم :
فلها في النحو استعمالٌ وهو ضمير الفصل أو العماد^(٢) ، وفي العروض لها استعمال^(٣) ، وفي علامات الترقيم لها استعمال معروف ، وهو ما يوضع بين الجمل لفصل بعضها عن بعض .

أما في اصطلاح علوم القرآن :

فهي الكلمة الأخيرة من الآية القرآنية :

((أواخر الآيات في كتاب الله - عز وجل - فواصلٌ بمنزلة قوافي الشعر ، جل كتاب الله - عز وجل - واحدها فاصلة))^(٤) .

ونقل السيوطي - رحمه الله تعالى - أن الفاصلة تقع ((عند الاستراحة بالخطاب لتحسين الكلام بها ، وهي الطريقة التي يبين القرآن بها سائر الكلام ، وتسمى (فواصل) لأنه ينفصل عندها الكلامان ؛ وذلك أن آخر الآية فصل بينها وبين ما بعدها))^(٥) .

ويتعلق معنى الفاصلة بقوله تعالى : ﴿ كَتَبَ فَصَّلَنَّهُ ﴾^(٦) ؛ إذ للآية معنيان ((أحدهما : تفصيل آياته بالفواصل ، والمعنى الثاني في ﴿ فَصَّلَنَّهُ ﴾ : بيناه))^(٧) .

١- انظر ((لسان العرب)) : ف ص ل .

٢- وذلك نحو قوله تعالى ﴿ إِنْ كَانَتْ هَذِهِ حَقًّا مِنْ عِنْدِكَ ﴾ : سورة الأنفال : ٣٢ .

انظر ((لسان العرب)) : ف ص ل .

٣- انظر ((لسان العرب)) : ف ص ل .

٤- المصدر السابق .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣١ ، ونقل السيوطي ذلك عن الزركشي في ((البرهان)) : ١ / ٥٤ .

٦- سورة الأعراف : آية ٥٢ .

٧- ((لسان العرب)) : ف ص ل .

وللفاصلة تعلق بإثبات السّجّع في القرآن العظيم ، وقد تحدثت عن هذه المسألة قبل هذا ، ورأيت أن الحجة أقوى لمن أثبت السجّع غير المتكلف في كتاب الله تعالى^(١) ، فالفاصلة إذاً ركن من أركان السجّع وعماده له .

ولمعرفة الفواصل طريقان : توقيفي وقياسي ، ((فما وقف - عليه السلام - عليه دائماً تحقّقنا أنه فاصلة ، وما وصله دائماً تحقّقنا أنه ليس بفاصلة ، وما وقف عليه مرّة ووصله أخرى احتمال الوقف أن يكون لتعريفهما^(٢) ، أو التعريف الوقف التام ، أو للاستراحة))^(٣) .

والقياسي ((هو ما ألحق من المحتمل غير المنصوص بالمنصوص لمناسب ، ولا محذور في ذلك ؛ لأنه لازيادة فيه ولانقصان ، وإنما غايته أنه محل فصل أو وصل ، والوقف على كل كلمة جائز ، ووصل القرآن كله جائز))^(٤) .

وللفاصلة القرآنية أهمية كبرى ، ولها تعلقات بعلوم اللغة العربية ؛ أو مأتى إلى بعضها بإيجاز ، وتركت الباقي .
وللفاصلة أقسام وأنواع تنظر في مظانّها^(٥) .

ومرادنا من هذا الفصل هو مناقشة قضية مهمة ذكرها الإمام السيوطي عند عرضه لمسألة الفاصلة في القرآن ، وهذه القضية تتلخص في أن الإمام السيوطي نقل عن ابن الصائغ أن هناك كلمات قرآنية أُخِّرت وكان حقّها التقديم ، أو قدمت

١- انظر ص ١٥٣ - ١٥٤ .

٢- أي لتعريف مواضع الفواصل من غيرها .

٣- ((البرهان)) : ٩٨ / ١ .

٤- المصدر السابق ، وقد ذكر فيه طرق القياس في ضبط الفواصل .

٥- انظر في ((الفاصلة)) : ((البرهان)) : ٥٣ / ١ ، و ((الإتيان)) : ٩٦ / ١ - ١٠٥ ، وهناك بحث

رائد في تاريخ الفاصلة ، وجهود القدماء والمحدثين في تحديدها وتقسيمها ، وعلاقتها ببعض العلوم ، وقد طبع في

كتاب بعنوان ((الفاصلة في القرآن)) للأستاذ محمد الحسناوي .

وكان حقها التأخير ، أو تُنبت وكان حقها الأفراد ، أو أُورث جلب أغرب اللفظتين وغير ذلك من أسباب مراعاة الفاصلة ، ولم يذكر سبباً آخر للتقديم أو التأخير إلا ما ذكره السيوطي عقب انتهائه من سرد الأمثلة التي أتى بها في هذه المسألة - نقلاً عن ابن الصائغ - فقال :

((قال ابن الصائغ :

لا يمتنع في توجيه الخروج عن الأصل في الآيات المذكورة أمور أخرى مع وجه المناسبة ؛ فإن القرآن العظيم - كما جاء في الأثر^(١) - لا تنقضي عجائبه^(٢) .

ولم يناقش الإمام السيوطي هذه القضية كما ينبغي ، خاصة أنه أطال في ذكر الفاصلة وأقسامها ، بل جعلها ضمن المناسبة بين الآيات وجهاً من وجوه الإعجاز^(٣) ، لذلك رأيت أن أبسط الكلام عليها لما لها من عظيم التعلق بكتاب الله - تعالى - وإعجازه ، وسأذكر ما جاء في ((المعترك)) مما له تعلق بهذه القضية ، وهي ست مسائل ، نقلها السيوطي كلها عن ابن الصائغ وهذه المسائل هي :

١- هذه الجملة وردت في أحاديث عدة لا تخلو من ضعف ، منها ما أخرجه الحاكم بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم قال :

((إن هذا القرآن مادة الله فاقبلوا من مادته ما استطعتم ، إن هذا القرآن حبل الله ، والنور المبين ، والشفاء النافع ، عصمة لمن تمسك به ، ونجاة لمن تبعه ، لا يزيع فيستعجب ، ولا يعوج فيقوم ، ولا تنقضي عجائبه ، ولا يخلق على كثرة الرد ...)) .

وقد ضعف الذهبي أحد رواته وهو إبراهيم بن مسلم الهجري : انظر ((المستدرک)) : ١ / ٧٤١ .

وأخرجه البيهقي في ((شعب الإيمان)) عن عبد الله بن مسعود ، مرفوعاً وموقوفاً ، بألفاظ مقاربة لما في

((المستدرک)) ، وفيه إبراهيم بن مسلم الهجري أيضاً ، انظر ((شعب الإيمان)) : ٤ / ٤٩٣ ، ٥٩٤ .

وهذا الحديث أخرج في عدد من كتب السنة : سنن ومهاجم ومسانيد وغيرها - مرفوعاً وموقوفاً - لكن من طريق إبراهيم الهجري ، وهو ضعيف . وأخرجه الإمام الترمذي في سننه ٥ / ١٧٢ - ١٧٣ ، والبيهقي في ((شعب الإيمان))

عن علي رضي الله عنه مرفوعاً وفي السند مجاهيل وضعفاء ، انظر ((شعب الإيمان)) : ٤ / ٤٩٣ ، ٤٩٦ .

- ٤٩٧ ، ٥٤٩ ، وكلام الحق على هذا الحديث .

وقد قال الإمام الترمذي :

هذا حديث لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، وإسناده مجهول .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٩ .

٣- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٨ - ٥٤ .

أولاً : التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاةً للفاصلة :

وقد ذكر السيوطي مثالين للتقديم والتأخير مراعاةً للفاصلة ، وهما :

أ - ذكر أن سبب تقديم هارون على موسى - عليهما الصلاة والسلام - في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ ^(١) أن سبب ذلك رعاية الفاصلة ^(٢) .

ب - ذكر من مناسبات آخر الآيات وأحكامها ((تقديم ماهو متأخر في الزمان نحو ﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾ ^(٣) ، ولولا مراعاة الفواصل لقدمت ﴿ الْأُولَى ﴾ كقوله : ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ ^(٤))) ^(٥) .

ثانياً : إيثار أغرب اللفظتين مراعاةً للفاصلة :

ويعني بهذا أن هناك كلماتٍ أوضح من بعض الكلمات القرآنية ، وإنما تكلم الله - سبحانه وتعالى - باللفظة الغريبة مراعاةً للفواصل ، وما ساقه من هذه الكلمات قوله :

((إيثار أغرب اللفظتين ، نحو ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾ ^(٦) ولم يقل : جائرة .
﴿ لِيُبْذَنَ فِي الْحُطَمَةِ ﴾ ^(٧) ولم يقل : جهنم أو النار .

وقال في المدثر : ﴿ سَاطِئِهِ سَقَر ﴾ ^(٨) ، وفي سأل : ﴿ إِنَّمَا لَطَى ﴾ ^(٩) ، وفي الفارعة ﴿ فَأَمَّهُ هَاوِيَةٌ ﴾ ^(١٠) لمراعاة فواصل كل سورة)) ^(١١) .

١ - سورة طه : آية ٧٠ .

٢ - ((معترك الأقران)) : ١ / ١٧٥ .

٣ - سورة النجم : آية ٢٥ .

٤ - سورة القصص : آية ٧٠ .

٥ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٣ ، وانظر كذلك : ١ / ١٧٧ .

٦ - سورة النجم : آية ٢٢ .

٧ - سورة الحمزة : آية ٤ .

٨ - آية ٢٦ .

٩ - آية ١٥ .

١٠ - آية ٩ .

١١ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٥ .

ثالثاً : إطلاق التثنية والمراد الأفراد لمراعاة الفواصل :

ومعنى هذا أن بعض كلمات القرآن جاءت مثنأة وكان حقها الأفراد ، وإنما كان ذلك لأجل مراعاة الفواصل .

وساق السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ مثالين فقال :

((الاستغناء بالتثنية عن الأفراد نحو : ﴿ وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ ﴾ ^(١) .
قال الفراء :

أراد جنة ؛ كقوله ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾ ^(٢) فثنى لأجل الفاصلة .

قال ^(٣) : والقوافي تحتل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام)) ^(٤) .

وقد أورد السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - رداً لابن قتيبة على هذه المسألة ، وكان هذا هو الموضع الوحيد ، في سائر المسائل التي وردت في هذه القضية ، الذي ردّ فيه على الغلو في الزعم بمراعاة الفواصل ولو وردت الألفاظ بسياق مرجوح ، وسأسوق ردّ ابن قتيبة - إن شاء الله تعالى - عند مناقشتي تلك المسائل .

ثم ذكر السيوطي المثال الآخر فقال :

((ونظير ذلك قول الفراء - أيضاً - في قوله : ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَى ﴾ ^(٥) فإنهما رجلان : قدار وآخر معه ولم يقل : (أشقيها) للفاصلة)) ^(٦) .

رابعاً : إطلاق الجمع والمراد الأفراد :

وهذه المسألة شبيهة بسابقتها ، وقد ساق السيوطي فيها مثلاً نقله عن ابن

الصائغ فقال :

١ - سورة الرحمن : آية ٤٦ .

٢ - سورة النازعات : آية ٤١ .

٣ - أي ابن الصائغ .

٤ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٦ .

٥ - سورة الشمس : آية ١٢ .

٦ - ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٦ .

((الاستغناء بالجمع عن الأفراد نحو : ﴿لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾ ^(١) أي : ولا خلة ، كما في الآية الأخرى ^(٢) ، وجمع مراعاة للفاصلة)) ^(٣) .

خامساً : الجمع بين الجرورات :

وهذا مما نقله السيوطي عن ابن الصائغ رحمهما الله ، وهو أخطر من سائر المسائل التي نقلها ، وإنما تكمن خطورة هذه المسألة في إطلاق الحكم بأن ما في السياق القرآني مفضول بغيره ؛ وقد مثل له ابن الصائغ بقوله :

((الجمع بين الجرورات : نحو ﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوا لَكُمْ عِلَيَّانِيَةً يَبْعًا﴾ ^(٤) فإن الأحسن الفصل بينهما إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه)) ^(٥) .

سادساً : تأخير الأبلغ وتقديم البليغ :

أي أن هناك كلمتين بليغتين متقاربتين ، لكن إحداهما أبلغ من الأخرى ، فقدمت الكلمة البليغة وأخرت الكلمة الأبلغ مراعاة للفاصلة .

ومن الأمثلة التي ساقها ابن الصائغ ونقلها عنه السيوطي قوله :

((ومن هذا النوع تأخير الأبلغ ، وقد حُرِّجَ عليه تقديم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ ^(٦) .

و (الرؤوف) على ﴿الرَّحِيمِ﴾ ^(٧) .

و (الرسول) على (النبي) في قوله : ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾ ^(٨) .

١- سورة إبراهيم : آية ٣١ .

٢- أي الآية ٢٥٤ من سورة البقرة : ﴿لَا بَيْعُ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ وَلَا شَفَعَةٌ﴾ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧ .

٤- سورة الإسراء : آية ٦٩ .

٥- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٨ .

٦- في سورة الفاتحة في قوله تعالى : ﴿يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾ .

٧- سورة البقرة : آية ١٤٣ : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالْكَاسِبِينَ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ .

٨- سورة مريم : آية ٥١ .

وذكر لذلك نكتاً أشهرها مراعاة الفاصلة ((^(١)) .

وهذا القول توسّط في المسألة حيث ذكر السيوطي نقلاً عن ابن الصائغ أن لمسألة التقديم والتأخير نكتاً منها مراعاة الفاصلة ، وهذا مما لم يتقدم في المنقول السابق على هذا ؛ إذ اكتفي - في سائرهما - بالقول بمراعاة الفواصل فقط .

مناقشة مانقله السيوطي عن ابن الصائغ :

لمناقشة هذه القضية ينبغي أن يورد سؤال مهم ، وهو :
هل المعنى في كتاب الله - تعالى - تابع للفواصل ؟ أو الفاصلة مقيدة بالمعاني الجليلة ؟

وإنما أوردت هذا التساؤل لأنني فهمت من هذا الذي نقله الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - أن المعاني تبع للفواصل في الآيات التي ساقها ، وهذا المعنى يُنزه عنه كتاب الله - تبارك وتعالى - إذ لا بد أن يكون لهذه المواضع التي سُقَّتْها آنفاً وغيرها مما يماثلها لا بد أن يكون لها معانٍ جليلة اقتضت بأن تُساق الألفاظ تبعاً للمعاني السياق الذي أوردته عن ((المعتزك)) آنفاً .

ولا يضر كتاب الله - تبارك وتعالى - أن يكون أحد أسباب ذلك السياق مراعاة الفواصل ؛ إذ لوقع الفواصل على الآذان تأثير لا يُنكر ولا يُدفع ، أما أن يكون سبب هذا السياق مراعاة الفاصلة فقط ، فهذا مما يرد على هذه القضية ويوهنها .

إيراد كلام الأئمة الذين أحسنوا مناقشة هذه المسألة في بعض جوانبها :
ومن ناقش هذه القضية مناقشة حسنة : الإمامان بدر الدين الزركشي والزنجشيري ، حيث نقل الزركشي كلام الزنجشيري قائلاً :

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ١٨٠ .

((ذكر الزرخشري في كشفه القديم^(١) أنه لا تحسن المحافظة على الفواصل لمجرد ما إلا مع بقاء المعاني على سدادها ، على النهج الذي يقتضيه حسن النظم والتشامه ، كما لا يحسن تخير الألفاظ الموقفة^(٢) في السمع ، السلسلة على اللسان إلا مع مجيئها منقاداً للمعاني الصحيحة المنتظمة ، أما أن تهمل المعاني ويهتم بتحسين اللفظ وحده غير منظور فيه إلى مؤداه على بال فليس من البلاغة في فتيل^(٣) أو نقيير^(٤) ، ومع ذلك يكون قوله :

﴿ وَيَا آخِرَةَ هُمِ يُوقُونَ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ وَمَا زَرَفَهُمْ يُفْقُونَ ﴾^(٦) لايتأتى فيه ترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية^(٧) إشاراً للفاصلة ؛ لأن ذلك أمر لفظي لا طائل تحته ، وإنما عدل إلى هذا لقصد الاختصاص^(٨) .

ولو جمع الزرخشري - رحمه الله تعالى - إلى جانب إرادة الاختصاص إرادة مراعاة الفواصل في هذا لكان جمعاً حسناً ، ولانتفى المحذور بالقول برعاية الفاصلة فقط ، أو بإهمال شأن الفاصلة تماماً ؛ إذ أن كلاهما مراد .

١- قد ذكرت في فهرس مصادر ومراجع السيوطي أن كتاب ((الكشف القديم)) للزرخشري مما أبهم علي معرفته ، وهل يقصد به التفسير الذي ألفه لسورتي الفاتحة والبقرة ثم اختصره لما رأى طوله وصنف الكشف الذي بين أيدينا ؟ انظر ص ٧٩٤ من هذه الرسالة .

٢- العجبية الحسنة : انظر ((لسان العرب)) : أ ن ق .

٣- الفتيل : ما يكون على هيئة الخيط في شق النواة .

٤- النقيير : النكة في ظهر النواة ، كأن ذلك الموضع نُقر منها . والنقيير يضربان مثلاً للشيء النافه الحقيق القليل : انظر ((لسان العرب)) : ن ق ر ، ف ت ل .

٥- سورة البقرة : آية ٤ .

٦- سورة البقرة : آية ٣ .

٧- المقصود بترك رعاية التناسب في العطف بين الجمل الفعلية أن السياق في الآية الثالثة من سورة البقرة والآية الرابعة منها كان بالجمل الفعلية المتعاطفة إلا ماكان من فاصلتي الآيتين فهما جملتان اسميتان ، فانقطع التناسب بين الجمل لكون أكثرها جملاً فعلية وبعضها جملاً اسمية ، فلايتوهم أن هذا كان مراعاة الفاصلة فقط ، وسيأتي قريباً بيان الزرخشري سبب هذا .

٨- ((البرهان)) : ١ / ٧٢ .

والمقصود بالاختصاص اختصاص المؤمنين بصفتي الإيقان والآخرة والإنفاق في سبيل الله على وجه الكمال ، وقد حصل الاختصاص هنا بتقديم الممولين : ﴿ وَيَا آخِرَةَ ﴾ ، ﴿ وَمَا زَرَفَهُمْ ﴾ على العاملين . ولم يرتض هذا الاختصاص في الآية الزركشي انظر ((البرهان)) : ١ / ٦٣ .

ثم إن الزركشي - رحمه الله تعالى - ناقش بعض الآيات التي قيل إن نهاياتها إنما جاءت على صورتها التي هي عليها لمراعاة الفواصل .

ولكن الزركشي - رحمه الله تعالى - رجح في آيات كثيرات أن السبب في كون نهاياتها على صورتها التي هي عليها إنما هو مراعاة الفاصلة ، ولم يذكر سبباً آخر غيرها^(١) .

ومن الآيات التي ناقشها الإمام الزركشي ما نقلته آنفاً^(٢) عن ابن الصائغ - رحمه الله تعالى - في قوله سبحانه : ﴿وَلَمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٍ﴾^(٣) ، وقد ذكر فيها قول ابن قتيبة - أيضاً - وناقش الفراء فيما ذهب إليه^(٤) .

وقد ذكر أيضاً قول من قال إن الأحسن الفصل بين المجرورات في قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَيْنَايَهُ يَتَّبِعَا﴾^(٥) حيث ذكر أن تأخير ﴿يَتَّبِعَا﴾ أرجح من الفصل به بين المجرورات المذكورة ، ولكنه لم يذكر السبب ، وذكر أيضاً أن تأخيره حسن لمراعاة الفاصلة^(٥) .

وسيأتي بيان هذا - إن شاء الله تعالى - عند مناقشتي للمسائل الست التي نقلها السيوطي عن ابن الصائغ^(٦) .

ومن تكلم على هذه القضية كلاماً حسناً الشيخ الإمام برهان الدين البقاعي حيث قال في قوله تعالى : ﴿رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾^(٨) :

١- انظر ((الرهان)) : ١ / ٦٣ - ٦٧ .

٢- انظر ص ٥٧٨ .

٣- سورة الرحمن : آية ٤٦ .

٤- انظر ((الرهان)) : ١ / ٦٤ - ٦٥ .

٥- سورة الإسراء : آية ٦٩ .

٦- ((الرهان)) : ١ / ٦٢ .

٧- انظر ص ٥٨٥ وما بعدها .

٨- سورة طه : آية ٧٠ .

((وهذه الآية في أمثالها من آي هذه السورة وغيرها - مما قُدم فيه ما يتبادر أن حقه التأخير وبالعكس لأنحاء من المعاني دقيقة - هي التي حملت بعض من لم يرسخ إلى أن يقول : إن القرآن يراعي الفواصل كما يتكلف بلغاء العرب السَّجْع ، وتبعه جمع من المتأخرين تقليداً ... وقد قال الإمام فخر الدين الرازي - كما حكاه عنه الشيخ أبو حيان في تفسير سورة فاطر من النهر^(١) : لا يقال في شيء من القرآن إنه قُدم أو أخر لأجل السجع ؛ لأن معجزة القرآن ليست في مجرد اللفظ ، بل فيه وفي المعنى ...))^(٢) .

وقال البقاعي - رحمه الله تعالى - في موضع آخر :

((وإذا تأملت كتابي هذا ظهر لك أن كثيراً من الآيات فسرها على غير المراد منها قطعاً أكابر العلماء ، فعلى الإنسان إذا خفي عليه أمرٌ أن يقول لأعلم ، ولا يظن أنه رُتب شيء من هذا الكتاب العزيز لأجل الفواصل ، فذلك أمر لا يليق بكلام الله تعالى))^(٣) .

ثم ذكر أن القرآن قد يقع فيه شيء من الكلام الموزون وشيء من السَّجْع إلا إنه ((وإن وقع فيه كل من الأمرين فغير مقصود إليه ولا معول عليه ، بل لكون المعنى انتظم به على أتم الوجوه فيؤتى به لذلك))^(٤) .

وقال - رحمه الله تعالى - في موضع آخر :

((وإذا تأملت الفواصل في الإتيان بها تارة بكثرة ، وتارة بقلة ، وتارة ترك بالكلية ويؤتى في كل آية بفاصلة لاتوافق الأخرى ، علمت أن هذا المذهب هو الصواب ، ولا سيما آخر سورة ﴿ أَقْرَأْ ﴾))^(٥) .

١- هو كتاب ((النهر الماد من البحر)) ، وهو تلخيص من ((البحر المحيط)) ، وكلا الكتاين لأبي حيان - رحمه

الله تعالى - ولم أجد هذا النقل في ((النهر)) إنما هو في ((البحر المحيط)) : ٧ / ٣٠٩ .

٢- ((نظم الدرر)) : ١٢ / ٣٠٩ - ٣١١ .

٣- المصدر السابق : ٩ / ٥٧ .

٤- المصدر السابق : ٩ / ٥٩ .

٥- المصدر السابق : ٩ / ٦٠ ، ومراده الآية رقم : ١٩ ﴿ كَلَّا لَا تُطِيعُوهُ تَسْجُدُوا فَتَرَبَّسُوا ﴾ ؛ إذ أنها تختلف في فاصلتها عن كل آيات السورة .

فالرأي القوي الحميد إذاً في هذه المسألة هو أن :
 فواصل القرآن ((حروف متشاكلة في المقاطع توجب حسن إفهام المعنى))^(١) .
 وأن ((فواصل القرآن كلها بلاغة وحكمة ، لأنها طريقٌ إلى إفهام المعاني التي
 يُحتاج إليها في أحسن صورة يدل بها عليها))^(٢) .
 و ((بمجرد المحافظة على الرؤوس^(٣) لا يصير نكتةً للتقديم إلا بعد أن يثبت أن المعاني
 إذا أُرسلت على سجيّتها كانت تقتضي التقديم))^(٤) .

ولامانع من القول بأن إرادة المعنى الصحيح لاتضادّ إتقان الفواصل ومجيئها
 متناسقةً ، جميلة الوقع على الأسماع ؛ فكلا الأمرين مرادٌ ومقصودٌ ، لكن المحذور
 الممتنع أن يقال إن الفواصل جاءت على حساب المعاني ، أو مستقلة عن مراعاة
 المعاني .

فلا يصح إذاً التعليل الذي ذكره الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - مما نقله
 عن ابن الصائغ أن سبب مجيء نهاية بعض الآيات على صورتها التي هي عليها إنما
 هو مراعاة الفواصل فقط بل لهذا معانٍ اقتضت مجيئها هكذا ، كما ذكر ذلك ابن
 الصائغ نفسه في المسألة السادسة .

وقد بحثت عن بعض الحكم التي ذكرها العلماء تفسيراً لسبب مجيء فواصل
 الآيات التي نقلها الإمام السيوطي عن ابن الصائغ على صورتها تلك ، فوجدت
 اعتناءً جيداً - والله الحمد - في بيان أكثرها ، وبيان مثيلاتها مما لم يذكره الإمام
 السيوطي ، رحمه الله تعالى ، وها أنذا أورد ما وجدته من الكلام على تلك المسائل
 الست.

١- ((النكت في إعجاز القرآن)) : ٩٨ .

٢- المصدر السابق .

٣- أي رؤوس الآي ، والمراد الفواصل .

٤- ((روح المعاني)) : ١ / ٦٣ .

المسألة الأولى : التقديم والتأخير بزعم مراعاة الفاصلة :

قد ذكر السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - مثالين للتقديم والتأخير بزعم مراعاة الفاصلة .

أما المثال الأول فهو تقديم هارون على موسى - عليهما الصلاة والسلام - في قوله تعالى : ﴿ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾^(١) ، وقد تكلم عدد من الأئمة على سبب هذا التقديم فمنهم :

١ - الإمام البقاعي ، فقد قال ما حاصله أن تقديم هارون على موسى - عليهما الصلاة والسلام - إنما هو ترقُّ من السحرة في شكر من أوصل تلك النعمة إليهم ، فهارون هو كالوزير بين يدي موسى ، عليهما الصلاة والسلام^(٢) .

٢ - وقد جمع الشيخ الطاهر بن عاشور بين إرادة رعاية الفاصلة وبين التنبيه على معنى آخر حسن ، فقال رحمه الله تعالى :

((ووجه تقديم هارون هنا الرعاية على الفاصلة ... ويجوز أن يكون تقديم هارون في هذه الآية من حكاية قول السحرة فيكون صدر منهم قولان ، قدموا في أحدهما اسم هارون اعتباراً بكر سنه ، وقدموا اسم موسى في القول الآخر^(٣) اعتباراً بفضله على هارون بالرسالة وكلام الله تعالى ، فاختلاف العبارتين باختلاف الاعتبارين))^(٤) .

٣ - وقد ذهب الأستاذ عبد الكريم الخطيب مذهباً حسناً في تقرير سبب ورود الفاصلة كذلك فقال بعد أن ذكر بعضاً من تعليقات العلماء :

((والأمر - عندنا - أهون من هذا ، وأقرب متناً ، فهذه المقولات الثلاث التي حكاها القرآن على لسان السحرة هي جميعها من مقولاتهم في تلك الحال ، فقال بعضهم: ﴿ رَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ وقال بعض آخر : ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾^(٥) ،

١- سورة طه : آية ٧٠ .

٢- ((نظم الدرر)) : ١٢ / ٣٠٩ .

٣- وهو قوله تعالى : ﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾ : سورة الأعراف : آية ١٢٢ .

٤- ((التحرير والتنوير)) : ١٦ / ٢٦٣ .

٥- سورة الأعراف : آية ١٢٢ .

وقال بعضُ ثالث ﴿رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾^(١) ، وقال بعضُ رابع وخامس وسادس ، وهكذا قالوا جميعاً مقولات تدل على الإيمان بالله ، قالوها بأساليب مختلفة وبصور متباينة ، جهر بها بعضهم وخافت بها بعض ، ومحال أن يكونوا جميعاً قالوا قولاً واحداً على صورة واحدة ، فذلك ما لا يتفق لهذا الجمع الكثير ، ولا يشهد له واقع الحياة ، وكان الذي حكاه القرآن من مقولاتهم هو الوجه الغالب فيها ، وهذا ما يتفق وصدق القرآن وإعجازه^(٢) .

فالفاصلة - إذاً - جاءت على هيئتها في سورة طه لبيان قول مجموعة من السحرة ، وما كان في سورة الأعراف فهو قول آخر لمجموعة أخرى ، والله أعلم ..

وهناك أقوال أخرى في المسألة على طالبها أن يراجعها في مظانها^(٣) .
وأما الآية الثانية التي ذكرها السيوطي نقلاً عن ابن الصائغ ، رحمهما الله تعالى ، فهي : ﴿فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى﴾^(٤) وأنه لولا مراعاة الفاصلة لقدمت ﴿الْأُولَى﴾ لأنها أسبق في الزمان وذلك كقوله تعالى : ﴿وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ﴾^(٥) .

وقد وجه هذه الآية الشيخ الطاهر بن عاشور فقال :
((وإنما قدمت الآخرة للاهتمام بها ، والتنبيه^(٦) إلى أنها التي يجب أن يكون اعتناء المؤمنين بها ؛ لأن الخطاب في هذه الآية للنبي - صلى الله عليه وسلم - والمسلمين ، مع ما في هذا التقديم من الرعاية للفاصلة))^(٧) .

١- سورة الأعراف : آية ١٢١ .

٢- ((إعجاز القرآن)) : ٢ / ٢١٩ - ٢٢٠ .

٣- انظر - مثلاً - ((الفاصلة في القرآن)) : ١٣٨ - ١٤١ . فقد ذكر مولفه أقوالاً أخرى في هذه المسألة .

٤- سورة النجم : آية ٢٥ .

٥- سورة القصص : آية ٧٠ .

٦- في المطبوع : (والتنبيه) ولا يرى لها رجحاً ، ولعل الصواب ما أثبتته .

٧- ((التحرير والتنوير)) : ٢٧ / ١١٢ .

وقد أشار الأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - إلى هذه المسألة إشارة حسنة ؛ إذ قال :

((ولاننسى أن نلاحظ هنا تقديم الآخرة على الأولى لمراعاة قافية السورة وإيقاعها إلى جانب النكته المعنوية المقصودة بتقديم الآخرة على الأولى كما هي طبيعة الأسلوب القرآني في الجمع بين أداء المعنى وتنغيم الإيقاع ، دون إخلال بهذا على حساب ذلك ... فالجمال في الكون كله يتناسق مع الوظيفة ويؤاخيها .

وإذا خلص الأمر كله لله في الآخرة والأولى فإن أوهام المشركين عن شفاعة الآلهة - المدعاة من الملائكة - لهم عند الله ... لأصل لها ... فالأمر لله في الآخرة والأولى ، ومُنَى الإنسان لا تغير من الحق الواقع شيئاً ، والشفاعة لا تقبل إلا بإذن من الله ورضاً فالأمر إليه في النهاية ، والاتجاه إليه وحده في الآخرة والأولى))^(١) .

فتقديم الآخرة على الأولى إذاً مرادٌ هاهنا لبيان صلة الآيات السابقة - وهي آيات تقصّ اتخاذ المشركين الأصنام والملائكة ، على أحد التفاسير ، آلهةً - بالآيات اللاحقة وهي تحذر بعدم جدوى عبادة هذه الآلهة بدعوى الشفاعة في الآخرة ، فالحديث هنا يدور على الدار الآخرة وما يظهر فيها من بطلان الشفاعات كلها إلا شفاعة من أذن الله له ، فناسب المقام تقديم الدار الآخرة في الذكر ، والله أعلم .

١- ((في ظلال القرآن)) : ٦ / ٣٤٠٩ .

المسألة الثانية : إيثار أغرب اللفظتين مراعاةً للفاصلة :

ومقتضى هذه المسألة أن هناك لفظتين أو أكثر لتأدية المعنى نفسه ، لكن أوثرت اللفظة القرآنية - وهي الأغرب من بين الألفاظ المؤدية لذلك المعنى - مراعاةً للفاصلة فقط ، ولم يبين السيوطي أن ذلك اللفظ يؤدي معنى لا يؤديه غيره .

وقد ساق السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - عدة أمثلة ، كان الأول منها قوله :

((نحو ﴿ قَسَمَ ضَيْرَى ﴾ ^(١) ولم يقل : (جائرة) ^(٢) ...)) ، ثم ساق أمثلة أخرى ^(٣) ، سأكتفي منها ببيان أولها لما فيه من الغرابة .

وقد تكفل الرافعي - رحمه الله تعالى - ببيان أن هذه الكلمة : ﴿ ضَيْرَى ﴾ لها معنى مهم ومقصود لا يؤديه أي مرادف لها ، فقال رحمه الله تعالى :

((وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه ، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه ، وهي كلمة ﴿ ضَيْرَى ﴾ من قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذْ أَسْمَ ضَيْرَى ﴾ ، ومع ذلك فإن حُسْنها في نظم الكلام من أغرب الحُسْن وأعجبه ، ولو أردت اللغة عليها ماصح لهذا الموضع غيرها ؛ فإن السورة التي هي منها - وهي سورة النجم - مفصلة كلها على الياء ^(٤) ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل ^(٥) ، ثم هي في معرض الإنكار على العرب ؛ إذ وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بناتٍ لله مع وأدهم البنات ^(٦) ، فقال تعالى :

﴿ أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى تِلْكَ إِذْ أَسْمَ ضَيْرَى ﴾

١- سورة النجم : آية ٢٢ .

٢- أي ومرادفاتها مثل ظالمة وقاسطة إلخ ...

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٥ .

٤- أي بالألف المقصورة التي صورتها ياءٌ في الكتابة .

٥- هذه واحدة من حِكَمٍ مجيء هذه اللفظة ، وهي مراعاة الفاصلة ، ثم شرع الرافعي في إيراد مناسبتها للمعنى ، وهذا هو المنهج السديد .

٦- في المطبوع : ((أولادهم البنات)) ، والوجه مأثبت ، والله أعلم .

فكانت غرابة اللفظة أشدَّ الأشياء ملاءمةً لغرابة هذه القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تُصوِّر في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى^(١) والتهكم في الأخرى^(٢) ، وكان هذا التصويرُ أبلغ ما في البلاغة ، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل ، ووصفت حالة التهكم في إنكاره من إمالة اليد والرأس بهذين المذَّين فيها إلى الأسفل والأعلى^(٣) ، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار بغرابتها اللفظية)) .

ثم أخذ الراجعي في تبين ما في هذه الآية من غنٍّ ومُدود مناسبة لغرابة لفظة ﴿ ضَيْرَى ﴾ وموقعها من الآية^(٤) .

المسألة الثالثة :

إطلاق التثنية في اللفظ القرآني والمراد الأفراد مراعاةً للفواصل :

وقد ساق السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ مثالين :

الأول : قوله تعالى : ﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾^(٥) .

وذكر قول الفراء :

((أراد جنة ، كقوله ﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾^(٦) فتنى لأجل الفاصلة))^(٧) .

١- أي قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَذْكُرُوا أَنَّنِي ﴾ .

٢- أي قوله تعالى : ﴿ تِلْكَ إِذْ أَوَّصَىٰ ضَيْرَى ﴾ .

٣- المذَّان المقصودان : المد الذي في حرف الياء بعد الضاد ، والمد الذي في آخر كلمة ﴿ ضَيْرَى ﴾ ، فالمد الأول في هذه الكلمة متسفل ، أما الآخر فهو مُتصَعِّد إلى أعلى الفم .

٤- ((إعجاز القرآن)) : ٢٣٠ .

٥- سورة الرحمن : آية ٤٦ .

٦- سورة النازعات : آية ٤١ .

٧- ونصُّ كلام الفراء في كتابه ((معاني القرآن)) : ٣ / ١١٨ هو :

((ذكر المفسرون أنهما بستانان من بساتين الجنة ، وقد يكون في العربية جنة تننيها العرب في أشعارها ... وذلك

أن الشعر له قواف يقيمها الزيادة والنقصان فيحتمل ما لا يحتمله الكلام)) .

فكلامه هذا لأفهم منه ما ساقه السيوطي عن ابن الصائغ ؛ إذ غاية ما فيه تفسير الجنتين ببستانين يكونان داخل جنة واحدة ، لكن لعل له كلاماً آخر في كتاب غير هذا الكتاب ، والله أعلم .

ثم ذكر ابن الصائغ قول الفراء :

((والقوافي تحتل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام))^(١) .

ولقد أورد السيوطي رد ابن قتيبة على الفراء حيث قال السيوطي :

((وقد أنكر ذلك ابن قتيبة وأغلظ فيه وقال :

إنما يجوز في رؤوس الآي زيادة هاء السكت ، أو الألف ، أو حذف همزة ، أو حرف ، فأما أن يكون الله وعد جنتين فيجعلهما جنة واحدة لأجل رؤوس الآي فمعاذ الله ، وكيف هذا وهو يصفهما بصفات الاثنين ، قال : ﴿ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ﴾^(٢) ، ثم قال : ﴿ فِيهِمَا ﴾^(٣)))^(٤) .

والدليل على أن الله وتعالى وعد عباده أكثر من جنة هو ما أخرجه الإمام

البخاري بسنده إلى أبي بكر بن عبد الله بن قيس^(٥) عن أبيه^(٦) أن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :

١- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٦ .

٢- سورة الرحمن : آية : ٤٨ .

٣- سورة الرحمن : آية : ٥٠ .

ونص كلام ابن قتيبة ، رحمه الله : ((وهذا من أعجب ما حمل عليه كتاب الله ، ونحن نعوذ بالله أن نتعسف هذا التعسف ، ونجيز على الله - جل ثناؤه - الزيادة والنقص في الكلام لرأس آية .

وإنما يجوز في رؤوس الآي أن يزيد هاء للسكت كقوله : ﴿ وَمَا أَذْرُوكَ مَا هِيَ ﴾ [سورة القارعة] وألفاً كقوله :

﴿ وَنَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا ﴾ [سورة الأحزاب : آية ١٠] ، أو يحذف همزة من الحرف كقوله : ﴿ أَتَشَاءُونَ رِيًا ﴾

[سورة مريم : آية ٧٤] ، أو ياء كقوله : ﴿ وَالَّتِلَ إِذْ أَبْتَرِ ﴾ [سورة الفجر] لتستوي رؤوس الآي على مذاهب

العرب في الكلام إذا تم ، فأذنت بانقطاعه ابتداء غيره ؛ لأن هذا لا يزيل معنى عن جهته ، ولا يزيد ولا ينقص ، فأما أن يكون الله - عز وجل - وعد جنتين فيجعلها جنة واحدة من أجل رؤوس الآي فمعاذ الله .

وكيف يكون هذا وهو - تبارك اسمه - يصفهما بصفات الاثنين فقال : ﴿ ذَوَاتَا أَفْئَانٍ ﴾ ثم قال :

﴿ فِيهِمَا ... ﴾ ، ﴿ فِيهِمَا ... ﴾ . ولر أن قائلًا قال في خزنة النار إنهم عشرون ، وإنما جعلهم تسعة عشر لرأس

الآية ... ما كان في هذا القول إلا كالفرء)) : ((تفسير غريب القرآن)) : ٤٤٠ - ٤٤١ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٦ - ٣٧ .

٥- أبو بكر بن أبي موسى الأشعري . اسمه عمرو أو عامر ، ثقة . مات سنة ست ومائة . انظر ((التقریب)) : ٦٢٤ .

٦- عبد الله بن قيس بن سليم ، أبو موسى الأشعري ، رضي الله عنه . مات سنة خمسين ، وقيل بعدها .

انظر ((التقریب)) : ٣١٨ .

((جنتان من فضة آتيتهما ومافيهما ، وجنتان من ذهب آتيتهما وما فيهما ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم - عز وجل - إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن))^(١) .

وقد ساق البخاريّ هذا الحديث في تفسير قوله تعالى :

﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾^(٢) .

فإذاً هناك جنتان من ذهب لمن خاف مقام ربه، وجنتان من دونهما من فضة ، كما بين النبي - صلى الله عليه وسلم - في الحديث الذي سقته آنفاً ، فلا يصحُّ إذاً ماذهب إليه الفراء - لو ثبت عنه النقل كما بينت آنفاً - من أنها جنة واحدة وإنما تُنبت لمراعاة الفاصلة .

المثال الآخر :

قوله تعالى : ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾^(٣) .

مثل ابن الصائغ - رحمه الله تعالى - بهذه الآية : ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾ على إمكان إطلاق التثنية وإرادة الأفراد ، فقال فيما نقله عنه الإمام السيوطي : ((والقوافي تحتمل من الزيادة والنقصان ما لا يحتمله سائر الكلام ، ونظير ذلك قول الفراء أيضاً في قوله تعالى : ﴿ إِذْ أُنْبِئَتْ أَشْقَاهَا ﴾ فإنهما رجلان : قدار وآخر معه ، ولم يقل (أشقياها) للفاصلة))^(٤) .

١- ((الجامع الصحيح)) : كتاب التفسير : تفسير سورة الرحمن : ٦ / ١٨١ .

٢- سورة الرحمن : آية ٦٢ ، وانظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٤٧٦ .

٣- سورة الشمس : آية ١٢ .

٤- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٦ .

ونصُّ الفراء في كتابه ((معاني القرآن)) : ٣ / ٢٦٨ ، وهو :

((يقال إنهما كانا اثنين : فلان ابن دهر ، والآخر قدار ، ولم يقل : (أشقياها) ؛ وذلك جائز لو أتى ؛ لأن

العرب إذا أضافت (أفعل) التي يمدحون بها وتدخل فيها (من) إلى أسماء وحدوها في موضع الاثنين والمؤنث

والجمع ، فيقولون للثنتين : هذان أفضل الناس ، وهذان خير الناس ، ويتنون أيضاً)) .

وقول الفراء : ((وذلك جائز لو أتى)) أي يصح إطلاق المفرد وإرادة المنثى لو أتى ذلك صحيحاً في النقل ، أي لو

صح أن قاتل الناقة رجلان .

أما ضرب تلك الآية مثلاً لبيان أن القوافي تحتمل الزيادة والنقصان فلا يستقيم ؛ وذلك لأن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قد بين أن ﴿ أَشَقَّهَا ﴾ رجل واحد وهو الذي عقر الناقة ، فلا يستقيم عدُّ ﴿ أَشَقَّهَا ﴾ رجلين ؛ فقد أخبر عبد الله بن زَمْعَةَ^(١) - رضي الله عنه - أنه سمع النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يخطب ، وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - : ((إِذْ أَنْبَعَتْ أَشَقَّهَا ﴾ : انبعث لها رجل عزيز ، عارم^(٢) ، مَنيع في رهطه مثل أبي زَمْعَةَ))^(٣) .

فهذا حديث صحيح صريح ، وهو نصٌ في موضع النزاع ، يقطع كل لجساج وخصام ، ويبين أن عاقر الناقة رجل واحد .

والمسألة الرابعة - وهي إطلاق الجمع وإرادة المفرد - مشابهة للمسألة الثالثة السابقة ، وقد ذكر السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - مثلاً واحداً على هذه المسألة فقال :
((الاستغناء بالجمع عن الأفراد نحو :

= فليس في كلام الفراء تأسيسٌ لقاعدةٍ مراعاةً لفاصلة - كما نقل السيوطي عن ابن الصائغ - لكن كلامه توجيه لما لعله يصح في النقل والأثر ، والله أعلم .

١- عبد الله بن زَمْعَةَ بن الأسود بن المطلب القرشي الأسدي . صحابي مشهور . استشهد يوم الدار مع ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنهما . حديثه في الكتب الستة . انظر ((التقریب)) : ٣٠٣ . .

٢- العارم : الخبيث الشرير ، والغرّام : الشدة والقوة والشراسة . انظر ((لسان العرب)) : ع ر م .

٣- الأسود بن المطلب بن أسد القرشي : كان من أشد المستهزئين بالرسول - صلى الله عليه وسلم - المؤذنين له ، انظر ((السيرة النبوية)) لابن هشام : ١ / ٢٦٥ ، ٤٠٩ ، و ((التبيين في أنساب القرشيين)) : ٢٤٣ ، ٢٤٤ . وقد دعا عليه رسول الله - صلى الله عليه وسلم - بالعمى فعمي . وهذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في

صحيحه في كتاب التفسير : تفسير سورة الشمس : ٦ / ٢١٠ .

وهناك أحاديث أخرى في هذه المسألة ، انظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٨ / ٤٣٧ .

﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ﴾^(١) أي ولا خُلَّةٌ ، كما في الآية الأخرى^(٢) ، وجمع مراعاةً للفاصلة^(٣) .

ولم أجد في المسألة توجيهاً كافياً ، لكن ذكر بعض المفسرين وعلماء العربية أن ﴿خُلَّةٌ﴾ مصدر لـ (خاللت) ، بمعنى الصداقة والمُخَالَّة^(٤) ، فيستوي إذاً الجمع فيه والمفرد ، فلا يكون اللفظ هنا مراداً به الجمع ، والله أعلم .

لكن هذا ليس شافياً في المسألة ، وإنما ذكرتُ ما وجدته فيها ، والله أعلم .

المسألة الخامسة : الجمع بين المحرورات :

نقل السيوطي في هذه المسألة كلام ابن الصائغ فقال :

((الجمع بين المحرورات نحو :

﴿ثُمَّ لَا يَجِدُوكُمْ عَلَيْهِ يَتَّبِعَا﴾^(٥) .

فإن الأحسن الفصل بينهما إلا أن مراعاة الفاصلة اقتضت عدمه))^(٦) .

وهذا كلام خطير ؛ بل هو أخطر النقول في هذه المسائل الست - في تقديري - وذلك أن ابن الصائغ قرر أن النظم القرآني مفضول بغيره ، وأن سبب هذا مراعاة الفاصلة .

ومن تكلم على هذه المسألة الإمام الزركشي - رحمه الله تعالى - حيث قال في مبحث ((إيقاع المناسبة في مقاطع الفواصل)) ، في الموضع الثالث منها :

١- سورة إبراهيم : آية ٣١ .

٢- وهي في سورة البقرة : آية ٢٥٤ : ﴿لَا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خُلَّةٌ وَلَا شَفْعَةٌ﴾ .

٣- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٧ .

٤- انظر ((معاني القرآن وإعرابه)) للزجاج : ٣ / ١٦٣ ، و ((روح المعاني)) : ١٣ / ٢٢٢ - ٢٢٣ .

٥- سورة الإسراء : آية ٦٩ .

٦- ((معترك الأقران)) : ١ / ٣٨ .

((الثالث : الجمع بين المحرورات ، وبذلك يجاب عن سؤال في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُتَيْنَا بِهِ بَيِّعًا ﴾ فإنه قد توالى المحرورات بالأحرف الثلاثة ، وهي اللام في ﴿ لَكُمْ ﴾ ، والباء في ﴿ بِهِ ﴾ ، و ﴿ عَلَى ﴾ في ﴿ عَلَيْنَا ﴾ ، وكان الأحسن الفصل .

وجوابه أن تأخر ﴿ بَيِّعًا ﴾ وترك الفصل أرجح من أن يُفصل به بين بعض الروابط ، وكذلك الآيات التي تتصل بقوله : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عُتَيْنَا بِهِ بَيِّعًا ﴾ ، فبيان فواصلها كلها منصوبة منونة ، فلم يكن بد من تأخير قوله : ﴿ بَيِّعًا ﴾ لتكون نهاية هذه الآية مناسبة لنهايات ما قبلها حتى تتناسق على صورة واحدة))^(١) .

فالزركشي - رحمه الله تعالى - ذكر سببين لورود الفاصلة على هذه الصورة ، وهما مراعاة فواصل الآيات قبلها وبعدها ، وأن الأرجح لغة هو ترك الفصل بين المحرورات ، وهذا جمع حسن ، لكنه لم يبين لم كان أرجح لغة ، ولم أجد في هذه المسألة قولاً شافياً .

المسألة السادسة : تأخير الأبلغ وتقديم البليغ :

وهذه المسألة هي المسألة الوحيدة التي توسط فيها ابن الصائغ فذكر - فيما نقله السيوطي - أنه ((ذكر لذلك نكتاً أشهرها مراعاة الفاصلة)) ، فأثبت حكماً للتقديم والتأخير - هنا - بخلاف مراعاة الفاصلة ، بينما اقتصر على مراعاة الفاصلة في المسائل الخمس الماضية .

ثم ساق عدة أمثلة تدل على ما ذهب إليه ، منها :

١ - تقديم ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ على ﴿ الرَّحِيمِ ﴾^(٢) .

١- ((البرهان في علوم القرآن)) : ١ / ٦٢ .

٢- وذلك في قوله تعالى : ﴿ يَسْمِعُ اللَّهُ الرَّحْمَنَ الرَّحِيمَ ﴾ .

٢ - و (الرؤوف) على ﴿ الرَّحِيمِ ﴾^(١) .

٣ - و (الرسول) على (النبي) في قوله تعالى : ﴿ وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا ﴾^(٢) .
لكن الإمام الزركشي - رحمه الله تعالى - لم يذكر حكمة التقديم والتأخير في تلك الأمثلة التي ساقها .

١ - أما المثال الأول - وهو تقديم ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ على ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ مع أن ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ أبليغ - فقد بينه أبو السعود^(٣) ، رحمه الله تعالى ، بقوله :
((وفيه^(٤) من المبالغة ما ليس في ﴿ الرَّحِيمِ ﴾^(٥)) ... وتقدمه مع كون القياس تأخيرَه ، رعاية لأسلوب الترتي إلى الأعلى ؛ كما في قولهم : فلان عالم نحرير ، وشجاع باسل ، وجواد فياض ؛ لأنه باختصاصه^(٦) به - عز وجل - صار حقيقةً بأن يكون قريباً للاسم الجليل الخاص به^(٧) ، تعالى ، ولأن ما يدل على جلائل النعم وعظائمها وأصولها أحقُّ بالتقديم مما يدل على دقائقها وفروعها^(٨)))^(٩) .

١- وذلك في قوله تعالى : ﴿ إِنَّكَ اللَّهُ الْكَائِنُ لَرُءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ : سورة البقرة : آية ١٤٣ .

٢- سورة مريم : آية ٥١ .

٣- العلامة محمد بن محمد بن مصطفى العمادي الحنفي . ولد سنة ٨٩٨ بقرية قرية من القسطنطينية ، وقرأ على والده وغيره ، وتفقّه ، وتولى قضاء بورصة ، ثم تنقل في مناصب القضاء ، ثم صار مفتياً . وحصل له من المجد والشرف الشيء الكثير . له بعض المصنفات أعظمها هذا التفسير . وله شعر كثير . توفي بالقسطنطينية سنة ٩٨٢ .
انظر (شذرات الذهب) : ٨ / ٣٩٨ - ٤٠٠ . وقد طبع على غلاف تفسيره أنه توفي سنة ٩٥١ ، وقد صغف هذا الزركلي ودل على وفاته سنة ٩٨٢ . انظر (الأعلام) : ٧ / ٩٥ .

٤- أي ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ ، كما في السياق قبل .

٥- وذلك لأن لفظ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ زائد بحرف على لفظ ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ وزيادة مبنى الكلمة زيادةً في بلاغة معناها - غالباً -
- وانظر (الكشف) : ١ / ٤١ ، و (روح المعاني) : ١ / ٥٩ .

٦- أي باختصاص لفظ ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ بالله تعالى فلا يطلق على غيره بخلاف ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ .

٧- أي ﴿ اللَّهُ ﴾ من ﴿ يَسْمُو اللَّهُ ﴾ .

٨- وإنما قال أبو السعود ذلك لأن علماء اللغة فرقوا بين ﴿ الرَّحْمَنِ ﴾ و ﴿ الرَّحِيمِ ﴾ فقالوا إنما يطلق الأول للنساء على الله - تعالى - بإضافة جليل النعم وعظيمها ، وذلك لأن اللفظ أبليغ ، ويطلق الثاني للنساء على الله - تعالى - بأنه مفيض دقائق النعم وفروعها ، وانظر حاشية الشريف على (الكشف) - وهي حاشية مطبوعة مع (الكشف) : - ١ / ٤١ ، و (روح المعاني) : ١ / ٦٣ .

٩- (إرشاد العقل السليم) : ١ / ١١ ، وانظر - كذلك - (روح المعاني) : ١ / ٥٨ - ٦٧ .

فهذه نكتة لتقديم ﴿الرَّحْمَنُ﴾ على ﴿الرَّحِيمِ﴾ ، مع ما في التقديم من رعاية الفاصلة .

٢ - أما المثال الثاني - وهو تقديم (الرؤوف) على ﴿الرَّحِيمِ﴾ في قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾^(١) - فقد نقل الشيخ الطاهر بن عاشور ، رحمه الله تعالى ، عن عدد من علماء اللغة والتفسير أنهم بينوا أن معنى الرأفة : الرحمة ، لكنّ هناك فرقاً دقيقاً بين الرأفة والرحمة ، فالرأفة رحمة قوية ، بينما الرحمة اسم جامع يدخل فيه معنى الرأفة ويدخل فيه معنى الإفضال والإنعام أيضاً ، فالجمع بين الوصفين لإفادة أنه - تعالى - يرحم الرحمة القوية لمستحقها ، ويرحم مطلق الرحمة مَنْ دون ذلك ، تفضلاً منه سبحانه^(٢) .

٣ - أمّا المثال الثالث - وهو تقديم (الرسول) على (النبي) في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾^(٣) - فقد بين الشيخ الطاهر بن عاشور - رحمه الله تعالى - أن الجمع بين الوصفين : الرسالة والنبوة ، وتقديم الرسالة على النبوة مع أن الرسالة أحصّ ؛ إذ الرسول لا يكون إلا نبياً بخلاف النبي فقد يوحى إليه لكن لا يؤمر بالتبليغ ، بين الشيخ أن الجمع بينهما هنا ((لتأكيد الوصف ؛ إشارة إلى أن رسالته بلغت مبلغاً قوياً ، فقوله ﴿نَّبِيًّا﴾ تأكيدٌ لوصف ﴿رَسُولًا﴾))^(٤) .

وتفسير الشيخ الطاهر الجمع بين الوصفين للإشارة إلى بلوغ رسالة موسى عليه الصلاة والسلام - مبلغاً قوياً لا يستقيم مع قوله تعالى عن إسماعيل ، عليه الصلاة والسلام ، ﴿وَكَانَ رَسُولًا نَّبِيًّا﴾^(٥) ؛ إذ لم تبلغ رسالة إسماعيل مبلغ

١- سورة البقرة : آية ١٤٣ .

٢- ((التحرير والتنوير)) : ٢٠ / ٢ .

٣- سورة مريم : آية ٥١ .

٤- ((التحرير والتنوير)) : ١٦ / ١٢٧ .

٥- سورة مريم : آية ٥٤ .

رسالة موسى - عليهما الصلاة والسلام - لكن يمكن أن يقال إن هاهنا إشارة إلى رسالة محمد عليه الصلاة والسلام ، لأنه النبي الوحيد من ذرية إسماعيل عليه الصلاة والسلام ، والله أعلم .

وقال الآلوسي :

((وجه ذلك موافقة الواقع ؛ بناء على أن المراد : أرسله الله - تعالى - إلى الخلق فأنبأهم عنه سبحانه))^(١) .

ومانقلته عن الشيخ الطاهر أوجه ، والله أعلم .

تلك كانت بعض التوجيهات لبعض ما أورده السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - رحمهما الله تعالى ، من أن أواخر بعض الآيات جاءت على صور معينة لمراعاة الفاصلة فقط^(٢) ، فأردت أن أبين أنه لا يستقيم إفراد إرادة الفاصلة فقط سبباً ، ولو جُمع معها إرادة معنى يقتضيه المقام أيضاً لكان ذلك صواباً يتفق مع جلال القرآن ، والله أعلم .

ولا أدعي أن مانقلته من توجيهات الأئمة لتلك الفواصل قد خفي على السيوطي وابن الصائغ ، لكن لما لم يرد في ((المعترك)) توجيه شافٍ عمدتُ إلى نقل مانقلته ، والله الموفق .

١- ((روح المعاني)) : ١٦ / ١٠٣ . وقول الآلوسي هذا هو قول البيضاري ، وأبي السعود ، لكن مافي ((روح المعاني)) أوضح قليلاً ، انظر ((أنوار التنزيل)) : ٤٠٧ ، و ((إرشاد العقل السليم)) : ٥ / ٢٦٩ .

٢- إلا ما كان من أمر المسألة السادسة حيث ذكر السيوطي - نقلاً عن ابن الصائغ - أن مراعاة الفواصل سببٌ من أسباب مجيء نهايات بعض الآيات على صورتها في المصحف ، لكنه لم يبين تلك الأسباب ، وقد سقتُ بعض كلام الأئمة فيها ، انظر ص ٥٩٤ وما بعدها .

القضية الثالثة

تعيين الذبيح : إسماعيل هو أم إسحاق ، عليهما الصلاة والسلام

هذه قضية ترددت في كتب التفسير ، وكثر الحديث فيها ، لكن أغلب أهل العلم يذهبون إلى أن الذبيح المفدي هو إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - وعلى ذلك أكثر النقول عن أئمة الصحابة والتابعين .

وذهبت طائفة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق .

وتوقفت طائفة ثالثة فلم تجزم برأي في هذه المسألة ، فكانت الأدلة قد تكافأت عندها فلم تستطع الترجيح .

وكان من هذه الطائفة الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - فقد استقر رأيه على التوقف في هذه المسألة ، فقال :

((﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعِلْمٍ﴾^(١) هو إسماعيل أو إسحاق : قولان شهيران))^(٢) وقد استقر على التوقف في المسألة بعد أن كان يجزم بأنه إسماعيل ، ثم مال إلى أنه إسحاق ، ثم توقف ، فقد قال في جزمه - أولاً - بأنه إسماعيل ثم ميله إلى أنه إسحاق :

(((الذبيح) : إسماعيل على الأصح .

وقيل : إسحاق وبه جزم السهيلي ، وأنا الآن أميل إليه))^(٣) . إذاً قد كان يذهب إلى أنه إسماعيل ثم مال إلى كونه إسحاق ، ثم توقف في هذه المسألة كما نقلت عنه آنفاً ، وكما يتضح من النقل الآتي : ((وكنت ملت إليه في ((علم التفسير))^(٤) ، وأنا - الآن - متوقف في ذلك ، والله - سبحانه وتعالى - أعلم))^(٥) .

وقد ألف الإمام السيوطي ((التحجير)) في مستقبل حياته العلمية^(٦) .

١- سورة الصافات : آية ١٠١ .

٢- ((معترك الأقران)) : ١ / ٤٩٧ .

٣- ((التحجير في علم التفسير)) : ٤٠٣ .

٤- أي ((التحجير في علم التفسير)) الذي سقت كلامه فيه آنفاً .

٥- ((القول الفصيح في تعيين الذبيح)) ضمن ((الخواوي للفتاوي)) : ٢ / ٣٩ .

٦- قد صنفه وعمره ثلاث وعشرون سنة ، انظر ((التحجير في علوم التفسير)) : ٤٤٦ .

ذكر أدلة الفريقين والترجيح بينها :

ليس عند الفريقين حديثٌ عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - صحيحٌ في تعيين الذبيح^(١) لكن لكل منهما آثار عن الصحابة - رضي الله عنهم - والتابعين رحمهم الله تعالى ، إلا أن أدلة الذاهبين إلى أن الذبيح هو إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - أكثر وأقوى .

والسياق القرآني للقصة مرجح أن الذبيح هو إسماعيل ، بل يكاد ينص على ذلك من شدة وضوحه .

قال الحافظ ابن كثير رحمه الله تعالى :

((قال الله تعالى : ﴿ فَبَشِّرْنَاهُ بِعَلِّمٍ حَلِيمٍ ﴾ ، وهذا الغلام هو إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - فإنه أول ولد بُشِّرَ به إبراهيم ، عليه الصلاة والسلام ، وهو أكبر من إسحاق باتفاق المسلمين وأهل الكتاب ، بل في نص كتابهم أن إسماعيل وُلد لإبراهيم ست وثمانون سنة ، وولد إسحاق وعمر إبراهيم تسع وتسعون سنة ، وعندهم أن الله - تعالى - أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيداً - وفي نسخة : بِكَرِه - فأقحموا هاهنا ، كذباً وبهتاناً إسحاق ، لأنه مخالف لنص كتابهم ، وإنما أقحموا إسحاق لأنه أبوهم ، وإسماعيل أبو العرب فحسدوهم^(٢) فزادوا ذلك^(٣) وحرفوا (وحيدك) بمعنى الذي ليس عندك غيره^(٤) ، فإن إسماعيل كان ذُهبَ به وبأمه إلى جنب مكة ، وهذا تأويل وتحريف باطل ، فإنه لا يقال (وحيد) إلا لمن ليس له

١- هناك عدة أحاديث في هذه المسألة ، بعضها ينص على أن الذبيح إسحاق ، وبعضها الآخر ينص على أن الذبيح إسماعيل ، وكل تلك الأحاديث ضعيفة ، انظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٢٥ ، ٢٨ ، ٢٩ ، ٣٠ و ((القول الفصيح)) ضمن ((الحاوي للفتاوي)) : ٢ / ٣٤ - ٣٨ .

٢- قد جاء في حسدوهم هذا وبهتانهم أثر عن أحد مسلمة يهود وإقراره بهذا بعد إسلامه بين يدي الخليفة الراشد عمر ابن عبد العزيز ، رحمه الله تعالى ، وانظر القصة في ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٢٩ .

٣- أي زادوا كلمة إسحاق .

٤- أي في فلسطين حيث كان إبراهيم عليه الصلاة والسلام مقيماً بعد هجرته .

غيره ، وأيضاً فإن أول ولد له مَعَزَة مالميس لمن بعده من الأولاد ، فالأمر بذبحه أبلغ في الابتلاء والاختبار^(١) .

وقد ذكر الحافظ ابن كثير - أيضاً - أنه لا يجوز أن يكون إسحاق هو الذبيح لأن الله - تعالى - قال في سورة الصافات بعد قصة إسماعيل ونجاته من الذبح : ﴿ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ ﴾^(٢) . وقال تعالى في سورة هود^(٣) : ﴿ فَبَشَّرْنَا بِإِسْحَاقَ وَمِن وَرَاءِ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾ أي يولد في حياتهما ولد يسمى يعقوب فيكون من ذريته^(٤) عَقِب ونسل ، فكيف يؤمر بعد هذا بذبحه صغيراً^(٥) .

بعض الآثار المرجحة أن إسماعيل هو الذبيح :

وهذه الآثار كثيرة صحيحة منها :

١ - ما أخرجه الإمام أحمد - رحمه الله تعالى - بسنده عن ابن عباس ، رضي الله عنهما ، في حديث طويل صرح فيه ابن عباس بأن الذبيح هو إسماعيل ، عليه الصلاة والسلام^(٦) .

٢ - وما أخرجه الحاكم بسنده عن مجاهد^(٧) - رحمه الله تعالى - حيث قال : ((وزعم ابن عباس أن الذبيح إسماعيل))^(٨) .

١- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٢٣ .

٢- آية : ١١٢ ، أي أن هذه بشارة أخرى لإبراهيم - عليه الصلاة والسلام - بعد أن أمر بذبح ابنه إسماعيل فهي مغايرة ولا بد لقوله تعالى : ﴿ فَبَشَّرْنَاهُ بِغُلَامٍ حَلِيمٍ ﴾ .

٣- آية : ٧١ .

٤- أي ذرية إسحاق .

٥- المصدر السابق بتصرف يسير ، وقد جاء هذا القول عن ابن إسحاق نقله عن محمد بن كعب القرظي كما في ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٢٩ .

٦- انظر ((مسند الإمام أحمد)) : ٤ / ٢٤٨ ، فقد صحح الحديث أحمد شاكر ، وساق الحديث مختصراً الحافظ الميمني - رحمه الله تعالى - وذكر أن الحديث صحيح ، انظر ((مجمع الزوائد)) : ٨ / ٢٠٣ - ٢٠٤ .

٧- مجاهد بن جبر الحكي ، أبو الحجاج ، المخزومي بالولاء . ثقة . إمام في التفسير وفي العلم . مات سنة إحدى ومائة وله ثلاث وثلاثون سنة ، رحمه الله تعالى . انظر ((التقريب)) : ٥٢٠ .

٨- قال الحاكم : صحيح على شرط الشيخين ، ووافقه الإمام الذهبي . انظر ((المستدرک)) : ٢ / ٤٦٨ .

٣ - وقد ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - أن قرني الكيش الذي فُدي به إسماعيل ظلاً معلقين داخل الكعبة حتى احترق البيت فاحترقاً^(١) ، ويّين الحافظ أن ((هذا دليل مستقل على أنه إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - فإن قریشاً توارثوا قرني الكيش الذي فدى به إبراهيم خلفاً عن سلف وجيلاً بعد جيل إلى أن بعث الله رسوله ، صلى الله عليه وسلم))^(٢) .

فإنما توارثته قریش واحتفظت به لكون إسماعيل هو الذبيح فحرصوا عليه حفاظاً على أثر كبش فُدي به جدّهم ، وقد ذكر العلامة الألوسي أن كون إسماعيل هو الذبيح هو المشهور عند العرب قبل البعثة^(٣) .

٤ - وقد ذكر الحافظ ابن كثير - رحمه الله تعالى - عدداً كبيراً من الصحابة والتابعين ممن ذهب إلى أن الذبيح هو إسماعيل^(٤) ، وذكر الإمام السيوطي أن غالب المحدثين على هذا القول^(٥) .

بيان حال الآثار المنبئة بأن الذبيح هو إسحاق :

وهي كثيرة - أيضاً - وبعضها صحيح إلى قائلها ، وفيهم عدد من الصحابة منهم ابن عباس ؛ لأنه قدروي عنه روايتان في تسمية الذبيح لكن الأظهر عنه أن الذبيح هو إسماعيل كما أخبر الحافظ ابن كثير^(٦) .

لكن علة تلك الأقوال كلها أنها مأخوذة عن الإسرائيليات - كما بين الحافظ ابن كثير ، رحمه الله تعالى - حيث قال :

وهذه الأقوال - والله أعلم - كلها مأخوذة عن كعب الأحبار^(٧) ؛ فإنه لما أسلم في الدولة العُمَريّة جعل يحدث عمر - رضي الله عنه - عن كتبه ، فربما استمع له

١- وذلك أيام رُميت الكعبة بالمنحنيق على عهد عبد الله بن الزبير - رضي الله عنهما - انظر ((روح المعاني)) : ٢٣ / ١٣٤ .

٢- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢٧ / ٧ .

٣- ((روح المعاني)) : ٢٣ / ١٣٣ .

٤- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢٨ / ٧ ، ٢٩ .

٥- ((القول الفصيح)) : ضمن ((الحاوي للفتاوي)) : ٢ / ٣٤ .

٦- انظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٧ / ٢٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٣٠ .

٧- كعب بن مافع الجُمَيريّ ، أبو إسحاق ، المعروف بـ (كعب الأحبار) . ثقة . كان من أهل اليمن فسكن الشام ، ومات في آخر خلافة عثمان ، وقد زاد على المائة ، رحمه الله تعالى . انظر ((التقريب)) : ٤٦١ .

عمر ، رضي الله عنه ، فترخص الناس في استماع ما عنده ، ونقلوا عنه غثها^(١) وسمينها ، وليس لهذه الأمة - والله أعلم - حاجة إلى حرف واحد مما عنده^(٢) .

وقال الحافظ في موضع آخر :

((وقد ذهب جماعة من أهل العلم إلى أن الذبيح هو إسحاق ، وحُكي ذلك عن طائفة من السلف حتى نقل عن بعض الصحابة أيضاً ، وليس ذلك في كتاب ولا سنة ، وما أظن ذلك تلقى إلا عن أخبار أهل الكتاب ، وأخذ ذلك مسلماً من غير حجة ، وهذا كتاب الله شاهد ومرشد إلى أنه إسماعيل ...))^(٣) .

وقال الإمام ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة ، رحمه الله تعالى :

((إسماعيل هو الذبيح على القول الصواب عند علماء الصحابة والتابعين ومن بعدهم ، وأما القول بأنه إسحاق فباطل بأكثر من عشرين وجهاً ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية - قدس الله روحه - يقول :

هذا القول إنما هو متلقى عن أهل الكتاب ، مع أنه باطل بنص كتابهم ...))^(٤) .
وقد ساق الإمام ابن قَيِّم الجَوْزِيَّة كثيراً من الحجج والدلائل على أن الذبيح لا يصح أن يكون إسحاق ، عليه الصلاة والسلام^(٥) .

وقال العلامة الألوسي رحمه الله تعالى :

((والذي أميل أنا إليه أنه إسماعيل - عليه الصلاة والسلام - بناءً على أن ظاهر الآية يقتضيه ... ولم أتيقن صحة حديث مرفوع يقتضي خلاف ذلك ، وحال أهل الكتاب لا يخفى على ذوي الألباب))^(٦) .

١- القَت : الرديء من كل شيء : ((لسان العرب)) : غث .

٢- ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢٨ / ٧ .

٣- المصدر السابق : ٢٣ / ٧ .

٤- ((زاد المعاد)) : ٧١ / ١ .

٥- المصدر السابق : ٧١ / ١ - ٧٥ .

٦- ((روح المعاني)) : ٢٣ / ١٣٦ .

فالقول الراجح الواضح إذاً إن إسماعيل عليه الصلاة والسلام هو الذبيح .

وأنا أعجب من الحافظ السيوطي - رحمه الله تعالى - كيف توقف في مثل هذه المسألة وقد اطلع على كل تلك النصوص المنبئة بوضوح عن كون إسماعيل هو الذبيح عليه الصلاة والسلام^(١) ، وأن اليهود حسدوا العرب على ذلك ، ولكن لعله لما رأى كثرةً في القائلين بأن الذبيح هو إسحاق توقف في هذه المسألة ، والله أعلم .

تلك كانت أهم ثلاث قضايا علمية في كتاب ((معترك الأقران)) ، وبها يُختم الكلام على هذا الباب الثالث الذي خصصته للحديث عن منهج الإمام السيوطي في هذا الكتاب ، وصنيعه في تناول الإعجاز .

١- وذلك كما في رسالته ((القول الفصيح)) ، وما ساقه في ((الدر المنثور)) : ٧ / ١٠٢ - ١١٥ من آثار كثيرة في هذه المسألة .

المقارنة بين منهج السيوطي وغيره من العلماء في قضية الإعجاز

الفصل الأول : المقارنة بينه وبين العلماء السابقين عليه .

الفصل الثاني : المقارنة بينه وبين مناهج المؤلفين بعده .

الفصل الأول : المقارنة بينه وبين العلماء السابقين عليه :

وفيه مباحث :

المبحث الأول : المقارنة من حيث المنهج في التأليف

(المقارنة مع كتاب القاضي عبد الجبار : ((إعجاز القرآن)) (ص ٦٠٩ - ٦٢٠)

المبحث الثاني : المقارنة من حيث وجوه الإعجاز وحكمه

(المقارنة مع كتابي : الخطابي والزمكاني) (ص ٦٢١ - ٦٣٥)

المبحث الثالث : المقارنة من حيث الاستدلال .

(المقارنة بين ((معترك الأقران)) وأربعة كتب) (ص ٦٣٦ - ٦٥٤)

المبحث الرابع : المقارنة من حيث المصادر والمراجع .

(المقارنة بين ((معترك الأقران)) وثلاثة كتب) (ص ٦٥٥ - ٦٥٧)

تمهيد

استولى القرآن على أفئدة سلف المسلمين فأقبلوا عليه ينهلون من معينه ، وقاموا به ليلهم ، وعملوا به نهارهم .

أما علماءهم وأدباؤهم فقد وجدوا بغيتهم في هذا الكتاب العظيم الذي لاتنقضي عجائبه ، ولا تفنى كنوزه ، فأقبلت طائفة كثيرة من العلماء والأدباء على التصنيف في علوم القرآن والتنقيب عن فنونه .

وقد نال التصنيف في الإعجاز نصيباً وافراً من هذه الجهود المبشركة حيث شرعت أقلام البلغاء والعلماء تسطر إعجابها بهذا الكتاب العظيم ، وتحاول فهم سر إعجازه الذي اقترب منه كثيرون ، لكن سرَّ إعجازه - على التحقيق والقطع - يظل أعظم من أن يقف عليه أحد .

وأخذت المصنفات في الإعجاز تتوالى منذ انقضاء القرن الثاني حتى يومنا هذا ، كما بينت سابقاً^(١) .

ولقد عقدتُ الباب الثالث لبيان منهج الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - في التصنيف في هذا العلم ، فبقي أن تُعقد المقارنة بين منهجه ومنهج غيره في طرق الإعجاز حتى يكتمل بيان الجهود المباركة التي بذها العلماء لإظهار إعجاز القرآن ، ولكي تتضح الجدة التي يمكن أن يوصف بها جهد السيوطي في تصنيفه .

ثم إنه لكي تُعقد المقارنة بين منهج الإمام السيوطي ومنهجه من سبقه من العلماء ينبغي أن يلاحظ الآتي :

١- انظر ص ٧٩ وما بعدها .

أولاً : الاختلاف من حيث التأصيل :

إن أصول التصنيف في عهد الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - كانت قد استقرت وتأصلت ، وصار لها قواعدٌ تحكمها وتضبطها ، بينما لم يكن الأمر كذلك في القرون المتقدمة ، وهذا مرده إلى أن أهل القرون المتأخرة توارثوا جهود أسلافهم في التصنيف ، وكان كل مصنف - في أي علم - ينهل من مصنفات مَنْ سبقه فيجتنب عيبها ، ويسترشد بخيرها ، ويضيف في تصنيفه ذاك تجربته التي اكتسبها في دراسة وتدريس العلم الذي يصنف فيه ، فيصبح المصنف اللاحق كالدراسة النقدية للتأليف السابق .

فينبغي إذاً ملاحظة الاختلاف في التأصيل عند مقارنة المنهج في التأليف عند السيوطي وعند مَنْ تقدمه من المصنفين .

ثانياً : الاختلاف من حيث الزمن :

إن المصنفين الأوائل كانوا بين اختراع لمباحث الإعجاز بما أعملوا فيه ذهنهم ، أو جمعٍ لمتفرقات أخباره من نصوص القرآن العظيم ووقائع السيرة والتاريخ ، أو جمعٍ بين هذا وذاك ، وهذا يصنع كتبهم بصيغة علمية تأسيسية قوية ، أما المتأخرون الذين صنّفوا في الإعجاز فيندر أن تجد عند أحدهم تأسيساً جديداً كلّ الجدة في مباحث هذا العلم ، إنما غاية أحدهم حسنُ التصنيف وبراعة التقسيم وجمال العرض ، وربما مناقشة المتقدمين والترحيل بين آرائهم ثم إثبات مااختير منها ، خلا المصنفين المحدثين الذين أثرى كتبهم بحوثهم في الإعجاز العلمي والتشريعي وردُّ الشبهات الجديدة وغير ذلك .

وهذا الأمر يكاد يكون سمة كل العلوم التي صنف فيها المتأخرون وليس علم الإعجاز القرآني فقط .

فينبغي - إذاً - ملاحظة هذا الأمر عند المقارنة بين وجوه الإعجاز عند السيوطي وعند مَنْ تقدمه من المصنفين .

ثالثاً : تفاوت علم المصنفين :

سعة علم المصنف ، وشمول المادة العلمية في كتابه مختلف الجوانب الشرعية واللغوية أمران حاكمان في عقد المقارنات بين كتب المصنفين ؛ فلا يصح عقد مقارنة بين الإمام السيوطي والقاضي عبد الجبار - مثلاً - في الاستدلال بالأحاديث والآثار ؛ إذ القاضي من المعتزلة الذين تضاعل علمهم بالآثار واضمحل اهتمامهم بها على وجه السعة والإحاطة ، وهكذا الشأن عند المقارنة بين المصادر والمراجع في كتاب السيوطي وكتب من تقدمه .

رابعاً : حجم الكتاب وسعة المعلومات الواردة فيه :

لا بد من مراعاة حجم الكتابين الذي يجري عقد مقارنة بينهما ؛ فكتاب ((معترك الأقران)) الضخم الحجم لا تُعقد مقارنة بينه وبين ((الرسالة الشافية)) للجرجاني - مثلاً - إلا بعد ملاحظة صغر حجم الثانية جداً ، وملاحظة أن تكون المقارنة في مناحي متشابهة أو متقاربة في الكتابين يحسن عقد مقارنة بينهما كما بينت في الملاحظة السابقة .

فلذلك كله راعيت أن تكون المقارنة بين كتاب السيوطي وكتب غيره ممن سبقه من العلماء في جوانب مشتركة تصح فيها المقارنة ، وسيكون - تبعاً لهذا - تغير في بعض الكتب المختارة للمقارنة في كل مبحث ، وإبقاء بعضها ، فإذا لوحظ هذا الذي قدمته صحَّ البدء بمباحث هذا الفصل من غير شطط في الميزان ، ولا بنحس لمصنفات رجال هذا الشأن ؛ فإن الإمام السيوطي قد وقع على كنوز ودرر في كتب من صنفوا في الإعجاز قبله فضمنها كتابه ، وللسابقين فضل لا ينكر .

المبحث الأول

المقارنة من حيث المنهج في التأليف

كتب الإعجاز التي وصلت إلينا وعلمنا شأنها تختلف في السعة والشمول والإحاطة ، وتختلف في تناولها مباحث الإعجاز طولا وقصراً ؛ فمنها الصغير الحجم لكنه كثير الفائدة ، ومنها ماهو كبير في حجمه لكنه قليل الفائدة نسبياً ، ومنها ماهو حسن في عرضه للمباحث الإعجازية ، سلس العبارة فيها ، ومنها ماهو عكس ذلك ، وهكذا ...

وسأعقد - في هذا المبحث - مقارنة بين كتاب السيوطي ، وكتاب ((إعجاز القرآن)) للقاضي عبد الجبار ، وقد اخترت كتابه هذا للأسباب التالية :

أولاً : توسط زمن تصنيف الكتاب :

فليس هو بالمتقدم - ككتاب الرماني مثلاً - فلا تحسن المقارنة كما بينت في التمهيد ، وليس بالتأخر فتقل الفائدة من المقارنة بين مناهج متماثلة أو قريبة من التماثل ، بل هو في زمن متوسط بينهما .

ثانياً : مناسبة الكتاب لهذا المبحث :

إن أنسب مبحث لذكر كتاب القاضي وعقد المقارنة به هو هذا المبحث ؛ إذ ليس فيه كثير أدلة وآثار فيكون في مبحث ((المقارنة من حيث الاستدلال)) ، مثلاً ، ويندر فيه ذكر المصادر والمراجع فيصح إدراجه في مبحث ((المقارنة من حيث المصادر والمراجع)) ، وهكذا الشأن في باقي مباحث هذا الفصل .

ثالثاً : التقارب في حجم الكتابين :

حجم كتاب القاضي - مقارنة مع غيره من كتب الإعجاز - قريب من حجم ((معترك الأقران)) لاسيما أن معظم كتب الإعجاز هي أشبه بالرسائل منها بالكتب الكبيرة الحجم الغزيرة المباحث .

رابعاً : التجديد في ذكر كتب الإعجاز :

إذ سبق لي أن ذكرت عدداً كبيراً منها في الأبواب السابقة ، فلا أعيد ذكر ما طرقت من قبل حرصاً على أن أنظم ما استطعت من دُرر في سلك الإعجاز .

وسأذكر قبل عقد المقارنة بين الكتابين ماتضمنه كتاب ((إعجاز القرآن)) للقاضي عبد الجبار من مباحث ، وطريقة تصنيفه على وجه الاختصار ، ثم أقارن بينه وبين تصنيف السيوطي : ((معترك الأقران)) ، إن شاء الله تعالى .

إعجاز القرآن

لمؤلفه الشيخ القاضي عبد الجبار الأسد آبادي المعتزلي (ت ٤١٥)

هذا الكتاب هو الجزء السادس عشر في سلسلة كتاب ((المغني في أبواب التوحيد والعدل)) للمصنف ، وهو خاصّ بإعجاز القرآن الكريم ، ويبدو ذلك - أي أن الكتاب جزء من عدة أجزاء - واضحاً إذا نُظر في مقدمة الكتاب ، فمقدمته بدئت بـ ((فصل في صفة الخير الواقع عن الجماعة الذي يمكن أن يستدل به على صحته)) ويقصد بذلك خبر ((التواتر)) ، فليس هو إذاً كتاباً مستقلاً عما قبله تمام الاستقلال ، بل لمباحته في هذا الجزء - جزء إعجاز القرآن - نوعُ اتصال بما قبله من مباحث^(١) .

وقد قسم المصنف كتابه في الإعجاز إلى أقسام :

القسم الأول : الكلام على خبر التواتر ، وتحتة فصول^(٢) .

القسم الثاني : الكلام على النسخ ، وتحتة فصول^(٣) .

القسم الثالث : الكلام في إثبات نبوة أبي القاسم ، صلى الله عليه وسلم ، وفي إعجاز القرآن ، وضمنه أجوبة على بعض المطاعن في القرآن^(٤) .

القسم الرابع : الكلام في إثبات سائر معجزاته ، عليه الصلاة والسلام ، وتحتة فصول^(٥) .

١- قد خصّ المصنف الجزء الخامس عشر - وهو الكتاب الذي قبل هذا - بمبحث النبوات والمعجزات ، فناسب أن يكون الجزء السادس عشر في إعجاز القرآن .

٢- ((إعجاز القرآن)) : ٩ - ٤٧ .

٣- المصدر السابق : ٤٩ - ١٤٢ .

٤- المصدر السابق : ١٤٣ - ٤٠٦ .

٥- المصدر السابق : ٤٠٧ - ٤٣٣ .

أما القسم الأول - فغرض المصنف منه التمهيدُ للقسم الثالث وهو إثبات نبوة أبي القاسم ، صلى الله عليه وسلّم ، وقد بين ذلك في آخر كلامه في هذا القسم بقوله :

((وهذه الجملة هي التي يُحتاج إليها قبل إثبات نبوة نبينا - صلى الله عليه وسلم - وقد تقصيناها ، فأما الجنس الآخر من الكلام في الأخبار - وهو الذي يقتضي منها غالب الظنّ كأخبار الآحاد ، والشهادات ، وماشاكلها - فإنما يُحتاج إليه في معرفة الشرائع ، ونحن نذكره عند القول في أدلة الشرع ؛ لأن الذي يُحتاج إلى بيانه عند أول التكليف من الخاصّ وغير ذلك فقد بيناه وكشفنا القول فيه))^(١) .

وأما القسم الثاني - وهو الكلام على النسخ - فإنه قد ذكر فيه فصلاً مطوّلاً قصد فيها الردّ على اليهود فيما ادّعَوْه من امتناع ورود النسخ على الشرائع المتقدمة ، وأن موسى - عليه الصلاة والسلام - قد ورد عنه المنع من نسخ شريعته إلى آخر ادعاءاتهم .

وكان الكلام على هذا القسم ممهّداً للكلام على القسمين الذين يتلوّانه ، وفيهما إثبات نبوة أبي القاسم - صلى الله عليه وسلم - وإثبات إعجاز القرآن وسائر معجزاته ، صلى الله عليه وسلم ، لأن الشريعة الإسلامية نسخت شريعة اليهود المخرفة .

وأما القسم الثالث - وهو إثبات إعجاز القرآن - فقد مهّد له المصنف بفصول ممهّدة ؛ منها إثبات نبوة سيد الرسل ، صلى الله عليه وسلم ، ومنها بيان طريق معرفة القرآن وثبوت وروده .

ثم ذكر المصنف مراتب الكلام الفصيح .

١- ((إعجاز القرآن)) : ٤٧ .

ثمّ دلف من تلك الفصول إلى الفصل المراد وهو إثبات إعجاز القرآن ،
وصحة التحدي به ، ووجوه الإعجاز القرآني ، وختم هذا القسم بذكر جملة
من المباحث القرآنية ردّ فيها على بعض المطاعن والشبهات التي يرددها ((بعض من
قسا قلبه وعميت بصيرته)) .

وهذا الفصل هو معظم الكتاب ، ولذلك سُمي به .

وأما القسم الرابع - فقد خصّه بذكر سائر معجزات رسولنا - صلى الله عليه
وسلم - سوى القرآن ومباحث متصلةً بذلك .

أهمية كتاب القاضي عبد الجبار :

كان القاضي عبد الجبار من الأوائل الذين طرقوا الإعجاز القرآني ، ودرسوه
دراسة جادة قويّة ، مثله في ذلك مثل الرماني ، والخطابي ، والباقلاني ،
والجرجاني ؛ إذ أن هؤلاء يُعدّون المدرسة الأولى المؤسّسة لنظرية الإعجاز القرآني ،
على تباين بينهم في العطاء وقدر المساهمة في تأسيسها .

وكان زمن القاضي عبد الجبار (ت ٤١٥) متوسطاً بين أولهم وهو الرماني
(ت ٣٨٤) وآخرهم وهو الجرجاني (ت ٤٨٥) ، وقد عدّه بعض الباحثين^(١)
صاحب المدرسة الثانية في الإعجاز البلاغي بعد الرماني ، حيث استفاد من آراء
الرماني وأضاف إليها الجديد المؤسّس في كتابه ((إعجاز القرآن)) ، وأن عبد
الجبار والجرجاني معاً كان لهما الفضل في تأسيس نظرية النظم^(٢) مستفيدين من
النحو العربي في دراسة الإعجاز البلاغي في القرآن العظيم^(٣) .

١ - هو علي مهدي زيتون في كتابه ((إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي)) : ٣٨ .

٢ - النظم : المقصود به نظم الحروف لتكون كلمات ، ونظم الكلمات ، لتكون جملاً ، ونظرية النظم هي كيفية نظم
الحروف والكلمات بالاستعانة بالنحو العربي ، انظر ((دلائل الإعجاز)) : ٥٥ - ٥٦ .

٣ - ((إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي)) : ٣٩ - ٤٠ .

وكل تلك الجدة والتأسيس إنما أودعها القاضي في كتابه ((إعجاز القرآن)) ،
الذي لم يدرس بعدُ الدراسة الكافية^(١) .

ملاحظات على منهج المصنف في كتابه :

أولاً : اتباع الطريقة الكلامية :

يتضح في الكتاب طريقة المعتزلة في الحجاج والاستدلال ؛ فقد أورد المصنف
في كل فصل من فصول الكتاب - تقريباً - جميع حجج المخالفين واستدلالاتهم ،
بل إنه قد أورد ما يظنه متعلقاً لهم في حجاجهم فأورده على أنه حجة لهم ، وقام
بالرد على ذلك كله على الطريقة المطوّلة الكلامية العقلية المنطقية ، وهذه الطريقة
تورث قارئ الكتاب الملل ، وتقلل من التركيز الذهني .

فمن الأمثلة على هذا ما ذكره في فصل : ((في أن معارضة القرآن وإيراد مثله
لم تقع ، وما يتصل بذلك)) :

((قد بينا في باب الأخبار أنا قد نعلم انتفاء الشيء لفقد الخبر ، إذا كان ذلك
الشيء مما لو كان ثابتاً لوجب ظهور الخبر عنه ، ويَبَيّن أن هذه الطريقة في باب
الأخبار بمنزلتها في باب الإدراك ، فكما نعلم بفقد إدراكنا للشيء - الذي لو كان
لوجب أن يُدرك لظهوره - انتفاءه ، فكذلك نعلم بفقد الخبر ، على ما ذكرناه ،
انتفاء المخبر عنه ؛ وهذا كما نعلم أنه ليس بين بغداد وحُلوان مدينة مثل بغداد ؛
لأنه لو كان لظهر الخبر كظهور بغداد ؛ لأن الداعي إلى الخبر عنهما يتفق ... فإذا
صح ذلك فلو كان من تحداهم - صلى الله عليه - بمثل القرآن أتوا بالمعارضة
لوجب أن يُنقل على وجه يظهر كظهور نقلهم للقرآن وتحديدهم به ...

فإن قال :

إن الذي ذكرتموه - في باب الإدراك - إنما وجب لأنه كما تقرر في العقل أنه لا بد
من أن نعلم المدركات فكذلك تقرر فيه أنه لو أدرك لعلم ، فإذا لم يُعلم عَلِمْنَا أنه لم

١- درس جوانب يسيرة منه الدكتور عبد الفتاح لاشين في كتابه : ((بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار)) ،

والأستاذ علي زيتون في كتابه : ((إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي)) .

يدرك ؛ وإذا لم يُدرك علمنا أنه ليس ؛ إذ لوجاز لوجب أن يُدرك ، فلهذه
الأصول أوجبتنا نفي ما لا يدرك من الأمور الظاهرة ولم تثبت مثل ذلك في الأخبار .
قيل له :

إن الأخبار لائحة - في هذا الباب - بالمدرجات ؛ لأننا كما نعلم ذلك في المدرجات
نعلم مثله في الأمور الظاهرة التي طريقها الأخبار ، وقد بينا أن الأمر بخلافه في
الأخبار يؤدي إلى الجهالات فيها ، كما يؤدي إلى مثله في المدرجات ، ولا فرق في
صحة هذا الكلام بين أن يقال في العلم بمخير الأخبار إنه من كمال العقل ، أو أن
لا يقال ذلك فيه ؛ لأنه على الوجهين جميعاً لا يمتنع أن يكون لاحقاً به ، وإن كان
علة أحدهما غير علة الآخر ، فالعلة في المدرجات ما ذكرناه من وجوب هذه الطريقة
من جهة كمال العقل ، والعلة في الأخبار ما بيناه في الدواعي والحاجة ، وأن العادة
فيهما لا تنتقض على طريقة معروفة ، وقد كشفنا ذلك في باب الأخبار ...

بل لو قيل ...

ولنا أن نقدح بذلك في قولهم ...

فإن قال ...

قيل له ...

فإن قال قائل ...

قيل له ...))

ثم أخذ في سلوك هذه الطريقة ، وإيراد الاعتراضات والإجابة عليها
ونقضها^(١) ، وهذه الطريقة مرهقة للقارئ ، مشتتة لذهنه ، ولتسلسل فهم ما يقرؤه ،
والله أعلم .

ثانياً : غموض المعاني :

لما كان المصنف قد نهج في كتابه الطريقة الكلامية المنطقية فإن مباحث كتابه
قد تستغلغ - أحياناً - على المطلع ، وقد تغمض وتديق حتى يبدو للقارئ أنه

١- ((إحصاز القرآن)) : ٢٥٠ - ٢٦٣ .

لا يفهم ما يكتبه الشيخ ولا يعقله ، إلا إذا أدار الفكر فيه وأعمل النظر ، وتكلف الفهم .

أي أن الكتاب قد جاء بعيداً عن السلاسة والسهولة ، وإن كان الأسلوب متيناً والعبارات قوية ، فإن هذا لا يصاد ذلك ولا يناقضه .
والمثال السابق المنقول يصلح أن يُمثّل به هاهنا في بعض جوانبه .

ثالثاً : تطويل المقدمات :

قد طوّل المصنّف المقدمات التي أوردتها قبل الكلام على إعجاز القرآن ؛ حيث إنها قد حازت على ثلث حجم الكتاب - تقريباً^(١) - وكان يمكنه اختصارها إلى مادون ذلك لولا أنه التزم مذكرته في الملحظ الأول .

رابعاً : الاستطراد في الأقسام والفصول :

أورد المصنّف في كتابه فصلاً لا متعلق لها بإعجاز القرآن - في تقديره - إلا من ملحظ بعيد ؛ فمن ذلك القسم الثاني بأكمله وهو الكلام على النسخ ، وما جاء تحته من فصول ، ومن ذلك عددٌ من الفصول في كل قسم من الأقسام الثلاثة الأخرى^(٢) ، ولعلّ مادعاه إلى ذلك هو أن هذا الكتاب - كما ذكرت آنفاً - سلسلة من كتب كثيرة للمصنّف ، فاحتاج في هذا القسم - قسم إعجاز القرآن - إلى أن يصله بما قبله وبعده من سلسلة كتبه ، ولعلّ ختام كتابه هذا يوضح المراد ؛ إذ قال :

((آخر الكتاب في النبوات ، يتلوه - إن شاء الله - الكلام في بيان وجوه معرفة مراد الله - تعالى - ومراد رسوله بالخطاب))^(٣) .

١- من صفحة ٩ - ١٤٣ .

٢- انظر الصفحات : ٥٠ ، ٥١ ، ٥٨ ، ٦٢ ، ٦٥ ، ٧١ ، ٧٥ ، ٨٤ ، ٣٣٧ ، ٣٤٥ ، ٣٤٧ ، ٣٥٣ ، ٣٥٦ .

٣٥٩ ، ٣٦١ ، ٣٦٣ ، ٣٦٩ ، ٣٧٠ ، ٣٧٨ ، ٣٨٤ ، ٣٨٧ ، ٣٩٧ ، ٤٠٥ .

٣- ص ٤٣٣ .

فظهر أن هذا الكتابَ وبعضَ الكتب التي قبله قد كان موضوعها الرئيسُ هو الكلامُ في النبوات ، وإعجاز القرآن بعضٌ من هذا القصد ، وإن طوّل فيه ، والله أعلم .

بسبب الملاحظ الأربعة السابقة فإن الناظر في الكتاب إذا أراد أن يخرج برأي للمصنف في إعجاز القرآن ، أو يقع على استدلال بارز يدل على ماذهب إليه ، فإنه يتعب كثيراً ، ويحاول أمراً صعباً ، ويبدل جهداً غير يسير ليظفر بمراده ، وهذا قد يقلل من الإقبال على الكتاب ، بل يقطع الرغبة في الاستزادة من مطالعته والبحث فيه ، إلا للمتخصصين الباحثين .

ملاحظات على تقسيم الكتاب :

أما التقسيم العام للكتاب فيلاحظ عليه مايلي :

١ - افتقر إلى تقسيم جيد من حيث الفصول والمباحث المعينة على تتابع القراءة وفهمها ، فقد قسم الكتاب إلى فصول ، ثم لم يُتبع ذلك التقسيم بتقسيم أصغر يعين على تتابع القراءة ، ففي فصل : ((الدلالة على أنهم لم يعارضوه ، عليه السلام ، لتعذر المعارضة عليهم)) لم يأت المصنف فيه بأي تقاسيم ، إنما أورده بكامله - وهو فصل طويل - متتابعاً بحيث يصعب على القارئ تتبع مراد المصنف^(١) .

٢ - لم يبدأ بداية واضحة ، ولم يذكر المصنف الغرض من تصنيفه .

٣ - لم تظهر في الكتاب أهمية الموضوع ، أو من سبق المصنف إلى التصنيف في هذا الموضوع ، إلى آخر ما برع في إظهاره عددٌ من المصنفين المتأخرين على وجه الخصوص .

ولعل هذا الذي لوحظ في الملاحظتين الأخيرتين إنما كان بسبب أن الكتاب قسم من أقسام عديدة متصلة متسلسلة ، والله أعلم .

المقارنة بين ((إعجاز القرآن)) للقاضي عبد الجبار

و((معترك الأقران)) للسيوطي من حيث منهج التأليف

قد سبق ذكر منهج السيوطي في كتابه بالتفصيل في الباب الثالث السابق^(١) ، وسأكتفي هنا بعقد المقارنة بين منهجي التصنيف :

أولاً : تقسيم الكتاب :

أ - ابتدأ السيوطي كتابه ابتداءً واضحاً ، وختمه ختماً واضحاً كذلك ، ولم يكن هذا شأن القاضي في كتابه ، وقد بينت مالهله يكون سبباً لهذا ، آنفاً ، وهو كون كتاب القاضي جزءاً من سلسلة كتب متصلة متتابعة في مباحثها .

ب - كتاب القاضي ضم مباحث متنوعة مع الإعجاز ، بينما كان كتاب السيوطي - في أصل وضعه - خالصاً للإعجاز ومقتصرأ عليه ، وإن استطرد في عدّ وجوه ليست من الإعجاز ، لكن كان لأكثر ما ساقه من وجوه تعلق بالإعجاز أو بعض تعلق كما بينت سابقاً^(٢) .

١ - انظر ص ٤٢٠ وما بعدها من هذه الرسالة .

٢ - انظر ص ٤١٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

ثانياً : عرض المادة العلمية :

أ - أسلوب السيوطي واضح سهل لا يتكلف له ، ولا يحتاج القارئ لفهمه إلى كبير عناء ، بينما غمض أسلوب القاضي إلى حد بعيد حتى أنه يستغلق أحياناً ، ولعل استعماله للطريقة الكلامية قد أدى إلى هذا .

ب - أكثر القاضي من طريقة إيراد الأسئلة والأجوبة حتى يخيل للناظر في كتابه أنه اقتصر عليها ، بينما قلّ ذلك عند السيوطي .

وهذه الطريقة جيدة لإفهام السامع وتنبهه إلى مآله لا يثبته له ، لكن الإكثار منها - كما صنع القاضي - قد يُنسي القارئ الغرض الأصلي الذي سيق الكلام من أجله .

ح - ابتدأ القاضي كتابه بمقدمات ممهّدة طالت وتشعبت بينما ولج السيوطي إلى مراده من أول كتابه .

د - اشترك المصنفان في إيراد مالا متعلق له بالإعجاز ، وإن كان السيوطي قد فاق القاضي في هذا طولاً وتشعباً ، كما بينت في موضع سابق^(١) .

هـ - لئن السيوطي كتابه بذكر كثير من المواعظ والقصص والأخبار المشوّقة بينما لم يفعل ذلك القاضي ، ولعل لمنهج المعتزلة - القائم على تقديم الأمور العلمية العقلية دائماً - أثراً في عدم إيراد القصص والمواعظ .

١ - انظر ص ٤١٤ وما بعدها .

و - شمل كتاب السيوطي علوماً ومعارف كثيرة ، بينما لم يكن كتاب القاضي على هذا الشمول والسعة في تناول العلوم والمعارف واستخدامها ، ولعل مرّة ذلك إلى أن زمن التصنيف في أواخر القرن الرابع وأوائل الخامس لم يعهد مثل هذا التصنيف الشامل المبسوط ، الذي صُبغت به مصنفات القرون المتأخرة .

ز - اشترك المصنفان في الإطناب في كثير من المباحث التي أورداها وإن كان للقاضي نصيبٌ أكبر في ذلك ، حيث جاءت أكثر مباحثه مطنبةً ، بينما جاءت بعض أوجه الإعجاز عند السيوطي موجزة غاية الإيجاز ^(١) .

١ - وذلك نحو الوجه الثامن عشر : ((معترك الأقران)) : ١ / ٢٣٩ ، والوجه التاسع عشر : ١ / ٢٤٠ ، والوجه العشرين : ١ / ٢٤٢ .

المبحث الثاني

المقارنة من حيث وجوه الإعجاز

اختلفت أنظار العلماء - رحمهم الله تعالى - في تحديد أوجه الإعجاز القرآني ، فبعضهم جعله وجهاً واحداً لاغير وهو عجيب نظمه وبديع تأليفه ، وماهو عليه من المنزلة البلاغية العليا ، ومنهم من نوع أوجه الإعجاز وعددها ، ومنهم من أوصلها إلى عدد كبير كما فعل الإمام السيوطي في ((معترك الأقران)) .

وليس فيما فعلوه إشكالٌ ؛ إذ ((كل ما ذكره العلماء من الوجوه في إعجاز القرآن هو حجة على إعجازه ، ولاتناقض في ذلك ؛ بل كل قوم تنبهوا لما تنبهوا له))^(١) .

وإنما اختلفت وجهات النظر في الإعجاز لأن تحديده على حقيقته أمر صعب ، فقد قال السكاكي متحدثاً عن الإعجاز البلاغي : ((ولها - أعني البلاغة - طرفان : أعلى وأسفل ، وبينهما مراتب تكاد تفوت الحصر ، متفاوتة ، فمن الأسفل تبتدئ البلاغة - وهو القدر الذي إذا نقص منه شيء التحق ذلك الكلام بما شبهناه به في صدر الكتاب من أصوات الحيوانات - ثم تأخذ في التزايد متصاعدة إلى أن تبلغ حداً لإعجازٍ عجيب يُدرك ولا يمكن وصفه ؛ كاستقامة الوزن : تدرك ولا يمكن وصفها ، وكالملاحاة .

ومُدرك الإعجاز عندي هو الذوق ليس إلا ، وطريق اكتساب الذوق طول خدمة هذين العُلمين^(٢) .

١ - ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)) : ٥ / ٤٢٩ .

٢ - قد جاء في ((البرهان)) للزركشي : ٢ / ١٠٠ توضيحٌ لهذين العُلمين ، وهما : المعاني والبيان .

نعم للبلاغة وجوه ملتزمة^(١) ربما تيسرت إماطة اللثام عنها لتجلى عليك ، أما نفس وجه الإعجاز فلا^(٢) .

وقال أبوحيان التوحيدي :

((لم أسمع كلاماً أُلصقَ بالقلب ، وأُعلقَ بالنفس من فصل تكلم به بُندار بن الحسين الفارسي^(٣) - وكان بحراً في العلم - وقد سُئل عن موضع الإعجاز من القرآن فقال :

هذه مسألة فيها حَيْفٌ^(٤) على المفتي ، وذلك أنه شبيهه بقولك : ماموضع الإنسان من الإنسان ؟ فليس للإنسان موضعٌ من الإنسان ، بل متى أُشرتَ إلى جُمْلته حَقَّقته ودلت على ذاته ، كذلك القرآن لشرفه لا يُشار إلى شيء منه إلا وكان ذلك المعنى آية في نفسه ، ومعجزةً لمحاوله ، وهدىً لقائله ، وليس في طاقة البشر الإحاطةُ بأغراض الله في كلامه وأسراره في كتابه ، فلذلك حارت العقول وتاهت البصائر عنده))^(٥) .

فهذان النقلان يدلان على صعوبة تحديد الإعجاز ، والوقوف على حقيقته .

وقد ذكر الأستاذ عبد الكريم الخطيب كلاماً علل به اختلاف العلماء في بيان وجوه الإعجاز فقال مفسراً ذلك :

((ليس مما يواجه النظر ، أو يقع في محاله ، وإنما هو يُستشعر بالقلب استشعاراً ، ويُلمح بالبصرة لمحاً .

١- كذا وردت ، لكن لعلها : ملتمة ، إذ السياق يساعد على هذا المعنى .

٢- ((مفتاح العلوم)) : ٤١٥ - ٤١٦ .

٣- بُندار بن الحسين الشيرازي ، القدوة ، شيخ الصوفية . كان ذا أموال فأنفقها وترهد ، وله معرفة بالكلام والنظر والأصول . وله حكم منثورة ومنظومة . توفي سنة ثلاث وخمسين وثلاثمائة . انظر ((سير أعلام النبلاء)) :

١٦ / ١٠٨ - ١٠٩ .

٤- الحَيْفُ : اللَّيْلُ في الحكم ، والجَوْرُ والظلم : ((لسان العرب)) : ح ي ف .

٥- ((البرهان في علوم القرآن)) : ٢ / ١٠٠ .

هذا هو سبب الخلاف بين الناظرين في إعجاز القرآن ، اختلفوا في سلامة الأجهزة التي يتعاطون بها النظر إلى القرآن ، فاختلفت مُعطيات القرآن لهم، وبهذا اختلفت مقولاتهم فيه ، وهذا - في رأينا - أصدق نظر يُنظر به إلى الإعجاز من حيث إنه أمر لا يخضع لمقاييس العلم^(١) ، وإنما هو مما يستجيب لمناجاة الروح ولحاث البصيرة ، أما الإعجاز ذاته^(٢) فلا خلاف فيه، إذ كان أمره أوضح من أن يخفى منه شيء على ناظر ينظر إليه من أي اتجاه كان^(٣) .

هذا وقد ناقشت وجوه الإعجاز التي ساقها الإمام السيوطي بالتفصيل^(٤) ، وإنما أتخير لعقد المقارنة بين كتابه وكتب غيره كتابين :

١ - كتاب ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطابي (ت ٣٨٨) .

٢ - كتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) للشيخ كمال الدين الزمكاني (ت ٦٥١) .

وقد اخترت هذين الكتابين لما فيهما من جدّة في عرض وجوه الإعجاز ، ولما قصدت إليه ووضحته آنفاً من رغبتني في جمع أكبر عدد ممكن من كتب الإعجاز والحديث عنها في هذه الرسالة ، خدمةً لهذا الضرب من علوم القرآن الكريم .
وسأتحدث عن مقارنة هذين الكتابين على الترتيب :

١- لا يُسلم أن الإعجاز لا يخضع لمقاييس العلم مطلقاً ؛ بل فيه جانب علمي ، وفيه جانب إيماني ، وفيه جانب ذوقي ؛ فالجانب العلمي في دراسة الإعجاز هو ما يحتاج لفهمه من دراسات بلاغية ولغوية وتشريعية وعلمية مادية .

والجانب الإيماني في فهم الإعجاز يرجع إلى سلامة الفطرة ونقاها ، وإلى التوفيق الإلهي ؛ إذ الكفار قديماً وحديثاً لم يهتدوا لإعجاز القرآن مع أنه أوضح من أن يُستدلّ عليه .

والجانب الذوقي في فهم الإعجاز هو سلامة الحسّ ، ودقّة الشعور ، وقوّة البصيرة . فمن حصل له هذه الجوانب كلها فقد فهم الإعجاز وعرفه على وجهه ، والله أعلم .

٢- أي بدون تحديد وجه الإعجاز فيه بل المقصود استشعار الإعجاز .

٣- ((الإعجاز في دراسات السابقين)) : ١٨٢ - ١٨٣ .

٤- انظر الفصل الأول من الباب الثالث : ص ٣٣٨ وما بعدها .

كتاب ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطابي (٣١٩ - ٣٨٨)^(١) .

هو أول مصنف في الإعجاز يصنفه إمام من أهل السنة - فيما أعلم -
والكتاب رسالة مختصرة أجزأها مصنفها وذكر فيها عدداً من أوجه ارتضى منها
اثنين ورد ماسواهما :

أما اللذان ارتضاهما فهما :

الإعجاز بالفصاحة والبلاغة والنظم والإعجاز التأثري .

١ - الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم :

قال رحمه الله تعالى :

((القرآن صار معجزاً لأنه جاء بأفصح الألفاظ في أحسن نظوم التأليف ، متضمناً
أصح المعاني ، من توحيد له - عزّت قدرته - وتنزيه له في صفاته ، ودعاء إلى
طاعته ...))^(٢) .

قد جمع الخطابي في هذا الوجه بين الفصاحة والنظم والبلاغة ، أما الفصاحة
والنظم فقد نصّ عليهما ، وأما البلاغة ففي قوله : ((متضمناً أصح المعاني ...))
إشارة إليها ؛ إذ البلاغة متعلقة تعلقاً كبيراً بالمعاني .

وهذا الوجه الذي جاء به يكاد يكون مجمعاً عليه عند كل من تكلم في
الإعجاز .

وقد قرر أحد المعاصرين^(٣) أن الخطابي يرى أن البلاغة ليست جهة إعجاز ،
والخطابي لم يقل بهذا على إطلاقه ، لكنه عدّ البلاغة جهة إعجاز مؤلفة مع غيرها
وليست مستقلة بنفسها ، وإنما صنع ذلك لأنه رأى أن عامة من جعل البلاغة

١- الكتاب مطبوع ضمن مجموع يحوي ثلاثة كتب في الإعجاز ، وحققه محمد خلف الله ، والدكتور محمد زغلول
سلام ، نشر دار المعارف ، القاهرة .

٢- ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٧ .

٣- هو الدكتور عبد الفتاح لاشين في كتابه ((بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار)) : ٤٤٦ - ٤٤٧ .

وحدها وجهاً للإعجاز ((قد جرّوا في تسليم هذه الصفة للقرآن على نوع من التقليد ، وضرب من غلبة الظن ، دون التحقيق له وإحاطة العلم به ، ولذلك صاروا إذا سئلوا عن تحديد هذه البلاغة التي اختصّ بها القرآن ، الفائقة في وصفها سائر البلاغات ، وعن المعنى الذي يتميز به عن سائر أنواع الكلام الموصوف بالبلاغة قالوا : إنه لا يمكننا تصويره ولا تحديده بأمر ظاهر نعلم به مباينة القرآن غيره من الكلام ، وإنما يعرفه العالمون به عند سماعه ضرباً من المعرفة لا يمكن تحديده ... (١)

قالوا : وقد توجد لبعض الكلام عذوبة في السمع وهشاشة في النفس لا توجد مثله لغيره منه ، والكلامان معاً فصيحان ثم لا يوقف لشيء من ذلك على علة .

قلت : وهذا لا يقع في مثل هذا العلم ، ولا يشفي من داء الجهل به ، وإنما هو إشكال أُحيلَ به على إبهام (((٢).

فهل في كلام الخطّابي ما يفهم منه أنه يرى أن البلاغة ليست وجهاً من أوجه الإعجاز ؟

إنما غاية ما يفهم منه - والعلم عند الله تعالى - أن الذين ذكروا البلاغة قد جاء تعريفهم لها قاصراً ، أو أنهم لم يحسنوا تعريفها .

لكني لا أوافق الخطّابي على أن عدم استطاعة التعبير عن الإعجاز إنما هو ((إشكال أُحيلَ به على إبهام)) ، بل لعل عدم استطاعة إدراك موطن الجمال في الشيء تكون إدراكاً كاملاً له ، والله أعلم .

١ - لعل هذا هو ما يعرف بالذوق ، أي أن إعجاز القرآن يُذوق لكنه لا يُستطاع تعقيده ؛ كما مر في كلام بنّادار الفارسي قرياً .

٢ - ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٤ - ٢٥ .

٢ - الإعجاز التأثري :

وهو الوجه الآخر من وجهي الإعجاز اللذين ارتضاهما : الإمام الخطابي ، رحمه الله تعالى .

وهذا الوجه قد تفرد الخطابي به وسبق غيره إلى تقريره ، وإنما ارتضاه وجهاً من أوجه الإعجاز لـ ((صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس ، فإنك لاتسمع كلاماً غير القرآن - منظوماً ولا منثوراً - إذا قرع السمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة في أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ...))^(١) .

ثم ذكر أمثلة من عصر النبوة تؤيد ماذهب إليه وارتآه .

أما الأوجه التي ردّها فهي :

١ - الصَّرفَة :

وقد ردّها بدلالة قوله تعالى :

﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(٢) .

حيث أشار الله تعالى فيها إلى ((أمر طريقه التكلف والاجتهاد ، وسبيله التأهب والاحتشاد ، والمعنى في (الصَّرفَة) التي وصفوها لا يلائم هذه الصفة ، فدل على أن المراد غيرها ، والله أعلم))^(٣) .

١ - المصدر السابق : ٧٠ .

٢ - سورة الإسراء : آية ٨٨ .

٣ - ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٢ - ٢٣ ، وانظر الرد على (الصرفة) مفصلاً في ص ٩٢ وما بعدها .

٢ - الإعجاز بأخبار الغيب :

حيث قال فيه بعد أن أورد آيتين من الآيات المنبئة عن أخبار الغيب المستقبل :

((وَلَا يُشْكُ فِي أَنْ هَذَا وَمَا أَشْبَهَهُ مِنْ أَخْبَارِهِ نَوْعٍ مِنْ أَنْوَاعِ إِعْجَازِهِ ، وَلَكِنَّهُ لَيْسَ بِالْأَمْرِ الْعَامِ الْمَوْجُودِ فِي كُلِّ سُورَةٍ مِنْ سُورِ الْقُرْآنِ ، وَقَدْ جَعَلَ سُبْحَانَهُ فِي صِفَةِ كُلِّ سُورَةٍ أَنْ تَكُونَ مُعْجَزَةً بِنَفْسِهَا لَا يَقْدِرُ أَحَدٌ مِنَ الْخَلْقِ أَنْ يَأْتِيَ بِمِثْلِهَا فَقَالَ :

﴿ فَأَتُوا سُورَةَ مِّنْ مِّثْلِهِ ، وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ ^(١) من غير تعيين ^(٢) ، فدلّ على أن المعنى فيه غير ما ذهبوا إليه ^(٣) .

وكلامه في هذا الوجه جيد لكن رده للإعجاز بأخبار الغيب بالسبب الذي ذكره لا ينبغي ؛ إذ يصح أن يقال إن الإعجاز بأخبار الغيب ثابت في القرآن العظيم لكنه نوع من الإعجاز الجزئي الذي لا يضره عدم انتشاره في كل آيات القرآن ، وقد نصّ الخطابي على ذلك - كما في النقل السابق عنه - ثم إنه لم يرتضه ، وقد بينت ذلك سابقاً ^(٤) .

ثم إن الخطابي - رحمه الله تعالى - قصر الكلام على الإعجاز بأخبار الغيب على نوع منه وهو الغيب المستقبل ، لكن لو عمم بإدخال الغيب الماضي والحاضر لكان للمسألة وجه آخر ؛ إذ الغيب الماضي والحاضر منتشر في القرآن انتشاراً عظيماً .

١ - سورة البقرة : آية ٢٣ .

٢ - أي من غير تعيين سورة ، بل كلّ سورة فيها إعجاز وهذا ما لا يتوفر في القول بالإعجاز بأخبار الغيب ؛ إذ ليس هو في كلّ سورة .

٣ - ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٣ - ٢٤ .

٤ - انظر ص ١٣٦ وما بعدها من هذه الرسالة .

٣ - الإعجاز بالبلاغة :

وهذا هو الوجه الثالث الذي الثالث رده ، وإنما رد الخطابي الإعجاز البلاغي إذا اقتصر عليه دون الفصاحة والنظم^(١) ، وقد بينت مراده آنفاً^(٢) .

المقارنة بين الكتابين : ((بيان إعجاز القرآن)) و ((معترك الأقران)) في أوجه الإعجاز :

١ - الوجهان اللذان ارتضاهما الخطابي وقررهما يظهر فيهما الجدة والتأصيل ؛ إذ هو سابق إلى التصنيف في الإعجاز ومن أوائل من تكلم في وجوهه ، بينما نقل السيوطي - بحكم تأخر زمانه - كثيراً من أوجه الإعجاز من سبقه .

٢ - نقد الخطابي وجوه الإعجاز التي ساقها ، وبين مافيهما ، بينما لم يكن النقد عند السيوطي واضحاً أو بارزاً ، بل أستطيع القول بأن السيوطي اكتفى بنقل أو تأسيس ماساقه من أوجه بدون نقد أو مناقشة .

٣ - رد الخطابي بعض الأوجه التي قيل فيها إنها أوجه إعجاز ، بينما لم ينقل السيوطي شيئاً مما أورده على أنه من وجوه الإعجاز ، ولم يتكلم على وجه اتفاق العلماء على رده وهو (الصرفة) إلا في سياق نقله عن الأصبهاني^(٣) من تفسيره^(٤) .

١- انظر ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٤ - ٢٧ .

٢- انظر ص ٦٢٤-٦٢٥ .

٣- لم أعرف الأصبهاني هذا لعدم ورود ما يعينه في ((المعترك)) ولكنة من لقبوا بهذا اللقب ، لكن رجح الدكتور عمر الساريسي أن السيوطي استعان في ((الإتقان)) بتفسير الراغب الأصبهاني ، انظر ((الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب)) : ٧٢ ، وكثير من المواضع التي استشهد فيها السيوطي بتفسيره الأصبهاني في ((الإتقان)) هي بعينها في ((المعترك)) .

٤- انظر ((معترك الأقران)) : ١ / ٤ .

٤ - قرر الخطّابيُّ أوجه الإعجاز - ما ارتضاه منها وماردّه - في صفحات معدودة ،
وسياق سيّال لم ينقطع أو يتشوش ، بينما قرر السيوطيُّ أوجه الإعجاز في صفحات
كثيرة ، وكلام طويل ، قد ينسي آخره أوّلّه .

ثانياً : كتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) للشيخ كمال الدين الزمّلكاني^(١) :

هذا كتاب متوسط الحجم في مجلد واحد ، بدأ فيه مصنفه بمقدمة ، ثم قسمه إلى أقسام ، وجعل القسم الأول منه في بيان إعجاز القرآن ، وأوجزه غاية الإيجاز ، وجعل باقي أقسام الكتاب خاصة بمباحث البلاغة وغيرها من فنون الأدب .

وقد ذكر ثمانية أوجه للإعجاز^(٢) ، ستة منها على طريقة السبر والتقسيم^(٣) ، وآخران ليسا كذلك ، والأوجه التي ذكرها هي :

١ - الصّرفة :

وقد ذكرها في الأوجه الستة التي جاءت على طريقة السبر والتقسيم ، لكنه توسع في ذكرها وردّها توسعاً نسبياً في صدر الحديث عن أوجه الإعجاز .
وقد ردّ (الصّرفة) بالآتي :

أ - لم يرد عن العرب أنهم تعجبوا من حالهم إزاء القرآن حيث إنه مما يقدررون على مثله لكنهم لا يجدون في أنفسهم الرغبة في معارضته^(٤) ، كما هو لازم القول بـ (الصّرفة) .

ب - لم يرد عن العرب أنهم عارضوا القرآن بكلامهم الفصيح الذي قالوه قبل حدوث (الصّرفة)^(٥) بزعمهم .

١- حققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة خديجة الحديدي ، وطبع في بغداد سنة ١٣٩٤هـ .

٢- الأوجه الثمانية هي : الصّرفة ، وهي مذكورة في هذه الصفحة ، وستة أوجه مذكورة في الصفحة القادمة ، ووجه ثامن مذكور في صفحة ٦٣٤ .

٣- قد مر تعريف السبر والتقسيم ، انظر ص ٣٩٠ .

٤- ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : ٥٣ .

٥- المصدر السابق .

ج - ((سلب قُدرهم يجريهم مجرى الموتى فلا يجدي اجتماعهم قوةً وظهوراً على المعارضة ، وهو مخالف لقوله تعالى :
﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ ﴾^(١)))^(٢) .

وقد بسطت الكلام على الردود على مذهب (الصِّرفة) سابقاً^(٣) .

٢ - ثم إنه لما أثبت بطلان مذهب (الصِّرفة) ، وبطلان كون القرآن معجزاً لأمر خارج عنه ، لما أثبت بطلان ذلك شرع في ذكر الأوجه التي يمكن أن يثبت بها إعجاز القرآن الذاتي ، فذكر ستة أوجه للإعجاز على طريقة السبر والتقسيم ، ارتضى منها واحداً ورد الباقي ، وهذه الأوجه هي المذكورة بقوله :

١ - ((إعجازه إما من جهة ذوات الكلم .

٢ - أو عوارضه من الحركات .

٣ - أو مدلوله .

٤ - أو المجموع .

٥ - أو التأليف .

٦ - أو أمر خارج عن ذلك^(٤) .

١ - سورة الإسراء : آية ٨٨ .

٢ - ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : ٥٤ .

٣ - انظر ص ٩٢ وما بعدها .

٤ - ((البرهان)) : ٥٤ .

ومرادده بـ (العوارض من الحركات) هو ما يعرض للكلمة من ضروب الحركات التي تغير المعنى مثل : (أَسَد) و (أُسَد) .

والمقصود بـ (المدلول) هو المعنى الذي يدل عليه اللفظ ، بحيث يصير القرآن معجزاً من جهة لفظه ، ومعجزاً من جهة معناه أيضاً ، أي أن قوالبه اللفظية البالغة غاية الفصاحة والبيان تحمل - أيضاً - أشرف المعاني وأجل المدلولات .

ومرادده بـ (الأمر الخارج عن ذلك) هو (الصَّرْفَة) ؛ أي أن القرآن غير معجز في ذاته بل بأمر خارجي عنه عاق البشر عن الإتيان بمثله ، وذلك هو (الصَّرْفَة) ، وقد بسطت القول عليها سابقاً^(١) .

هذه هي الأوجه الستة للإعجاز التي أوردتها ، ثم إنه أجمل نقد ما أورده منها بقوله :

((الأول والثاني باطلان ؛ إذ صغير العرب يمكنه ذلك)) .

والمصنف إن عني بذوات الكلم - وهي الوجه الأول الذي ردّه من الإعجاز - الكلمات القرآنية بدون اعتبار فصاحتها ، أي الألفاظ المفردة مثل (الصلاة) و (الزكاة) فردّه لهذا الوجه صحيح ، أما إن اعتبر فصاحتها فردّه لهذا الوجه مردود ؛ لأن الفصاحة - ومدارها على خلوّ الكلام من التعقيد وسلاسته وجمال ألفاظه - تتفاوت في كلام البشر أنفسهم فكيف بكلامهم وكلام الله تعالى ؟

أما الوجه الثاني الذي ردّه وهو عوارض الحركات التي تتاب الكلمات ؛ أي ما يعرض للكلمة من ضروب الحركات التي تغير المعنى ، فردّه له صحيح .

١ - انظر ص ٩٢ وما بعدها من هذه الرسالة .

ثم ردّ الوجه الثالث - وهو المدلول - بقوله :

((وأما المدلول فليس صنيعَ البشر ، ولا يقدرّون على إظهار المعاني من غير ما يدل عليها))^(١) ، أي من غير ما يدل عليها من الألفاظ . كأنه يعني ، والله أعلم ؛ أن المدلول وحده - وهو المعاني - لا يصح أن يكون جهةً إعجاز بمفرده ؛ لأنه لا يظهر إلا بالألفاظ الدالة عليه والمبرزة له ، فلو كانت الألفاظ غير فصيحة لما ظهرت قوة المعاني ، فالألفاظ الحسنة الفصيحة دالة على المعاني القوية الشريفة .

أو أنه يعني أن المدلول - وهو المعاني - لا يُستطاع التعبير عنه إلا بالألفاظ ، وكأنه يشير إلى اللغة اتوقيفية هي أم اصطلاحية ، فهو يذهب إلى أن اللغة توقيفية ، وأن الدالّ والمدلول فيها هو من عند الله - تعالى - وليس من صنيع البشر ، فلما كانت اللغة كذلك كان القول بالإعجاز بالمدلول فقط وترك الألفاظ الدالة عليه قولاً متروكاً عند المصنف .

هذا مقدار مافهمته من كلامه ، والله أعلم .

ثم ردّ الوجه الرابع - وهو الإعجاز بمجموع ماسبق - بقوله : ((وأما المجموع فالكلام عليه كالكلام على ماسبق))^(٢) ، أي كما أن أفراد ماسبق مردودة عنده فكذلك مجموعها مردود .

ثم رد الوجه الخامس - وهو (الصرّفة) - بقوله :

((وأما الخارجي فباطل - إلا على رأي النظام ، وقد عُرف))^(٣) ، أي عُرف مافيه من فساد .

١ - ((البرهان الكاشف)) : ٥٤ .

٢ - المصدر السابق .

٣ - المصدر السابق .

ثم إنه يبين الوجه الذي ارتضاه - وهو ((التأليف)) - بقوله :
((فتعين أن يكون الإعجاز نشأ من التأليف الخاص به لا مطلق التأليف ؛
وذلك بأن اعتدلت مفرداته تركيباً وزناً ، وعلت مركباته معنى))^(١) .

وقوله : ((اعتدلت مفرداته تركيباً)) هو النظم .
وقوله : ((زنة)) فيه إشارة إلى الفصاحة .
وقوله : ((علت مركباته معنى)) : إشارة إلى البلاغة ، والمضمون المتمثل في المعاني
القرآنية .

وهذا الوجه الذي ارتضاه هو الذي أطبق عليه جماهير السلف والخلف .

٨ - ثم ذكر الوجه الثامن للإعجاز على هيئة سؤال وجواب فقال :

((فإن قلت : لم لا يجوز أن يكون إعجازه نشأ من جهة مافيه من الأنباء السابقة
واللاحقة ؟))^(٢) ثم ردّ هذا الوجه بأنه ((ليس الإعجاز منحصرأ في ذلك))^(٣) .

أي أن الإعجاز القرآني أعم من كونه منحصرأ في الإعجاز بأخبار الغيب ؛ إذ
الإعجاز منتشر في آيات وسور القرآن ، بينما أخبار الغيب ليست كذلك .

فكأنه - والله أعلم - يرد هذا الوجه إذا قيل بتفرده بالإعجاز ، أما إن ذكر
وجهأ من وجوه الإعجاز فإني لأجد من كلامه رفضأ أو قبولأ له ، حيث إنه قال :
((قد ذهب إلى هذا المذهب قوم ، لكن ليس الإعجاز منحصرأ في ذلك بل نظمته
المخصوص معجز ... وليس في كل سورة إخبار بالغيب))^(٤) .

١- المصدر السابق .

٢- المصدر السابق : ٥٥ .

٣- المصدر السابق .

٤- المصدر السابق : ٥٥ - ٥٦ .

المقارنة بين وجوه الإعجاز

في كتابي ((معترك الأقران)) و ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن))

١ - جاءت وجوه الإعجاز في ((معترك الأقران)) مستغرقةً للكتاب كله ، بينما طُرقت في ((البرهان الكاشف)) طرقاً خفيفاً في صفحات معدودات أول الكتاب .

٢ - لم يقرر الزمّلكانيّ وجوه الإعجاز حقّ التقرير ، ولم يُفصلّها إنّما جاء بها مسرودةً مختصرة ، حتى إن كلامه كان محتاجاً إلى شرح وبيان لما لعله ينبهم على القارئ ، بينما توسع السيوطي في تقرير معظم أوجه الإعجاز التي ساقها توسعاً كبيراً ، ووضحها غاية الإيضاح .

٣ - جاء الكلام على أوجه الإعجاز في كتاب ((البرهان الكاشف)) كالتمهيد لمباحث البيان التي استغرقت معظم الكتاب ، بينما ضمّن السيوطي كلّ ما يريد الحديث عنه في أوجه الإعجاز التي ساقها .

٤ - اقتصر الزمّلكانيّ على ذكر جزء من أوجه الإعجاز فلم يستغرق كل ما قيل في الإعجاز عند المصنفين فيه قبله ، بينما كان غرض السيوطي الإحاطة بكلّ أوجه الإعجاز التي ذكرها من قبله .

٥ - قد نقد الزمّلكاني عدداً من أوجه الإعجاز التي لم يرتضها نقداً خفيفاً وبين مافيهها بياناً مجملأً ، بينما قبّل السيوطي كلّ الأوجه التي ساقها في ((معترك الأقران)) ، بل ذكر أنه سيورد أوجهاً ليست من الإعجاز ، وقد خلا كتاب السيوطي من نقد أوجه الإعجاز كما بينت من قبل^(١) ، فكان من جرّاء ذلك أن الزمّلكاني قد خرج برأي اعتمده في وجه الإعجاز المختار ، بينما لم يصنع ذلك الإمام السيوطي ، ولم يظهر في كتابه رأيه المختار في الإعجاز ولا مذهبه فيه^(٢) .

١ - انظر ص ٢٩٣ ، ٣٢١ ، ٤١٤ .

٢ - انظر ص ٤١٤ من هذه الرسالة .

المبحث الثالث

المقارنة من حيث الاستدلال

تمهيد :

اعتمد المصنفون في الإعجاز اعتماداً كبيراً على آيات الكتاب العزيز ، وجعلوا منها أدلة وشواهد لما أوردوه من قواعد بلاغية دالة على إعجاز القرآن العظيم ، وتكاد تستوي كتب الإعجاز في الإكثار من إيراد الأدلة من الكتاب الكريم .

أما الحديث النبوي الشريف والآثار عن الصحابة والتابعين فلم يكثر قدماء المصنفين في الإعجاز من إيرادها ، وبعضهم لم يورد أي أثر أو حديث كما صنع الرماني ؛ وذلك لأن الكلام منصب على إعجاز القرآن وليس على مطلق الأساليب العربية .

وسأورد عدداً من الكتب التي صُنفت في الإعجاز فأبين ماجاء فيها من الاستدلال بآيات القرآن الكريم ، ثم ماأوردته مصنفوها من الأحاديث والآثار ، وبيان طريقة إيرادهم لها ، وأعني بهذا بيان تخريجهم لتلك الأحاديث ، وحكمهم عليها أو إغفالهم لها .

وهذه الكتب التي سأوردها هي : ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطابي (ت ٣٨٨) ، وكتاب ((إعجاز القرآن)) للإمام الباقلاني (ت ٤٠٣) ، وكتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) للإمام الزمكاني (ت ٦٥١) وكتاب ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى العلوي (ت ٧٤٥) .

فهذه أربعة كتب أسوقها للمقارنة بينها وبين كتاب ((معترك الأقران)) في مبحث الاستدلال بالآيات والأحاديث والآثار :

أولاً : ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطّابي :

أ - أدلته من القرآن :

قد كثر الاستدلال بآيات القرآن العظيم في كتاب الإمام الخطّابي ، وهذا الاستدلال - عنده - ينقسم إلى ثلاثة أقسام :

١ - استدلال غرضي استشهادي لوجوه الإعجاز : قبولاً ورداً ، كقوله : ((وذهب قوم إلى أن العلة في إعجازه (الصّرفة) ، أي صرّفُ الهمم عن المعارضة وإن كانت مقدوراً عليها ، وغير مُعجّزة عنها ، إلا أن العائق من حيث كان أمراً خارجاً عن مجاري العادات صار كسائر المعجزات ...)) .

ثم إنه استدل - للرد على هذا المذهب - بقوله تعالى : ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُوا بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيراً ﴾^(١) .

٢ - استدلال غرضي كشرح معنى لغويّ مثلاً ، وذلك نحو قوله : ((وأما قولك (بلى) و (نعم) ، فإن (بلى) جواب عن الاستفهام بحرف النفي ؛ كقول القائل : ألم تفعل كذا ، فيقول صاحبه : بلى ، كقوله - عز وجل - : ﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَى ﴾^(٢) .
وأما (نعم) فهو جواب عن الاستفهام^(٣) ، نحو : هل ، كقوله سبحانه : ﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ ﴾^(٤)))^(٥) .

١ - سورة الإسراء : آية ٨٨ . وانظر ((بيان إعجاز القرآن)) : ٢٢ - ٢٣ .

٢ - سورة الأعراف : آية ١٧٢ .

٣ - أي الاستفهام غير المنفي .

٤ - سورة الأعراف : آية ٤٤ .

٥ - ((بيان إعجاز القرآن)) : ٣١ .

٣ - الاستدلال بين الغرض والعرض ، فليس هو غرضاً مجرداً ولا عرضاً مجرداً ، وذلك مثل استدلاله في موضوع رد شبهات على بلاغة القرآن ، نحو قوله : ((وأما ما عابوه من التكرار ؛ فإن تكرار الكلام على ضربين : أحدهما مذموم وهو ما كان مستغنى عنه ، غير مستفاد به زيادة معنى لم يستفيدوه بالكلام الأول ؛ لأنه حينئذ يكون فضلاً من الكلام ولغواً ، وليس في القرآن شيء من هذا النوع .

والضرب الآخر ما كان بخلاف هذه الصفة ؛ فإن ترك التكرار في الموضع الذي يقتضيه ، وتدعو الحاجة إليه فيه بإزاء^(١) تكلف الزيادة في وقت الحاجة إلى الحذف والاختصار ... وقد أخبر الله - عز وجل - بالسبب الذي من أجله كرر الأقاويص والأخبار في القرآن فقال سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾^(٢) . وقال تعالى : ﴿ وَصَرَّفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾^(٣) . ثم شرع في تبيان الفائدة من الآيات التي قيل إنها من التكرار المختص^(٤) .

ب - أدلته من الأحاديث والآثار :

أورد الخطابي - رحمه الله تعالى - في كتابه ثلاثة^(٥) أحاديث وسبعة آثار^(٦) . روى حديثين وأربعة آثار منها بسنده المتصل ، وأغفل ذكر السند في الباقي من الأحاديث والآثار . هذا وإنه لم يعزُ أيّاً منها إلى كتب الحديث ، ولم يحكم على أيّ منها ، وهذا من الخطابي عجيب ؛ إذ أنه من أئمة رجال الحديث المعروفين .

١- هذا هو خير إن .

٢- سورة القصص : آية ٥١ .

٣- سورة طه : آية ١١٣ .

٤- ((بيان إعجاز القرآن)) : ٥٢ - ٥٣ .

٥- انظر الصفحات : ٣٣ ، ٣٤ ، ٤١ .

٦- انظر الصفحات : ٣٠ ، ٣٢ ، ٣٦ ، ٥٦ .

وقد أورد الأحاديث والآثار عرضاً في كتابه ؛ إذ لم يقرر بها الإعجاز، ولم يوردها استشهداً في موضوعه ، إنما ساقها لنصرة بعض المعاني اللغوية ، أو لبيان أهمية إتقان اللغة العربية لطالب تفسير القرآن ، فمما أورده من الأحاديث على هذا قوله في مبحث أهمية إحكام اللغة :

((حثّ - صلى الله عليه وسلم - على تعلم إعراب القرآن وطلب الغريب منه : نا إسماعيل^(١) بن محمد الصفّار^(٢) ، قال : حدثني محمد بن وهب الثقفي^(٣) ، قال : حدثني محمد بن سهل العسكري^(٤) ، قال حدثني ابن أبي زائدة^(٥) عن عبد الله بن سعيد المقرئ^(٦) عن أبيه^(٧) عن أبي هريرة قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

((أعربوا^(٨) القرآن واتمسوا غرائبه))^(٩) .

ومما أورده من الآثار على هذا النحو قوله :

- ١- أي حدثنا إسماعيل .
- ٢- إسماعيل بن محمد بن إسماعيل الصفّار ، الفقه الإمام ، النحويّ المشهور . مات سنة إحدى وأربعين وثلاثمائة وقد جاز التسعين بأربع سنين . انظر ((لسان الميزان)) : ١ / ٤٨٢ .
- ٣- لم أجد له ترجمة إلا في ((تاريخ بغداد)) : ٣ / ٣٣٢ ، فقال الخطيب : ((محمد بن وهب بن يحيى ؛ أبو بكر الثقفي المقرئ)) ثم سرد مشايخه وتلاميذه ، ولم يتكلم فيه تعديلاً أو تحريجاً .
- ٤- راو للموضوعات . انظر ((ميزان الاعتدال)) : ٣ / ٥٧٦ ، و ((لسان الميزان)) : ٥ / ٢٢٠ .
- ٥- يحيى بن زكريا بن أبي زائدة الهمداني ، أبو سعيد الكوفي . ثقة متقن . مات سنة ثلاث أو أربع وثمانين ومائة ، وله ثلاث وستون سنة . انظر ((التقريب)) : ٥٩٠ .
- ٦- عبد الله بن سعيد بن أبي سعيد المقرئ ، أبو عبيد ، الليثي بالولاء ، المدني . متروك . انظر ((التقريب)) : ٣٠٦ .
- ٧- سعيد بن أبي سعيد كيسان المقرئ ، أبو سعد المدني . ثقة . مات في حدود سنة عشرين ومائة . انظر ((التقريب)) : ٢٣٦ .
- وهذا إسناد ضعيف جداً لأن فيه عبد الله بن سعيد المقرئ وهو متروك ، وفيه محمد بن سهل العسكري وهو راو للموضوعات .
- وقد أخرج الحديث أبويعلى الموصلي ، والبيهقي في ((شعب الإيمان)) ، والحاكم في ((المستدرک)) ، ومداور إسنادهم على عبد الله بن سعيد المقرئ ، وهو متروك ، وانظر ((المطالب العالية)) : ٣ / ٢٩٨ ، و ((شعب الإيمان)) : ٥ / ٢٣٩ ، و ((كنز العمال)) : ١ / ٦٠٧ ، و ((مجمع الزوائد)) : ٧ / ١٦٦ .
- ٨- الإعراب معناه - هنا - التبيين والإفصاح . انظر ((لسان العرب)) : ع ر ب .
- ٩- ((بيان إعجاز القرآن)) : ٣٤ .

((وأما (من) و (عن) فإنهما يفترقان في مواضع ، كقولك : أخذت منه مالاً ، وأخذت عنه علماً ، فإذا قلت ، سمعت منه كلاماً أردت سماعه من فيه ، وإذا قلت : سمعت عنه حديثاً كان ذلك عن بلاغ^(١) ، وهذا على ظاهر الكلام وغالبه ، وقد يتقاربان في مواضع من الكلام .

ومما يدخل في هذا الباب ما حدثني محمد بن سعدويه^(٢) ، قال : حدثني محمد ابن عبد الله بن الجنيّد^(٣) ، قال : حدثني محمد بن النضر بن مساور^(٤) ، قال : حدثنا جعفر بن سليمان^(٥) ، عن مالك بن دينار^(٦) ، قال : جمعنا الحسن لعرض المصاحف^(٧) أنا وأبا العالية الرياحي^(٨) ، ونصر بن عاصم الليثي^(٩) ، وعاصم الجحدري^(١٠) ، فقال رجل : يأبا العالية : قول الله في كتابه :

١- أي لم يكن ذلك الحديث مسموعاً عن مشافهة .

٢- لم أعثر على ترجمته .

٣- محمد بن عبد الله بن الجنيّد ، أبو الحسين التميمي البزاز حدث عن عبد الله بن الإمام أحمد ، هذا مجاء في ((تاريخ بغداد)) : ٥ / ٥٠ ، أما ابن أبي حاتم فقال : محمد بن عبد الله بن الجنيّد ، أبو عبد الله النيسابوري نزيل جرجان ، وذكر أنه ابن أبي حاتم سمع منه الحديث بالري . انظر ((الجرح والتعديل)) : ٧ / ٢٩٥ .

٤- محمد بن النضر بن مساور المرؤزي . صدوق . مات سنة تسع وثلاثين ومائتين . انظر ((التقريب)) : ٥١٠ .

٥- جعفر بن سليمان الضبعي ، أبو سليمان البصري . صدوق عابد . مات سنة ثلاثين ومائة . انظر ((التقريب)) : ٥١٧ .

٦- مالك بن دينار البصري الزاهد ، أبي يحيى . صدوق عابد . مات سنة ثلاثين ومائة . انظر ((التقريب)) : ٥١٧ .

٧- المقصود بـ (عرض المصاحف) هو قراءة المصحف بعد كتابته على إمام من أئمة القرآن ، انظر ((المصاحف)) لابن أبي دارود : ١٧٤ - ١٧٦ .

٨- رُفيع بن مهران ، أبو العالية الرياحي البصري ، الإمام ، المقرئ ، الحافظ ، المفسر . أدرك زمان النبي - صلى الله عليه وسلم - وهو شاب ، وأسلم في خلافة أبي بكر الصديق ، رضي الله عنه ، ودخل عليه . حفظ القرآن ، وقرأه على أبي بن كعب ، وتصدر لإفادة العلم ، وبعد صيته ، وله كلام رائق وحكم مفيدة . مات - رحمه الله تعالى - سنة تسعين . انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٤ / ٢٠٧ - ٢١٣ .

٩- نصر بن عاصم الليثي البصري . أحد القراء من التابعين . كان على رأي الخوارج ثم تركهم ، وهو ثقة . انظر ((التقريب)) : ٥٦٠ ، و ((تهذيب التهذيب)) : ١٠ / ٣٨١ .

١٠- عاصم بن أبي الصباح الجحدري البصري ، المقرئ المفسر . ثقة ، وله قراءة شاذة منسوبة إليه . توفي سنة ثمان وعشرين ومائة . انظر ((الوافي بالوفيات)) : ١٦ / ٥٦٨ .

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾^(١) ماهذا السهو ؟

قال : الذي لا يدري عن كم ينصرف ، عن شفع أو عن وتر .

فقال الحسن : مه^(٢) ياأبا العالية ، ليس هذا ، بل الذين سهوا عن ميقاتهم حتى تفوتهم ، قال الحسن : ألا ترى قوله عز وجل : ﴿عَنْ صَلَاتِهِمْ﴾^(٣) ...

قلت : وإنما أتي أبو العالية في هذا حيث لم يفرق بين حرف (عن) و (في) فتنبه له الحسن ...^(٤) .

كان ذلك منهج الإمام الخطابي في الاستدلال بالآيات والأحاديث والآثار ، وقد ظهر أنه مقل في استدلاله بالأحاديث والآثار ، وأنه لم يأت بها استشهاداً على الإعجاز .

١- سورة الماعون : آية ٤ ، ٥ .

٢- مه : اسم فعل أمر بمعنى : كفّ واسكت . وانظر ((لسان العرب)) : م ه هـ .

٣- أخرج هذا الأثر الإمام عبد الرزاق الصنعاني في تفسيره : ٢ / ٤٠٠ فقال :

((عبد الرزاق عن جعفر بن سليمان عن مالك بن دينار قال : كنا نعرض المصاحف أنا والحسن وأبو العالية ...)) .

والفاظه مقاربة لما رواه الإمام الخطابي ، وطريق الخطابي هو طريق عبد الرزاق ، وإسناد هذا الأثر حسن لأن جعفر

ابن سليمان ومالك بن دينار كلاهما قيل فيه صدوق كما سبق في ترجمتهما في سند الخطابي .

٤- ((بيان إعجاز القرآن)) : ٣٢ - ٣٣ .

ثانياً : ((إعجاز القرآن)) للقاضي الباقلاني

أ - الاستدلال بالآيات الكريمة :

قد أورد القاضي - رحمه الله تعالى - في كتابه مئات من الآيات ، وقد جاء استدلاله بها على قسمين :

١ - استدلال غرضي ، وذلك في استشهاده بالآيات لغرض إثبات الإعجاز ؛ وذلك كقوله :

((فصل في جملة وجوه إعجاز القرآن :

ذكر أصحابنا وغيرهم في ذلك ثلاثة أوجه من الإعجاز :

أحدها : يتضمن الإخبار عن الغيوب ، وذلك مما لا يقدر عليه البشر ، ولا سبيل لهم إليه ، فمن ذلك ما وعد الله - تعالى - نبيه ، عليه السلام ، أنه سيظهر دينه على الأديان بقوله عز وجل :

﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾^(١) ففعل ذلك^(٢).

وهذا القسم من الاستدلال يندرج تحته العدد الأكبر من الآيات التي ساقها في كتابه .

٢ - استدلال عرَضِي ، لم يُرد الباقلاني به الاستشهاد على شيء من الإعجاز إنما ساقه عَرَضاً أثناء الكتاب ، كقوله في تعظيم القرآن :

((وأمر عند افتتاحه بما أمر به لتعظيمه من قوله :

﴿فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾^(٣))).^(٤)

ب - الاستدلال بالأحاديث والآثار :

١ - سورة التوبة : آية ٣٣ .

٢ - ((إعجاز القرآن)) : ٣٣ .

٣ - سورة النحل : آية ٩٨ .

٤ - ((إعجاز القرآن)) : ٢٠٣ .

قد أورد الباقلائي عدداً من الأحاديث والآثار ، كان سياق معظمها ليس لغرض الاستشهاد للإعجاز ، إنما كان عرضاً .

فمما أورده من الأحاديث غرضاً - وهو قليل - قوله :

((ومما يبين ماقلناه - من أن البليغ المتناهي في وجوه الفصاحة يعرف إعجاز القرآن ، وتكون معرفته حجةً عليه إذا تُحدّي إليه وعجز عن مثله ، وإن لم ينتظر وقوع التحدي في غيره ، وما الذي يصنع ذلك بالغير - فهو ماُروي في الحديث أن جُبَيْر بن مُطْعِم ورد على النبي - صلى الله عليه وسلم في مُعْنَى^(١) حليف له أراد أن يفاديه فدخل والنبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ سورة ﴿ وَالطُّورِ . وَكَانَ فِي مَسْطُورٍ ﴾ في صلاة الفجر ، قال : فلما انتهى إلى قوله :
﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾^(٢) قال :
خشيت أن يدركني العذاب فأسلم^(٣)))^(٤) .

ومن أمثلة ما ذكره من الأحاديث غرضاً قوله :

((أخبرني محمد بن علي الأنصاري بن محمد بن عامر^(٥) ، قال : حدثنا علي بن إبراهيم^(٦) ، حدثنا عبد الله بن داود بن عبد الرحمن العمرى^(٧) ، قال : حدثنا الأنصاري : علي بن محمد الحنظلي^(٨) - من ولد حنظلة الغسيل^(٩) - حدثنا جعفر

١- أي أسير ، انظر ((لسان العرب)) : ع ن ي .

٢- سورة الطور : آية ١ - ٨ .

٣- أخرج الإمام البخاري هذا الأثر بالفاظ مقاربة ، وقد سبق تخريجه ، انظر ص ١١٦ .

وقد عزاه السيوطي إلى سعيد بن منصور ، وطبقات ابن سعد ، ومسد الإمام أحمد ، ولم يعزه إلى البخاري . انظر ((الدر المنثور)) : ٧ / ٦٣٠ .

٤- ((إعجاز القرآن)) : ٢٧ .

٥- لم أعتز له على ترجمة .

٦- لم أعتز له على ترجمة .

٧- لم أعتز على ترجمة .

٨- لم أعتز له على ترجمة .

٩- حنظلة بن أبي عامر بن صفين الأنصاري الأوسي ، وأبوه أبو عامر هو الراهب الذي سماه المسلمون : الفاسق .
استشهد حنظلة في أحد ، رضي الله عنه ، ومن المشهور أنه غسلته الملائكة في أحد لكونه خرج إليها جنباً ، وانظر ((الإصابة)) : ١ / ٣٦٠ .

ابن محمد^(١) ، عن محمد بن حسان^(٢) ، عن محمد بن حجاج اللخمي^(٣) ، عن مُجَالِد^(٤) عن الشَّعْبِيِّ^(٥) عن ابن عباس قال :
لما قدم وفد عبد القيس^(٦) على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - قال :
أيكم يعرف قُسَّ بن ساعدة^(٧) ؟
قالو : كلنا نعرفه يارسول الله .
قال : لست أنساه بَعَكَظْ إذ وقف على بعير له أحمر فقال : أيها الناس ...))^(٨) ^(٩).

- ١- هناك جماعة بهذا الاسم ، ولعلّ هذا هو جعفر بن عمدة الواسطيّ الرّزّاق ، نزيل بغداد . توفي سنة ٢٦٥ ، صدوق وانظر ((تهذيب التهذيب)) : ٢ / ٩٠ و ((التقريب)) : ١٤١ .
- ٢- محمد بن حسان بن خالد الطَّبَّيِّ السَّمْعِيّ ، أبو جعفر البغداديّ . صدوق لين الحديث . مات سنة ثمان وعشرين ومائتين . انظر ((التقريب)) : ٤٧٣ .
- ٣- محمد بن الحجاج اللخميّ الواسطيّ . كذبه يحيى بن معين وأبو حاتم ، انظر ((الجرح والتعديل)) : ٧ / ٢٣٤ . وفي ((تاريخ بغداد)) أن الدار قطني كذبه أيضاً ، ونقل الخطيب عن ابن محمد بن الحجاج أن أباه توفي سنة إحدى وثمانين ومائة . انظر ((تاريخ بغداد)) : ٢ / ٢٧٩ - ٢٨٢ .
- ٤- مُجَالِد بن سعيد بن عُمَرَ الهَمْدَانِيّ ، أبو عمرو الكوفيّ . ليس بالقوي ، وقد تغير في آخر عمره . توفي سنة ١٤٤ ، انظر ((التقريب)) : ٥٢٠ ، وقد تقدمت ترجمته .
- ٥- عامر بن شراحيل الشَّعْبِيّ ، أبو عمرو . ثقة مشهور ، فقيه فاضل . مات بعد المائة وله نحو من ثمانين سنة . انظر ((التقريب)) : ٢٨٧ .
- ٦- هي قبيلة عظيمة تنسب إلى عبد القيس بن أفضى بن دُعَيْي بن حديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار بن معد بن عدنان ، كانت مواطنهم بتهامة ثم خرجوا إلى البحرين ، وقد ارتد أهل البحرين بعد وفاة رسول الله - صلى الله عليه وسلم - إلا عبد القيس ، وكان منهم مددٌ للمسلمين . وفي النسبة إليهم ثلاثة مذاهب : أحدها عَيْدِيّ - على النسبة الأولى - والثانية : قَيْسِيّ ، على النسبة الثانية ، والثالث عبد قَيْسِيّ ، على النسبة إليهما جميعاً . انظر ((معجم قبائل العرب)) : ٢ / ٧٢٦ - ٧٢٧ .
- ٧- قُسَّ بن ساعدة بن جذاعة الإياديّ البليغ الخطيب المشهور . أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية ، وأول من توكلأ على عصا في الخطبة ، وأول من قال : أما بعد ، وأول من كتب : من فلان إلى فلان . وكانت العرب تعظمه . انظر ((الإصابة في تمييز الصحابة)) : ٣ / ٢٦٤ - ٢٦٥ .
- ٨- ((إعجاز القرآن)) : ١٥١ - ١٥٢ ، وانظر للمزيد من الأمثلة : ٢٨ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٨٤ ...
- ٩- هذا الأثر - بهذا الإسناد - موضوع لأن أحد رواة كاذب ، وهو محمد بن الحجاج اللخميّ الواسطيّ . وقد قال الحافظ ابن حجر :

((وقد أفرد بعض الرواة طريق حديث قُسَّ ، وفيه شعره وخطبته ، وهو في ((المطولات)) للطبراني وغيرها ، وطرقه كلها ضعيفة)) . انظر ((الإصابة)) : ٣ / ٢٦٥ .

وقد أورد القاضي - رحمه الله تعالى - في كتابه اثنين وثلاثين حديثاً^(١) ،
واثنين وثلاثين أثراً^(٢) .

وهو في إيرادهِ للآثار والأحاديث لا يعزو لكتب الحديث ، ولا يحكم على
ما يورده من الأحاديث والآثار ، وكثيراً ما يُصدّر الحديث بلفظ ((روي)) ، وهو
- في أصله - صيغة تمريض وتضعيف عند المحدثين^(٣) .

وهو تارة يروي الأحاديث والآثار بالسند وتارة يغفله ، وهو الأكثر .

١- انظر الصفحات: ٢٧، ٢٨، ٥٨، ٦٧، ٦٨، ٧٦، ٨١، ٨٤، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٤.

١٣٥، ١٥١، ١٥٢، ١٨٥، ١٨٦ .

٢- انظر الصفحات: ٦٧، ٦٨، ٨٤، ٨٨، ٩٨، ١١٤، ١٣٧، ١٣٨، ١٣٩، ١٤٠، ١٤٢، ١٤٣،

١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٥٠، ١٥٣ .

٣- انظر - مثلاً - ص: ٢٧، ٥٨، ٧٦ ...

ثالثاً : ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن))
لكمال الدين الزمّلكاني ، رحمه الله تعالى .

أما استدلال الإمام الزمّلكاني بالآيات فهو على مثال استدلال الإمام الباقلاني الذي سقته آنفاً^(١) .

وأما استدلاله بالأحاديث والآثار فقد أورد في كتابه ثلاثين حديثاً وأثرين^(٢) ، وعزا ثلاثة من الأحاديث إلى الصحيحين^(٣) .
وقد حكم على أثر بأنه صحيح ، أما باقي الأحاديث والآثار فلم يعزّها ولم يحكم عليها .

أما الأحاديث التي عزاها للصحيحين فتلاثة - كما مرّ - ساق واحداً منها في مسألة البسملة : هل هي جزء من السورة أم لا ، فقال :
((قوله - صلى الله عليه وسلم - فيما رواه مسلم ، رحمه الله :
((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين فإذا قال العبد : الحمد لله ، قال الله تعالى : حمدني عبدي))^(٤)))^(٥) .

والحديثان الآخران ساقهما المصنف في مسألة خلق الجنين حيث قال :

١- انظر ص ٦٤٢ .

٢- قد استفدت من فهرس الأحاديث الذي صنعه المحققان ، لكنهما أسقطا حديثاً فلم يورده في الفهرست وهو في ص : ٧٣ ، وقد عدا مثلاً أورده المصنف حديثاً وهو ليس بحديث ، وذلك ص : ٤٨ . ولم يصنع المحققان فهرساً للآثار في الكتاب كله فوجدت بالاستقراء أن المصنف رحمه الله تعالى قد أورد أثرين فقط ، وذلك في الصفحتين : ٥٦ ، ٢٦٥ .

٣- انظر ص : ٧٤ ، ٢٦٨ .

٤- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب الصلاة : باب وجوب قراءة الفاتحة في كل ركعة : ٤ / ١٠١ - ١٠٢ ، والذي ساقه الإمام الزمّلكاني فيه خلاف يسير عن نص الإمام مسلم ، ونص ما في صحيح مسلم : ((قال الله تعالى : قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين ولعبيد مآسأل ، فإذا قال العبد : الحمد لله رب العالمين ...)) .

٥- ((البرهان الكاشف)) : ٧٤ .

((وقد ورد عن الرسول الله - صلى الله عليه وسلم - في الصحيح من حديث حذيفة بن أسيد^(١) رحمه الله^(٢) :

((إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة أرسل الله ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وكتب رزقها وأجلها)) ... وهذه رواية مسلم^(٣) ، رحمه الله .

وفي صحيح البخاري رحمه الله تعالى :

((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً وأربعين ليلة ، ثم يكون علقه مثل ذلك ، ثم يكون مضغة مثل ذلك ، ثم يرسل الله الملك فيؤذن له ثم يؤمر فيكتب رزقه وأجله))^(٤) ^(٥) .

أما الحديث الذي حكم عليه بالصحة فهو ما أورده في بيان قوله تعالى : ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ النَّاسِ وَالْحَجِّ وَلَيْسَ الْبِرُّ بِأَنْ تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا﴾^(٦) حيث قال الزمكاني :

((فإن قلت : وهل كان أحدهم في الحج لا يدخل بيتاً إلا من ظهره ؟

١- أبو سريحة : حذيفة بن أسيد الغفاري . صحابي من أصحاب الشجرة . مات سنة ٤٢ ، رضي الله عنه : انظر ((التقريب)) : ١٥٤ .

٢- كذا قال مع أن الوجه : رضي الله عنه .

٣- أخرجه الإمام مسلم في صحيحه في كتاب القدر : باب كيفية خلق آدمي في بطن أمه : ١٦ / ١٩٣ - ١٩٤ ، ونص في صحيح مسلم : إذا مر بالنطفة ثنتان وأربعون ليلة بعث الله إليها ملكاً فصورها وخلق سمعها وبصرها وجلدها ولحمها وعظامها ...)) .

٤- أخرجه الإمام البخاري في صحيحه في ثلاثة مواضع وهي : كتاب الحيض : باب نقض المرأة شعرها عند غسل الحيض : ١ / ٨٦ ، وكتاب الأنبياء : باب خلق آدم صلوات الله عليه وذريته : ٤ / ١٦٠ ، وباب في القدر : ٨ / ١٥٢ ، وليس في تلك المواضع كلها سياق المصنف بعرفه إنما هو بالفاظ مقاربة .

٥- ((البرهان الكاشف)) : ٢٦٨ .

٦- سورة البقرة : آية ١٨٩ .

قلت : في الحديث الصحيح أن ناساً من الأنصار كانوا إذا أحرموا لم يدخل أحدٌ منهم حائطاً ولاداراً ولا فسطاطاً من باب ؛ فإن كان من أهل المدَر^(١) نقب في ظهر بيته ، منه يدخل ويخرج ، أو يتخذ سلماً يصعد فيه ، وإن كان من أهل الوَيْر^(٢) خرج من خلف الحِباء^(٣) ...))^(٤) .

هذا ولم يَسُقِ الإمام الزَّمْكَانِيُّ شيئاً من الأحاديث والآثار للاستشهاد بها لغرض الإعجاز إنما أوردتها كلها لأغراض أخرى أثناء كتابته .

- ١- أهل المدر: أهل المدن ؛ لأن مبانيتها بُنِي بالمدر وهو الطين ، انظر ((لسان العرب)): مدر .
 - ٢- أهل الوَيْر : أهل البوادي ، وذلك لأن بيوتهم يتخذونها من وِبر الإبل وهو صوفها : انظر ((لسان العرب)): وبر .
 - ٣- الحِباء من الأبنية هو ما كان من وِبر أو صوف ولا يكون من شعر ، وهو على عمودين أو ثلاثة ، وما فوق ذلك فهو بيت ، انظر ((لسان العرب)) : حبا .
 - ٤- ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : ٢٦٥ .
- وهذا الأثر أخرجه الإمام البخاري بالفاظ مقاربة بإسناده عن البراء رضي الله عنه قال :
- ((نزلت هذه الآية ، فينا ، كانت الأنصار إذا حجوا فجاؤوا لم يدخلوا من قِبَل أبواب بيوتهم ولكن من ظهورها ، ففجأ رجل من الأنصار فدخل من قِبَل بابه فكأنه غيرُ بذلك فنزلت ﴿وَلَيْسَ إِلَهُ يَأْن تَأْتُوا الْبُيُوتَ مِنْ ظُهُورِهَا وَلَكِنَّ الْيَرْمَنَ اسْتَعَى وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾)) : كتاب الحج : باب قول الله تعالى ﴿ وَأَتُوا الْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا ﴾ : ٣ / ٩ - ١٠ .
- وقد أورد الإمام ابن جرير في تفسيره أثراً كثيرة قريبة في ألفاظها من الأثر الذي ساقه المصنف ، انظر ((جامع البيان)) : ٥٦٠ - ٥٥٥ / ٣ .

رابعاً : ((الطّراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز))
للسيد يحيى بن حمزة العلويّ

هذا كتاب يشترك مع كتاب السيوطيّ في خصائص تجعله أقرب الكتب للمقارنة من حيث الاستدلال ، ومنها :

١ - كِبَر حجم الكتاب ومقارنته لحجم ((معترك الأقران))^(١) .

٢ - توسعه في ذكر المباحث البلاغية كصنيع السيوطيّ في ((المعترك)) .

٣ - كثرة ورود الآيات والأحاديث والآثار فيه كثرة نسبية إذا ما قورنت بما في الكتب الثلاثة السابقة .

أما منهجه في الاستدلال بالآيات فهو مماثل لمنهج الإمام الخطّابيّ الذي بيّنته آنفاً^(٢) .
وأما الاستدلال بالأحاديث والآثار فقد أورد - رحمه الله تعالى - اثنين وثمانين ومائة حديث^(٣) ، عزا منها واحداً لصحيح البخاري .

١- الكتاب مطبوع في ثلاثة مجلدات ، فيها قرابة ١٣٠٠ صفحة .

٢- انظر ص ٦٣٧ - ٦٣٨ .

٣- انظر : ١/ ٢ ، ١٠ ، ٣٣ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١٦٠ ، ١٦٢ ، ١٦٣ ، ١٦٤ ، ٢١٤ ، ٢١٥ ، ٢١٦ ، ٢٣٩ ،

٢٧٥ ، ٢٧٨ ، ٢٨٦ ، ٢٩٠ ، ٢٩٣ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٦ ، ٣٣٠ ، ٣٣١ ، ٣٣٢ ، ٣٦٥ ، ٣٨١ ، ٣٨٤ ، ٣٨٨ ، ٣٩٠ ، ٤٠٧ ، ٤٠٨ ، ٤٠٩ ، ٤١٠ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ ، ٤٣٢ .

وانظر ٢/ ٦ ، ٤٩ ، ٥٠ ، ٨١ ، ٨٢ ، ٨٣ ، ٨٧ ، ٨٩ ، ١٠١ ، ١١٨ ، ١٢٢ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٩ ، ١٨١ ، ١٨٤ ، ١٩٥ ، ٢١١ ، ٢٤٨ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ، ٢٧٠ ، ٢٧١ ، ٢٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠٣ ، ٣١٩ ، ٣٢٢ ، ٣٢٣ ، ٣٤٩ ، ٣٥٦ ، ٣٦٦ ، ٣٦٧ ، ٣٧٠ ، ٣٧٩ ، ٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠٥ ، ٤٠٦ .

وانظر : ٣/ ٨ ، ١٠ ، ١٢ ، ١٣ ، ١٤ ، ٢٠ ، ٣٠ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٦٩ ، ٨٩ ، ١٦١ ، ١٧٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٨٣ ، ٢١٦ ، ٣١٣ ، ٤٣٦ ، ٤٥٥ .

وأورد أربعةً وأربعين ومائة أثر ، لم يُعزَّأُ أيُّها منها^(١) ، فيكون مجموع ما أورده من أحاديث وأثار ستةً وعشرين وثلاثمائة حديث وأثر ، وهو عدد كبير .

أما الحديث الذي عزاه لصحيح البخاري فقوله :
 ((وقوله - صلى الله عليه وسلم - فيما ورد في صحيح البخاري في صفة النار ، وأن الجبار يضع قدمه في النار))^(٢) .
 ونص الحديث كما أخرجه الإمام البخاري هو :
 ((عن أنس عن النبي - صلى الله عليه وسلم - قال :
 لا يزال يُلقى فيها وتقول : هل من مزيد حتى يضع فيها ربُّ العالمين قدمه فينزوي بعضها إلى بعض ...))^(٣) .

ولقد كانت المباحث البلاغية وافرة في كتاب ((الطراز)) ، وكان مراد المصنف من ذلك تسهيل السبيل لفهم مباحث الإعجاز التي ساقها في آخر الكتاب كما بينت ذلك من قبل^(٤) ؛ لذا يصح أن يقال إن استشهادَه بالأحاديث والآثار كان استشهاداً غرضياً في معظمه وأكثره ؛ أو هو استشهاد يخدم الغرض الذي سيق الكتاب من أجله وهو الإعجاز ؛ فقد أكثر من إيراد الأحاديث والآثار أثناء كلامه على مباحث البلاغة ، وهذا الضرب من الاستشهاد - بالاعتبار الذي سقته آنفاً ، وهو التمهيد لمباحث الإعجاز - يعدُّ استشهاداً غرضياً .

١- انظر : ١ / ٢٩ ، ٧٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٦٥ ، ١٦٧ ، ١٦٨ ، ١٦٩ ، ١٧٠ ، ٢١٦ ، ٢١٧ ، ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٠ ، ٢٢٣ ، ٢٢٤ ، ٢٢٥ ، ٢٣٨ ، ٢٤٠ ، ٢٧٨ ، ٢٨٧ ، ٢٩٤ ، ٣١٦ ، ٣١٧ ، ٣١٩ ، ٣٢٥ ، ٣٣٣ ، ٣٣٤ ، ٣٣٥ ، ٣٣٦ ، ٣٣٧ ، ٣٨٩ ، ٣٩١ ، ٣٩٦ ، ٤١١ ، ٤١٢ ، ٤١٣ ، ٤١٤ ، ٤١٥ ، ٤١٧ ، ٤٢٩ .
 وانظر : ٢ / ٧ ، ٨٣ ، ٨٤ ، ٨٧ ، ١١٧ ، ١٢٣ ، ١٢٩ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ٢٢٨ ، ٢٥٠ ، ٢٥١ ، ٢٥٣ ، ٢٧٢ ، ٢٧٣ ، ٢٩٢ ، ٢٩٤ ، ٢٩٥ ، ٣٠٤ ، ٣٢٥ ، ٣٢٦ ، ٣٧٠ ، ٣٨٠ ، ٤٠٠ ، ٤٠١ ، ٤٠٧ .

وانظر : ٣ / ١٠ ، ١٢ ، ١٥ ، ٣٠ ، ٣٤٤ ، ٣٧٢ ، ٤٥٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٠ .

٢- ((الطراز)) : ٣ / ٨ - ٩ .

٣- صحيح البخاري : كتاب التوحيد : باب قوله تعالى : وهو العزيز الحكيم : ٩ / ١٤٣ .

٤- انظر ص ٢٠٢ .

ولم يمنع ذلك أن يورد بعض الأحاديث والآثار عرضاً كقوله :
 ((وفي الحديث عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - اتقوا الغضب فإنه يُوقد
 في فؤاد ابن آدم النار ، ألاتروه^(١) إذا غضب كيف تحمرُّ عيناه وتنتفخ
 أوداجه^(٢)))^(٣) .

١- كذا وردت في المطبوع ، والوجه : تروته .

٢- الأوداج جمع وَدَج : عرق في العنق ، انظر ((لسان العرب)) : و د ج .

وهذا الذي ساقه المصنف جزء من حديث طويل أخرجه الإمام الترمذي في جامعه : كتاب الفتن : باب ما جاء ما أخبر
 النبي - صلى الله عليه وسلم - أصحابه بما هو كائن إلى يوم القيامة : ٤ / ٤٨٤ ، ومنه : ((... ألا وإن الغضب
 جمة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ...)) وقال الإمام الترمذي : حسن صحيح .
 وقد أخرجه عن عمران بن موسى القزاز البصري : حدثنا حماد بن زيد ، حدثنا علي بن زيد بن جُدعان القُرشي عن
 أبي نُضرة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه .

أما عمران بن موسى فهو صدوق . مات بعد الأربعين ومائتين . انظر ((التقريب)) : ٤٣٠ .

وأما حماد بن زيد فهو ثقة فقيه ثبت ، توفي سنة تسع وسبعين ومائة كما في ((التقريب)) : ١٧٨ .

أما علي بن زيد بن جُدعان فهو ضعيف ، توفي سنة إحدى وثلاثين ومائة ، انظر ((التقريب)) : ٤٠١ .

وأما أبو نُضرة فهو المنذر بن مالك بن قُطعة العبدي ، ثقة مات سنة ثمان أو تسع ومائة . انظر ((التقريب)) : ٥٤٦ .
 فالحديث - بهذا الإسناد - ضعيف لضعف علي بن زيد بن جُدعان ، لكن سبق ذكر أن الترمذي حكم على الحديث
 بأنه حسن صحيح ، وذلك لأن الترمذي حكم على علي بن زيد بأنه صدوق كما في ((تهذيب التهذيب)) :

٢٨٤/٧ .

٣- انظر ((الطراز)) : ٣ / ١٦١ - ١٦٢ .

نظرة إجمالية :

يتضح مما سبق أن منهج أصحاب كتب الإعجاز الأربعة المذكورة في الاستدلال بالأحاديث والآثار هو الآتي :

١ - سياق السند تارةً وإغفال ذلك أخرى ، وذلك عند الإمامين الخطّابيّ والباقلانيّ ، أما الإمامان الزمّلكاني والعلويّ فلم يذكرا إسناداً ، وربما كان ذلك لتأخر زمانهما .

٢ - عزو الحديث والأثر أحياناً وإغفال ذلك في أكثر ماورد عند الإمامين الزمّلكاني والعلويّ من أحاديث وآثار ، أما الإمامان الخطّابيّ والباقلانيّ فلم يعزوا ماورداه من أحاديث وآثار أيضاً .

٣ - عدم الحكم على الحديث والأثر إلا فيما ندر .

٤ - قلة الاستشهاد بالأحاديث والآثار عند أصحاب الكتب السابقة ، ماعدا الإمام يحيى بن حمزة العلوي .

المقارنة بين كتاب ((معترك الأقران)) والكتب الأربعة من حيث الاستدلال :

قد تحدثت عن منهج الإمام السيوطي بالاستدلال بالآيات والأحاديث والآثار فيما سبق^(١) ، وبينت أن الآيات والأحاديث والآثار كانت كثيرة كثرة واضحة في كتابه ، حيث بلغت الآيات مئات ، والأحاديث والآثار جاوزت الألف^(٢) ، والسبب في هذا يعود إلى الآتي :

١- انظر ص ٤٦٥ وما بعدها .

٢- انظر ص ٤٨١ وما بعدها .

١ - التوسع في ذكر مباحث لاتعلق لها بالإعجاز عند الإمام السيوطي ؛ مثل مباحث أصول الفقه التي توسع في إيرادها ، ومثل مبحث المبهات وفيه عشرات الأحاديث والآثار ، وهكذا ، وقد بينت هذا بالتفصيل سابقاً^(١) .

٢ - تأخر زمان الإمام السيوطي وكونه محدثاً مشهوراً اجتمعت عنده كثير من كتب الحديث والآثر عاملان مهمان في إكثاره من إيراد الأحاديث والآثار .

أما إذا قورن كتاب الإمام السيوطي بما في الكتب السابقة فإنه يتضح الآتي :

أولاً : أورد الإمامان الخطّابيّ والباقلانيّ عدداً من الأحاديث والآثار بإسنادهما المتصل بينما لم يفعل ذلك الإمام السيوطي ، وهذا عائد لتأخر زمانه حيث إن الأحاديث والآثار قد دونت في الكتب ولم تعد بالعلماء المتأخرين حاجة لإثبات أسانيدهم فيما يوردونه .

ثانياً : تفرد الإمام السيوطي بالحكم على عدد كبير من الأحاديث والآثار التي أوردتها^(٢) ، بينما لم يصنع ذلك أحد من أصحاب كتب الإعجاز الأربعة المذكورة إلا نادراً .

ثالثاً : أكثر الإمام السيوطي من عزو ما يورده من أحاديث وآثار^(٣) ، بينما قلّ ذلك عند غيره أو انعدم .

١- انظر ص ٤١٦-٤١٧ ، ففيهما إشارات على تلك المباحث التي لا تعلق لها بالإعجاز .

٢- انظر ص ٤٧١ وما بعدها .

٣- انظر ص ٤٦٨ وما بعدها .

رابعاً : اشترك الإمام السيوطي ويحيى بن حمزة العلوي في الإكثار من حشد الأحاديث والآثار التي تدل على ما يذهب إليه كلُّ منهما في كتابه من آراء ، بينما كان أصحاب الكتب الباقية يكتفون بإيراد عدد قليل من الأحاديث والآثار ، وكثيراً ما يكتفون بإيراد حديث أو أثر واحد فقط في المسألة ، وربما لا يوردون فيها شيئاً .

خامساً : قد أكثر الإمام السيوطي والإمام يحيى العلويّ - رحمهما الله تعالى - من إيراد الأحاديث والآثار للاستشهاد بها على الإعجاز ، بينما قلّ ذلك عند الإمام الباقرانيّ ، وكان استشهاد الإمام الخطّابيّ والإمام الزمّلكانيّ بالأحاديث والآثار عَرَضاً في أثناء مُصنّفَيْهِما .

المبحث الرابع

المقارنة من حيث المصادر والمراجع

قد بينتُ سابقاً أن الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - قد رجع إلى عدد كبير من المصادر والمراجع ، بلغ قرابة سبعين ومائة كتاب في علوم شرعية ولغوية وتاريخية متنوعة^(١) .

واستعانة غيره بالمصادر والمراجع نزر يسير إذا ما قورنت بما استعان به منها ، ولأدلل على هذا فإنني سأبين استعانة ثلاثة من المصنفين بالمصادر والمراجع لمناسبة حجم كتبهم كتاب الإمام السيوطي ؛ إذ أكثر كتب الإعجاز صغيرة الحجم ، وهؤلاء المصنفون هم :

الباقلاني وكتابه ((إعجاز القرآن)) ، والجرجاني وكتابه ((دلائل الإعجاز)) ، ويحيى بن حمزة العلوي وكتابه ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) .

وسوف أبدأ بذكر كتاب ((الطراز)) لأنه أكبر حجماً من باقي الكتب . والكتابان الآخران لم يقاربا كتاب ((المعترك)) ولا كتاب ((الطراز)) في الحجم ، وإنما أوردتهما مثلاً على مدى اعتماد مصنفيهما على مصادر ومراجع لعلماء سابقين ، وللكبر النسبي في حجمهما مقارنة بكتب الإعجاز الأخرى .

قد أورد الإمام العلوي في كتابه أربعة عشر مصدراً ومرجعاً^(٢) فقط على ضخامة الكتاب وكبر حجمه^(٣)؛ والسبب في هذا أن الكتاب مصنف في غالبه من كلام الشيخ - رحمه الله تعالى - بعكس كتاب السيوطي الذي كان معتمداً في

١- انظر ص : ٤٣١ ، ٤٣٣ من هذا البحث .

٢- انظر : ١ / ٣ ، ١٣٥ ، ١٦٦ ، ٢٦٠ ، ٣٠٩ ، ٤٠٥ ، ٤١٧ .

وانظر : ٢ / ٣٨ ، ١٢٩ ، ٢٨٨ . وانظر : ٨ / ٣ .

٣- قد بلغ حجم الكتاب ألفاً وثلاثمائة صفحة تقريباً كما ذكرت سابقاً .

تصنيف أجزاء كبيرة منه على كلام من سبقه من العلماء ، وعلى مقاطع كبيرة من كتبه ، كما بينت سابقاً^(١) .

هذا وقد ذكر الشيخ كل أسماء الكتب التي نقل منها عدا كتب الحديث والأثر فقد ذكر منها كتابين فقط وأغفل ذكر الباقي^(٢) .
وكان أكثر مصادره التي رجع إليها في اللغة والأدب .

((إعجاز القرآن)) للباقلاني :

قد استعان الباقلاني بأربعة مصادر فقط في كتابه الذي بلغ حجمه قرابة أربعمئة صفحة .

وكل الكتب التي أوردها الإمام الباقلاني إنما هي في اللغة والأدب^(٣) .
هذا وقد ذكر الإمام الباقلاني أسماء المصادر التي رجع إليها فلم يُغفلها .

((دلائل الإعجاز)) للشيخ عبد القاهر الجرجاني :

قد استعان في كتابه هذا - الذي يبلغ قرابة ستمئة صفحة - بأحد عشر مصدراً ومرجعاً فقط .

وكل تلك المرجع والمصادر إنما كانت في علوم اللغة والأدب فقط^(٤) .
هذا وقد ذكر الإمام الجرجاني أسماء المصادر التي رجع إليها فلم يُغفلها .

١- انظر ص ٢٣١ - ٢٤٦ ، ٢٥٧ ، ٢٩٥ .

٢- انظر : ١ / ٤١٧ ، ٣ / ٨ .

٣- انظر فهرس الكتب الذي صنعه أحمد صقر في تحقيقه لكتاب الباقلاني : ص ٣٧٢ . ولنعلم أنه أورد ثمانية عشر كتاباً ذكرها الباقلاني في كتابه ، أربعة عشر منها ليست مصدراً أو مرجعاً للباقلاني إنما ذكرها عرضاً ومثلاً فقط ، والكتب الأربعة التي رجع إليها هي : ((البيان والتبيين)) للحافظ ، و ((الحماسة)) لأبي تمام ، و ((الدرر)) و ((التيممة)) وكلاهما لابن المقفع .

٤- انظر فهرس الكتب الذي صنعه الأستاذ عمود شاكر في تحقيقه لهذا الكتاب ص ٦٦٩ ، وقد ذكر في ذلك الفهرس كتابان ليسا مما يعد مصدراً للجرجاني إذ ذكرهما عرضاً ، وهما ((الجمهرة)) لابن دريد ، ذكره في : ص ٥٠ ، وكتاب ((العين)) للخليل ، ذكره في صفحة ٥٠ أيضاً .

وبالمقارنة بين كتاب السيوطي والكتب الثلاثة الماضية يتبين الآتي :

١ - السيوطي يعتمد على النقل ويكثر منه بينما لم يكن غيره كذلك ، ولعل ذلك مرده إلى أن الباقلاني والجرجاني كانا مؤسسين لكثير مما أورده من مباحث فلم يحتاجا إلى كثير نقلٍ من كتب غيرهم ، وحال يحيى العلوي قريب من حالهما ، بينما لم يكن الأمر عند السيوطي كذلك ؛ إذ غالب ما أورده من مباحث إنما هو مما فرغ من تأسيسه وتقعيده .

٢ - كان النقل من المصادر والمراجع عند أصحاب الكتب الثلاثة نقلاً محدوداً لا يتعدى سطوراً قليلة أو كلماتٍ بينما يبلغ النقل عند السيوطي صفحاتٍ مطولةً في كثير من الأحيان ، وقد بينت ذلك من قبل^(١).

٣ - يقل عند المصنفين الثلاثة جداً عدم ذكر المصدر أو إغفال القائل بينما كثر ذلك عند السيوطي كما بينت من قبل^(٢).

٤ - استعان الإمام السيوطي بمصادر ومراجع كثيرة في مباحث بعضها لا يمتُّ للإعجاز بصلة ، وبعضٌ منها يلحق بالإعجاز بشيء من التكلف ، بينما كانت أكثر استعانة المصنفين الثلاثة بالمصادر والمراجع في مباحث لها صلة قوية بالإعجاز أو هي منه .

تلك المباحث الأربعة السابقة الذكر بينت الفرق بين منهج الإمام السيوطي - رحمه الله تعالى - ومنهج غيره ممن سبقه من العلماء ، رحمهم الله جميعاً .

١- انظر ص ٢٩٥ .

٢- انظر ص ٢٩٤ ، ٢٩٦ .

الفصل الثاني

المقارنة بين منهج السيوطي وبين مناهج المؤلفين بعده

المبحث الأول : المؤلفات التي سارت على غط الكتب السابقة .

(ص ٦٥٩ - ٦٦٦)

المبحث الثاني : المؤلفات التي جاءت بأمور جديدة تناسب العصر

(ص ٦٦٧ - ٧٠٧)

تمهيد

ظل المسلمون قرونًا طويلةً أساتذةً الدنيا ومعلميها ، وكان لهم في حقل التصنيف جهودٌ لا تنسى على مرّ الزمان ، ولاتّلى بكرّ الأيام ، ومن أهم ما اعتنوا به كتابُ الله العزيز ، فأكثرُوا البحث في مختلف جوانبه والتنقيب عما فيه من جواهرٍ ودرر ، حتى ليخيل للناظر في تلك الجهود المباركة أن المصنفين لم يدعوا شيئاً يخص القرآن إلا وبحثوا فيه .

ثم إنه لما أصاب العالم الإسلاميّ جميعه الركود والغفلة - وكان ذلك بعد القرن العاشر - ركن المسلمون إلى ما عندهم من مصنفات سلفهم وجمدوا عليها إلا ما كان من جهود مكرّرة هنا وهناك ، لا تساوي ولا تُسامي تلك الجهود القوية التي بُذلت في القرون الماضية ، ولم يكن في ساحة المسلمين ما يحفزهم ويستفزّ همهم للكتابة في بحوث قرآنية جديدة .

حتى إذا احتل الكافرون بلادهم ، أنزلوا في ساحتهم ما يسوؤهم من مستشرقين ماكربين ، ومنصرّين طامعين ، وأعداء حاقدين صاروا يتناولون على القرآن العظيم ، ويطعنون في مصدره الإلهي ويشككون فيه ، وتبعهم في ذلك أذنابٌ مستغربون ، حتى إذا حدث هذا كله وُجد الحافز ، واستفز علماء المسلمين ، فقاموا للذب عن دينهم ، وحماية قرآنهم ، وبيان إعجازه وعظمته ، وأنه من لدن الله الحكيم العظيم ، فأخذت المصنفات تترى تباعاً لتتصل سلسلة التأليف المباركة مرة أخرى .

وسيطهر هذا بوضوح في المبحث الثاني المخصص للكتب التي صنفت في القرن الفائت ، أما المبحث الأول فإنه يبين حال التصنيف في الإعجاز في حقبة من الزمان تلت عصر السيوطي وامتدت لتشمل القرن الثالث عشر .

المبحث الأول

المؤلفات التي سارت على نمط الكتب السابقة

والمقصود بهذا الكتب التي ألفت في الإعجاز في القرون الأربعة التالية لعصر السيوطي والمؤلفة على غرار منهج السيوطي ومن سبقه .

وقد بحثت كثيراً عن مصنف مستقل بالإعجاز مطبوع أو مخطوط ، فلم أجد ذلك فيما بحثت فيه من مظان ، وسبب ذلك قد قدمته في التمهيد ، وإنما وجدت كلاماً عن الإعجاز مبثوثاً في بعض كتب التفسير ، وقد اخترت منها كتابين لأنكلم بإيجاز عما فيهما من الكلام على الإعجاز ، وهذان الكتابان هما :

١ - ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) للشيخ أبي السعود العمادي رحمه الله تعالى .

٢ - ((روح المعاني)) للآلوسي ، رحمه الله تعالى :

أما الكتاب الأول - تفسير أبي السعود - فهو ((غاية في بابه ، ونهاية في حسن الصوغ وجمال التعبير ، كشف فيه صاحبه عن أسرار البلاغة القرآنية بما لم يسبقه أحدٌ إليه ، ومن أجل ذلك ذاعت شهرة هذا التفسير بين أهل العلم))^(١) .

١ - ((التفسير والمفسرون)) : ١ / ٣٤٧ .

((والكتاب دقيق غايةً في الدقة ، بعيد عن خلط التفسير بما لم يتصل به))^(١) .

ولم يتكلم المصنف على مباحث الإعجاز التفصيلية ، إنما اكتفى بعرض الإعجاز البلاغي في القرآن ، وبيان مافيه من سمو في النظم والأسلوب ((فهو يهتم بأن يكشف عن نواحي القرآن البلاغية ، وسرّ إعجازه في نظمه وأسلوبه))^(٢) .

وقد ذكر المصنف وجوه الإعجاز في القرآن مرة واحدة - فيما اطلعت عليه من الكتاب - فقال :

((القرآن معجز من جهة النظم والمعنى ، ومن جهة الإخبار بالغيب))^(٣) .

هذا وقد تكلم الإمام أبو السعود على بعض معاني الإعجاز في مواضع من كتابه ، منها :

أولاً : عند تفسير قوله تعالى :

﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّثْلِهِ ﴾^(٤) ، فقال :

((والتعبير عن اعتقادهم في حقه بالريب مع أنهم جازمون بكونه من كلام البشر ... إما للإيدان بأن أقصى ما يمكن صدوره عنهم وإن كانوا في غاية ما يكون من المكابرة والعناد هو الارتباب في شأنه ... وإما للتنبيه على أن جزمهم ذلك بمنزلة الريب الضعيف لكمال وضوح دلائل الإعجاز ونهاية قوتها))^(٥) .

وقوله :

((والأمر في قوله تعالى :

١- المصدر السابق : ١ / ٣٤٩ .

٢- المصدر السابق : ١ / ٣٥٢ .

٣- ((إرشاد العقل السليم)) : ٤ / ١٤٦ .

وانظر حديثه عن الإعجاز في : ١ / ٦٣ - ٦٦ ، ٤ / ١٤٦ ، ١٩١ - ١٩٢ ، ٥ / ١٩٣ - ١٩٤ ، ٨ / ١٥٠ - ١٥١ .

٤- سورة البقرة : آية ٢٣ .

٥- ((إرشاد العقل السليم)) : ١ / ٦٣ .

﴿فَأَتُوا سُورَةَ﴾ من باب التعجيز وإلقام الحجر ... كأن قيل : إن كان الأمر كما زعمتم من كونه كلام البشر فأتوا بمثله لأنكم تقدرون على ما يقدر عليه سائر بني نوعكم ((^(١)).

وقوله :

((و ﴿ مِنْ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ مِنْ مِثْلِهِ ﴾ بيانية متعلقة بمحذوف وقع صفة لسورة ... أي بسورة كائنة من مثله في علو الرتبة ، وسمو الطبقة ، والنظم الرائق ، والبيان البديع ، وحيازة سائر نعوت الإعجاز ...))^(٢).

وقد أخذ المصنف في بيان معاني الإعجاز في هذه الآقرة على هذا المنوال .

ثانياً : عند تفسير قوله تعالى :

﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْقَرَبَهُ قُلْ فَأَتُوا سُورَةَ مِثْلِهِ وَأَدْعُوا مَنْ أَسْطَعَتْكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾ فقال :^(٣)

((إن كان الأمر كما تقولون فأتوا بسورة مثله أي في البلاغة وحسن الصياغة وقوة المعنى - على وجه الافتراء - فإنكم مثلي في العربية والفصاحة ، وأشدُّ تمرناً مني في النظم والعبارة ...))^(٤).

وهكذا ساق المصنف الكلام على الإعجاز - هنا وفي سائر المواضع في كتابه - على هذا النسق من الإجمال والإشارة دون التفصيل والتبيين .

٢ - أما ((روح المعاني)) للآلوسي ، فهو كتاب مشهور معروف ، تكلّم فيه مصنفه على الإعجاز في أماكن متعددة من تفسيره ، منها :

أ - في المقدمة ، حيث خصص مبحثاً منها بعنوان : ((بيان وجه إعجاز القرآن)) ، ذكر فيه بعض وجوه الإعجاز^(٥) ، وأخصها بالآتي :

١ - النظم البليغ والوزن العجيب والأسلوب الفائق أساليب العرب .

١ - المصدر السابق : ١ / ٦٤ .

٢ - المصدر السابق .

٣ - سورة يونس : آية ٣٨ .

٤ - ((إرشاد العقل السليم)) : ٤ / ١٤٦ .

٥ - انظر ((روح المعاني)) : ١ / ٢٧ - ٣٣ .

٢ - البلاغة .

٣ - اشتماله على الأخبار الغيبية .

٤ - كونه - مع طوله - غير متناقض ولا مختلف .

٥ - موافقته لقضية العقل ودقيق المعنى .

٦ - إعجازه من جهة قدّمه^(١) .

٧ - الصّرفة .

٨ - الإعجاز بجمله وجوه .

وقد ناقش الآلوسي تلك الأوجه مناقشة مستفيضة ، وأورد بعضاً من اعتراضات العلماء على بعضها ، وردّ كثيراً منها ردّاً حسناً ، ثم إنه اختار منها أربعة أوجه رأى أن القرآن إنما صار معجزاً بها ، وهي مجموعة في قوله : ((والذي يخطر بقلب هذا الفقير أن القرآن بجملته وأبعاضه حتى أقصر سورة منه معجزٌ بالنظر إلى نظمه ، وبلاغته ، وإخباره عن الغيب ، وموافقته لقضية العقل ودقيق المعنى ، وقد يظهر كلها في آية^(٢) ، وقد يستتر البعض كالإخبار عن الغيب ، ولا ضيّر ولا عيب ، فما يبقى كافٍ ، وفي الغرض واف))^(٣) .

ثم قال :

((وهذه الأوجه الأربعة هي الظاهرة في وجه إعجاز القرآن ...))^(٤) .

١- تكلمت على هذه المسألة قبل هذا فلتنظر في صفحة ١٢٨ وما بعدها .

٢- أي قد تظهر كل الأوجه التي ذكرها في آية واحدة .

٣- ((روح المعاني)) : ١ / ٣١ .

٤- المصدر السابق : ١ / ٣٢ .

ب - وقد تحدث عن الإعجاز أيضاً عند تفسيره لآيات التحدي^(١) كقوله عند الكلام على آية : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلُوبًا فَاتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٢) حيث قال :

((... إن كان الأمر كما زعمتم فاتوا من عند أنفسكم أو ممن تقدمكم من فصحاء العرب وبلغائها ... بسورة مماثلة له في صفاته الجليلة ، فحيث عجزتم عن ذلك مع شدة تمرنكم ولم يوجد في كلام أولئك - وهم الذين نصبت لهم المناير في عكاظ الفصاحة والبلاغة^(٣) ، وبهم دارت رحا النظم والنثر ... - دل على أنه ليس من كلام البشر بل هو من كلام خالق القوى والقدر))^(٤) .

وقال أيضاً في هذه الآية :

((وفي هذه الآية دلالة على إعجاز القرآن لأنه - عليه الصلاة والسلام - تحدى مصارع^(٥) العرب بسورة منه فلم يأتوا بذلك وإلا لنقل إلينا لتوفر الدواعي إلى نقله))^(٦) .

وقد تكلم على ترتيب آيات التحدي كلاماً حسناً^(٧) عند تفسير قوله تعالى : ﴿ أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْنَاهُ قُلُوبًا فَاتُوا بِعَشْرِ سُورٍ مِثْلِهِ مُفْتَرِينَ وَادْعُوا مَنِ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴾^(٨) .

١- انظر ١ / ١٩٢ - ١٩٧ ، ١١ / ١١٨ - ١١٩ ، ١٢ / ٢٠ - ٢١ ، ١٥ / ١٦٦ - ١٦٧ ، ٢٧ / ٣٧ .

٢- سورة يونس : آية ٣٨ .

٣- في السياق قلنَّ ظاهر أو سقط أدى إليه ، والمعنى مفهوم .

٤- ((روح المعاني)) : ١١ / ١١٨ .

٥- المصنَّع : البليغ ، انظر ((لسان العرب)) : ص ق ع .

٦- ((روح المعاني)) : ١١ / ١١٩ .

٧- انظر ص ٥٤ وما بعدها من هذه الرسالة .

٨- سورة هود : آية ١٣ .

ثم إنه نقل قول من قال :

((استدل بهذه الآية على أن إعجاز القرآن بفصاحته لا باشماله على المغيَّات وكثرة العلوم ؛ إذ لو كان كذلك لم يكن لقوله سبحانه : ﴿مُفْتَرَيْنِ﴾ معنى ، أما إذا كان وجه الإعجاز الفصاحة صح ذلك ، لأن فصاحة الكلام تظهر إن صدقاً وإن كذباً ... نعم ما ذكر إنما يدل على صحة كون وجه الإعجاز ذلك ، ولا يمنع احتمال كونه الأسلوب الغريب وعدم اشماله على التناقض كما قيل به))^(١) .

كانت تلك نبذة عن مباحث الإعجاز في كتاب ((روح المعاني)) .

وإذا أريد مقارنة ما في هذين الكتابين : ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) ، وكتاب ((روح المعاني)) مع كتاب ((معترك الأقران)) فإنه يجب أن يُلاحظ أن كتاب ((معترك الأقران)) مستقل بالإعجاز بينما الكتابان الآخران ليسا كذلك ، فالحديث عن الإعجاز في كتابي التفسير جاء محدداً ومختصراً ، بينما توسع السيوطي في ((معترك الأقران)) توسعاً كبيراً ، فلهذا كله لا يصح مقارنة ذينك الكتابين بكتاب الإمام السيوطي في الاستدلال بالآيات والأحاديث ، أو إيراد كلام العلماء من المصادر والمراجع ، أو من حيث المنهج في التأليف .

المقارنة بين الكتب الثلاثة :

أولاً : لم يأت أبو السعود - رحمه الله تعالى - بكلام متعلق بمباحث الإعجاز إلا في مواضع يسيرة ، بينما توسع السيوطي والآلوسي في ذكر تلك المباحث .

ثانياً : سلك أبو السعود مسلك السيوطي في بيان بلاغة القرآن العظيم وقوة نظمته وأسلوبه ، إلا أن السيوطي أفرد مباحث البلاغة أوجهاً للإعجاز ، محدداً بذلك مرادة تحديدًا واضحاً بيناً ، بينما الباحث عن الإعجاز في كتاب أبي السعود كغائص البحر باحثاً عن درره .

١- ((روح المعاني)) : ١٢ / ٢٠ - ٢١ .

ثالثاً : على أن كتاب ((روح المعاني)) ليس مستقلاً بالإعجاز إلا أن مباحث الإعجاز فيه قوية واضحة ، فيها نقد قوي لما يحتاج إلى النقد من كلام العلماء ، وفيه ذكر لوجوه الإعجاز وبيان المختار منها ، بينما لم يكن الأمر كذلك في كتاب السيوطي ولا في كتاب أبي السعود ، رحمهم الله جميعاً .

رابعاً : كان أسلوب أبي السعود قوياً رصيناً ، دقيقاً في بعض أنحاء دقة قاربت حد الغموض ، يليه في هذا العلامة الألوسي ، بينما أسلوب السيوطي يغلب عليه السهولة في مباشرة المعاني وطرق المراد ، وقد بينت هذا سابقاً^(١) .

١ - انظر ص ٤٢٢ وما بعدها .

المبحث الثاني :

المؤلفات التي جاءت بأمور جديدة تناسب العصر

كان لقدامى المصنفين - رحمهم الله تعالى - الفضلُ والسبق في إظهار جوانب مهمة من الإعجاز القرآني ، وكان الإعجاز اللغويّ البيانيّ أهمّ مآثره المصنفون القدامى وأظهره وبينوه ، لكن الله - تعالى - أدّخر من الفضل والتوفيق لعلماء القرن الرابع عشر الشيعيّ الكثير ، حتى أنّ أحد الباحثين وصف هذا القرن بأنه العصر الذهبيّ الثاني للتأليف في الإعجاز ، حيث إن العصر الذهبيّ الأول عنده هو القرن الخامس ((نظراً لما أضافه الباقلاني والجرجاني من أفكار))^(١) .

والناظر في مصنفات أهل القرن الفائت في موضوع إعجاز القرآن يعلم أن هذه مقولةٌ صحيحة لامبالغة فيها ؛ إذ أن كثيراً من المصنفين في الإعجاز - خاصة بعد القرن الخامس - لم تسلم مصنفاتهم تلك من الترداد والتكرار لما سبق أن قعده وتكلم فيه كبار المصنفين من أمثال الخطّابيّ والباقلانيّ والجرجانيّ - رحمهم الله جميعاً - حتى جاء السيوطي ، رحمه الله تعالى ، فتوجهت همته إلى جمع مقالته من سبقه مع شيء من التحرير والإضافة ، كما سبق بيان ذلك^(٢) .

ثم إن من أتى بعده طيلة أربعة قرون أو تزيد لم يأت بشيء ذي بال ، بل إننا لانكاد نعلم عن شيء من مصنفات تلك القرون الفوائت ، لأنها كانت قرونَ ضعف وركود في كل مناحي الحياة تقريباً ، وأصاب التفكير العلميّ فيها ما أصاب غيره من جمود وهمود ، حتى لكأن الأمة الإسلامية لم تشارك الأمم في حياتها تلك السنوات الطوال .

١- الدكتور صلاح الخالدي في كتابه : ((البيان في إعجاز القرآن)) : ١٢١ .

٢- انظر ص : ٤١٤ وما بعدها .

ثم استيقظت هذه الأمة العظيمة بعد سبات طويل لتجد نفسها قد فاتها ما يفوت النائم بقدر نومه ، وهامى هذه الأمة التي نامت طويلاً - إلا ما كان من وخز حركات الإصلاح المحدودة لها لتستيقظ - قد أفادت ففزعت لما فاتها فأخذت تحاول اللحاق بالركب لتتبوأ المكانة اللائقة بها ، فأخذ علماءها ومفكروها يبرزون عظمتها وحضارتها وعظمة دينها وكتابها حتى يطردوا من أذهان الناس وهم النقص الناشئ من غلبة الاستعمار عليها^(١) : الغلبة العسكرية والغلبة الفكرية .

وقد أسهمت هذه الجهود المباركة في دحر الاستعمار ويقظة الأمة ، ثم صارت هذه اليقظة صحوه قوية مباركة نشهدها هذه الأيام ، وستصير هذه الصحوه - بإذن الله - لما قدره الله تعالى لها أن تصير فتعود العزة لهذه الأمة المباركة وتصبح لها الصدارة والسيادة من جديد .

وقد قلت إن علماء الأمة ومفكريها أبرزوا - فيما كتبوه - عظمة هذا الكتاب العظيم ، فكان من أبرز ما دل على عظمتهم وتفردته هو بقاءه وسناؤه وخلوده وعدم تأثره بمرور الليالي والأيام ، الأمر الذي تفرد به بين معجزات سائر الرسل عليهم الصلاة والسلام .

والمؤلفات التي ألفت في القرن الفائت - وقت يقظة الأمة وتأثرها بانداءات وأعمال المصلحين - عليها سمات بارزة تُعرف بها وهي من لوازم ذلك العهد المبارك ، فمنها :

١ - التأكيد على عظمة هذا الكتاب ، وأن الأمة وإن كانت بمجموعها قد ضعف عندها الحسُّ ببلاغة هذا القرآن إلا أنه مازالت ألفاظه وقوة جرسه تعمل عملها في القلوب^(٢) .

١- قد جازيت في هذا المصطلح السائد من التعبير وتنزلت معه ، وإلا فهو خراب ودمار في أكثر جوانبه .

٢- انظر ((النبا العظيم)) : ١٠١ - ١٠٤ .

٢ - تعميق الحس بأن هذا الكتاب من عند الله - تبارك وتعالى - لمدخل للبشر فيه ولا يستطيعه أحد منهم ، ويتبين هذا الأمر في كثرة ردود من صنف في ذلك الزمان على الشبهات الواردة بأن هذا الكتاب من صنع البشر وليس من عند الله ، تعالى الله عما يقولون وتقدس ، وما كان هذا ليكون لولا طول مكوث الكافرين - مستشرقين ومستغربين - في أماكن التأثير على العقول والقلوب^(١) .

٣ - إظهار موقف منصف الكافرين من هذا القرآن العظيم وإعجازه ، وأن المنصف الحق لا يملك إلا أن يقف مثل هذا الموقف^(٢) .

٤ - بيان رجوع الأمم إلى الحق الذي جاء به هذا القرآن العظيم في جوانب كثيرة ، ولو أنهم لم يصرحوا - إلا في أحيان قليلة - بأن رجوعهم هذا كان إثارة لما في هذا الكتاب العظيم من قوة في الإصلاح والتشريع^(٣) .

٥ - المباحث الجديدة التي قررت وجوهاً للإعجاز ما كانت معروفة من قبل وقد تفرد بذكرها وكشفها القرآن العظيم منذ قرون طويلة ، وذلك نحو الإعجاز العلمي والإعجاز التشريعي :

((فمن المقرر أن القرآن ماجاء أصلاً إلا للهداية وتقرير منهاج الله لعباده ، وشريعته للناس ، وما جاءت وجوه الإعجاز اللغوي أو العلمي والتاريخي إلا لخدمة هذا الأصل واستمالة وجوه الناس إليه ...))^(٤) .

و ((الإعجاز التشريعي هو المعجزة الدائمة التي تتحدى البشر في كل زمان ومكان ، خاصة في عصور الغرور العلمي والفكري والمذهبي الذي يسود العالم

١- انظر - مثلاً - ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٣١٦ - ٣٣٣ ، ((والنبأ العظيم)) : ٢٠ - ٦٩ .

٢- ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٣٠٧ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٤٨ - ٢٤٩ .

٤- ((المدخل إلى التفسير الموضوعي)) : ٤٨ .

الآن ، أما الإعجاز اللغوي فهو كذلك صالح إلى يوم الدين ، ولكن لا يوجد أحد على وجه الأرض يصلح أن يكون أهلاً لتحدي القرآن الآن كما كان العرب في أوج فطرتهم البلاغية وسليقتهم البيانية حين نزل القرآن ، والإعجاز أظهر ما يكون حين يتحدى الناس في أقدارهم التي برعوا فيها وظنوا أنهم وحدهم القادرون عليها ^(١) .

والإعجاز العلمي مهم - أيضاً - في مخاطبة الناس وإظهار ما في القرآن من تفوق علمي حتى على المكتشفات الحديثة التي ظن مكتشفوها أنهم أتوا بما لا قبل للناس به ولا يعرفونه ، فإذا بهم يفاجأون بأن ما جاؤوا به قديم معروف منذ مئات السنين ثابت في هذا الكتاب العظيم ، وكم من العلماء الكبار قد عقدت الدهشة ألسنتهم فأسلموا لله رب العالمين ، وعرفوا أن هذا الكتاب معجز لا يصح أن يكون منسوباً لبشر أبداً .

والحق إن هذه الجوانب الخمسة السابقة هي مما تفردت به الكتب المصنفة في القرن الفائت إلى حد كبير ، بل إن بعض هذه الجوانب قد تفردت به تلك الكتب مطلقاً مثل الجانبين الرابع والخامس .

وقد رأيت أن أتحدث عن ثلاثة مصنفات طرقت الإعجاز انفرد منها واحد بطرقه للإعجاز على انفراد ، وشاركت الإعجاز علوم أخرى في المصنفين الآخرين .

أما ما كان خالصاً للإعجاز فهو كتاب ((النبأ العظيم : نظرات جديدة في القرآن)) للشيخ الدكتور محمد عبد الله دراز ، رحمه الله تعالى ، والكتابان الآخران هما : كتاب ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) للشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني ، رحمه الله تعالى ، وكتاب ((إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)) للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، رحمه الله تعالى .

١- المصدر السابق : ٤٨ - ٤٩ ، وانظر ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٢٤٧ وما بعدها .

وهذه الكتب الثلاثة المختارة تُعدّ صورة صادقة للمؤلفات في الإعجاز في القرن الفائت لما تفرد به كلٌّ منها في جوانب مهمة من دراسة الإعجاز^(١) .
ثم إنني بعد فراغي من ذكر مناهج المصنفين الثلاثة سأعقد - إن شاء الله تعالى - مقارنة بين تلك المناهج ومنهج السيوطي .

١- لكاتبني ((في ظلال القرآن)) و ((التصوير الفني في القرآن)) للأستاذ سيد قطب - رحمه الله تعالى - فضل لا ينكر في بيان الإعجاز ، لكن قد كفاني مؤونة تبيان ذلك عدد من المصنفات كان من أهمها دراسات د . صلاح الخالدي ، فلم أشأ أن أكرر ماسبق شرحه وافيأ .

أولاً : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية ^(١) :

للأستاذ مصطفى صادق الرافعي ، رحمه الله تعالى

كان للأستاذ الرافعي - رحمه الله تعالى - فضلُ السبق في الكلام على الإعجاز في القرن الرابع عشر على هذا النحو من البسط والتوسع في العرض بذكر مباحث متعلقة بالإعجاز تعلقاً مباشراً ، فقد جاء مبحث الإعجاز قسماً من أقسام الكتاب حيث إنه يحتوي مباحث قرآنية عديدة نحو : تاريخ القرآن ، والقراءات ، وآداب القرآن إلخ ...

هذا وإن جاء الإعجاز القرآني مبحثاً في كتاب الرافعي إلا أنه أكبر مباحث الكتاب حجماً ^(٢) .

وقد قسم المصنف - رحمه الله تعالى - هذا المبحث إلى أقسام :

١ - معنى الإعجاز ^(٣) .

٢ - أقوال في الإعجاز ، ضمنها أقوال العلماء في إعجاز القرآن من أهل السنة والمعتزلة ، وأقوال من أنكر الإعجاز إلخ ... ^(٤)

٣ - ذكر بعض المصنفات في الإعجاز ^(٥) .

٤ - حقيقة الإعجاز ^(٦) .

يريد بهذا ما انتقد في ذهنه هو من حقيقة الإعجاز بعد طول بحث وإطالة فكر .

١- قد رتبت الكتب الثلاثة بحسب وفاة مصنفها : الرافعي ثم الرزقاني ثم دراز ، رحمهم الله جميعاً .

٢- قد استغرق البحث في الإعجاز من صفحة ١٣٩ - ٢٧٥ ، والكتاب يقع في أربعين وثلاثمائة صفحة تقريباً .

٣- ص ١٣٩ - ١٤٠ .

٤- ص ١٤١ - ١٥٠ .

٥- ص ١٥٠ - ١٥٥ .

٦- ص ١٥٦ - ١٦٥ .

وهذا يحتاج إلى وقفة ؛ إذ أني أعملت الذهن فيما خرج به الرافعي^١ من حقيقة الإعجاز فلم أظفر بمراحه كاملاً ، ولم أخرج من كلامه الطويل بتعريف محدد للإعجاز ؛ ذلك أنه يقول :

((أما الذي عندنا في وجه إعجاز القرآن ، وما حققناه بعد البحث ، وانتهينا إليه بالتأمل وتصفح الآراء وإطالة الفكر ، وإنضاج الروية ، وما استخرجناه من القرآن نفسه في نظمه ووجه تركيبه وأطراد أسلوبه ، ثم ماتعطيناه لذلك من التنظير والمقابلة ، واكتناه الروح التاريخية في أوضاع الإنسان وآثاره ، ومانتج لنا من تتبع كلام البلغاء في الأغراض التي يُقصد إليها ، والجهات التي يعمل عليها ، وفي رد وجوه البلاغة إلى أسرار الوضع اللغوي، التي مرجعها إلى الإبانة عن حياة المعنى بتركيب حي من الألفاظ يطابق سنن الحياة في دقة التأليف وإحكام الوضع، وجمال التصوير، وشدة الملاءمة حتى يكون أصغر شيء فيه كأكبر شيء فيه ، نقول إن الذي ظهر لنا بعد كل ذلك واستقر معنا أن القرآن معجز بالمعنى الذي يُفهم من لفظ الإعجاز على إطلاقه حين ينفي الإمكان بالعجز عن غير الممكن ، فهو أمر لا تبلغ منه الفطرة الإنسانية مبلغاً وليس إلى ذلك مأتى ولا جهة ...))^(١) .

وقد سقتُ هذا النصَّ الطويل لبيان أن الرافعي - رحمه الله تعالى - لم يبين لنا حقيقة الإعجاز على هيئة تعريف محدد إنما خرج بالذي سقته آنفاً وحاصله أن الإعجاز القرآني لا يستطاع تحديده - كالروح والنوم مثلاً - إذ كلُّ من الإعجاز والروح والنوم فيه إعجاز من جهة هيئة الوضع لكن القرآن انفرد عنهما وعمّا يماثلهما بأن له مادة من الألفاظ هي التي يظهر فيها وجه هذا الإعجاز .

ثم إن الرافعي يمضي ليؤكد أن ((القرآن معجز في تاريخه دون سائر الكتب ، ومعجز في أثره الإنساني ، ومعجز كذلك في حقائقه ، وهذه وجوه عامة لا تخالف الفطرة الإنسانية في شيء فهي باقية مابقيت ، وقد أشرنا إليها في بعض الفصول

١- ((إعجاز القرآن)) : ١٥٦ .

المتقدمة ، على أنها ليست من غرضنا في هذا الباب وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي^(١) .

فالرافعي - إذا - يعلم أن هذه الأوجه الثلاثة المذكورة هي من إعجاز القرآن ولكنه لا يريد الحديث عنها ، إنما يريد إظهار حقيقة إعجاز القرآن في ألفاظه نفسها وأثرها على السامع ويبين ذلك بقوله :

((على أنها ليست من غرضنا في هذا الباب وإنما مذهبنا بيان إعجازه في نفسه من حيث هو كلام عربي ؛ لأننا إنما نكتب في هذه الجهة من تاريخ الأدب دون جهة التأويل والتفسير)) .

ويأتي الرافعي فيؤكد بعد هذا أنه لولا أن القرآن فصيح في ألفاظه إلى حد الإعجاز لما استطاع التأثير في العرب الذين كانت القصاحة رأس مالههم وتجارتهم^(٢) ، وأتى بعبارة رائعة حيث قال :

((قامت فيهم بذلك دولة الكلام ، ولكنها بقيت بلا ملك حتى جاءهم القرآن))^(٣) .

ثم ذكر أن الذي غير طباع العرب فانقادت للإسلام وذلك له إنما كان بسبب ((القرآن وإعجازه بنظمه وأصاليه ، وافتتانه على هذه الوجوه المعجزة التي أقل ماتوصف به أنها السحر بل السحر بعضها ... وليت شعري ماهو أمر المعجزة في العقل إن لم يكن هذا من أمره))^(٤) .

فالإعجاز عند الرافعي - إذا - لا يستطاع تحديده ولا يوصف بأحسن من أنه معجز بالمعنى الذي يفهم من لفظ الإعجاز ، ولكن يُستأنس لفهمه بما تركه من آثار

١- ((إعجاز القرآن)) : ١٥٦ - ١٥٧ .

٢- المصدر السابق : ١٥٩ - ١٦٠ .

٣- المصدر السابق : ١٥٧ .

٤- المصدر السابق : ١٦٥ .

عجبية في المؤمنين به والمتبعين له ، وهذه الآثار ساعد على ترسيخها في النفوس وتعميقها في شغاف القلوب ما كان عليه القرآن من الفصاحة التي لا تُستطاع والبلاغة التي في الذروة من النظم والافتنان في الأساليب ، وسيأتي الراجعي على هذا كله في الفصول القادمة التي ستأتي بعد هذا الفصل .

هذا ما حاولته في فهم كلام الراجعي في الإعجاز ، والله أعلم^(١) .

٥ - التحدي والمعارضة^(٢) :

قد ذكر الراجعي في هذا المبحث تحدي الله - تعالى - الكافرين بأن يأتيوا بمثل هذا القرآن أو بعض سور منه أو سورة منه ، وذكر من حاول الإتيان بمثل هذا القرآن العظيم فباء بالخيبة ، وذكر طرفاً من كلامهم الذي قاؤوه زاعمين به المعارضة .

٦ - أسلوب القرآن^(٣) :

وهذا مبحث موصول بما قبله ؛ إذ أورد فيه سبب عدم معارضة القرآن بقوله :

((وهذا الأسلوب فإنما هو مادة الإعجاز العربي في كلام العرب كله ، ليس من ذلك شيء إلا وهو معجز ، وليس من هذا شيء يمكن أن يكون معجزاً^(٤) ، وهو الذي قطع العرب دون المعارضة ، واعتقلهم عن الكلام فيها ، وضربهم بالحجة من أنفسهم وتركهم على ذلك يتلكأون ...))

١- حاول عدد من الباحثين الخروج برأي يحدد في الإعجاز عند الراجعي ، انظر : ((الإعجاز في دراسات السابقين)) للأستاذ عبد الكريم الخطيب : ص ٢٣٠ وما بعدها ، و ((فكرة إعجاز القرآن)) للأستاذ نعيم الحمصي : ص ٣٢٩ وما بعدها ، وتناوله للإعجاز عند الراجعي تناول هش سريع لم يأت فيه بما ذكره الراجعي عن حقيقة الإعجاز ، وإنما حاكم الراجعي إلى شيء لم يُردّه ولم يقصده في كلامه ، والله أعلم .

و دراسة الدكتور صلاح الخالدي : ((البيان في إعجاز القرآن)) لم يتعرض فيها إلى حقيقة الإعجاز عند الراجعي وإنما اكتفى بذكر مظاهر الإعجاز عنده ، انظر ص ١٢٣ - ١٢٤ .

٢- ((إعجاز القرآن)) : ١٦٦ - ١٨٧ .

٣- المصدر السابق : ١٨٨ - ٢٠٨ .

٤- الإشارة في ((هذا)) إلى كلام العرب ، كما يفهم من السياق .

فلما ورد عليهم أسلوب القرآن رأوا ألفاظهم بأعيانها متساوقة^(١) فيما ألفوه من طرق الخطاب وألوان المنطق ، ليس في ذلك إعنائٌ ولا معاياة ، غير أنهم ورد عليهم من طرق نظمه ، ووجوه تركيبه ، ونسق حروفه في كلماتها ، وكلماته في جملها ، ونسق هذه الجمل في جملة ما أذهلهم عن أنفسهم من هيئة رائعة وروعة مخوفة ، وخوف تقشعر منه الجلود حتى أحسوا بضعف الفطرة القوية ، وتخلف الملكة المستحكمة ، ورأى بلغاؤهم أنه جنس من الكلام غير ما هم فيه ...))^(٢) .

وقد أخذ الرافعي ابتداءً من هذا المبحث بذكر مظاهر الإعجاز في كتاب الله - تعالى - وإنما قلت (مظاهر) ولم أقل (وجوه) لأن من مذهب الرافعي - الذي ذكرته آنفاً - أن الإعجاز حقيقة لا تصور ولا تكيف وإنما هو معجز على إطلاقه ، ويُفهم هذا الإعجاز بما يذكر من مظاهر دالة عليه .

٧ - نظم القرآن^(٣) :

وقسمه إلى ثلاثة أقسام : نظم الحروف ، ونظم الكلمات ، ونظم الجمل وسيأتي قريباً الكلام على هذه الأقسام .

٨ - غرابة أوضاعه التركيبية^(٤) :

وهو متعلق بالمبحث الذي سبقه - وهو نظم القرآن - والذي يليه ، وهو بلاغة القرآن ، حيث اجتمع لألفاظ القرآن من قوة التركيب ومن قوة البلاغة ما لم يتفق للعرب بعضه ولا قليل من بعضه^(٥) .

١- التساوق هو المتابعة ، انظر ((لسان العرب)) : سن وق .

٢- المصدر السابق : ١٨٨ - ١٨٩ .

٣- ((إعجاز القرآن)) : ٢٠٩ - ٢٤٨ .

٤- المصدر السابق : ٢٤٩ - ٢٥٥ .

٥- انظر ((إعجاز القرآن)) : ٢٥٢ .

٩ - البلاغة في القرآن^(١) :

لم يتكلم الرافعي في هذا المبحث عن فنون البلاغة ، إنما ذكر أن البلاغة القرآنية بلغت المبلغ الذي ليس وراءه مبلغٌ ، واحتوت فنون كلام العرب جميعاً على الوجه المعجز ، وقال كلمة جميلة في هذا الباب ، وهي :
((إن القرآن كان عِلْمَ البلاغة عند العرب ، ثم صار بعدهم بلاغةً هذا العلم))^(٢) .

١٠ - الطريقة النفسية في الطريقة اللسانية^(٣) :

ومراده منها أن القرآن أورد ألفاظاً جميلة لمعاني جليلة ، وهذه الألفاظ تدل بنفسها على المعاني من غير زيادة ولا نقصان ، وتعبر عما في النفس تعبيراً يعجز عن مثله كل البشر .

١١ - إحكام السياسة المنطقية على طريقة البلاغة^(٤) :

ومراده - والله أعلم - أن فنون المنطق المعروفة قد جاءت في القرآن واضحة بارزة لكن ليس على طريقة المنطقيين من إلزام العقل وترك العاطفة والشعور وإنما يجمع الاثنين معاً ؛ بحيث إن السامع لآيات القرآن العظيم لا يستطيع أن يَصْدِفَ عنه ولا يجد له ((مذهباً ولا وجهاً غير القصد إليه فيكون من ذلك الإلزام البياني الذي توحيه طبيعة المعنى البليغ ، وكان حتماً مقضياً))^(٥) .

وقد استفاد من كلام ابن رشد^(٦) - رحمه الله تعالى - في هذه المسألة ،

١- المصدر السابق : ٢٥٦ - ٢٦١ .

٢- المصدر السابق : ٢٥٧ .

٣- المصدر السابق : ٢٦٢ - ٢٦٤ .

٤- المصدر السابق : ٢٦٥ - ٢٧٣ .

٥- المصدر السابق : ٢٦٧ .

٦- هو ابن رشد الحفيد ، العلامة ، فيلسوف الوقت ، أبو الوليد محمد بن أبي القاسم أحمد بن محمد القرطبي . ولد سنة عشرين وخمسمائة ، وبرع في الفقه ، ودرس الطب ، ثم أقبل على علوم الأوائل وبلاياهم حتى صار يُضْرَبُ به المثل في ذلك . كان متواضعاً ، صاحب همة ماترك الاشتغال إلا ليلتين : ليلة موت أبيه وليلة عرسه . ولي قضاء قرطبة فحمدت سيرته ثم رُفِعَتْ عنه أقوال رَدِيَّةٌ إلى سلطان مراکش فحبسه بداره حتى مات سنة ٥٩٥ .

انظر ((سير أعلام النبلاء)) : ٢١ / ٣٠٧ - ٣١٠ .

كما أشار الرافعي في كتابه^(١) .

هذا موجزٌ لكلام الرافعيّ - رحمه الله تعالى - في إعجاز القرآن ، وقد عانيت في فهم بعض كلامه ومراميه ومقاصده حيث إنه قد أغلق بعض العبارات ، فصعّب فهم بعض آرائه ومراده منها .

وكلام الرافعيّ في الإعجاز - وإن ثقل في بعض ألفاظه ومعانيه - إلا أنه عرضه في أسلوب رصين جزل زانه كثير من التحديد وحسن العرض .

أما الجديد في كتابه فهو كلامه في نظم القرآن في قسمي نظم الحروف ونظم الكلمات ؛ فقد أتى في قسم نظم الحروف بما يسمى بـ ((موسيقى الحروف)) ومراده منها جرس الحرف ووقعه على أذن السامع ، وأختار أن تغيّر هذه التسمية : ((موسيقى الحروف)) لسببين :

الأول : أن الكلمة : ((موسيقى)) غير عربية فلم نستعملها ؟

الثاني : للوهم الذي ينشأ عند العوام إذ يخلطون بين المراد منها عند إطلاقها وبين ما يعرفونه هم من معناها الناشئ عن الآلات .

نظم الحروف :

وإنما عظم القرآن وأعجز الناس - في رأي الرافعي - لأسباب منها نظم حروفه وتناسق تواليها على هيئة معجزة ، وخلاصة رأيه هذا مبني على ملاحظة الظواهر التالية في الأحرف المجتمعة :

١- هامش ص ٢٦٥ .

١ - مخارج الحروف .

٢ - صفات الحروف .

فالْحَرْفُ مَخْرَجاً وَصْفُهُ يَسْلُسُ فِي اللِّسَانِ نَطْقاً وَيَسْلُسُ فِي الْكَلِمَةِ مَوْقِعاً ،
حتى كأن كل حرف يسلم اللسان إلى الحرف المجاور على هيئة معجزة لاتأتى للكلام
آخر .

٣ - فواصل الحروف^(١) :

يقول الرافعي :

((وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صورٌ تامة للأبعاد التي تنتهي بها
جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع
الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب ، وتراها أكثر
ما تنتهي بالنون والميم - وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها - أو بالمد ، فإن
لم تنته بواحدة من هذه كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى كان ذلك
متابعة لصوت الجملة وتقطع كلماتها ، ومناسبة للون المنطق بما هو أشبه وأليق
بموضعه))^(٢) .

نظم الكلمات :

أما نظم الحروف نفسها لتصبح كلمات فقد جاء فيه بوجوه جديدة طريفة
حيث قسم الكلمة من حيث الحقيقة الوضعية إلى ثلاثة أقسام :

١ - صوت النفس :

((وهو الصوت الموسيقي الذي يكون من تأليف النغم بالحروف ومخارجها
وحركاتها ، ومواقع ذلك من تركيب الكلام ونظمه ، على طريقة متساوقة ،

١- قد سبق الحديث عن الفواصل ، انظر ص ٥٧٤ وما بعدها .

٢- ((إعجاز القرآن)) : ٢١٦ - ٢١٧ .

بحيث تكون الكلمة كأنها خطوة للمعنى في سبيله إلى النفس ، إن وقف عندها هذا المعنى قُطع به))^(١) .

٢ - صوت العقل وتارة يعبر عنه بصوت الفكر :

((وهو الصوت المعنوي الذي يكون من لطائف التركيب في جملة الكلام ، ومن الوجوه البيانية التي يدور بها المعنى لا يخطئ طريق النفس من أي الجهات انتحى إليها))^(٢) .

٣ - صوت الحس :

((وهو أبلغهن شأنًا ، لا يكون إلا من دقة التصور المعنوي والإبداع في تلوين الخطاب ، ومجاذبة النفس مرةً وموادعتها مرةً ، واستيلائه على محضها^(٣) بما يورد عليها من وجوه البيان ، أو يسوق إليها من طرائف المعاني ، يدعها من موافقته والإيثار له كأنها هي التي تريده وكأنها هي التي تحاول أن يتصل أثرها بالكلام ، إذ يكون قد استحوز عليها وانفرد بالهوى والاستجابة ، وعلى مقدار ما يكون في الكلام البليغ من هذا الصوت^(٤) يكون فيه من روح البلاغة))^(٥) ..

ثم قرر أن ((صوت النفس طبعي في تركيب لغتهم ، وإن كان فيها إلى التفاوت كمالاً ونقصاً ، وصوت الفكر لا يعجزهم أن يستبينوه في كثير من كلام بلغائهم ، أما صوت الحس فقد خلت لغتهم من صريحه وانفرد به القرآن ، وقد كانوا يجدونه في أنفسهم منذ افتتوا في اللغة وأساليبيها ، ولكنهم لا يجدون البيان به في

١- المصدر السابق : ٢٢١ .

٢- المصدر السابق .

٣- أي استيلائه على النفس كلها .

٤- أي صوت الحس .

٥- المصدر السابق .

أُستنتجهم ؛ لأنه من الكمال اللغوي الذي تعاطوه ولم يُعطوه)) ، في كلام طويل له في تقرير هذه المسألة يُرجع إليه^(١) .

ثم إنه جاء ببعض الكلمات القرآنية وضربها مثلاً لما أراد إثباته من أن نظم الكلمات القرآنية لامثيل له ، وأن الكلمة القرآنية مهما طالت فإن لتناسق حروفها وحسن الفصل فيما بينها في الكلمة الواحدة أحسن الأثر في جمال موقعها على الأذن وعظم تقبل السامع لها^(٢) .

هذا وصفٌ موجز لما جاء في كتاب الرافعي من الإعجاز والمباحث المتعلقة به .

١- المصدر السابق : ٢٢٢ .

٢- المصدر السابق : ٢٢٧ وما بعده إلى ٢٣٥ .

ثانياً : ((مناهل العرفان في علوم القرآن))

تأليف الشيخ محمد عبد العظيم الزرقاني

رحمه الله تعالى

هذا الكتاب - كما هو ظاهر من عنوانه - مصنف في علوم قرآنية شتى لكن إعجاز القرآن وخصائص أسلوبه قد استغرق الكثير من حجم الكتاب^(١) ، وقد جاء هذا الكتاب جامعاً محاضرات سبق أن ألقاها المصنف الكريم على طلبته .
وقد قسم المصنف بحثه في الإعجاز إلى قسمين رئيسيين :

١ - وجوه إعجاز القرآن ، وبين في صدرها معنى ((إعجاز القرآن)) .

٢ - شبهات واردة على هذا الإعجاز .

أما وجوه الإعجاز التي أتى بها فهي أربعة عشر وجهاً^(٢) أجمل ذكرها بالآتي :

الوجه الأول : لغته وأسلوبه^(٣) :

قد ضمن هذا الوجه عدة مباحث وهي : القدر المعجز من القرآن ، ومعارضة القرآن قديماً وحديثاً ، وكثرة معجزات القرآن ، وخلود هذه المعجزات ، وحكمة اختيار اللغة العربية لغة لهذا القرآن العظيم ، وختم بالفرق بين أسلوب القرآن وأسلوب الحديث النبوي . وهذا الوجه متعلق بمبحث أسلوب القرآن الكريم وهو المبحث السابق على مبحث الإعجاز ، ولا أدري لم لم يضمه المصنف - رحمه الله تعالى - إلى ذلك الوجه ، ففي كثير من مباحثه تعلق به .

١- ((مناهل العرفان)) : ٢ / ١٩٨ - ٣٣٣ .

٢- المصدر السابق من صفحة : ٢ / ٢٢٨ - ٣١٠ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٢٨ - ٢٣٦ .

٢ - الوجه الثاني : طريقة تأليفه^(١) :

أي أن القرآن محكم التأليف والرصف مع أنه قد نزل منجماً في ثلاث وعشرين سنة ، والبشر يُعجزهم أن يصنفوا كلاماً مترابطاً ترابط القرآن العظيم قد قيل في مناسبات مختلفة على أزمان متباعدة ؛ ولو كان هذا الكلام كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم .

٣ - الوجه الثالث : علومه ومعارفه^(٢) :

ويقصد بهذا مافي القرآن من علوم هدت البشر إلى الحق في دينهم ودنياهم ، وجمعت بين مطالب الروح ومطالب الجسد ، واجتزأت من تلك العلوم والمعارف موضوع العقيدة في الله حيث عرض لعقيدة المسلمين وكيف جاءت في كتاب الله - تعالى - واضحة سهلة ، وكيف رد القرآن على عقائد أهل الكتاب المخرفة .

ووجه الإعجاز هنا أن القرآن ((اشتمل على علوم ومعارف في هداية الخلق إلى الحق ، بلغت من نبالة القصد ، ونصاعة الحجة ، وحسن الأثر وعموم النفع ، مبلغاً يستحيل على محمد - وهو رجل نشأ بين الأميين - أن يأتي بها من عند نفسه ، بل يستحيل على أهل الأرض جميعاً من علماء وأدباء وفلاسفة ومشرعين وأخلاقين أن يأتوا من تلقاء أنفسهم بمثلها))^(٣) .

٤ - الوجه الرابع : وفائده بحاجات البشر^(٤) :

وحاجات البشر التي وفى بها القرآن هي : اصلاح العقائد والعبادات والأخلاق والاجتماع والسياسة والمال إلخ ...

١- ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٢٣٦ - ٢٣٨ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٢٣٨ - ٢٤٥ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٣٨ .

٤- المصدر السابق : ٢ / ٢٤٧ - ٢٤٩ .

٥ - الوجه الخامس : موقف القرآن من العلوم الكونية^(١) :

وقد جاء في هذا الوجه بمباحث متنوعة في طريقة القرآن في ذكر المعارف والعلوم .

٦ - الوجه السادس : سياسته في الإصلاح^(٢) :

أي في إصلاح المؤمنين بهذا الكتاب العظيم ، وحملهم على اتباع الخير والهدى ، ومن سياسته التدرج في تطبيق الأحكام الشرعية ، ومخاطبة العقول والأفكار ، وتلبية مطالب الروح والجسد إلخ ...

٧ - الوجه السابع : أنباء الغيب^(٣) :

ويقصد بهذا الوجه أنباء الغيب الماضي والحاضر من جنة ونار وملائكة وغيرها ، وأنباء الغيب المستقبلي القريب منه والبعيد .

وقد أفرد مبحثاً في هذا الوجه يتعلق بما ذكره القرآن واكتشفت فائدته بعد ذكر القرآن له بمئات السنين أمثال فائدة الصوم ، وفائدة آية ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغَيِّرُ مَا قَوْمٌ حَتَّى يَغْيُرُوا مَا بَأَنفُسِهِمْ﴾^(٤) ومدخلها في علم الاجتماع إلخ ...

٨ - الوجه الثامن : آيات عتاب المصطفى ، صلى الله عليه وسلم^(٥) :

ووجه الإعجاز فيها هو أن النبي - صلى الله عليه وسلم - لو كان مؤلفاً لهذا القرآن العظيم لما سجل على نفسه مثل هذا العتاب .

١- المصدر السابق : ٢ / ٢٤٩ - ٢٥٧ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٢٥٧ - ٢٦٢ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٦٣ - ٢٨٥ .

٤- سورة الرعد : آية ١١ .

٥- ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٢٨٥ - ٢٩١ .

٩ - الوجه التاسع : مانزل بعد طول انتظار^(١) :

((ومعنى هذا أن في القرآن آيات كثيرة تناولت مهمات الأمور ومع ذلك لم تنزل إلا بعد تلبث وطول انتظار فدل هذا على أن القرآن كلام الله لا كلام محمد ؛ لأنه لو كان كلام محمد ما كان معنى لهذا الانتظار))^(٢) ، وضرب أمثلة على هذا منها قصة الإفك .

١٠ - الوجه العاشر : مظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - عند هبوط الوحي عليه^(٣) :

وهو ما كان يعتريه - عليه الصلاة والسلام - من تغير وثقل حال نزول الوحي فدل على أن هذا القرآن ليس من عنده .

١١ - الحادي عشر آية المباهلة^(٤) :

ويعني بها ماجاء في سورة آل عمران من قوله تعالى :
﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ وَنِسَاءَنَا وَنِسَاءَكُمْ وَأَنْفُسَنَا وَأَنْفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَلْ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَى الْكَاذِبِينَ ﴾^(٥) .

وهذه الآية نزلت في وفد نصارى نجران عندما قدموا على رسول الله - صلى الله عليه وسلم - المدينة^(٦) .

١- المصدر السابق : ٢ / ٢٩١ - ٢٩٥ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٢٩١ .

٣- المصدر السابق : ٢ / ٢٩٥ - ٢٩٦ .

٤- المصدر السابق : ٢ / ٢٩٦ - ٢٩٧ ، والمباهلة هي ((أن يجتمع القوم إذا اختلفوا في شيء فيقولوا : لعنة الله على الظالم منا)) ، والبهل : اللعن ، وانظر ((لسان العرب)) : ب ه ل .

٥- سورة آل عمران : آية ٦١ .

٦- انظر ((تفسير القرآن العظيم)) : ٢ / ٤٠ - ٤٥ .

وهذه المباهلة تدل على ثقة النبي - صلى الله عليه وسلم - بربه ، وأن هذا القرآن كلام الله القادر على إنزال اللعنة والعذاب على الكاذب .

١٢ - الوجه الثاني عشر : عجز الرسول عن الإتيان ببديل له^(١) :

أي القرآن ، ويريد المصنف ما جاء في سورة يونس من قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَأَنْتَ بِفَعْلِهِمْ غَيْرُهَا أَنْ يَدْعُوا بِمَا كُفُّوا عَنْ أَنْ أُبَدِّلَهُمْ مِنْ بِلْقَائِي نَفْسٍ ... ﴾^(٢) .

ورسول الله - صلى الله عليه وسلم - لم يأت ببديل لهذا القرآن لأنه ليس كلامه وهو خارج عن طوقه وقدرته .

١٣ - الوجه الثالث عشر : الآيات التي تجرد الرسول من نسبته إليه^(٣) :

أي من نسبة القرآن إلى الرسول صلى الله عليه وسلم ، وذلك نحو قوله تعالى : ﴿ وَمَا كُنْتَ تَرْجُو أَنْ يُلْقَى إِلَيْكَ الْكِتَابُ إِلَّا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ ﴾^(٤) فلو كان القرآن من إنشائه لما تنصل من نسبته إليه على هذا النحو بل كان سيفخر به ويعلو .

١٤ - الوجه الرابع عشر : تأثير القرآن ونجاحه^(٥) :

ويعني به تأثير القرآن في المسلمين وغيرهم على السواء ، وكيف أحب المسلمون هذا القرآن العظيم فبدلوا مهجهم في سبيل العمل به وتنفيذ تعاليمه .

ثم ختم الحديث عن أوجه الإعجاز بذكر بعض أوجه الإعجاز قد ذكرها من سبقه من المصنفين لكنه لم يرتض إلا قليلاً منها^(٦) .

١- ((مناهل العرفان)) ٢ / ٢٩٧ - ٢٩٨ .

٢- سورة يونس : آية ١٥ .

٣- ((مناهل العرفان)) ٢ / ٢٩٩ - ٣٠١ .

٤- سورة القصص : آية ٨٦ .

٥- ((مناهل العرفان)) ٢ / ٣٠١ - ٣٠٨ .

٦- المصدر السابق : ٣٠٨/٢ وما بعدها .

أما الأوجه الأربعة عشر التي ساقها أوجهاً للإعجاز فإن بعضها لا يصح أن يكون كذلك ؛ إذ آيات عتاب المصطفى - صلى الله عليه وسلم - لا تدخل لها في الإعجاز ، وكذلك ما نزل بعد طول انتظار ، ومظهر النبي - صلى الله عليه وسلم - حال نزول الوحي عليه كل ذلك من البراهين الدالة على أن القرآن من عند الله - سبحانه وتعالى - لكن ليس لها تعلق مباشر بموضوع الإعجاز ، أما المباهلة فلا أرى لها تعلقاً بموضوع الإعجاز ألبتة ، وأما عجز الرسول عن الإتيان بمثله فلم يثبت لنا أن النبي - صلى الله عليه وسلم - حاول هذا أو فكر فيه إنما أراد الله سبحانه وتعالى تلقين رسوله الحجة فيما إذا طلب منه الكافرون ذلك ، وكذلك الوجه الثالث عشر وهو الآيات التي تنفي نسبة القرآن إلى هذا النبي العظيم - صلى الله عليه وسلم - لا أدري مانسبته إلى الإعجاز وتعلقه به ؛ إذ هو خير من الأخبار المنبثة في هذا القرآن العظيم ، وقد تعلق المصنف في هذا الوجه بأن القرآن - على هذا - ليس من كلام النبي ، صلى الله عليه وسلم ، وهذا صحيح لكن لا مدخل له في الإعجاز ، والله أعلم .

ثم إن المصنف أنهى مبحث الإعجاز بذكر بعض الشبهات الواردة على إعجاز القرآن وتفنيدها^(١) .

أما الجديد في كتاب ((مناهل العرفان)) فهو الآتي :

١ - الوجه الرابع وهو ((وفاؤه بحاجات البشر)) ؛ إذ أثبت المصنف بدلائل مادية حدثت في زمانه صلاحية القرآن العظيم لهذا الزمان ولكل زمان ؛ ذلك لأن القرآن العظيم وضع أسساً لإصلاح العبادات والأخلاق والنواحي الاجتماعية والمالية والسياسية وغيرها منذ مئات السنين ، وأنَّ ((غير المسلمين كانوا ولا يزالون حائرين يبحثون عن النور ، وينقبون عما يفي بحاجتهم في كثير من نواحي حياتهم ، حتى

١ - المصدر السابق : ٣١٠/٢ وما بعدها .

اضطروا تحت ضغط هذه الحاجة وبعد طول المطاف وقسوة التجارب أن يرجعوا إلى هداية القرآن من حيث يشعرون أو لا يشعرون^(١).

ثم أتى على ذلك بشواهد منها تحريم أمريكا الخمر ، وإباحتها الطلاق ، ومطالبة بعض المصلحين الغربيين اعتماد مبدأ تعدد الزوجات ، وغير ذلك .

وهذا الوجه الذي ذكره يندرج تحت الإعجاز التشريعي في القرآن .

٢ - في الوجه الخامس - ((موقف القرآن من العلوم الكونية)) - أتى المصنف ، رحمه الله تعالى ، بمبحث لطيفة جديدة في طريقة القرآن في ذكره لهذه العلوم ؛ إذ أن القرآن العظيم :

أ - أجمل ذكر هذه العلوم فلم يذكر تفصيلاتها وإنما أشار إليها وذلك كي يفهم كل جيل منها مايناسبه .

ب - دعا إلى النظر والبحث فيها من جملة مادعا إليه من البحث والنظر في الكون .

ج - تحدث عن هذه العلوم تحدث إحاطة بها ، فالله سبحانه عالم بأسرار السموات والأرض .

د - أشار إلى أن الكون كله مريبوب له - سبحانه وتعالى - ومن جملته ما فيه من علوم وأسرار ؛ فلا يليق بعد هذا إذاً أن نخذع بعلم الكافرين الذين سجنوه في دائرة المادة الضيقة ، ولا يليق أيضاً أن نحاكم المعارف العليا التي في القرآن إلى المعارف الدنيا التي عندهم .

١ - ((مناهل العرفان)) ٢ : ٢٤٨ .

ثم إن المصنف - رحمه الله تعالى - نقل كلام أحد العلماء المعاصرين له حيث عقد مقارنة بين نُفُرة النصارى - بسبب تعاليم الكنيسة المحرفة - من العلم الكُنسِي وأهله وبين استقبال المسلمين الحسن لما في القرآن من معارفَ وعلوم^(١) .

وهذا الوجه الذي ساقه يندرج تحت الإعجاز العلمي في القرآن ، وليس ماساقه حديثاً عن العلوم بقدر ماهو إشارات إلى طريقة القرآن في ذكرها وبيانها .

٣ - إirاده منافعَ اكتشفها العلم الحديث في بعض ماشرعه الله - سبحانه وتعالى - لعباده ، وإirاده بعضَ المسائل التاريخية والاجتماعية التي أثبت سبق القرآن في إirادها وذكرها ، وقد سُمي كل ذلك : ((معجزات يكشف عنها العلم الحديث))^(٢) ، وهذا الذي ساقه مندرج - أيضاً - تحت وجه الإعجاز العلمي في القرآن .

هذا ماجاء من مباحثَ جديدة في كتاب المصنف - رحمه الله تعالى - أما ماجاء فيه من مباحثَ قديمة عُرضت عرضاً جديداً شيقاً فشيءٌ كثير ، والكاتب يمتاز بسلاسة العرض وقوة الأسلوب ، ونصاعة الحجة والبرهان في كثير مما يورده ، رحمه الله تعالى .

١- ((مناهل العرفان)) ٢٤٩/٢ - ٢٥٧ .

٢- المصدر السابق : ٢ / ٢٨٠ - ٢٨٥ .

نظرات جديدة في الإعجاز

تأليف ((الدكتور)) محمد عبدالله دراز رحمه الله تعالى

هذا الكتاب - في الأصل - مجموعة من المحاضرات كان الشيخ قد ألقاها على طلبته ثم نقحها وجمعها في هذا الكتاب الجليل^(١).

وقد قسم كتابه إلى بحثين :

١ - تحديد القرآن :

ويقصد بالتحديد تعريف القرآن والفرق بينه وبين الأحاديث النبوية والقدسية^(٢).

٢ - بيان مصدر القرآن وإثبات أنه من عند الله بلفظه ومعناه :

وهذا المبحث هو الذي استغرق جُلَّ الكتاب حيث قسّمه المصنف إلى مراحل :

المرحلة الأولى من البحث : بيان أن القرآن لا يمكن أن يكون إحياءً ذاتياً من نفس رسولنا محمد ، صلى الله عليه وسلم^(٣).

وقد تفنن المصنف - رحمه الله تعالى - في هذا المبحث في إثبات أن القرآن

العظيم لا يمكن أن يكون من كلام رسول الله - صلى الله عليه وسلم - مخترعاً من قبّله ، واستدل على ذلك بـ :

١ - صِدْق الرسول - صلى الله عليه وسلم - وأمانته ، وأنه لم يكن ليذَر الكذب على الناس ويكذب على الله .

١- ((النبأ العظيم)) : ٧ - ٩ .

٢- المصدر السابق : ١٢ - ١٧ .

٣- المصدر السابق : ٢٠ - ٥٥ .

٢ - ((كانت تنزل به - صلى الله عليه وسلم - نوازلٌ من شأنها أن تحفزَه إلى القول ، وكانت حاجته القصوى تلح عليه أن يتكلم بحيث لو كان الأمر إليه لوجد له مقالاً ومجالاً ، ولكنه كانت تمضي الليالي والأيام تتبعها الليالي والأيام ولا يجد في شأنها قرأناً يُتلى على الناس))^(١) ، وضرب مثلاً على ذلك بحادثة الإفك^(٢) .

٣ - آيات العتاب التي كان يُعَاتَبُ بها النبيُّ - صلى الله عليه وسلم - بسبب خطأ يسير في اجتهاده في بعض الأمور ، فلو كان القرآن من لدنه - وحاشاه ، صلى الله عليه وسلم ، من هذا - ((ألم يكن له في السكوت عنها سترٌ على نفسه واستبقاءٌ لحرمة آرائه ؟ بلى إن هذا القرآن لو كان يفيض عن وجدانه لكان يستطيع عند الحاجة أن يكتفم شيئاً من ذلك الوجدان ، ولو كان كاتماً شيئاً لكتفم أمثال هذه الآيات ...))^(٣) .

ثم استمر - رحمه الله - في التدليل على أن هذا القرآن لا بد أن يكون من عند الله - تبارك وتعالى - حتى آخر المبحث ، ثم دلف إلى المرحلة الثانية من المبحث وهي :

وجوب أن يكون الرسول قد غلّم هذا القرآن من لدن حكيم خبير^(٤) .

وهذا المبحث - على الحقيقة - جزء لا يتجزأ من المبحث الذي قبله ؛ فإذا لم يكن القرآن من كلامه - صلى الله عليه وسلم - فهو من كلام الله ، وهو المَعْلَم المقصود هنا سبحانه وتعالى .

١- المصدر السابق : ٢٣ - ٢٤ .

٢- انظر تفصيلها في ((تفسير القرآن العظيم)) : ٦ / ١٧ - ٣٥ .

٣- ((النبأ العظيم)) : ٢٥ - ٢٦ .

٤- المصدر السابق : ٥٦ - ٦٩ .

وردّ المصنّف في هذا المبحث على شبهات قديمة وجديدة في هذا الصدد؛ مثل القول بأن غلاماً رومياً في مكة كان يعلمه القرآن^(١)، إلى القول بـ ((الوحي النفسي))^(٢) من المستشرقين وأذئابهم، أي أن الرسول - صلى الله عليه وسلم - اخترع القرآن من لدن نفسه وليس هو بوحى^(٣).

ثم أخذ في بيان المرحلة الثالثة من بحثه وهي ((الوحي))^(٤)، وذكر حاله الشريف - صلى الله عليه وسلم - حين كان الوحي يتنزّل عليه، وذكر الفرق بين هذه الأحوال وبين ما يمكن أن يقال - وقد قيل - من أن الذي كان يحصل له، صلى الله عليه وسلم، نوع من المرض والاضطراب النفسي^(٥).

١- انظر القصة في تفسير ابن كثير: ٤ / ٥٢٣ - ٥٢٤ عند قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِثُهُمْ إِلَىٰ أَن يَقُولُوا لَهُمْ مَحَلَّ السَّعَادَةِ﴾ سورة النحل: آية ١٠٣.

٢- الوحي النفسي هو ((الإلهام الفاضل من استعداد النفس العالية، وقد أثبتّه بعض علماء الفرنج لنبينا - صلى الله عليه وسلم - كغيره فقالوا: إن عمداً يستحيل أن يكون كاذباً فيما دعا إليه من الدين القويم والشرع العادل والأدب السامي، وصورة من لا يؤمنون بعالم الغيب منهم ... بأن معلوماته وأفكاره وآماله ولدت له إلهاماً فاضل من عقله الباطن أو نفسه الخفية الروحية العالية على تجلّيته السامية، وانعكس اعتقاده على بصره فرأى الملك مثلاً له، وعلى جميعه فوعى ما حدث به.

فصار الخلاف بيننا وبين هؤلاء في كون الوحي الشرعي من خارج نفس النبي، نازلاً عليها من السماء كما نعتقد، لامن داخلها فائضاً منها كما يظنون ...)) :

((الوحي الحمدي)) للسيد محمد رشيد رضا: ٨٣.

وإنما حدث لنبينا - صلى الله عليه وسلم - ذلك الوحي النفسي بزعمهم لأن ((منازع نفسه العالية، وسريته الطاهرة، وقوة إيمانه بالله وبوجوب عبادته وترك ما سواها من عبادة وثنية، وتقاليده ورائية رديئة يكون لها في جملتها من التأثير ما يتجلّى في ذهنه، ويحدث في عقله الباطن الرؤى والأحوال الروحية فيتصور ما يعتقد وجوبه إرشاداً إلهياً نازلاً عليه من السماء بدون وساطة، أو يمثل له رجل يلقيه ذلك يعتقد أنه ملك من عالم الغيب، وقد يسمعه يقول ذلك، وإنما يرى ويسمع ما يعتقد في اللحظة ...)) المصدر السابق: ١١٩.

٣- انظر ((النبا العظيم)): ٦٧، و ((مناهل العرفان)): ١ / ٧٤ - ٧٥، ٧٧ - ٨٤.

٤- ص ٦٩ - ٧٦.

٥- انظر - مثلاً - ((مناهل العرفان)): ١ / ٧٤ - ٧٥، و ((النبا العظيم)): ص ٧٠ وما بعدها.

واستأنس لظاهرة الوحي بما يسمى ((التنويم المغناطيسي))^(١) ، وعقد مقارنة بين التأثير الذي يفعله النوم بالمنوم وبين التأثير المنطبع بالوحي القرآني ، لكن الفرق أن الناس ((قد يوحون زخرف القول غروراً ، وكثيراً ما يترك وحيهم في نفس متلقية أعراضاً عقلية أو بدنية يصعب علاجها ، فأين هذا من الوحي بين رسولين مؤيدين اصطفاهما الله لرسالته : رسول من الملائكة ورسول من الناس))^(٢) .

أما المرحلة الرابعة فهي المقصودة هنا ، وهي التي استغرقت باقي صفحات الكتاب^(٣) ، ألا وهي إعجاز القرآن ، وهو لم يطرق إعجاز القرآن كما طرقة كثير ممن سبقوه حيث بينوا وجوه الإعجاز وقارنوا بينها ورجحوا بعضها على بعض ، لكنه ذكر وجهاً واحداً للإعجاز وهو الإعجاز اللغوي . وكان يريد ذكر الإعجاز العلمي والإعجاز الإصلاحي التهذيبي^(٤) ، لكنه لم يفعل ، ولعل ذلك مرده إلى أن الكتاب المطبوع هو الجزء الأول من ((النبأ العظيم)) فقط ، والباقي لم يكمله الشيخ رحمه الله تعالى^(٥) .

وابتداً للشيخ - رحمه الله تعالى - بالإعجاز اللغوي لأنه هو الذي وقع من جهته التحدي في كل سورة من سور القرآن^(٦) .

وكان للشيخ - رحمه الله تعالى - طريقة فريدة في عرض الإعجاز اللغوي ، فقد ابتداً بذكر الشبهات^(٧) التي يمكن أن تثار في وجوه الذين يقولون بالإعجاز

١ - التنويم المغناطيسي هو ((حالة تأثيرية يظهر فيها النوم على الوسيط تأثيراً بإحاء المنوم وتوجيهه إياه إلى الفكرة المقصودة ، ويكون الوسيط في أثناءها خالي الذهن من هذه الفكرة)) : ((المعجم الوسيط)) ١٠٠٣ / ٢ .

٢ - ((النبأ العظيم)) : ٧٥ - ٧٦ .

٣ - المصدر السابق : ٧٦ - ٢١١ .

٤ - انظر ((النبأ العظيم)) : ٧٩ ، ١٠٦ .

٥ - انظر ((النبأ العظيم)) : ٧ .

٦ - المصدر السابق : ٧٩ .

٧ - المصدر السابق : ٨٠ - ١٠٠ .

اللغوي وهي محصورة في خمس شبهات ، ثم فنّدها جميعاً وأظهر عوارها ، وهذه الشبهات هي :

الشبهة الأولى : القدرة على محاكاة القرآن ، وهي لا تثار إلا من قِبَل الأغرار الناشئين أو الكاذبين كمسيلة الكذاب .

الشبهة الثانية : قد يتيقن واحد من الناس عجزه عن الإتيان بمثل القرآن ، لكنه يظن أن غيره ممن أوتي فصاحة وبلاغة قادر على معارضة القرآن .

الشبهة الثالثة : (الصَّرْفَة)^(١) ؛ وذلك أن مثير هذه الشبهات علم من نفسه وغيره العجز عن مثل القرآن لكنه يظن أن هذا العجز مرده إلى أن الله صرف البشر عن معارضته فلم يحاوله أحد قط ولو حاوله أحد لَأَتَى بمثله .

الشبهة الرابعة : بناء القرآن لا يخرج عن معهود العرب فكلماته كلماتهم وحروفه حروفهم فبم تميز عنهم ؟ ولم كان خارجاً عن قُدْرهم ؟ وهذه الشبهة لا تصدر إلا ممن لم يتدوّق أساليب العرب في نثرهم ونظمهم ومن ثم يقارنها بأسلوب القرآن العظيم .

الشبهة الأخيرة : لِمَ لا يكون اختلاف أسلوب القرآن عن أسلوب غيره من الكلام كاختلاف أساليب الناس بعضهم عن بعض فلكل أسلوبه في الكلام وطريقته ؟ .

ولا يخفى أن الشيخ - رحمه الله تعالى - رتب الشبهات على طريقة متدرجة فمن حُلّت له الشبهة الأولى أثار الثانية ومن حُلّت له الثانية أثار الثالثة وهكذا ...

١- تقدم بيانها والرد عليها ، انظر ص ٩٢ من هذا البحث .

ثم بعد فراغه من الإجابة على الشبهات ابتدأ بالمقصود الأعظم من كتابه وهو إثبات إعجاز القرآن البلاغيّ ، وأن هذا الإعجاز له دوحتان :

الدوحة الأولى : الإعجاز بتناسق الألفاظ وتأثيرها في السامع وهو ما عُرِف قديماً بـ ((الإعجاز النظمي)) ، وبيان أن التأثير به يختلف تماماً عن التأثير بأي كلام آخر^(١) .

الدوحة الأخرى : إعجاز معاني القرآن ، وأنها قد بلغت الذروة التي بلغتها فصاحة الألفاظ وتناسقها وجرسها^(٢) .

ولكي يثبت هذا فإنه قسّم القرآن العظيم إلى أربعة أقسام :

القسم الأول : ما يؤدّي معنى تاماً ، وقد يكون سورةً أو بضعة آياتٍ من سورة ، وعبر عن هذا بـ ((القرآن في قطعةٍ قطعةٍ منه)) ، وصدّر هذا القسم ببيان وجوه الكمال في أي كلام وهي :

١ - القصد في اللفظ والوفاء بحق المعنى .

٢ - خطاب العامة وخطاب الخاصة ، ويعني بهذا أن الخطاب يتلذذ به العامة ويفهمونه ، ويتلذذ به الخاصة ويفهمونه أيضاً .

٣ - إقناع العقل وإمتاع العاطفة معاً .

١- ((النبا العظيم)) : ١٠١ - ١٠٦ .

٢- المصدر السابق : ١٠٦ إلى آخر الكتاب .

٤ - البيان والإجمال : أي أن الألفاظ مجملة لكنها تحوي بياناً كثيراً لمن يفهم ذلك منها .

وقد بين - رحمه الله تعالى - أن هذه الأربعة قد اجتمعت في القرآن العظيم على وجه معجز لا يستطيعه عقول البشر ولا كلامهم .

ثم إنه اختار ثلاث آيات لبيان ما يريد في هذا القسم الأول وهو بيان إعجاز القرآن في قطعة قطعة منه ، وهي قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أُنزِلَ اللَّهُ قَالُوا نُوْمِنُ بِمَا أُنزِلَ عَلَيْنَا وَبِكُفْرُوتِ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصِداً لِمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنْبِيَاءَ اللَّهِ مِنْ قَبْلُ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ... ﴾ الآيات ^(١) ، هذا وقد اختار هذه الآية وآيتين بعدها ولم يختار آيات اعتاد على الكلام عليها والتمثيل بها من قبله ، نحو قوله تعالى : ﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي مَاءَكِ .. ﴾ ^(٢) وقوله تعالى : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾ ^(٣) وذلك لأنه أراد التمثيل بمثال لا ينتبه له الناس عادة ليكون أقوى في الحجة ^(٤) .

ثم بعد أن أتى بآيات أخرى تؤيد ماذهب إليه تحدث عن :

القسم الثاني : وهو بيان إعجاز القرآن في سورة سورة منه : فقارن ، رحمه الله تعالى ، بين اتساق مواضع السورة الواحدة في القرآن - ولو كانت منزلة في سنين متطاولة - وبين الأحاديث النبوية ونثر ونظم العرب ، فقال عنها :

((خذ بيدك بضعة متون كاملة من الحديث النبوي كان التحديث بها في أوقات مختلفة ، وتناولت أغراضاً متباينة ، أوخذ من كلام من شئت من البلغاء بضعة أحاديث كذلك وحاول أن تجيء بها سرداً لتجعل منها حديثاً واحداً من غير أن تزيد بينها شيئاً أو تنقص شيئاً ، ثم انظر كيف تتناكر معانيها وتتنافر مبانيها في الأسماع

١- سورة البقرة : الآيات : ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

٢- سورة هود : آية ٤٤ .

٣- سورة البقرة : آية ١٧٩ .

٤- ((النبأ العظيم)) : ١١٩ .

والأفهام ، وكيف يبدو عليها من التزييع والتلفيق والمفارقة مالا يبدو على القول الواحد المسترسل))^(١) .

ثم ذكر أن النبي - صلى الله عليه وسلم - مهما أوتي من قوة البيان ورجاحة العقل والتفكير لا يمكن له أن يُنزل كل آية من كل سورة موضعها فتبدو كل سورة بهذا التناسق البديع فلا بد أن يكون هذا التنسيق من الله العليّ القدير .

وضرب مثلاً على هذا التنسيق البديع والترابط بين مواضيع السورة المختلفة بسورة البقرة المدنية ؛ وذلك لأنها أطول سورة في القرآن ونزلت في مدد طويلة متفاوتة وهذان العاملان أدعى إلى حدوث عدم الترابط ووقوع التنافر ، لكنه أظهر - رحمه الله تعالى - في دراسته للسورة عظم التناسق والترابط بين أجزائها .

أما القسمان الثالث والرابع وهما :

القرآن فيما بين بعض السور وبعض ، والقرآن في جملة فلم يطرقها في هذا الجزء المطبوع من الكتاب ، ولا أدري أفاجاه الموت قبل إكماله ، أم أنه كتبه لكنه لم يطبع بعد ؟

والكتاب في جملة فريد في باب ، مشوّق في طرحه لأبوابه وأبجائه ، جديد في بعض جوانبه ، مُجدّد في جوانب أخرى .

أما التجديد في عرض ماسبق به المصنفون في الإعجاز فواضح في جميع جوانب الكتاب ،- حيث جاء جديداً في مبانيه ، قديماً في بعض معانيه .

١- ((النبا العظيم)) : ١٤٥ - ١٤٦ .

أما الجديد المطلق في كتابه فهو الآتي :

أولاً : استشهاده لبلاغة القرآن بآيات غير الآيات التي دأب على الاستشهاد بها الأولون ، وذلك في قوله :

((ولا تحسبن أننا سنضرب لك الأمثال بتلك الآيات الكريمة التي وقع اختيار الناس عليها وتواصفوا^(١) الإعجاب بها ؛ كقوله تعالى :

﴿ وَقِيلَ يَتَّارُضْ أَبْلِغِي مَا إِلَيْ ... ﴾^(٢) الآية ، وقوله : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ ﴾^(٣) وأشباههما ، بل نريد أن نجعلك بمثال من عرض القرآن ، في معنى لا يابيه له الناس ، ولا يقع اختيارهم على مثله عادة ، ليكون دليلاً على ما وراءه .

يقول الله تعالى في ذكر حجاج اليهود :

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا تَأْمِنُوا بِمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ وَمَا نَحْنُ بِمُؤْمِنِينَ ﴾^(٤) ...

هذه قطعة من فصل من قصة بني إسرائيل ، والعناصر الأصلية التي تبرزها لنا هذه الكلمات القليلة تتلخص فيما يلي :

١ - مقالة ينصح بها الناصح لليهود ؛ إذ يدعوهم إلى الإيمان بالقرآن .

٢ - إجابتهم لهذا الناصح بمقالة تنطوي على مقصدين .

٣ - الرد على هذا الجواب بركنيه من عدة وجوه .

١- أي وصف بعضهم لبعض مدى إعجابهم بها .

٢- سورة هود : آية ٤٤ .

٣- سورة البقرة : آية ١٧٩ .

٤- سورة البقرة : الآيات ٩١ ، ٩٢ ، ٩٣ .

وأقسم لو أن محامياً بليغاً وكُلت إليه الخصومة بلسان القرآن في هذه القضية ثم هُدي إلى استنباط هذه المعاني التي تختلج في نفس الداعي والمدعو لكنا وسعه في أدائها أضعافُ هذه الكلمات ، ولعله بعد ذلك لا يفي بما حولها من إشارات واحتراسات وآداب وأخلاق ...)) .

ثم أخذ في بيان ما في تلك الآيات من بلاغة وسمو نظم^(١) .

ثانياً : مبحث الحروف التي ادّعي أنها زائدة :

جاء في القرآن العظيم عدة حروف حكم كثير من المفسرين عليها بأنها أحرف زائدة ، وتلطّف بعضهم فذكر أسباباً وحِكماً لزيادتها ، أما الأستاذ فينفي هذه القضية من أصلها ويبين أنه ليس في القرآن حرفٌ زائد ، فذكر في مبحث الإيجاز أن القرآن ((ليس فيه كلمةٌ إلا هي مفتاحٌ لفائدة جليلة ، وليس فيه حرفٌ إلا جاء لمعنى .

دع عنك قول الذي يقول في بعض الكلمات القرآنية إنها مقحمة ، وفي بعض حروفه إنها زائدة زيادة معنوية ، ودع عنك قول الذي يستخف كلمة التأكيد فيرمي بها في كل موطن يظن فيه الزيادة ؛ لا يبالى أن تكون تلك الزيادةُ فيها معنى المزيد عليه فتصلح لتأكيد أولها تكون ، ولا يبالى أن يكون بالموضع حاجةٌ إلى هذا التأكيد أولاً حاجةٌ له به .

أجل دع عنك هذا وذاك فإن الحكم في القرآن بهذا الضرب من الزيادة أو شبهها إنما هو ضربٌ من الجهل - مستوراً أو مكشوفاً - بدقة الميزان الذي وضع عليه أسلوب القرآن ...))^(٢) .

١- ((النبأ العظيم)) : ١١٩ - ١٢٧ .

٢- المصدر السابق : ١٣٠ - ١٣١ .

ثم حثَّ القارئ على تدبر القرآن ليخرج بحكم في هذا المبحث تعين على فهم أسرار أسباب ورود هذه الأحرف ، ثم ضرب عليها مثلاً بقوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾^(١) فقال :

((أكثر أهل العلم قد ترادفت كلمتهم على زيادة الكاف ، بل على وجوب زيادتها في هذه الجملة فراراً من الحال العقلي الذي يفضي إليه بقاؤها على معناها الأصلي من التشبيه ؛ إذ رأوا أنها حينئذ تكون نافية الشبهة عن مثل الله ، فتكون تسليماً بثبوت المثل له سبحانه ، أو على الأقل محتملة لثبوته وانتفائه ...

وقليل منهم من ذهب إلى أنه لا بأس ببقائها على أصلها ؛ إذ رأى أنها لاتؤدي إلى ذلك الحال لانصافاً ولا احتمالاً ؛ لأن نفي مثل المثل يتبعه في العقل نفي المثل أيضاً ... وقصارى هذا التوجيه - لو تأملته - أنه مصحح لامرجح ؛ أي أنه ينفي الضرر عن هذا الحرف ولكنه لا يثبت فائدته ولا يبين مسيس الحاجة إليه ...))^(٢) ثم أخذ في توجيه هذا الحرف - حرف الكاف - توجيهاً جميلاً جديداً^(٣) .

تلك كانت نبذة عن منهج د. دراز في تناول الإعجاز .

١- سورة الشورى : آية ١١ .

٢- ((النبأ العظيم)) : ١٣٢ .

٣- المصدر السابق : ١٣٢ - ١٣٦ .

المقارنة بين منهج الإمام السيوطي ومنهج المصنفين الثلاثة : الرافعي والزرقاني ودراز

لعمد المقارنة بين منهج الإمام السيوطي ومنهج هؤلاء الأساتذة الثلاثة فإني سأعقد مقارنة بين الجوانب المشتركة في مصنفاتهم وبين كتاب ((معترك الأقران)) ، ثم أذكر ماتفرده به كل واحد من الثلاثة من جوانب ، وأعقد مقارنة بينها وبين ماجاء في ((المعترك)) .

المقارنة بين منهج الإمام السيوطي والجوانب المشتركة في مناهج الرافعي ودراز والزرقاني .

أولاً : منهج السيوطي منهج عرض واستدلال لذلك كثر عنده إيراد الآيات والأحاديث والآثار كثرة ملحوظة ، بينما لم تكثر الآيات والأحاديث والآثار في المصنفات الثلاثة وذلك لأن منهجهم قائم على استخراج الحقائق وتأصيلها ، وقد بدا ذلك واضحاً في المباحث الآتية :

أ - في كتاب ((إعجاز القرآن)) :

مبحث نظم القرآن في قسمي : نظم الكلمات ونظم الحروف^(١) .

ب - في كتاب ((مناهل العرفان)) :

١ - الوجه الرابع من وجوه الإعجاز التي ساقها المصنف ، وهو ((وفاءه بحاجات البشر))^(٢) .

١- انظر ص ٦٧٨ من هذا البحث .

٢- انظر ص ٦٨٧ من هذا البحث .

٢ - مبحث ((موقف القرآن من العلوم الكونية))^(١) .

٣ - مبحث ((معجزات يكشف عنها العلم الحديث))^(٢) .

ج - في كتاب ((النبأ العظيم)) :

١ - مبحث الحروف التي ادّعي أنها زائدة^(٣) .

٢ - استشهاد المصنف بآيات لم يستشهد بها من سبقه في إثبات إعجاز القرآن البياني^(٤) .

ثانياً : السيوطي يستخدم أسلوب زمانه في الكلام على الإعجاز وطرقه طرقاً مباشراً دون التمهيد له بمباحث تثبت صحة القرآن وإلهيته ؛ إذ لم تكن به حاجة إلى منهج الإقناع بصحة القرآن وإثبات إعجازه والجلد في ذلك لأن القوم مسلمون ذوو طوية حسنة وفطرة نقية ، بينما كان المصنفون الثلاثة في القرن الفاتت يكتبون للناس في عصرهم : مسلمهم وكافرهم ، ويخاطبونهم خطاب من يريد إثبات أن القرآن من لدن حكيم خبير وليس من قول البشر ، وهم - أيضاً - يخاطبون قوماً بُعدت أفهامهم عن اللغة الفصحى بعداً عظيماً ، فاحتاجوا - لذلك - للإفاضة في مباحث كان السيوطي في غنى عن أكثرها .

ثالثاً : السيوطي يورد أقوالاً على سبيل الحكاية وقد تكون هي شبهات بذاتها^(٥) ؛ وذلك لأن من منهجه الجمع واستيعاب الأقوال ، ولا حرج كبيراً في هذا على

١- انظر ص ٦٨٨ من هذا البحث .

٢- انظر ص ٦٨٩ من هذا البحث .

٣- انظر ص ٦٩٩ من هذا البحث .

٤- انظر ص ٦٩٨ من هذا البحث .

٥- انظر ص ٣١٩ وما بعدها من هذا البحث .

السيوطي لأنه كان يخاطب طلبة علم أو مسلمين ذوي عقيدة متينة - غالباً - لا تهتز بالشبهات ، بينما كان المصنفون الثلاثة يؤصلون الردّ على الشبهات تأصيلاً حسناً ويكتبون للناس كلهم وفيهم المستشرقون والمستغربون والمنصرون وأعداء الإسلام ممن يلتقطون الشبهات التقاطاً من كتب المسلمين وغيرهم^(١) .

رابعاً : أما التقسيم وعرض المادة العلمية فقد جاء حسناً واضحاً في كل الكتب الأربعة ، لكن كتاب ((مناهل العرفان)) كان أحسنها في هذا .

خامساً : استعمل السيوطي في كتابه عدداً وافراً من العلوم : علوم الشرع وعلوم الآلة - كاللغة وأصول الفقه - للدلالة على ما يريد ، بينما انحصر استعمال العلوم في دائرة أضيق عند المصنفين الثلاثة ، ولعل لاستطراد السيوطي وإتيانه بمباحث ليست من الإعجاز سبباً في هذا .

سادساً : استعمل المصنفون الثلاثة : الرافعي والزرقاني ودراز المنهج العلمي الحديث في التصنيف على ما هو معروف من قواعده ، أما السيوطي فقد مزج كتابه بالقصص والوعظ والدعاء مما يؤثر في قارئ الكتاب ويتفاعل معه على ما بينته في موضع سابق^(٢) .

سابعاً : اشترك المصنفون الأربعة في الإتيان بمجديد في كتبهم ، إما الجديد مطلقاً أو التجديد في عرض مباحث قديمة .

المقارنة بين منهج السيوطي ومناهج المصنفين الثلاثة كلّ على حدة :

١- انظر ص ٦٦٩ ، ٦٨٢ ، ٦٩٢ من هذا البحث .

٢- انظر ص ٥٢٣ وما بعدها من هذا البحث .

المقارنة بين منهج السيوطي ومنهج الرافعي :

أولاً : عرّف الرافعي الإعجاز بينما ترك السيوطي ذلك .

ثانياً : قد بين الرافعي وجه الإعجاز الذي قبله وارتآه ، بينما اكتفى السيوطي بسرد أوجه الإعجاز دون بيان ما يختاره منها^(١) .

ثالثاً : السيوطي أوسع دائرة في الإتيان بأوجه الإعجاز وأكثر إحاطة من الرافعي .

رابعاً : أسلوب السيوطي أسلس وألصق بالأذهان والقلوب من أسلوب الرافعي ؛ إذ قد تغمض عبارات الرافعي في كثير من الأحيان حتى تدقّ عن أفهام القارئ متوسط الثقافة .

المقارنة بين منهج السيوطي ومنهج الزرقاني :

لم يتمخض كتاب ((مناهل العرفان)) لمباحث الإعجاز حيث إن الكتاب مسوق لبيان أنواع عديدة من علوم القرآن ، لكن مباحث الإعجاز فيه جاءت وافية بالمراد كيفاً وكمّاً ، ومما يُقارن به بين الكتّابين :

أولاً : عرف الزرقاني الإعجاز تعريفاً حسناً وافياً^(٢) ، بينما لم يعرفه السيوطي .

ثانياً : اشترك المصنفان في إيراد وجوه جديدة في الإعجاز ، وقد سبق بيان ذلك^(٣) .

١- انظر ص ٣٣٩ ، ٤١٤ من هذه الرسالة .

٢- انظر ((مناهل العرفان)) : ٢ / ٢٢٧ .

٣- انظر صفحة ٤١٤ وما بعدها و صفحة ٦٨٧ وما بعدها .

ثالثاً : اشترك المصنفان في الإتيان بوجه لاتعلق لها بالإعجاز لكن السيوطي توسع في هذا توسعاً كبيراً^(١) .

رابعاً : ناقش الزرقاني عدداً من أوجه الإعجاز لم يرتضها^(٢) ، بينما اكتفى السيوطي بإيراد أوجه الإعجاز بدون نقد^(٣) .

خامساً : أسلوب الزرقاني أسلوب علمي محكم رصين سلس ، ومباحثه جيدة العرض حسنة الترابط ، أما مباحث السيوطي فقد اعترأها بعض التفكك والضعف وذلك لطول الكتاب ، ولورود مباحث فيه طويلة ولاعلاقة لها بالإعجاز قد تخللت مباحث الإعجاز الأصيلة .

المقارنة بين منهج السيوطي ومنهج د. دراز

إضافة لما يشترك المصنفون الثلاثة فيه فإن ماتفرد فيه كتاب ((النبأ العظيم)) وتميز عن ((معترك الأقران)) هو :

أولاً : انصرف جهد الأستاذ دراز في إظهار الإعجاز البياني في كتابه ، بينما أتى السيوطي بجميع ماوصل إليه من أوجه الإعجاز .

ثانياً : كان طرق الأستاذ دراز الإعجاز البياني في القرآن يختلف تماماً عن طرق السيوطي له ، فإن السيوطي ذكر الإعجاز البياني في عدة أوجه طويلة متفرقة في كتابه ؛ فلم يتضح الإعجاز عنده ذلك الوضوح الرائع الذي كان في كتاب د . دراز ، حيث تفنن في عرض الإعجاز البلاغي بطريقة لم أرها عند غيره^(٤) .

١- انظر صفحة ٤١٤ ومابعدها وصفحة ٦٨٧ من هذه الرسالة .

٢- انظر ص ٦٨٦ من هذه الرسالة .

٣- انظر ص ٤١٤ من هذه الرسالة .

٤- انظر ص ٦٩٣ وما بعدها من هذه الرسالة .

هذا ما أردته من عقد المقارنة بين منهج الإمام السيوطي وبين مناهج بعض المؤلفين المحدثين ، وبهذه المقارنة ، والمقارنة السابقة بين كتاب ((معترك الأقران)) وبعض الكتب المصنفة قبله وبعده تتضح منزلة كتاب ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) بين كتب الإعجاز القرآني ، ويُعد هذا الباب - الباب الرابع - تكملة مهمة لما سبق بيانه في الباب الثاني في مبحث منزلة كتاب الإمام السيوطي : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) بين كتب الإعجاز^(١) .

وفي ختام هذا الباب فإن هناك دراستين أود أن أذكرهما وأنوّه بفضلهما في باب الدراسات الحديثة للإعجاز ، وهما :

١ - ((الإعجاز في دراسات السابقين)) : دراسة كاشفة لخصائص البلاغة العربية ومعاييرها ، للأستاذ عبد الكريم الخطيب ..

٢ - ((فكرة إعجاز القرآن)) : للأستاذ نعيم حمصي .

أما الكتاب الأول فقد اختار مصنفه عدداً ممن ألف في الإعجاز منذ القرن الثالث إلى القرن الرابع عشر ، فذكر آراءهم في الإعجاز ، ونقد ما يحتاج إلى النقد منها ، وقدم لذلك كله بمقدمة ذكر فيها مباحث مهمة في الإعجاز ، وختم بمباحث قرآنية صرفة دارت حولها الشبهات ، مثل التكرار في القرآن ، ومبحث خلق القرآن ، والنسخ في القرآن إلخ ...

وقد ساق مباحث كتابه بلغة رصينة ، وأسلوب جزل قويّ .

أما الكتاب الآخر - ((فكرة إعجاز القرآن)) - فقد كان كتاباً متميزاً في بابيه ؛ إذ عمد المصنف إلى استقصاء كل من كتب عن الإعجاز ، سواء استقلاً أو ضمن مباحث أخر ، وسواء أكان الكتاب مطبوعاً أم مخطوطاً ، ورتب المصنفين على قرونهم ، لكنه لم يترجم لهم بل اكتفى بالتعريف بكتبهم ، فأتى بعمل مشكور .

لكن استقصاءه لم يكن تاماً ، إذ فاته بعض الكتب المهمة ، منها كتاب السيوطي : ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) ، ولكن لعلّ لتأخر طباعة الكتاب وقلة شهرته سبباً في هذا ، وقد وضحت هذا سابقاً^(١) ، ومما فاته - أيضاً - تناول بعض كتب العقائد التي تحدثت عن الإعجاز والمعجزة وشروطها .

والكتابان إضافة مهمة لمكتبة الإعجاز ، ودراسة إحصائية : (بيبليوغرافية) رائدة .

١- انظر ص ٣٢٤ من هذه الرسالة .

الخاتمة

النتائج والاقتراحات

بعد طواف طويل ، وتنقيب في بطون الكتب والرسائل ، أحمد الله - تعالى - على أن جعل هذا الجهد خدمة لكتابه ، وأداءً لبعض عظيم حقه ، وإبرازاً لبعض وجوه إعجازه .

ويتلخص عملي في النقاط التالية :

١- ذكرت في الباب الأول معنى مصطلح (الإعجاز) ، (المعجزة) ، و (الإعجاز القرآني) خاصة ، ثم بينت أسباب نشأة علم الإعجاز ، وبدايات تدوين المصنفات فيه ، وجهود العلماء في هذا الصدد ، ثم بينت خطأ مذهب (الصرفة) ، وضعف رأي من قال بها .

ودرس كذلك بعض الكتب التي ضُمّت أبحاثاً عن الإعجاز ، وكتباً أخرى استقلت بهذا العلم وخُلصت له .

٢- أما الباب الثاني فقد خصصته لدراسة حياة الإمام السيوطي بإيجاز ، ودراسة كتابه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) دراسةً أتت على توثيق نسبة الكتاب إلى مصنفه ، وحل إشكال في عنوانه ، ومضمون الكتاب ومنزله العلمية .

٣- أما الباب الثالث فقد درس فيه منهج المصنف دراسة تفصيلية ، وناقشت أوجه الإعجاز التي ساقها ، ومنهجَه في عرضها وبيانها ، ثم عرضت لثلاث قضايا علمية أفردتها بالمناقشة .

٤- ثم في الباب الرابع عقدت مقارنة بين كتاب الإمام السيوطي وكتب لبعض من تقدمه في التصنيف ، وكتب لبعض من جاء بعده .

وقد نظرت في ((معترك الأقران)) وعايشته مدة طويلة ، وخلصتُ من دراسته إلى بعض النتائج ، كان بعضها متعلقاً بدراسة علم الإعجاز القرآني والدراسات المصنفة فيه ، وبعضها الآخر متعلقاً بكتاب الإمام السيوطي ((معترك الأقران في إعجاز القرآن)) .

أ - النتائج المتعلقة بدراسة علم الإعجاز القرآني ، والكتب التي صُنفت فيه :

١- إن القرآن العظيم له تأثير كبير على نفوس من يسمعه أو يقرؤه سواء كان كافراً أو مؤمناً ، وقد ثبت أن الكافر إذا أنصف فإنه ينتهي إلى الإسلام والإيمان بهذا الكتاب ، وأنه من عند الله حقاً وصدقاً ، حدث ذلك في عصر الرسالة ، وفي عصور مختلفة حتى عصرنا الحاضر .

وهذا التأثير بالسماع والقراءة هو الذي يُفضي إلى التسليم بإعجاز القرآن البياني ، وأثره القاهر في النفوس ، وإن أنكره من كلِّ بصره ، وغُطي على قلبه .

٢- كما أن للقرآن العظيم تأثيراً في قارئيه وسامعيه ، فإن له تأثيراً في دارسيه ، فقد دفعت المعجزة القرآنية العلماء لدراستها دراسة فاحصة فتكونت دراسات مهمة في علوم القرآن عموماً وفي الإعجاز خصوصاً ، وقد تطورت هذه الدراسات عبر القرون لكن مسألة إعجاز القرآن مازالت بحاجة إلى دراسات متعمقة أكثر لزيادة فهمها ، سواء أكانت تلك الدراسات متعلقة بظاهرة الإعجاز نفسها ، أم بآثرها على تطور دراسات البلاغة العربية ، أم بآثرها على الدراسات الإسلامية والحياة الفكرية عامة .

٣- وقد كانت الدراسات المصنفة في الإعجاز تقلّ أو تكثر عبر القرون بحسب تناول فطاحل العلماء لها وإبرازهم إياها ، حتى إذا كان عصر النهضة العلمية والأدبية في القرن الرابع عشر الهجريّ تصدّى عدد من العلماء لمسألة الإعجاز ، ودراسة ماصنّف فيه ، وقد كان لدراساتهم تلك أثرٌ قويّ في بيان وتقويم جهود قدامى المصنّفين في الإعجاز ، لكن تلك الدراسات الحديثة غير كافية ؛ إذ تُعدّ افتتاحاً لدراسات مكررة مطلوبة تكون أكثر تعمقاً وأوسع تناولاً لظاهرة الإعجاز ونقطة الدراسات المصنفة فيها .

٤- قد قيل في وجوه الإعجاز أقوال كثيرة غالبها مقبول ، وبعضها إلى الخصائص والفضائل والدلالة على مصدر القرآن ألصقُ منها بالإعجاز .

٥- لقد كان لقدامى المصنّفين الفضل الأكبر في كشف النقاب عن أوجه الإعجاز المختلفة والكلام عليها ، ولم يكن لمن بعدهم - غالباً - إلا الجمع وحسن العرض والبيان ، إلا ما كان من أمر المصنّفين الحديثين فقد ساعدت المكتشفات العلمية على تكوين دراسات جديدة ومؤثرة في توضيح الإعجاز التشريعي والعلمي في القرآن العظيم .

٦- قد اجتمع في هذا البحث كثير من وجوه الإعجاز التي تفرقت في بطون الكتب ، بل عمدتُ إلى إنشاء فهرس يضم كلّ ماتناهى إلى علمي من أوجه الإعجاز منذ بداية التصنيف فيها إلى عصرنا الحاضر سواء وردت في الرسالة أو لم ترد .

٧- للإعجاز البياني أهمية لاتنكر في ميدان دراسة إعجاز القرآن العظيم ، لكن أهل عصرنا بحاجة أكثر إلى بيان الإعجاز التشريعي والعلمي لهم .

ب : النتائج المتعلقة بكتاب الإمام السيوطي ((معترك الأقران)) :

١- قد كان لكتاب الإمام السيوطي جملة من المميزات التي تتمثل في :

أ - الإحاطة بأكثر وجوه الإعجاز ، وتفصيل الكلام على غالب الأوجه التي ساقها .

ب - تقرير أوجه جديدة في الإعجاز .

ج - إبراز بعض أوجه الإعجاز - التي ذكرها من قبله - في حلة جديدة .

٢- وهناك بعض المآخذ التي تتمثل في :

أ- الاستطراد :

قد ذكر الإمام السيوطي عدداً من الأوجه لاتعلق لها بالإعجاز ، وتوسع في تناول بعض أوجه الإعجاز المعروفة توسعاً كبيراً .

ب : عدم الترجيح :

قد ساق الإمام السيوطي كل الأوجه في كتابه على أنها أوجه إعجاز ، فلم يرجح بعضها على بعض ، ولم يخرج برأي محدد واضح في الإعجاز .

٣- عدم النقد :

غابت الناحية النقدية في الكتاب إلا في مواضع قليلة متفرقة ، ولم يكن ذلك النقد موجهاً لمباحث كلية في الإعجاز .

اقتراحات

قد تبدت لي بعد دراستي للكتاب مجموعة من الاقتراحات أرجو أن تكون نافعة في بابها إن شاء الله تعالى :

أولاً : تأليف كتاب جامع في الإعجاز :

ليس هناك كتاب مصنف جامع لوجوه الإعجاز المتنوعة ، لذا أقترح على الدارسين والباحثين في الكليات المتخصصة التعاون لإخراج مثل هذا المصنف النافع ، الجامع لما تفرق في بطون الكتب القديمة والحديثة .

ثانياً : التوسع في بيان الإعجاز البياني :

ليس صحيحاً ما يُشاع أنه ليس للإعجاز البياني أهمية في هذا الزمان ، بل له مدخلان :

١- بيان أنه قد أعجز أسلافنا فنحن عنه أعجز .

٢- عرض تأثير القرآن البياني في نفوس الذين عاصروا زمن الرسالة ومن جاء بعدهم ، ففي ذلك العرض فائدة في بيان أهمية الإعجاز البياني ، وهو مؤثر أيضاً في عدد كبير من الناس في هذا الزمان ؛ وذلك لأن الله تعالى أنزله بلسان عربي مبين ، وسهل على الناس فهمه وتدبره .

لذا أقترح أن تتولّى الهيئات العلمية وخاصة الجامعات المتخصصة تحديد الإعجاز البياني والكشف عن أسرارهِ ؛ إذ قد تاه أكثر جوانبه في أودية البلاغة ومصطلحاتها ومعانيها ، ولهذا لم يعد واضحاً لعامة الناس أثر الإعجاز البياني وأهميته .

ثالثاً : التوسع في بيان الإعجاز التشريعي :

الإعجاز التشريعيّ وجهٌ جامع من وجوه الإعجاز القرآنيّ ، بل إن الشريعة بمعناها الجامع الذي يضم العقيدة ، والأخلاق ، والعبادات ، والمعاملات هي اللب المقصود من دعوة القرآن .

لكنّ هذا الإعجازَ التشريعيّ القرآني لم يأخذ حظه الكامل من الدراسة العلمية ، بل لم يُفرد فيه كتاب واحد - فيما علمت ، بالمعنى الذي ذكرته - إنما كتب فيه مقالات متناثرة ، وأبحاث يسيرة متفرقة في بطون الكتب مثل ((مناهل العرفان)) للزرقاني .

لذلك أقترح على الباحثين والجامعات المتخصصة إبراز هذا الوجه والتركيز عليه وتوجيه طلاب الدراسات العليا لدراسته لشدة أهميته في العصر الحديث ، وعظيم تعلقه بالدراسات التي تخدم القرآن والدعوة الإسلامية ، وذلك أسوة بالإعجاز العلمي الذي تولت هيئة خاصة إبرازه والإشراف على الأبحاث المتعلقة به^(١) .

هذا والله - تعالى - أعلم وأحكم ، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين ، والحمد لله رب العالمين .

١- وتسمى هيئة الإعجاز العلمي في القرآن والسنة ، وهي تابعة لرابطة العالم الإسلامي بمكة المكرمة .

تم بحمد الله وفضله.
وصلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه أجمعين
١٤١٦هـ.

فهرس الفهارس

الصفحة

- ١- فهرس الآيات الكريمة ٧١٦
- ٢- فهرس القراءات الشاذة ٧٤٢
- ٣- فهرس الأحاديث الشريفة ٧٤٣
- ٤- فهرس الآثار ٧٤٥
- ٥- فهرس وجوه الإعجاز ٧٤٧
- ٦- فهرس المصطلحات الأصولية ٧٤٨
- ٧- فهرس المصطلحات العلمية ٧٤٩
- ٨- فهرس المصطلحات البلاغية ٧٥١
- ٩- فهرس الشواهد الشعرية ٧٥٢
- ١٠- فهرس القبائل ٧٥٣
- ١١- فهرس الطوائف والأمم ٧٥٤
- ١٢- فهرس الفرق والجماعات ٧٥٦
- ١٣- فهرس الأماكن والبلدان ٧٥٧
- ١٤- فهرس الأعلام ٧٦٢
- ١٥- فهرس مصادر ومراجع الإمام السيوطي ٧٨٥
- ١٦- فهرس مصادر ومراجع البحث ٧٩٨
- ١٧- فهرس الموضوعات ٨١٧

١ - فهرس الآيات الكريمة^(١)

الآية	رقم الآية	الصفحة
(سورة الفاتحة)		
﴿ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴾	١	٥٧٩، ٤٢٧
		٥٩٤
﴿ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ﴾	٦	٣٩٩
(سورة البقرة)		
﴿ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾	٢	٥٣٠
﴿ وَمَنَّا رَقَنَّهُمْ يُفَكِّقُونَ ﴾	٣	٥٨١
﴿ وَيَا آخِرَةَ هُم يُوقِفُونَ ﴾	٥	٣٩٩
﴿ أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ ﴾	٤	٥٨١
﴿ مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا ﴾	١٧	٣٩٢
﴿ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً ﴾	٢٢	٥٣٨
﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا ﴾	٢٣	١٢٠، ٥٦
		٦٢٧، ١٣٠
		٦٦١
﴿ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَٰكِن تَفْعَلُوا ﴾	٢٤	٥٧، ٥٦، ٥٥
		٤٩٥، ٦٧
﴿ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى ﴾	٣٨	٤٠٠
﴿ أَسْأَلُوكَ ﴾	٥٧	٤٩٩
﴿ وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾	٥٨	٣٥٥
﴿ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا حِطَّةٌ ﴾	٥٨	٤٩٩، ٣٦٣
﴿ سَنَزِيدُ الْمُحْسِنِينَ ﴾	٥٨	٤٩٩

١- رتب هذا الفهرس على ترتيب السور في المصحف الشريف ، ورتبت الآيات الكريمة حسب أرقامها في سورها .

٣٩٣	٦٨	﴿لَا فَاَرِضْ وَلَا يَكْرَهُوا بُيُوتَ ذَٰلِكَ﴾
٦٩٦ ،	٩١ ، ٩٢ ،	﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُوا﴾
٦٩٨	٩٣	
١٣٤ ،	٩٤ ، ٩٥	﴿قُلْ إِنْ كَانَتْ لَكُمْ أَلْدَارُ الْأٰخِرَةُ عِنْدَ اللَّهِ
٢٥١ ، ١٥٩		خَالِصَةً مِّنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوُا الْمَوْتَ إِنْ
		كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾
٤٩٦	٩٥	﴿وَلَنْ يَتَمَنَّوَهُ أَبَدًا﴾
٤٩٩	١٠٢	﴿سَلِيمِينَ﴾
٥٥٦	١٠٦	﴿مَا نَسَخَ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَا أَوْ مِثْلَهَا﴾
٤٩٩	١٠٨	﴿سَوَاءَ السَّبِيلِ﴾
٥٠١	١١٥	﴿وَسِعٌ﴾
٥٧٩ ،	١٤٣	﴿إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَءَافٌ رَّحِيمٌ﴾
٥٩٦ ، ٥٩٥		
٤٠١	١٥٧	﴿وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ﴾
٤٠٠	١٥٩	﴿إِنَّ الَّذِينَ يَكْفُرُونَ مَا أَنزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَأَهْدَىٰ﴾
٤١٢	١١٧	﴿فَضَىٰ أَمْرًا﴾
٥٣٦ ، ٣٧٢	١٧٣	﴿فَمَنْ أَضْطَرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ﴾
٦٩٦ ، ١٩٦	١٧٩	﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَوةٌ﴾
٦٩٨		
		﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ إِذَا أَحْضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتَ
٣٧٥	١٨٠	إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ﴾
٥٣٠	١٨٦	﴿فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾
٣٥٥	١٨٧	﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ فَلَا تَقْرُبُوهَا﴾

٦٤٧	١٨٩	﴿ يسألونك عن الأهلة قل هي مواقيت للناس والحج ﴾
٣٧٢	١٩٦	﴿ فصيام ثلاثة أيام في الحج ﴾
٤١٢	٢٠٠	﴿ فإذا قضيتُم مناسككم ﴾
٤٩٠	٢١٠	﴿ هل ينظرون إلا أن يأتيهم الله في ظلل من الغمام ﴾
٤٦٩، ٤٦٨	٢٢٩	﴿ الطلاق مرتان ﴾
٣٩٥	٢٢٩	﴿ فلا تقربوها ﴾
٤٠٤	٢٣٢	﴿ تعضلوهن ﴾
٣٧١	٢٣٧	﴿ أو يعفوا الذي بيده عقدة النكاح ﴾
٥٥٢	٢٤٨	﴿ التابوت ﴾
٥٩٣، ٥٧٩	٢٥٤	﴿ لا بيع فيه ولا خلة ولا شفاعة ﴾
		﴿ ألم تر إلى الذي حاج إبراهيم والله
٣٦٧، ٤٠١	٢٥٨	لا يهدي القوم الظالمين ﴾
٤٥٣		
٤٤٤، ٤٤٣	٢٦٦	﴿ أيود أحدكم أن تكون له جنة ﴾
٤٠٥	٢٨٥	﴿ ءامن ﴾
٤٢٦	٢٨٦	﴿ لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت ﴾

(سورة آل عمران)

		﴿ هو الذي أنزل عليك الكتاب منه
٤٩٤	٧	آيات محكمات هن أم الكتاب ﴾
٤٨٦، ٤٨٥	٤٠	﴿ كذلك الله يفعل ما يشاء ﴾
٤٦٠	٥٩	﴿ من تراب ﴾

﴿ فَمَنْ حَاجَّكَ فِيهِ مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ فَقُلْ ۖ	٦١	٦٨٥
تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَاءَنَا وَأَبْنَاءَكُمْ ﴾		
﴿ إِنَّ الْهُدَىٰ هُدَىٰ اللَّهِ ۖ	٧٣	٣٩٩
﴿ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ ۖ	٧٣	٤٩٢
﴿ لَنْ نَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّىٰ تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾	٩٢	٤٦٣ ، ٣٩٤
﴿ إِذْ هَمَّتْ طَّائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا ﴾	١٢٢	٢٥١ ، ١٤١
﴿ لَا تَأْكُلُوا أَمْوَالَكُمْ بَيْنَهُمْ	١٣٠	٤٥٣
﴿ عَرْضُهَا السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ ﴾	١٣٣	٤٧٦
﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ ۖ	١٤٤	٣٦٦
﴿ كَتَبْنَا مُوَجَّلًا ﴾	١٤٥	٤١٣ ، ٤١٢

(سورة النساء)

﴿ وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً ۖ	١	٤٥٨
﴿ حُوبًا ۖ	٢	٤٧٠
﴿ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ		
﴿ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا ۖ	١٤	٤٩٧
﴿ وَلَا يَكْتُمُونَ اللَّهَ حَدِيثًا ۖ	٤٢	٤٣٥
﴿ فَإِذَا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ۖ	٥٣	٥١٤
﴿ كَمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُمْ بَدَلَتْهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا		
﴿ الْعَذَابَ ۖ	٥٦	٣١٢
﴿ وَلَوْ كُنْتُمْ فِي رُوحٍ مُسَيِّدَةٍ ۖ	٧٨	٢٨٨
﴿ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا		
﴿ كَثِيرًا ۖ	٨٢	٣٤٨

٤٠٩	٨٧	﴿ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ ﴾
٤٩٣	٩٣	﴿ عَظِيبَ اللَّهِ ﴾
٥٠٤	١٠٣	﴿ مَوْفُوتًا ﴾
٣٧١	١٢٧	﴿ وَرَعِبُونَ أَنْ تَنْكُحُوهُمْ ﴾
٣٥٧	١٥٨	﴿ بَلْ رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَكَانَ اللَّهُ غَرَضًا حَكِيمًا ﴾
٥٤٩	١٦٢	﴿ وَالْمُقِيمِينَ الصَّلَاةَ وَالْمُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ﴾
٣٦٧	١٧١	﴿ إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهُ وَاحِدٌ ﴾
٤٨	١٧٤	﴿ يَأْتِيهَا النَّاسُ فَدَجَاءَ كُمْ بُرْهَنٌ مِّن رَّبِّكُمْ ﴾

(سورة المائدة)

٤١٣	١	﴿ غَيْرِ مُجْلِ الصَّيْدِ ﴾
٥٥٨	٢٣	﴿ قَالَ رَجُلَانِ ﴾
٤٣ ، ٢٦	٣١	﴿ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ ﴾
٤٩٣	٥٤	﴿ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ ﴾
		﴿ قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ هَلْ تَقِيمُونَ مِنَّا إِلَّا أَنْ أَمِنَّا ﴾
٤٢٩	٥٩	﴿ يَا اللَّهُ ﴾
٥٤٩	٦٩	﴿ إِنَّ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالصَّالِحِينَ ﴾
٤٦٧	١٠١	﴿ لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبَدِّلْكُمْ تَسْؤُكُمْ ﴾
٤٦٧	١٠٢	﴿ قَدْ سَأَلَهَا قَوْمٌ مِّن قَبْلِكُمْ ﴾
٤٥٧	١١٧	﴿ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنْتُ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ﴾
٤٩٣	١١٩	﴿ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ﴾

(سورة الأنعام)

		﴿ ثُمَّ لَمْ يَكُنْ فِتْنَتُهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا وَاللَّهِ رَبَّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾
٤٣٥	٢٣	﴿ مَلَكُوتَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ ﴾
٥٠٥	٧٥	﴿ فِيهِ هُدًى لَّهُمْ أَقْبَدُ ﴾
٤٠١	٩٠	﴿ وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَنِهِمْ لَئِنْ جَاءَهُمْ آيَةٌ لَيُؤْمِنُنَّ بِهَا ﴾
٤٢٦ ، ٣٥	١٠٩	﴿ وَمَا أَنشَأْنِي عُجْرًا ﴾
٤٤	١٣٤	﴿ ثَمَنِيَّةَ أَزْوَاجٍ مِنَ الضَّالِّينَ اثْنَيْنِ وَمِنَ الْمَعْرِائَتَيْنِ ﴾ ١٤٣
٣٩٠	١٤٤	﴿ أَمْ كُنْتُمْ شُهَدَاءَ إِذْ وَصَّيْكُمْ اللَّهُ بِهَذَا ﴾ ١٤٤
٣٩٠	١٤٥	﴿ قُلْ لَا أَجِدُ فِي مَا أُوحِيَ إِلَيَّ مُحَرَّمًا عَلَى طَاعِمٍ يَطْعَمُهُ إِلَّا ﴾ ١٤٥
٣٦٦		

(سورة الأعراف)

٣٥٧	٦	﴿ فَلَنَسْئَلَنَّ الَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ ﴾
		﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنْفُسَنَا وَإِنْ لَمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ ﴾
٤٢٣	٢٣	
٥٢٨		
٤٥٣	٣١	﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا ﴾
٦٣٧	٤٤	﴿ فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ﴾
٥٧٤	٥٢	﴿ كَتَبَ فَصَّلَنَاهُ ﴾
٤٨٠	٥٨	﴿ وَالَّذِي خَبَتْ لَا يُخْفِي إِلَّا نَكِدًا ﴾
٤٩	٧٣	﴿ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ ﴾
٣٧	٧٣	﴿ هَذِهِ نَافَةٌ لَكُمْ آيَةٌ ﴾

٥٨٦	١٢١	﴿ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾
٥٨٥	١٢٢	﴿ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴾
٤٩٦	١٤٣	﴿ لَنْ تَرَنِّي ﴾
		﴿ وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
١٤٦	١٤٥	مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ ﴾
٤٠١	١٥٦	﴿ إِنَّا هَدَيْنَاكَ إِلَيْنَا ﴾
		﴿ وَإِذْ قِيلَ لَهُمْ اسْكُنُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ
٣٥٥	١٦١	وَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ ﴾
٣٦٣	١٦١	﴿ وَقُولُوا حِطَّةٌ وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا ﴾
٥٢٤	١٧١	﴿ وَإِذْ نَفَقْنَا الْجِبْلَ فَوْقَهُمْ كَانَهُ ظِلَّةٌ ﴾
٦٣٧	١٧٢	﴿ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ قَالُوا بَلَىٰ ﴾
٥٠٧	١٨٠	﴿ وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ ﴾
١٧٨	١٩٩	﴿ خُذِ الْعَقْرَ وَمَنْهُ بَالُ الْغُرَفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾

(سورة الأنفال)

٣١٧	٢٤	﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾
٥٧٤	٣٢	﴿ إِنْ كُنْتُمْ هَٰذَا هُوَ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِكَ ﴾
٤١٠	٣٧	﴿ فَذَرِكُمْ جَمِيعًا ﴾
٤٤	٥٩	﴿ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا ﴾

(سورة التوبة)

٢٦	٢	﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ ﴾
٥٣٠	٤	﴿ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ ﴾

		﴿هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَىٰ وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾	٣٣	٦٤٢
		﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا﴾	٣٥	٤١٠
		﴿يُجْلُونَهِ عَامًا﴾	٣٧	٤١٠
		﴿إِلَّا لَانْفِرُوا يُعَذِّبَكُم عَذَابًا أَلِيمًا﴾	٣٩	٣٠٦
		﴿يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَذِبُونَ﴾	٤٢	٤١٠
		﴿وَمِنْهُمْ الَّذِينَ يُؤْذُونَ النَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾	٦١	٤٦٦، ٤٣٠
		﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾	٦٧	١٧٩
		﴿وَمَا نَقْمُوا إِلَّا أَنْ أَغْنَاهُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ مِنْ فَضْلِهِ﴾	٧٤	٤٢٩
		﴿خَلَطُوا عَمَلًا صَالِحًا وَآخَرَ سَيِّئًا عَسَى اللَّهُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٢	٥١٠
		﴿وَأَخْرَجُوا مَرْجُونَ لَأَمْرِ اللَّهِ﴾		
		﴿إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾	١٠٦	٣٠٦
		﴿وَإِذَا مَا أَنْزَلْتُ سُورَةً فَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ﴾	١٢٤	٧
		﴿ثُمَّ أَنْصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهِ قُلُوبَهُمْ﴾	١٢٧	١٧٩

(سورة يونس)

		﴿قَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا أَتَىٰ بِقُرْآنٍ غَيْرِ هَذَا أَوْ بَدِّلَهُ﴾	١٥	٦٨٦
		﴿أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِثْلِهِ﴾		
		﴿وَادْعُوا مَنْ اسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾	٣٨	١٢٧، ٥٦
				١٣٢، ٦٦٢، ٦٦٤
		﴿بَلْ كَذَّبُوا بِمَا لَمْ يُحِيطُوا بِعِلْمِهِ﴾	٣٩	٣٩٣

(سورة هود)

﴿ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَاهُ قُلْ فَأَنذَرْتُكُمْ سُورًا مِّثْلَهُ مِمَّا تَكْفُرُونَ ﴾		
﴿ وَأَدْعُوا مَن أَسْتَطَعْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴾	١٣	٧٦، ٥٦
		٦٦٤
﴿ وَقِيلَ يَا أَرْضُ ابْلَعِي ﴾	٤٤	٦٩٦، ٨٨
		٦٩٨
﴿ تِلْكَ مِنْ أَنبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ ﴾	٤٩	٣٧٧، ١٣٤
﴿ فَنَبِّئْنَاهَا بِأَسْحَاقَ وَيَسْحَاقَ وَإِسْحَاقَ يَعْقُوبَ ﴾	٧١	٦٠٠
﴿ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ ﴾	١٠٢	٤٨٦
﴿ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ ﴾	١١٣	٤٢٦

(سورة يوسف)

﴿ مَعَاذَ اللَّهِ ﴾	٢٣	٤٠٤
﴿ فَضَى الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴾	٤١	٤١٢
﴿ تَعْمُرُونَ ﴾	٤٣	٤٠٤
﴿ فَذَرُوهُ فِي سُنْبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا نَافُتُونَ ﴾	٤٧	٤١٣
﴿ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِبِينَ ﴾	٥٢	٤٠١
﴿ لَنَأْبْرَحَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِلِآيَةِ ﴾	٨٠	٤٩٦
﴿ تَاللَّهِ تَفْتَوْا تَذْكُرُ يَوْسُفَ حَتَّى تَكُونَ حَرَضًا ﴾	٨٥	٤٢٦
﴿ قَالُوا تَاللَّهِ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالِكَ الْقَدِيمِ ﴾	٩٥	٣٨٥
﴿ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى ﴾	١١١	٢٤١

(سورة الرعد)

٥٣٨	٣	﴿ مَدَّ الْأَرْضَ ﴾
٤٠٠	٧	﴿ وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ ﴾
٥٢٢	١٠	﴿ مَنْ أَسْرَأَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ ﴾
٦٨٤	١١	﴿ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ ﴾
٣٦٤	١٢	﴿ يَرِيكُمْ أَلْبَاقٍ خَوْفًا وَطَمَعًا ﴾
٣٨٦	٣٨	﴿ لِكُلِّ أَجَلٍ كِتَابٌ ﴾

(سورة الحجر)

٤١٠	٧	﴿ لَوْ مَا تَأْتِينَا بِالْمَلَكِيَّةِ ﴾
٣٤٩	٩	﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾
٤٠٩	٢٢	﴿ لَوَاقِحَ ﴾
٤٦٠	٢٦	﴿ مِّنْ حَمَلٍ مَّسْنُونٍ ﴾
٣٦١	٤١	﴿ هَذَا صِرَاطٌ عَلَى مُسْتَقِيمٍ ﴾
٤١٠	٤٤	﴿ لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ ﴾
٢٤٢	٨٧	﴿ سَبْعًا مِّنَ الْمَثَانِي ﴾
٤٥٦، ١٥٢	٩٤	﴿ فَأَصْدَعَ بِمَا تُؤْمَرُ ﴾

(سورة إبراهيم)

٣٦٩	٤	﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَّسُولٍ إِلَّا بِلِسَانٍ قَوْمِهِ ﴾
٤٨	١٠	﴿ إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُنَا تُرِيدُونَ أَنْ تَصُدُّونَا ﴾
٤٨	١١	﴿ قَالَتْ لَهُمْ رُسُلُهُمْ إِنْ نَحْنُ إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ ﴾
٥٩٣، ٥٧٩	٣١	﴿ لَا بَتِّعُ فِيهِ وَلَا خُلُؤٌ ﴾

(سورة النحل)

٤٦٦، ٣٨٦	١	﴿ أَفَ أَمْرُ اللَّهِ ﴾
٤٦٧		
٣٦٤	٦	﴿ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرْجَوْنَ وَحِينَ تُسْرَحُونَ ﴾
٤٠٠	١٦	﴿ وَيَا تَجَمُّهُمْ يَسُدُّونَ ﴾
٤٢٣	٤٤	﴿ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ ﴾
٥٣٥، ٥٣٣	٦٦	﴿ تُشْفِقُكُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِمْ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ ﴾
		﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ
٦٤٢	٩٨	بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴾
٣٥٨	١٠١	﴿ وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ ﴾
٦٩٢	١٠٣	﴿ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ ﴾
٥٣٠	١٢٨	﴿ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا ﴾

(سورة الإسراء)

		﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى
٣٩٣	٢٩	عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ ﴾
٤٥٣	٣٢	﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى ﴾
		﴿ وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا
٣٥	٥٩	أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ ﴾
٤٩	٥٩	﴿ وَءَايَاتُنَا مُّودَّةً مُّبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا ﴾
٥٨٢، ٥٧٩	٦٩	﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا لَكُمْ عَلَيْهَا بِشَيْعًا ﴾
٥٩٤، ٥٩٣		
٥١٤	٧٦	﴿ وَإِذَا لَا يَلْبِثُونَ خَلْفَكَ إِلَّا قَلِيلًا ﴾

٤١١	٧٨	﴿لَذُلُّوكِ﴾
		﴿قُلْ لَّيْنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ
٩٦، ٦٨، ٥٥	٨٨	عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ﴾
٦٢٦، ١١٨		
٦٣٧، ٦٣١		
		﴿قُلْ ادْعُوا اللَّهَ أَدْعُوا الرَّحْمَنَ
٥٠٨	١١٠	أَيَّامًا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾
٣٩٣	١١٠	﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾

(سورة الكهف)

٤٨٧	٨٦	﴿فِي عَتِيقٍ حَمِئَةٍ﴾
		(سورة مريم)
٣٨٢	٤	﴿رَبِّ إِبْنِي وَهَنَ الْعَظْمُ مِنِّي﴾
٥٠٥	٤	﴿وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا﴾
٤٩٦	٢٦	﴿فَلَنْ أَكَلِمَ الْيَوْمَ أَنْسِيًّا﴾
٣٧٦	٤٢	﴿يَتَابَتِ لِمَ تَعْبُدُ﴾
٥٩٥، ٥٧٩	٥١	﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾
٥٩٦	٥٤	﴿وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا﴾
٥٩٠	٧٤	﴿أَتُنْشِئُونَ بَيْتًا﴾
٣٩٩	٧٦	﴿وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا هُدًى﴾

(سورة طه)

٤٤٨، ٢٤٠	٥	﴿ الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى ﴾
٤٧	٢٢	﴿ تَخْرُجُ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾
٤٠١	٥٠	﴿ أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى ﴾
٥٤٩، ٥٤٧، ٣١٩	٦٣	﴿ إِنْ هَذَا إِلَّا لَسَعِيرٌ ﴾
٥٦٣، ٥٥٨، ٥٥١		
٥٦٤		
٤٣٨	٦٧	﴿ فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ﴾
٥٨٥، ٥٨٢، ٥٧٧	٧٠	﴿ رَبِّ هَبْ لِي مِنْ مِثْلِ نَحْتِهِ ﴾
٤٩٦	٩١	﴿ لَنْ نَبْرَحَ عَلَيْهِ عَنكِفِينَ حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى ﴾
٣٩٦	٩٦	﴿ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ ﴾
		﴿ وَصَرَفْنَا فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَالَهُمْ
٦٣٨	١١٣	يَتَّقُونَ أَوْ يُحْدِثُ لَهُمْ ذِكْرًا ﴾
٣١٥	١٣١	﴿ وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَاهُ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ ﴾

(سورة الأنبياء)

٥٣٦	٣٣	﴿ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ
٤٠٠	٧٣	وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴾
٣٦٥	٧٨	﴿ وَجَعَلْنَاهُمْ أَيْمَةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا ﴾
٣٦٥	٧٩	﴿ إِذْ يَخْشَوْنَ كُنُوزَ الْحَرِّ ﴾
٣٦٥	٩١	﴿ وَكُلًّا آتَيْنَاهُمْ كُفْرًا وَعِلْمًا ﴾
		﴿ وَالَّتِي أَحْصَيْتُ فَتْحَهَا ﴾

﴿وَجَعَلْنَاهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ﴾

٩١ ٣٦٤

(سورة الحج)

﴿وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾

٧ ٣٨٩

﴿ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَاكَ﴾

١٠ ٣٩٤

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ﴾

١٨ ٣٧٥

﴿الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَغَيْرِ﴾

٤٠ ٤٢٩

﴿حَقٍّ إِلَّا أَن يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾

٥١ ٤٤٠٢٦

﴿وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا مُعْجِزِينَ﴾

٥٢ ٣٥٨

﴿فَيَنْسَخُ اللَّهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ﴾

٧٣ ٤٩٦، ٤٩٥

﴿لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا﴾

(سورة المؤمنون)

﴿قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ﴾

١ ٥٠٩

﴿أُولَٰئِكَ هُمُ الْوَارِثُونَ﴾

١٠ ٥٠٩

﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ﴾

١٢ ٤٦٧

﴿ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نَظْفَةً فِي قرارٍ مَكِينٍ﴾

١٣ ٤٦٧

﴿تَبَيَّنْتُ بِالذَّهْنِ﴾

٢٠ ٥١٢

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا﴾

٤٠ ٤٨٦

﴿ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ وَأَخَاهُ هَارُونَ﴾

٤٥ ٣٦٥

﴿وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُ آيَةً﴾

٥٠ ٣٦٥، ٤٧

(سورة النور)

﴿ دُرِّيُّ ﴾ ٣٥ ٥١١، ٤١١

(سورة الفرقان)

﴿ وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُسْرِفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا ﴾ ٦٧ ٣٩٣، ٣٦٤

(سورة الشعراء)

﴿ فَإِذَا هِيَ نُعَبَانٌ مُبِينٌ ﴾ ٣٢ ٤٦١
 ﴿ فَكُتِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴾ ٩٤ ٤٢٧
 ﴿ وَتَحَلَّى طَلْعُهَا هَضِيمٌ ﴾ ١٤٨ ٥٦٩، ٥٦٦

(سورة النمل)

﴿ وَحِثَّتِكَ مِنْ سَيِّئَاتِ ابْنِ بَيْعِينَ ﴾ ٢٢ ٥٦٥
 ﴿ إِنَّ هَذَا الْقَرْعَ أَنْ يَقْضَى عَلَى بَنِي إِسْرَءِيلَ أَكْثَرُ ﴾
 ﴿ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴾ ٧٦ ٢٥٢، ١٤٦

(سورة القصص)

﴿ أَنْ يَهْدِيَنِي سَوَاءَ السَّبِيلِ ﴾ ٢٢ ٤٠٢
 ﴿ نَهَبْتُ كَانَهَا جَانٌّ ﴾ ٣١ ٤٦١
 ﴿ وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴾ ٥١ ٦٣٨
 ﴿ إِنْ نَبِّعْ الْمُدَى مَعَكَ نُنْخِطِفُ مِنْ أَرْضِنَا ﴾ ٥٧ ٤٠١
 ﴿ لَهُ الْحَمْدُ فِي الْأُولَى وَالْآخِرَةِ ﴾ ٧٠ ٥٨٦، ٥٧٧

(سورة فاطر)

٤٢٧	٣٧	﴿وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا﴾
٤٣	٤٤	﴿وَمَا كَانَتْ أَلَلَةٌ لِّعِزِّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾

(سورة يس)

٣٨٦	٢٢	﴿وَمَا لِيَ لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾
٤٩٢	٧١	﴿مِمَّا عَمِلْتَ آيِدِينَ﴾

(سورة الصافات)

٤٦٠	١١	﴿مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ﴾
٣٥٧	٢٤	﴿وَقَفَّوهُمْ أَتَمَّ مَسْئُولُونَ﴾
٦٠٠، ٥٩٩، ٥٩٨	١٠١	﴿فَبَشِّرْنَاهُ بِعَالَمٍ حَلِيمٍ﴾
٦٠٠	١١٢	﴿وَبَشِّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيٍّ مِّنَ الصَّالِحِينَ﴾
٣٠٧	١٤٢	﴿مُلِيمٌ﴾
٥١٦	١٥٤	﴿مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾

(سورة ص)

٤٧٤	٣٢	﴿الْخَيْرِ﴾
٤٠٥	٣٦	﴿رُخَاءَ﴾
٤٩٢	٤٥	﴿أُولَى الْأَيْدِي وَالْأَبْصَارِ﴾
٤٩٢	٧٥	﴿لِمَا خَلَقْتُ يَدَيَّ﴾

(سورة الزمر)

﴿ وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَنْ يَعْبُدُوهَا ﴾ ١٧ ٤٣٦

(سورة غافر)

﴿ وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْمًا ﴾ ٧ ٥٠١

﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْهُدَى ﴾ ٥٣ ٤٠٠

(سورة فصلت)

﴿ حَمْدٌ تَنزِيلٌ مِنَ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴾ ١٣-١ ٦٥

﴿ وَظَنُّوا مَا لَهُم مِّن مَّجِيسٍ ﴾ ٤٨ ٥١٧

(سورة الشورى)

﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ١١ ٧٠٠

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّن مُّصِيبَةٍ فِيمَا ﴾

﴿ كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ ٣٠ ٤٤٥

(سورة الزخرف)

﴿ وَإِنَّا عَلَىٰ أَثَرِهِمْ مُّهْتَدُونَ ﴾ ٢٢ ٤٠١

﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا ﴾ ٣٢ ٣٧٥

﴿ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا ﴾ ٤٨ ٥٠٦

﴿ فَلَمَّا أَصْفَوْنَا ﴾ ٥٥ ٢٨٨

﴿ بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴾ ٥٨ ١١٨

(سورة الدخان)

﴿لَيْلَةً مُّبْرَكَةً﴾ ٣ ٤٠٦، ٢٤٢

(سورة الجاثية)

﴿وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٩ ٥٣٠

﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَٰهَهُ هَوَاهُ﴾ ٢٣ ٣٦٣

(سورة الأحقاف)

﴿وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَمَسِيحُوا لَوْنَ هَذَا إِفْكَ قَدِيمٌ﴾ ١١ ٣٩٤

﴿وَمَنْ لَا يُحِبِّ دَاعِيَ اللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِي الْأَرْضِ﴾ ٣٢ ٤٤

(سورة الفتح)

﴿يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ﴾ ١٠ ٤٩٢

(سورة الذاريات)

﴿يَا أَيُّهَا﴾ ٤٧ ٥٥٥

(سورة ق)

﴿لَهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ﴾ ١٠ ٥٦٧، ٥٦٦

﴿أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ﴾ ٢٤ ٢٩٢

(سورة الطور)

		﴿ وَالطُّورِ . وَكَتَبَ مَسْطُورٍ ... ﴾
٦٤٣	١٠-١	﴿ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ . مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ ﴾
١٣٨،٥٥	٣٤	﴿ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ ﴾
		﴿ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمْ الْخَلْقُوتُ . ﴾
١١٦	٣٧-٣٥	﴿ أَمْ خَلِقُوا السَّمَوَاتِ ﴾

(سورة النجم)

٥٨٨،٥٧٧	٢٢	﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَى ﴾
٥٨٩		
٤٠٠	٢٣	﴿ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنْ رَبِّهِمْ الْهُدَى ﴾
٥٨٦،٥٧٧	٢٥	﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَى ﴾
٤١٢	٥٦	﴿ هَذَا نَذِيرٌ مِنَ النَّذْرِ الْأُولَى ﴾
٤٦٣،٣٩٤	٥٨	﴿ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴾

(سورة الرحمن)

٤٦٠	١٤	﴿ مِنْ صَلَاسِلٍ كَالْفَخَّارِ ﴾
٣٥٨،٣٥٧	٣٩	﴿ فَيَوْمَئِذٍ لَا يُسْأَلُ عَنْ ذَنْبِهِ إِنْسٌ وَلَا جَانٌّ ﴾
٥٨٢،٥٧٨	٤٦	﴿ وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّاتٌ ﴾
٥٨٩		
٥٩٠	٤٨	﴿ ذَوَاتَا أَفْنَانٍ ﴾
٥٩٠	٥٠	﴿ فِيهِمَا ﴾
٤٢٣	٥٤	﴿ وَجَنَى الْجَنَّتَيْنِ ﴾

الآية رقم الآية الصفحة

٥٠٣	٦٠	﴿ هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَنِ إِلَّا الْإِحْسَنُ ﴾
٥٩١	٦٢	﴿ وَمِنْ دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴾

(سورة القمر)

٣٢٠	٩	﴿ مَكَذَّبُوا عَبْدَنَا ﴾
١٦٧	١٧	﴿ وَلَقَدْ بَشَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ ﴾
٣٧٥	١٩	﴿ إِنَّا أَرْسَلْنَا ﴾
٤٢٧	٢٧	﴿ وَأَصْطَفِرَ ﴾
٤٢٧	٤٢	﴿ أَخَذَ عَزِيزٌ مُقْتَدِرٌ ﴾

(سورة الواقعة)

٤٢٩	٢٦	﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴾
٥٧١	٢٧	﴿ وَأَصْحَبُ الْيَمِينِ مَا أَصْحَبُ الْيَمِينِ ﴾
٥٧١	٢٨	﴿ فِي سِدْرٍ مَخْضُودٍ ﴾
٥٦٧، ٥٦٦، ٣٢٠	٢٩	﴿ وَطَلْحٍ مَّنْضُودٍ ﴾
٥٧٠، ٥٦٩		

٥٧٤	٤٣، ٤٢، ٤١	﴿ وَأَصْحَبُ الشِّمَالِ مَا أَصْحَبُ الشِّمَالِ ﴾
٥١٢	٨٢	﴿ فِي سُمْرٍ وَحَمِيمٍ . وَظَلٍ مِّنْ يَّخْمُومٍ ﴾
		﴿ وَيَتَجَلَّوْنَ رِزْقَكُمُ ﴾

(سورة الحديد)

﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾	١٦	٥٢٩
--	----	-----

(سورة المجادلة)

﴿ مَا هُمْ بِأُمَّهَاتِهِمْ ﴾	٢	٤٥٥
﴿ وَيَقُولُونَ فِي أَنْفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا اللَّهُ بِمَا نَقُولُ ﴾	٨	٣٧٦

(سورة الحشر)

﴿ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِيَ الْأَبْصَارِ ﴾	٢	٤٦٣
﴿ لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ ﴾	٢٠	٤٥٧

(سورة المنافقون)

﴿ يَقُولُونَ لَيْنَ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَا الْأَعْرَابُ مِنْهَا الْأَذَلَّ ﴾	٨	٤٣٠
--	---	-----

(سورة الطلاق)

﴿ تَعَاَسَرْتُمَ ﴾	٦	٥١٨
﴿ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ ﴾	١٢	١٤٨

(سورة التحريم)

﴿ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلَاهُ ﴾	٤	٢٤٢
------------------------------------	---	-----

(سورة المعارج)

٥٧٧	١٥	﴿ إِنِّهَا لَطَى ﴾
٥٠٢	١٩	﴿ هَلُوعًا ﴾
٥٠١	٢٠	﴿ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴾
٥٠١	٢١	﴿ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴾

(سورة نوح)

		﴿ خَلَقَ اللَّهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ طِبَاقًا ﴾
٥٣٧	١٦، ١٥	﴿ وَجَعَلَ الْقَمَرَ فِيهِنَّ نُورًا وَجَعَلَ الشَّمْسُ سِرَاجًا ﴾
٤١١	٢٦	﴿ دَيَّارًا ﴾

(سورة الجن)

٤٣	١٢	﴿ وَأَنَا ظَنَنَّا أَنَّ لَنْ كُنُفِرَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ ﴾
٤٢٨	١٦	﴿ لَا سَقِينَهُمْ مَّاءٌ غَدَقًا ﴾

(سورة المزمل)

٤٠٦، ٢٤٢	٤	﴿ وَرَبِّ الْقُرْآنِ تَرْتِيلًا ﴾
----------	---	-----------------------------------

(سورة المدثر)

١١٥	١١	﴿ ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا ﴾
٥٧٧	٢٦	﴿ سَاطِعِهِ سَقَرَ ﴾
٤١١	٣٣	﴿ أَذْبَرَ ﴾

(سورة الإنسان)

٥٦٤	٤	﴿ سَلَسِلًا وَأَغْلَلَآ ﴾
٤٢٧	٢١	﴿ وَسَقَمَهُمُ رُبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴾

(سورة المرسلات)

٤٢٨	٢٧	﴿ وَأَسْقَيْنَكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴾
-----	----	-------------------------------------

(سورة النازعات)

٤١١، ٤٠٥	٣٠	﴿ دَحَنَهَا ﴾
٥٨٩، ٥٧٨	٤١	﴿ فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى ﴾

(سورة الانفطار)

٥٣٩	٧	﴿ خَلَقَكَ فَسَوَّاكَ فَعَدَلَكَ ﴾
-----	---	------------------------------------

(سورة الطارق)

٥٠٢	٩	﴿ يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ ﴾
-----	---	---------------------------------

(سورة الفجر)

٥٩٠	٤	﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا يَسِرَ ﴾
٤٩٣	٢٢	﴿ وَجَاءَ رَبُّكَ ﴾

(سورة الشمس)

٤١١	١٠	﴿ دَسَّهَا ﴾
-----	----	--------------

١٢ ٥٩٢، ٥٩١، ٥٧٨

﴿إِذْ أَنْبَعَثَ أَشْقَاهَا﴾

١٤ ٤١١

﴿رَمَدَمَ﴾

(سورة البينة)

١ ٤٤٥

﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ
الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾

(سورة الزلزلة)

٢ ٢٩٢

﴿وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾

(سورة القارعة)

٩ ٥٧٧

﴿فَأُتُّهُ هَاوِيَّةٌ﴾

١٠ ٥٩٠

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَ﴾

(سورة الهمزة)

٤ ٥٧٧

﴿لِيُبْدَنَّ فِي الْخُطْمَةِ﴾

(سورة قريش)

٢٠١ ٥٠٦

﴿لَا يَلْفُ قَرِيشٍ إِلَّا فِيهِمْ رَحْلَةٌ﴾

(سورة الماعون)

٣ ٥٠٩

﴿وَلَا يَخْضُ عَلَى طَعَامِ الْمُسْكِينِ﴾

٤ ٦٤١، ٥١٦

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ﴾

﴿فَوَيْلٌ لِلْمُصَلِّينَ الَّذِينَ هُمْ عَنْ صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ ٥،٤ ٦٤١

(سورة الكوثر)

﴿إِنَّا آعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ﴾ ١ ٣٣٨،٢٥٣

٢ - فهرس القراءات الشاذة^(١)

السورة	أصل الآية	رقم الصفحة
((لمن أراد أن تتم الرضاعة))	البقرة ٢٣٣	٥١٣
((ولانكنتم شهادةً الله))	المائدة ١٠٦	٥١٤
((عتي عين))	المؤمنون ٥٤	٥٥٢
((ألا إنهم تنوني صدورهم))	هود ٥	٤٥٥
((وتجعلون شكركم أنكم تكذبون))	الواقعة ٨٢	٥١٣
((وتجعلون شكركم أنكم تكذبون))	الواقعة ٨٢	٥١٣
((ماهن أمهتهم))	المجادلة ٢	٤٥٥
((ماهن بأمهتهم))	المجادلة ٢	٤٥٥

١- قد رتب هذا الفهرس على حسب ترتيب السور .

٣ - فهرس الأحاديث الشريفة^(١)

الصفحة

حرف الهمزة

٦٥	((اتقوا الغضب فإنه يوقد في فؤاد ابن آدم النار)) *
٦٤٧	((إذا مرَّ بالنطفة اثنتان وأربعون ليلة أرسل الله ملكاً))
٥٩٢	((إذا أنبعث أشقها)) أنبعث لها رجل عزيز عارم))
٦٣٩	((أعربوا القرآن والتمسوا غرابته)) *
٤٤٥	((ألا أهدركم بأفضل آية في كتاب الله))
٦٥١	((ألا وإن الغضب جرة في قلب ابن آدم ، أما رأيتم إلى)) *
٤٥	((التمسوها في العشر الأواخر فإن ضعف أحدكم أو عجز))
٤٧٥	((اللهم أصلح لي ديني الذي هو عصمة أمري))
٣٠٩	((أما أهل النار الذين هم أهلها))
٣٠٧	((إن أشد الناس عذاباً يوم القيامة المصورون))
٦٤٧	((إن خلق أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوماً))
٥٠٢	((إن السرائر الإيمان والصلاة والزكاة والغسل من الجنابة)) *
٣٠٢	((إن قاف جبل من زبرجدة خضراء تحيط بالدنيا)) **
٤٤٥	((إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن))
٤٧٣	((إن الله يقول : إنا أنزلنا المال لإقام الصلاة))
٥٧٦	((إن هذا القرآن لاتنقضي عجابه)) *
١١٥	((إن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - فقرأ عليه القرآن))

حرف الجيم

٥٩١	((جنتان من فضة آتيتهما وما فيهما ، وجنتان من ذهب))
-----	--

حرف الحاء

٣٠٦	((حتى إذا فرغ الله من القضاء بين العباد))
٤٧٧	((حدثوا عن بني اسرائيل ولا حرج))

حرف الخاء

٤٧٥	((الخير معقود في نواصي الخيل))
٤٧٥	((الخير معقوص بنواصي الخيل))
٩	((خيركم من تعلم القرآن وعلمه))
٤٧٥	((الخيل معقود في نواصيها الخير))

حرف السين

٦٤٣، ١١٦	((سمعت النبي - صلى الله عليه وسلم - يقرأ في المغرب بالطور))
----------	---

١- رتب هذا الفهرس على حسب الحروف الهجائية ، واكتفيت : إن كان الحديث طويلاً : بإيراد طرف منه .

وقد وضعت علامة (*) على الضعيف ، وعلامة (**) على الموضوع ، وعلامة (***) على ما لم أحده .

الصفحة	حرف الفاء
٤٦	((فطلبوها فأعجزتهم))
٢٩٩	((فقال يا عمدة : فقرار الأرض من أي شيء)) **
	حرف القاف
٦٤٦	((قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين))
	حرف الكاف
	((كان النبي - صلى الله عليه وسلم - ساجداً يدعو :
٥٠٨	يارحمين ، يارحيم)) *
٤٧١	((كل حرف في القرآن يُذكر فيه القنوت فهو الطاعة)) *
٤٥	((كل شيء بقدر حتى العجز والكيس))
٤٩٦	((كنا جلوساً عند النبي - صلى الله عليه وسلم - إذ نظر إلى القمر ليلة البدر))
	حرف اللام
	((لما قدم وفد عبد القيس على رسول الله - صلى الله عليه وسلم -
٦٤٤	قال : أيكم يعرف قُس بن ساعدة)) *
٣٨١	((المسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده))
	حرف الميم
٣٠٢	((من أحب علياً بقلبه)) ***
٣٠٢	((من قرأ سورة الإخلاص)) ***
	حرف الهاء
٥٠٣	((هل جزاء الإحسان إلا الإحسان ﴿ هل تدرون ما قال ربكم ﴾))
	حرف الواو
٣٠٠	((وحدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج))
	حرف اللام ألف
٦٥٠	((لا يزال يُلقى فيها وتقول هل من مزيد))
	حرف الياء
٤٦٩، ٤٦٨	((يا رسول الله : ﴿ اطلق مرتان ﴾ فأين الثالثة ؟))

٤ - فهرس الآثار^(١)

الصفحة	حرف الهمزة
٥٥٦	((أبيّ أقرؤنا وإنا لنُدع بعض لحنه))
٤٦٧	((أتى أمر الله ﷻ : قال : عمد صلى الله عليه وسلم)) *
٤٥	((أرايت أنه لو رمى الجذبة وترك الخصلة أكنت مُعجّزه ؟))
٥٥٦	((أقرؤنا أبيّ وأقضانا عليّ))
٤٧٤	((أنزل الله مائة وأربعة كتب))
٥٥٢	((إن زيد بن ثابت أراد أن يكتب ﷻ التابوت ﷻ بالهاء))
٥٠٤	((ﷻ إن الصلاة كانت على المؤمنين كتاباً موقوتاً ﷻ : قال ابن عباس : فرضاً مفروضاً))
٤٥٩	((إن قوم مدين وأصحاب ليكة أمتان)) *
٣٥٦	((إنكم تزعمون أن الله كان عزيزاً حكيماً))
٤٧٥	((إن المؤمن يرى ذنوبه كأنه قاعد تحت جبل))
	حرف التاء
٤٩٤	((التفسير أربعة أوجه : وجه تعرفه العرب من كلامها))
٤٧٦	((تقرن السماوات السبع والأرضون السبع)) *
	حرف الجيم
٥٠٤	((ﷻ الجبت ﷻ : الساحر بلسان الحبشية))
	حرف السين
٥٤٩	((سألت عائشة عن لحن القرآن))
٥٧٠	((سمعت علياً يقول هذا الحرف في ﷻ طلع منضود ﷻ)) *
	حرف الفاء
١١٤	((فقال أنيس : إن لي حاجة بمكة فاكفني))
٣٦٩	((في القرآن من كل لسان))
	حرف القاف
	((قال عمر بن الخطاب يوماً لأصحاب النبي - صلى الله عليه وسلم -
٤٤٤، ٤٤٣	فيمن ترون نزلت هذه الآية ؟))
٥٦٧	((قرأت عند عليّ : ﷻ وطلع منضود ﷻ فقال عليّ :))
٥٧٢، ٥٦٩	((قرأ رجل عند عليّ : ﷻ وطلع منضود ﷻ فقال عليّ : ما شأن الطلع))
٥٦٦	((قرأ عليّ بن أبي طالب : ﷻ وطلّع منضود ﷻ))
	حرف الكاف
٤٤٨	((الكيف غير معقول والاستواء غير مجهول)) *

١- يعني بالآثار المروي عن الصحابة رضي الله عنهم والمروي عن التابعين رحمهم الله .

وقد رتب هذا الفهرس على الحروف الهجائية ، واكتفيت بإيراد طرف الأثر إن كان طويلاً .

وقد وضعت علامة (*) على الضعيف وعلامة (**) على الموضوع ، وعلامة (***) على ما لم أحده .

حرف اللام

- ٦٥ ((لقد انتشر علينا أمر محمد فلو التمستم رجلاً عالماً بالسحر))
- ((لما بلغ عمر - رضي الله عنه - أن ابن مسعود ، رضي الله عنه ،
- ٥٥٢ قرأ (عَتَى عَيْن) على لغة هذيل)) ***
- ٦٨ ((لو برزت الجن وأعانهم الإنس فظاهروا))
- ٤٦٩ ((لو قعدت العام عن الغزو))
- ٤٧٠ ((ليس في الحلبي زكاة)) *

حرف الميم

- ٣٤٥ ((من أراد العلم فعليه بالقرآن))

حرف النون

- ٦٤٨ ((نزلت هذه الآية فينا ، كانت الأنصار إذا حجوا))

حرف الهاء

- ٥٤٨ ((هذا مما لحن فيه كاتب المصحف))
- ٤٧٠ ((هو الإنم بلغة الحبشية))
- ٤٧٢ ((هو اسم الله الأعظم))

حرف الواو

- ٦٤ ((والله إن لقوله الذي يقول لحلاوة))

حرف اللام ألف

- ٦٧ ((لاتقدرون على ذلك ولاتطيقونه))
- ٤٤١ ((لايقولن أحدكم قد أخذت القرآن كله))

حرف الياء

- ٦٤٠ ((ياأبا العالية : قول الله في كتابه ﴿ فويل للمصلين ﴾))

٥ - فهرس وجوه الإعجاز

ذكرت أثناء البحث عدة وجوه للإعجاز ، منها ما ذكره السيوطي ومنها ما ذكره غيره من العلماء ، وسأذكرها في هذا الفهرس مضافاً إليها جميع ماوقفتُ عليه من وجوه الإعجاز في كتب أهل العلم .
وسأقتصر على الوجوه الأصلية المتفردة التي لاتندرج تحت وجه آخر أعم منها :

أولاً : الوجوه المذكورة في هذا البحث :

- ١ - الإعجاز بالبلاغة والفصاحة والنظم .
 - ٢ - الإعجاز بأخبار الغيب .
 - ٣ - الإعجاز بالأسلوب .
 - ٤ - الإعجاز بالعلوم والمعارف .
 - ٥ - اشتغال القرآن على الحقائق والأسرار والدقائق .
 - ٦ - الإعجاز أمر لا يستطاع التعبير عنه .
 - ٧ - حلول القرآن من الاختلاف والتناقض .
 - ٨ - التحدي وقع بالكلام القديم الذي هو صفة الذات ، وأن العرب كُلفت في ذلك ملايطاق ، وفيه وقع عجزها .
 - ٩ - الجمع في القرآن بين الدليل والمدلول .
 - ١٠ - الإعجاز بالآيات المشتبهات (على اعتبار جزئي معين فيها) .
 - ١١ - اشتغاله على جميع أنواع البراهين والأدلة .
 - ١٢ - الإعجاز بـ (الصَّرْفَة) .
 - ١٣ - الإعجاز بمجموع أوجه منها (الصَّرْفَة)^(١) .
- ثانياً : الوجوه المذكورة في غير هذا البحث :

- ١ - الإعجاز التشريعي^(٢) .
- ٢ - الإعجاز العلمي^(٣) .
- ٣ - الإعجاز النفسي^(٤) .

١- انظر في الوجوه السابقة ص ٢١١ ، ٢١٢ ، ٤١٨ .

٢- قد ذكر الإعجاز التشريعي في هذه الرسالة عَرَضاً ، انظر ص ٦٦٩ ، لكن انظر في تفصيله كتاب ((مباحث في إعجاز القرآن))
للدكتور مصطفى مسلم : ٢٢١ - ٢٤٦ .

٣- انظر فيه المصدر السابق : ١٤٧ - ٢١٩ ، وكتاب ((المعجزة الخالدة)) : ٣٣٤ - ٣٣٧ ، وكتاب ((مناهل العرفان)) .
٢ / ٢٧٨ - ٣١٦ .

٤- المقصود به حديث القرآن عن النفس الإنسانية وبيانه لصفاتها ، وتحليله لها ، والمقصود به أيضاً تأثير القرآن في
النفس الإنسانية ، وانظر ((البيان في إعجاز القرآن)) : ٣٣١ - ٣٥١ ، و((المعجزة الخالدة)) : ٣٤١ - ٣٤٤ .

٦ - فهرس المصطلحات الأصولية^(١)

المصطلح	الصفحة
الإجمال :	٣٧١ .
السبب والتقسيم :	٣٩٠ .
الظاهر :	٣٧٢ .
العام :	٣٧٠ .
الجاز :	٣٧٩ .
المشترك :	٣٩٨ ، ٢٧٠ .
المعرب :	٣٦٨ .
المنطوق :	٣٧٢ .
المؤول :	٣٧٣ .
النص :	٣٧٢ .

١- سأذكر موضع تعريف المصطلح فقط .

وقد رتبته هذا الفهرس على حسب الحروف الهجائية بعد حذف أداة التعريف (أل) .

٧ - فهرس المصطلحات العلمية^(١)

المصطلح	الصفحة
الإسطرلاب :	٥٣٨
الإلحاق :	٤٨٦ ، ٣٦٨
التسهيل :	٤٨٧
التنويم المغناطيسي :	٦٩٣
توجيه القراءات :	٥١١
الحصر (القصر) :	٣٦٦
الدُّور :	١٧٧
الرُّوي :	١٦٦
السَّكْت :	٥١٦
الصرف :	٤٨٦
الصَّرْفَة :	٦٠ ، ٦١ ، ٧٠ ، ٧١ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ٩٤ ، ٩٥ ، ٩٦ ، ٩٧ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١٠٥ ، ١١١ ، ١١٠ ، ١٠٩ ، ١٠٨ ، ١٠٧ ، ١١٦ ، ١١٢ ، ١١٣ ، ١١٤ ، ١١٥ ، ١١٦ ، ١١٧ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٩ ، ١٤٨ ، ١٧٠ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ١٧٧ ، ١٨٢ ، ١٨٦ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٠٨ ، ٢١١ ، ٣٥١ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٣٢ ، ٦٣٣ ، ٦٣٧ ، ٦٩٤ ، ٦١ ، ٣٢٨ ، ٥٧٤ ، ٦٧٩ ، ٥١٢ ، ٥١٢ ، ٥١٦ ، ٥٥٦ ، ٣٥٨ ، ٦١٣ ، ٦٩٢
العروض :	٦١
غريب القرآن :	٣٢٨
الفاصلة :	٥٧٤ ، ٦٧٩
القراءات الشاذة :	٥١٢
القراءات الصحيحة :	٥١٢
القطع :	٥١٦
اللحن :	٥٥٦
النسخ :	٣٥٨
النظم :	٦١٣
الوحي النفسي :	٦٩٢

١- سأذكر موضع تعريف المصطلح فقط إلا (الصَّرْفَة) فأذكر جميع صفحاتها لتعلقها بمباحث الإعجاز .
وقد رتبت هذا الفهرس على حسب حروف الهجائية مع حذف أداة التعريف (أل) .

المصطلح	الصفحة
الوقف الحسن :	٥١٦ .
الوقف القبيح :	٥١٦ .
الوقف الكافي :	٥١٦ .

٨- فهرس المصطلحات البلاغية^(١)

المصطلح	الصفحة
الازدواج :	٣٨٧ ، ١٥٣ .
الاستخدام :	٤٦٦ ، ٣٨٥ .
الاستعارة :	١٧٨ .
الإطناب :	٣٨٢ .
الإنشاء :	٣٨٨ .
الإيجاز :	٣٨٢ ، ١٧٨ .
البدیع :	٣٨٤ .
براعة الاستهلال :	٤٢١ .
البيان :	١٨٠ .
تأكيد المدح بما يشبه الذم :	٤٢٨ .
التشبيه :	١٧٨ .
التضمنين :	١٧٩ .
التطويل :	٣٨٢ .
التعريض :	٣٨١ .
التلاؤم :	١٧٨ .
التورية (الإيهام) :	٢٨٥ .
الحشو :	٣٨٢ .
الخبر :	٣٨٧ .
السجع :	١٤٣ .
الفواصل :	٣٥٠ ، ١٧٩ ، ١٥٣ .
القول بالموجب :	٤٣٠ .
الكناية :	٣٨١ .
المبالغة :	١٨٠ .
المشاكلة :	١٧٩ .

١- سأذكر موضع تعريف المصطلح فقط .

٩ - فهرس الشواهد الشعرية^(١)

الصفحة	المبحث
٥٠٥	١ - إذا أثنى عليك المرء يوماً كفاه من تعرضه الثناء
٣٠٥	٢ - وهذا العلم لا يحويه إلا نبي أو وصي الأنبياء
٤٢٨	٣ - ولا عيب فيهم غير أن سيوفهم بهن فلول من قراع الكئاب
٥٠٧	٤ - من تلق منهم تقل لا قيت سيدهم مثل النجوم التي يسري بها الساري
٥٠٦	٥ - كلوا في بعض بطنكم تغفوا فإن زمانكم زمن خميص
٣٨٣	٦ - وأعلم علم اليوم والأمس قبله ولكنني عن علم ما في غد عمي
٤٢٨	٧ - ولا عيب فيه غير أنني قصدته فأنستني الأيام أهلاً وموطناً
٣٨٣	٨ - وألقى قولها كذباً وميناً

١- رُتب هذا الفهرس على حروف الهجاء باعتبار آخر البيت .

١٠ - فهرس القبائل^(١)

الصفحة	
٥٤٨	بنو نمير :
٥٦٣، ٥٦٢، ٥٤٨	بنو الحارث بن كعب :
٥٦٣	عُتَيْم :
٥٦٣	زبيد :
٤٧٤	بنو سعد :
٧١	بنو شيبان :
٦٤٤	عبد القيس :
٥٦٣، ٥٦٢	عُدرة :
٥٦٣	بنو العنبر :
٥٦٣	قحطان :
٥٦٢، ٥٤٨	القحطانية :
٦٧، ٦٦، ٦٥، ٦٤	قريش :
٢٥٠، ١١٦، ١١٥	
٦٠١، ٥٦٣، ٥٥٢	
٥٦٢	كلب :
٥٦٢	كنانة :
٥٦٢	كنانة بن بكر :
٥٦٣	كنانة بن خزيم :
٥٦٣، ٥٤٨	مَذْحِج :
٥٦٣	مراد :
٥٦٣	بنو الهجيم :
٥٥٢	هذيل :

١- قد رتب هذا الفهرس على حسب حروف الهجاء بعد حذف (بنو)

١١ - فهرس الطوائف والأمم^(١)

الصفحة	
٤٧٨، ٤٧٧، ٣٠٠	بنو إسرائيل :
٦٩٨، ٤٨٣، ٤٨٠	
٤٥٩	أصحاب الأيكة :
٥٣٩	الإغريق :
٥٩	الأمويون :
٦٤٨، ٥٥٢، ٢٩٩	الأنصار :
٤٩٣	أهل الحديث :
٤٩٣، ٤٩١، ٤٩٠	أهل السنة :
٦٢٤، ٥٦٧	
٥٩٩، ٥٢٧، ٤٧٨	أهل الكتاب :
٦٨٣، ٦٠٣، ٦٠٢	
٢١٧	الأوروبيون :
٢٦٥	بنو أيوب :
٢١٧	البرتغاليون :
٢١٥	التتار :
٢٦٤، ٢٢٢، ٢١٦	العرك :
٦٥، ٤٩	عمود :
١٣٤	الروم :
٣١٧	الشافعية :
٦٥	عاد :
٢١٥، ٥٨	العباسيون :
٥٤٨	العدنانية :
٥٥٢، ٥٥١، ٥٤٥	العرب :
٥٩١، ٥٩٠، ٥٨٣	
٦٠٣، ٦٠١، ٥٩٩	
٦٧٠، ٦٦٤، ٦٤٤	
٦٧٦، ٦٧٥، ٦٧٤	
٦٧٧	
١٣٤	الفرس :
٥٦٣	قضاة :
٥٤٤	المالكية :
٤٥٩	مدين :

١- قد رتب هذا الفهرس على حسب حروف الهجاء بعد حذف أداة التعريف (أل) وحذف (بنو) .

الصفحة

المستشرقون :	٦٥٩٠٥٤٨٠٥٤٧
	٧٠٣٠٦٩٢٠٦٦٩
المماليك :	٢١٧٠٢١٦٠٢١٥
	٢٦٤٠٢٦٣٠٢٢٩
المماليك المُرجّية :	٢١٥
المماليك الجراكسة :	٢٦٤٠٢١٦٠٢١٥
المنصّرون :	٧٠٣٠٦٥٩
الموحّدون :	١٠٣
النصارى :	٦٨٩٠٦٨٥٠٤٨٠
اليهود :	٤٨٠٠٤٧٨٠٢٩٩
	٦١٢٠٦٠٣٠٥٩٩
	٦٩٨

١٢ - فهرس الفرق والجماعات^(١)

الصفحة	
٨٥ .	الإسماعيلية :
١١١، ٩٣، ٩٢، ٨١ .	الإمامية :
٤٩٥ ، ١٢٢ ، ٧٤ .	الجهمية :
٧٤ .	الحنوية :
٦٤٠ .	الخوارج :
٣٠٣ ، ٨٣ ، ٧٤ .	الرافضة :
٨٨ .	الزيدية :
٢١٨ ، ١٠٨ ، ٩٢ ، ٧٤ .	الشيعة :
٥٣٤ ، ٣٠٢ ، ٩٢ ، ٨١ .	الفلاسفة :
٦٨٣ ، ٥٧١ .	
٤٩٢ ، ٤٩٠ .	المؤولون :
٧٠ ، ٥٩ ، ٣٤ ، ٣٣ .	المعتزلة :
٨٤ ، ٨١ ، ٨٧ ، ٧٤ ، ٧١ .	
١٠٤ ، ٩٨ ، ٩٧ ، ٩٥ ، ٩٣ ، ٩٢ .	
١٨١ ، ١٢٢ ، ١١١ ، ١١٠ .	
٦١٤ ، ٦٠٨ ، ٤٩٧ ، ٤٩٠ .	
٦١٩ .	

١- قد رتبنا الفهرس على حسب حروف الهجاء بعد حذف أداة التعريف (أل) .

١٣ - فهرس الأماكن والبلدان

الصفحة	
٣٢٧	الآستانة :
٢١٧	آسيا :
٢٢٢	آقصر (آقسرائي) :
٣٠١	آلوس :
٥٢٢	آمد :
٣٦٩ ، ٨٥	آمل :
٦٤٣	أحد :
٩١	الأردن :
٣٦	الأزهر :
١٢٣	إسفرالين :
٥٣٩ ، ٥٢٥ ، ٣٤١ ، ٢٢١	الإسكندرية :
٥٣٥ ، ٢١٩	أسيوط :
٢١٥	إشبيلية :
٤٦٦	أصبهان :
٥٣٩ ، ٣٤١	إفريقية :
٥٢٦	أفغانستان :
٣٤١ ، ١٤٣ ، ١٢٥ ، ٨٤	الأندلس :
٥٥١ ، ٤٩٦	
٣٢٥	أنقرة :
٥٣٢	أوروبا :
٣٣٦	باكستان :
٦٤٤	البحرين :
٤٤٣	بخارى :
٤٦٩ ، ١١٦ ، ٦٤	بدر :
٤٧١ ، ٨٢	بُست :
٤٧٤ ، ٤٦٨ ، ٤٤٧ ، ٨٢	البصرة :
٨١ ، ٨٠ ، ٧٨ ، ٦٨ ، ٥٩ ، ٣٠	بغداد :
١١٢ ، ١٠٨ ، ١٠٥ ، ٨٢	
٣٠١ ، ٢٩٤ ، ٢٢٠ ، ١٢٠	
٤٤١ ، ٣٦٩ ، ٣٣٦ ، ٣١٤	
٥٥٠ ، ٥١٣ ، ٥٠٢ ، ٤٤٧	
٦٤٤ ، ٥٦٩ ، ٥٦٧	
٥٢٦ ، ٤٦٧	بلخ :
٣٣٦	البنجاب :
٩٠	بُهْتَم :

الصفحة

بورصة :	٣٢٥ ، ٥٩٥ .
بُيُجُور :	٣٦ .
بيروت :	٣٠٣ ، ٣٠٥ .
بَيْهَق :	١٠٧ .
تربة برفوق :	٢٦٣ .
تهامة :	٦٤٤ .
تَوْرِيْز :	٥٧١ .
تونس :	١٤٣ ، ٣٤٧ ، ٥٣٩ ، ٥٤٤ .
الجامع الأموي :	٤٥٦ .
جامع الزيتونة :	٣٤٧ .
الجامع الطولوني :	٤٣٧ .
الجزيرة :	١١٢ .
جزيرة ابن عمر :	٨٨ .
جورجيا :	٢١٥ .
الجوزية :	٣٠١ .
جَيَّان :	٣٤١ ، ٤٩٦ .
الحجاز :	٨٤ ، ٢١٥ ، ٢٢١ ، ٣١٥ ، ٣٢٩ .
الحِجُون :	٥٩ .
الحَرَمَان :	٢١٦ .
حلب :	١١١ ، ٢٢١ ، ٢٢٣ ، ٤٥٤ .
حماة :	٣٣٦ .
حوران :	٣١٠ .
الخانقاة البيرونية :	٢٦٣ ، ٢٦٧ .
حَرْتَنَك :	٤٤٣ .
الخُضيرية :	٢٢٠ .
خوارزم :	٤٣٦ .
دار الحديث الحَمَتيّة :	٣٣٥ .
دار الحديث الكاملية :	٨٧ .
دار العلوم :	٥٣٥ .
دانية :	٥٥١ .
دمشق :	٣٠ ، ٨٨ ، ٣٠٠ ، ٣٠١ ، ٣١٠ ، ٣٤٧ ، ٣٣٦ ، ٣٣٥ ، ٣١٨ .
	٤٢٩ ، ٤٥٦ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
	٤٩١ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ .
الدِّيْنُوْر :	١٢٢ ، ٤٤٧ .

الصفحة

ذِمار :	٨٨ .
رأس الرجاء الصالح :	٢١٧ .
الرباط :	٢٧٦ .
الرَبْدَة :	١١٤ .
الرياض :	٤٣٤ ، ٣٣٥ .
الري :	٥٣٣ ، ٤٣٤ ، ٨٦ ، ٨٣ .
الروم (الدولة العثمانية) :	٤٥٦ .
رُويان :	٨٥ .
زُرْقَان :	٣١٧ .
زَمَخْمَر :	٤٣٦ .
زَمْلُكَا :	٨٦ .
سِجِسْتَان :	٥٥٠ ، ٨٠ .
سمرقند :	٤٦٧ ، ٤٤٣ .
السُّنْد :	٤٧٤ .
سوق العطش (ببغداد) :	٨١ .
الشام :	١١٢ ، ٩١ ، ٩٠ ، ٨٦ ، ٥٩ ، ٤٥ ، ٢٢١ ، ٢١٧ ، ٢١٦ ، ١٥ ، ٤٦٣ ، ٤٥٨ ، ٣٣٦ ، ٢٢٢ ، ٦٠١ ، ٥٦٧ ، ٥٢٧ .
شِراز :	٨٨٠ .
صاروخان :	٢٢٢ .
صنعاء :	٨٨ .
الطائف :	٤٥٩ ، ٣٥٦ .
طَبْرِسْتَان :	٣٦٩ ، ٨٥ .
طنطا :	٩٠ .
طُوس :	٣١٥ ، ١١٢ .
العراق :	٣١٥ .
عراق العجم :	٥٧١ .
عَرَّاز :	١١١ .
عكاظ :	٦٦٤ ، ٦٤٤ .
غرناطة :	٣٤١ ، ٣٣٥ .
فاس :	٣١٥ ، ٤٢ .
الفرات :	٣٠١ .
فلسطين :	٥٩٩ .

الصفحة

٢٦، ٨٤، ٨٧، ٩١	القاهرة :
١٢٥، ٢١٩، ٢٢١	
٢٢٢، ٢٢٣، ٢٢٨	
٢٤٥، ٢٦٣، ٢٦٤	
٢٦٨، ٣٠٣، ٣١٠	
٣١٧، ٣١٨، ٣٣٥	
٣٣٦، ٣٤١، ٣٤٧	
٤٤٨، ٤٩١، ٤٦٣	
٥٣٥، ٥٤٤	
٣٠٣، ٣٣٦	القدس :
٣٠١	القرافة :
٨٤، ١٠٦، ٦٧٧	قرطبة :
٢٦٤	القَرَم :
١٠٣، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٩٥	القسططنية :
٢٤٥	قطر :
٨٤	القيروان :
٣٤٥، ٥١٣، ٥٦٩	الكوفه :
١٢٥	لُورقة :
١٢٥	الكرج :
٤٩٢	مألقة :
٢٦٣	المدرسة الشيعونية :
٣٦	المدرسة النظامية :
١١٤، ٣٢٦، ٣٠٣، ٣٤٥	المدينة المنورة :
٤٣، ٤٥٧، ٤٩٥، ٦٨٥	
١١٢	مراغة :
٤٩٢، ٦٧٧	مراكش :
٧٢، ٧٨، ٥١٣	مرو :
٥٨، ٥٩، ٨٤، ٨٧، ٩١	مصر :
١١٣، ٢١٥، ٢١٦	
٢١٩، ٢٦٣، ٢٦٤	
٣٠١، ٣١٠، ٣١٥	
٣١٧، ٣١٨، ٣٤٦	
٣٩٤، ٤٥٢، ٥٥٧	
٥٠٨	المصيصة :
٨٣، ١٤٣، ٢٢١، ٢٧٦	المغرب :
٣٣٥، ٣٣٦، ٥٣٩	

الصفحة

مكة :	٤٥٦ ، ٤٤١ ، ١١٤ ، ٦٨
	٥٩٩ ، ٥٢٧ ، ٥١٣
	٦٩٢
المملكة المتحدة :	٨٧
الموصل :	٤٥٦ ، ٨٨
ميسان :	٤٤٧
نجران :	٦٨٥ ، ٥٤٨
نوى :	٣١٠
نيسابور :	٣٠٨ ، ١٠٧ ، ١٠٤ ، ٣٦
	٤٤٤ ، ٣٩٣ ، ٣١٧
	٥٧٢ ، ٥٠٢
هراة :	٥٠٢ ، ٨٦
هَمْدَان :	٥٧٠
الهند :	٢٢١
واسط :	٤٤٧
وَرَعْمَة :	٥٣٩
اليمن :	٦٠١ ، ٤٣٥ ، ٢٢١ ، ٨٨ ، ٣٨
اليونان :	٣٢

١٤ - فهرس الأعلام^(١)

- الآبادي = محمد أشرف بن أمير بن علي .
 الآجري = محمد بن الحسين .
 آدم (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ ، ٤٤٩ ، ٤٥٨ ، ٤٦٧ ، ٤٧٣ ، ٤٨٠ ، ٥١٣ ، ٥٤٠ ، ٦٤٧ .
 الأقصري = يحيى بن محمد .
 الألوسي = محمود بن عبد الله .
 الأمدي = علي بن أبي علي بن محمد .
 أمنة : (أم الرسول صلى الله عليه وسلم) : ٦٥ .
 أنص : ٢٦٤ .
 إبراهيم (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ ، ٣٩٧ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ .
 إبراهيم بن حبيب الفزاري : ٥٣٨ .
 إبراهيم بن سيار (النظام) : ٥٩ ، (٧٠) ، ٧١ ، ٧٤ ، ٩٥ ، ٩٧ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٤ ، ١٢٨ ، ١٣٣ ، ١٣٩ ، ١٥٩ ، ١٩٠ ، ٢١٠ .
 إبراهيم بن عبد الرحمن (ابن الكركي) : ٢٦٠ ، ٢٦١ .
 إبراهيم بن عمر بن حسن البقاعي : (٣٠٣) ، ٣٥٣ ، ٥٨٢ ، ٥٨٣ ، ٥٨٥ .
 إبراهيم بن محمد بن إبراهيم (أبو إسحاق الإسفراييني) : (١٠٤) ، ١١٠ ، ١١١ .
 إبراهيم بن محمد السنجوري : ٢٩ ، (٣٦) .
 إبراهيم بن محمد السري (أبو إسحاق الزجاج) : (١٦٢) ، ٥٩٣ ، ٥٠٥ .
 إبراهيم بن مسلم الهجري : ٥٧٦ .
 إبراهيم بن مضارب بن إبراهيم : ٣٩٣ .
 أنقرط = أنقرط .
 أبي بن كعب (رضي الله عنه) : (٤٤٤) ، ٥٤٣ ، ٥٥٦ ، ٦٤٠ .
 الأجلح بن عبد الله : ٦٥ ، (٦٦) .
 أحمد بن إبراهيم بن الزبير : (٣٤١) .
 أحمد بن إبراهيم الكناني : ٢١٩ ، ٢٢٣ .
 أحمد بن إدريس القرافي : (٣٠١) .
 أحمد بن حسن فرحات : ٨٤ ، ١٠٨ .
 أحمد بن الحسن القاضي : ٥٠٢ .
 أحمد بن الحسين بن علي البيهقي : ٦٤ ، ٦٥ ، ٦٦ ، (١٠٧) ، ١٢٣ ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٥٢ ، ١٥٦ ، ٢٣٧ ، ٣٤٦ ، ٤٤٦ ، ٤٦٩ ، ٤٧٠ ، ٤٧٤ ، ٤٧٨ ، ٤٧٩ ، ٥٠٢ ، ٥٠٣ ، ٥٧٦ ، ٦٣٩ .
 أحمد الحمادي : ٣٣١ .
 أحمد الخازندار : ٢٢٦ .

١ - الصفحة التي تُرجم فيها العلم أضعها بين قوسين هكذا : (...) وما لم توجد هذه العلامة في الترجمة فإن هذا يعني أنني لم أترجم للعلم ،

أو لم أجد ترجمته .

وقد رتب هذا الفهرس على حسب الحروف الهجائية بعد حذف أداة التعريف (أل) ، و (أبو) و (ابن) و (أم) و (بنت) .

- أحمد السقا : ١٩٩ .
- أحمد بن سليمان بن كمال باشا : (١٠٩) ، ١١٠ ، ١١١ .
- أحمد بن سهل البلخي : (٨١) .
- أحمد شاکر : ٦٧ ، ٦٨ ، ٤٤٦ ، ٦٠٠ .
- أحمد شمس الدين : ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ .
- أحمد صقر : ١٩١ ، ٦٥٦ .
- أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ابن تيمية) : (٣٠) ، ٣١ ، ٣٣ ، ٣٨ ، ٧٢ ، ١١٠ ، ٣٠١ ، ٣٠٥ ، ٤٤٨ ، ٤٩٤ ، ٥٠٠ ، ٥٤٨ ، ٥٥١ ، ٥٥٢ ، ٥٦١ ، ٥٦٣ ، ٥٦٥ ، ٦٠٢ .
- أحمد بن عبد الرحمن البنا : ٤٤٦ .
- أحمد بن علي (ابن الإخشيد) : (٨١) .
- أحمد بن علي بن ثابت (الخطيب البغدادي) : ٤٦٩ ، ٥٠٢ ، ٥٦٧ ، ٦٤٤ .
- أحمد بن علي بن عبد القادر المقريري : ٢٦٣ .
- أحمد بن علي بن عبد الكافي السبكي (بهاء الدين) : (٤٥٦) ، ٤٥٧ .
- أحمد بن علي بن المنثى (الحافظ أبو يعلى) : ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦٣٩ .
- أحمد بن علي بن محمد (ابن حجر) : ٦٦ ، ٢١٨ ، ٢٦٠ ، (٣١٠) ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٣٤٥ ، ٤٤٨ ، ٤٥٧ ، ٤٦٤ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٣ ، ٤٧٤ ، ٤٧٦ ، ٤٩٧ ، ٥٠٣ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٦٤٤ .
- أحمد العمري : ١٨٠ ، ٣٣٥ .
- أحمد بن فارس بن زكريا (ابن فارس) : (٤٠٢) .
- أحمد بن محمد بن حنبل : (٣٠) ، ٣١ ، ٤١ ، ٧٢ ، ١٢٢ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٨ ، ٤٧١ ، ٤٩٤ ، ٥٥٠ ، ٦٠٠ ، ٦٤٣ .
- أحمد بن محمد بن علقمة : ٥٦٥ .
- أحمد بن محمد بن عمر (الخفاجي) : (١٠٣) ، ١٦٦ ، ١٧٢ ، ٣١٧ .
- أحمد بن محمد القسطلاني : ٢٩ ، ٤١ .
- أحمد بن محمد بن محمد الشمتي : ٢٢١ .
- أحمد بن محمد بن هارون الخلال : (١٢١) .
- أحمد بن مصطفى بن خليل (طاشكيري زاده) : (٣٢٥) ، ٣٢٦ .
- أحمد مطلوب : ٨٦ .
- أحمد بن الفضل القرشي : (٤٧٦) .
- أحمد بن موسى بن مردويه : (٤٦٦) ، ٤٦٧ ، ٤٦٩ ، ٥٠٣ ، ٥٠٨ .
- أحمد بن يحيى بن إسحاق (ابن الراوندي) : (٧٨) .
- أحمد بن يوسف (السمين الحلي) : ٥١٧ .
- الأخفش : ٥٦٤ .
- إدريس (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ ، ٤٠٧ .
- أرشميدس : ٥٣٩ .
- أسباط بن نصر الهمداني : (٤٧٦) .
- إسحاق (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ ، ٤٠٧ ، ٥٤٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ .

- أبو إسحاق الإسفراييني = إبراهيم بن محمد بن إبراهيم .
أبو إسحاق النصيبى : ١٠٢ .
ابن إسحاق = محمد بن إسحاق .
إسرائيل (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ .
الأسود بن عبد يغوث الزُّهري : ٤٦٩ .
إسماعيل (عليه الصلاة والسلام) : ٤٠٧ ، ٥٤٢ ، ٥٩٨ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ ، ٦٠٣ .
إسماعيل بن إبراهيم بن يقسم (ابن عُلَيَّة) : (٤٤١) .
إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادي : (٣٢٧) .
إسماعيل بن سميع الحنفي : ٤٦٩ .
إسماعيل بن عبد الرحمن السُّدي : (٤٧٢) ، ٤٧٦ .
إسماعيل بن عمر بن كثير (ابن كثير) : ١١٠ ، ١١٥ ، (٣٠٠) ، ٣٠٢ ، ٥٧٠ ، ٥٩٩ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ .
إسماعيل بن القاسم (أبو علي القالي) : ٥٦٧ .
إسماعيل بن محمد الصفار : (٦٣٩) .
ابن الأسمر : ٥٢٥ .
الأسود العنسي = عُبَيْلَة بن كعب .
الأسود بن المطلب : (٥٩٢) .
ابن أشتة = محمد بن عبد الله بن محمد .
الأشعري = علي بن إسماعيل .
أشوف : ٤٥٨ .
ابن أبي الإصبع = عبد العظيم بن عبد الواحد .
ابن بنت الأعر = عبد الوهاب بن خلف العلامي .
الأعمش = سليمان بن مهران .
إقليدس بن نوقطرس : (٥٣٩) .
إقليمية : ٤٥٨ .
امرؤ القيس بن حُجْر الكندي : (١٩٢) .
أمة المغيث : ٤٥٨ .
أميمة بنت عبد المطلب : ٣٠٦ .
أمية بن خالد : ٦٨ .
أمية بن أبي الصلت : ٦٤ ، ٥٠٥ .
ابن الأنباري = محمد بن القاسم بن بشار .
أنس بن مالك (رضي الله عنه) : ٤٥٧ ، ٤٦٩ ، ٥٠٣ ، ٥١٣ ، ٦٥٠ .
أنيس بن حُناة الغفاري (رضي الله عنه) : (١١٤) ، ١١٥ .
أوس بن عبد الله الربيعي : (٥٠٨) .
ابن إياس الحنفي : محمد بن أحمد .
اليسع (عليه الصلاة والسلام) : ٣٣٠ ، ٤٥٨ ، ٤٥٩ .
إمجاد : ٤٥٨ .
أيوب (عليه الصلاة والسلام) : ٣٠٨ .

أيوب بن كيسان السَّخْتِيَانِيّ : (٤٤١) ، ٤٤٧ .

حرف الباء

بارق : ٤٥٨ .

بدر الدين ابن جماعة = محمد بن إبراهيم بن سعد الله .

البراء (رضي الله عنه) : ٦٤٨ .

برقوق بن أنص (السلطان) : ٢١٥ ، (٢٦٤) .

بشر بن الحسين : (٥٠٣) .

بشر بن معاذ العقدي : (٦٧) .

أبو بشر بن أبي وحشية = جعفر بن إياس .

بَطْلَيْمُوس : ٥٣٨ .

البغوي = الحسين بن مسعود .

البقاعي = إبراهيم بن عمر بن حسن .

بقراط : (٣٢) .

البيكاليّ = نوف بن فضالة الحميريّ .

أبو بكر الميحيثانيّ = عبد الله بن سليمان بن الأشعث .

أبو بكر الصديق (رضي الله عنه) : ٧٤ ، ٥٤٣ ، ٦٤٠ .

أبو بكر بن عبد الله بن قيس : (٥٩٠) .

الْبُقْلِينِي = صالح بن عمر .

بُندار بن حسين الفارسيّ : (٦٢٢) .

بيرس (السلطان الظاهر) : ٢٦٥ .

بيرس بن عبد الله الجاشنكير (السلطان) : (٢٦٣) ، ٢٦٤ .

البيضاويّ = عبد الله بن عمر بن محمد .

البيهقي = أحمد بن الحسين بن علي .

حرف التاء

التزمذي = محمد بن عيسى بن سورة .

ابن التّكمانيّ = علي بن عثمان بن إبراهيم .

ابن تَغْرِي بُرْدِي = يوسف بن تغري بردي .

أبو تمام = حبيب بن أوس .

حرف الجيم

جابر بن عبد الله بن حرام (رضي الله عنهما) : ٦٦ ، (٤٠٧) .

الجاحظ = عمرو بن بحر

الجَبَّاثِي = محمد بن عبد الوهاب

جيريل (عليه السلام) : ٣١٥ ، ٥٤٣ .

جُبَيْر بن مُطْعَم (رضي الله عنه) : (١١٦) ، ٦٤٣ .

ابن جُرَيْج = عبد الملك بن عبد العزيز

جرير (رضي الله عنه) = ٤٩١ .

ابن جرير = محمد بن جرير

ابن الجزري = محمد بن محمد بن محمد

جزورة = ٤٥٨

أبو جعفر (القارئ) = يزيد بن القعقاع .

جعفر بن إياس (أبو بشر) : (٥٠٤) .

جعفر بن سليمان الصُّبَيْي : (٦٤٠) ، ٦٤١ .

جعفر بن محمد (ابن شمس الخلافة) : (٣٩٤) ، ٤٦٣ .

جعفر بن محمد بن علي (الإمام الصادق) : (٥٧٠) .

جعفر بن محمد الواسطي : (٦٤٤) .

حُفْمَق (السلطان المملوكي) : ٢١٦ .

ابن جماعة (بدر الدين) = محمد بن إبراهيم بن سعد الله .

حنطب بن حنادة (أبو ذر الغفاري ، رضي الله عنه) : (١١٤) ، (١١٥) .

ابن حنَّي = عثمان بن حنَّي

الجُنَيْد بن محمد بن الجُنَيْد النهاوندي : (٥٠٩) ، ٥١٠ .

أبو جهل = عمرو بن هشام بن المغيرة .

جهم بن صفوان : ٤٩٥ .

الجَوْحَرِي = محمد بن عبد المنعم .

أبو الجوزاء = أوس بن عبد الله الرُّبَيْي .

ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد .

حرف الحاء

ابن أبي حاتم = عبد الرحمن بن إدريس .

أبو حاتم = محمد بن إدريس بن المنذر .

ابن الحاجب = عثمان بن عمر بن أبي بكر .

حاجي خليفة = مصطفى بن عبد الله .

الحارث بن مالك (أبو واقد الليثي رضي الله عنه) : ٤٧٣ ،

حازم القرطاجني : (١٤٣) .

الحاكم = محمد بن عبد الله .

حامد بن محمد الهروي : (٥٠٢)

ابن حبان = محمد بن حبان .

حبيب بن أوس الطائي (أبو تمام) : ٦٥٦

الحجاج بن محمد المصيصي = (٦٨) .

ابن حجر = أحمد بن علي بن محمد .

حذيفة بن أسيد الغفاري : (٦٤٧) .

ابن حزم = علي بن أحمد بن سعيد .

الحسن بن أحمد (أبو علي الفارسي) : ٥١١ .

الحسن بن أبي الحسن البصري : ٣٣٦ ، ٤٣٧ ، (٤٤٧) ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٦٤٠ ، ٦٤١ .

حسن حلي : ١٠٥ .

الحسن بن سعد بن معبد : (٥٦٧) ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ .

- حسن ضياء الدين عثر : (٩١) .
- الحسن بن عرفة بن يزيد القدي : (٥٦٧) ، (٥٦٨) .
- الحسن بن علي (رضي الله عنهما) : ٥٦٧ ، ٥٦٨ .
- الحسن بن علي بن نصر : ٨٢ .
- الحسن بن محمد بن إسحاق : ٤٧٩ .
- الحسن بن محمد كرامة (الحاكم الجشمي) : ٧٠ .
- أبو الحسن المقرئ : ٤٧٩ .
- الحسن بن منصور بن محمود (قاضيخان) : (٤٥٠) .
- الحسين بن أحمد بن خالوية (ابن خالوية) : (٤٥٤) ، ٤٥٥ ، ٥٦٤ .
- الحسين بن إسماعيل الحاملي : (٤٦٩) .
- الحسين بن الحسن بن محمد حليم (الحليمي) : (٣٥٧) ، ٣٥٨ .
- الحسين بن داود المصيصي (سنيد) : (٦٨) ، (٥٠٨) .
- حسين بن عيسى بن ميسرة : (٣٥٧) .
- الحسين بن فضل بن عمير (٤٧٤) ، (٣٩٣) .
- الحسين بن محمد بن عبدالله الطائي : (٥٧١) ، ٥٧٢ .
- الحسين بن محمد بن الفضل (الراغب الأصبهاني) : ٢٦ ، (١٠٨) ، ٢٩٦ ، ٤٤٢ ، ٦٢٨ .
- الحسين بن مسعود البغوي : ٥٠٣ ، ٥٠٨ ، ٥٦٩ .
- حفص بن سليمان : ٣١٩ ، ٥٤٧ .
- حكمت بشير ياسين : ٣٥٧ ، ٥٠٤ .
- الحكيم الترمذي = محمد بن علي الحسن .
- الحليمي = الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم .
- حماد بن محمد بن إبراهيم (الخطابي) : (٨٢) ، ١٣٥ ، ١٤٣ ، ١٥٢ ، ١٦٤ ، ١٧٦ ، ١٨٥ ، ٦٠٥ ، ٦١٣ ، ٦٢٣ ، ٦٢٤ ، ٦٢٥ ، ٦٢٦ ، ٦٢٧ ، ٦٢٨ ، ٦٢٩ ، ٦٣٦ ، ٦٣٧ ، ٦٣٨ ، ٦٤١ ، ٦٤٩ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٦٧ .
- حمزة بن حبيب الزيات : ٥١١ ، ٥٦٤ .
- حماد بن زيد : (٦٥١) .
- حماد بن سلمة : (٤٦٩) .
- حنظلة بن أبي عامر (حنظلة الغسيل ، رضي الله عنه) : (٦٤٣) .
- أبو حنيفة = النعمان بن ثابت .
- أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف بن علي .
- أبو حيان التوحيدي = علي بن محمد بن العباس .

حرف الحاء

- خالد العك = ٣٣٥ .
- خالد بن الوليد : ٤٤٨ .
- خالد بن يزيد (٣٥٧) .
- ابن خالويه = الحسين أحمد بن خالويه .
- الخثري = سعد بن مالك بن سنان ، رضي الله عنه .

ابن خزعة = محمد بن إسحاق بن خزعة .

أبو الخطّاب = ٥٦٣ .

الخطّابي = حمّود بن محمد بن إبراهيم .

الخطيب البغدادي = أحمد بن علي بن ثابت .

ابن خطيب الري = فخر الدين الرازي = محمد بن عمر .

ابن الخطيب = ٥٤٥ .

الحقاجي = أحمد بن محمد بن عمر .

ابن خلاد = ٥٥٦ .

الخلال = أحمد بن محمد بن هارون

ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد بن محمد .

خلّيد العَصْرِيّ : (٥٠٢) .

الخليل بن أحمد الفراهيدي : ٥٠٥ ، ٥٠٧ ، ٥١٣ ، ٦٥٦ .

خليل بن إسحاق : ٥١٩ .

الخطّاط المعتزليّ = عبد الرحيم بن محمد بن عثمان .

خير الدين الزركليّ : ٢٢٢ ، ٥٩٥ .

خَيْرَة : ٤٤٨ .

حرف اللال

الدار قطني = علي بن عمر بن مهدي

الداني = عثمان بن سعيد

أبو داود السجستانيّ = سليمان بن الأشعث

أبو داود الطيالسيّ = سليمان بن داود

داود الأنطاكي : ١٠٣ .

أبو الدرداء (رضي الله عنه) = عويمر بن زيد .

درّاج بن سمان : (٤٧١) .

ابن دُرَيْد = محمد بن الحسن بن دُرَيْد .

ابن دهر : ٥٩١

الديلميّ = شبرويه بن شهردار .

حرف اللال

أبو ذر = حنّاب بن حنّادة رضي الله عنه .

الذهبيّ = محمد بن أحمد .

ذو الكفل : ٤٥٨ .

الذّيال بن حرملة : ٦٦ .

حرف الراء

٤٥٨ : را

الرازيّ = محمد بن عمر بن الحسن .

الراغب الأصبهانيّ = الحسين بن محمد بن المفضل .

الرافعيّ = مصطفى صادق الرافعيّ .

ابن الروانديّ = أحمد بن يحيى بن إسحاق .
 الربيع بن صبيح السعديّ : (٤٧٤) .
 أبو زرين الأسديّ : (مسعود بن مالك الكوفي) .
 ابن رشد الخفيد = محمد بن أحمد بن محمد .
 رُفيع بن مهران (أبو العالية) : (٦٤٠) ، ٤٦١ .
 الرويانيّ : عبد الواحد بن إسماعيل .
 رؤيس : ٥١٢ .

حرف الزاي

زبان بن العلاء (أبو عمرو البصريّ) : ٣١٩ ، ٤١١ ، ٥١١ ، ٥١٢ ، ٥١٣ ، ٥٤٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
 الزبير بن عدي : (٥٠٣) .
 أبو الزبير = محمد بن مسلم بن تدريس .
 الزجاج = إبراهيم محمد بن السريّ .
 الزرقانيّ = محمد بن عبد الباقي بن يوسف .
 الزرقانيّ = محمد بن عبد العظيم .
 الزركشيّ = محمد بن بهادر بن عبد الله .
 زكريا (عليه الصلاة والسلام) : ٤٧٨ ، ٤٨٥ .
 زكريا بن أبي زائدة : (٥٦٨) ، ٥٦٩ .
 زكريا بن محمد الأنصاريّ : ٢٥٩ .
 الزخشنريّ = محمود بن عمر .
 أبو زمعة = الأسود بن المطلب .
 الزمكانيّ = عبد الواحد بن عبد الكريم .
 أبو الزناد = عبد الله بن ذكوان .
 زنجريد هونكه : ٥٣٢ .
 زهير بن أبي سلمى : ٣٨٣ .
 زيد بن أبي أسلم القنويّ = (٤٧٣) .
 زيد بن ثابت (رضي الله عنه) : ٤٤٧ ، ٥٤٣ ، ٥٥٢ .
 زيد بن حارثة (رضي الله عنه) : ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .
 زيد بن عليّ بن الحسين : ٧٤ .
 ابن أبي زيد = عبد الله بن أبي زيد .
 زينب بنت جحش (رضي الله عنها) : (٣٠٦) ، ٣١٢ ، ٣١٣ ، ٣١٤ ، ٣١٥ ، ٣١٧ ، ٣١٨ .

حرف السين

السبكيّ = أحمد بن عليّ .
 السبكيّ = عبد الوهاب بن عليّ .
 السبكيّ = عليّ بن عبد الكافي .
 السخاويّ = محمد بن عبد الرحمن .
 السديّ الصغير = محمد بن مروان .
 السديّ الكبير = إسماعيل بن عبد الرحمن .

- ابن سُرَاقَة = محمد بن يحيى بن سُرَاقَة أو محمد بن محمد بن إبراهيم .
 سعد بن مالك بن سنان (أبو سعيد الخدري ، رضي الله عنه) : (٣٠٨) ، ٣١٢ ، ٤٧١ .
 ابن سعد = محمد بن سعد بن منيع .
 أبو السعود = محمد بن محمد بن مصطفى .
 سعيد بن جبير : (٤٣٥) ، ٤٧١ ، ٥٠٤ .
 أبو سعيد الخدري (رضي الله عنه) : سعد بن مالك بن سنان .
 سعيد عاشور : ٢١٥ .
 سعيد بن أبي عَرُوبَة : (٦٨) .
 سعيد بن كيسان المَقْبِرِيّ : (٦٣٩) .
 سعيد بن منصور : ٣٤٥ ، ٤٤٦ ، ٤٦٨ ، ٦٤٣ .
 سعيد بن يحيى بن سعيد الأمويّ : (٥٦٩) .
 سفيان بن عيينة الهلالِيّ : (٥٦٨) .
 السكّاكِيّ = يوسف بن أبي بكر .
 أبو سلمة بن عبد الأسد (رضي الله عنه) : ٤٤٨ .
 أم سلمة = هند بنت أبي أمية المخزوم (رضي الله عنها) .
 سليم (السلطان العثماني) : ٢١٥ .
 سليمان (عليه الصلاة والسلام) : ٤٠٥ ، ٤٧٨ ، ٤٩٩ .
 سليمان بن أحمد بن أيوب الطبرانيّ : ٣٤٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦٤٤ .
 سليمان بن الأشعث بن شداد (أبو داود السجستانيّ صاحب السنن) : (٤٦٨) ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ .
 سليمان بن داود الطيالسيّ : ٥٥٢ .
 سليمان بن عمرو الليثيّ (أبو الهيثم) : (٤٧١) .
 سليمان بن مهران (الأعمش) : (٥١٣) ، ٥٤٩ .
 السمين الحلبيّ = أحمد بن يوسف .
 ابن سنان الخفاجيّ = عبد الله بن محمد بن سعيد .
 سند : ٤٥٨ .
 سَنِيد = الحسين بن داود .
 السُّهَيْلِيّ = عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد .
 سُوَاع : ٤٥٨ .
 سيبويه : عمرو بن عثمان بن قُتَيْب .
 سيد قطب (٥٣٥) ، ٥٨٧ ، ٦٧١ .
 سيف الدين الكاتب : ٢٤٦ ، ٣٤٥ .
 السيلاكوتيّ = عبد الحكيم بن شمس الدين .

حرف الشين

- الشافعيّ = محمد بن إدريس .
 شَبْرَة : ٤٥٨ .
 شداد بن حكيم البلخيّ : ٥٢٦ .
 الشريف المرتضى = علي بن الحسين بن موسى .

- الشريف = علي بن محمد بن علي الجرجاني .
 شعبة بن الحجاج بن الورد القنكي : (٤٧٢) ، ٥٠٤ .
 شعبة بن عياش : ٤١١ ، ٥١١ .
 الشعبي = عامر بن شرحبيل .
 شعيب (عليه الصلاة والسلام) : ٤٥٩ .
 ابن شمس الخلافة = جعفر بن محمد .
 الشُّمَيْي = أحمد بن محمد بن محمد .
 ابن أبي شيبه = عبد الله بن محمد .
 شَيْث : ٤٥٨ .
 شيخو الناصري (الأمير) : (٢٦٣) .
 شَيْذَلَة = عزيزي بن عبد الملك .
 شيروية بن شهردار الديلمي : ٥٠٣ .

حرف الصاد

- ابن الصائغ = محمد بن عبد الرحمن بن علي .
 الصادق = جعفر بن محمد .
 صالح (عليه الصلاة والسلام) : ٣٥ ، ٣٧ ، ٤٩ .
 أبو صالح = عبد الله بن صالح .
 صالح بن عمر بن رسلان البلقيني : ٢١٨ ، (٢٢٢) .
 صدقة : ٥٥٦ .
 ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان .
 صلاح عبد الفتاح الخالدي : ٥٦ ، (٩١) ، ٦٦٧ ، ٦٧١ ، ٦٧٥ .

حرف الضاد

- ضرابيس : ٤٥٨ .
 الضحاك بن مزاحم الهلالي : (٤٦٧) ، ٥٢٢ .

حرف الطاء

- طاشكيري زاده = أحمد بن مصطفى بن خليل .
 الطبراني = سليمان بن أحمد بن أيوب .
 الطاهر بن عاشور = محمد الطاهر بن عاشور .
 الطوسي (نصير الدين) = محمد بن محمد بن الحسن .
 الطَّيْبِي = الحسين بن محمد بن عبد الله .
 طلحة بن مُصَرِّف : ٥٦٤ .

حرف العين

- عائشة بنت الصديق (رضي الله عنها) : ٣١٩ ، ٥٤٨ ، ٥٤٩ ، ٥٥٠ ، ٥٥٣ ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٥٩ ،
 ٥٦٠ ، ٥٦١ ، ٥٦٢ ، ٥٦٦ .
 عاصم بن أبي الصباح الجحدري : (٦٤٠) .
 عاصم بن أبي النُّجُود : ٤٥٥ .
 عافية بن أيوب : ٤٧٠ .

- أبو العالية = رُفيع بن مهران .
- أبو عامر الراهب (الفاسق) : ٦٤٣ .
- عامر بن الجراح (أبو عبيدة رضي الله عنه) : ٤٥ .
- عامر بن شراحيل الشَّعْبِيّ : (٦٤٤) .
- عامر العربي : ٤٣٢ ، ٢٤٦ .
- عباد بن سليمان البصريّ : (٧١) ، ٩٧ ، ٧٢ .
- عبد بن حميد : ٦٥ ، ٦٦ ، (٥٧٠) .
- عبد الجبار بن أحمد المَدَنَانِيّ : ٥٨ ، (٨٣) ، ٦٠٥ ، ٦٠٨ ، ٦٠٩ ، ٦١٠ ، ٦١١ ، ٦١٣ ، ٦١٨ ، ٦١٩ ، ٦٢٠ .
- عبد الجليل عيسى : ٥٤٥ .
- عبد الجواد خلف : ٣٣٦ .
- عبد الحارث : ٤٥٨ .
- عبد الحق بن غالب بن عطية (ابن عطية) : ١٢١ ، (١٢٥) ، ١٢٧ ، ١٣٠ ، ١٣١ ، ١٣٢ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٣٨ ، ١٤١ ، ١٤٣ ، ٣٥١ ، ٤١٢ ، ٤٩٦ ، ٤٩٧ ، ٥٢٤ .
- عبد الحكيم بن شمس الدين السيالكوتيّ : ١٠٥ .
- عبد الحي بن العماد الحنبلي : ٢٦٠ .
- عبد الخالق : ٥٣٨ .
- عبد الرزاق الصنعانيّ : ٦٤١ .
- عبد الرؤوف مخلوف : ٥٩ .
- أبو عبد الرحمن السُّلَميّ = عبد الله بن حبيب .
- عبد الرحمن بن صخر الدوسيّ (رضي الله عنه) : ٣١١ ، ٤٧٥ ، ٥٢٦ ، ٦٣٩ .
- عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد (أبو القاسم السهيليّ) : (٤٩٢) ، ٥٩٨ .
- عبد الرحمن بن علي بن محمد (ابن الجوزي) : (٢٩٤) ، ٣٠٤ ، ٣٣٦ ، ٣٧٣ ، ٤٦٤ ،
- عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ابن أبي حاتم) : ٣٥٧ ، (٤٣٤) ، ٤٧١ ، ٤٧٦ ، ٤٨٧ ، ٥٠٣ ، ٥٠٤ ، ٥٦٩ ، ٥٧٠ .
- عبد الرحمن بن محمد بن محمد (ابن خلدون) : (٥٤٤) ، ٥٤٥ .
- عبد الرحمن بن مَعْرَاء الروسيّ : (٣٥٧) .
- عبد الرحمن بن مهدي : (٤٧٢) ، ٤٧٦ ،
- عبد الرحيم بن الحسين العراقيّ (الحافظ) : ٢١٨ .
- عبد الرحيم بن محمد بن عثمان (الخياط المعتزليّ) : ٧٠ ، (٩٨) .
- عبد الرزاق بن هَمَّام الصنعانيّ : (٤٣٤) ، ٤٣٥ .
- عبد السلام هارون : ٧٣ ، ٧٤ ، ٤٠٢ ، ٥٠٦ .
- عبد العال مكرم : ٣٢٨ .
- عبد العزى بن عبد المطلب (أبو لهب) : (١٣٤) .
- عبد العزيز فهمي : ٥٤٥ .
- عبد العزيز بن يعقوب (الخليفة العباسيّ عصر) : (٢٦٤) .
- عبد العظيم بن عبد الواحد العُدَوَانِيّ : (ابن أبي الإصبع) : (٨٧) ، ٣٨٩ ، ٤٢٩ ، ٤٣٠ ، ٤٥٦ ، ٤٦٦ .
- عبد العظيم المطعنيّ : ٣٣٦ .

- عبد العليم الهندي : ٨٤ .
- عبد الفتاح لاشين : ٥٨ ، ٦١٤ ، ٦٢٤ .
- عبد القادر بن شيخ العيدروسي : ٢١٩ ، ٢٦٠ .
- عبد القاهر بن طاهر البغدادي : ١٢٣ .
- عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد الجرحاني : ١٠ ، ٨٠ ، (٨٤) ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٩٣ ، ٢٠٠ ، ٦٠٨ ، ٦١٣ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٦٧ .
- عبد القيس بن أفضى : ٦٤٤ .
- عبد الكريم الخطيب : (٩١) ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٥٨٥ ، ٦٢٢ ، ٦٧٥ ، ٧٠٦ .
- عبد الكريم بن هوزان القُثيري : ٥٧٢ ، ٥٧٣ .
- عبد الله بن جُدعان : ٥٠٥ .
- عبد الله بن حبيب (أبو عبد الرحمن السُّلمي) : ٥١٤ .
- عبد الله بن داود العمري : ٦٤٣ .
- عبد الله بن ذكوان (أبو الزناد) : (٤٩٥) .
- عبد الله بن زَمْعَة (رضي الله عنه) : (٥٩٢) .
- عبدالله بن أبي زيد (ابن أبي زيد) : (٨٣) .
- عبدالله سعيد المَقْري : (٦٣٩) .
- عبد الله بن الزبير : ٥٦٤ ، ٦٠١ .
- عبد الله بن سلام (رضي الله عنه) : ٢٩٩ ، ٣٠٠ ، ٣٠٤ .
- عبد الله بن سليمان بن الأشعث (أبو بكر السجستاني) : (٨٠) ، ٨١ ، (٥٥٠) ، ٦٤٠ .
- عبد الله بن صالح المصري (أبو صالح) : (٤٧٠) ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٥٠٤ ، ٥٣٣ .
- عبد الله بن عامر الأسلمي : (٣١٤) .
- عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) : ١١٥ ، (٣٥٦) ، ٣٥٧ ، ٤٣٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٥٥ ، ٤٦٧ ، ٤٧٠ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥١٣ ، ٥٢٢ ، ٥٢٧ ، ٥٣٣ ، ٦٠٠ ، ٦٠١ .
- عبد الله بن عبد المطلب : (٦٤) .
- عبد الله علوان : ٥٣٢ .
- عبد الله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنهما) : ٣٨١ ، (٤٥٩) .
- عبد الله بن قيس (أبو موسى الأشعري ، رضي الله عنه) : (٥٩٠) .
- عبد الله بن كثير : ٣١٩ ، ٤١١ ، ٥١٢ ، ٥٤٧ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
- عبد الله بن لَهَيْعَة : ٤٧١ .
- عبد الله بن محمد (ابن أبي شبة) : ٦٥ .
- عبد الله بن محمد بن سعيد (ابن سنان الخفاجي) : (١١١) ، ١٥٣ ، ١٥٤ .
- عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن الزهري : (٥٦٨) .
- عبد الله بن مسعود (رضي الله عنه) : ٢٥٤ ، (٣٤٥) ، ٤٥٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٥ ، ٥١٤ ، ٥٥٢ ، ٥٧٠ .
- ٥٧٦ .
- عبد الله بن مسلم بن قتيبة : (٦٠) ، ٥٤٥ ، ٥٥٨ ، ٥٦١ ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٩٠ .
- عبد الله بن واقد بن الحارث الهَرَوِي : (٥٠٨) .
- عبد الله بن واقد الحراني : (٥٠٨) .

- عبد الله بن يوسف بن عبد الله (ابن هشام) : (٤٥٢) ، ٤٥٣ ، ٤٥٤ ، ٥٥١ ، ٥٥٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ .
- عبد المطلب بن هاشم : (٦٤) .
- عبد المغيث : ٤٥٨ .
- عبد الملك بن عبد العزيز بن حُرَيْج : (٦٨) .
- عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (إمام الحرمين) : (٣٦) ، ٤٩١ .
- عبد الملك بن هشام : ٦٤ ، ٥٩٢ .
- عبد الملك بن عثمان الزاهد : (٥٠٢) .
- عبد الملك بن هشام : ٦٤ ، ٥٩٢ .
- عبد المنعم بن إدريس : ٤٧٩ .
- عبد الواحد بن إسماعيل بن أحمد الدُّوَيْنِيُّ : ٨٥ .
- عبد الواحد بن عبد الكريم بن خلف الزُّمْلُكْنَانِي : (٨٦) ، ٦٠٥ ، ٦٢٣ ، ٦٣٠ ، ٦٣٥ ، ٦٣٦ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ ، ٦٥٢ ، ٦٥٤ .
- عبد الوهاب بن خلف العلالي : (٢٦٥) .
- عبد الوهاب بن علي السبكي : ٤٦٤ .
- عبد الوهاب الشعراني : ٢٩ ، (٣٦) ، ٢٢١ ، ٢٦٠ .
- عَبْهَلَةُ بن كعب بن غوث : (الأسود الغنصي) : (٣٨) .
- عُبَيْد الله بن جرير بن جبلة : (٤٦٩) .
- عبيد الله بن حسان : (٧٤) .
- عبيد الله بن محمد بن جعفر (ابن عائشة) : (٤٦٩) .
- عُبَيْد الله بن عبد المجيد الحنفي : (٥٠٢) .
- عثمان بن جني : ٤٥٥ .
- عتبة بن ربيعة بن عبد شمس : (٦٤) ، ٦٥ ، ٦٦ .
- عثمان بن سعيد (أبو عمرو الداني) : ٥١٧ ، ٣٣٦ ، (٥٥١) ، ٥٥٥ ، ٥٥٧ ، ٥٦٠ ، ٥٦١ .
- عثمان بن عبد الرحمن بن عثمان (ابن الصلاح) : ٣١٨ ، ٤٧٢ ، (٤٩١) .
- عثمان بن عفان (رضي الله عنه) : ٩ ، ٤٤١ ، ٥٤٣ ، ٥٤٤ ، ٥٤٩ ، ٥٥٢ ، ٥٥٣ ، ٥٥٧ ، ٥٩٢ ، ٦٠١ .
- عثمان بن عمر بن أبي بكر (ابن الحاجب) : ٢٢٢ ، ٤٥٤ .
- عديّ العبادي : ٣٨٣ .
- ابن عراق = علي بن محمد بن علي .
- العراقي = عبد الرحيم بن الحسين .
- ابن العربي = محمد بن عبد الله بن محمد .
- ابن عرفة = محمد بن محمد بن محمد بن عرفة .
- العَرْنَدِس الكلابي : ٥٠٧ .
- عروة البارقي (رضي الله عنه) : ٤٧٥ .
- عروة بن الزبير : (٥٤٩) ، ٥٥٥ ، ٥٦٩ .
- عز الدين الكنتاني الحنبلي = أحمد بن إبراهيم .
- عز : ٤٥٨ .
- عزري بن عبد الملك (شيدلة) : ٢٣٥ .

ابن عساكر = علي بن الحسن بن هبة الله .
العضاء (ناقة رسول الله صلى الله عليه وسلم) : ٤٦ .
عطاء بن يسار الهلالي : (٤٧٣) ،
ابن عطية = عبد الحق بن غالب بن عطية .
عفان بن مسلم : (٤٧٤) .
علاء الدين السيرامي : ٢٦٤ .
علي بن إبراهيم : ٦٤٣ .
علي بن أحمد بن سعيد (ابن حزم) : (١٠٦) .
علي إسحاق شواخ : ٧٩ .
علي بن إسماعيل بن أبي بشر (الإمام الأشعري) : (٧١) ٧٢ ، ٧٥ ، ٩٧ ، ١٠٣ ، ١٠٤ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١٧٠ ،
١٧١ ، ١٧٢ ، ٤٩٢ .
علي بن أبي بكر الهيثمي : ٣٤٥ ، ٤٧١ ، ٤٧٥ ، ٦٠٠ .
علي بن الحسن بن هبة الله (ابن عساكر) : (٤٥٨) ٤٥٩ .
علي بن حسين بن حبيب (المارودي) : (١٠٥) ٣٩٣ .
علي بن الحسين بن علي : ٨٨ .
علي بن الحسين بن موسى (الشريف المرتضى) : (٨٤) ، ١١١ .
علي بن حمزة الكسائي : ٤١١ ، ٥١١ ، ٥٦٣ .
علي الدفاع : ٥٣٨ .
علي بن رزين الطبري : (٧٢) ، ٧٣ .
علي زيد بن جُدعان : (٦٥١) .
علي بن سلطان القاري : ٦٣ ، ٦٤ .
علي بن أبي طالب (رضي الله عنه) : ٣٠٢ ، ٣٠٥ ، ٣٢٠ ، ٤٤٥ ، ٤٤٦ ، (٥١٣ ، ٥٤٣ ، ٥٥٦ ، ٥٦٦ ،
٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٥٧٠ ، ٥٧٢ ، ٥٧٣ ، ٥٧٦ .
علي بن أبي طلحة : (٤٧٠) ، ٤٧١ ، ٥٠٤ .
علي بن عثمان بن إبراهيم (ابن التركماني) : ٤٦٩ .
علي بن عبد الكافي السبكي : ٤٦٣ ، ٤٦٤ .
علي بن أبي علي بن محمد الأمدي : (٥٢٢) .
علي بن عمر بن مهدي (الدار قطني) : ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٩٧ ، ٦٤٤ .
علي بن عيسى الرمانى : ١٠ ، ١٤ ، (٨٢) ، ٩٩ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٥٣ ، ١٥٤ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٧٧ ، ١٧٩ ،
١٨٠ ، ١٨٤ ، ٢١١ ، ٦٠٩ ، ٦١٣ ، ٦٣٦ .
علي بن عيسى : ٢٣٥ .
أبو علي القالي : إسماعيل بن القاسم .
علي بن محمد الحنظلي : ٦٤٣ .
علي بن محمد بن العباس (أبو حيان التوحيدي) : (٨١) ، ٦٢٢ .
علي بن محمد بن علي الجرجاني (الشريف) : ٥٩٥ .
علي بن محمد بن علي (ابن عراق) : (٣٠٣) .
علي بن محمد البحاري : ٢٧٠ ، ٢٧٢ ، ٢٧٧ ، ٢٧٨ ، ٢٨٢ ، ٢٨٣ ، ٢٨٤ ، ٣٣٢ .

- علي بن مُسَهر : ٦٦ .
- علي مهدي زيتون : ٦١٣ ، ٦١٤ .
- أبو علي الفارسي = الحسن بن أحمد .
- علي وافي : ٥٤٥ .
- ابن عُلّة = إسماعيل بن إبراهيم بن يقسم .
- ابن العماد = عبد الحي بن العماد الخنيلي .
- عمر بن أحمد بن علي الشماع الحلبي : (٢٢٣) .
- عمر بن الخطاب (رضي الله عنه) : ٤٥ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٣٠٦ ، ٣٤٥ ، ٤٤٣ ، ٤٤٤ ، ٤٤٧ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ .
- عمر الساريسي : ٦٢٨ .
- عمر بن عبد العزيز : ٥٩٩ .
- عمران بن داود القطان : ٥٠٢ .
- عمران بن موسى القزاز : (٦٥١) .
- عمرو بن بحر بن محبوب (الجاحظ) : (٧٣) ، ٧٤ ، ٧٥ ، ٧٧ ، ٧٩ ، ٨٠ ، ٩٧ ، ٩٨ ، ٩٩ ، ١٠٠ ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ١٠٨ ، ١٦٦ ، ١٧٣ ، ٦٥٦ .
- أبو عمر البصري = زبّان بن العلاء .
- أبو عمرو الداني = عثمان بن سعيد .
- عمرو بن شرحبيل الهمداني : (٣٦٩) .
- عمرو بن عُبيد : ٥٦٤ .
- عمرو بن عثمان بن قنبر (سيبويه) : (٣٢) .
- عمرو بن هشام بن المغيرة : (أبو جهل) : (٦٤) ، ١١٥ ، ٤٤٨ ، (٥٠٨) .
- عومر بن زيد (أبو الدرداء رضي الله عنه) : ٥٠٢ .
- عياض بن موسى اليحصبي : ٩٢ ، (١٠٣) ، ١٢٥ ، ١٣٥ ، ١٥٧ ، ١٥٩ ، ١٦٢ ، ١٦٥ ، ١٦٦ ، ١٦٩ ، ٢٥٢ ، ٢٥٣ ، ٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣١٠ ، ٣٣٨ ، ٣٣٩ ، ٣٥٠ ، ٣٧٨ .
- عيسى بن صبيح المزدار : (٧٠) ، ٩٦ ، ٩٧ .
- عيسى بن مريم (عليه الصلاة والسلام) : ٣٥ ، ٤٧ ، ٧٦ ، ٤٧٧ ، ٥٣٩ .
- عيسى بن يونس السبعي : (٥٦٧) .

حرف الفين

غازي العمري : ٢٨٤ .

غانم الحمد = ٥٤٣ .

الغزالي = محمد بن محمد بن أحمد .

غندر = محمد بن جعفر .

حرف القاء

ابن فارس = أحمد بن فائس بن زكريا .

الفارسي (أبو علي) = الحسن بن أحمد .

فتححي عبد القادر فريد : ٣٣٥ .

فخر الدين الرازي = محمد بن عمر .

الفرّاء = يحيى بن زياد .

حرف القاف

قابيل : ٤٥٨ .

القاري = علي القاري

أبو القاسم بن حبيب : ٤٧٤ .

القاسم بن الحسن : ٥٠٨ .

القاسم بن الحسن بن يزيد الهمداني : (٥٠٨) .

القاسم بن سلام : (٤٤١) ، ٤٧٣ ، (٥٤٩) ، ٥٥١ .

القاسم بن محمد بن بشار : (٥٦٧) .

القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق (رضي الله عنه) : ٢٩٤ .

القاسمي = محمد جال الدين .

قاضيخان = حسن بن المنصور بن محمود .

القالي = إسماعيل بن القاسم

قايتباي (السلطان الأشرف) : ٢١٦ .

قنادة بن دُعامة : (٦٧) ، ٦٨ ، ٤٦٩ ، ٥٠٢ .

ابن قتيبة = عبد الله بن مسلم .

قُدّار بن سالف : ٥٧٨ ، ٥٩١ .

القرافي = أحمد بن إدريس .

القرطبي = محمد بن أحمد بن أبي بكر .

القزويني = محمد بن عبد الرحمن بن عمر .

قُس بن ساعدة الإيادي : (٦٤٤) .

القُشيري = عبد الكريم بن هوزان .

ابن القُطّان : ٤٦٩ .

قلاوون (السلطان) : ٢٦٣ .

قُنبل = محمد بن عبد الرحمن بن محمد .

قيس بن سعد الخارقي = (٥٦٩) .

قيس بن عباد الضُبَيْعي = (٥٦٧) .

ابن القيم = محمد بن أبي بكر بن أيوب .

حرف الكاف

الكافيجي = محمد بن سليمان بن سعيد .

ابن كثير = إسماعيل بن عمر بن كثير .

ابن كثير = عبد الله بن كثير .

ابن الكركمي = إبراهيم بن عبد الرحمن .

الكسائي = علي بن حمزة .

كعب الأحبار = كعب بن مانع الحميري : ٥٢٧ ، (٦٠١) .

كعب الأنصاري : ٥٥٢ .

الكلبي = محمد بن المائب .

ابن كمال باشا = أحمد بن سليمان بن كمال باشا .

حرف اللام

أبو هب = عبد العزى بن عبد المطلب .

اللاكائي = هبة الله بن الحسن .

الليث بن سعد : ٤٧٠ .

حرف الميم

مالك بن أنس : ٣٠١ ، (٤٩٥) ، ٥١٩ .

مالك بن دينار : (٦٤٠) ، ٦٤١ .

مالك بن نبي : ١٨٨ .

ابن مالك = محمد بن عبد الله بن عبد الله

المارودي = علي بن حسن بن حبيب .

المومل بن إسماعيل القنوي : (٤٩٥) ،

المتوكل : ٧٢ ، ١٢٢ .

مجالد بن سعيد القماني : (٥٦٧) ، ٥٦٨ ، ٥٦٩ ، (٦٤٤) .

مجاهد بن جبر السكي : ٤٧١ ، ٥٦٩ ، (٦٠٠) ، مجاهد بن موسى الخوارزمي : (٥٦٩) .

المخزوم الميهاني : ٨٨ .

مجمع بن يحيى : (٣٥٧) .

المخلي = محمد بن أحمد .

محمد بن إبراهيم بن سعد الله (بدر الدين ابن جماعة) : ٣٣٦ .

محمد أشرف بن أمير بن علي العظيم آبادي : ٤٦٩ .

محمد بن أحمد بن البراء : ٤٧٩ .

محمد بن أحمد بن أبي بكر (القرطبي) : (١١٣) ، ١٢١ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ، ٣١٢ ، ٥٦٦ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ .

محمد بن أحمد بن إلياس الحنفي : ٢٢٥ .

محمد بن أحمد بن عبد المؤمن الإسعدي (ابن اللبان) : (٤٤٨) ، ٤٤٩ .

محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي : ٦٤ ، ٧٠ ، ٨١ ، ٨٣ ، ٤٣٦ ، ٤٤٥ ، ٤٦٩ ، ٤٧٢ ، ٤٧٤ ، ٥٧٦ ، ٦٠٠ .

محمد بن علي الفاسي : (٤٢) .

محمد بن أحمد المخلي : ٢٢٣ .

محمد بن أحمد بن محمد (ابن رشد الحفيد) : (٦٧٧) .

محمد بن إدريس الشافعي : ٨٤ ، ٢٦١ ، ٣٤٦ ، ٤٥١ ، ٥٠٠ ، ٥١٨ .

محمد بن إدريس بن المنذر (أبو حاتم الرازي) : (٣٥٧) ، ٦٤٤ .

محمد بن إسحاق بن خزيمة : (١٢٣) .

محمد بن إسحاق التميمي (ابن التميمي) : ٧١ ، ٧٩ ، ٨١ ، ٨٢ .

محمد بن إسحاق بن يسار : ٦٤٠ ، (٤٥٧) ، ٦٠٠ .

محمد بن إسماعيل البخاري : ٩ ، ٦٦ ، ١١٦ ، ٣٠٠ ، ٣٠٦ ، ٣٠٧ ، ٣٨١ ، ٤٣٩ ، (٤٣) ، ٤٦٠ ، ٤٦١ ،

٤٦٤ ، ٤٧٥ ، ٤٧٧ ، ٤٩٧ ، ٥٢٥ ، ٥٥٠ ، ٥٥٢ ، ٥٥٦ ، ٥٦٢ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٦٢١ ، ٦٤٣ ،

٦٤٧ ، ٦٤٨ ، ٦٤٩ ، ٦٥٠ .

- محمد بن بشار القبيدي (بُندار) : (٤٩٤) ، ٥٠٤ .
- محمد بن أبي بكر بن أيوب (ابن قسيم الجوزية) : (٣٠١) ، ٣٠٢ ، ٣٧٤ ، ٣٨٨ ، ٤٦٢ ، ٤٩٧ ، ٦٠٢ .
- محمد بن بهادر بن عبد الله (الزركشي) : : (١٢٥) ، ١٣٥ ، ١٣٦ ، ١٣٩ ، ١٤٢ ، ١٤٣ ، ١٤٤ ، ١٤٥ ، ١٤٧ ، ١٤٨ ، ٢٥٢ ، ٢٩٤ ، ٣٥٨ ، ٥٧٤ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٥ .
- محمد بن ثورموت : ١٠٣ .
- محمد التوثجي : ٦١ .
- محمد بن حريش بن يزيد الطبري : ٦١ ، ٦٧ ، ١٢١ ، ٢٣٥ ، (٣٦٩) ، ٤٣٤ ، ٤٧١ ، ٤٧٢ ، ٤٧٦ ، ٤٩٤ ، ٥٠٤ ، ٥٠٨ ، ٥٥٣ ، ٥٦١ ، ٥٦٧ ، ٥٦٩ ، ٦٤٨ .
- محمد بن جعفر الهذلي (عُندر) : ٥٠٤ .
- محمد جمال الدين القاسمي : ٣١٦ .
- محمد بن حيان بن أحمد (ابن حيان) : ٦٦ ، (٤٧١) .
- محمد بن حيان : ٦٦ .
- محمد بن حجاج الوسطي : (٦٤٤) .
- محمد حسان بن خالد الضبي : (٦٤٤) .
- محمد حسن هيتو : ٧ .
- محمد الحسناوي : ٥٧٥ .
- محمد بن الحسين الآجري : ٤٧١ .
- محمد بن الحسين بن موسى الكوفي : (٤٧٦) .
- محمد بن خازم (أبو معاوية الضير) : (٥٤٩) ، ٥٥٠ ، ٥٥١ .
- محمد رشيد رضا : ٦٩٢ .
- محمد أبو زهرة : ٥٩ ، ١٠٧ .
- محمد بن زيد الواسطي : (٨٠) .
- محمد بن السائب الكلبي : ٥٣٣ .
- محمد بن سعد (ابن سعد) : (٣١٤) ، ٦٤٣ .
- محمد بن سعدوية : ٦٤٠ .
- محمد بن سلام : ٥٥٠ .
- محمد بن سليمان بن سعيد (الكافيجي) : (٢٢٢) ، ٢٦٣ ، ٣٣٥ .
- محمد بن سهل العسكري : (٦٣٩) .
- محمد شعباني : ٣٣٥ .
- محمد الشيباني : ٢٢٦ .
- محمد بن صالح بن هاني : ٤٧٤ .
- محمد الطاهر بن عاشور : (٣٤٧) ، ٣٤٨ ، ٣٨٣ ، ٤٠٣ ، ٥٣٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٩٦ ، ٥٩٧ .
- محمد بن الطيب الباقلي : ١٠ ، ١٤ ، ٥٩ ، ٦٠ ، ٧٢ ، (٧٥) ، ٨٣ ، ٩٧ ، ١١٤ ، ١٢٣ ، ١٣٥ ، ١٧٤ ، ١٧٦ ، ١٨١ ، ١٨٥ ، ١٨٦ ، ١٨٨ ، ١٨٩ ، ١٩٠ ، ١٩١ ، ١٩٢ ، ٢٠٧ ، ٥٥٧ ، ٥٥٨ ، ٥٦١ ، ٦١٣ ، ٦٣٦ ، ٦٤٢ ، ٦٤٣ ، ٦٥٤ ، ٦٤٦ ، ٦٥٢ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٦ ، ٦٥٧ ، ٦٦٧ .
- محمد عبد الباقي بن يوسف الزرقاني : (٣١٧) .

محمد بن عبد الرحمن بن علي الحنفسي الزمردى (ابن الصائغ) : (٤٣٨) ، ٥٧٥ ، ٥٧٦ ، ٥٧٨ ، ٥٧٩ ، ٥٨٠ ، ٥٨٢ ، ٥٨٤ ، ٥٨٥ ، ٥٨٦ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ ، ٥٩٣ ، ٥٩٤ ، ٥٩٧ .
 محمد بن عبد الرحمن بن عمر القزويني : (٤٥٦) ، ٤٥٧ .
 محمد بن عبد الرحمن بن محمد السخاوي : ٢١٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٢ ، (٢٦٠) ، ٢٦١ ، ٢٦٢ .
 محمد بن عبد الرحمن بن محمد (قنبل) : ٥٦٥ .
 محمد بن عبد الرحمن بن محيصن السهمي : (٥١٣) .
 محمد عبد العظيم الزرقاني : ٥٢ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٨٢ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ ، ٧٠٥ .
 محمد بن عبد الكريم الراضي : ٢٧٦ ، ٣٣٦ .
 محمد بن عبد الله بن الجنيد : (٦٤٠) .
 محمد عب الله دراز : (٩٠) ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٩٠ ، ٧٠٠ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٥ .
 محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك (ابن مالك) : ٤٥٤ ، (٤٩٦) .
 محمد بن عبد الله بن محمد (ابن أخته) : ٥٥٦ ، (٥٥٧) ، ٥٦٠ .
 محمد بن عبد الله بن محمد (الحاكم) : ٦٤ ، ٢٥٤ ، (٤٤٤) ، ٤٦٩ ، ٤٧٦ ، ٥٧ ، ٦٠٠ ، ٦٣٩ .
 محمد بن عبد الله (المهدي العباسي) : ٥١٣ .
 محمد بن عبد الله بن محمد (ابن العربي) : (٣١٥) .
 محمد بن عبد المنعم الجَوْحَرِي : ٢٦٠ .
 محمد عبده : ٣١٦ .
 محمد بن عبد الوهاب البصري : (أبو علي الجبائي) : ٧٠ ، (٧٨) ، ٨٠ .
 محمد بن علي بن الحسن (الحكيم الترمذي) : ٤٠٣ .
 محمد بن علي الداودي : (٢٢٣) ، ٢٢٦ ، ٢٢٧ ، ٢٦٠ ، ٤٣٩ .
 محمد بن علي الشوكاني : ٢٦٠ .
 محمد بن علي بن عبد الواحد الزمركاني : ٨٦ .
 محمد بن علي بن محمد الأنصاري : ٦٤٣ .
 محمد بن عمر بن الحسن الرازي (فخر الدين) : ١٤ ، (٨٦) ، ١١٠ ، ١١٢ ، ١٧٤ ، ١٧٥ ، ١٩٣ ، ١٩٤ ، ١٩٥ ، ١٩٦ ، ١٩٧ ، ١٩٩ ، ٢٠٠ ، ٢٠١ ، ٢٠٢ ، ٣٥٢ ، ٤٥١ ، ٥٢٢ ، ٥٣٣ ، ٥٥٣ ، ٥٦١ ، ٥٨٣ .
 محمد بن عمر بن سعيد الباهلي : (٨٢) .
 محمد بن عمر الواقدي : (٣١٤) .
 محمد بن عيسى بن سورة : ٥٧٦ ، ٦٥١ .
 محمد بن الفضل السدوسي : (٤٧٢) .
 محمد بن أبي القاسم بن باجوك : ٨٥ .
 محمد بن القاسم بن بشار (أبو بكر الأنباري) : ٥٣٧ ، ٥٦٣ ، (٥٦٧) ، ٥٦٩ ، ٥٧٢ .
 محمد بن كثير بن أبي عطاء : (٥٠٨) .
 محمد بن كعب القرظي : ٦٦ ، ٦٠٠ .
 محمد بن المنني بن غيبب الغنزي : (٤٧٢) .
 محمد بن محمد إبراهيم (ابن سراقه) : (٨٧) ، ٣٣٨ .
 محمد محمد أبو موسى : ١٨٠ ، ١٨٣ .
 محمد بن محمد بن أحمد (أبو حامد الغزالي) : ٣١٧ ، ٣١٨ ، ٥٢٦ .

محمد بن محمد بن الحسن (نصير الدين الطوسي) : (١١٢) .
 محمد بن محمد بن عمرو التنوخي : (٤٢٩) .
 محمد بن محمد بن محمد (ابن الجزري) : ٨٨ ، ١٧٤ ، ٣٦٢ .
 محمد بن محمد بن محمد بن عرفة (ابن عرفة) : (٥٣٩) .
 محمد بن محمد بن محمد (نجم الدين الغزي) : ٢٦٠ .
 محمد بن محمد بن مصطفى (أبو السعود العمادي) : (٥٩٥) ، ٥٩٧ ، ٦٦٠ ، ٦٦١ ، ٦٦٥ ، ٦٦٦ .
 محمد بن محمد بن النعمان (الشيخ المفيد) و (ابن المعلم) : (٨٣) .
 محمد بن محمود (ابن النجار) : ٥٠٣ .
 محمد بن مروان (السدي الصغير) : (٤٧٢) .
 محمد بن مطهر المهدي : ٨٨ .
 محمد بن النضر بن مساور المروري : (٦٤٠) .
 محمد بن هارون (المعتصم) : ٧٢ .
 محمد بن الهذيل (أبو الهذيل العلاف) : ٧٠ .
 محمد بن وهب الثقفي : ٦٣٩ .
 محمد بن يحيى بن حبان : (٣١٤) .
 محمد بن يحيى بن سراقه : ٨٧ .
 محمد بن يعقوب تركستاني : ٢٧٦ ، ٢٧٨ ، ٣٣٢ .
 محمد بن يوسف الصالحى : (٢٢٤) .
 محمد بن يوسف بن علي (أبو حيان الأندلسي) : (٣٤١) ، ٣٦٩ ، ٤٥٤ ، ٤٨٧ ، ٥٠٥ ، ٥٦٣ ، ٥٦٤ ، ٥٦٥ ، ٥٨٣ ، ٥٧٠ .
 محمد بن يونس الكندي : (٥٠٢) .
 محمود بن حمزة بن نصر الكيرماني (تاج القراء) : (٤٣٩) ، ٤٠٤ .
 محمود بن عبد الله الحسيني الألويسي : ١١١ ، (٣٠١) ، ٣٠٢ ، ٥٥٤ ، ٥٧١ ، ٥٧٢ ، ٥٩٧ ، ٦٠١ ، ٦٠٢ .
 محمود بن عمر الزعزعي : ٨٥ ، (٤٣٦) ، ٤٣٧ ، ٤٥٤ ، ٤٩٥ ، ٤٩٦ ، ٥٠٧ ، ٥٣٣ ، ٥٨٠ ، ٥٨١ .
 ابن مَحِيصَن = محمد بن عبد الرحمن بن مَحِيصَن .
 مخور : ٤٥٨ .
 المرتضى = الشريف المرتضى = علي بن الحسين بن موسى
 ابن مَرْدَوِيَه = أحمد بن موسى
 مَرَّةُ الْهَمْدَانِي : ٣٤٥ ، (٤٧٢)
 مسدّد بن مُسَدَّد ٣٤٥
 مسعود بن مالك الكوفي (أبو رزين الأسدي) : (٤٦٨) ، ٤٦٩ .
 مسلم بن الحجاج النيسابوري : ٤٥ ، ٤٦ ، ١١٤ ، ١١٥ ، (٣٠٨) ، ٣٠٩ ، ٣١٠ ، ٤٤٦ ، ٤٤٨ ، ٤٧٢ ، ٤٧٣ ، ٤٧٥ ، ٤٧٦ ، ٥١٣ ، ٥٥٠ ، ٥٦٧ ، ٥٦٨ ، ٦٤٦ ، ٦٤٧ .
 مسيلمة بن حبيب اليمامي (مسيلمة الكذاب) : ٣٠ ، (٣٨) ، ٩٨ ، ١١٨ ، ١٩٦ ، ٤٦٩ .
 مصطفى الشكعة : ٥٣٢

مصطفى صادق الرافعي: (٩٠) ، ١٠١ ، ١٠٢ ، ٣٢٨ ، ٥٨٨ ، ٥٨٩ ، ٦٧٠ ، ٦٧٢ ، ٦٧٣ ، ٦٧٤ ، ٦٧٥ ،
٦٧٦ ، ٦٧٧ ، ٦٧٨ ، ٦٧٩ ، ٦٨١ ، ٧٠١ ، ٧٠٣ ، ٧٠٤ .
مصطفى بن عبد الله (حاجي خليفة) : ٧٩ ، ٨١ ، ٨٥ ، ٨٧ (٣٢٦) ، ٣٢٧ .
مصطفى عمر الكندي : ٣٣٤ .
مصطفى مسلم : ٣١ ، ٨١ ، ٤٣٤ .
معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه : ١١٦ .
معاوية بن صالح الحضرمي : (٤٧٠) ، ٤٧١ ، ٥٠٤ .
أبو معاوية الضرير = محمد بن خازم .
المعتصم : محمد بن هارون .
ابن المعلم = الشيخ المفيد = محمد بن محمد بن النعمان .
مُعَمَّر بن راشد الأزدي : (٤٣٥) .
المفضل بن محمد الضبي = ٤٥٥ .
المقداد بن عمرو بن ثعلبة الكندي (المقداد بن الأسود رضي الله عنه) : (٤٦٩) .
المقريزي = أحمد بن علي .
مكحول الدمشقي = ٥٠٨ .
مكي بن أبي طالب القيسي : ٨٤ .
المناري = يحيى بن محمد بن محمد .
المنذر بن مالك العبدي : (٦٥١) .
المنهال بن عمرو الأسدي : (٤٣٥) .
المهدي = محمد بن عبد الله .
موريس بوكاي : ٧ .
موسى (النبي ، صلى الله عليه وسلم) : ٣٥ ، ٧٦ ، ١٤٥ ، ١٦٤ ، ١٧٩ ، ١٨٢ ، ٤٩٦ ، ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ ،
٦١٢ .

أبو موسى الأشعري (رضي الله عنه) = عبد الله بن قيس .
ميمونة بنت الحارث الهلالية : (٤٧٣) .

حرف النون

ناصر المطرودي : ٣٣٥ .
نافع (مولى ابن عمر) : (٤٤١) .
نافع بن عبد الرحمن (القاري) : ٥٤٧ .
النبال = أحمد بن محمد بن علقمة .
أبو النجا بن خلف = ٢٦٠ .
ابن النجار = محمد بن محمود .
ابن النديم = محمد بن إسحاق .
نسر : ٤٥٨ .
نصر بن عاصم الليثي : (٦٤٠) .
أبو نصر بن قتادة : ٥٠٢ .
النظام = إبراهيم بن سيار .

النعمان بن ثابت (أبو حنيفة) : ٦٨ ، ٣٦٢ ، ٥١٩ .
نعيم الحمصي : ٧٢ ، ٧٣ ، ٧٩ ، ٨٤ ، ٨٥ ، ٨٦ ، ٨٧ ، ٩٠ ، ١١٠ ، ٣٢٥ ، ٦٧٥ ، ٧٠٦ .
نوح (عليه الصلاة والسلام) : ٣٢٠ .
نوف بن فضالة الحميري البكالي : (٥٢٧) .

حرف الهاء

هاثيل : ٤٥٨ .
هارون (عليه الصلاة والسلام) : ٥٧٧ ، ٥٨٢ ، ٥٨٥ .
هاشم بن عبد المطلب : (٦٥) .
هبة الله بن الحسين بن منصور اللألكاني : ١٢٢ ، (٤٤٧) ، ٤٤٨ .
أبو الهذيل = محمد بن الهذيل ٧٠ .
أبو هريرة رضي الله عنه = عبد الرحمن بن صخر الدوسي .
هشام بن سعد المدني : (٤٧٢) .
ابن هشام = عبد الله بن يوسف بن عبد الله (النحوي) .
ابن هشام = عبد الملك بن هشام (صاحب السيرة) .
هشام بن عروة بن الزبير : (٥٤٩) ، ٥٥٠ ، ٥٥١ ، ٥٥٥ .
هشام بن عمرو القوطي : (٧١) ، ٧٢ ، ٩٧ .
هند : ٤٥٨ .
هند بنت أبي أمية بن المغيرة المخزومية (أم سلمة رضي الله عنها) : ٤٤٨ .
هند شلي : ٣٣٦ .
هولاكو : ١١٢ .
الهشيمي = علي بن أبي بكر .

حرف الواو

أبو واقد الليثي = الحارث بن مالك (رضي الله عنه) .
الواقدي = محمد بن عمر .
و : ٤٥٨ .
الوليد بن المغيرة : ٦٣ ، ١١٥ .
ولي الله المرجاني : ٥٢٤ .
وهب بن منبه : (٤٧٨) ، ٤٧٩ .

حرف الياء

يحيى (عليه الصلاة والسلام) : ٤٧٨ .
يحيى بن حمزة العلوي : ١٤ ، (٨٨) ، ٩٤ ، ١٠٢ ، ١١١ ، ١٣٥ ، ١٧٥ ، ٢٠٢ ، ٢٠٨ ، ٦٣٦ ، ٦٤٩ ، ٦٥٣ ، ٦٥٤ ، ٦٥٥ ، ٦٥٧ .
يحيى بن زكريا بن أبي زائدة : (٦٣٩) .
يحيى بن زياد القرأ : ٥٤٥ ، (٥٥١) ، ٥٧٨ ، ٥٨٢ ، ٥٨٩ ، ٥٩٠ ، ٥٩١ ، ٥٩٢ .
يحيى بن سعيد الأموي : (٥٦٩) .
يحيى بن سلام البصري : (٣٣٦) ، ٤٠٠ .
يحيى بن شرف النووي : ٤٥ ، ٤٦ ، ١١٤ ، ٢٢١ ، (٣١٠) ، ٣١١ ، ٣١٢ .

يحيى بن مبارك بن المغيرة (اليزيدي) : (٥١٣) .

يحيى بن محمد الأقصرائي : (٢٢٢) .

يحيى بن محمد بن محمد المناوي : ٢٢٣ .

يحيى بن معين : ٤٩٧ ، ٦٤٤ .

يزيد بن زريع : ٦٧ ، (٦٨) .

يزيد بن القعقاع (أبو جعفر) : ٤١١ .

يزيد بن منصور = ٥١٣ .

اليزيدي = يحيى بن مبارك .

يعقوب (صلى الله عليه وسلم) : (٣٨٥ ، ٦٠٠) .

يعقوب الحضرمي : ٣٦١

يعوق : ٤٥٨ .

أبو يعلى = أحمد بن علي بن المنثى .

يَلْبَغَا الخاصكي : ٢٦٤ .

يعقوث : ٤٥٨ .

يمن : ٤٥٨ .

يوسف بن أبي بكر الشكاكي : (٤٥٦) ، ٤٦٦ ، ٦٢١ .

يوسف بن تغري بردي الأتابكي : ٢٦٤ .

١٥ - فهرس مصادر ومراجع الإمام السيوطي في كتابه ((معترك الأقران في إعجاز القرآن))

من تمام الفائدة العلمية لدراسة هذا الكتاب ذكر المصادر والمراجع التي رجع إليها الإمام السيوطي في كتابه هذا ، والكلام عليها من حيث كونها مطبوعة ، أو مخطوطة ، أو مفقودة .
وهناك عدة ملاحظات أسوقها بين يدي هذا الفهرس هي :
أولاً : قد حكمت على الكتاب بأنه مفقود بعد بحثي عنه في مظانه من فهارس الكتب المحققة ، ومقدمات التحقيق لكتب مماثلة في العلم نفسه ، ومراجعة الكتب التي تتحدث عن مصادر ومراجع العلوم إلخ ...
ثانياً : إذا كان الكتاب مطبوعاً متداولاً معروفاً بين طلبة العلم اكتفيت بالإشارة إلى أنه مطبوع ، وإلا ذكرت المحقق - إن وُجد - ودار النشر ، وبلد النشر .
ثالثاً : قد يسمى السيوطي الكتاب بغير اسمه المشهور ، فأضعه في مكانه من ترتيب الفهرس باسمه المعروف ، وأشير في المتن أو الهامش إلى مسماه به الإمام السيوطي .
رابعاً : قد يخفى عليّ حال الكتاب من كونه مفقوداً أو مخطوطاً ، أو قد يخفى عليّ مادته أو مصنفه ، أو هما معاً ، فأبين هذا الخفاء .
خامساً : رتبت هذه المراجع على حروف الهجاء ، بعد حذف أداة التعريف (أل) .

حرف الهمزة

- ١ - ((الآداب النافعة بالألفاظ المختارة الجامعة)) : ابن شمس الخلافة = جعفر بن محمد (ت ٦٢٢ هـ) .
والكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ١٢٨ / ٢ - ١٢٩ .
وسماه السيوطي : ((الآداب)) اختصاراً .
- ٢ - ((الإبهاج في شرح المنهاج))^(١) : أي شرح ((منهاج الوصول إلى علم الأصول)) للقاضي ناصر الدين عبد الله بن عمر البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) .
و ((الإبهاج)) من تأليف الإمام تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) .
نشر دار الكتب العلمية . بيروت .
- ٣ - ((إحكام الرأي في أحكام الآي)) : شمس الدين ابن الصائغ = محمد بن عبد الرحمن بن علي (ت ٧٧٦ هـ) .
الكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .
- ٤ - ((إحياء علوم الدين)) : الإمام أبو حامد محمد بن محمد الغزالي : (ت ٥٠٥ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٥ - ((الأدب المفرد)) : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٦ - ((الأذكار)) : محي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٧ - ((ارتشاف الضرب^(٢) من لسان العرب)) : الإمام أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) .
مطبوع بتحقيق الدكتور مصطفى النحاس . مصر .

١ - سماه السيوطي : ((شرح المنهاج)) .

٢ - الضرب : نوع من العمل : انظر ((لسان العرب)) : ض ر ب .

وهذا الكتاب مختصر لكتاب ((التذيل والتكميل في شرح التسهيل)) ، وقد طبع جزء من هذا الكتاب بمطبعة السعادة بمصر سنة ١٣٢٨ هـ ، وانظر مقدمة تحقيق كتاب ((تقريب المقرَّب)) : ١٧ - ١٨ ، وكتاب ((شرح التسهيل)) للإمام محمد ابن عبد الله بن مالك (ت ٦٧٢ هـ) ، وهو في النحو ، ومنه نسخة مخطوطة في دار الكتب المصرية ، كما في مقدمة تحقيق كتاب ((شرح عمدة الحفاظ)) : ٥٤ - ٥٥ .

٨ - ((الإرشاد في القراءات العشر)) : أبو بكر محمد بن الحسين الواسطي القلاتي (ت ٥٢١ هـ) . مطبوع بتحقيق الأستاذ عمر الكبيسي . نشر المكتبة الفيصلية . مكة المكرمة .

٩ - ((أسرار التنزيل)) : شرف الدين هبة الله بن عبد الرحيم البارزي (ت ٧٣٨ هـ) . الكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .

١٠ - ((الأسماء والصفات)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) . نشرته دار الكتب العلمية . بيروت . وهو مطبوع بالقاهرة سنة ١٣٥٨ هـ ، طبع مكتبة السعادة .

١١ - ((الإعجاز)) : ابن سراج .

الكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .

١٢ - ((الإغريض في الفرق بين الكناية والتعريض)) : تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) . الكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .

١٣ - ((الأفراد)) : الإمام أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) .

الكتاب مصنف في التفسير والمعاني كما رجع محقق كتاب ((مجمل اللغة)) لابن فارس ، وقد ذكر أنه مفقود ، انظر ((مجمل اللغة)) : ٤٣ / ١ .

ولم أطلع على من ضبط اسم الكتاب .

١٤ - ((الاختصاص بين الحصر والاختصاص)) : تقي الدين علي بن عبد الكافي السبكي (ت ٧٥٦ هـ) . قد سماه السيوطي في ((الإتيان)) : ٨ / ١ : ((الاختصاص في الفرق بين الحصر والاختصاص)) .

والكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .

١٥ - ((أقصى القُرب في صناعة الأدب)) : زين الدين محمد بن محمد بن محمد التنوخي (ت ٧٤٨ هـ) . الكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ٣٥ / ٧ .

وسماه السيوطي : ((الأقصى القريب)) ، وجاء اسم الكتاب في ((كشف الظنون)) : ١ / ١٣٧ : ((أقصى القُرب في صناعة الأدب)) ، وكذا سماه صاحب ((الأعلام)) .

١٦ - ((آمالي الرافعي على الفاتحة)) : الإمام عبد الكريم بن محمد بن عبد الكريم الرافعي (ت ٦٢٣ هـ) . الكتاب مخطوط كما في ((الأعلام)) : ٤ / ٥٥ .

١٧ - ((الإمام في شرح الإمام)) : و ((الإمام)) في أحاديث الأحكام .

وكلا الكتابين لابن دقيق العيد = تقي الدين محمد بن علي بن وهب القشيري (ت ٧٠٢ هـ) .

والشرح لم يتم ، ومنه نسخة مخطوطة في المكتبة الأزهرية كما في ((الأعلام)) : ٦ / ٢٨٣ ، أما ((الإمام)) فهو مطبوع .

١٩ - ((الانتصار لنقل القرآن)) : الإمام محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) .

طبع مختصره باسم ((نكت الانتصار)) بتحقيق د . محمد سلام ، ونشرته منشأة المعارف بالإسكندرية ، مخطوط موجود بعضه ومفقود بعضه الآخر ، كما في مقدمة تحقيق كتاب ((نكت الانتصار)) .

٢٠ - ((الإيضاح شرح المفصل))^(١) : أبو عمرو ابن الحاجب = عثمان بن عمر ابن أبي بكر (ت ٦٤٦ هـ) . وكتاب ((المفصل)) للإمام محمود بن عمر الزرخشري (ت ٥٣٨ هـ) .

١ - سماه السيوطي : ((شرح المفصل)) .

واقصر السيوطي على تسميته : شرح المفصل ، وقد ذكر الأستاذ عبد السلام هارون أن اسمه ((الإيضاح)) ،
انظر ((خزنة الأدب)) : ١٣ / ١٠٦ ، و ((الأعلام)) : ٤ / ٢١١ ، وقد ذكر الأستاذ الزركلي أن منه نسخة
مخطوطة .

٢١ - ((إيضاح المعاني)) : الخطيب القزويني = محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) .
وهو شرح ((التلخيص)) : له أيضاً .

والكتاب مطبوع في طبعة السنة الحمديّة بالقاهرة ، بتحقيق لجنة من الأساتذة .

٢٢ - ((إيضاح الوقف والابتداء))^(١) : أبوبكر الأنباري = عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله (ت ٥٧٧ هـ) .
طبع بتحقيق د . محي الدين رمضان ، ونشره مجمع اللغة العربية بدمشق سنة ١٣٩١ .

حرف الباء

٢٣ - ((بديع القرآن)) : ابن أبي الإصبع المصري عبد العظيم بن عبد الواحد = (ت ٦٥٤ هـ) .
طُبع في مطبعة نهضة مصر سنة ١٩٥٧ هـ ، وحققه د . حفني شرف .

٢٤ - ((الرهان في أصول الفقه)) : إمام الحرمين = عبد الملك بن عبد الله بن يوسف الجويني (ت ٤٧٨ هـ) .
نشرته دار الأنصار بالقاهرة ، بتحقيق د . عبد العظيم الديب .

٢٥ - ((الرهان في إعجاز القرآن))^(٢) : ابن أبي الإصبع = عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤ هـ) .
منه نسخة مخطوطة في مكتبة ((تشترتي)) في المملكة المتحدة ، كما في ((الأعلام)) : ٤ / ٣٠ .

٢٦ - ((الرهان في مشكلات القرآن)) : عزيري بن عبد الملك (شَيْدَلَة) .
(ت ٤٩٤ هـ) .

الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

٢٧ - ((بستان العارفين)) : أبو الليث نصر بن محمد بن أحمد السمرقندي (ت ٣٧٣ هـ) .
مطبوع أكثر من مرة .

٢٨ - ((البسيط)) .

٢٩ - ((الوجيز)) : كلا الكتّابين لأبي الفتح أحمد بن علي بن بُرهان الشافعي (ت ٥١٨ هـ) .
والكتّابان في الفقه وأصوله كما في ((الأعلام)) : ١ / ١٧٣ ، ويبدو أنهما مفقودان ، والله أعلم .

حرف التاء

٣٠ - ((تاريخ دمشق)) : الإمام أبو القاسم ابن عساكر = علي بن الحسن بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) .
مطبوع أكثره باعتناء مجمع اللغة بدمشق ، وطبع مختصره بدار الفكر باختصار ابن منظور ، وطبع مختصر ابن بدران له ،
أيضاً .

وهناك طبعة جديدة كاملة في ثلاثين مجلداً ، نشر دار الباز ، سنة ١٤١٦ هـ .

٣١ - ((تاريخ الإمام أحمد)) : لعله : ((العلل ومعرفة الرجال)) كما ذكر محقق كتاب ((العلل)) ، نقلاً عن ابن
النديم في فهرسته . والكتاب مطبوع في الدار السلفية ببومباي بتحقيق د . وصي الله عباس : انظر ص : ١٥ - ١٦ من
الكتاب .

٣٢ - ((التاريخ الكبير)) : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) .
مطبوع مراراً .

٣٣ - ((التاريخ المظفر)) : إبراهيم بن عبد الله بن أبي الدم الحموي (ت ٦٤٢ هـ) .
للكتاب عدة نسخ مخطوطة تنظر في ((الأعلام)) : ١ / ٤٩ .

١- سماه الإمام السيوطي : ((الوقف والابتداء)) .

٢- سماه الإمام السيوطي : ((الإعجاز)) .

- وذكر الزركلي أنه قد تُرجم منه إلى الإيطالية الجزء الخاص بـ (صقلية) وطبع .
- ٣٤ - ((التبيان في آداب حملة القرآن))^(١) : الإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦هـ) .
طبع مراراً .
- ٣٥ - ((التبيان في أقسام القرآن)) : الإمام ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) .
مطبوع .
- ٣٦ - ((التبيان في المعاني والبيان)) : الحسين بن محمد الطيبي (ت ٧٤٣هـ) .
وللكتاب نسخة مخطوطة في مكتبة ((عارف حكمت)) في المدينة المنورة ، وفي مكتبة ((تشسترني)) في المملكة المتحدة ، كما في ((الأعلام)) : ٢ / ٢٥٦ .
- ٣٧ - ((تحرير التحرير)) : ابن أبي الإصبع المصري = عبد العظيم بن عبد الواحد (ت ٦٥٤هـ) .
طُبِعَ في القاهرة بتحقيق د . حفني شرف سنة ١٣٨٣هـ .
- ٣٨ - ((غفة الأقران فيما قرئ بالثلاثة من حروف القرآن)) : أحمد بن يوسف ابن مالك الرُّعَيْنِي (ت ٧٧٩هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٣٩ - ((تذكرة النحاة)) : الإمام أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف (ت ٧٤٥هـ) .
طبع . بتحقيق د . عفيف عبد الرحمن ، ونشرته دار الرسالة ببيروت .
- ٤٠ - تفسير ابن أبي حاتم = تفسير القرآن العظيم .
وابن أبي حاتم هو عبد الرحمن بن محمد بن إدريس (ت ٣٢٧هـ) .
حقق الموجود من الكتاب في جامعة أم القرى ، ويصدر تباعاً عن مكتبة النادر ، ومكتبة طيبة ، وكلاهما بالمدينة ، ومكتبة ابن القيم بالدمام .
- ٤١ - تفسير ابن حبيب النيسابوري = الحسن بن محمد بن حبيب النيسابوري (ت ٤٠٦هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٤٢ - تفسير ابن رشيقي . لم أجد ترجمة المصنف .
والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٤٠ - تفسير أبي محمد الجوزي = عبد الله بن يوسف بن محمد (ت ٤٣٨هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٤١ - تفسير أبي الليث = لعله أبو الليث نصر بن محمد السمرقندي (ت ٣٧٣هـ) .
وقد طُبِعَ الكتاب أحياناً ، ونشرته دار الكتب العلمية ببيروت في ثلاثة مجلدات .
- ٤٢ - تفسير الأصبهاني .
هناك عدة تفاسير لعدد من العلماء من أصفهان ، ولم أتبين مراد السيوطي هنا ، ويُنظر ((أعلام الدراسات القرآنية)) : ٧٣ - ٧٤ ، ٩٧ ، ١٣٥ - ١٣٦ ، ٢٥٦ - ٢٥٧ ، و ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ٢ / ١٣٠ - ١٣١ ، ٤٩ / ٣ .
- وقد جزم د . عمر الساريسي أن الأصبهاني هذا إنما هو الراغب = الحسين بن محمد ابن المفضل (ت ٥٠٢هـ) وقد استعان بكتابه هذا السيوطي في ((الإتيقان)) ، وانظر ((الراغب الأصفهاني وجهوده في اللغة والأدب)) : ٧٢ - ٧٣ .
- ٤٣ - تفسير سعيد بن منصور بن شعبة الخراساني (ت ٢٢٧هـ) .
وهو جزء من سننه كما في ((الإتيقان)) : ١ / ٧ ، والسنن مطبوعة .
- ٤٤ - تفسير عبد بن حميد بن نصر الكيشي (ت ٢٤٩هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

١- سماه السيوطي : آداب القرآن .

- ٤٥ - تفسير عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١ هـ) .
نشرته مكتبة الرشد بالرياض بتحقيق د . مصطفى مسلم ، وعنوان الكتاب ((تفسير القرآن)) .
- ٤٦ - تفسير علي بن إبراهيم العوفي = كذا ورد لقبه ، ولعله : علي بن إبراهيم الحنظلي . (ت ٤٣٠ هـ) ، وكتابه مخطوط كما في ((الأعلام)) : ٤ / ٢٥٠ .
- ٤٧ - تفسير علي بن سهل النيسابوري .
لم أعرف المصنف ، والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٤٨ - تفسير الكواشي = أحمد بن يوسف الشيباني الكواشي (ت ٦٨٠ هـ) .
منه عدة نسخ مخطوطة تنظر في ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ٢ / ٢٠٨ .
- ٤٩ - تفسير الكواشي الأوسط . ولعله ((التلخيص)) للكواشي .
انظر نسخه المخطوطة في ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : ٣ / ٤٤ .
- ٥٠ - ((تلخيص المفتاح)) : التلخيص للقرظي = محمد بن عبد الرحمن (ت ٧٣٩ هـ) ، والمفتاح للسكاكي = يوسف بن محمد (ت ٦٢٦ هـ) ، وكلا الكتابين مطبوع مراراً .
وسماه السيوطي اختصاراً : ((التلخيص)) .
- ٥١ - ((التمهيد لما في الموطأ من المعاني والأسانيد)) : الإمام يوسف بن عبد البر القرطبي (ت ٤٦٣ هـ) .
مطبوع في المغرب بعناية وزارة الأوقاف .
- ٥٢ - ((التنقيح))^(١) : الإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .
و ((الوسيط)) للإمام محمد بن محمد الغزالي (ت ٥٠٥ هـ) .
فهر و ((الوسيط)) مطبوع أما ((التنقيح)) مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .
- ٥٣ - ((تهذيب الأسماء واللغات)) : الإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .
مطبوع مراراً .
سماه السيوطي اختصاراً : تهذيب النووي .
- ٥٤ - ((التوبة)) : الإمام عبد الله بن أحمد بن عبيد ابن أبي الدنيا (ت ٢٨١ هـ) .
مطبوع مراراً .

حرف الجيم

- ٥٥ - ((جامع البيان عن تأويل آي القرآن)) : الإمام محمد بن جرير بن يزيد الطبري (ت ٣١٠ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٥٦ - ((الجامع الصحيح)) : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦ هـ) . مطبوع مراراً .
- ٥٧ - ((الجامع الصحيح)) : الإمام محمد بن عيسى بن سورة الرمزي (ت ٢٧٩ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٥٨ - ((الجامع الصحيح)) : الإمام مسلم بن الحجاج (ت ٢٦١ هـ) .
مطبوع مراراً .
- ٥٩ - ((الجامع الكبير في تفسير القرآن)) : أو ((الجامع في علوم القرآن))^(٢) : علي ابن عيسى الرماني (ت ٣٨٤ هـ) .
يوجد منه تفسير جزء عم مخطوطاً في ((التيمورية)) بدار الكتب المصرية ، كما في مقدمة تحقيق ((ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)) : ١٠ - ١١ .
- ٦٠ - ((جمال القراء وكمال الإقراء)) : الإمام علي بن محمد السخاوي (ت ٦٤٣ هـ) .

١- سماه السيوطي : ((شرح الوسيط)) .

٢- سماه السيوطي : ((تفسير الرماني)) .

مطبوع بتحقيق د. علي البواب ، ونشرته مكتبة التراث بمكة المكرمة .

حرف الحاء

٦١ - ((حلية الأولياء وطبقات الأصفياء)) : الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) . مطبوع .

٦٢ - ((حواشي الكشف)) : محمد بن محمد الرازي = القطب الرازي (ت ٧٦٦ هـ) .

وحاشيته هذه مخطوطة ، منها نسخة في مكتبة ((تيمستري)) في المملكة المتحدة ، كما في ((الأعلام)) : ٣٨ / ٧ .
وقد جمع السيوطي فقال : ((حواشي)) ، ولأدري مراده .

حرف الخاء

٦٣ - ((الخاطريات)) : عثمان بن جني . (ت : ٣٩٢ هـ) .

الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

٦٤ - ((الخواطر المسوانع في كشف أسرار القواطع))^(١) : ابن أبي الإصبع = عبد العظيم بن عبد الواحد
(ت ٦٥٤ هـ) .

حققه الأستاذ حفي شرف ، وطبع في القاهرة سنة ١٩٦٠ هـ .

حرف الدال

٦٥ - ((درة التنزيل وغرّة التأويل)) : محمد بن عبد الله الرازي = الخطيب الإسكافي (ت ٤٢٠ هـ) .

طبع مراراً ومنها طبعة نشرته دار الآفاق الجديدة . بيروت .

٦٦ - ((دلائل النبوة)) : الإمام أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصبهاني (ت ٤٣٠ هـ) .

نشرته دار الرعي بحلب ، ونشره مجلس دائرة المعارف العثمانية بحيدر آباد الدكن .

حرف الذال

٦٧ - ((ذا القيد)) : عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) .

ضبط اسم الكتاب الأستاذ عبد السلام هارون رحمه الله ، انظر ((خزنة الأدب)) : ١٣ / ٥٨ .

والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم ، ولا أعرف موضوعه .

حرف الواو

٦٨ - ((رؤوس المسائل ونخبة طلاب الفضائل)) : الإمام يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .

قال الإمام السخاوي :

((ذكر فيه من التفسير والحديث والفقه واللغة ، وضوابط ومسائل من العربية وغير ذلك ، تحليل في معناه)) : ((المنهل

العذب الروي في ترجمة قطب الأولياء النووي)) : ٦٣ .

والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

٦٩ - ((الرد على من خالف مصحف عثمان)) : الإمام أبو بكر عبد الرحمن بن محمد بن عبيد الله الأنباري

(ت ٥٧٧ هـ) .

الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

٧٠ - ((الرسالة)) : الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤ هـ) .

مطبوع بتحقيق الأستاذ أحمد شاكر .

٧١ - ((الرسالة النظامية)) : إمام الحرمين الجويني = عبد الملك بن عبد الله بن يوسف (ت ٤٧٨ هـ) .

وتسمى ((العقيدة النظامية)) أيضاً ، وقد طبعت بتحقيق محمد الكوثري سنة ١٣٦٧ ، كما ذكر عقق

((سير أعلام النبلاء)) : ١٨ / ٤٧٣ .

وطبعت - أيضاً - بتحقيق د. أحمد حجازي السقا .

١ - سماه الإمام السيوطي ((أسرار القواطع)) .

- ٧٢ - ((روض الأنفهام في أقسام الاستفهام)) : محمد بن عبد الرحمن بن الصائغ (ت ٧٧٦ هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٧٣ - ((الروض الأنف)) : أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله بن أحمد السُّهيلي (ت ٥٨١ هـ) ، وهو شروح
لسيرة ابن هشام .
مطبوع مراراً .
- ٧٤ - ((رياض النفوس)) : أبو بكر عبد الله بن محمد المالكي (ت ٤٧٤ هـ) .
نشرته دار الغرب سنة ١٤٠٣ هـ ، بتحقيق بشير البكوش ومحمد العروسي المطوي .
- حرف الزاي**
- ٧٥ - ((الزينة)) : أبو حاتم أحمد بن حمدان اللغوي (ت ٣٢٢ هـ) .
قال الزركلي عن هذا الكتاب :
((في فقه اللغة والمصطلحات ، يقع في خمسة أجزاء ، طبع منه جزآن)) :
((الأعلام)) : ١ / ١١٩ .
وذكر الزركلي أن المصنف من الإسماعيلية ، وأظهر القول بالإلحاد .
- ٧٦ - ((الزهد)) : الإمام عبد الله بن المبارك (ت ١٨١ هـ) .
مطبوع مراراً .
- حرف السين**
- ٧٧ - ((سر الفصاحة))^(١) : ابن سنان الخفاجي = عبد الله بن محمد بن سعيد (ت ٤٦٦ هـ) .
نشر الكتاب دار الكتب العلمية ، بيروت . سنة ١٤٠٢ هـ .
- ٧٨ - ((السنة)) : الإمام هبة الله بن الحسن اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) .
مطبوع بتحقيق د . أحمد حمدان ، وقد نشرته دار طيبة بالمدينة .
وقد رجّح المحقق أن اسم الكتاب : ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) انظر : ١ / ١٠٨ - ١٠٩ من الكتاب
المحقق .
- ٧٩ - ((السنن الكبرى)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
مطبوع أكثر من طبعة .
- ٨٠ - سنن سعيد بن منصور الخراساني (ت ٢٢٧ هـ) .
نشرته الدار السلفية باهند سنة ١٤٠٣ هـ ، بتحقيق الشيخ جبيب الرحمن الأعظمي .
- ٨١ - سنن الإمام أحمد بن شعيب بن علي النسائي (ت ٣٠٣ هـ) .
السنن الكبرى يطبع في الهند ويخرج تبعاً ، واحتجى قد طبع مراراً .
- حرف الشين**
- ٨٢ - ((الشافي)) : إسماعيل بن إبراهيم القرّاب (ت ٤١٤ هـ) .
والكتاب في علم القراءات كما في ((معجم المؤلفين)) : ٢ / ٢٥٦ .
والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ٨٣ - ((الشامل)) : لعله ((الشامل في علم الحرف)) للسكاكي = يوسف بن محمد (ت ٦٢٦ هـ) ، كما يفهم من
سياق النص عند السيوطي في ((معترك الأقران)) : ٢ / ٥٥٦ .
والكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .
- ٨٤ - ((شرح آيات الصفات)) : محمد بن عبد المؤمن = ابن اللبان الإسعدي (ت ٧٤٩ هـ) .

١ - سماه الإمام السيوطي : ((الفصاحة)) .

- وقد ذكر السيوطي اسم الكتاب في ((الإتقان)) : ١ / ٨ ، وترك ذكر الاسم في ((المعترك)) .
ولعل هذا الكتاب هو ((رد معاني الآيات المتشابهات إلى معاني الآيات المحكمات)) وهو مطبوع ، أو
((إزالة الشبهات عن الآيات والأحاديث المتشابهات)) وهو مخطوط ، كما في ((الأعلام)) : ٥ / ٣٢٧ .
- ٨٥ - ((شرح الأسماء الحسنى)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
لم أطلع على حال الكتاب ، والله أعلم .
- ٨٦ - ((شرح البخاري)) : ابن بطال = علي بن خلف بن عبد الملك (ت ٤٤٩ هـ) .
للكتاب عدة نسخ مخطوطة أفاض في ذكرها الزركلي في ((الأعلام)) : ٤ / ٢٨٥ .
- ٨٧ - ((شرح بديعة ابن جابر)) = محمد بن أحمد بن علي (ت ٧٨٠ هـ) .
وقد شرح هذه البديعة أثنان :
- مصنفها وسماها : ((الحلّة السّريّة في مدح خير الورى)) - صلى الله عليه وسلم - وهي مطبوعة كما في ((الأعلام)) :
٥ / ٣٢٨ .
- وشرحها أبو جعفر الرّعينيّ الغرناطيّ كما في ((عزّة الأدب)) : ١٣ / ٢٧ .
- ٨٨ - ((شرح البيروني)) : لعله يريد شرح عبد العزيز البخاري لأصول فخر الإسلام البيرونيّ المسمّى ((كشف
الأسرار)) ، وهو مطبوع مشهور .
- ٨٩ - ((شرح التبيان)) للطّبي ، وانظر ((التبيان في المعاني والبيان)) في هذا الفهرس .
أما هذا الكتاب فلا أعرف أهو للطّبي أم لغيره ، ولأعرف أهو مخطوط أم مفقود ، والله أعلم .
- ٩٠ - ((شرح السنّة)) : الإمام الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) .
مطبوع بتحقيق الأستاذ زهير الشاويش والأستاذ شعيب الأرنؤوط ، نشر المكتب الإسلامي .
- ٩١ - ((شرح الكافية)) : و((الكافية)) وشرحها للإمام محمد بن عبد الله بن مالك (ت ٦٢٧ هـ) ، والنشر
مطبوع كما ذكر د . عبد المنعم هريدي في مقدمة تحقيق كتاب ((شرح عمدة الحفاظ وعدة اللافت)) لابن مالك
ص : ٦٠ .
- ٩٢ - ((الشرح الكبير)) : علي بن مؤمن بن محمد ابن عصفور (ت ٦٦٩) . وهو شرح لأبيات ((الإيضاح)) -
كما ذكر السيوطي - ولم أتين موضوع كتاب ((الإيضاح)) . وانظر مقدمة تحقيق كتاب ((المتع في التصريف))
لابن عصفور : ١ / ٥ - ٦ ، بتحقيق د . فخر الدين قباوة ونشر دار الآفاق الجديدة . بيروت .
- ٩٣ - ((شرح صحيح مسلم)) : الإمام يحيى بن شرف النوري (ت ٦٧٦) .
مطبوع مراراً .
- ٩٤ - ((شعب الإيمان)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
مطبوع أكثر من طبعة .

حرف الصاد

- ٩٥ - ((الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها))^(١) : الإمام أحمد بن فارس (ت ٣٩٥ هـ) .
طبع مرتين ، كما في مقدمة تحقيق ((جمل اللغة)) لابن فارس : ١ / ٥١ .
- ٩٦ - صحيح أبي عوانة = يعقوب بن إسحاق الإسفرائينيّ (ت ٣١٦ هـ) .
نشرته دار المعارف العثمانية باندن سنة ١٣٢٦ ، كما في فهرسة مراجع تحقيق كتاب ((الكواكب النيرات في معرفة من
اختلط من الرواة الثقات)) : لعبد القويم عبد رب النبي : ص ٥٤٧ .

حرف العين

١ - سماه السيوطي ((فقه اللغة)) .

- ٩٧ - ((عجائب المخلوقات)) : زكريا بن محمد القزويني (ت ٦٨٢ هـ) .
 مطبوع ومترجم إلى عدة لغات ، كما في ((الأعلام)) : ٤٦ / ٣ .
- ٩٨ - ((عروس الأفراح)) : الإمام بهاء الدين أحمد بن علي السبكي (ت ٧٦٣ هـ) .
 الكتاب شرحٌ لتلخيص ((المفتاح)) ، وهو مطبوع كما في ((الأعلام)) : ١٧٦ / ١ .
- ٩٩ - ((عمدة الحكام فيما لا ينفذ من الأحكام))^(١) : الشيخ إبراهيم بن علي الطرسوسي (ت ٧٥٨ هـ) .
 والكتاب مفقود ، والله أعلم .
- ١٠٠ - ((العواصم من القواصم في تحقيق مواقف الصحابة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم))^(٢) : الإمام أبو بكر ابن العربي = محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣ هـ) .
 مطبوع بتحقيق الأستاذ عبد الدين الخطيب ، ونشرته دار الكتب السلفية .
- حرف العين**
- ١٠١ - ((الغرائب والعجائب)) = ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) : تاج القراء عمود بن حمزة الكرمانلي .
 (توفي في حدود الخمسمائة هـ)
 حققه د . شمران العجلي ، ونشرته دار القبة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت سنة ١٤٠٨ هـ .
- حرف الفاء**
- ١٠٢ - ((فتاوى قاضيخان)) : الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزحندي (ت ٢٩٥ هـ) .
 مطبوع بهامش الفتاوى الهندية .
- ١٠٣ - ((فتح الباري بشرح صحيح البخاري)) : ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .
 مطبوع أكثر من طبعة .
- ١٠٤ - ((الفروق)) : أحمد بن إدريس القرافي (ت ٦٨٤ هـ) .
 مطبوع أكثر من طبعة .
- ١٠٥ - ((الفريد)) أحمد بن محمد بن يعقوب ، أبو علي ابن مسكويه (ت ٤٢١ هـ) .
 لأعرف موضوع الكتاب ، وهو مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .
- ١٠٦ - ((فضائل القرآن)) : ابن أبي شيبة ، وهل هو محمد بن عثمان (ت ٢٩٧ هـ) أو أبو بكر (ت ٢٣٥ هـ) ؟ وانظر مقدمة تحقيق ((فضائل القرآن)) للنسائي ، تحقيق الأستاذ فاروق حمادة : ١٦ - ١٧ .
- ١٠٧ - ((فضائل القرآن)) : محمد بن أيوب بن الضريس العجلي (ت ٢٩٤ هـ) .
 حققه غزوة بدير ، ونشرته دار الفكر بدمشق سنة ١٤٠٨ هـ .
- ١٠٨ - ((فضائل القرآن)) : أبو ذر عبد بن أحمد الهروي (ت ٤٣٤ هـ) .
 الكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم .
- ١٠٩ - ((فضائل القرآن)) : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) .
 نشرته دار الكتب العلمية بتحقيق وهي غارحي الألباني .
- ١١٠ - ((فقه اللغة)) : عبد الملك بن محمد النعالي (ت ٤٢٩ هـ) .
 الكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ١٦٣ / ٤ .
- ١١١ - ((الفلك الدائر على النمل السائر)) : عبد الحميد بن هبة الله = ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ) .
 الكتاب مطبوع بذييل كتاب ((النمل السائر)) .
 وكتاب ((النمل السائر)) من تأليف ابن الأثير .

١- سماه الإمام السيوطي ((العمدة)) .

٢- سماه الإمام السيوطي : ((القواصم)) .

١١٢ - ((فنون الأفتان في عيون علوم القرآن)) : الإمام أبو الفرج ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧هـ) .

حققه د . حسن ضياء الدين عتر ، ونشرته دار البشائر الإسلامية ببيروت سنة ١٤٠٨ .

١١٣ - ((الفنون)) : لعله لابن عقيل فإن السيوطي لم يبينه ، وكتاب ((الفنون)) مطبوع بعضه ومفقود أكثره ، وقد طبع منه جزئين مكتبة لينة للنشر والتوزيع . دمنهور .

١١٤ - ((فوائد الحربي)) : لم أقع على المصنف ولا المصنف .

حرف القاف

١١٥ - ((قانون التأويل)) = رحلة ابن العربي : أبو بكر محمد بن عبد الله = ابن العربي (ت ٥٤٣هـ) .

وقد سماه السيوطي بالاسمين معاً في موضعين مما يروهم أنهما كتابان ، والكتاب اشتهر بهذين الاسمين ، وانظر مقدمة تحقيق ((قانون التأويل)) : ٣٨٧ - ٣٨٨ .

وقد نشر الكتاب دار القبلة بمجدة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت سنة ١٤٠٦هـ ، بتحقيق محمد السليمان .

حرف الكاف

١١٦ - ((الكامل)) : أبو العباس محمد بن يزيد المتبرّد (ت ٢٨٥هـ) .

طبع مراراً .

١١٧ - ((المعرب)) : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .

١١٨ - ((الكشاف)) : محمود بن عمر الزغشري (ت ٥٣٨هـ) .

طبع مراراً بخواش متنوعة .

١١٩ - ((الكشاف القديم)) : محمود بن عمر الزغشري .

كذا سماه السيوطي ، ولم يبين لي مراده ؛ وذلك لأن الزغشري صنف تفسيراً كبيراً فسر فيه سورة الفاتحة والبقرة ، ثم بدا له أن يختصر التفسير فصنف الكشاف ، لكن السيوطي ذكر الكشاف القديم في كتابه في مواضع متأخرة عن سورة البقرة ، فالله أعلم .

١٢٠ - ((كنز العراة)) : عماد الدين إسماعيل بن أحمد بن سعيد = ابن الأثير (ت ٦٩٩هـ) .

والكتاب مفقود - فيما أعلم - والله أعلم ، لكن هناك نسخة مخطوطة من مختصره : ((جوهر الكنز)) الذي اختصره ابنه أحمد ، كما في ((الأعلام)) : ٩٧ / ١ .

١٢١ - ((الكتاب المصنف في الحديث والآثار)) : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) .

طبع سنة ١٤٠٩هـ بتقديم وضبط كمال الحوت ، ونشرته مكتبة العلوم والحكم . المدينة المنورة .

حرف اللام

١٢٢ - ((اللغات التي نزل بها القرآن)) : أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤هـ) .

وقد ذكر السيوطي الاسم هكذا في ((الإتقان)) : ١ / ٧ و ١ / ١٩ من الطبعة التي حققها محمد أبو الفضل إبراهيم ، بينما ذكره في ((المعترك)) باسم : ((لغات القرآن)) .

وقد طبع كتاب مشابه له ، ويُظن أنه هو ، طبع في مصر في مطبعة محمد بن أبي زيد سنة ١٣١٠هـ ، ضمن كتاب للديري ، وانظر ((أعلام الدراسات القرآنية)) : للدكتور مصطفى الجويني ص : ٤٤ .

١٢٣ - ((ليس في كلام العرب)) : الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) .

حققه أحمد عبد الغفور عطار ، وطبع في مكة سنة ١٣٩٩هـ .

حرف الميم

١٢٤ - ((المبتدأ والبعث والمغازي)) : محمد بن إسحاق بن يسار (ت ١٥١هـ) .

- طبع بعضه في المغرب بتحقيق محمد حميد الله ، وبعضه الآخر مفقود ، والله أعلم .
- ١٢٥ - ((المجموع شرح المذهب))^(١) : محيي الدين يحيى بن شرف النووي (ت ٦٧٦ هـ) .
مطبوع متداول مشهور . وقد طبع مؤخراً في طبعة أنيقة ، ونشرته دار الإرشاد بجدة .
- ١٢٦ - ((الختسب في تبيين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)) : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) .
مطبوع بتحقيق مجموعة من الأساتذة ، ونشرته دار سزكين للطباعة والنشر بتركيا سنة ١٤٠٦ هـ .
- ١٢٧ - ((محصل أفكار المتقدمين والمتأخرين من العلماء والحكماء والتكلميين)) : فخر الدين الرازي = محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) . ويسميه السيوطي ((المحصل)) اختصاراً .
والكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ٦ / ٣١٣ .
- ١٢٨ - ((المحصول)) : فخر الدين الرازي = محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) .
نشرته جامعة الإمام سنة ١٣٩٩ هـ بتحقيق د . طه العلواني .
- ١٢٩ - ((المختار من الطيوريات)) : الإمام أحمد بن محمد بن سلفه الأصبهاني السلفي (ت ٥٧٦ هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٣٠ - ((المرشد الوجيز في علوم تتعلق بالكتاب العزيز)) : الإمام أبو شامة المقدسي = عبد الرحمن بن إسماعيل (ت ٦٦٥ هـ) .
تحقيق طيار آلتي قولاج ، وطبع في دار صادر ، بيروت .
- ١٣١ - ((مسائل نافع بن الأزرق)) .
مطبوع ضمن عدة كتب ، وقد حققها الدكتورة بنت الشاطيء .
- ١٣٢ - ((المستدرك على الصحيحين)) : أبو عبد الله محمد بن الله الحاكم (ت ٤٠٥ هـ) .
مطبوع أكثر من طبعة .
- ١٣٣ - ((مسند أبي يعلى الموصلي)) : الحافظ أحمد بن علي بن المنثي الموصلي (ت ٣٠٧ هـ) .
حقق ومطبوع أكثر من طبعة .
- ١٣٤ - ((مسند أحمد)) :
مطبوع .
- ١٣٥ - ((مسند إسحاق بن راهويه)) : إسحاق بن إبراهيم بن مخلد = ابن راهويه (ت ٢٣٨ هـ) .
منه نسخة مخطوطة في مكتبة الحرم المكي ، وأخرى في ((الجامعة الإسلامية)) كما في فهرس مراجع تحقيق ((النكت على ابن الصلاح)) بتحقيق د . ربيع المدخلي : ٢ / ٨٩٨ .
- ١٣٦ - ((مسند البزار)) : أبو بكر أحمد بن عمرو بن عبد الخالق البزار البصري (ت ٢٩٢ هـ) .
يسمى ((البحر الزاخر)) ، وحققه د . محفوظ الرحمن زين الله ، ويخرج تبعاً عن مكتبة العلوم والحكم بالمدينة ، ومؤسسة علوم القرآن بيروت .
- ١٣٧ - ((مسند الحارث بن محمد بن أبي أسامة)) : (ت ٢٨٠ هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمته - والله أعلم .
- ١٣٨ - ((مسند الدرامي)) = عثمان بن سعيد (ت ٢٨٢ هـ) .
ويسمى بـ ((سنن الدارمي)) أيضاً ، انظر ((تدريب الراوي)) : ١ / ١٣٩ - ١٤٠ .
- ١٣٩ - ((المصاحف)) : عبد الله بن أبي داود السجستاني (ت ٣١٦ هـ) .
مطبوع بتحقيق أثر جفري ، ونشرته مكتبة المنثي ببغداد مصوراً عن طبعة المطبعة الرحمانية بمصر سنة ١٣٥٥ هـ .
- ١٤٠ - ((المصاحف)) : محمد بن عبد الله بن أئنه (ت ٣٦٠ هـ) .

١ - سماه السيوطي : ((شرح المذهب)) .

- الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٤١ - ((المصباح في المعاني والبيان)) : محمد بن محمد بن عبد الله بن مالك = ابن ناظم الألفية (ت ٦٨٦هـ) .
والكتاب مطبوع كما في ((الأعلام)) : ٣١ / ٧ .
- ١٤٢ - ((المعجم الأوسط)) : الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) .
بحققة د . محمود الطحان ، ويصدر تبعاً عن مكتبة المعارف بالرياض .
- ١٤٣ - ((المعجم الكبير)) : الإمام سليمان بن أحمد بن أيوب الطبراني (ت ٣٦٠هـ) .
حققه الأستاذ حمدي السلفي ، وطبع في العراق وصُور في مصر .
- ١٤٤ - ((معيار النظائر في علوم الأشعار)) : عبد الوهاب بن إبراهيم الزنجاني (ت ٦٥٥هـ) .
الكتاب مخطوط كما في ((الأعلام)) : ١٧٩ / ٤ .
- ١٤٥ - ((مغني اللبيب عن كتب الأعراب)) : عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ) .
الكتاب مطبوع مراراً .
- ١٤٦ - ((المغيث)) : لم أتبن مصنفه ولا مادة الكتاب .
- ١٤٧ - ((مفاتيح الغيب)) : فخر الدين الرازي = محمود بن عمر (ت ٦٠٦هـ) .
مطبوع أكثر من طبعة .
- ١٤٨ - ((مفتاح العلوم)) : السكّاكي = يوسف بن أبي بكر محمد بن علي (ت ٦٢٦هـ) .
نشر الكتاب دار الكتب العلمية بتحقيق الأستاذ نعيم زرزور .
مطبوع مراراً .
- ١٤٩ - ((مفردات ألفاظ القرآن)) : الراغب الأصبهاني = الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٢هـ) طبع مراراً .
- ١٥٠ - ((المقتضب في فوائد تكرير القصص)) : بدر الدين ابن جماعة = محمد بن إبراهيم بن سعد الله .
لا أعرف حال الكتاب مخطوط هو أم مفقود .
- ١٥١ - ((المقدمة في سر الألفاظ المقدّمة)) : شمس الدين ابن الصائغ = محمد بن عبد الرحمن بن علي (ت ٧٧٦هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٥٢ - ((مناقب الشافعي)) : إسماعيل بن أحمد الهروي (ت ٤١٤هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٥٣ - ((منع الموانع)) : تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) .
هذا الكتاب مجموعة من الأسئلة على كتاب ((جمع الجوامع)) لتاج الدين أيضاً ، ولا أعلم هل ((منع الموانع)) مخطوط أو مفقود ، والله أعلم .
- ١٥٤ - ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء)) : حازم القرطاجني (ت ٦٨٤هـ) .
بعضه مفقود ، وطبع بعضه الآخر بتحقيق محمد الحبيب بن الخوخة ، ونشرته دار الغرب سنة ١٩٦٦م .
- حرف النون**
- ١٥٥ - ((الناسخ والمنسوخ)) : أحمد بن جعفر بن محمد البغدادي (ابن المناديه) : (ت ٣٣٦هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٥٦ - ((الناسخ والمنسوخ)) : الحافظ أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني (ت ٢٧٥هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٥٧ - ((النشر في القراءات العشر)) : شمس الدين محمد بن محمد الجزري (ت ٨٣٣هـ) .
مطبوع .

- ١٥٨ - ((نظم القرآن)) : الجرجاني . لم أقف على ترجمة المصنف .
والكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٥٩ - ((النفيس)) : الإمام أبو الفرج ابن الجوزي = عبد الرحمن بن علي بن محمد (ت ٥٩٧ هـ) .
لأدري أمفقود هو أم مخطوط ، والله أعلم .
- ١٦٠ - ((النكت في إعجاز القرآن))^(١) : علي بن عيسى الرماني .
مطبوع ضمن ((ثلاث رسائل في إعجاز القرآن)) : طبع دار المعارف بمصر .
- ١٦١ - ((نهاية الإنجاز في دراية الإعجاز)) : فخر الدين الرازي = محمد بن عمر .
مطبوع بتحقيق د . أحمد حجازي الحق ، ونشره المكتب الثقافي للنشر والتوزيع . القاهرة : سنة ١٤٠٩ هـ .
- ١٦٢ - ((نهاية التأمل في كشف أسرار التنزيل))^(٢) : عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني (ت ٦٥١ هـ) .
الكتاب مفقود - فيما علمت - والله أعلم .
- ١٦٣ - ((النوادر)) أبو زيد ، ولعله سعيد بن أوس الأنصاري ، كما في ((كشف الظنون)) : ٢ / ١٩٨٠ .
والكتاب مطبوع بتحقيق سعيد الخوري ونشر في بيروت سنة ١٣٨٧ هـ ، كما ذكر الأستاذ عبد السلام هارون في ((خزنة الأدب)) : ١٣ / ٦٥٤ .

حرف الواو

- ١٦٤ - ((الواحد والجمع)) : علي بن سليمان الأخفش (ت ٣١٥ هـ) .
قال د . حسين نصار :
((وألف ... أبو الحسن علي بن سليمان الأخفش الأصغر كتاب التنبيه والجمع ، ولعله كتاب ((الواحد والجمع في القرآن)) الذي نُسبه السيوطي إلى أحد الأخافش)) : ((المعجم العربي)) : ١ / ١٤٠ .
ولا أعلم عن حال الكتاب شيئاً .
- ١٦٥ - ((الوجوه والنظائر في القرآن)) : مقاتل بن سليمان (ت ١٥٠ هـ) .
منه نسخة مخطوطة في مكتبة ((بايزيد)) في تركيا ، كما في كتاب :
((أعلام الدراسات القرآنية)) : ٢٤ .

حرف الياء

- ١٦٦ - ((ينبوع الحياة)) : محمد بن عبد الله بن محمد بن ظفر الصقلي المكي (ت ٥٦٥ هـ) .
وسماه السيوطي : ((ينبوع)) .
والكتاب تفسير للقرآن يقع في اثني عشر مجلداً ، وهو مخطوط كما في ((الأعلام)) : ٦ / ٢٣٠ .
- ١٦٧ - ((البواقيت)) : أبو عمر الزاهد = محمد بن عبد الواحد بن أبي هاشم (ت ٣٤٥ هـ) .
ولعله كتاب ((الباقرة)) ، وهي رسالة مخطوطة في غريب القرآن ، كما في ((الأعلام)) : ٦ / ٢٥٤ .

١ - سماه الإمام السيوطي ((إعجاز القرآن)) .

٢ - سماه الإمام السيوطي ((أسرار التنزيل)) .

١٦ - فهرس المصادر والمراجع^(١)

* القرآن الكريم^(٢)

حرف الهززة

- ١ - ((إتحاف فضلاء البشر بالقراءات الأربع عشر)) : الشيخ أحمد بن محمد البنا (ت ١١١٧ هـ) .
حققه الدكتور شعبان محمد إسماعيل . نشر عالم الكتب ببيروت ومكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٧ هـ (مجلدان) .
 - ٢ - ((الإتقان في علوم القرآن)) : الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
نشر دار الندوة الجديدة . بيروت (جزءان في مجلد) .
 - ٣ - ((الإحكام في أصول الأحكام)) : الإمام علي بن محمد الأمدي (ت ٦٣١ هـ) .
تحقيق د . سيد الجميلي . نشر دار الكتاب العربي . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٦ هـ (أربعة أجزاء في مجلدين) .
 - ٤ - ((أحكام القرآن)) : الإمام ابن العربي = محمد بن عبد الله (ت ٥٤٣ هـ) .
تحقيق محمد عبد القادر عطا . نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى (أربعة مجلدات) .
 - ٥ - ((الإرشاد إلى قواطع الأدلة في أصول الاعتقاد)) : إمام الحرمين أبو المعالي عبد الملك الجويني (ت ٤٧٨ هـ) .
تحقيق أسعد تميم . نشر مؤسسة الكتب الثقافية . بيروت . سنة ١٤٠٥ هـ (مجلد) .
 - ٦ - ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم)) القاضي أبو السعود العمادي (ت ٩٨٢ هـ) .
نشر دار إحياء التراث العربي . بيروت (تسعة أجزاء في أربعة مجلدات) .
 - ٧ - ((أسرار ترتيب القرآن)) : الإمام جلال الدين السيوطي .
دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا . نشر دار الاعتصام . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٨ هـ (جزء) .
 - ٨ - ((الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز)) : الإمام عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام المسلمي الشافعي (ت ٦٦٠ هـ) .
حققه وقدم له الدكتور محمد مصطفى بن الحاج . نشر كلية الدعوة الإسلامية ، ولجنة المحافظة على التراث الإسلامي . طرابلس . ليبيا . الطبعة الأولى سنة ١٤٠١ هـ (جزء) .
 - ٩ - ((الإصابة في تمييز الصحابة)) : الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .
نشر دار الكتاب العربي . بيروت (أربعة مجلدات) .
 - ١٠ - ((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
قدم له وخرج أحاديثه وعلق حواشيه محمد عصام الكاتب .
نشر دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠١ هـ (جزء) .
 - ١١ - ((الإعجاز البلاغي : دراسة تحليلية لآراء أهل العلم)) . د . محمد محمد أبو موسى .
نشر مكتبة وهبه . مصر . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ .
 - ١٢ - ((الإعجاز في دراسات السابقين)) : الأستاذ عبد الكريم الخطيب .
نشر دار المعرفة . بيروت . سنة ١٣٩٥ هـ (جزء) .
 - ١٣ - ((إعجاز القرآن)) : الإمام أبو بكر محمد بن الطيب الباقلائي (ت ٤٠٣ هـ) .
تحقيق السيد أحمد صقر . نشر دار المعارف مصر . الطبعة الثالثة (جزء) .
-
- ١- قد رتب هذا الفهرس على حسب الحروف الهجائية بعد حذف أداة التعريف (أل) .
 - ٢- قد اتبعت في عدّ الآي عدّ الكوفيين على حَسَب رواية حفص عن عاصم الكوفي .

- ١٤ - ((إعجاز القرآن)) : القاضي عبد الجبار الأسدي (ت ٤١٥ هـ) .
وهو الجزء السادس عشر من كتاب ((المغني في أبواب التوحيد والعدل)) .
حققه أمين الخولي . نشر الشركة العربية للطباعة والنشر . القاهرة سنة ١٣٨٠ هـ (جزء) .
- ١٥ - ((إعجاز القرآن)) الأستاذ عبد الكريم الخطيب .
نشر دار الفكر العربي القاهرة . الطبعة الأولى سنة ١٩٦٤ م (مجلدان) .
- ١٦ - ((إعجاز القرآن وأثره في تطور النقد الأدبي)) : الأستاذ علي مهدي زيتون .
نشر دار المشرق بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٩٩٢ م (جزء) .
- ١٧ - ((إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة)) : د . منير سلطان .
نشر منشأة المعارف بالإسكندرية (جزء) .
- ١٨ - ((الإعجاز القرآني : وجوه وأساره)) : الدكتور عبد الغني محمد سعد بركة .
نشر مكتبة وهبة . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩ هـ (جزء) .
- ١٩ - ((إعجاز القرآن والبلاغة النبوية)) : الأستاذ مصطفى صادق الرافعي (ت ١٣٥٦ هـ) .
نشر دار الكتاب العربي . بيروت . سنة ١٤١٠ هـ (جزء) .
- ٢٠ - ((الأعلام)) : الأستاذ خير الدين الزركلي .
نشر دار العلم للملايين . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٩٨٠ م (ثمانية مجلدات) .
- ٢١ - ((أعلام الدراسات القرآنية في خمسة عشر قرناً)) : الدكتور مصطفى الصاوي الجويني .
نشر منشأة المعارف . الإسكندرية . سنة ١٩٨٢ م (جزء) .
- ٢٢ - ((أعلام النبوة)) : الإمام أبو الحسن علي بن محمد الماوردي (ت ٤٥٠ هـ) .
قدم له وشرحه وعلق عليه محمد شريف سكر . نشر دار إحياء العلوم .
بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ (جزء) .
- ٢٣ - ((الإكليل في استنباط التنزيل)) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
تحقيق سيف الدين عبد القادر الكاتب . نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠١ هـ (جزء) .
- ٢٤ - ((ألفاظ الفارسية المعربة)) : تأليف أدنى شير .
نشر دار العرب . القاهرة . الطبعة الثانية ١٩٧٧ م (جزء) .
- ٢٥ - ((الانتصار والرد على ابن الراوندي الملقب ما قصد به الكذب على المسلمين والطعن عليهم)) : عبد الرحيم بن محمد بن عثمان الخياط المعتزلي (توفي نحو ٣٠٠ هـ) .
طبع المطبعة الكاثوليكية . بيروت . سنة ١٩٥٧ م (جزء) .

حرف الباء

- ٢٦ - ((الباقلائي وكتابه إعجاز القرآن)) : الدكتور عبد الرؤوف مخلوف .
نشر دار مكتبة الحياة . بيروت . سنة ١٩٧٨ م (جزء) .
- ٢٧ - ((البحر المحيط)) : الإمام أبو حيان الأندلسي = محمد بن يوسف (ت ٧٤٥ هـ) .
نشر دار الفكر . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٣ هـ (ثمانية مجلدات) .
- ٢٨ - ((بدائع الزهور في وقائع الدهور)) : الشيخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي (ت ٩٣٠ هـ) .
نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠٤ هـ (ستة أجزاء في خمسة مجلدات) .
- ٢٩ - ((البداية والنهاية)) : الحافظ ابن كثير = إسماعيل بن عمر (ت ٧٧٤ هـ) .
نشر دار الفكر . بيروت (ثمانية مجلدات) .

٣٠ - ((البدر الطالع، محاسن من بعد القرن السابع)) : القاضي محمد بن علي الشركاني (ت ١٢٥٠هـ)
(مجلدان) .

نشر دار المعرفة . بيروت .

٣١ - ((البدر السافرة في أمور الآخرة)) : الحافظ عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .

تحقيق مصطفى عاشور . نشر مكتبة القرآن . القاهرة (مجلد) .

٣٢ - ((البرهان في ترتيب سور القرآن)) : الشيخ أحمد بن إبراهيم بن الزبير الفرناطي (ت ٧٠٨هـ) .

دراسة وتحقيق الأستاذ محمد شعيباني .

نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية بالمغرب . سنة ١٤١٠هـ (جزء) .

٣٣ - ((البرهان في علوم القرآن)) : الإمام بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت ٧٩٤هـ) .

تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم . نشر دار المعرفة . بيروت (أربعة مجلدات) .

٣٤ - ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) : الشيخ كمال الدين عبد الواحد بن عبد الكريم الزملكاني

(ت ٦٥١هـ) .

حققه الدكتور أحمد مطلوب والدكتورة عديجة الحديثي .

نشر مطبعة الغاني . بغداد . الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٤هـ (جزء) .

٣٥ - ((بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز)) : الإمام محمد الدين محمد بن يعقوب الفيروزآبادي

(ت ٨١٧هـ) .

تحقيق مجموعة من الأساتذة . نشر المكتبة العلمية . بيروت (ستة مجلدات) .

٣٦ - ((البصائر والذخائر)) : أبو حيان التوحيدي = علي بن محمد بن العباس (ت ٣٨٠هـ) .

تحقيق د . وداد القاضي . نشر دار صادر . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨هـ (تسعة أجزاء في ستة مجلدات) .

٣٧ - ((بلاغة القرآن بين الفن والتاريخ)) : د . فتحي أحمد عامر .

نشر منشأة المعارف . الإسكندرية (جزء) .

٣٨ - ((بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية)) : الدكتور عبد الفتاح لاشين .

نشر دار الفكر العربي . القاهرة (جزء) .

٣٩ - ((البيان في إعجاز القرآن)) : الدكتور صلاح عبد الفتاح الخالدي .

نشر دار عمار . الأردن . الطبعة الثالثة . سنة ١٤١٣هـ (جزء) .

حرف التاء

٤٠ - ((تأويل مشكل القرآن)) : الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري (ت ٢٧٦هـ) .

شرح ونشر الأستاذ السيد أحمد صقر .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠١هـ (جزء) .

٤١ - ((تاج العروس من جواهر القاموس)) : الشيخ محمد مرتضى الزبيدي (ت ١٢٠٥هـ) .

تحقيق مجموعة من الأساتذة . مطبعة حكومة الكويت (خمسة وعشرون مجلداً) .

٤٢ - ((تاريخ بغداد)) : الخطيب البغدادي = أحمد بن علي (ت ٤٦٣هـ) .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت (ثلاثة وعشرون مجلداً) .

٤٣ - ((تاريخ حكماء الإسلام)) = ((نزهة الأرواح وروضة الأفراح)) : شمس الدين الشهرزوري . (ت ؟)

تحقيق د . عبد الكريم أبوشويرب .

نشر جمعية الدعوة الإسلامية العالمية . ليبيا . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٨م (جزء) .

٤٤ - ((التبيان في أقسام القرآن)) : العلامة شمس الدين ابن قيم الجوزية = محمد ابن أبي بكر (ت ٧٥١هـ) .

- صححه وعلق هوامشه محمد حامد الفقي .
- نشر دار المعرفة . بيروت (جزء) .
- ٤٥ - ((التبيين في أنساب القرشيين)) : الإمام موفق الدين عبد الله بن أحمد بن قدامة المقدسي (ت ٦٢٠هـ) .
حققه وعلق عليه الأستاذ محمد نايف الدليمي .
- نشر المجمع العلمي العراقي . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٢ هـ (جزء) .
- ٤٦ - ((التبحر في علم التفسير)) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
حققه الدكتور فتحي عبد القادر فريد .
- نشر دار العلوم . الرياض الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٢ هـ (مجلد) .
- ٤٧ - ((التحدث بنعمة الله)) : الحافظ عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
تحقيق الزايت ماري سارتين . طبع المطبعة العربية الحديثة . القاهرة (جزء) .
- ٤٨ - ((التحرير والتنوير)) : العلامة الشيخ محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٣٩٣هـ) .
نشر الدار التونسية للنشر . تونس . سنة ١٩٨٤م (ثلاثون جزءاً في أربعة عشر مجلداً) .
- ٤٩ - ((تحصيل نظائر القرآن)) : الحكيم الترمذي = محمد بن علي بن الحسن (توفي بعد سنة ٣١٨هـ) .
تحقيق الأستاذ حسني زيدان . مطبعة السعادة . الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٠هـ (جزء) .
- ٥٠ - ((تحفة المرید علی جوهره التوحيد)) : الشيخ إبراهيم البيهقوري (ت ١٢٧٦هـ) .
طبع المطبعة الأزهرية . سنة ١٣٠٢ هـ (مجلد) .
- ٥١ - ((تدريب الراوي في شرح تقريب النواوي)) : الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
تحقيق د . أحمد عمر هاشم .
- نشر دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ (مجلدان) .
- ٥٢ - ((الذكرة في أحوال الموتى والدار الآخرة)) : الإمام محمد بن أحمد القرطبي (ت ٦٧١هـ) .
تحقيق د . السيد الجميلي .
- نشر دار ابن زيدون . بيروت ، ومكتبة مدبولي بالقاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٦ هـ (مجلد) .
- ٥٣ - ((التصاريغ)) : الإمام يحيى بن سلام (ت ٢٠٠هـ) .
تحقيق الأستاذة هند شليبي .
- نشر الشركة التونسية للتوزيع . سنة ١٤٠٠هـ (جزء) .
- ٥٤ - ((تطور دراسات إعجاز القرآن وأثرها في البلاغة العربية)) : د . عمر الملا حويش .
مطبعة الأمة . العراق . سنة ١٣٩٢هـ (جزء) .
- ٥٥ - ((التعريفات)) : الشيخ علي بن محمد بن علي الجرجاني (ت ٧٧٤هـ) .
تحقيق الأستاذ إبراهيم الأبياري .
- نشر دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ (مجلد) .
- ٥٦ - ((تفسير غريب القرآن)) : الإمام عبد الله بن مسلم بن قتيبة (ت ٢٧٦هـ) .
تحقيق السيد أحمد صقر . نشر دار الكتب العلمية . بيروت سنة ١٣٩٨هـ (جزء) .
- ٥٧ - ((تفسير القرآن)) : الإمام عبد الرزاق بن همام الصنعاني (ت ٢١١هـ) .
تحقيق الدكتور مصطفى مسلم محمد .
- نشر مكتبة الرشد . الرياض . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٠ هـ (أربعة مجلدات) .
- ٥٨ - ((تفسير القرآن العظيم)) : للحافظ ابن كثير = إسماعيل بن عمر (٧٧٤هـ) .
تحقيق الأساتذة عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا .

- نشر دار الشعب . القاهرة (ثمانية مجلدات) .
- ٥٩ - ((التفسير والمفسرون)) الدكتور محمد حسين الذهب .
الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٦هـ (مجلدان) .
- ٦٠ - ((تقريب التهذيب)) : الحافظ شهاب الدين ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) .
تحقيق الأستاذ محمد عوامة . نشر دار الرشيد حلب . سنة ١٤٠٦هـ (مجلد) .
- ٦١ - ((تمييز الطبيب من الحديث فيما يدور على ألسنة الناس من الحديث)) : ابن الديبع الشيباني = عبدالرحمن بن علي (ت ٩٤٤هـ) .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠١هـ (جزء) .
- ٦٢ - ((تناسق الدرر في تناسب السور)) : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠٦هـ (جزء) .
- ٦٣ - ((تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأخبار الشنيعة الموضوعة)) : الشيخ علي بن محمد بن عراقي الكسائي (ت ٩٦٣هـ) .
- حققه الأستاذان عبد الوهاب عبد اللطيف وعبد الله محمد الصديق .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠١هـ (مجلدان) .
- ٦٤ - ((تهذيب التهذيب)) الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢هـ) .
نشر دار الفكر الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤هـ (أربعة عشر مجلداً) .
- ٦٥ - ((التوقيف على مهمات التعاريف)) : الشيخ عبد الرؤوف المناوي (ت ١٠٣١هـ) .
تحقيق الدكتور عبد الحميد صالح حندان .
- نشر عالم الكتب . القاهرة . سنة ١٤١٠هـ (مجلد) .

حرف التاء

- ٦٦ - ثلاث رسائل في إعجاز القرآن :
- ((النكت في إعجاز القرآن)) : علي بن عيسى الرماني (ت ٣٨٤هـ)
((بيان إعجاز القرآن)) : حمّد بن محمد بن إبراهيم الخطاطي (ت ٣٨٨هـ)
((الرسالة الشافية)) : عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني (ت ٤٧١هـ)
تحقيق محمد خلف الله ودكتور محمد زغلول سلام . نشر دار المعارف . القاهرة . الطبعة الرابعة .

حرف الجيم

- ٦٧ - ((جامع البيان في تأويل آي القرآن)) الإمام محمد بن جرير الطبري (ت ٣١٠هـ) . حققه وعلق حواشيه الأستاذان أحمد وعمود محمد شاكر .
- نشر دار المعارف . مصر (طبع منه من أول القرآن إلى أثناء سورة إبراهيم في ستة عشر مجلداً) .
- ((جامع البيان في تأويل القرآن)) : الإمام محمد بن جرير الطبري .
طبع مصطفى البابي الحلبي . القاهرة . (طبع كاملاً)
- ٦٨ - ((الجامع الصحيح)) : الإمام محمد بن إسماعيل البخاري (ت ٢٥٦هـ) .
نشر دار الجليل . بيروت (ثلاثة مجلدات) .
- ٦٩ - ((الجامع الصحيح)) = سنن الترمذي : الإمام محمد بن عيسى الترمذي (ت ٢٧٩هـ) .
تحقيق وشرح أحمد محمد شاكر وغيره . نشر دار إحياء التراث العربي . بيروت (خمسة مجلدات) .
- ٧٠ - ((الجامع لأحكام القرآن)) : الإمام محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي (ت ٦٧١هـ) .

- نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب . سنة ١٩٨٧م (عشرون جزءاً في عشرة مجلدات) .
- ٧١ - ((الجرح والتعديل)) الإمام الحافظ عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (ت ٣٢٧هـ) .
- نشر دار إحياء التراث العربي . بيروت (تسعة مجلدات) .
- ٧٢ - ((جلال الدين السيوطي وأثره في الدراسات اللغوية)) : الدكتور عبد العال سالم مكرم .
- نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . سنة ١٤٠٩هـ (مجلد) .
- ٧٣ - ((الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح)) : شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨هـ) .
- تحقيق وتعليق د . علي بن حسن بن ناصر ، و د . عبد العزيز بن إبراهيم العسكر ، و د . حمدان بن محمد الحمدان .
- نشر دار العاصمة . الرياض . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٤هـ (ستة مجلدات) .
- ٧٤ - ((حواهر الإكليل شرح مختصر العلامة خليل)) : الشيخ صالح عبد السميع الآبي الأزهري .
- نشر مكتبة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده . مصر . الطبعة الثانية . سنة ١٣٦٦هـ (جزء) .
- ٧٥ - ((حواهر البلاغة في المعاني والبيان والبدیع)) : الأستاذ أحمد الهاشمي .
- نشر دار الفكر . بيروت . سنة ١٣٩٨هـ (مجلد) .
- حرف الحاء**
- ٧٦ - ((حاشية رد المحتار على الدر المختار : شرح تنوير الأبصار في فقه مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان)) : الشيخ محمد أمين الشهير بابن عابدين (ت ١٢٥٢هـ) .
- نشر شركة ومطبعة مصطفى البابي وأولاده . مصر . سنة ١٣٨٦هـ (ثمانية مجلدات) .
- ٧٧ - ((الحاوي للفتاوي)) : الحافظ عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ)
- نشر السلام العالمية للطبع والنشر . القاهرة (جزء) .
- ٧٨ - ((الحجة في القراءات السبع)) : الإمام الحسين بن أحمد بن خالويه (ت ٣٧٠هـ) .
- تحقيق د . عبد العال مكرم .
- نشر دار الشروق . بيروت والقاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٧هـ (جزء) .
- ٧٩ - ((حجة القراءات)) : الإمام أبو زرعة عبد الرحمن بن محمد بن زنجلة (توفي في حدود الأربعمئة) .
- حققه الأستاذ سعيد الأفغاني .
- نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠٢هـ (مجلد) .
- ٨٠ - ((الحجة للقراء السبعة أئمة الأمصار بالحجاز والعراق والشام الذين ذكرهم أبو بكر بن مجاهد)) : أبو علي الحسن بن عبد الغفار الفارسي (ت ٣٧٧هـ) .
- حققه بدر الدين قهوجي وبشير حويجاتي .
- نشر دار المأمون للتراث . دمشق . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤هـ (ستة مجلدات) .
- ٨١ - ((حجة الله على العالمين في معجزات سيد المرسلين)) : الشيخ يوسف بن إسماعيل النبهاني (ت ١٣٥٠هـ) .
- دار الفكر . بيروت (مجلد) .
- ٨٢ - ((حسن المحاضرة في تاريخ مصر والقاهرة)) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
- تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم .
- نشر دار إحياء الكتب العربية . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٣٨٧هـ (مجلدان) .
- ٨٣ - ((حلية البشر في تاريخ القرن الثالث عشر)) : الشيخ عبد الرزاق البيطار (ت ١٣٣٥هـ) .
- حققه وعلق عليه حفيده محمد بهجة البيطار .
- نشر المجمع العلمي العربي . دمشق . سنة ١٣٨٣هـ (ثلاثة مجلدات) .

٨٤ - ((الحيوان)) : أبو عثمان عمرو بن بحر الجاحظ (ت ٢٥٥ هـ) .

تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون .

نشر مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . مصر . الطبعة الثانية . سنة ١٣٨٦ هـ (ثمانية مجلدات) .

٨٥ - ((خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب)) : العلامة عبدالقادر بن عمر البغدادي (ت ١٠٩٣ هـ) .

الأستاذ عبد السلام هارون .

تحقيق نشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الأولى (ثلاثة عشر مجلدًا) .

٨٦ - ((الخصائص الكبرى)) : الحافظ عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

تحقيق د. محمد خليل هراس .

نشر دار الكتب الحديثة . القاهرة (ثلاثة مجلدات) .

٨٧ - ((خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر)) : الشيخ محمد الأمين بن فضل الله الحنفي (ت ١١١١ هـ) .

نشر دار صادر . بيروت (أربعة مجلدات) .

حرف الدال

٨٨ - ((درء تعارض العقل والنقل)) : شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) .

تحقيق الدكتور محمد رشاد سالم . طبع جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠١ هـ (أحد عشر جزءًا) .

٨٩ - ((دراسات في الإعجاز العددي بين الماضي والحاضر في ضوء الكتاب والسنة)) : الأستاذ مصطفى عمر الكندي

رسالة ماجستير نوقشت في جامعة أم القرى سنة ١٤٠٩ هـ (مجلد) .

٩٠ - ((الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة)) : الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .

حققه محمد سيد جاد الحق . نشر دار الكتب الحديثة . القاهرة . سنة ١٣٨٥ هـ (خمسة مجلدات) .

٩١ - ((الدر المنصون من علوم الكتاب المكنون)) : السمين الحلبي = أحمد بن يوسف (ت ٧٥٦ هـ) .

تحقيق د. أحمد الخراط . نشر دار القلم . دمشق . الطبعة الأولى (أحد عشر مجلدًا) .

٩٢ - ((الدر المنثور في التفسير بالمأثور)) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

نشر دار الفكر . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٣ هـ (ثمانية مجلدات) .

٩٣ - ((دلائل الإعجاز)) : الشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (ت ٤٧١ هـ) .

تحقيق الأستاذ محمود شاكر . نشر مكتبة الخانجي . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٤١٠ هـ (مجلد) .

٩٤ - ((دلائل النبوة)) : الإمام أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .

خرج حديثه وعلق عليه الدكتور عبد المعطي قلنجي .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت ، ودار الريان للتراث . القاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ (سبعة مجلدات) .

٩٥ - ((دليل مخطوطات السيوطي)) : إعداد أحمد الخازندار ومحمد الشيباني .

نشر مكتبة ابن تيمية . الكويت . سنة ١٤٠٣ هـ (جزء) .

٩٦ - ((الديباج المذهب في معرفة أعيان علماء المذهب)) : الشيخ إبراهيم بن علي = ابن فرحون المالكي

(ت ٧٩٩ هـ) .

تحقيق وتعليق الدكتور محمد الأحدي أبو النور .

نشر دار التراث . القاهرة (جزءان) .

٩٧ - ((الدين والدولة)) : علي بن رزين الطبري (توفي في حدود ٢٤٠ هـ) .

نشر المكتبة العتيقة بتونس (جزء) .

الراء

- ٩٨ - ((الراغب الأصبهاني وجهوده في اللغة والأدب)) : د . عمر الساريسي .
نشر مكتبة الأقبسى . عمان . الأردن . سنة ١٤٠٧هـ (جزء) .
- ٩٩ - ((الرد على من أدخل إلى الأرض وجهل أن الاجتهاد في كل عصر فرض)) : الحافظ حلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .
قدم له وحققه الشيخ خليل الميس .
نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٣هـ (مجلد) .
- ١٠٠ - ((الرسالة)) : الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت ٢٠٤هـ) .
تحقيق الشيخ أحمد شاكر . نشر مكتبة دار التراث . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٩هـ (جزء) .
- ١٠١ - ((الرسالة المستطرفة لبيان مشهور كتب السنة المشرفة)) : العلامة محمد بن جعفر الكثاني (ت ١٣٤٥هـ) .
اعتنى بها الأستاذ محمد المتصر الكثاني . نشر دار البشائر الإسلامية . بيروت . الطبعة الرابعة . سنة ١٤٠٦هـ .
- ١٠٢ - ((رسم المصحف : دراسة لغوية تاريخية)) : الأستاذ غائم قدوري الحمد .
نشر اللجنة الوطنية للاحتفال بمطلع القرن الخامس عشر الهجري . العراق . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٢هـ (مجلد) .
- ١٠٣ - ((روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني)) : العلامة أبو الفضل شهاب الدين محمود الآلوسي البغدادي (ت ١٢٧٠هـ) .
نشر دار الفكر . بيروت . سنة ١٤٠٣هـ (ثلاثون جزءاً في عشرة مجلدات) .
- ١٠٤ - ((الروض الأنف في تفسير السيرة النبوية لابن هشام)) : العلامة أبو القاسم عبد الرحمن بن عبد الله السهيلي (ت ٥٨١هـ) .
علق عليه وضبطه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد . نشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة (أربعة أجزاء) ..

حرف السين

- ١٠٥ - ((سر الفصاحة)) : الشيخ محمد بن سعيد بن سنان الحفاجي الحلبي (ت ٤٦٦هـ) .
نشر دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠٢هـ (مجلد) .
- ١٠٦ - ((سلك الدرر في أعيان القرن الثاني عشر)) : الشيخ أبو الفضل محمد بن علي المرادي (ت ١٢٠٦هـ) .
نشر دار البشائر الإسلامية ، ودار ابن حزم . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠٨هـ (أربعة أجزاء في مجلدين) .
- ١٠٧ - ((سنن الدار قطن)) : الحافظ علي بن عمر الدار قطني (ت ٣٨٥هـ) .
وبذيله ((التعليق المعني على الدار قطني)) : للعلامة أبي الطيب محمد شمس الحق العظيم آبادي .
نشر دار الكتب . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٣هـ (أربعة أجزاء في مجلدين) .
- ١٠٨ - ((السنن الكبرى)) : الحافظ أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨هـ) .
نشر دار المعرفة . بيروت (أحد عشر مجلداً) .
- ١٠٩ - ((سير أعلام النبلاء)) : الحافظ محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي (ت ٧٤٨هـ) .
تحقيق مجموعة من الأساتذة . نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى (خمسة وعشرون مجلداً) .
- ١١٠ - ((السيوطي وجهوده في الدراسات اللغوية)) : الأستاذ محمد بن يعقوب تركستاني .
والكتاب رسالة ماجستير مقدمة لجامعة أم القرى ((جامعة الملك عبد العزيز بمكة سابقاً)) سنة ١٣٩٧هـ (مجلد) .

حرف الشين

- ١١١ - ((شذرات الذهب في أخبار من ذهب)) : الشيخ عبد الحي ابن العماد الحنبلي (ت ١٠٨٩هـ) .
نشر دار الفكر . بيروت (ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات) .

١١٢ - ((شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة)) : الإمام أبو القاسم هبة الله بن الحسين اللالكائي (ت ٤١٨ هـ) .

تحقيق د. أحمد حمدان . نشر دار طبية للنشر والتوزيع . الرياض (ثمانية أجزاء في أربعة مجلدات) .

١١٣ - ((شرح التلخيص)) : الشيخ أكمل الدين البائري .

تحقيق د. محمد مصطفى صوفيه . نشر المنشأة العامة للنشر والتوزيع والإعلان . طرابلس . ليبيا . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٢ هـ (جزء) .

١١٤ - ((شرح كتاب أهدى سبيل إلى علمي الخليل : العروض والقافية)) : الأستاذ محمود مصطفى . والشرح للأستاذ نعيم زُرُور .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٣ هـ (جزء) .

١١٥ - ((شرح الزرقاني على المواهب اللدنية)) ، وكتاب ((المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)) للإمام أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) .

وشرحه للإمام محمد بن عبد الباقي الزرقاني (ت ١١٢٢ هـ) .

نشر دار المعرفة . بيروت .

١١٦ - ((شرح شافية ابن الحاجب)) : الشيخ محمد بن الحسن الاسراباذي النحوي (ت ٦٨٦ هـ) .

حققه الأساتذة محمد نور الحسن ومحمد الزقراق ومحمد محي الدين عبد الحميد .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٣٩٥ هـ (أربعة مجلدات) .

١١٧ - ((شرح شذور الذهب في معرفة كلام العرب)) : الإمام عبد الله بن هشام (ت ٧٦١ هـ) .

نشر دار الأنصار . القاهرة . الطبعة الخامسة عشرة . سنة ١٣٩٨ هـ (جزء) .

١١٨ - ((شرح الشفا)) : الملا علي القاري (ت ١٠١٤ هـ) .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت (مجلدان) .

١١٩ - ((شرح قطر الندى وبلّ الصدى)) : الإمام عبد الله بن هشام (ت ٧٦١ هـ) .

نشر دار الفكر . بيروت . سنة ١٤١٤ هـ (مجلد) .

١٢٠ - ((شرح مقامات جلال الدين السيوطي)) : الأستاذ سمير محمود الدروبي .

نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩ هـ (مجلدان) .

١٢١ - ((شرح المقدمة الجزرية)) : شيخ الإسلام زكريا الأنصاري (ت ٩٢٦ هـ) .

تعليق الأستاذ محمد غيث الصباغ . نشر مكتبة الغزالي : دمشق ، ومؤسسة مناهل العرفان : بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤١١ هـ (جزء) .

١٢٢ - ((شرح المواقف)) مع حاشية عليه لعبد الحكيم السبالكوتي وحسن حلي .

وكتاب ((المواقف)) لعنبد الدين عبد الرحمن بن أحمد الإيجي (ت ٧٥٦ هـ) والشرح للسيد علي بن محمد الجرحاني (ت ٨١٦ هـ) .

طبع دار الطباعة العامرية . القاهرة .

١٢٣ - ((شعب الإيمان)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .

حققه وراجع نصوصه الدكتور عبد العلي عبد الحميد حامد .

نشر الدار السلفية . الهند . سنة ١٤٠٨ هـ (أربعة عشر مجلداً) .

١٢٤ - ((الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم)) : للقاضي عياض بن موسى الحيصي (ت ٥٤٤ هـ) .

تحقيق الأستاذ علي عمد الجاوي .

طبع مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة (مجلدان) .

حرف الصاد

١٢٥ - ((صحيح مسلم بشرح النووي)) .

المطبعة المصرية ومكتبتها (عشرون جزءاً في ستة مجلدات) .

حرف الضاد

١٢٦ - ((الضوء اللامع لأهل القرن التاسع)) : الحافظ شمس الدين محمد بن عبد الرحمن السخاوي (ت ٩٠٢هـ) .

نشر دار مكتبة الحياة . بيروت (ستة مجلدات) .

١٢٧ - ((ضياء السالك إلى أوضاع المسالك)) : أوضاع المسالك للإمام عبد الله بن هشام (ت ٧٦١هـ) ، وضياء

السالك تعليقة للأستاذ محمد النجار (أربعة أجزاء في مجلدين) .

حرف الطاء

١٢٨ - ((طبقات الشافعية الكبرى)) : تاج الدين عبد الوهاب بن علي السبكي (ت ٧٧١هـ) .

تحقيق الأستاذين عبد الفتاح محمد الحلوم ومحمود محمد الطناحي .

نشر عيسى البابي الحلبي وشركاه . القاهرة (ثمانية مجلدات) .

١٢٩ - ((الطبقات الصغرى)) : أبوالمواهب عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) .

تحقيق الأستاذ عبد القادر عطا . نشر مكتبة القاهرة . مصر . الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٠هـ (جزء) .

١٣٠ - ((الطبقات الكبرى)) : الإمام محمد بن سعد (ت ٢٣٠هـ) .

نشر دار صادر . بيروت (عشرة مجلدات) .

١٣١ - ((طبقات المفسرين)) : الشيخ محمد بن علي الداودي .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت (مجلدان) .

١٣٢ - ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) : الإمام يحيى بن حمزة العلوي اليمنى

(ت ٧٤٥هـ) .

أشرفت على مراجعته جماعة من العلماء .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . سنة ١٤٠٢هـ (ثلاثة مجلدات) .

حرف الظاء

١٣٣ - ((الظاهرة القرآنية)) : الأستاذ مالك بن نبي (ت ١٣٩٣هـ) .

ترجمة عبد الصبور شاهين .

نشر دار الفكر المعاصر ببيروت ودار الفكر بدمشق . الطبعة الرابعة . سنة ١٤٠٧هـ (جزء) .

حرف الغين

١٣٤ - ((غاية النهاية في طبقات القراء)) : الإمام ابن الجزري = شمس الدين محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) .

تحقيق ج . برجستراسر .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٠هـ (مجلدان) .

١٣٥ - ((غرائب التفسير وعجائب التأويل)) : تاج القراء محمود بن حمزة الكرمانى (توفي بعد الخمسمائة هـ) .

تحقيق الدكتور شران العجلي . نشر دار القبلة للثقافة الإسلامية بمكة ومؤسسة علوم القرآن ببيروت . الطبعة الأولى .

سنة ١٤٠٨هـ (مجلدان) .

حرف الفاء

١٣٦ - ((الفاصلة في القرآن)) : الأستاذ محمد الحسناوي .

نشر دار الأصيل . دمشق (جزء) .

- ١٣٧ - ((فتاوى قاضيهان)) : الإمام فخر الدين حسن بن منصور الأوزجندى (ت ٢٩٥ هـ) .
مطبوع بهامش الفتاوى الهندية .
- نشر دار إحياء التراث العربي . بيروت . الطبعة الرابعة . سنة ١٤٠٦ هـ .
- ١٣٨ - ((فتح الباري بشرح صحيح البخاري)) : الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .
راجعه وضبط أحاديثه الأستاذ طه عبد الرؤوف سعد ، والسيد محمد عبد المعطي ، ومصطفى محمد الهواري .
نشر مكتبة الكليات الأزهرية . القاهرة . سنة ١٣٩٨ هـ (ثمانية وعشرون جزءاً في خمسة عشر مجلداً) .
- ١٣٩ - ((الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام أحمد بن حنبل الشيباني)) : وبهامشه شرحه ((بلوغ الأماني من أسرار
الفتح الرباني)) الشيخ أحمد عبد الرحمن البنا (ت ١٣٧٨ هـ) .
نشر دار الشهاب . القاهرة (أربعة وعشرون جزءاً في أربعة عشر مجلداً) .
- ١٤٠ - ((الفردوس عمّا ثور الخطاط)) : أبو شجاع شيرويه الديلمي الهمداني (ت ٥٥٨ هـ) .
تحقيق السعيد بن بسويو زغلول .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٦ هـ (ستة مجلدات) .
- ١٤١ - ((الفرق بين الفرق وبين الفرقة الناجية منهم)) : الإمام عبد القاهر بن طاهر البغدادي (ت ٤٢٩ هـ) .
نشر دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٤٠٢ هـ (جزء) .
- ١٤٢ - ((الفيصل في الملل والأهواء والنحل)) : الإمام ابن حزم الظاهري = علي بن أحمد (ت ٤٥٦ هـ) .
تحقيق الدكتور محمد إبراهيم نصر ، والدكتور عبد الرحمن عميرة .
نشر دار الجليل .
- بيروت . سنة ١٤٠٥ هـ (خمسة أجزاء) .
- ١٤٣ - ((فضائل القرآن)) : الإمام أبو عبيد القاسم بن سلام (ت ٢٢٤ هـ) .
تحقيق وتعليق الأستاذ وهي سليمان غاوجي .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١١ هـ (مجلد) .
- ١٤٤ - ((فضل الاعتزال وطبقات المعتزلة)) : أبو القاسم عبد الله بن أحمد البلخي (ت ٣٨٩ هـ) والقاضي عبد
الجبار الهمداني (ت ٤١٥ هـ) ، والحاكم الجشمي = المحسن بن محمد (ت ٤٩٤ هـ) .
تحقيق فؤاد سيد .
- نشر الدار التونسية للنشر بتونس والمؤسسة الوطنية للكتاب بالجزائر . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٦ هـ (جزء) .
- ١٤٥ - ((فكرة إعجاز القرآن)) : الأستاذ نعيم الحمصي .
نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٠ هـ (جزء) .
- ١٤٦ - ((الفهرست)) : ابن النديم محمد بن إسحاق النديم (ت ٣٨٥ هـ) .
تحقيق الدكتورة ناهد عباس عثمان .
- نشر دار قطري بن الفجاءة . قطر . الطبعة الأولى . سنة ١٩٨٥ م (مجلد) .
- ١٤٧ - ((فوات الوفيات)) : الشيخ محمد بن شاكر الكشي (ت ٧٦٤ هـ) .
تحقيق د . وداد القاضي ، ونعيم كساب ، وصالح آغا ، وطريف بزي .
نشر دار الثقافة . بيروت (خمسة مجلدات) .
- ١٤٨ - ((في ظلال القرآن)) : الأستاذ سيد قطب (ت ١٣٨٧ هـ) .
نشر دار الشروق . الطبعة الحادية عشرة . سنة ١٤٠٢ هـ (ستة مجلدات) .
- حرف القاف
- ١٤٩ - ((قطف الأزهار في كشف الأسرار)) : حلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

تحقيق د. أحمد الحمّادي . نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية . قطر . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٤هـ (مجلدان) .

حرف الكاف

١٥٠ - ((الكامل في التاريخ)) : الإمام محمد بن محمد الشيباني = ابن الأثير الجزري (ت ٦٣٠هـ) .

عُني بمراجعة أصوله والتعليق عليه مجموعة من العلماء .

نشر دار الكتاب العربي . بيروت . الطبعة السادسة (عشرة مجلدات) .

١٥١ - ((الكتاب المصنف في الأحاديث والآثار)) : الحافظ أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة (ت ٢٣٥هـ) .

نشر دار التاج . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩هـ (سبعة مجلدات) .

١٥٢ - ((الكشف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل من وجوه التأويل)) :

أبو القاسم جار الله محمود بن عمر الزعشمري الخوارزمي (ت ٥٣٨هـ) .

نشر دار الفكر . بيروت (أربعة مجلدات) .

١٥٣ - ((كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون)) : مصطفى بن عبد الله الشهير بحاجي خليفة

(ت ١٠٦٧هـ) .

نشر دار العلوم الحديثة . بيروت (مجلدان) .

١٥٤ - ((كفاية الألمي في شرح قوله تعالى ﴿ وقيل يَأْرُضْ أَلْعَمِي ﴾ في إعجاز القرآن)) : شمس الدين ابن الجزري =

محمد بن محمد بن محمد (ت ٨٣٣هـ) .

تحقيق عدنان أبو شامة (جزء) .

١٥٥ - ((الكليات)) : أبو البقاء أيوب بن موسى الحسيني الكفوي (ت ١٠٩٤هـ) .

تحقيق د. عدنان درويش ومحمد المصري . نشر مؤسسة الرسالة . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٢هـ (مجلد) .

١٥٦ - ((كنز العمال من سنن الأقوال والأفعال)) : العلامة علي بن حسام الدين الهندي (ت ٩٧٥هـ) .

ضبط الأستاذ بكري جيباني . نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٤٠٥هـ (ثمانية عشر مجلداً) .

١٥٧ - ((الكواكب السائرة بأعيان المائة العاشرة)) : نجم الدين الغزي = محمد بن محمد بن محمد (ت ١٠٦٧هـ) .

تحقيق الدكتور جبرائيل جتور . نشر دار الآفاق الجديدة . بيروت . الطبعة الثانية . ١٩٧٩م (ثلاثة أجزاء) .

حرف اللام

١٥٨ - ((لب اللباب في تحرير الأنساب)) : جلال الدين عبدالرحمن السيوطي (ت ٩١١هـ) .

تحقيق محمد أحمد عبد العزيز ، وأشرف أحمد عبد العزيز .

نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١١هـ (مجلدان) .

١٥٩ - ((لسان العرب)) : العلامة ابن منظور الإفريقي = محمد بن مكرم (ت ٧١١هـ) .

نشر دار صادر . بيروت (خمسة عشر مجلداً) .

١٦٠ - ((لسان الميزان)) : الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي بن ثابت (ت ٨٥٢هـ) .

نشر دار الفكر . بيروت . سنة ١٤٠٧هـ (ثمانية مجلدات) .

١٦١ - ((لوامع الأنوار البهية وسواطع الأسرار الأثرية شرح الدرة المضيئة في عقيدة الفرقة المرضية)) : العلامة الشيخ

محمد بن أحمد السفاريني (ت ١١٨٨هـ) .

نشر دار المكتب الإسلامي ببيروت ، ودار الخانني بالرياض . الطبعة الثالثة . سنة ١٤١١هـ (جزءان في مجلد) .

١٦٢ - ((ليس في كلام العرب)) : ابن خالويه = الحسين بن أحمد (ت ٣٧٠هـ) .

تحقيق الأستاذ أحمد عبد الغفور عطار . نشر في مكة المكرمة سنة ١٣٩٩هـ (مجلد) .

حرف الميم

- ١٦٣ - ((المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني : نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري)) : الدكتور أحمد جمال العمري .
نشر مكتبة الخانجي . القاهرة . سنة ١٤١٠ هـ (جزء) .
- ١٦٤ - ((مباحث في إعجاز القرآن)) : د . مصطفى مسلم .
نشر دار المنارة جدة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ (جزء) .
- ١٦٥ - ((مجمع الزوائد ومنبع الفوائد)) : الحافظ نور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي (ت ٨٠٧ هـ) .
نشر مؤسسة المعارف . بيروت . سنة ١٤٠٦ هـ (عشرة أجزاء في خمسة مجلدات) .
- ١٦٦ - ((مجموع رسائل الجاحظ)) : تحقيق وشرح الأستاذ عبد السلام محمد هارون .
نشر دار الجليل . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١١ هـ (أربعة أجزاء في مجلدين) .
- ١٦٧ - ((المجموع شرح المذهب)) : الإمام أبو زكريا محي الدين يحيى النووي (ت ٦٧٦ هـ) .
نشر دار الفكر . بيروت (عشرون مجلداً) .
- ١٦٨ - ((مجموع الفتاوى)) : شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) إعداد محمد بن عبد الرحمن بن قاسم .
نشر مكتبة المعارف . المغرب (سبعة وثلاثون مجلداً) .
- ١٦٩ - ((محاسن التأويل)) (تفسير القاسمي) : العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت ١٣٣٢ هـ) .
نشر دار إحياء الكتب العربية . القاهرة (سبعة عشر جزءاً في عشرة مجلدات) .
- ١٧٠ - ((المحتسب في تبين وجوه شواذ القراءات والإيضاح عنها)) : أبو الفتح عثمان بن جني (ت ٣٩٢ هـ) .
تحقيق علي النجدي ناصف والدكتور عبد الفتاح إسماعيل شلبي .
نشر دار سركين للطباعة والنشر . استانبول . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٦ هـ (مجلدان) .
- ١٧١ - ((الخمر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز)) : القاضي عبد الحق بن غالب ابن عطية الأندلسي (ت ٥٤٦ هـ) .
تحقيق المجلس العلمي بفاس .
نشر مطابع فضالة . المغرب . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٣ هـ (ستة عشر مجلداً) .
- ١٧٢ - ((مختصر تاريخ دمشق)) : التاريخ للإمام ابن عساكر = علي بن هبة الله (ت ٥٧١ هـ) ، والمختصر للإمام ابن منظور الإفريقي = محمد بن مكرم (٧١١ هـ) .
تحقيق مجموعة من الأساتذة .
نشر دار الفكر . دمشق . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ (تسعة وعشرون مجلداً) .
- ١٧٣ - ((مختصر في شواذ القرآن من كتاب البديع)) : ابن خالويه = الحسين بن محمد (ت ٣٧٠ هـ) .
عنى بنشره ج . برجستراسر .
نشر دار المحرة (جزء) .
- ١٧٤ - ((المدخل إلى التفسير الموضوعي)) : الدكتور عبد الستار فتح الله سعيد .
نشر دار التوزيع والنشر الإسلامية . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٤١١ هـ (جزء) .
- ١٧٥ - ((المزهري في علوم اللغة وآدابها)) : جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
شرح وضبط الأساتذة محمد أحمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي .
نشر دار التراث . القاهرة . الطبعة الثالثة (جزءان) .
- ١٧٦ - ((المستدرک علی الصحیحین)) : الإمام الحافظ محمد بن عبد الله الحاكم النيسابوري (ت ٤٠٥ هـ) .
دراسة وتحقيق مصطفى عبد القادر عطا .

- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١١ هـ (خمسة مجلدات) .
- ١٧٧ - ((المسك الأذفر في نشر مزايا القرن الثاني عشر والثالث عشر)) : الشيخ محمود شكري الألوسي (ت ١٣٤٢ هـ) .
- تحقيق د . عبد الله الجبوري .
- نشر دار العلوم . الرياض . سنة ١٤٠٢ هـ (مجلد) .
- ١٧٨ - ((مسند الإمام أحمد)) : تحقيق الشيخ أحمد شاكر (ت ١٣٧٧ هـ) .
- نشر دار المعارف . مصر (اثنان وعشرون جزءاً في أحد عشر مجلداً) .
- ١٧٩ - ((المصاحف)) : الإمام أبو بكر عبد الله بن أبي داود الأشعث (ت ٣١٦ هـ) .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ (مجلد) .
- ١٨٠ - ((مصر والشام في عصر الأيوبيين والمماليك)) : د . سعيد عبد الفتاح عاشور .
- نشر دار النهضة العربية . بيروت (جزء) .
- ١٨١ - ((المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية)) : الحافظ ابن حجر العسقلاني = أحمد بن علي (ت ٨٥٢ هـ) .
- تحقيق الشيخ حبيب الرحمن الأعظمي . نشر دار المعرفة . بيروت (خمسة مجلدات) .
- ١٨٢ - ((معالم التنزيل)) : محي السنة الحسين بن مسعود البغوي (ت ٥١٦ هـ) .
- حققه وخرج أحاديثه محمد عبد الله النمر ، وعثمان جمعة ضميرية ، سليمان مسلم الحرش .
- نشر دار طيبة . الرياض . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٩ هـ (ثمانية مجلدات) .
- ١٨٣ - ((معاني القرآن)) : يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧ هـ) .
- نشر عالم الكتب . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠٣ هـ (ثلاثة مجلدات) .
- ١٨٤ - ((معاني القرآن وإعرابه)) : الإمام أبو إسحاق إبراهيم الزجاج (ت ٣١١ هـ) .
- تحقيق د . عبد الجليل شلي . نشر عالم الكتب . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ (خمسة مجلدات) .
- ١٨٥ - ((المعجزة الخالدة)) : د . حسن ضياء الدين عتر .
- الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٩ هـ (مجلد) .
- ١٨٦ - ((المعجزة الكبرى : القرآن)) : الشيخ محمد أبو زهرة .
- نشر دار الفكر العربي . القاهرة (جزء) .
- ١٨٧ - ((معجم الأدباء)) : ياقوت الحموي .
- نشر دار الفكر . بيروت . الطبعة الثالثة سنة ١٤٠٠ هـ (عشرون جزءاً في عشرة مجلدات) .
- ١٨٨ - ((معجم أعلام الشرق والغرب)) : فرديناند اليسوعي .
- مطبوع في ذيل ((المنجد في الآداب والعلوم)) : لمولفه لويس معلوف . الطبعة التاسعة عشر . سنة ١٩٥٦ م (مجلد) .
- ١٨٩ - ((معجم الألفاظ التاريخية في العصر المملوكي)) : الشيخ محمد أحمد دهمان .
- نشر دار الفكر المعاصر . بيروت ، ودار الفكر بدمشق . سنة ١٤١٠ هـ (جزء) .
- ١٩٠ - ((معجم ألفاظ القرآن الكريم)) : تأليف مجموعة من الأساتذة .
- نشر مجمع اللغة العربية . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩١ هـ (مجلدان) .
- ١٩١ - ((معجم البلدان)) : ياقوت الحموي .
- نشر دار الفكر ودار صادر ، بيروت (ستة مجلدات)
- ١٩٢ - ((معجم قبائل العرب القديمة والحديثة)) : الأستاذ عمر رضا كحالة .
- نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الخامسة . سنة ١٤٠٥ هـ (خمسة مجلدات) .
- ١٩٣ - ((معجم المؤلفين)) : الأستاذ عمر رضا كحالة .

- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٣ هـ (خمسة عشر جزءاً في ثمانية مجلدات) .
- ١٩٤ - ((معجم متن اللغة)) : العلامة أحمد رضا .
- نشر دار مكتبة الحياة . بيروت . سنة ١٣٨٠ هـ (خمسة مجلدات) .
- ١٩٥ - ((معجم مصنفات القرآن الكريم)) : الدكتور علي إسحاق شواخ .
- نشر دار الرفاعي . الرياض . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤ هـ (أربعة مجلدات) .
- ١٩٦ - ((المعجم المفصل في الأدب)) : محمد التوحي .
- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٣ هـ (مجلدان) .
- ١٩٧ - ((المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي)) : رتبته ونشره مجموعة من المستشرقين .
- نشر مطبعة بريل . لندن . سنة ١٩٦٢ م (سبعة مجلدات) .
- ١٩٨ - ((المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم)) : الأستاذ محمد فواد عبد الباقي (ت ١٣٨٨ هـ) .
- نشر مؤسسة جمال للنشر . بيروت (مجلد) .
- ١٩٩ - ((معجم مقاييس اللغة)) : الشيخ أحمد بن فارس بن زكريا (ت ٣٩٥ هـ) .
- تحقيق وضبط الأستاذ عبد السلام محمد هارون .
- نشر شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٢ هـ (ستة مجلدات) .
- ٢٠٠ - ((معجم النحو)) : الشيخ عبد الغني الدقر .
- طبع بإشراف الأستاذ أحمد عبيد .
- نشر الشركة المتحدة للتوزيع . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٢ هـ (مجلد) .
- ٢٠١ - ((المعجم الوسيط)) : تأليف مجموعة من الأساتذة .
- نشر مجمع اللغة العربية . القاهرة . الطبعة الثالثة (مجلدان) .
- ٢٠٢ - ((معرفة السنن والآثار)) : الإمام أحمد بن الحسين البيهقي (ت ٤٥٨ هـ) .
- خرج أحاديثه وعلق عليه د . عبد المعطي أمين قلعي .
- نشر جامعة الدراسات الإسلامية بكراتشي ، ودار قتيبة بدمشق وبيروت ، ودار الواعي بسورية ، ودار الوفاء بالقاهرة .
- الطبعة الأولى . سنة ١٤١١ هـ (خمسة عشر مجلداً) .
- ٢٠٣ - ((معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار)) : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .
- حققه الأساتذة بشار عواد معروف ، وشعيب الأرنؤوط ، وصالح مهدي عباس .
- نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤ هـ (مجلدان) .
- ٢٠٤ - ((المغني)) : الإمام عبد الله بن أحمد بن محمد بن قدامة (ت ٦٢٠ هـ) .
- تحقيق د . عبد الله التركي ، د . عبد الفتاح الحلو . نشر هجر للطباعة والنشر . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٤١٢ هـ (خمسة عشر مجلداً) .
- ٢٠٥ - ((المغني في تصريف الأفعال)) : د . محمد عبد الخالق عضيمة .
- نشر دار الحديث . القاهرة (مجلد) .
- ٢٠٦ - ((مغني اللبيب عن كتب الأعاريب)) : الإمام عبد الله بن هشام الأنصاري (ت ٧٦١ هـ) .
- حققه الدكتور مازن المبارك ، ومحمد علي حمد الله .
- نشر دار الفكر . بيروت . الطبعة السادسة . سنة ١٩٨٥ م (مجلد) .
- ٢٠٧ - ((مفاتيح الغيب)) : الإمام فخر الدين الرازي = محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) .
- نشر دار الفكر . بيروت . سنة ١٤٠٥ هـ (ستة عشر مجلداً) .
- ٢٠٨ - ((مفتاح السعادة ومصباح السيادة)) : طاشكيري زاده = أحمد بن مصطفى (ت ٩٦٨ هـ) .

- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى سنة ١٤٠٥ هـ (ثلاثة مجلدات) .
- ٢٠٩ - ((مفتاح العلوم)) : يوسف بن محمد بن علي السكاكي (ت ٦٢٦ هـ) .
- ضبط الأستاذ نعيم زرزور . نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٣ هـ (مجلد) .
- ٢١٠ - ((مفحمت القرآن في مبهمات القرآن)) : الإمام جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .
- ضبطه وعلق عليه الدكتور مصطفى ديب البغا .
- نشر مؤسسة علوم القرآن . دمشق - بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٣ هـ (مجلد) .
- ٢١١ - ((مفردات ألفاظ القرآن)) : العلامة الراغب الأصفهاني = الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٢ هـ) .
- تحقيق نديم مرعشلي . نشر دار الكتاب العربي ، ودار الفكر . بيروت (مجلد) .
- ٢١٢ - ((مقالات الإسلاميين)) : للإمام أبي الحسن علي بن إسماعيل الأشعري (ت ٣٢٤ هـ) .
- عنى بتصحيحه هلموت ريتز .
- نشر فرانز شتاينر . فيسبادن . الطبعة الثالثة . سنة ١٤٠٠ هـ (جزء) .
- ٢١٣ - ((مقدمة ابن خلدون)) : العلامة ابن خلدون = عبد الرحمن بن محمد (ت ٨٠٨ هـ) .
- نشر المكتبة التجارية الكبرى . القاهرة (مجلد) .
- ٢١٤ - ((مقدمة ابن الصلاح ومحاسن الاصطلاح)) : الإمام ابن الصلاح = عثمان بن عبد الرحمن الشهرزوري (ت ٦٤٣ هـ) .
- تحقيق د . عائشة عبد الرحمن ((بنت الشاطي)) .
- نشر مطبعة دار الكتب . القاهرة . سنة ١٩٧٤ م (مجلد) .
- ٢١٥ - ((مقدمة جامع التفسير مع تفسير الفاتحة ومطالع البقرة)) : الراغب الأصفهاني = الحسين بن محمد بن الفضل (ت ٥٠٢ هـ) .
- تحقيق د . أحمد حسن فرحات . نشر دار الدعوة . الكويت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٥ هـ (جزء) .
- ٢١٦ - ((مقدمة في أصول التفسير)) : شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلیم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) .
- تحقيق د . عدنان زرزور .
- نشر دار القرآن الكريم . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٣٩٩ هـ (جزء) .
- ٢١٧ - ((المقنع في معرفة مرسوم مصاحف أهل الأمصار مع كتاب النقط)) : الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني (ت ٤٤٤ هـ) .
- تحقيق الأستاذ محمد أحمد دهمان . نشر دار الفكر . دمشق . سنة ١٤٠٣ هـ (جزء) .
- ٢١٨ - ((مكتبة الجلال السيوطي)) : أحمد الشرقاوي إقبال .
- نشر دار المغرب . المغرب . سنة ١٣٩٧ هـ (جزء) .
- ٢١٩ - ((المكتفى في الوقف والابتدا في كتاب الله عز وجل)) : الإمام أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني = عثمان بن سعيد (ت ٤٤٤ هـ) .
- تحقيق د . يوسف المرعشلي . نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤ هـ (مجلد) .
- ٢٢٠ - ((مكى بن أبي طالب وتفسير القرآن)) : د . أحمد حسن فرحات .
- نشر دار الفرقان . عمان . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٤ هـ (مجلد) .
- ٢٢١ - ((الملل والنحل)) : الإمام محمد بن عبد الكريم الشهرستاني (ت ٥٤٨ هـ) .
- تحقيق محمد سيد كيلاني .
- نشر دار المعرفة . بيروت . سنة ١٤٠٠ هـ (مجلدان) .

٢٢٢ - ((المنار النيف في الصحيح والضعيف)) : الإمام شمس الدين ابن قيم الجوزية = محمد بن أبي بكر (ت ٧٥١ هـ) .

حققه وخرج نصوصه وعلق عليه الأستاذ عبدالفتاح أبو غدة .

نشر مكتبة المطبوعات الإسلامية . حلب . الطبعة الثانية . سنة ١٤٠٢ هـ (جزء) .

٢٢٣ - ((منار الهدى في بيان الوقف والابتداء)) : الشيخ أحمد بن محمد بن عبد الكريم الأشعوني .

نشر شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٣٩٣ هـ (مجلد) .

٢٢٤ - ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) : الشيخ محمد بن عبد العظيم الزرقاني (ت ١٣٦٧ هـ) .

نشر دار إحياء الكتب العلمية العربية . الطبعة الثالثة . القاهرة (مجلدان) .

٢٢٥ - ((المنتخب من مسند عُبد بن حُميد)) : الإمام عُبد بن حُميد الكُسي (ت ٢٤٩ هـ) حققه وضبط نصه

وخرج أحاديثه السيد صبحي البدر السامرائي ، وعمود محمد خليل الصعدي .

نشر عالم الكتب . بيروت ، مكتبة النهضة العربية ، ومكتبة السنة بالقاهرة . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٨ هـ (جزء) .

٢٢٦ - ((المنجم في المعجم)) : حلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت ٩١١ هـ) .

تحقيق إبراهيم باحس عبد المجيد .

نشر دار ابن حزم . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٥ هـ (مجلد) .

٢٢٧ - ((منهاج البلغاء وسراج الأدباء)) : حازم القرطاجني (ت ٦٨٤ هـ) . تحقيق محمد الحبيب ابن الخوجة . نشر

دار الغرب الإسلامي . بيروت . الطبعة الثالثة . سنة ١٩٨٦ م (مجلد) .

٢٢٨ - ((منهاج السنة النبوية في نقض كلام الشيعة والقدرية)) ، شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلِيم بن

عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) .

تحقيق د . محمد رشاد سالم . نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية . الرياض . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٦ هـ

(تسعة أجزاء) .

٢٢٩ - ((المنهاج في شعب الإيمان)) : الإمام الحافظ الحسين بن الحسن الحلبي (ت ٤٠٣ هـ) .

تحقيق حلمي محمد فوده . نشر دار الفكر . الطبعة الأولى . سنة ١٣٩٩ هـ (ثلاثة مجلدات) .

٢٣٠ - ((المنهل الصافي والمستوفى بعد الروافي)) : يوسف بن تَغْرِي يَزِيدِي الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ) .

حققه ووضع حواشيه د . نبيل محمد عبد العزيز .

نشر الهيئة المصرية العامة للكتاب (ستة أجزاء) .

٢٣١ - ((المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار)) المعروف بـ ((الخطط المقرزية)) : تقي الدين أحمد بن علي

المقرزي (ت ٨٤٥ هـ) .

نشر مكتبة الثقافة الدينية . القاهرة . الطبعة الثانية . سنة ١٩٨٧ م (مجلدان) .

٢٣٢ - ((المواهب اللدنية بالمنح المحمدية)) : للعلامة أحمد بن محمد القسطلاني (ت ٩٢٣ هـ) .

تحقيق صالح أحمد الشامي .

نشر المكتب الإسلامي . بيروت - دمشق - عمان . الطبعة الأولى . سنة ١٤١٢ هـ (أربعة مجلدات) .

٢٣٣ - ((ميزان الاعتدال في نقد الرجال)) : الإمام شمس الدين محمد بن أحمد الذهبي (ت ٧٤٨ هـ) .

تحقيق الأستاذ علي محمد البجاوي . نشر دار الفكر . بيروت (أربعة مجلدات) .

حرف النون

٢٣٤ - ((النبأ العظيم)) : الدكتور محمد عبد الله دراز (ت ١٣٧٧ هـ) .

نشر دار القلم . الكويت . الطبعة الرابعة . سنة ١٣٩٧ هـ .

٢٣٥ - ((النبوات)) : شيخ الإسلام ابن تيمية = أحمد بن عبد الحلِيم بن عبد السلام (ت ٧٢٨ هـ) .

- نشر دار الكتب العلمية . بيروت . الطبعة الثانية . سنة ١٤١٤ هـ (مجلد) .
- ((نزهة الأرواح وروضة الأفراح)) = ((تاريخ حكماء الإسلام))^(١) .
- ٢٣٦ - ((نزهة الأعين النواظر في علم الوجوه والنظائر)) : الإمام أبو الفرج ابن الجوزي = (ت ٥٩٧ هـ) .
دراسة وتحقيق محمد عبد الكريم كاظم الرازي .
- نشر مؤسسة الرسالة . بيروت . الطبعة السابعة . سنة ١٤٠٧ هـ (مجلد) .
- ٢٣٧ - ((نزهة الخواطر وبهجة المسامع والنواظر)) : العلامة عبد الحمي الحسيني
(ت ١٣٤١ هـ) .
- نشر دار عرفات واثي بريلي . الهند . سنة ١٤١٢ هـ (سنة أجزاء) .
- ٢٣٨ - ((نسيم الرياض شرح شفا القاضي عياض)) : الشيخ أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي (ت ١٠٦٩ هـ) .
نشر المكتبة السلفية . المدينة المنورة (أربعة مجلدات) .
- ٢٣٩ - ((النشر في القراءات العشر)) : الحافظ أبو الخير ابن الجزري = محمد بن محمد (ت ٨٣٣ هـ) .
طبع بإشراف الأستاذ علي محمد الضباع (مجلدان) .
- ٢٤٠ - ((نظم الدرر في تناسب الآيات والسور)) : برهان الدين إبراهيم بن عمر البقاعي (ت ٨٨٥ هـ) .
نشر دار الكتاب الإسلامي . القاهرة . الطبعة الثانية ١٤١٣ هـ (إثنان وعشرون مجلداً) .
- ٢٤١ - ((نفع الطيب من غصن الأندلس الرطيب وذكر وزيرها الخطيب الدين ابن الخطيب)) : الشيخ أحمد بن محمد
المقري التلمساني (ت ١٠٤١ هـ) .
- حققه ووضع فهارسه الأستاذ يوسف الشيخ محمد البقاعي .
- نشر دار الفكر . بيروت . الطبعة الأولى . سنة ١٤٠٦ هـ (أحد عشر مجلداً) .
- ٢٤٢ - ((نكت الانتصار لنقل القرآن)) : الإمام أبو بكر الباقلائي = محمد بن الطيب (ت ٤٠٣ هـ) .
تحقيق الدكتور محمد زغلول سلام .
- نشر منشأة المعارف . الإسكندرية (جزء) .
- ٢٤٣ - ((نهاية الإنجاز في دراية الإعجاز)) : الإمام فخر الدين الرازي = محمد بن عمر (ت ٦٠٦ هـ) .
تحقيق د . أحمد حجازي السقا .
- نشر المكتب الثقافي للنشر والتوزيع . القاهرة . سنة ١٩٨٩ هـ (جزء) .
- ٢٤٤ - ((نهاية السؤل في شرح منهاج الأصول)) : تأليف الشيخ ناصر الدين عبد الله بن عمر
البيضاوي (ت ٦٨٥ هـ) ر ((نهاية السؤل)) تأليف الشيخ جمال الدين عبد الرحيم بن حسن الإسنوي
(ت ٧٧٢ هـ) .
- نشر عالم الكتب (أربعة مجلدات) .
- ٢٤٥ - ((النور السافر عن أخبار القرن العاشر)) : محي الدين عبد القادر بن شيخ العيدروسي : (ت ١٠٢٨ هـ) .
ليس في الكتاب ذكر لمكان النشر ولأزمانه ولا لاسم الناشر (مجلد) .
- حرف الطاء
- ٢٤٦ - ((هدية العارفين : أسماء المؤلفين وآثار المصنفين)) : إسماعيل باشا بن محمد أمين البغدادى (ت ١٣٣٩ هـ) .
نشر دار العلوم الحديثة . بيروت (مجلدان) .
- حرف الواو
- ٢٤٧ - ((الوافي بالوفيات)) : الإمام صلاح الدين خليل بن أبيبك الصفدي (ت ٧٦٤ هـ) .
اعتناء س . رينغ . نشر فرانزشتاينر ، فيسبادن . الطبعة الثانية (اثنان وعشرون مجلداً) .

١- لم أضع له رقماً لأنه مضى في حرف التاء وكرر هنا لأن له اسمين .

- ٢٤٨ - ((الوحي المحمدي)) : السيد محمد رشيد رضا .
نشر مؤسسة عز الدين للطباعة والنشر . بيروت . الطبعة الثالثة ١٤٠٦هـ (مجلد) .
- ٢٤٩ - ((وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان)) : شمس الدين ابن خَلِّكان أحمد بن محمد بن أبي بكر (ت ٦٨١هـ) .
تحقيق الدكتور إحسان عباس . نشر دار الثقافة . بيروت (ثمانية مجلدات) .
- حرف الياء
- ٢٥٠ - ((البواقيت والجواهر في بيان عقائد الأكابر)) : الشيخ عبد الوهاب الشعراني (ت ٩٧٣هـ) . طبع عباس
ابن عبد السلام بن شقرون . سنة ١٣٥١هـ (مجلد) .

١٧ - فهرس موضوعات الرسالة

الموضوع	الصفحة
المقدمة	٤
أهمية الموضوع	٦
سبب اختيار الموضوع	٩
خطة البحث	١٢
عملي في هذا البحث	١٩
الصعوبات في هذا البحث	٢٠
الباب الأول :	
الإعجاز القرآني وأوجه دراسته عند العلماء قبل الإمام السيوطي:	٢٣
الفصل الأول : الإعجاز القرآني مفهوماً وتاريخاً	٢٤
المبحث الأول : معنى مصطلح الإعجاز القرآني	٢٥
الإعجاز في اللغة	٢٥
الإعجاز في الاصطلاح	٢٧
المعجزة في اللغة	٢٨
عرق العادة	٢٩
التحدي	٣٤
عدم المعارضة	٣٨
شروط المعجزة	٣٩
إطلاق المعجزة على آيات الأنبياء	٤٠
ورود ألفاظ الإعجاز والمعجزة وتصاريফهما في كتاب الله - تعالى - وفي الأحاديث والآثار	٤٣
ألفاظ دالة على معنى الإعجاز والمعجزة في كتاب الله تعالى	٤٧
ظهور مصطلح الإعجاز والمعجزة	٥٠
تعريف القرآن الكريم	٥١
معنى إعجاز القرآن	٥٣
الآيات الكريمة التي تحدث الكافرين وأعجزتهم أن يأتوا بمثل القرآن أو بمثل شيء منه	٥٤
المبحث الثاني : نشأة علم الإعجاز وتدوينه ، وجهود العلماء في دراسته :	
نشأة علم الإعجاز وسببه	٥٨
الكلام على الإعجاز في القرنين الأول والثاني	٦٣
الكلام على الإعجاز في القرن الثالث الهجري	٦٩
ذكر المصنفات في الإعجاز منذ القرن الثالث حتى القرن الرابع عشر	٧٩
المصنفات في إعجاز القرآن في القرن الرابع عشر	٨٩
المبحث الثالث : القول بالصرفة والرد عليه	٩٢
(الصَّرْفَة) في اللغة والاصطلاح	٩٣
ذكر من قال بـ (الصَّرْفَة) من المعتزلة	٩٥
أقوال توهم القول بـ (الصَّرْفَة) منسوبة إلى بعض أهل السنة :	١٠٣

١١١	القائلون بـ (الصُرْفَة) من الإمامية والرافضة
١١٢	الرد على القائلين بـ (الصُرْفَة) من الفلاسفة
	الفصل الثاني : طرائق التدوين في الإعجاز القرآني :
١٢١	المبحث الأول : التدوين المبثوث في الكتب
١٢٦	((المحرر الوحيد في تفسير الكتاب العزيز)) لابن عطية
١٢٦	أوجه الإعجاز التي أتى بها ابن عطية
١٣٤	تفصيل القول في الإعجاز بأخبار الغيوب
١٣٩	((البرهان في علوم القرآن)) للزركشي
١٣٩	أوجه الإعجاز التي أتى بها الزركشي
١٥٠	((الاعتقاد والهداية إلى سبيل الرشاد)) للإمام البيهقي
١٥٠	أوجه الإعجاز التي أتى بها البيهقي
١٥٢	مسألة السجع ووقوعها في القرآن العظيم
١٥٧	((الشفا بتعريف حقوق المصطفى صلى الله عليه وسلم)) للقاضي عياض
١٧٧	أوجه الإعجاز التي ساقها الرماني
١٨٥	((إعجاز القرآن)) للباقلاني
١٨٦	وجوه الإعجاز في كتاب الباقلاني
١٩٤	((نهاية الإنجاز في دراية الإعجاز)) لفخر الدين الرازي
١٩٩	منهج المصنف في كتابه
٢٠٢	((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى العلوي
٢٠٢	أوجه الإعجاز التي ساقها
٢١١	خلاصة المبحث الثاني

الباب الثاني :

٢١٣	الإمام السيوطي ودراسة كتابه ((معترك الأقران))
٢١٤	الفصل الأول : الإمام السيوطي : حياته وآثاره
٢١٥	تمهيد : عصر الإمام السيوطي
٢١٥	أولاً : الجانب السياسي
٢١٦	ثانياً : الجانب الاجتماعي والاقتصادي
٢١٧	ثالثاً : الجانب العلمي
٢١٩	المبحث الأول : مولده واسمه وكنيته ولقبه
٢٢١	المبحث الثاني : نشأته وطلبه للعلم ، ومشاغبه ، وتلاميذه
٢٢٥	المبحث الثالث : آثاره العلمية خاصة في الإعجاز
٢٢٧	أسباب كثرة مصنفات السيوطي
٢٣١	مصنفات السيوطي في الإعجاز
٢٣٢	١ - ((الإقتان في علوم القرآن))
٢٣٣	المقارنة بين الكتابين : ((الإقتان)) و ((المعترك))
٢٤٥	٢ - ((أسرار ترتيب القرآن)) أو ((تناسق الدرر في تناسب السور))
٢٤٦	٣ - ((الإكليل في استنباط التنزيل))

٢٤٧	٤ - ((التحبير في علم التفسير))
٢٥٠	٥ - ((الخصائص الكبرى)) أو ((كفاية الطالب اللبيب في خصائص الحبيب)) صلى الله عليه وسلم
٢٥٥	٦ - ((قطف الأزهار في كشف الأسرار))
٢٥٧	٧ - ((مفحومات الأقران في مبهمات القرآن))
٢٥٩	المبحث الرابع : منزلته العلمية ، وأقوال العلماء فيه ، وتحقيق ذلك
٢٦٣	المبحث الخامس : اعتزاله الفتيا والتدريس ، ووفاته
٢٦٣	الوظائف التي تولاهما السيوطي
٢٦٥	اعتزال السيوطي الناس
٢٦٨	وفاته
	الفصل الثاني : ((معرك الأقران في إعجاز القرآن)) ونسبه ونسخه
٢٧٠	المبحث الأول : معنى العنوان وما أثر حوله
٢٧٩	تحرير معنى العنوان
٢٨٠	المبحث الثاني : تحقيق نسبة الكتاب إلى الإمام السيوطي
٢٨٢	المبحث الثالث : مخطوطات الكتاب ومطبوعته ، واجتهود التي بذلت لخدمته
٢٨٥	الفصل الثالث : محتويات الكتاب ومنزلته العلمية
٢٨٦	المبحث الأول : وصف الكتاب من حيث المحتوى
٢٩٠	المبحث الثاني : منزلة الكتاب العلمية وأثره
٢٩٠	المطلب الأول : منزلة الكتاب العلمية
٢٩٠	ميزات الكتاب
٢٩٠	١ - غزارة المادة العلمية
٢٩٠	٢ - الموازنة بين الأقوال ونقدها وتمحيصها
٢٩٠	٣ - الإكثار من إيراد الأمثلة والشواهد
٢٩١	٤ - الإكثار من إيراد الأحاديث والآثار
٢٩١	٥ - التجديد في عرض الإعجاز
٢٩١	٦ - كثرة المصادر والمراجع
٢٩١	٧ - التنوع في إيراد المادة العلمية
٢٩٢	٨ - حسن عرض مادة الكتاب
٢٩٢	٩ - عدم الجمود والتعصب
٢٩٢	١٠ - ذكر القصص والمواعظ
	سليبيات الكتاب :
٢٩٣	١ - خلط بعض وجوه إعجاز القرآن بغيرها
٢٩٤	٢ - عدم عزو كثير من الأقوال
٢٩٥	٣ - كثرة النقل من كتبه الأخرى
٢٩٦	٤ - النقل من الكتب دون إشارة
٢٩٩	٥ - إيراد عدد من الأحاديث الموضوعة
٣٠٥	٦ - أخطاء علمية منهجية
٣٠٥	أ - خطأ عقدي

ب - تبني الآراء الضعيفة أو التي ليس عليها دليل

- ١ - قضية تعذيب بعض الموحدين في النار ٣٠٦
 ٢ - مسألة زواج النبي - صلى الله عليه وسلم - زينب بنت جحش رضي الله عنها ٣١٢
 ج - أخطاء في قضايا في الرسم العثماني ٣١٩
 المطلب الثاني : أثر الكتاب ٣٢٤
 أثر الكتاب في الدراسات الحديثة ٣٢٧

الباب الثالث :

منهج المؤلف في كتابه (دراسة تفصيلية)

- الفصل الأول : وجوه الإعجاز التي ذكرها : عرض ومناقشة ٣٣٨
 طريقة السيوطي في إيراد أوجه الإعجاز ٣٤٠
 الوجه الأول : من وجوه الإعجاز التي ساقها : العلوم المستنبطة منه ٣٤٥
 الوجه الثاني : كونه محفوظاً من الزيادة والنقصان ٣٤٩
 الوجه الثالث : حسن تأليفه والتمام كلمه وفصاحتها ، ووجه إنجازها ، وبلاغته ٣٥٥
 الوجه الرابع : مناسبة آياته وسوره ٣٥٢
 الوجه الخامس : افتتاح السور وعرواؤها ٣٥٤
 الوجه السادس : مشتبهات آياته ٣٥٥
 الوجه السابع : ورود مشككه حتى يوهم التعارض بين الآيات ٣٥٦
 الوجه الثامن : وقوع ناسخه ومنسوخه ٣٥٨
 الوجه التاسع : انقسامه إلى محكم ومتشابه ٣٥٩
 الوجه العاشر : اختلاف ألفاظه في الحروف وكييفيتها من التحفيف والتشديد وغيرهما ٣٦١
 الوجه الحادي عشر : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع ٣٦٣
 الوجه الثاني عشر : إفادة حصره واختصاصه ٣٦٦
 الوجه الثاني عشر : تقديم بعض ألفاظه وتأخيرها في مواضع ٣٦٣
 الوجه الثالث عشر : احتواؤه على جميع لغات العرب وبلغة غيرهم ٣٦٨
 الوجه الرابع عشر : عموم بعض آياته وخصوص بعضها ٣٧٠
 الوجه الخامس عشر : ورود بعض آياته بمجمله وبعضها مبينة ٣٧١
 الوجه السادس عشر : الاستدلال بمنطوقه أو مضمونه ٣٧٢
 الوجه السابع عشر : وجوه مخاطباته ٣٧٣
 الوجه الثامن عشر : ما نطوى عليه من الإخبار بالمغيبات ٣٧٦
 الوجه التاسع عشر : الإخبار بأحوال القرون السالفة ٣٧٧
 الوجه العشرون : روعته وهيبته ٣٧٧
 الوجه الحادي والعشرون : أن سامعه لا يمتحج وقارته لا يمل ٣٧٨
 الوجه الثاني والعشرون : تيسره - تعالى - حفظه وتقريبه ٣٧٨
 الوجه الثالث والعشرون : وقوع الحقائق والمجاز فيه ٣٧٩
 الوجه الرابع والعشرون : تشبيهه واستعاراته ٣٨٠
 الوجه الخامس والعشرون : وقوع الكناية والتعريض ٣٨١
 الوجه السادس والعشرون : إنجازها في آية وإظنايه في أخرى ٣٨٢

٣٨٧	الوجه السابع والعشرون : احتواؤه على الخير والإنشاء
٣٨٨	الوجه التاسع والعشرون : إقسامه - تعالى - في مواضع لإقامة الحجة وتأكيدھا
٣٨٩	الوجه الثلاثون : اشتماله على جميع أنواع البراهين والأدلة
٣٩٢	الوجه الحادي والثلاثون : ضرب الأمثال فيه ظاهرة ومضمرة
٣٩٥	الوجه الثاني والثلاثون : مافيه من الآيات الجامعة للرجاء والعدل والتخويف
٣٩٥	الوجه الثالث والثلاثون : ورود آيات مبهمة بخار العقل فيها
٣٩٧	الوجه الرابع والثلاثون : احتواؤه على أسماء الأشياء ، والملائكة ، والكُنَى ، والألقاب
٣٩٨	الوجه الخامس والثلاثون : ألفاظه المشتركة
٤٠٤	منهجه في إيراد الألفاظ المشتركة
٤٠٧	ملاحظات على منهجه في إيراد الألفاظ المشتركة
٤١٤	نظرة مجملة على وجوه الإعجاز التي ساقھا الإمام السيوطي
٤٢٠	الفصل الثاني : منهجه في تصنيف المادة العلمية وتقسيمھا
٤٣١	المبحث الثاني : منهجه في استعمال المصادر والمراجع ، وأقوال العلماء
٤٣١	المطلب الأول : ذكر بعض مصادره ومراجعہ
٤٣١	١ - مصادر ومراجع من شيء من كتبه
٤٣٣	٢ - مصادر ومراجع من كتب غيره
٤٣٤	أ - مصادره في التفسير
٤٣٨	ب - مصادره في علوم القرآن الكريم
٤٤٣	ج - مصادره في الحديث الشريف
٤٥٠	د - مصادره من كتب الفقه
٤٥١	هـ - مصادره من كتب الأصول
٤٥٢	و - مصادره من كتب اللغة العربية
٤٥٢	ز - مصادره من كتب اللغة العربية
٤٥٢	١ - مصادره من كتب النحو
٤٥٤	٢ - مصادره من كتب الصرف
٤٥٦	٣ - مصادره من كتب البلاغة
٤٥٧	ح - مصادره من كتب التاريخ
٤٦٠	المطلب الثاني : منهجه في الاستفادة من المصادر والمراجع
٤٦٠	١ - النقل المحض
٤٦١	٢ - التصرف في النقل وعدم الإشارة
٤٦٢	٣ - النقل مع التلخيص
٤٦٢	٤ - النقل مع التلخيص والإضافة
٤٦٣	٥ - الاختيار من المنقول
٤٦٣	٦ - خلط كلامه بالمنقول
٤٦٤	٧ - النقل من غير عزو ، أو بعزو ناقص
٤٦٤	٨ - النقل من الكتب من غير إشارة
٤٦٥	المبحث الثالث : منهجه الاستدلالي

٤٦٥	١ - الاستدلال بالآيات الكريمة
٤٦٨	٢ - الاستدلال بالأحاديث الشريفة والآثار المطهرة
٤٦٨	أ - تخريج الأحاديث والآثار المطهرة
٤٧٠	ب - إيراد الأحاديث والآثار مع ذكر الراوي فقط
٤٧١	ج - التخريج مع التحقيق
٤٧٣	د - إيراد الأسانيد
٤٧٤	هـ - إيراد الأحاديث والآثار مجردة من التخريج ومن ذكر الراوي
٤٧٥	و - إدراج الحديث والأثر ضمن الكلام
٤٧٧	٣ - الاستشهاد بالإسرائيليات
٤٨٠	٤ - الاستشهاد بما في بعض الكتب السماوية المنزلة
٤٨١	٥ - الاستشهاد بالموضوعات
٤٨١	عدد الأحاديث والآثار التي أوردها الحافظ السيوطي في كتابه
٤٨٤	مدى مطابقة الأحاديث والآثار لموضوع الإعجاز
٤٨٥	المبحث الرابع : منهجه اللغوي
٤٨٥	أ - النحو
٤٨٦	ب - الصرف
٤٨٨	ج - علوم البلاغة : المعاني والبيان والبديع
٤٨٨	د - لهجات العرب والمغرب
٤٨٩	المبحث الخامس : منهجه في تأصيل القضايا الشرعية
٤٩٠	المطلب الأول : منهجه في العقيدة
٤٩٠	١ - قضية الصفات بين الإثبات والتأويل
٤٩٣	٢ - قضية آيات الصفات وإدخالها في التشابه
٤٩٥	٣ - الكلام على بعض عقائد المعتزلة
٤٩٨	المطلب الثاني : منهجه في التفسير
	أ - مصادر التفسير :
٥٠١	١ - تفسير القرآن بالقرآن
٥٠١	٢ -

المبحث السابع : منهجه في ذكر المسائل العلمية المادية	٥٣٢
الفصل الثالث : دراسة أهم القضايا العلمية في ((معترك الأقران))	
القضية الأولى : قضية الرسم العثماني في كتاب ((المعترك))	٥٤٣
١ - تشديد ﴿ إن ﴾ ورفع ﴿ هذان ﴾ من قوله تعالى :	
﴿ إن هذان لسُحْران ﴾	٥٤٧
حاصل المسألة ورأيي فيها	٥٦١
مذاهب النحاة في هذه المسألة	٥٦٣
٢ - مسألة لفظ ﴿ وطلع منضود ﴾ وما ورد فيها	٥٦١
القضية الثانية : الفاصلة القرآنية	٥٧٤
١ - التقديم والتأخير في كلمات القرآن مراعاة للفاصلة	٥٧٧
٢ - إثبات أغرب اللفظتين مراعاة للفاصلة	٥٧٧
٣ - إطلاق التثنية والمراد الأفراد	٥٧٨
٤ - إطلاق الجمع والمراد الأفراد مراعاة الفواصل	٥٧٨
٥ - الجمع بين المخروجات	٥٧٩
٦ - تأخير الأبلغ وتقديم البليغ	٥٧٩
مناقشة القضايا الست السالفة	٥٨٠
القضية الثالثة : تعيين الذبيح : إسماعيل هو أم إسحاق ، عليهما الصلاة والسلام	٥٩٨
الباب الرابع :	

المقارنة بين منهج الإمام السيوطي وغيره من العلماء في قضية الإعجاز

الفصل الأول : المقارنة بينه وبين العلماء السابقين عليه	٦٠٥
المبحث الأول : المقارنة من حيث المنهج في التأليف :	
كتاب ((اعجاز القرآن)) للقاضي عبد الجبار	٦١١
ملاحظات على منهج القاضي عبد الجبار	٦١٤
المقارنة بين كتاب السيوطي وكتاب القاضي عبد الجبار	٦١٨
المبحث الثاني : المقارنة من حيث وجوه الإعجاز	٦٢١
١ - كتاب ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطابي	٦٢٤
أوجه الإعجاز التي ذكرها الخطابي	٦٢٤
المقارنة بين كتاب السيوطي وكتاب الخطابي	٦٢٨
٢ - كتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) للزمكاني	٦٣٠
أوجه الإعجاز التي ذكرها الزمكاني	٦٣٠
المقارنة بين كتاب السيوطي وكتاب الزمكاني	٦٣٥
المبحث الثالث : المقارنة من حيث الاستدلال	٦٣٦
١ - كتاب ((بيان إعجاز القرآن)) للإمام الخطابي	٦٣٧
٢ - كتاب ((البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن)) للزمكاني	٦٤٦
٤ - كتاب ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى العلوي	٦٤٩
المقارنة بين كتاب السيوطي والكتب الأربعة السالفة	٦٥٢
المبحث الرابع : المقارنة من حيث المصادر والمراجع	٦٥٥

٦٥٥	١ - كتاب ((الطراز المتضمن لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز)) للسيد يحيى العلوي
٦٥٦	٢ - كتاب ((إعجاز القرآن)) للبقلائي
٦٥٦	٣ - ((دلائل الإعجاز)) للجرجاني
٦٥٧	المقارنة بين كتاب السيوطي والكتب الثلاثة السالفة
	الفصل الثاني : المقارنة بين منهج الإمام السيوطي وبين مناهج المؤلفين بعده
٦٦٠	١ - كتاب ((إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم)) لأبي السعود العمادي
٦٦٢	٢ - كتاب ((روح المعاني)) للألويسي
٦٦٥	المقارنة بين كتاب الإمام السيوطي والكتابين السالفين
٦٦٧	المبحث الثاني : المؤلفات التي جاءت بأمور جديدة تناسب العصر
٦٧٢	١ - كتاب ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) لمصطفى صادق الرافعي
٦٨٢	٢ - كتاب ((مناهل العرفان في علوم القرآن)) لـ محمد عبد العظيم الزرقاني
٦٩٠	٣ - كتاب ((النبأ العظيم)) لـ محمد عبد الله دراز
٧٠١	المقارنة بين منهج السيوطي ومنهج المؤلفين الثلاثة
٧٠٤	المقارنة بين منهج السيوطي والرافعي
٧٠٤	المقارنة بين منهج السيوطي والزرقاني
٧٠٥	المقارنة بين منهج السيوطي ودراز
٧٠٦	مصنفات حديثان مهمان في الإعجاز
٧٠٨	الخاتمة والنتائج
٧١٥	فهرس الفهارس
٧١٦	١ - فهرس الآيات الكريمة
٧٤٢	٢ - فهرس القراءات الشاذة
٧٤٣	٣ - فهرس الأحاديث الشريفة
٧٤٥	٤ - فهرس الآثار
٧٤٧	٥ - فهرس وجوه الإعجاز
٧٤٨	٦ - فهرس المصطلحات الأصولية
٧٤٩	٧ - فهرس المصطلحات العلمية
٧٥١	٨ - فهرس المصطلحات البلاغية
٧٥٢	٩ - فهرس الشواهد الشعرية
٧٥٣	١٠ - فهرس القبائل
٧٥٤	١١ - فهرس الطوائف والأسم
٧٥٦	١٢ - فهرس الفرق والجماعات
٧٥٧	١٣ - فهرس الأماكن والبلدان
٧٦٢	١٤ - فهرس الأعلام
٧٨٥	١٥ - فهرس مصادر ومراجع السيوطي
٧٩٨	١٦ - فهرس مصادر ومراجع البحث
٨١٧	١٧ - فهرس الموضوعات